

سورة التوبة



المغرب خريطة عامة

مقياس : 1:5000.000

200 كلم 100 0 50 كلم



معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف
الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى



14

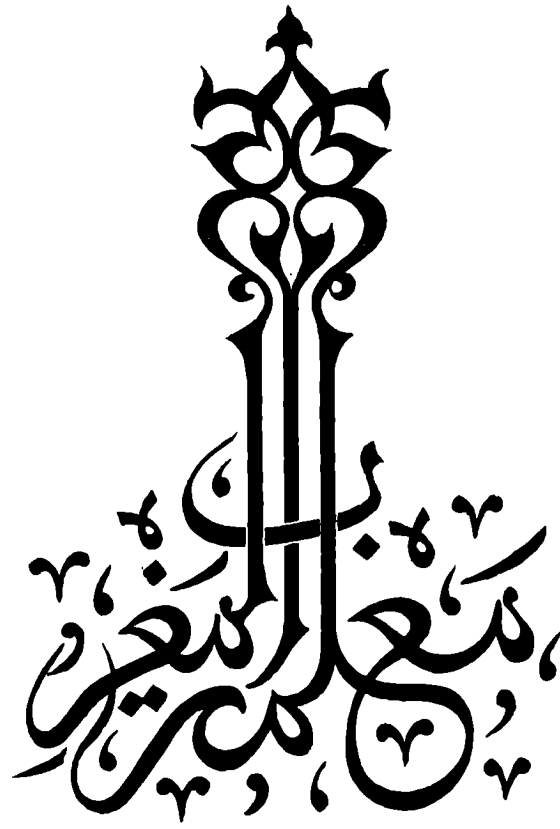
من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر

مكابع سلا

جامعة ابن زهر
مكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، انكادير
تاريخ الدخول: 5 يناير 2011
رقم الجرد: 46727
القيود: 964 مط

2001 - 1422



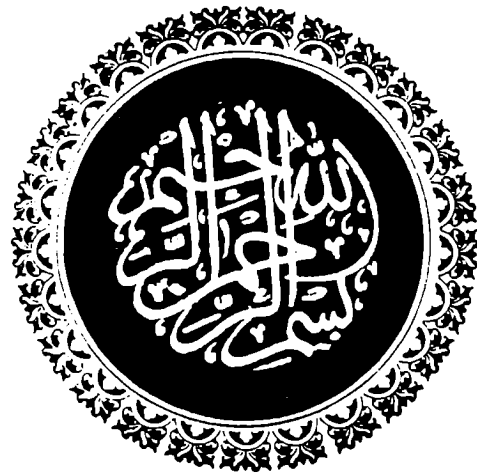
الشيخ الأفاضل

رقم الإيداع القانوني
بالمخزنة العامة للكتب والوثائق - الرباط -
1984/629

جميع حقوق النقل والترجمة - جزئياً أو كلياً بأي شكل كان - محفوظة
للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر والمطابع سلا

رد مك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)

رد مك 1 - 020 - 03 - 9981 (الجزء 14)



أعد هذا الجزء من معلمة المغرب
بدعم من وزارة الثقافة والاتصال
وسعد الهيئة العلمية للمعلمة
أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق
عبارات الشكر والامتنان.



المدير المشرف

: محمد حجي

لجنة التحرير

: أحمد التوفيق، أستاذ التاريخ بكلية الآداب،

الرباط

محمد حجي، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

لجنة العلوم الإنسانية

: محمد بنشريفقة، أستاذ الأدب المغربي والأندلسي

بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية،

الرباط

إبراهيم بوطالب، أستاذ التاريخ بكلية الآداب،

الرباط

سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط

مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي

بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافيا : عبد الله العوينة، أستاذ الجيومورفولوجيا بكلية

الآداب، الرباط

مصطفى عياد، أستاذ الجغرافيا البشرية بكلية

الآداب، الرباط

إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية

الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة،

الرباط

عبد المالك بنعبيد، أستاذ بالمدرسة الوطنية

الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة

والبيطرة، الرباط

محمد رمضان، باحث في البيولوجيا الحيوانية

بالمعهد العلمي وأستاذ بكلية العلوم، الرباط

اختصارات

ت. =	توفي
تج. =	تحقيق
تر. =	ترجمة
خ. ت. =	خزانة تطوان
خ. ح. =	الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص. =	الخزانة الصبحية بسلا
خ. ع. =	الخزانة العامة بالرباط
خ. ق. =	خزانة القرويين بفاس
خ. ي. =	خزانة ابن يوسف بمراكش
د. ت. =	دون تاريخ
د. د. ع. =	دبلوم الدراسات العليا
د. م. =	دون مكان
ط. =	طبعة
← =	انظر

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

المشاركون في تحرير هذا الجزء

- ميلود احمَن، كلية الآداب - مراكش
 محمد أخريف، باحث - القصر الكبير
 محمد الأخضر، باحث - الرباط
 الفقيه الإدريسي، كلية الآداب - بني ملال
 محمد أديوان، كلية الآداب - الرباط
 شفيق أرفاك، كلية الآداب - أكادير
 عبد الرزاق ازريكم، كلية الآداب - مراكش
 سعيد أعراب، باحث - تطوان
 عمر أفا، كلية الآداب - الرباط
 المختار الأكلح، كلية الآداب - المحمدية
 العربي اكنينج، المدرسة العليا للأساتذة - فاس
 حسن أميلي، كلية الآداب - المحمدية
 خالد أوشن، باحث - أكادير
 محند أيت الحاج، وزارة التربية الوطنية - البيضاء
 محمد أيت حمزة، كلية الآداب - الرباط
 لحسن أيت لفيقي، كلية الآداب - بني ملال
 أحمد إيشرخان، باحث - الرباط
 عيسى إيكن، وزارة الثقافة - الرباط
 محمد البايك، باحث - مراكش
 محمد البدراوي، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط
 عكاشة برحاب، كلية الآداب - المحمدية
 محمد برأص، باحث - الرباط
 محمد البركة، باحث
 الحسين البعاوي، وزارة التربية الوطنية - العرائش
 محمد بلعربي، باحث - الرباط
 عائشة البلغيشي العلوي، كلية الآداب - الرباط
 عبد العزيز بل الفايذة، كلية الآداب - القنيطرة
 رقية بلمقدم، كلية الآداب - القنيطرة
 علي البليشي، كلية الآداب - الرباط
 أحمد بنجلون، باحث - الرباط
 زليخة بنرمضان، كلية الآداب - المحمدية
 زينب بنرحمون، أستاذة باحثة بالرباط
 عبد المالك بنعبيد، المدرسة الغابوية للمهندسين - سلا
 عبد الرحيم بنعلي، كلية الآداب - مراكش
 حليلة بنكرعي، كلية الآداب - القنيطرة
 عبد الإله بنمليح، كلية الآداب - فاس
 عثمان بناني، كلية الآداب - الرباط
 رحال بويريك، كلية الآداب - أكادير
 محمد الأمين بوخيزة، باحث - تطوان
 عبد القادر بوراس، المركز الجهوي التربوي - القنيطرة
 سعيد البوزيدي، كلية الآداب - القنيطرة
 عيسى البوزيدي، كلية الآداب - القنيطرة
 فاطمة بوستة، باحثة - الرباط
 محمد بوسلام، وزارة التربية الوطنية - الرباط
 أحمد بوشرب، كلية الآداب - الدار البيضاء
 مصطفى بوشعراء، باحث - سلا
 عبد الله بوصحابة، كلية العلوم - فاس
 إبراهيم بوطالب، كلية الآداب - الرباط
 أحمد بوعزيز، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط
 أحمد بومزكو، وزارة التربية الوطنية - تيزنيت
 جامع بيضا، كلية الآداب - الرباط
 عبد العزيز توري، وزارة الثقافة - الرباط
 أحمد التوفيق، محافظ الخزانة العامة - الرباط
 حسن جلاب، كلية اللغة العربية - مراكش
 الحسين جهادي، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء
 محمد الحامي، كلية الآداب - أكادير
 حسن حافظي علوي، كلية الآداب - مراكش
 محمد حجاج الطويل، كلية الآداب - الدار البيضاء
 محمد حججي، كلية الآداب - الرباط
 عبد الفتاح الحججيري، كلية الآداب - الدار البيضاء
 موحى حدوش، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط
 عبد الجليل حليم، كلية الآداب - فاس
 نجيب خداري، صحفي - الرباط
 علال الخديمي، كلية الآداب - الرباط
 محمد خربوعة، المعهد العلمي - الرباط
 خالد الخضري، وزارة الثقافة - الرباط
 نجاة الخياط، كلية العلوم - الرباط
 عبد الإله الدحاني، كلية علوم التربية - الرباط

- صافية العمراني، وزارة التربية الوطنية - مراكش
عبد العلي العمراني جمال، بالمركز الجامعي للبحث العلمي - باريز
محمد عمراني، كلية الآداب - القنيطرة
عبد الله العويشة، كلية الآداب - الرباط
أحمد عيدون، وزارة الثقافة - الرباط
مصطفى عياد، كلية الآداب - الرباط
محمد العيوض، المدرسة العليا للأساتذة - الرباط
إدريس الفاسي، كلية الآداب - الرباط
عبد الإله الفاسي، كلية الآداب - القنيطرة
محمد فتحة، كلية الآداب - الدار البيضاء
حسن الفكيكي، كلية الآداب - القنيطرة
بوشتي الفلاح، المعهد العلمي - الرباط
محمد القادري، كلية العلوم - الرباط
محمد كربوط، كلية الآداب - الرباط
ليثي شمعون، كلية الآداب - الرباط
محمد ماكامان، وزارة التربية الوطنية - مراكش
أحمد متفكر، باحث - مراكش
محمد مجدوب، كلية الآداب - المحمدية
ثريا المرابط، المركز الوطني للتنسيق وتخطيط البحث - الرباط
محمد المغراوي، كلية الآداب - الرباط
محمد المنصور، كلية الآداب - الرباط
محمد منيوي، المعهد العلمي - الرباط
أحمد مهدها، كلية الآداب - مراكش
مصطفى مولاي ارشيد، كلية الآداب - الرباط
شاكرو ميلودي، كلية الآداب - الرباط
محمد ناجي بن عمر، باحث - أكادير
مصطفى ناعمي، معهد البحث العلمي - الرباط
عبد الله نجمي، كلية الآداب - الرباط
أحمد هوزالي، كلية الآداب - مراكش
أحمد الوارث، كلية الآداب - الجديدة
إبراهيم الوافي، كلية الآداب - أكادير
محمد وحيد، باحث - الدار البيضاء
محمد عزيز الوكيل، وزارة التربية الوطنية - الرباط
أحمد اليبوري، كلية الآداب - الرباط
مصطفى اليزيدي، كلية الآداب - وجدة
خديجة اليملاحي، كلية علوم التربية - الرباط
نفيسة الذهبي، كلية الآداب - القنيطرة
محمد رابطة الدين، كلية الآداب - مراكش
علال رگوگ، كلية الآداب - بني ملال
محمد رمضان، المعهد العلمي - الرباط
محمد الرمضاني، باحث - وجدة
بوجمعة رويان، كلية الآداب - القنيطرة
محمد رياض، باحث - مراكش
الميلود زروقي، كلية الآداب - وجدة
عبد الخالق الزرواطي، المعهد العلمي - الرباط
أحمد زروال، كلية الآداب - مراكش
قاسم الزهيري، باحث - الرباط
عبد الفتاح الزين، معهد البحث العلمي - الرباط
خليل السعداني، كلية الآداب - بني ملال
محمد السعديين، وزارة التربية الوطنية - سلا
عبد السلام السعدي، باحث - مراكش
المهدي السعدي، كلية الآداب - أكادير
رشيد السلامي، كلية الآداب - مراكش
محمد السمار، باحث - الرباط
مصطفى الشابي، كلية الآداب - الرباط
خالد شاوش، باحث - تطوان
محمد الشريف، باحث - تطوان
محمد عزيز الشفشاوني، باحث - الرباط
صالح شكاك، وزارة التربية الوطنية - الرباط
الحسين شوقي، وزارة التربية الوطنية - قلعة السراغنة
حمادي شيمي، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط
عبد الرزاق الصديقي، كلية الآداب - المحمدية
خالد بن الصغير، كلية الآداب - المحمدية
أحمد الطاهري، كلية الآداب - المحمدية
محمد الطليسان، كلية الآداب - الرباط
محمد الظريف، كلية الآداب - المحمدية
عبد العزيز بن عبد الجليل، وزارة الثقافة - مكناس
إسماعيل العثماني، مديرية الوثائق الملكية - الرباط
أحمد عزاوي، كلية الآداب - القنيطرة
محمد ابن عزوز حكيم، باحث - تطوان
عدّي عزّي، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة - الرباط
عبد الرحيم العطاوي، كلية الآداب - الرباط
أحمد عمالك، كلية الآداب - مراكش

Liste des principales abréviations des périodiques

- A.A : *L'Afrique et l'Asie.*
A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales.*
A.E.S.C : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
A.F : *Afrique Française.*
A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
A.M : *Archives Marocaines.*
A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie.*
And. : *Al-Andalus*
Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
Ant. Afr. : *Antiquités Africaines.*
B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
B.A.R : *British Archeological Reports.*
B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
B.G.M : *Bulletin de Géographie du Maroc.*
B.I.D.M : *Bulletin de l'Information et de la Documentation Marocaine.*
B.I.F.A.N : *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire.*
B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne.*
B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
B.S.G.Æ.O : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
B.S.H.M : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Préhistoire du Maroc.*
Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique.*
C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
Cah. Rech. Agron. : *Cahiers de la Recherche Agronomique.*
C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos.*
C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam.*
C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée.*
C.R.A.I.B.L : *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
C.R.A.S : *Compte-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
C.T : *Cahiers de Tunisie.*
E.B : *Encyclopédie Berbère.*

E.I.1 : *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*
E.I.2 : *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*
E.T.A.M : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
Et. Medit. : *Etudes Méditerranéennes.*
F.M : *France - Maroc.*
F.S.S.A.N : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
G.E.M : *Grande Encyclopédie du Maroc.*
Hesp : *Hespéris.*
H-T : *Hespéris-Tamuda.*
H.T.E : *Hommes, Terre et Eaux.*
I.G : *Information Géographique.*
I.H.E.M : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
I.H.E.M : N-D : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
I.S.C : *Institut Scientifique Chérifien.*
Isl. Cult. : *Islamic Culture.*
I.S.P.M : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
J.H.S.N : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
M.A.I.B.L : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
Medit : *Méditerranée.*
M.E.F.R : *Mélanges de l'Ecole Française de Rome.*
N.A.M.S.L : *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
P.I.H.E.M : *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
P.S.A.M : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
P.S.H.M : *Publications de la Section Historique du Maroc.*
R.A : *Revue Africaine.*
R.A.P : *Revue de l'Action Populaire.*
R.C.C : *Revue de la Chambre de Commerce.*
R.D.M : *Revue des Deux Mondes.*
R.E.A : *Revue des Etudes Anciennes.*
R.E.I : *Revue des Etudes Islamiques.*
R.E.L : *Revue des Etudes Latines.*
R.G.L : *Revue de Géographie de Lyon.*
Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
R.G.M : *Revue de Géographie du Maroc.*
R.H.C.M : *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*
R.H.E : *Revue d'Histoire Economique.*
R.H.M.C : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
R.M.D.E.D : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
R.M.E : *Revue Maroc-Europe.*
R.M.F : *Revue Militaire Française.*
R.M.F.P.E : *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie.*
R.M.M : *Revue du Monde Musulman.*
R.P.P : *Revue Politique et Parlementaire.*
Rev. Inst. Hist. Mil. : *Revue Internationale d'Histoire Militaire.*
S.G.L : *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
S.I : *Studia Islamica.*
S.I.H.M : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*

وثائق خ. ح : وثائق مديرية الوثائق الملكية : مصطفى بوشعرا،
الاستيطان والحماية، 4 : م. داود، تاريخ تطوان، 6 : وثائق
الأرشيف التاريخي الوطني بمدير : ح. الفكيكي، المقاومة المغربية
للوجود الإسباني عميلة : مقاومة الوجود الإبري بالثغور الشمالية
المحتلة : معلمة المغرب، 4 : 11.

حسن الفكيكي

الريفي، أحمد بن بوسلهام التوزيني التطواني،
الرجل الصالح المعتقد، صاحب الضريح الشهير بحومة
العيون قبالة المسجد الجامع من تطاون، ولد عام 1125 /
1713 وكان أبوه بوسلهام من جيش الباشا أحمد بن عبد الله
الريفي الحَمَامِي التمساني. وذكر سكيرج في تاريخه
نزهة الإخوان أن الوليين الصالحين أحمد بن محمد بن عبد الله
مَعْن الأندلسي الفاسي، والحاج أبا الحسن علي ابن محمد
بركة الأندلسي التطواني اجتمعا بضريح الولي الشهير أبي
محمد عبد السلام ابن مشيش. فوجه لهما الباشا أحمد
حملا من المؤنة صحبة بوسلهام الكوش، ففرقا تلك المؤنة
على شرفاء العَلَم، ولما فرغا طلب منهما بوسلهام
(سُخرته) على عادة (المخزنية) فقالا له : ما تريد؟ قال :
أن يرزقني الله ولدا صالحا، فدعوا له. فلما رجع إلى
تطوان، ولد له ولد فلما كبر أدخله الباشا أحمد في خدمة
داره، وكلفه بالطاس (يعنى غسل الأيدي للطعام) فصار
ينطق بكلام لا يليق بالحكام، فسجنه بطنجة أربعة وعشرين
شهرًا. ثم سرح بعد موت الباشا.

قال الرهوني : "وقد سخر الله لهذا الرجل رجلا صالحا
هو السيد محمد بن عبد العزيز العسّيب المولاطو الأندلسي
فكان يخدمه وينفق عليه من حرفته (الحجامة) إلى أن
توفي فدفنه في بيت من داره، ثم وجه إليه السلطان مولاي
سليمان بن محمد بن عبد الله يسأله عن المترجم له، فأخبره

الريفي، أسرة نابهة حكم عدد من أفرادها منطقة
الشمال المغربي منذ أواخر القرن الحادي عشر (17 م)،
أصلها من قبيلة تسمان إحدى قبائل الريف الشرقي، وهي
نفسها المعروفة بالبطوني والحمامي، نسبة إلى محالف
بطوية. والحَمَامَة الكائنين بقبيلة تسمان، تميزا عن غيرها
من الأسر المنتمية إلى باقي جهات منطقة الريف.

تأسست الأسرة الريفية الحمامية بالشمال الغربي بانتقال
القائدين الأخوين أحمد وعمر، ابني حدو الريفي اللذين عملا
في قيادة المنطقة الشمالية منذ تعيينهما من طرف المولى
إسماعيل سنة 1673 / 1084 لرئاسة نواة ما عرف بالجيش
الريفي الجهادي المختص بتحرير الثغور الشمالية المحتلة،
وقد علا شأن هذه الأسرة بعد تحرير المعمورة والعرائش
وطنجة وتخطيط المولى إسماعيل لاسترجاع سبتة. وقد
سبقت ترجمة القائدين أحمد بن حدو البطوني وأخيه عمر بن
حدو التمساني بأعمدة هذه المعلمة.

ومن هذه الأسرة برز على الخصوص الباشا علي بن عبد
الله الحمامي الريفي المتوفى سنة 1125 / 1713 وابنه أحمد
التالي له في القيادة والباشوية المقتول عام 1156 / 1743
أثناء ثورته على السلطان المولى عبد الله. وقد سبقت
ترجمتهما أيضاً. ومن نسل هذين الأخيرين تولى عدد منهم
باشوية طنجة وحكم المنطقة الشمالية وإسناد شؤون الريف
إليهم، بدءا من عهد السلطان محمد بن عبد الله (1757 -
1790). وعلاوة على ذلك فقد مكثهم موقعهم بمدينة المضيق
مباشرة جوانب ما فوض لهم من السياسة الدبلوماسية على
أساس مزاولة منصب النيابة السلطانية بطنجة.

وكان لحكام هذه الأسرة ميل إلى تلبية رغبات الإسبان
الخاصة بحدود ثغري سبتة ومليلة. تفرغ امتداد نسل الأسرة
الريفية إلى فرعين : أسرة عبد الصادق وأسرة عبد المالك.
ومن الفرعين نستمد التراجم التالية :

بوفاته، وبموضع دفنه، فأمر السلطان بإخراج ذلك البيت من الدار وجعله ضريحاً مستقلاً، وقد دفن معه خادمه المولاطو وغيره. وحكى الزببادي في سلوك الطريق الوارية له كرامات.

توفي عام 1212/1797.

عبد المجيد الزببادي، سلوك الطريقة الوارية، مخطوط : ع. السلام سكيرج، نزهة الإخوان، مخطوط، ص. 15 : أ. الرهوني، عمدة الراوين، 4، 90. مخطوط : م. داود، تاريخ تطوان، طبع تطوان، 6، 190، 3 : 155.

محمد بوخيزة

الريفي، أحمد بن حدو ← الحمامي، أحمد

بن حدو

الريفي، أحمد بن عبد الصادق من المكلفين سنة 1308 / 1890 بأمر من المولى الحسن للمشاركة في معاينة تعيين حدود مليلة تطبيقاً لا تفاق مدريد يوم 10 محرم 1308 / 26 غشت 1890، وذلك بعد عدة محاولات كان آخرها محاولة سنة 1307/1890. 89 التي خرجت فيها لجنة مشتركة لوضع 18 علامة من الحجر.

وثائق خ. ح : وثائق مديرية الوثائق الملكية : ح. الفكيكي، ثغورنا المحتلة، مشروع كتاب، الأرشيف التاريخي الوطني بمدير، 5503 : ح. الفكيكي، المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة، الرباط، 1997.

حسن الفكيكي

الريفي، أحمد بن علي بن عبد الله الشهير بالباشا.

ولد بتطوان سنة 1093 / 1682، حيث كان والده يشغل منصب القائد العام بالمنطقة الشمالية من المملكة الممتدة من وادي ملوية إلى وادي سيو.

ونجهل كل شيء عن حياته قبل أن أصبح ينوب عن والده في حكم تطوان أو في قيادة الجيش المرابط على مدينة سبتة، الشيء الذي جعل السلطان مولاي إسماعيل يعينه ليقوم مقام أبيه إثر وفاته يوم 6 شعبان 1125 / 29 غشت 1713، ولعله هو أول من لقب بـ"الباشا" بتطوان.

ويستفاد من الرسالة التي وجهها الباشا أحمد إلى وزير خارجية فرنسا يوم 28 رمضان 1125/18 أكتوبر 1713، أنه كانت له نفس الاختصاصات التي كانت لأبيه فيما يخض العلاقات الخارجية مع الدول الأوروبية، وما يؤكد ذلك أنه هو الذي أبرم مع السفير الإنجليزي المستر شارل استيوارت (Charles Stewart) على ظهر باخرة بريطانية بمياه مرتين معاهدة الصلح ليوم 18 ربيع الأول 1133 / 17 يناير 1721، كما أنه هو الذي استقبل السفير المذكور عندما جاء إلى تطوان للمرة الثانية من أجل افتداء الأسرى الإنجليز يوم 9

رجب 1133/6 ماي 1721 وقد رافقه في سفره إلى مكناس ثم عاد معه إلى تطوان في 28 رمضان/ 23 يوليوز بعد أن وافق مولاي إسماعيل على إطلاق سراح نحو 300 أسير بريطاني.

وتشهد المصادر الإسبانية بأنه واصل الحصار المضروب على مدينة سبتة منذ سنة 1696/1108 والذي استمر إلى أن مات السلطان المذكور سنة 1139/1727.

ويتضح من المصادر المختلفة التي تتوفر عليها أن الفقيه محمد داود كان على حق عندما قال عن الباشا أحمد إنه "كان من عظماء الرجال بالمغرب وكان ذا همة عليا وإرادة قوية وكان رجل الإدارة والتدبير والتنظيم والتعمير، ولكن الكمال لله فلقد كانت فيه أيضا نواحي نقص أدت به إلى مظالم كبرى ومتاعب عظمى ونهاية محزنة مؤلمة (تاريخ تطوان، ج. 2، ص. 48).

واتفقت جميع المصادر على القول بأن الباشا كان يحتاج إلى مال كبير لمواجهة المصاريف الضخمة التي كان يقوم بها من أجل التعمير، الشيء الذي جعله يتحمل كاهل سكان منطقة نفوده وخاصة منهم أهالي تطوان بضرائب فادحة وغرامات طائلة ؛ ويبدو أنه عند وفاة السلطان مولاي إسماعيل صار الباشا في عهد السلطان مولاي أحمد الذهبي يتصرف في تطوان وناحيتها كالمالك في ملكه خصوصا وأنه استطاع بماله أن تترك له حاشية السلطان الحبل على الغارب يفعل في سكان منطقته ما يشاء حيث ارتفعت الضرائب وتكاثرت الغرامات.

وكانت القبائل المجاورة لتطوان أول من امتنعت عن أداء الضرائب والغرامات الغير المشروعة المفروضة عليها، واعتبر الباشا هذا العمل تمردا على سلطته فقام بحملة تأديبية لبعض القبائل، وكان رد فعل هذه القبائل أنها رفضت حكمه ونبذت طاعته وأعلنت الثورة العلنية ضده. وما إن رأى أهالي تطوان أن الباشا لم يستطع الوقوف في وجه تلك القبائل المتمردة ضده حتى تضامنوا معها وطردهوا من المدينة أخ الباشا ثم حطموا جميع بناياته بما في ذلك قصره المعروف بالمشور بساحة الفدان وقصره الآخر الذي كان بضواحي المدينة بالمكان المعروف بسانية السلطان بكيئات ؛ وكان متزعم هذه الحركة بتطوان في أول الأمر أحد أفراد أسرة بايوس الذي ألف وفدا من أعيان البلاد وأرسله إلى العاصمة المكناسية من أجل المطالبة بعزل الباشا أحمد وتعيين شخص آخر في مكانه.

ولم يستجيب السلطان مولاي أحمد الذهبي لطلب الوفاء إلا بعد مرور ثلاثة أشهر حيث أصدر يوم 15 ذي القعدة 1139/4 يوليوز 1727 قرارا يقضي بعزل الباشا من منصبه بتطوان مع احتفائه بباشوية طنجة وأصيلا والعرائش، وتعيين القائد عبد الملك بوشفرة مكانه بتطوان.

وتجاهل الباشا أحمد القرار السلطاني حيث نجده يغادر مدينة طنجة على رأس جيش يتكون من 6000 رجلا متجهوا

نحو مدينة تطوان حيث حاصرها من يوم 2 إلى يوم 5 صفر 1140 / 19 - 22 سبتمبر 1727 في محاولة أولى منه لأجل إخضاع المدينة لحكمه، غير أنه وجد سكانها قد أعدوا العدة لمقاومته فرجع إلى طنجة.

ولم يمر على هذه المحاولة سوى أسبوعين حتى قام الباشا أحمد بمحاولة ثانية وغادر طنجة هذه المرة على رأس جيش يتكون من 9000 من المشاة و800 من الفرسان، وقد بدأ حصاره لتطوان يوم 19 صفر / 6 أكتوبر وفي يوم السبت 24 صفر / 11 أكتوبر اقتحم المدينة وجرت معركة كبيرة قتل فيها من جانب الباشا نحو ألف رجل ومن جانب تطوان نحو 350 رجلا، وكان الحاج عمر لوقش هو الذي ترأس الدفاع عن المدينة في غياب الباشا بوشفرة الذي تركها ليلا خوفا من أن يقع بيد الباشا أحمد، وقد عرفت هذه المعركة بـ"عيطرة تطوان".

وعاد الباشا أحمد إلى طنجة لينتظر هناك فرصة تمكنه من الانتقام من أهالي تطوان، وطال انتظاره من سنة 1140 إلى سنة 1151 / 1727 - 1738 حيث بوع زوج ابنته السلطان مولاي المستضى فلم تعترف به أهالي تطوان، وكان رد فعل السلطان الجديد أنه أعاد جهة الباشا أحمد إلى باشوية تطوان مع الاحتفاظ بباشوية طنجة وأصيلا والعرائش، ولم يكن في وسع سكان تطوان الوقوف في وجه ذلك القرار الذي مكن الباشا أحمد من العودة إلى المدينة وحكمها للمرة الثانية.

وفي سنة 1153 / 1740 خُلع السلطان مولاي المستضى الذي لم يجد مكانا يعتصم به سوى دار عمه الباشا أحمد بطنجة فتوجه إليها خصوصا وأن الباشا لم يعترف بمولاي عبد الله الذي اعتلى العرش مرة أخرى، بل إنه قام بمبايعة مولاي زين العابدين بطنجة وتطوان وأصيلا والعرائش في شهر ربيع الأول / 1154 / ماي - يونيو 1741.

وأصل عداوة الباشا أحمد للسلطان مولاي عبد الله يرجع إلى كون الباشا كان قد أرسل إلى السلطان المذكور سنة 1143 هدية ثمينة مع وفد يتكون من ثلاثمائة من أعيان الريف فأمر مولاي عبد الله بقتلهم لأسباب مجهلها، وهذا ما يفسر الموقف العدائي الذي كان يقفه الباشا أحمد من مولاي عبد الله في المرات العديدة التي بوع فيها، لدرجة أنه عندما اعتلى مولاي عبد الله العرش للمرة الرابعة في أواخر سنة 1155 / أوائل عام 1743 خرج الباشا أحمد من طنجة على رأس جيش يتكون من 50.000 مقاتل لمحاربة السلطان وإعادة مولاي المستضى إلى العرش، غير أنه فشل في محاولته لانتهزام قواته بضواحي فاس في معركة قتل فيها من جانب الباشا نحو ألف رجل وقد جرت هذه المعركة يوم 22 صفر 1156 / 17 أبريل 1743، حيث عاد الباشا إلى طنجة.

وبعد ثلاثة أشهر أعاد الباشا أحمد الكرة حيث خرج من طنجة على رأس جميع قواته في جمادى الأولى / 1156

يوليو 1743 وعند وصوله إلى المنزه بالقرب من القصر الكبير وجد السلطان مولاي عبد الله ينتظره لخوض المعركة الفاصلة التي مات فيها الباشا أحمد يوم الاثنين 14 جمادى الثانية 1156 / 5 غشت 1743، حيث قطع رأسه وعلق بباب المحروق بفاس، ولم يوافق السلطان على إنزاله إلا بعد أن تشفع فيه أولاد عبد الرحمن الثعالبي من الجزائر وكان ذلك يوم 17 شوال من نفس السنة / 4 ديسمبر 1743، وهذا لم يمنع السلطان مولاي عبد الله من مصادرة جميع أملاك الباشا أحمد.

ومن آثار الباشا أحمد بتطوان القصر المعروف بالمشور بساحة الفدان الذي كان التطوانيون قد هدموه ثم أعاد هو بناءه، وهنا أيضا الجامع المعروف بجامع الباشا الواقع قرب القصر المذكور وقد بناه سنة 1150 / 1737، وهناك البرج الهائل الذي بناه على مصب وادي مرتين سنة 1132 / 1720 والذي لازال قائما إلى يومنا هذا، وأخيرا هناك قصبه طنجة.

والجدير بالذكر أن هناك تاليفاً في مدح الباشا أحمد ألفه المهدي الغزال سنة 1149 / 1736 تحت عنوان "نزهة الإحسان ومناهج الصلوات الحسان" ويقع في سبعين صفحة. ولا بأس من أن ننقل هنا قصة خيالية عن الباشا أحمد جاء بها محمد بن عبد السلام الضعيف في تاريخ الدولة السعيدة (صفحة 126 من النسخة الموجودة بالخراتنة العامة بالرباط) حيث قال :

"ولما أخبر (أحمد الريفي) بأنه يدخل فاس أميرا بعث للروم على أن يصنعوا له سرير المملكة فصنعوه ورصعوه وأتقنوه في غاية الإتقان وموهوه بالذهب والفضة وأنفقوا عليه مالا عريضا، ولما أكملوه بعثوه له ثم بعث لهم على الملف والكتان والانفاض والبارود وغير ذلك من السلاح ثم ادعى الشرف بأنه من أولاد مولانا عبد السلام بن مشيش نفع الله به وبعث المال الكثير لأولاد مولانا عبد السلام والملف والكتان وغير ذلك على أن يشهدوا له بالشرف فشهدوا له بأنه من الأشراف أولاد حمام فشهد له العلماء من أهل تطاون والفقهاء ومن القصر الكبير والعرائش وطنجة وشفشاون ثم بعث لمولانا الطيب من وزان على أن يشهد له بالشرف أيضا فأبى وأجابه بأن قال له ليس في حفظنا ما تشهد لك به من الشرف الذي ادعيت به الآن أما أنت فرجل من أهل الخير ومن دار كبيرة وأما الشرف فليس لنا به علم فاغتاز من ذلك وبعث لأهل الريف على أن يغيروا على الشرفاء وضيق بهم وأصحابهم وكان ينزع لهم الخيل كرها وتمادى عليهم وصار يقبض من أصحابهم الخراج".

عبد السلام سكيرج، نزهة الاخوان.

John Windus, A Journey to Mequinez th residence of the present Empereur of Fes and Morocco, London, 1725.

محمد ابن عزوز حكيم

الريفي، حدو بن حمّو المعروف بالقائد حدّو، ولد حوالي عام 1308 / 1890 أصله من منطقة الريف الشرقية، كان عام 1927 يقطن مدينة وجدة ويشغل منذ شبابه خادما في بيت المراقب المدني الفرنسي لويز صاي (Louis Say). كان يتحدث الفرنسية والإسبانية بلسان طليق، وكان ذكيا، مناورا، مغامرا، محبا للاضطلاع بدور سياسي ما. بدأت شهرته يوم تعرف عليه ضابط في الاستخبارات الفرنسية، عام 1927، يسمى ليون غابرييلي الذي كان في نفس الوقت رئيسا لدائرة تاوريرت. وإذ كان حدّو يمارس مهامه الرسمية في بيت لويز صاي، فإنه استطاع أن يحظى كذلك بثقة المجاهدين الريفيين الذين راحوا يذيقون الإسبان الامرين.



أخذ حدو يتعامل مع غابرييلي، فيبلغه الأخبار الحقيقية عن المعارك التي كانت تدور رحاها بين القوات التي يقودها محمد عبد الكريم الخطابي وبين جيش الاحتلال الإسباني، كما كان يبلغه أهداف الثورة على أفواه رجالها، ويبلغ إلى المجاهدين "تقدير الحكومة الفرنسية واحترامها لهم" إلى درجة أن الريفيين اعتبروه "سفيرا" لهم لدى السلطات الفرنسية" وخصصوا له بعض الامتيازات المادية. وفي تنقلاته بين الجبهة الريفية ووجدة مرورا بتاوريرت، كان يرتدي تارة العمامة على الشكل الريفي وملابس ريفية وتارة ملابس أوروبية. مزينا عمامته أو طربوشه برموز الريف وأسلحته، الأمر الذي جعله يظهر بمظهر الرجل "ذي الوجهين" أو الشخص المزدوج كما يقولون. لم يلبث على هذه الحال إلا بضعة أشهر حتى بدأ

الفرنسيون والإسبان يخشون عواقب أدواره المشكوكة على سياستهم الاستعمارية، فقرر الفرنسيون منعه من الرجوع إلى منطقة نفوذهم، وقرر الإسبان عدم السماح له بالظهور في مركز الحدود. عندئذ، تمكن من اقتحام العقبات والالتحاق رسميا بالقيادة العليا لقوات محمد عبد الكريم حيث أنيطت به كل المهام التي كانت تتطلب دراية بالشؤون الأوروبية.

وكم كان يحلو له أن يحسب نفسه "مديرا للشؤون الداخلية"، ولئن كان الزعيم الريفي يتطير منه ويعدّه منافقا ومخادعا، فإنه ظل يحظى بثقة وحماية اثنين من وزراء محمد عبد الكريم، وهما محمد أزرقان، وزير الخارجية، ومحمد بوجبار، وزير المالية.

يبدو أن حدو كان يعاني من نقص في موارده المالية وأن دائنيه العديدين شدوا عليه الخناق، فراح يبحث عن مخرج لأزمته. وفي هذا السياق، تمكن من إقناع بعض الزعماء الريفيين بأن العلاقات، بل الصداقات التي ربطها ببعض الفرنسيين تكلفه نفقات تجني ثورة الريف ثمارها. إلا أن ثورة الريف كانت في حاجة إلى المال لأداء أثمان الأسلحة والمواد الغذائية المستوردة والأدوية. لكن محمد بن عبد الكريم قرر توظيفه فجعل منه وسيطا بينه وبين الفرنسيين عبر ضابط الاستعلامات كابريلي.

وهكذا أصبح حدو يحمل لقب القائد بصورة رسمية، وكان ينقل الرسالة المتبادلة بين المجاهدين الريفيين والفرنسيين، وصار هو الناطق باسم حكومة محمد بن عبد الكريم. وبهذه الصفة، شارك إلى جانب محمد أزرقان وأحمد ولد الحاج شدي، في المفاوضات التمهيدية التي انعقدت بين الطرفين.

وعندما استسلم محمد بن عبد الكريم في أواخر أبريل 1926، قررت فرنسا في شأن حدو الريفي ما قررت في شأن باقي وزراء محمد بن عبد الكريم، أي الإبعاد عن مساقط رؤوسهم والإقامة الإجبارية. وفي هذا الإطار، أبعده القائد حدو إلى مدينة الصويرة.

إلا أن الفراغ القاتل في الصويرة، وعدم ربطه علاقات مع بعض سكانها الذين باتوا يتعدون عن السياسة، جعل منه عنصرا مدمنا على الخمر الذي كان في بعض الأحيان يلعب برأسه، فيطلق عقدة لسانه ويمضي القائد حدو في كلام لا ذع بالنسبة للفرنسيين "الخائنين للصداقة، المتكبرين للجميل"، ويذكر الناس بشجاعة أهل الريف وبطولة محمد ابن عبد الكريم وصحبه والهزائم العديدة التي أحققها بالعساكر الإسبان والجيش الفرنسي.

تضايق حكام الصويرة وقتئذ من هذه الأقوال، فقررت السلطة العسكرية المحلية بالخصوص، عام 1943، إيداعه السجن، فنقل إلى سجن العادر بالجديدة.

لكن الظروف المادية والأمراض والشيخوخة تكالبت عليه بدون رحمة وبعد مرور خمسة أعوام، أطلقت السلطات

العسكرية سراحه، فغادر معقله وعاد إلى الصورة عام 1948، فعدل طبعاً عن الخمر، وصار يخصص كثيراً من أوقاته للعبادة. قلما يتحدث مع الناس، لا يكلمه إلا من كانت له ضرورة مخاطبته. لكن فئة قليلة من الشباب الواعي في ذلك الوقت، كانت تحببه إذا صادفته في أحد الأماكن العمومية وتعرب له عن تعاطفها مع المجاهدين الريفيين، إلى أن توفي بالصورة عام 1950/1369.

Gabreilli, Abdelkrim.

أحمد بنجلون

الريفي، عبد الرحمن بن عبد الصادق، كان خليفة والده، آتى الترجمة. عين في منصبه الجديد سنة 1310 / 1892، وكثرت منه الشكايات لإضراره بالجيش الريفي. وفي عهده قام عبد السلام الأنجزي لمعارضة مد إسبانيا لأسلاك التلغراف بقبيلة أنجرة. ولم يمكث عبد الرحمن بن الصادق طويلاً بمنصبه، رذ أنه توفي في الأجل القريب وتولى الباشوية مكانه أخوه عبد العزيز بن عبد الصادق. وثائق خ. ح. : مديرية الوثائق الملكية : مصطفى بوشعرا، الاستيطان والحماية.

الريفي، عبد الصادق لا نعرف اسم والده ونرجح أن يكون بن محمد بن عبد الصادق أو ابن أخيه أحمد بن عبد الصادق، وهما معاً من أحياء سنة 1206 / 1790. عين عبد الصادق عاملاً على الريف، من طرف المولى عبد الرحمن، وكلفه السلطان بالمساهمة في إعداد اتفاق عام 1260 / 1844 الخاص بحدود الثغور المغربية المحتلة إلى جانب باشا طنجة بوسلهام بن علي أزطوط الريفي، إذ أن الإسبان كانوا قد هبوا برنامجهم التوسعي. ففي يناير 1845 كانوا قد أعدوا مشروعهم بطرح الأسئلة التي هي في مغزى المطالب على حاكم طنجة بوسلهام بن علي، وعلى عبد الصادق الريفي عامل الريف.

وثائق خ. ح. : مديرية الوثائق الملكية : وثائق الأرشيف التاريخي الإسباني.

الريفي، عبد الصادق بن أحمد حفيد عبد الصادق ابن أحمد بن علي آتى الترجمة. عامل طنجة ما بين 1295 / 1878 و 1309 / 1891، مكان سابقه الجيلالي بن حمو، وكان خليفة له. ربما كان حفيد عبد الصادق بن أحمد بن علي. بقي بهذا المنصب إلى وفاته سنة 1308 / 1891 وحل محله خليفته ابنه عبد الرحمن.

وثائق خ. ح. : مديرية الوثائق الملكية : مجلة الوثائق : ع. الرحمن بن زيدان، العلاقات السياسية : م. بوشعرا، الاستيطان والحماية.

الريفي، عبد الصادق بن أحمد بن علي، أول من نعرف من حكام طنجة من الأسرة الريفية البطونية الحمادية، نسل الباشا أحمد بعد تربع السلطان سيدي محمد بن عبد الله على العرش سنة 1171 / 1757، إذ أن السلطان لم يتمكن من الاستغناء عن خدمة أبناء الباشا أحمد بن علي الريفي الناصر على والده. تم تعيينه في تاريخ لم نوفق إلى تحديده، ولكننا نعلم أنه كان قبل شوال عام 1172 / أبريل سنة 1765 في منصبه. وظهوره بالوثائق مرتبط بإثارة مسألة حدود الثغور المغربية المحتلة التي بدأ الإسبان الجري وراء تحقيقها منذ مستهل أبريل 1765 على عهد كارلوس الإسباني، وذلك حينما وصل الوفد السلطاني إلى ميدان سبتة حاملاً الرسالة السلطانية الأولى الموجهة إلى البلاط الإسباني، وهي بتاريخ 22 شوال 1172 / 13 أبريل 1765. وكان الوفد مزوداً أيضاً برسالة قائد طنجة عبد الصادق بن أحمد الريفي الموجهة إلى حاكم سبتة. وإلى غاية صيف تلك السنة كان حاكم سبتة قد توصل إلى إحكام الصلة بقائد طنجة، وقد لعب المترجم له دوره في الوساطة التي انتهت باتفاق 28 مايو 1767.

لم نتح لنا الوثائق التي بأيدينا متابعة فترة بقاء المترجم له في منصبه إلا بما قد ينتج عن مقارنتها بفترة حكم تاليه قريبه الريفي، محمد بن عبد المالك، فحسب علمنا أن هذا الأخير كان سنة 1196 / 1781 في منصب الباشوية.

ح. الفكيكي، مسألة الثغور المغربية المحتلة واتفاق عام 1181 / 1767 : مجلة المشروع، الرباط، 1986 : الأرشيف التاريخي الوطني الإسباني A.H.N..

الريفي، عبد الكريم (البطل) ← الخطابي

الريفي، عبد الكريم بن موسى فقيه ومؤرخ مؤلف كتاب في تاريخ الدولة العلوية سماه زهر الأكم. ويعود الفضل في الكشف عن اسمه وتأليفه إلى محمد الضعيف الرباطي، فهو الوحيد الذي أشار إلى اسمه ومؤلفه والاقتراب منه، لذا بقيت معلوماتنا مقتصرة على تلك الإشارة، وعلى ما يمكن استخلاصه من زهر الأكم.

لا يعرف تاريخ ولادة عبد الكريم بن موسى أو وفاته، ومن الصعب الترجيح بكل اطمئنان. وما يجوز لنا قوله إنه من مواليد آخر القرن الحادي عشر (17 م)، ويكون بذلك قد عاصر فترة المولى إسماعيل. وآخر عهدنا به هو سنة 1153 / 1740، وكان وقت انتهاء الضعيف من نسخ زهر الأكم في العاشر من جمادى الأولى سنة 1200 / 11 مارس 1786 قد توفي.

وإذا كانت كنيته الريفي تجعله من أبناء منطقة الريف،

فالمرجح لدينا أن يكون من الناحية المشرفة على حوض واد النكور، أي من المحيط الذي تشغله قبائل بني توزين وتسمان وبني ورياغل، بناء على معرفته الجيدة للمنطقة التي منها استقى الأخبار الواردة في كتابه عن الريف. وكمثال على ذلك ما ذكره عن حرب المولى الرشيد مع القائد أحمد أعراض، حاكم ناحية وادي النكور والريف الغربي وأخياره الدقيقة عن احتلال جزيرة النكور في مستهل حكم المولى إسماعيل.

ويبدو أيضاً أنه كان من المقربين إلى مخزن المولى عبد الله بن إسماعيل، بصفته أحد الفقهاء، بناء على تأليفه الذي خصه للعصر الأول من الدولة العلوية، وعلى أخباره عن البلاط وعن الأمراء وعن الإدارة والجيش والمالية خلال فترة أزمة الثلاثين سنة. والغالب من جهة أخرى أنه اختص بالسلطان المولى عبد الله، وربما كان لقبه الحاج مرتبطاً بمرافقة وفد خاتنة بنت بكار إلى الديار المقدسة سنة 1173 / 1730-1731.

ولعل الحاج عبد الكريم بن موسى الريفي رافق حركات المولى عبد الله، استناداً إلى المعلومات التي انفرد بها مما أدلى به في تأليفه من تفاصيل الأحداث وإبداء الملاحظات. ونعرف أنه كان في جمادى الثانية من سنة 1153 / غشت - شتنبر 1740 يقص آخر الأخبار عن عودة المولى عبد الله بن إسماعيل من معركة أم نرات في شهر رجب السنة، ويختم تاريخه بكلمة: "هنا انتهى بنا هذا التأليف"، أن تعرف سبب ذلك التوقف المفاجئ، وبهذا الإعلان احتجبت عنا أخباره.

م. الضعيف الرباطي، تاريخه: آسية بنعدادة، زهر الأكم، تحقيق ودراسة، الرباط، 1992؛ حسن الفكيكي، مقاومة الوجود الأيبيري بالثغور الشمالية الغربية، أطروحة، مرقونة، الرباط، 1991.

الريفي، عبد الملك بن محمد بن عبد الملك، مساعد والده باشا طنجة على عهد محمد بن عبد الله، لا تعرف عنه سوى أنه كان من المكلفين من طرف السلطان محمد بن عبد الله لمحاولة إقناع المجاهد محمد الرتيبي، سابق الترجمة بعدم مواصلة الجهاد ضد إسبانيي مليلة حسب مراسلة 16 شوال 1202 / 21 يوليوز 1788.

الأرشيف التاريخي الوطني الإسباني؛ ح. الفكيكي، المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة، 1997.

حسن الفكيكي

الريفي، علي بن عبد الله ← **الحَمَامِي، علي بن عبد الله**

الريفي، علي مغيث الوفايي الحسني المدعو الريفي الشيخ الصالح، العالم، الناصح، الشريف الأصيل، الحسيب النبيل. أصل هذا الشيخ من مصر وأهله من الأشراف

الوفائيين الحسنيين. البيت الشهير بمصر، وهم الذين كان أصهر إليهم الإمام أبو العباس المقرئ التلمساني ثم الفاسي الأديب المؤرخ الشهير صاحب نفع الطيب وغيره وانتفع بجاههم ومكتبتهم العامرة، ولكن زواجه انتهى بالطلاق. استوطن أسلاف المترجم له الجزائر مدة مديدة، ومنها انتقلوا إلى قبيلة بقبوية إحدى قبائل الريف بشرقى الشمال المغربي. واشتهروا فيها بلقب أولاد الهجّام، وربما أوحى هذا اللقب بفريضة الجهاد والاشتغال بها، وسكنوا جزيرة (باديس) الأسيرة، وكان بها منهم علماء وأولياء وأفاضل ومازالت فرقة منهم هناك بقبوية إلى الآن. سقى الفقيه الرهوني منهم أفراداً بتطوان وطنجة، ومن الريف انتقلت فرقة منهم إلى قبيلة بني سعيد الجبلية القريبة من تطوان. ومن هؤلاء كان المترجم له. وقد أثروا بقبيلة بني سعيد ثراء كبيراً وتصاهروا مع السادات الريسونيين، فتزوج هؤلاء منهم نحو اثنتي عشرة امرأة بكاراً وامتزجوا بهم وانتقلت ثروتهم إليهم، ومنهم من انتقل إلى تطوان واستوطنها وعرفوا بها بلقب (امكيكو) ومازال منهم بتطوان إلى الآن. ولما توفي المترجم له دفنه الباشا أحمد بن علي الحمّامي الريفي المعروف بقبّة جُبيل شمال مجشر (كيتان) بمكان نزه غاية وبنى على قبره قبة مازالت قائمة. ودفن داخلها معه كثير من الفضلاء والعلماء من آل غيلان وغيرهم. وكانت هذه القبة تأثرت بقنابل المدافع الإسبانية لالتجاء المجاهدين إليها ورممت بعد ذلك.

أخبر الشريف النسابة السيد الحسين الريسوني أن المترجم له توفي في حدود عام 1020 قال الرهوني: ولا يبعد ذلك وأهل مكة أدري بشعابها لأن آل الريفي أحوال الريسوني المذكور، ولكن هذا لا يتفق مع تاريخ بناء القبة التي بناها الباشا أحمد الريفي وكانت ولايته من عام 1125-1156 إلا أن يكون الباشا بنى القبة بعد ذلك عليه.

ومن ذكر المترجم له وبعض أحفاده الشيخ عبد المجيد الزبادي الفاسي في كتابه *سلوك الطريق الوارية* وتحدث عن زيارة قبره وما جرى له هناك، كما ذكر ذلك مع التعليق عليه الأستاذ داود في تاريخ تطوان.

أحمد الرهوني، عمدة الراوين، 6: 22، مخطوط؛ محمد داود، تاريخ تطوان، 3: 157، طبع تطوان؛ محمد عبد الغني حسن (المقري)، من سلسلة أعلام المغرب، طبع القاهرة.

محمد بوخبزة

الريفي، عمر (الحاج -) بن عبد القادر، رجل مثقف اشتهر بنشاطاته وعلاقاته مع الأوساط الإسلامية وأهل العلم بالمغرب ومصر وتركيا والحجاز. ينتمي لإحدى قبائل الريف، استقر بمدينة طنجة سنة 1908 وكان منزله بحي المصلّى حسبما يفهم من بعض الرسائل التي تبادلها مع أخيه الحاج علال بن عبد القادر الريفي.

أهم ما ميز نشاطات الحاج عمر الريفى علاقته مع السلطان عبد الحفيظ، خاصة بعد تنازله عن العرش. ففي سنة 1913، كان الحاج عمر ضمن الوفد المرافق لعبد الحفيظ في حجه للديار المقدسة بمكة والمدينة.

كان الحاج عمر مثله في ذلك مثل مولاي عبد الحفيظ من مريدي الشيخ محمد بن جعفر الكتاني الذي هاجر بلاده قبيل الاحتلال إلى المدينة المنورة. وكان منزله بالمدينة ملتقى الاتصالات والمراسلات التي تصدر عن الحاج عمر وترد عليه.

والأمر الذي لا شك فيه أن الرجل كان منخرطاً في صفوف المجاهدين ضد الاحتلال الفرنسي والإسباني للمغرب. ولهذا وجدناه وهو بالديار المقدسة يرأس إخوانه وأصدقاءه بطنجة، ليطلع على مجريات حركة الجهاد المغربية ضد الاحتلال الإسباني والفرنسي. ومن خلال تلك المراسلات تبين أن الرجل كان من بين النشطاء في ميدان المقاومة ضد الاحتلال.

في سنة 1916 ألقى القبض على الحاج عمر الريفى بمدينة طنجة بتهمة التآمر ضد المخزن. وتبين من هذا الحادث، أن الرجل كان معرضاً للمراقبة من طرف استخبارات الإقامة العامة بالرباط، والحكومة الفرنسية، انطلاقاً من مراقبة مولاي عبد الحفيظ، الذي استقر بإسبانيا دون رغبة الفرنسيين ورفض العودة لطنجة.

والواقع أن مولاي عبد الحفيظ، حاول التنسيق مع الألمان والأتراك ضد الفرنسيين، وكان الحاج عمر من المقربين منه ومن الذين يربطون الاتصال بينه وبين المجاهدين بالريف ومنطقة جباله. ويظهر أن الرجل كان مكلفاً بمسألة تهريب السلاح للمجاهدين. فقد اتهم بأنه كان هو القيم الخاص للسلطان السابق، وأنه كان يربط علاقات مع القنصل الألماني بمدينة الجزيرة الخضراء

علال الخديوي، أخبار الجهاد والمجاهدين بالمنطقة الشمالية خلال الحرب العالمية الأولى في "المنطقة الشمالية والكفاح الوطني 1909-1956"، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، 1998؛ الوثائق الدبلوماسية بمدينة نانت، (ADN، 1913-1982).

علال الخديوي

الريفى، محمد بن عبد الله (عبو) بن عبد المالك، حفيد السابق عبد الملك بن محمد بن عبد الملك، مولده بطنجة سنة 1213 / 1798. تقلب في وظائف سامية بالجيش الريفى، وعين باشا طنجة سنة 1271 / 1854 بمناسبة انفراد سابقه محمد الخطيب بمهمة النيابة السلطانية. بقي بمنصبه إلى أن عزل سنة 1275 / 1858، وتوفي في 13 ربيع الأول 1275 / 21 أكتوبر 1858.

م. بوشعراء، الاستيطان والحماية؛ مبيج، المغرب وأوروبا، 2.

الريفى، محمد بن عبد المالك، باشا طنجة برز بالوثائق المعتمدة منذ سنة 1196 / 1781، ولا نعرف امتداده النسبى وارتباطه بعميدي الأسرة الريفية أحمد وعمر ابني حدو البطونى الحماسي أو بالنسبة للباشا علي وابنه أحمد. كلف بقيادة المباحثات المتعلقة برسم حدود سبتة بعد العودة إلى ربط العلاقات المغربية الإسبانية التي كانت قد توقفت بسبب حصار مليلة، واستمر بها إلى عهد المولى اليزيد.

ففي آخر سنة 1195 / 1781 بدأ حاكم سبتة في الاتصال به، فكان من ذلك أن وعد حاكم سبتة ورئيس الحكومة الإسبانية بإتمام مسألة تعيين الحدود على أحسن حال وفي أقرب الآجال. وفي أغلب الاعتقاد أنه كان يعني توصله بمراسلة 29 حجة 1195 / 16 ديسمبر 1781 التي يستنتج منها وصول الأمر السلطاني القاضي بالشروع في تعيين الحدود الفاصلة من الوجهة الغربية بين الميدان المغربي وحدود سبتة. وقد تم للإسبان بعض ما أرادوه حسبما يفهم من مراسلة 19 محرم 1196 / 4 يناير 1782.

توطدت المراسلات والاتصالات بين محمد بن عبد الملك وحاكم سبتة والقنصل الإسباني بطنجة طيلة ما تبقى من حياة السلطان محمد بن عبد الله، مثلما تدل عليه مراسلة متم شوال 1204 / 12 يوليو 1790.

كان المولى اليزيد بمجرد اعتلائه العرش والشروع في حصار سبتة عازماً على تصفية الحساب مع المتهمين بالتواطؤ مع الإسبان خلال حياة والده بالنسبة للتقدم الإسباني الحاصل على حدود سبتة. ومن أجل ذلك بدأ بمعاينة محمد بن عبد الملك الريفى، وتم قتله مثلما يظهر مع العربي الأفندي وعدد آخر حسب مراسلة 20 صفر عام 1205 / 29 أكتوبر 1790.

وثائق خ. ح؛ وثائق مديرية الوثائق الملكية؛ وثائق الأرشيف التاريخي الإسباني.

حسن الفكيكي

الريفية، رقية بنت محمد كانت رمزاً لتضحية المرأة ونضالها بمدينة مكناس، فقد لعبت دوراً في معركة وادي بوفكران في 2 شتنبر 1937، فقد كانت تلقي - أثناء المعركة - من فوق منزلها المظل على ساحة الهديم بالحجارة على الجنود الفرنسيين وتصب عليهم الماء الساخن، فجرحت عدداً منهم، وألقت برحى على أحدهم فأردته قتيلاً، فرماها أحدهم برصاص اخترق صدرها، وأصيبت في ثديها الأيسر، فنقلت إلى المستشفى، وقد عولجت وخرجت من المستشفى في 23 أكتوبر 1937، وظلت حية حتى عام 1402 / 1981.

بوشى بوعسرة، أحداث بوفكران، ص. 311؛ إبراهيم الهاللي، النبيان لمعركة ماء بوفكران مع وجوب اتباع الإمام.

رقية بلمقدم

الرئيسة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Arraena Reina ومعناها الملكة ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1178 / 1765، مع الإشارة إلى أنه إلى غاية سنة 1257 (1841) كانت بحومة الطرانكات دار تعرف بدار الرئيسة.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 752.

محمد ابن عزوز حكيم

رينو لوسيان Raynaud Lucien، ولد في جنوب شرق فرنسا سنة 1866 من عائلة تهتم بالطب. وبعد أن قضى ثلاث سنوات من العمل في أحد كبار المستشفيات بمدينة الجزائر، ناقش أطروحته في الطب بباريز سنة 1892 في موضوع "الاضطرابات التي تسببها الملاريا للعين"، ثم عين في السنة الموالية طبيباً زائراً لدى مصالح الصحة البحرية بمدينة الجزائر.

وفي سنة 1900 أرسلته وزارة الخارجية الفرنسية إلى طنجة ليدرس مسألة تنظيم المحاجر الخاصة بالحجاج العائدين من الديار المقدسة هناك، ودامت مهمته هاته من أبريل إلى أكتوبر من السنة ذاتها. تمكن خلالها، في أوقات فراغه، من التقاط ما كان يتيسر له من معلومات عن المغرب، وتدوين ملاحظاته عن الأحوال الصحية بهذا البلد وطرق العلاج البدائية التي كانت متبعة به. وعاد رينو في بعثتين أخريين سنتي 1901 و1902 تمكن أثناءهما من توسيع مداركه حول الصحة وطرق العلاج مما أهله ليكتب مقالات شتى في هذا الموضوع أهمها :

داء الكلب بالمغرب (1901)

الكحول والإدمان على الكحول بالمغرب (1901)

المجلس الصحي الدولي بالمغرب (1902)

الإعانة العمومية بالمغرب (1902)

غير أن أهم كتاب اشتهر به رينو هو كتابه :

"دراسة حول حفظ الصحة والطب بالمغرب متبوعة بموجز عن مناخ المدن الرئيسية في الامبراطورية"

وقد صدر هذا الكتاب بمدينة الجزائر سنة 1902. وفيه تعرض المؤلف لما كان يتهدد المغاربة من أوبئة وأمراض، ويسط أنواع الأدوية والعقاقير التي كان المغاربة يستعملونها لمواجهة ما كان يحيق بهم من صنوف الداء، وختم كتابه بالحديث عن الحالة المناخية ببعض مدن المغرب في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر.

توفي الطبيب رينو في 4 شتنبر 1931 في تيبازة بالجزائر.

Maxime Rousselle, *Médecins, chirurgiens et apothicaires français au Maroc (1577 - 1907)*, Paris, 1996; Lucien Raynaud, *Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc*, Alger, 1902.

بوجمعة رويان

رينيو أوجين Regnault Eugène هو الوزير المفوض لفرنسا في المغرب فيما بين 1906 و1912، الذي وكل به أمر إحكام القبضة الاستعمارية على البلاد بالمراوغة والمخاتلة بكل ما أمكن. ذلك، ربما للعمل لت. للعسكرية. ل. لقتضى. الحلال. حتى أفضى الأمر إلى عقد الحماية الذي كان رينيو هو الموقع عليه باسم فرنسا إلى جانب السلطان المولى عبد الحفيظ باسم المغرب.

ولد أوجين رينيو يوم 28 دجنبر 1857. والتحق بالسلك الدبلوماسي بعد حصوله على الإجازة في علوم القانون. اشتغل أول أمره في المقيمة الفرنسية في تونس فيما بين 1884 و1890، وبخاصة لدى أول مقيم عام فيها، بول كامبون Paul Cambon، فتمرس على حيل الاستعمار عن طريق الحماية، وعلى أساليب الدبلوماسية وما يحفزها من المصالح الاقتصادية الملموسة. وكان لبول كامبون وأخيه جول Jules Cambon أدوار لا يستهان بها من أجل إلحاق المغرب بباقي المستعمرات الفرنسية بما تقلبا عليه كلاهما من المناصب الإدارية ومن السفارات الكبرى. فقد كان بول كامبون بعد تونس واليا عاما على الجزائر من 1890 إلى 1896، حيث رام احتلال توات سنة 1892. ثم كان سفيراً في لندن حيث سعى سعياً حثيثاً في إبرام الوفاق الودي بين فرنسا وإنجلترا سنة 1904 الذي أطلق يد فرنسا في المغرب. وكان أخوه جول سفيراً في برلين إبان اشتدت المنافسة بين ألمانيا وفرنسا حتى أصبح ذلك معروفاً بالمسألة أو الأزمة المغربية في المحافل الدولية. وكان رينيو من أصحابهما، ذا حظوة لديهما سائراً في فلكهما. وقد مر رينيو من القنصلية الفرنسية في أثينا وسالونيك في اليونان. ثم عاد إلى باريس قبل أن تسند إليه القنصلية العامة في جنيف سنة 1898. ويوم فرضت قروض 1904 على المغرب، أسند إليه وظيفة وكيل أصحاب الدين المرهون بما قدره 40٪ من الجمارك المغربية، فكان بمثابة سن الرمح مما كان ينعت يومئذ في الدعاية الاستعمارية بالتسرب السلمي، الرامي إلى اقتحام الجهاز المخزني من جهة بيت ماله فهو القلب النابض منه. وكان صندوق الدين أول ما أثبت من "النظام الفرنسي" في الجهاز الحكومي المغربي. وصار رينيو يعين المراقبين للجمارك في الموانئ الثمانية المفتوحة أمام التجارة الدولية. ولم يكن الأمر هينا في السنتين الأوليين، إذ تصامم الكثير من أمناء الجمارك المغربية عن أوامر رينيو ونواهيته، وساروا معه ومع مراقبيه سيرة من لا يستسيغ تدخل النصارى في شؤون البلاد، وإن كان ملزماً بالتخلي عن نسبة غير هينة من الدخل.

ثم تطورت المسألة المغربية على الصعيد الدولي حتى أدى الأمر إلى انعقاد مؤتمر الخريزات (انظر هذه المادة في مكانها من المعلمة). وعين رينيو نائب رئيس الوفد الفرنسي، بول رفوال (ينظر في مكانه من المعلمة). وقد مكنته خبرته بشؤون الدين من إدخال المغرب في شبكة

محكمة من الموثيق المالية والتجارية الدولية التي لم تزد التسرب الفرنسي في البلاد إلا قوة ومناعة، هذا فضلا عما كان حصل طيلة شهور المؤتمر الثلاثة من المخالطة اليومية لأعضاء الوفد المغربي وللرجل الثاني فيه على الخصوص، وهو محمد بن عبد السلام المقرري الذي توثقت الصلات بينه وبين رينيو من يومئذ فلا يدرك ما جرى من الإعداد للحماية على التراب المغربي بدون الرجوع إلى هاذين الرجلين. ذلك بأن مؤتمر الخزيرات عاد على فرنسا بفوائد حملتها على السير بخطة التسرب السلمي قدما إلى الأمام، إذ حل رينيو محل سانريني طايانديه Saint-René Taillandier (ينظر في هذه المعلمة) في صيف 1906، وزير فرنسا المفوض، مهمته إخراج كل ما سطره المؤتمر من القرارات المخلة بحرية المغرب إلى حيز التنفيذ، من ذلك إقامة بنك الدولة ليكون بيت مال المخزن تحت رحمته، وإقامة الضرائب الجديدة، وتنصيب الشرطة الفرنسية والشرطة الإسبانية في الموانئ، وتمهيد السبيل أمام الاستثمارات الدولية عامة والاستثمارات الفرنسية بوجه أخص. وقد أقيم مهندس فرنسي لهذا الغرض وهو بورشي - بانيس Porché-Banés ليدشن الأوراش التي كانت التجارة الدولية في حاجة إليها للتغلغل داخل السوق المغربية، وذلك بناء على مبدأ الباب المفتوح الذي أقره مؤتمر الخزيرات، وطبقا لأساليب التسرب السلمي التي كانت قد أسفرت عن فرض الحماية الفرنسية على تونس سنة 1881. وكان رينيو قد خبرها تمام الخبرة، وما جاء إلى المغرب إلا بقصد إعادة الكرة عليه. وظل يدافع عن هذه الخطة باستمرار، ضدا على خطة السلطات الفرنسية في الجزائر التي كانت ترى أن الجهاز المخزني المغربي إنما هو حكومة وهمية، وكفي استقطاب القبائل طوعا أوكرها لاستعمار البلاد. أما رينيو فإنه كان يعلم من وقوفه على حقيقة الأمور في الميدان منذ 1904 بأن المخزن المغربي حكومة قائمة الذات ثابتة الأركان، وأن الحماية الفرنسية لن تتم ولن يستقر لها قرار ما لم يكن ذلك بإرادة السلطان ويتفويض منه. بيد أن حمل السلطان على ذلك لم يكن من الأمر اليسير. وقد أدرك رينيو ومساعدوه في طنجة أن لا مفر من الإخلال بثقة العاهل المغربي بسلطانه بإثارة كل أسباب الشعب عليه لإخافته واضطراره إلي الارتقاء في أحضان فرنسا. وذلك ما حصل أول الأمر مع السلطان المولى عبد العزيز الذي فقدت الرعية كل ثقة فيه غداة مؤتمر الخزيرات ونفرت منه تمام النفور بعد احتلال الفرنسيين لوجده انتقاما بزعمهم لمقتل الطبيب موشان Mauchamp في مراكش (أبريل 1907)، ونزول أسطولهم وجيوشهم على مدينة الدار البيضاء التي ثارت فيها ثورة قبائل الشاوية بسبب انتهاك حرمة مقبرة كانت في جوار المرسى الذي شرع الفرنسيون في بنائه. وكانت الفرصة مواتية في كلتا الحالتين لإحكام القبضة العسكرية على المغرب من جهة الغرب ومن جهة الشرق. وظن رينيو أنه فاز

ببقيته، ذلك بأن المولى عبد العزيز ارتحل على وجه السرعة من فاس إلى الرباط وتنازل لرينيو في خريف سنة 1907 عما كان قد رفض التنازل عنه لسان ريني طايانديه سنة 1905. وسبب ذلك قيام المولى عبد الحفيظ في مراكش، مناديا بالجهد ومعلنا بالإطاحة بالمولى عبد العزيز. وكان رأي رينيو أن تساند فرنسا السلطان الشرعي وأن تنتزع منه ما تصبو إليه من التسرب الاستعماري. لكن المسؤولين الفرنسيين في باريس فضلوا التورية بالحياد في النزاع على العرش بين الأمرين. وما كان على رينيو إلا أن يمثّل ويحيك حول السلطان الجديد ما كان قد حاكه حول سلفه من أعمال المراوغة والمكاسية، علما منه بأنه يكفي أن يتنازل المولى عبد الحفيظ مرة أولى ليجد نفسه ملزما بالتنازل عن الباقي، لأن شبكة الاستعمار كانت قد اتصلت فروعها وامتدت. واضطر السلطان الجديد إلى الاعتراف بشروط الخزيرات ليحصل على الاعتراف الدولي بمشروعية حكمه (يناير 1909). ولم يمنح ذلك إلا مقابل استقبال رينيو في فاس استقبالا رسميا والشروع معه في مفاوضات تجديد الثقة بالبعثة العسكرية الفرنسية والالتزام بأن لا يستعين في الإصلاحات إلا بالفرنسيين. ولما ألح على رينيو في انسحاب الجيوش الفرنسية من وجدة ومن الدار البيضاء وإقليم الشاوية الذي توسع فيه الفرنسيون في الشهور التي كان الصراع على أشده بين السلطانين، عرض رينيو عليه شروطا ألزمته هو بدوره بالاقتراض من السوق المالية الفرنسية، فوقع فيما كان قد سبقه أخوه المخلوع إليه، ولكن هذه المرة مع وزير مفوض فرنسي خبير بشؤون المخزن مطلع على عوراته، يساعده من حيث يدري أولا يدري محمد المقرري الذي جعله المولى عبد الحفيظ وزير ماليته قبل أن يسند إليه الصدارة الكبرى. وسافر المقرري إلى باريس للتفاوض بشأن قرض جديد وقع الاتفاق عليه في مطلع سنة 1910، قضى على البقية الباقية من حرية المغرب المالية. وغدا المخزن الحفيظي هو بدوره فريسة لا تنتظر فرنسا للإجهاد عليها إلا أن تتخلص من المنافسة الألمانية. ولقد قام رينيو في هذا المضمار بالأدوار الطلائعية. فهو الذي دعا إلى الاتفاق مع ألمانيا في فبراير 1909 ضمنا لمساواة رجال أعمال الدولتين في استثمار خيرات المغرب. لكن الجيوش الفرنسية أقدمت على احتلال فاس في مايو 1911. وكان رينيو يومئذ في باريس لا يفارق وزير الخارجية كروبي Cruppi الذي أمر بالزحف إلى فاس على إثر "المأذبة المغربية" التي حضرها كل من كان يحث على احتلال المغرب بما فيهم رينيو. وردت ألمانيا بأن أوفدت بارجة "بانظير" إلى خليج أكادير. وكان ذلك سببا في احتدام الأزمة المغربية الثانية. واضطرت فرنسا إلى التعاقد مع ألمانيا بشأن استغلال المغرب، وإلى التخلي لها عن جزء من الكونغو مقابل اعتراف ألماني بحق فرض الحماية الفرنسية على المغرب. وكان رينيو من صناع هذا الوفاق إذ

كان على بينة من أن ما أحرزته فرنسا من قصب السبق داخل الجهاز المخزني لا يمكن أن يشوش عليه ما كان لبعض المقاولات الألمانية في السوق المغربية من المصالح. وما أن أطلق العنان لفرنسا بشأن الحماية حتى انكب رينيو على رأس لجنة من الخبراء من مختلف التخصصات يضع الصياغة المنشودة لعقد الحماية. وهو النص الذي حملة في حقيبته إلى فاس في الأسبوع الأخير من مارس 1912 ليلزم المولى عبد الحفيظ بامضائه في صيغة محكمة تضع مصير المغرب بين يدي السلطات الفرنسية تحت ستار الالتزام بسيادة السلطان ووحدة التراب المغربي واحترام الأعراف والشرائع الدينية. ولم يجد المولى عبد الحفيظ الذي كانت الرعية قد نفرت منه هو بدوره بدأ من التوقيع عليه. وما أن ذاع خبر ذلك حتى ثار سكان فاس ثورة شعواء ابتداء من 17 أبريل. وفتك الثوار بكل ما وقعت عليه أيديهم من النصارى وأنصارهم من اليهود. وبذلك فقد رينيو ما كان يتشوف إليه من أن يكون أول مقيم عام فرنسي في المغرب المحمي. وفضلت الحكومة الفرنسية عليه الجنرال ليوطي ليجتمع في قبضته سلاحا الدبلوماسية والجيش فيجعل حدا للصراع الذي طالما تعثرت فيه السياسة الفرنسية حيال المغرب في سنوات ما قبل الحماية بين أنصار التسرب السلمي من موظفي وزارة الخارجية وأنصار الغزو العسكري زحفا من الجزائر ونزولا من البحر. وآخر حلقة من هذا الصراع دارت بين رينيو والجنرال موانيني Moinier، قائد جيوش احتلال فاس، الذي أراد الانتقام من ثورة فاس بدك المدينة جملة وتفصيلا تحت وابل من القنابل، وكان من شأنه أن يفعل لولا معارضة رينيو الشديدة الذي تبدي التقارير التي رفعها إلى وزارته في تلك النازلة أن الضباط الفرنسيين لهم جانب من المسؤولية فيما يسمى في مصادرهم بأيام فاس الدامية.

وحل ليوطي مدينة فاس في شهر ماي وسلمه رينيو سلطاته، بل رسم له خطوط فلسفة الحماية كما يبدو من خلال آخر تقرير له عن المغرب. فقد جاء فيه : "مما لاشك فيه أن غلبتنا لا مناص من أن لا تشوبها شائبة. بيد أن الغلبة لا تكفي لإقامة حكومة منتظمة، ذلك بأن دور الإدارة الفرنسية، مدنية كانت أم عسكرية، في البلاد المغربية لا بد أن تترفع على ما يتجاوز القوة من الأساليب، ولا بد أن تتمسك بالمبادئ النبيلة. وإن كثيرا من ضباطنا قد أعجبوا بما رأوا من القبائل. ولكن ما تشيره فينا مذابح فاس من الاشمزاز، لا ينبغي أن يكون مبرراً لاحتقار الأهالي وانتقام الإدارة منهم. ولا يجوز أن نترك الأجيال الصاعدة في ممتلكاتنا الإفريقية تنشأ على الشعور بالاندحار واليأس. وعلينا أن نشرع بدون ملل ولا كلل في كسب قلوب هذا الشعب بإثارة مصالحه وعواطفه في آن واحد. وإذا أردنا أن نمحو أسباب التعصب في هذا البلد، فينبغي أن لا نغلق البنيان الاجتماعي المغربي رأسا على

عقب، مهما كان من تأكله. بل علينا أن نسنده وأن نعمل على تقويمه من خلف الستار بكل حذر. كما علينا أن نقرب منا كل ذوي النفوذ والتبصر في المجتمع المغربي من بين عالم وشريف ومرابط. وخلاصة القول أن فضائل حمايتنا لن تستحسن ولن تستساع إلا بقدر بما يبدي رجال إدارتنا من الاحترام للدين الإسلامي ولأعرافه، نابذين كل مظاهر القلق وكل تكبير طائش وكل عنف في تعاملهم مع الأهالي، ملتزمين بما في الطابع الفرنسية من الجاذبية، فلا مناص منها لكسب قلوب شعب أبي مرهف الحساسية، بعيد كل البعد من أن لا يتأثر بأساليب اللطف والأدب والإحسان وبمبادئنا العدلية واحترامنا للإنسان".

وإن دل هذا التقرير على شيء، فإنما يدل على أن ليوطي لم يبتكر سياسة الحماية، وأنه حاول أن يعمل بالمسطرة التي رسمها رينيو ولم يكتب له تطبيقها بسبب ما هوّك العسكريون الفرنسيون من ثورة الشارع الفاسي غداة عقد الحماية لتكون وظيفة المقيم العام من نصيبهم. وقد تم لهم ذلك في شخص ليوطي الذي سعى في باريس سعيا حثيثا في الفوز بالمنصب. مما حملة على الحكم على رينيو بأنه كان تاجرا بكل ما في الكلمة من معنى، متمسكا بالملموسات، يروم دائما أكل الكتف من حيث ينبغي أن تؤكل. وقد عين أوجين رينيو سفيرا في سويسرا تعويضا له عن الإقامة في الرباط. لكنه سرعان ما انسحب من السلك الدبلوماسي للعمل في القطاع الخاص.

Annuaire diplomatique de France, 1914 ; François Charles-Roux et Jacques Caillé, Missions diplomatiques à Fès, Paris, 1955 ; Burke, Edmund III, Prelude to Protectorate in Morocco, Chicago, 1976 ; Charles-André Julien, Le Maroc face aux impérialismes, 1415 - 1956, Paris, 1978 ; Daniel Rivet, Lyautey et l'institution du Protectorat, Paris, 3 vol., 1988.

إبراهيم بوطالب

الريوس، ويكتب رُيوس أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Rios ومعناه الانهار جمع نهر ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان حيث يوجد زقاق يعرف بدرب الريوس بحومة الطرانكات.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 755.

محمد ابن عزوز حكيم

الريوطي، محمد بن علي بن محمد الأزدي الطليطلي، أخذ عن جماعة من شيوخ طليطلة، وسمع من عبد الرحمن بن سلمة وقاسم بن هلال، وأبي الوليد الباجي وجعفر بن عبد الله القرطبي. كان مكثوف البصر. انتقل بعد سقوط طليطلة إلى المغرب الأقصى وسكن

مدينة فاس مدة، ثم انتقل منها إلى مدينة سبتة، وكان خطيبا بالموضوعين. روى عنه القاضي عياض السبتي، وسمع منه غيره. وظل خطيبا بسبتة إلى وفاته سنة 1109/503.

أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1973، ج. 1، ص. 252؛ م. ابن عياض، التعريف بالقاضي عياض، تح. م. بن شريفة، الرباط، المحمدية، ص. 124؛ ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تح. عزت العطار الحسيني، القاهرة، 1955، ج. 2، ص. 537؛ القاضي عياض، الغنية، تح. ماهر زهير جرار، بيروت، 1982، ص. 35.

محمد المغراوي

الريّ (مكتب -) ببني عمير وبني موسى في تادلا بعد أن شيد سد بين الوديان على نهر أم الربيع سنة 1937 لسقي سهل تادلا الذي كان يعاني من الجفاف رغم خصوبة أرضه. وقد تم إحصاء 90.000 هكتار على الضفة الشمالية لأم الربيع، و150.000 هكتار على الضفة الجنوبية، يمكنها الاستفادة من عملية السقي بحيث يصبح من الممكن إدخال مزروعات جديدة توجه نحو السوق. وبالفعل، فقد عرفت المنطقة، علاوة على الحبوب والخضراوات والزيتون، زراعة القطن والفصّة ومجموعة من النباتات الصناعية.

وفي 1941، أنشئ مكتب الري ببني عمير وبني موسى قصد التنسيق بين مختلف المصالح المهتمة بالمشاكل التقنية والاقتصادية وكذا الانسانية المتعلقة بالري. وكان من أهداف المكتب كذلك تعميم الري بالمنطقة، وتأطير الفلاحين المغاربة، والعمل على نشر فلاحية عصرية وعلى إيجاد حلول لتسويق المنتجات سواء داخل المغرب أو خارجه. وبالفعل فقد عرفت قبائل بني عمير وبني موسى ارتفاعا في الإنتاج الفلاحي، وبدأ مستوى دخل السكان وعيشتهم يرتفع هو بدوره.

ونظرا لهذا التغيير الذي شهدته المنطقة، ارتأت الإدارة أن تسهر على وقاية السكان من المضاربات العقارية. ف جاء ظهير 1938 يمنع كل أجنبي عن القبيلة من شراء أرض بالمنطقة، وذلك في انتظار أن يبلغ الفلاحون نضجهم وتقييم أرضهم تقييما صحيحا.

ثم ما لبث هذا الظهير، بعدما تم تحديد الملك العائلي، أن عوض بظهير مارس 1953 الذي يجيز اشتراء الأرض في المنطقة المسقية، وكذا الشراكة مع الفلاحين المغاربة لمدة عشرين سنة. وهكذا، أخذت الأرض تنتقل إلى موظفي وتقنيي مكتب الري ببني عمير وبني موسى، وإلى المستغلين الفرنسيين الذين صاروا يقدون على المنطقة، بحيث استولى المعمرين على أكبر قدر ممكن من الأراضي، هذا مع الحرص على تفادي هجرة قروية يمكن أن تنتج عنها مشاكل اجتماعية وسياسية بالمدن.

إضافة إلى هذا، تم الاستيلاء على ما اعتبر فائضا من أراضي السكان، وعلى ممتلكات الفلاحين الذين لم يسددوا ديونهم نحو المكتب، بحيث أنشئت ضيعات عصرية شاسعة لصالح المعمرين.

واجتنابا لأي رد فعل من السكان، أخذ مكتب الري ببني عمير وبني موسى يهتم بما أسماه بالتعاون الفرنسي - المغربي، وذلك بإشراك الفلاحين في الاستفادة من الأرباح التي يدرها السقي، وتلقينهم مبادئ الفلاحية العصرية.

بعدها تم بناء السد، شرع المكتب في تعويض الفلاحين الذين شمل السد أراضيهم، وذلك بمنحهم قطعا في المنطقة السقوية، معتبرا في ذلك المساحات التي سجلوها في المحافظة العقارية. وبما أن عددا منهم لم يكونوا قد صرحوا بالمساحات الحقيقية التي كانوا يملكونها، فإنهم لم يعوضوا إلا على ما تم التصريح به وتسجيله، وتم توزيع الباقي على المعمرين. كما أُلزم الفلاحون بزراعة القطن؛ ونظرا لكونهم يجهلون تقنيات هذه الزراعة، فإن مداخلهم لم تسمح لهم بتسديد ديونهم إزاء المكتب، مما اضطر العديد منهم إلى التنازل له عن أراضيهم.

وهكذا، كانت عمليات التحديث تلك، التي قام بها المستعمر في هذا الإطار أو في أطر أخرى (انظر البيزانا، التحديث القروي، شركة سبو) مجرد وسيلة للاستحواذ على الأراضي المغربية ولدعم الرأسمال الأجنبي، رغم ما كان يضىف عليها - من الناحية المبدئية - من طابع إنساني.

A. Halim, *Le capitalisme agraire au Maroc*, Université Paris 7, 1986 ; Marthelot, *Expériences marocaines dans le domaine rural jusqu'à l'indépendance*, in *Réforme agraire au Maghreb*, Paris, 1963 ; Pourtauborde, *Documents politiques et sociaux*, L'Office de l'Irrigation au Bani Amir et Bani Moussa, in *Encyclopédie mensuelle d'Outre-mer*, juin 1954, document n° 28.

عبد الجليل حليم

الري التقليدي بالمغرب، تقدر المساحة الإجمالية للأراضي المغربية المسقية بحوالي مليون هكتار. وهي ثمرة لجهود الإنسان المغربي منذ أقدم العصور. فالمعطيات المناخية المتميزة بندرة التساقطات بالنسبة لمعظم أراضي البلاد، وبالتذبذب البيسنوي والفصلي لكمياتها في الشمال والشمال الغربي، جعلت الأسلاف يسخرون طاقاتهم وخبراتهم وتقنياتهم لتعبئة المياه بهدف ضمان الاستقرار والازدهار. ونفس الحافز هو الذي جعل إدارة الحماية قبل 1956 وحكومات المغرب منذ الاستقلال منشغلين بموضوع تعبئة الموارد المائية. وبما يترجم هذا الانشغال سياسة "مشروع ري مليون هكتار في أفق سنة 2000". ومعلوم أن تعبئة المياه لا تقتصر على الموارد السطحية فقط، بل تشمل الموارد الباطنية. واعتبارا لظروف هذه التعبئة يمكننا التمييز بين تقنيات الري التقليدي وتقنيات الري العصري.

(Jante) سطول مفتوحة في نفس الاتجاه. ويرتكز محور العجلة على قائمتين ثابتتين. ويعمل التيار المائي على دفع وتدوير العجلة. ومع دورانها تملأ السطول عند شروعها في الصعود وتفرغ سعتها من الماء في ساقية عند الشروع في النزول.



الساقية

والملاحظ أن هذا النوع من الناعورات ظل قليل الانتشار بسبب سهولة تدميره من السيول ولكونه تقنية من المبادرة الفردية عكس الأگوگ الذي كان من المبادرة الجماعية.

وتبقى كمية المياه الممكن تعبئتها بواسطة الناعورة محدودة جدا (< 2 ل / ث) مما لا يسمح بري سوى مساحة ضيقة (بعض الهكتارات فقط). أما الأگوگ فيمكن من تعبئة صبيب يقدر ببعض العشرات من اللترات في الثانية مما يجعل المساحة المسقية تقدر بعشرات الهكتارات (والوضع يختلف حسب أهمية الموارد المائية وقدرة المجموعة البشرية على التحكم فيها).

2 - تعبئة المياه الباطنية :

تشكل المياه الباطنية من السديمات التي تختلف عن بعضها عمقا وأهمية المياه المخزونة وهما عاملان يفسران طبيعة تقنيات التعبئة. وتتخصص هذه التقنيات في إعداد الآبار والتجهيزات الضرورية لنزح مياهها من جهة وفي الحظارات من جهة أخرى.

1 - الآبار : تسمى البئر في المناطق الصحراوية بالحاسي وفي بعض المناطق الجبلية بـ "آنو - تآنوت" وغالبا ما يتراوح عمقها بين 5 و 10 أمتار ونادرا ما كان هذا العمق يزيد عن 20 - 30 م. ولنزح المياه من البئر استعملت تقنيات مختلفة مثل : الناعورة والرقاص والبكرة.

الناعورة (السينية = السانية) : هي العجلة الواردة أوصافها أعلاه مع فرق أساسي على مستوى الطاقة للمحركة لها. فعلى هذا المستوى نجد حيوانا يدور عجلة ثانية منضبة أفقيا ينتج عن احتكاك عناصر جتارها بأشعة الناعورة دوران هذه الأخيرة. ومع هذه الحركة تملأ السطول عند الصعود لتفرغ عند النزول في ساقية تحمل الماء نحو

تقنيات الري التقليدي : قدرت مساحة الأراضي المسقية بالمغرب في مطلع القرن العشرين بـ 200.000 هـ. وهي أراض كانت تُسقى كلها بطرق تقليدية اجتهد الإنسان المغربي في ابتكارها أو في استيرادها وتكييفها مع البيئة المغربية. ومما ميز هذه التقنيات كونها متنوعة ومختلفة تمثيا مع اختلاف الظروف المناخية والمرفولوجية المحلية وطبيعة وأهمية المورد المائي. والحديث عن تقنيات الري يجعلنا نفكر في جوانب متعددة نحفظ منها بتقنيات التعبئة، والتجميع والنقل، وأخيرا التوزيع والإرواء على مستوى المشاركة.

أ - تقنيات التعبئة : إن الموارد المائية نوعان : سطحية وباطنية. وحسب هذا النوع أو ذاك، طورت تقنيات مختلفة للتعبئة.

1 - تعبئة المياه السطحية : تتعدد مصادر المياه السطحية. وتتمثل عموما في العيون، والوديان ومياه الفيضان، ومياه الجريان Ruissellement. وفي كل هذه الحالات، يُطرح مشكلان أساسيان : تحويل جَر (تحريف) الماء من المجرى الطبيعي ورفع مستواه حتى يشرف على المساحات المراد سقيها. ويبدو أن أبسط عملية قام بها الإنسان لاقتياد المياه من منبعها أو من مجراها الطبيعي هي عملية جر المياه Captage. وقد تم ذلك بواسطة سد صغير يسمى في مناطق كثيرة من المغرب بـ "أگوگ" أو "أگو" أو "أگو" وهو حاجز ذو خط رسم متقاطع مع رسم جريان الماء. يشيد بمواد محلية تشمل الجلاميد، والتراب وأغصان الأشجار والأعشاب...

في عدد من الحالات لا ينتظر من الأگوگ تحريف الماء فقط، بل رفع مستواه بهدف الإشراف على مساحة أوسع خاصة في المناطق الجبلية حيث تسود الأودية الضيقة القعر. قد تقام عدة سدود على المجرى المائي الواحد كما هو الشأن بالنسبة للوديان الوافدة من الأطلس الكبير نحو الحوز (Paul Pascon) ونحو الصحراء (أو حَجُو الكبير) وبالأودية الجبلية الداخلية كواد كيجو ورافده المداز، وكواد ملولو الأعلى بالأطلس المتوسط (محمد كربوط).

والملاحظ أن الأگوگ لا يقام على المجاري الدائمة فقط، بل على المجاري الموسمية كذلك وخاصة على الوديان جنوب سلسلة الأطلس. ويكون الهدف من هذه السدود هو تحويل مياه الفيضانات نحو أراض شاسعة غالبا ما يكون الفلاح قد أعدها لزراعة الحبوب. وتعرف هذه الأراضي "بالمعادر". ومن خاصيات الأگوگ أنه هش وغالبا ما يدمره الفيضان، مما قد يفرض إعادة بنائه مرات متعددة خلال الموسم الفلاحي الواحد.

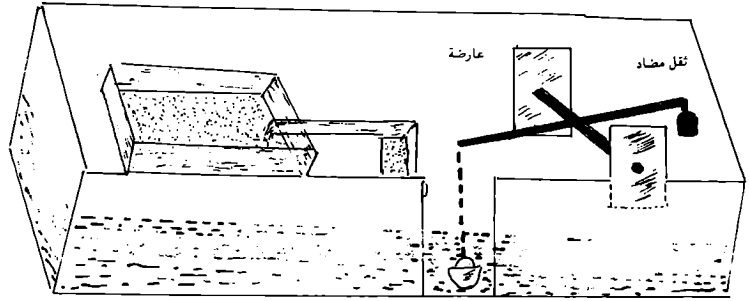
الناعورة :

إلى جانب الأگوگ، تم الاعتماد على "الناعورة" لرفع وتحويل المياه السطحية وبالمخصوص مياه الوديان. وتشكل الناعورة من عجلة خشبية تُثبت على جتارها

حوض للتجميع قبل التوزيع على الأراضي. وتنصب على آبار غير عميقة.

كان لهذا النوع من الناعورات انتشار واسع بضواحي سلا وبالشريط الساحلي المتخصص في زراعة الخضر والمعروف بالولجة جنوب غرب الدار البيضاء، حيث تُعرف بالسواني (م. سانية).

سناد



سنية حوض لتجميع المياه بئر بوابة خروج المياه

ونظرا لضعف كمية الماء المنزوحة عن طريق هذه السواني، فالمساحات المسقية تكون ضيقة. وتبقى السواني تجهيزاً فردياً لا يتطلب استثماراً كبيراً على مستوى العمل. وتعيش هذه التقنية حالياً أزمة تهددها بالاندثار بسبب الإقبال المتزايد للفلاحين على المضخات الميكانيكية التي تشتغل بالمحركات (المازوت أو البنزين) أو بالطاقة الكهربائية وبسبب نزول مستوى السديمات.

الآبار بالرقاص (Les puits à balanciers) تقنية يعرفها البعض بنظام "أغرور" وتعرف عند البعض الآخر بنظام الدكو وعند آخرين بنظام الشادوق. ويتعلق الأمر بتقنية قديمة جداً انتشرت بوحدات وادي درعة (اكتاوة والمحاميد...) وتافيلالت، وتكاد تندثر اليوم بسبب منافسة تقنيات الضخ العصري لها.

تتلخص التقنية في تجهيز البئر بعارضة طويلة يُثبت بنهايتها الغليظة ثقل مضاد، وبنهايتها الأخرى يُشد سطل كان يصنع في الماضي من الجلد ومنذ وقت قريب من المطاط.

يستقر مركز حاذبية العارضة فوق حاجز Barre محمول على سنادين متقابلين في شكل جدارين. ويقوم شخص واحد بتحريك العارضة مميلاً إياها في اتجاه نهايتها الملء السطل وفي اتجاه الثقل المضاد لرفع الماء الذي يفرغ في ساقية تقوده نحو حوض للتجميع أو إلى المزروعات مباشرة. ونظراً لضعف الكمية المعبأة للمساحة المسقية لا تتعدى بعض المئات من الأمتار المربعة.

الآبار بالبكرة (Les puits à poulies) : البكرة هي قطعة معدنية دائرية أو أسطوانية الشكل، تثبت بعارضة مرتكزة على سنادين متقابلة بجوار فوهة البئر. ويهدف من إقامتها إلى تسهيل عملية رفع الماء والتخفيف من عناء

الحيوان المسخر لهذا الغرض. وتتلخص هذه التقنية في وضع حبل (شريط) على الهامش المدار الخارجي للبكرة الذي يكون محفراً. ويثبت بإحدى نهايتي هذا الحبل سطل قد يكون من الجلد أو المطاط أو المعدن. أما النهاية الأخرى فتربط إلى جهاز أُعد للجر من طرف حيوان في الكثير من الحالات.

وفي هذه الحالات بالضبط يهيم أمر يزداد انحداره نحو الخارج انطلاقاً من البئر، يسلكه الحيوان عند جره للدلو مملوءاً في الاتجاه المنحدر ليرفع الماء بسهولة وفي الاتجاه المعاكس عندما يكون الدلو فارغاً. وتتطلب هذه التقنية تشغيل شخصين يتكلف الأول بقيادة الحيوان والثاني بإفراغ الدلو. ويمكن الاستغناء عن هذا الأخير بإدخال بكرة ثانية وإدخال بعض التعديلات على النظام.

ونظراً لضعف كمية المياه المعبئة، فالمساحات المسقية لا تقاس سوى ببعض العشرات من الأمتار المربعة كما هو الحال بالنسبة للآبار بالرقاص وربما بعض المئات من الأمتار المربعة.

الخطارة (ج. خطارات يُسميها البعض بالعين) : هي تقنية لجر المياه الباطنية وجعلها تخرج إلى السطح على شكل منبع ؛ يعود ظهورها بالمغرب إلى أيام المرابطين (بعد 1107 م). (بول باسكون 1977، الجزء 1، ص. 376).

تبقى الخطارة كتقنية معروفة في جهات مختلفة من المغرب لكن تطبيقها انتشر بشكل واسع بإقليم الحوز حيث وصل عددها 500 خطارة توفر 5000 لتر في الثانية (P. Pascon). نجدها كذلك بتافيلالت وبفكيك وبجوار كتلة باني في الجنوب وأخيراً بملوية العليا عند آيت بوسي النجيل.

تتلخص تقنية الخطارة في حفر متزامن لنفق باطني ولمجموعة من الآبار على طول خط رسمه. ويجب أن يكون هذا الخط في اتجاه انحدار السطح، أي متقاطعا مع خطوط التسوية، وهو ما يفسر زيادة عمق هذه الآبار من سافلة الخطارة إلى عالىتها. وتتمثل وظيفة هذه الآبار في إخراج المواد المقتلعة أثناء إنجاز النفق. وفي الصيانة بعد الانتهاء من الإعداد.

أما وظيفة النفق فهي التقاطع مع السديمة وجر مياهها نحو السطح لتتدفق بواسطة الراحة على ارتفاع دون ارتفاع السديمة. عند النهاية السفلى للخطارة غالباً ما يشيد حوض لتجميع المياه قبل استعمالها.

والملاحظ أن طول الخطارة الواحدة قد يصل إلى عدة مئات من الأمتار، وعدد آبارها إلى بعض مئات (J. Chiche, 1984, p. 180).

وتعرف تقنية الخطارات في الوقت الراهن أزمة ناتجة عن صعوبة إعداد خطارات جديدة وعن عدم صيانة الخطارات القديمة. ويرجع ذلك إلى القلة المتزايدة للمتخصصين في الميدان وإلى الانتشار السريع لوسائل

الضخ العصري التي تتسبب في انخفاض المستوى للسدود وتبيس الخطارات.

ب - تقنيات تجميع ونقل وتوزيع مياه الري

1 - تقنيات التجميع :

غالبا ما يفرض ضعف كمية المياه المعبأة بهدف الري - كما هو الحال بالنسبة للعيون وللخطارات ذات الصبيب الضعيف .. وكما هو الشأن بالنسبة للآبار حيث تنزح المياه بالدلو... - القيام - بتجميع المياه قبل توجيهها إلى المزروعات.

ويتطلب توفير هذا الشرط إعداد صهريج أو صهاريج بجوار العيون وبمخارج أنفاق الخطارات وعلى مقربة من الآبار. وحسب أهمية المورد المائي يختلف حجم هذه المنشآت كما يختلف شكلها ومواد بنائها.

فهناك صهاريج دائرية وأخرى مستطيلة أو مربعة وهناك من الصهاريج ما لا يتخذ أي شكل هندسي معين أما مساحة الصهريج، فتتراوح ما بين بعض الأمتار إلى بعض المئات من الأمتار المربعة وعمقها من نصف متر إلى بضعة أمتار وهو ما يجعل سعتها متفاوتة.

قد تشيد داخل الأرض تحت مستوى السطح بعد إفرانها، وقد تبنى فوق السطح، وقد تكون على شكل حفرة يحجز بها الماء بواسطة المواد المحلية (جلاميد وتراب...) أو على شكل مبني مواد تضمن مسافة كبيرة.

وغالبا ما يتطلب ملء الصهريج وقتا طويلا بالمقارنة مع الوقت الذي يتطلبه إفرانها. ويتم هذا الإفران بواسطة بوابة تكون عند مستوى أرضية الصهريج من الجهة المشرفة على الأرض المسقية. ولهذا الصهاريج أسماء محلية كثيرة.

2 - تقنيات النقل :

منذ القديم اعتمد السقي بالمغرب على نظام الراحة بمعنى أن الماء يتبع الانحدار. وهذا يتطلب وجود إشراف بين مكان مصدر المياه (العين، الصهريج، السد...) والأرض المرغوب في سقيها. ويعني ذلك ضرورة نقل المياه بين النقطتين. وكان هذا النقل يتم بواسطة الساقية التي تسمى في جهات متعددة من المغرب بـ"ترگا أو ترؤا".

وإذا كانت الساقية تتخذ عموما شكل خدشة في سطح الأرض ناتجة عن عملية حفر وإفران، فهي أحيانا كانت تتخذ شكل قناة تم بناء جدرانها بمواد صلبة، تكون أحيانا محمولة فوق قناطر أو جدران. كما هو الحال بساقية عين عتيك بين تمارة والرباط (يمكن رؤيتها بحي الرياض) وبالسواقي التي كانت تحمل المياه إلى معامل السكر التي تحدث عنها Berthier أيام السعديين.

وفي جميع الحالات، كان بناء السواقي يفرض مراعاة العامل الطبوغرافي بحيث غالبا ما كان خط رسم السواقي الرئيسية موازيا لخطوط التسوية أو متقاطعا معها بزوايا ضعيفة، خاصة عندما يتعلق الأمر بواد ضيق. وفي مثل هذه الحالة، كان السد ينشأ نحو العالية بعيداً عن الأرض

المسقية وأحيانا بأراض ليست في ملكية المستفيدين من المياه مما يخولهم الحق في حصة من مياه الساقية.

عندما تتعدد السدود على مجرى مائي معين مزودة بالمياه عدة سواك على ضفتيه تتشكل شبكات للري على شكل أضلاع السمك كما هو الحال بحوز مراكش.

وذكر شبكة الري يجرنا للحديث عن تراتبية السواقي. ونسجل هذه التراتبية عندما يكون الصبيب المعبأ كبيرا يقاس بالعشرات من الليترات في الثانية بحيث نميز :
- الساقية الرئيسية أو الساقية الأم : تشرف على دائرة مسقية أو على جناح واسع منها.

تنقل صبيبا مهما. يتراوح طولها بين بضعة و10 كلم ولا يتعدى قطاعها المستعرض المترين. أما عمقها فحوالي نصف متر.

- الساقية الثانوية أو "المصرف" : تشرف على قطاع داخل الدائرة المسقية أو داخل جناح منها. وحسب الحالات تجدها تحول مياه الساقية الرئيسية أو جزءاً منها ويكون اشتغالها دائما أو بالتناوب (متقطعا) حسب طبيعة نظام السقي.

- الساقية الثلاثية : تشرف على مصطبة داخل قطاع من الدائرة المسقية وقد تحمل الماء إلى المشارات مباشرة. وعموما يكون جريانها غير منتظم لأسباب مرتبطة بالحقوق على المياه. وهي الأخرى ينطبق عليها اسم مَصْرَف.

- الساقية الرباعية : تحمل المياه إلى الحقل ولا تجري إلا يوم أو أيام النوبة، صبيبا لا يتعدى الفأس وهو الصبيب الذي يتحكم فيه شخص مزود بفأس (أقل من 30 ل / ث).

ونظراً لكون السواقي الترابية تتسبب في ضياع نسبة كبيرة من المياه بسبب التسرب والتبخر، فقد عمدت الجماعات والمصالح المختصة في حالات كثيرة إلى الرفع من مساحتها عن طريق بنائها بالإسمنت وقديما بالحجارة والجير...

ج - تقنيات قياس وتوزيع الماء والإرواء على مستوى المشارة

1 - وسائل القياس والتوزيع :

قبل أن تصل المياه إلى المشارة لتروي المزروعات بها غالبا ما تكون قد خضعت لعملية تقسيم يفرضها الجانبان القانوني (الحقوق على الماء) والتقني (أهمية الصبيب والطبوغرافية).

فعلى المستوى القانوني تكون حصص ذوي الحقوق على مورد مائي معين متفاوتة لأسباب مختلفة وتحديدًا يتم بوحدات زمنية وبوحدات حجمية.

زمنيا يتم ضبط حصة كل ذي حق يجعله يستفيد من ماء مصدر معين كليا أو جزئيا خلال مدة زمنية تشكل جزءاً من مدة زمنية أطول هي مجموع حصص ذوي الحقوق. وهذا ما يدخل في مفهوم "النوبة والدور".

فالدور - له علاقة بالدورة - يعني المدة الزمنية الفاصلة

بين سقيتين بالنسبة لأرض ما بعدما يكون كل المستفيدين قد سقوا أرضهم.

أما النوبة فهي جزء من الدور باعتبار تقسيم هذا الأخير تتردد حسب فاصل زمني معين وحسب ترتيب معين بالنسبة للنوبات الأخرى. وقد يقصد بالنوبة حصة ذي حق وموقعه في الترتيب داخل نوبة من نوبات الدور. ولمفهوم النوبة مرادفات محلية مثل الخروية والفردية.

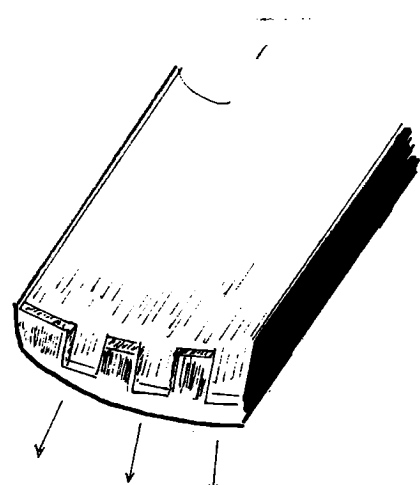
كان تجديد الحصاص والنوبات يتم باعتبار فترات النهار ومواقيت الصلاة وبالاعتماد على الظل (ظل شخص أو جدار أقيم للغرض وورقت الأرض من حوله (القياس بالحبة).

ومن وسائل القياس الزمنية نذكر الساعة المائية المعروفة بـ : تاطسنت وتعلق الأمر بتسخير زلافة وسطل وبعض الليترات من الماء. تكون الزلافة مثقوبة عند قطبها (وسط قعرها) ولها قطر من 18 سم وعمق 7 سم. ويكون عمق السطل 30 سم. يملأ هذا الأخير بالماء وتوضع به الزلافة في وضع عائم لتتملأ شيئاً فشيئاً عن طريق الثقب إلى أن تنزل إلى قعر السطل. وتستغرق مدة الملاء ما بين 10 و12 دقيقة وهي الفترة الزمنية المسماة بـ"تأسنت" والمعتمدة لضبط الحقوق.

من زاوية الحجم : يبقى الصبيب جد متفاوت من مصدر لآخر وهو ما يفرض تجميع أو تقسيم المياه قبل استعمالها. عند توفر الماء بصبيب يصعب التحكم فيه من شخص واحد مستعين بفاًس يتم تقسيمه إلى وحدات جريان تسمى في جهات كثيرة "بالفاًس د الماء". وهو الصبيب الممكن التحكم فيه من طرف شخص وأهميته متغيرة تمشياً مع الموارد المتوفرة ومع الطوبوغرافية. ويمكن أن يتراوح في نظرنا بين 5 لترات و30 لتراً في الثانية.

وتقسيم المياه يفرض المراقبة تفادياً لحدوث سرقات وهو ما يتم بواسطة وسائل مختلفة قد تكون من تراب وأحجار أو من أخشاب (لوحات) أو من أسمنت وحديد تقام عند مصدر المياه مباشرة أو بعد وصول الساقية الرئيسية إلى الأرض المراد سقيها.

ويتعلق الأمر بخلق أبواب متناسبة مع الحقوق قد تكون مفتوحة باستمرار أو بالتناوب تسمى "المقاسم".



حين يتعلق الأمر بمورد مائي متواضع يفرض استعماله تجميع المياه قبل توزيعها بين الملاك، تكون حصة كل واحد عبارة عن جزء من سعة الصهريج الذي يجمع المياه. وتحدد عن طريق قياس مثبت على جدران الصهريج أو عن طريق عصي "أغزال" مرقمة، وقد يطبق هنا نظام النوبة بحيث تعود مياه الصهريج كلها لشخص، وبعد مله ثانية لشخص ثان ثم لشخص ثالث إلى النهاية قبل بداية دور ثان.

2- تنظيم استعمال الماء داخل الدوائر والمشاريع.

تفرض تقنية السقي بواسطة الغمر توفير صبيب أدنى ليتسنى ذلك الغمر وهذا ما يحتم تجميع الماء بالصهاريج في حالة ضعف المورد. لكن لما يكون هذا الأخير وفيراً يصبح ضرورياً التقسيم إلى "فيسان" يتحكم فيها بدون حدوث انجراف للتربة واقتلاع للمزروعات.

أما طريقة تداول الماء على مستوى الدوائر المسقية فهي مرتبطة بطبيعة نظام الري الذي قد يتميز بالزامية احترام قاعدة التتابع من العالية نحو السافلة (أو العكس) من طرف ذوي الحقوق داخل نوبة معينة. وهو نظام "الربطة وجارتها أو المكسر وجاره". وقد يتميز بحرية استعمال الماء بدون ترتيب. لكن إذا كانت حصاص ذوي الحقوق في الحالة الأولى غير محددة زمنياً دائماً، ففي الحالة الثانية يصبح الأمر بديها، وفي هذه الحالة بالضبط يكون وضع الماء من الناحية القانونية منفصلاً عن وضع الأرض على خلاف الحالة الأولى. وذلك ما جعل المستفيدين يتحدثون عن "الماء العزري".

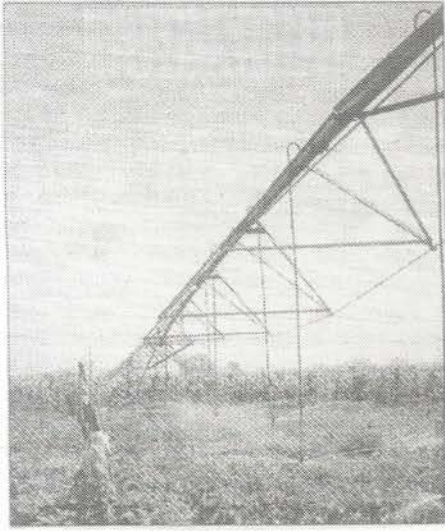
عندما يصل الماء إلى الحقل لا يروي هذا الأخير دفعة واحدة بل جزءاً بجزء. ويرجع ذلك إلى رغبة الفلاح في نجاعة أكبر وفي اقتصاد للماء. وتمشياً مع الانحدار وطبيعة التربة والمزروعات. وكلها اعتبارات تقود نحو إعداد مسبق يتخذ شكل تقسيم إلى وحدات مساحية أصغر مفضولة عن بعضها بسواقي أودفوف (دف = أبادو = تابدوت = Ado). وأهم هذه الوحدات اللوحات (الحمامل م. أحمال) والأحواض "التربطات" والخطوط (Billion).

تعتمد اللوحة كوحدة للغمر عندما يتعلق الأمر بمزروعات لا تحتاج إلى عناية كبيرة كالحبوب والأشجار وفي حالة وفرة المياه والحوض (التربطة) حين يكون الصبيب ضعيفاً أو في حالة الغرس والخضر...

ويتم غمر اللوحات و "التربطات" والخطوط والأحواض حول الأشجار بتحويل مياه المصرف انطلاقاً من باب صغير يفتح ويغلق بالتراب والنباتات يعرف بأسماء محلية كثيرة مثل الربطة والمكسر وإزرزم.

تبقى تقنيات الري التقليدي متنوعة بتنوع الظروف الطبيعية والثقافية. ويدل تنوعها هذا على أهمية الماء في حياة السكان. وإذا كانت بعض التقنيات خاصة على مستوى الجر (Captage) والنقل (Transport) كانت من

للماء بشكل مكثف لم يعد معه صبيب العيون والخطارات التي بدأت تجف قادرا على تليته، فلبأت إلى استغلال الثروة الباطنية بواسطة الضخ الآلي لمياه الآبار، مما تسبب في استنزافها، مما دفع أجهزة الدولة إلى التدخل فعملت على إعادة هيكلة شبكات السقي وتحديثها بهدف تعبئة كميات المياه الضائعة بواسطة التسرب والتبخر، كما بذلت جهودا لإعادة هيكلة البنية العقارية التي عقدها اختلاف أنواع الملكية وعمليات تقسيم الملك المتوالي عبر الأجيال. كما عملوا على إنشاء بنيات تحتية جديدة وتأطير الفلاحين وتكوين تعاونيات للري أو تسويق المنتجات... غير أن هذه الجهود لم تسفر عن النتائج المنتظرة حيث تعثرت في مراحل التطبيق، ويات الإصلاح مقتصرًا على تعويض شبكة السواقي الترابية بقنوات من الإسمنت المسلح، وظلت أكبر عرقلة لتطوير أساليب الري هي الجانب الاجتماعي المتمثل في تنوع الملكيات ما بين أراض جماعية وكيش وأحباس وتفتت الملكية الخاصة بسبب التقسيم بين الورثة، وهي ظاهرة لم تنل قسطها من العناية، وقيمت كل المحاولات التحديثية محاصرة بثقل الأوضاع القانونية للأرض والماء وتعقد العلاقات والبنيات الاجتماعية.



ويبدو من الصعب اليوم إقامة حد فاصل بين الري التقليدي والري العصري خاصة بعد استفحال أزمات الجفاف وتناقص المياه الذي فرض تغييرات عميقة على أساليب تدبيرها، يضاف إلى هذا الرغبة السياسية في تقليص الفوارق الإقليمية وانفتاح الأرياف لعوامل التحديث وتغلغل اقتصاد السوق وما يرتبط به من تحولات فكرية واجتماعية وما تعرضت له منظومات الري من تحديات، لقد ترتب عن كل هذا ظهور نوع من التجانس يتمثل في التجديد المستمر لأساليب الري وأدواته، فقد أدى تكثيف الري واستفحال الجفاف إلى انخفاض كبير

مبادرة "المخزن" فالجزء الأكبر من المبادرة كان من صنع السكان المتضامنين داخل مجموعات في إطار التنظيم القبلي. ومما تجدر الإشارة إليه كون كثير من المفاهيم المتداولة في موضوع الري التقليدي عبر جهات المغرب قد توحى بوحدة المضامين إلا أن ذلك غير صحيح، ولذلك لا بد من التأكد من المحتويات قبل استعمالها. ومما لا جدال فيه ارتباط الجانب التقني بجوانب أخرى اجتماعية وقانونية ومؤسسية لها لونها المحلي وتساهم في اختلاف أنظمة الري. يضاف إلى هذا كون هذه الأنظمة في تطور تفرضه التحولات الثقافية والطبيعية (جفاف).

J. Brunhes, *L'irrigation, ses conditions géographiques, ses modes d'organisation dans la péninsule ibérique et dans l'Afrique du Nord*, Paris, 1902 ; M. Kerboub, *Les périmètres irrigués du dir moyen - atlasique septentrional d'Agourai à Al Manzal. Etude géographique*. Thèse de 3ème cycle, Tours, 1981 ; Maneville (Lieutenau), *Les problèmes de l'eau dans la région de Berkine*. B.S.G.M., n° 3 - 4, Juillet - octobre, 1936 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Rabat, 1977, 2 vol. ; *Théorie générale de la distribution des eaux et de l'occupation des terres dans le Haouz de Marrakech*. R.G.M., n° 18, 1970 ; P. Pascon et Chiche J., *La question hydraulique. I Petite et Moyenne hydraulique au Maroc*, Rabat, 1984 ; A. Robaux, *L'eau et la vie dans le sud marocain*. Revue de géographie marocaine n° 1 et 2 ; I. Zeryouhi, *Systèmes et pratiques de captage traditionnel des eaux au Maroc*. Texte ronéotypé. Mars, 1983 ; Lakbir Ouhajjou, *Espace hydraulique et société. Les systèmes d'irrigation dans la vallée du Draa Moyen (Maroc)*. Thèse de 3ème cycle. Géographie de l'aménagement, option espace rural, Montpellier III ; S. Colin Georges, *La Noria marocaine et les machines hydrauliques dans le monde arabe*. Hesp., T. XIV, 1er trimestre, 1932 ; P. Berthier, *Les anciennes sucreries du Maroc et leurs réseaux hydrauliques*, Paris, Rab at, 2 tomes, 1966.

محمد كربوط

الري العصري بالمغرب، ظهرت أسباب الري

العصري في بداية عقد الثلاثينيات وقد ارتبطت بالمعمرين الأوربيين الذين أدخلوا تقنيات جديدة للحصول على المياه وأساليب للسقي فتوسعت المجالات المسقية واغتنت بمشاريع وبرامج جديدة وإدخال مزروعات تسويقية وصناعية وشجرية جديدة اكتست أهمية متزايدة في اقتصاد المغرب، وبذلك تركزت تلك الثنائية التي تقابل الري التقليدي بالري العصري.

لقد شهدت المجالات السقوية التقليدية (العتيقة) تحولات في مظاهرها المتعددة سواء على مستوى المجال أو المزروعات. وكان أول محرك لهذه التحولات هو تدخل سلطات الحماية في تغيير نظم التوزيع الأصلي للمياه، إذ طبقت مجموعة قوانين أهمها مبدأ تملك الدولة للمياه العمومية، فأعدت توزيع مصادرها بين الأرياف والمدن وأعطت نصيبا للمعمرين الجدد. وأفضت متطلبات الإنتاج الجديدة بفعل تأثير السوق الحضرية إلى تزايد حاجة الفلاح

للمرشات المائية ترتب عنه جفاف الخطارات والعيون والآبار، مما أدى إلى تعميقها واستعمال الضخ الآلي وبناء صهاريج وقنوات وسواق مبلطة بالإسمنت وتوزيع المياه بخرائط المطاط أو البلاستيك وتطبيق أساليب جديدة لاقتصاد مياه الري كالرش والتنقيط والترشيح... كما استفادت شبكات الري التقليدية من أساليب الري العصري عند بناء السدود على أوديتها، مما غير المعطيات القديمة وفرض توزيع المياه بأساليب جديدة.

يشكل قطاع الماء بالمغرب رهانا استراتيجيا نظرا لما يلعبه من دور حيوي في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وما يرتبط به من مخططات وبرامج ومشاكل. تجلّت هذه الأهمية على ميدان الواقع بتبلور سياسة السدود التي تهدف إلى سقي مليون هكتار سنة 2000. فباستثمار نوعية المناخ المغربي الذي يتميز بعدم انتظام التساقطات وأهمية ثروته المائية سواء الجارية أو الباطنية، شكلت تعبئة موارد المياه تاريخيا محور التقدم الزراعي، وحظي باهتمام السلطات خاصة سلطات الحماية التي أدركت أن الأراضي في هذا الوسط الشبه الجاف تفقد أهميتها دون ضمان موارد ري دائمة.

وباعتبار نظام الجريان السطحي الذي يتميز بفيضانات فصل الشتاء والربيع تضييع مياهها في البحر، وشح خطير في فصل صيف طويل حار وجاف، وباعتبار فتوة التصاريس وتنوع النباتات الجيولوجية التي توفر خواتم وأودية كبيرة وصغيرة وأحواضا، اقتنع المسؤولون الجدد أن أفضل حل لإنعاش نهضة اقتصادية فلاحية وعمرانية، هي بناء السدود بهدف تخزين المياه لاستعمالها في تزويد الفلاحة والمدن والصناعة بالماء والطاقة. فخطط لبناء عدد من السدود والمنشآت المائية المختلفة المضمون والأهداف. ويمكن تقسيم مشاريع الإعداد الهيدرولوجي إلى ثلاث مراحل رئيسية.

مرحلة أولى (1930 - 1955) : لتوسيع قطاع الزراعة الرأسالية الحديثة وتثمين الأراضي التي وزعت على المعمرين أو اشتروها بأفضل السهول، شرعت أجهزة الحماية في بناء السدود. ففي 1929 بنت أول سد على واد أم الربيع : سيدي سعيد معاشو بحقيته بلغت 32 مليون م³. وفي 1931 تم بناء سد المالح على واد المالح قرب الدار البيضاء لتزويدها بالماء الشروب حقيته 25 مليون م³ وبناء سد قصبه تادلة على أم الربيع لتغذية قناة سهل تادلة، وسد النهييلة على واد لاو قرب الشاون، وفي 1935 تم بناء سد القنصرة على واد بهت حقيته 160 مليون م³ وسد للاتركوست على واد نفيس قرب مراكش حقيته 50 م³ وكانت نطاقاتهما بمثابة مدرسة لإتقان الأساليب الزراعية الجديدة. وتوالي بناء السدود إلى أن وصل عددها في نهاية عهد الحماية 13 سدا، كان أهمها سد بين الوديان على واد العبيد حقيته 1.4 مليار م³.

ولم تنحصر عمليات تعبئة المياه على بناء السدود بل

تعدتها إلى مشاريع تقنية متنوعة الأهداف مثل بناء حواجز صلبة على الوديان لتغذية القنوات والسواقي وتبليط بعض السواقي التقليدية الكبرى، وإنشاء محطات للضخ الآلي سواء على الآبار أو مياه الأنهار الجارية، وبناء حواجز لتشتت مياه السيول وتحويلها إلى جريان منتشر لسقي الأرض وتغذية الفرشة المائية وإنشاء خطارات حديثة وبناء سدود باطنية لأخذ مياه الجريان السفلي للوديان وإنشاء قنوات لصرف المياه الباطنية الزائدة بالنطاقات المسقية لمنع صعود مستوى المياه الجوفية الذي يتسبب في تعفن جذور الأشجار، وأخيرا بناء السدود التلية.

وكانت مشاريع هذه المرحلة موجهة كلها تقريبا لصالح المعمرين الأوربيين، لكن بعد 1950 كونت النطاقات السقوية الجديدة بملوية السفلى ودكالة وبنى موسى بتادلة مجالا واسعا لتعلم المغاربة حيث بدأت تظهر بوادر طبقة عمالية زراعية ساهمت بوعيها في إنعاش الحركة الوطنية للمطالبة بالاستقلال.

وانتهت هذه المرحلة بتبلور أهم النطاقات السقوية المغربية العصرية التي صارت أهم محرك لمشاريع تحديث الزراعة، وبلغت المساحة المسقية المهينة 145.000 هـ جهر منها 81.500 هـ، لكن المساحة المسقية فعلا بأساليب عصرية لم تتجاوز 45.500 هـ كلها في ملكية المعمرين.

المرحلة الثانية (1956 - 1968) : كانت مرحلة توقف لإعادة استيعاب المشاكل الجديدة الناتجة عن مغربة الأطر والتخلي التدريجي للأوربيين عن ضيعاتهم إما بالبيع أو المصادرة لصالح الدولة التي كونت قطاعا زراعيا عوميا ذلك أن بعض أراضيهم تدخل في إطار الاستعمار الرسمي إذ تسلموا الأراضي مجانا من أجهزتهم الحكومية، وحل محلهم طبقة جديدة من الملاكين الحضريين وأغنياء الريف، كما أنشئت بعض تعاونيات الإصلاح الزراعي فوق أراضيهم المسترجعة. كونت هذه المرحلة فترة تأمل وتحليل للأوضاع الجديدة تميزت بالشروع في دراسة مشاريع جديدة للري والتجديد القروي والإصلاح الزراعي... مثل مشروع سبو الذي كان بمثابة أول تصميم توجيهي لإعداد مدمج لحوض نهري كبير، كما أنجزت دراسات وطنية على مستوى الري الصغير والمتوسط بهدف تطوير زراعته بكل من حوض أم الربيع وملوية ودرعة حيث درست إمكانية بناء خزان كبير وتحديث أنظمة السقي كما تميز بالدراسات القيمة التي قدمها المكتب الوطني للري التي أسفرت عن تهييء قانون الاستثمار الفلاحي.

المرحلة الثالثة ما بعد 1968 : وهي مرحلة المنجزات الضخمة الهادفة إلى تدبير الثروة الوطنية المائية وتعميم أساليب الري العصري بكل أرجاء المغرب. عرفت قفزة نوعية خاصة، حيث دشّن صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني في خطاب العرش سنة 1967 سياسة وطنية لبناء السدود الكبرى لتحقيق هدف وطني : ري مليون هكتار، فعرفت

عملية بناء السدود زخما كبيرا في التصميم الخماسي 1968. 1972 وما تلاه من تصاميم كما تم وضع تصاميم توجيهية لإعداد مجالى مندمج لأحواض أم الربيع وسوس والحوز الأوسط وتساوت السفلى. وفي سنة 1969 صدرت نصوص قانون الاستثمار الفلاحي الذي كان بمثابة وثيقة وطنية للفلاحة المغربية، فخصصت الحكومات ميزانيات ضخمة وحصلت على قروض أجنبية لبناء سدود كبرى. فتم إنجاز 7 سدود بين 1967 و1974 وهي سد محمد الخامس على ملوية ومولاي يوسف على تساوت والحسن الداخل على واد زيز والمنصور الذهبي على واد درعة ويوسف بن تاشفين على واد ماسة وسيدي محمد بن عبد الله على واد بورغراگ. وتسعة سدود أخرى في الفترة 1975. 1985 أهمها سد المسيرة على أم الربيع الذي بلغت حقيقته 2.724 مليون م3، واستمرت الجهود لتشيد المزيد من السدود الكبرى توجت سنة 1996 ببناء سد الوحدة الذي بلغت حقيقته 3,8 مليار م3. ودرشت بداية الألفية الثالثة بإنجاز سد دشر الواد على نهر أم الربيع قرب خنيفرة حقيقته 408 مليون م3. وباستغلال جل الأماكن الصالحة لبناء السدود الكبرى والمتوسطة التفت المسؤولون إلى الوديان الصغيرة والسيول للمشروع في بناء مئات السدود التلية التي تبنى عادة من المواد المحلية : حجارة وأتربة لتلبية حاجيات محلية للسقي والسقي.

لقد تطلبت كل هذه المنجزات أشغالا هندسية كبرى مرافقة لها تتنوع ما بين سدود تعويضية وتنظيمية إلى شبكة قنوات مترابطة وما تتطلبه من منشآت هندسية لعبور الأنهار والطرق ومحطات التقسيم والتوزيع ومعامل لإنشاء القنوات لإسمنتية والأنابيب وغيرها من التجهيزات الضرورية.

وعمقت الأجهزة المختصة تدخلها بإنجاز تجهيزات داخلية متنوعة على مستوى الضيعات والمشارت، وعجلت وتيرة عملها التي انتقلت من استصلاح 8.000 هـ / سنة كمدل في الفترة 1957. 1967 إلى 17.500 هـ في السنة في الفترة 1967. 1972. بل وصلت قمته في الفترة 1973. 1980 حيث أنجزت 24.000 هـ في السنة ثم تقلصت وتيرة الاستصلاح في عقد الثمانينات إلى حوالي 2.500 هـ في السنة لظهور انعكاسات أزمات الجفاف وثقل القروض الأجنبية، كما أدت كثرة المشاكل الطارئة إلى ضعف النتائج المنتظرة من ثورة الري العصري.

ورغم ما استوعبته العملية من نفقات هائلة وديون أجنبية، فإن هذه الجهود لم تثر حماس الفلاحين ولم تحل مشكل تفتت الملكية وسوء توزيعها وتعدد أنواعها، ولم تحقق مشاريعها الصغيرة لإصلاح زراعي وتداخلاتها الكثيرة إنعاش المزروعات التسويقية والصناعية، كما لم تحفز هذه الجهود أصحاب الأموال للاستثمار في الفلاحة التي أعقبت من كل ضريبة مباشرة طويلة عقود، إلا بشكل

بطيء ظل يتسبب في هدر اقتصادي كبير، ذلك أنه رغم بناء السدود وتسوية الأرض وإنشاء قنوات الري الرئيسية فإن الفرق بين المساحات المهيئة للري من السدود وتلك المجهزة داخل النطاقات السقوية المستغلة ظل كبيرا، فمن 100.000 هـ جهزت بالقنوات الكبرى بين 1956 و1966 لم تتجاوز المساحة المجهزة والمروية فعلا 40.000 هـ. ورغم كل ذلك فإن عملية بناء السدود وتجهيز المناطق السقوية ما تزال تخطى بالقسم الأعظم من استثمارات الدولة الموجهة للزراعة إذ تستوعب سنويا حوالي 60% من ميزانية التجهيز ووصلت المساحة المسقوية سنة 1997 إلى حوالي نصف مليون هكتار. وفي سنة 2000 بلغت 896.000 هـ من بينها 570.000 بواسطة الري الكبير و326.000 هـ بواسطة الري الصغير والمتوسط يضاف إلى هذا مساحة 108.000 هـ في طور التجهيز في إطار البرنامج الوطني لسقي مليون هكتار.

أما السعة الكلية للخزن ببحيرات السدود فقد بلغت سنة 1996 بعد ملء بحيرة سد الوحدة 15 مليار م3 تمكن من تعبئة 70% من الموارد المائية بالمغرب، لكنها لا تملئ في السنوات الرطبة إلا بحوالي 80% وتنخفض في السنوات الجافة إلى حوالي 25% فقط. لقد بلغت نسبة امتلاء السدود 55% في دجنبر 1991 و18% في أكتوبر 1993 وأقل من 20% في مارس 2001.

وتتعرض السدود لأخطار أخرى هي التوحد المستمر لتراكم الرواسب الطينية التي تحملها مياه الوديان الجارية، فعندما تستقر في بحيرة السدود تصفى مياهها وترسب حمولتها الطينية الصلبة التي تختلف حسب مياه كل واد من 2 كغ / م3 إلى 20 كغ / م3 ويتراكم الرواسب تنقص حقيته السدود.

لقد تزامن تطبيق أسباب الري العصري مع إنجاز المنشآت المائية الكبرى في عقد الثلاثينات، وتطلب ذلك استثمارات لتدبير موارد المياه على أسس تقنية وتنظيمات جديدة تراعي ظروف الفلاح ومشاكله، وإدخال مزروعات جديدة مطلوبة في الأسواق الداخلية والخارجية وتطبيق أساليب عمل وإنتاج أقرب ما تكون إلى النشاط الصناعي. والعمل على توعية الفلاحين وإخراج الأرياف من ركودها، وتطور أسلوب عمل أجهزته باستمرار تبعا لتغير الحاجيات والأهداف... ويتميز مساره بمرحلتين متباينتين.

مرحلة ما قبل 1965 : منذ ظهور مشاريع الري العصري في الثلاثينات كانت تدخلات أجهزته تقتصر على المنشآت الخارجية فتقوم بجلب الماء إلى الضيعة، ويبقى خيراؤها خارجها لا يتدخلون في كيفية استغلال الفلاح له ولا في تحديد نوع المزروعات ولا في أساليب عمله، خاصة وأن الفلاحين المعنيين آنذاك هم في الدرجة الأولى المعمرين الأوربيين الذين يحملون معهم تجارب أوربية وتحركهم أهداف وسلوكات نوعية خاصة، لكن رحل

معظمهم بعد الاستقلال ولم يبق في الساحة غير الفلاح المغربي الذي لم يستفد كثيرا من الوضع السابق، لكن الأجهزة الحديثة اتجهت إليه لتأطيره عبر مختلف البرامج.

مرحلة ما بعد 1965 : صارت أجهزة الدولة تتدخل ببرامج إعداد مندمجة مكنت خبراءها من التدخل في شؤون الضيعة، فتقوم بتوجيه الفلاح لتطبيق تناوب زراعي جديد في كل مشاركة واختيار أنواع المنتجات بل والضغط عليه للاهتمام بمزروعات صناعية خاصة مثل الشمندر، كما تقوم بتزويد الفلاح بالبذور المنتقاة وبيع بعض الأدوات والآليات وخصصت لذلك أجهزة تمويل أهمها القرض الفلاحي وما زالت تعمل لترشيد المياه ومعالجة المشاكل المترتبة عن الزراعة المسقية مثل غسل التربة أو قلعها وصعود الفرشة المائية وتمتين البنية التحتية بإنشاء مسالك وقنوات ثانوية وثلاثية وحفر قنوات صرف المياه الزائدة وتهيبه وسائل نقل المنتجات. لقد صارت أجهزة الدولة تتكفل بكل أعمال استصلاح الأراضي وتجهيزها للسقي فتقوم بتسوية السطح وتنقيته من الحجارة وتحديد مساحة المشارات وأسلوب السقي وتلزم الفلاح بتطبيق دورة زراعية رباعية أو خماسية تقوم على تناوب زراعي مدروس يعطي الأولوية لمزروع تسويقي أو صناعي. كما تقوم أحيانا بمجهودات لدمج الأراضي ومنع تقسيم الاستغلاليات بين الورثة الشيء الذي لم يحترم، وبناء على مستوى التدخلات وتباين طرق الحصول على المياه واختلاف استعمالها، صنف الري بالمغرب إلى صنفين :

الري الكبير : يتناول مجالات النطاقات السقوية الكبرى. وهي تسعة ظهرت أولى أجهزته وأطره في الثلاثينيات عند بناء أول السدود العصرية المهمة مثل سيدي معاشو والقنصرة.. واتضحت معالمه بوضوح عند بناء أول السدود الكبرى في عقد الستينيات، تشرف على شؤونه أجهزة متنوعة الاختصاص تابعة لوزارة الفلاحة والأشغال العمومية، تقوم بتدبير شؤون الماء سواء في عاليته أي عند إنتاجه أو عند استعماله المتنوعة، وتهدف برامجه إلى رفع مساحة نطاقاته السقوية إلى أكثر من 80.000 هكتار سنة 2000، ليس فقط بإضافة مساحات سقوية عصرية جديدة وإنما كذلك بتحويل مساحات مروية بأساليب تقليدية من دائرة الري التقليدي والري العصري الصغير والمتوسط إلى نطاقه، حيث تتوفر الخبرة ومياه السدود الكبرى.

الري الصغير والمتوسط : تتكون مجالاته من النطاقات العصرية الصغيرة التي لا تتجاوز 5.000 هكتار ومن مجالات الري التقليدي التي لا تستمد ماءها من السدود الكبرى والمتوسطة، بل من سواقي الوديان التي تنطلق من حواجز هشة على مجراها بالإضافة إلى مياه العيون والخطارات كما تستعمل مياه الفيض الموسمي والآبار. ونطاقات الري الصغير والمتوسط كثيرة ومتنوعة إذ تنتشر

في الأودية الجبلية ومناطق الدير والواحات وضاف الأنهار فهي تعد بالمئات. وتدخل أجهزة تدبير المياه فيها يكون محدودا، كما أن نصيبها من استثمارات ميزانية الري يكون محدودا لم يتجاوز 10% من المجالات المسقية بالمغرب. ويلاحظ أن وجودها التاريخي وخضوعها لأعراف وحقوق سابقة يناهض كل محاولات التغيير والتقويم من طرف أصحاب المصالح الكبيرة. كما أن تشتت مجالاتها بكل أرجاء المغرب يجعل محاولات إصلاح شؤونها صعبة. وتقدر الدوائر المختصة أن إعداد هكتار واحد بنطاقات الري الكبير يكلف 3.000-4.000 ده/ه وفي النطاقات الصغيرة المفتتة الملكية يكلف 8.000-10.000 ده/ه. أما في النطاقات التاريخية حيث يسود التفاوت الكبير في الملكية وتفتتها بالإضافة إلى تنافر الورثة فإن عملية الإعدادات تكلف 20.000-25.000 ده/ه. وغالبا ما تقتصر التدخلات على تبليط سواقي أو حفر بئر أو شراء مضخة. ويرى بعض الدارسين أنه يتعذر إصلاح وضعية هذه النطاقات دون تطبيق برامج لدمج الملكية وتكوين ضيعات كبرى تشرف عليها تعاونيات المشتركين في ملكيتها وتوزيع ثمارها على الملاكين السابقين حسب أهمية كل سهم وما قدمه صاحبه من عمل أو تعاقد...

وتختلف تقديرات المساحة القابلة للري بهذا النطاق، فإن كانت مساحات الري الكبير الممكن إعدادها تصل إلى 800.000 ه فإن نطاقات الري الصغير والمتوسط تتباين تقديرات مساحتها من 300-500 ألف ه. وأحصيت سنة 1989 فأعطت النتائج التالية : المساحات الدائمة السقي 180.500 ه وأراضي السقي الموسمي 175.000 ه والسقي بالفيض 59.400 ه المجموع 414.900 ه. لكن استفحال الجفاف أقصى مساحات شاسعة من السقي سواء الدائم أو الموسمي، مما يجعل المساحات المروية تنقلص، إذ منها ما تحول إلى أراضي بور ويوار منذ سنوات.

الأجهزة المشرفة على الري العصري : إن تنمية الزراعة المسقية لا تنحصر في تنمية الموارد المائية فقط، بل أصبح رهان اليوم يتمثل أيضا في التحكم وتدبير الطلب على الماء وترشيد استعماله وهذا شيء بالغ الأهمية باعتبار النظام الهيدرولوجي المضطرب، ويقترن هذا بارتفاع حاد للحاجيات من الماء مما دفع إلى سن سياسة جديدة للماء وقيام أجهزة وزارة الأشغال العمومية المشرفة على قطاع إنتاج الماء بالتشاور مع مختلف الأطراف المعنية والمؤسسات العمومية المختصة ومراجعة الأدوات التشريعية، إذ وافق البرلمان سنة 1995 على قانون جديد للماء يشكل القاعدة الأساسية لاستعمال الماء بالمغرب.

لقد اكتسب المغرب خبرة لا يستهان بها في ميادين دراسة وإنجاز واستغلال المنشآت المائية، وأنشأ أج هزة عديدة متنوعة الاختصاص والمسؤولية منها ما هو عمومي ومنها مؤسسات خاصة وطنية وأجنبية، وتوج ذلك بإحداث

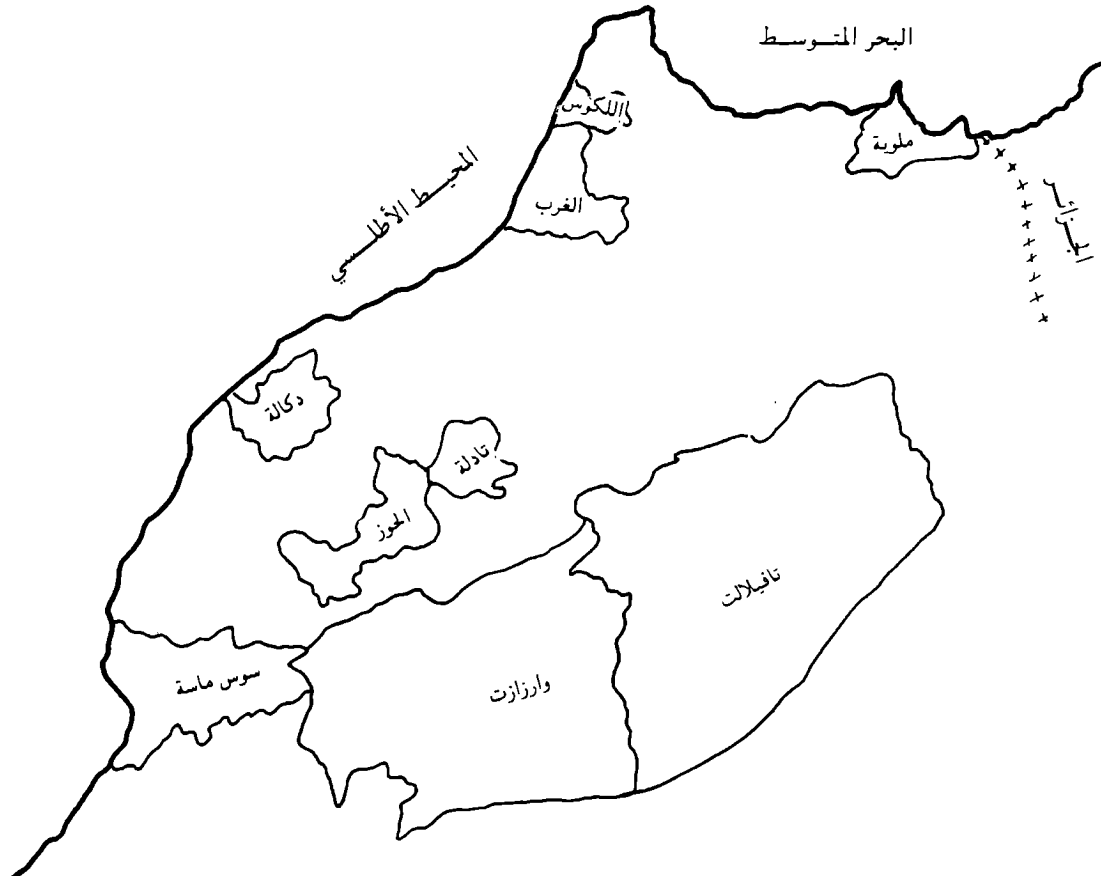
المجلس الأعلى للماء والمناخ الذي يرأسه صاحب الجلالة، وهو يشكل منتدى واسع الصلاحيات تتنافس فيه أجهزة الدولة ومختلف المؤسسات والمنتخبين والجمعيات المهنية والمستهلكين حول مواضيع بالغة الأهمية لتنمية الموارد المائية وتحديد التوجهات التي ينبغي اتباعها، وهو متأهب دوماً لمواجهة جميع المشاكل سواء المزمته أو الطارئة بما تتطلبه من دراسة وحلول، وقد أوجد المسؤولين عدة أجهزة لتدبير شؤون الماء وتأطير الفلاحين وهي :

المكتب الوطني للري O.N.I. : لإعداد نطاقات الري دعت الضرورة إلى إنشاء أجهزة تقنية واجتماعية وإدارية، وإمدادها بترسانة من القوانين لتنظيم عملها، وقد اكتسبت الأطر الأولى التي كانت مدعومة بأطر أوربية خبرة واسعة في النطاقات المروية الأولى خاصة بتسهيل تادله، ولتطبيق أسس السياسة المائية الجديدة أنشأت سلطات وزارة الفلاحة سنة 1960 المكتب الوطني للري، وهو مؤسسة عمومية لها شخصيتها القانونية واستقلالها المالي، ضمت كل الأطر والأجهزة السابقة المشرفة على الري، تكلفت بشؤون الري الكبير من دراسة إمكانية السدود إلى تشييدها وإنشاء القنوات وإعداد المجالات المسقية وتأطير الفلاحين المعنيين وإرشادهم لتحديث أساليبهم الزراعية. ودعمت عمله بمنشأة أخرى هي :

المكتب الوطني للتجديد القروي : يتدخل في المجالات التي لا يهتم بها المكتب الأول خاصة النطاقات المسقية التقليدية والنطاقات الصغرى المنتشرة بأرجاء المغرب. مكاتب الاستثمار الفلاحي : في سنة 1966 أدمج المسؤولون المؤسستين السابقتين في مؤسسة واحدة هي

مكتب الاستثمار الفلاحي O.M.V.A مكلفة بتطوير وتجهيز الأراضي الفلاحية في الدوائر المسقية وتأطير الفلاحين التي سرعان ما تحولت من مؤسسة مركزية وطنية إلى تسع مؤسسات جهوية للاستثمار الفلاحي : O.R.M.V.A تعمل في نطاق ري خاص بها لتطبيق سياسة اللامركزية الجديدة، وتشرف هذه المكاتب على حوالي 1,7 مليون هكتار أن مكتب كل جهة لا يشرف فقط على نطاق مسقي مرتبط بمنشأة مائية بل كل الأراضي المجاورة له والداخلية وسطه دون أن تنتهي لها شروط الاستفادة من الإعداد المحلي للسقي العصري، وكذلك إذا كانت تسقى بأساليب الري التقليدي سواء الدائم أو العرضي، والأراضي غير الصالحة للاستغلال الفلاحي كالأراضي المحجرة أو التلال والجبال. لكن مجال عملها الحقيقي هو الأراضي المسقية التي بلغت سنة 1985 حوالي 500 ألف هكتار أي 7% من مساحة المغرب وتقترب اليوم من 1 مليون هكتار أي 14% من المساحة الوطنية. وتتدخل أجهزتها لتوجيه عمليات الحث في الأراضي البورية وتوزيع البذور المنتقاة للبيع وتمتلك مراكز تنتشر بالنطاق المسقي C.M.V. تقوم بخزن الآليات وتوزيع الخدمات. وهي تقوم بالإضافة إلى أعمال التجهيز بخدمات اجتماعية تمتد من تسوية المشاكل العقارية ودعم الملكية (تمكنت من دمج 300 ألف هكتار بين سنوات 1968 و1980) إلى تأطير الفلاحين وإرشادهم لتحديث أساليب الفلاحة.

لقد تمكنت المكاتب الجهوية من إعداد 70% من المساحات المهيأة للسقي في النطاقات الجديدة ورفعت



المساحات المسقية بالري العصري الكبير من 65.000 هـ، سنة 1956 إلى حوالي 800.000 هـ.

المديريات الجهوية المائية : تدار من طرف وزارة التجهيز مهمتها ضمان صيانة واستغلال التجهيزات المائية، كما تعمل على تسيير الموارد المائية على المستوى الجهوي والإقليمي، تنجز أنقباؤاً قصد التعرف على إمكانية الفرشة الباطنية وضبط الموارد المائية السطحية من خلال مراقبة صبيب مختلف الوديان والأنهار وذلك لتحديد قدراتها على الاستغلال للأغراض المحلية والإقليمية.

النطاقات السقوية الكبرى : يبلغ عددها تسعة، يعطيها المسؤولون السياسيون والاقتصاديون الأولوية في التجهيز والإدارة باعتبارها رائدة الفلاحة في المغرب، يستهدفون إنعاش الزراعات المسقية في هذه النطاقات إلى تحقيق اكتفاء غذائي وزيادة المزروعات الصناعية الأساسية كالشمندر والتسويقية المطلوبة في الأسواق الأجنبية كالبرتقال والطماطم لتعديل ميزان التجارة الخارجي، وكذلك توفير العمل للشباب الريفي لتقليص الهجرة نحو المدن، ورفع مداخيل الفلاحين وإنشاء بنية لامركزية لصناعة غذائية. وتتوقف هذه الأهداف على ترشيد استعمال المياه وتجديد أساليب الزراعة لرفع مردودية الأراضي وإنتاجية الاستثمارات، وأهم النطاقات :

نطاق الغرب : هو الأكبر والأغنى والأكثر تطورا وإنتاجا وسكانا يعتبره المسؤولون مدرسة لتكوين الأطر وإتقان الأساليب الجديدة لتطوير الفلاحة المغربية. كان يسود الغرب قديما نظام الأراضي الجماعية وأراضي الكيش تكثر به المستنقعات ويتعرض لفيضانات واد سبو وروافده إذ يستغله سكانه في زراعة خفيفة للحبوب وفي الرعي الذي تستفيد منه كذلك القبائل المجاورة للغرب، لكن خصوبة تربته الغنية : التيرس والدهس ووفرة مائه وجودة مناخه، أغرت الأوربيين في بداية عهد الحماية بإنشاء قطاعات زراعية عصرية خاصة بهم كانت هي الأكبر والأغنى في المغرب، وبعد الاستقلال رحل معظمهم وباعوا ضيعاتهم أو تحولت إلى ملكية الدولة تشرف عليها مؤسستا صوجيا وصوجيتا. ويوجد بهذا النطاق طبقة عمالية زراعية تتميز بمهاراتها وتقاليدها الجديدة. وتقدر المساحة القابلة للسقي العصري 234.000 هـ منها 30.000 هـ في نطاق سد القنطرة على واد بهت كانت هي أول مجال مسقي رائد بالمغرب منذ 1931. كما استفاد هذا النطاق من السقي من مياه سبو ومن مياه فرشة باطنية غنية بالضح الألي. كما جفقت المستنقعات التي تحولت إلى أفضل الأراضي المنتجة للأرز. وزود السهل بشبكة واسعة من قنوات صرف المياه الزائدة تنتهي في المرجة الزرقاء ويمجرى سبو الأدنى. وفي 1973 تم بناء سد إدريس الأول على واد إيناون الذي تصل حقيقته إلى 1,2 مليار م³. كما أقيم مؤخرا سدواق على مصب سبو لحمايته من صعود مياه البحر المالحة. كما زود النطاق بعدد

آخر من السدود الثانوية على واد إيناون وغيره. ويتكون اليوم من عدة نطاقات ثانوية موزعة بسهولة مستوية بصفته اليمنى واليسرى. وفي سنة 1996 أنهى بناء سد الوحدة الذي هو أكبر خزان للمياه بالمغرب حقيقته 3,8 مليار م³ سيسقي بالمغرب أكثر من 10.000 هـ إضافية ويعميه من الفيضان، وستصل مياهه عبر قنوات باطنية إلى الشاوية. طبق المسؤولون في نطاق الغرب بعض العمليات المحدودة للإصلاح الزراعي الذي تناول مساحات بلغت 42.000 هـ منها 14.000 مسقية استفاد منها 4.925 فلاحا اندمجوا في إطار 145 تعاونية فلاحية. لقد حققت المشاريع هنا أفضل النتائج سواء من حيث المردودية أو الإنتاجية وذلك بتطبيق دورات تناوب زراعي لقيت استحسانا من طرف الفلاحين، وقد تزايدت المساحة المسقية في نطاق الغرب من 30.000 سنة 1956 إلى 91.000 هـ سنة 1990 منها 15.000 تابعة لدائرة الري الصغير والمتوسط. ودعمت هذه النهضة الزراعية بعدد كبير من المعامل لمعالجة المزروعات الصناعية كالشمندر، قصد سكري، طماطم، خضر وفواكه، ومعامل لتلغيف الخضر والفواكه الموجهة للتصدير مثل البرتقال والطماطم.

لقد تحول نطاق الغرب إلى أغنى منطقة زراعية بالمغرب نظرا لما يتميز به من مؤهلات طبيعية فأنهاره هي أغنى أنهار المغرب وأمطاره وفيرة 600 إلى 700 ملم في السنة، يحيط به عدد من المدن الكبرى تكون سوقا رائجة لمنتجاته وموانئ تسهل تصدير فائضه من الخضر والفواكه ويتميز بزراعات ناجحة منها الحبوب والخضر والفواكه والأرز والعلف...

نطاق اللكوس : يتكون في مجموعته من 250.000 هـ منها 40.500 قابلة للري، لكن لم تجهز منها لحد الآن وتُسق سوى 18.000 هـ إلى حدود سنة 1990 منها 3.000 هـ تابعة لإدارة الري الصغير والمتوسط. وتسقى من مياه سد واد المخازن حقيقته 800 مليون م³، لكن الكمية التي يتم تدبيرها سنويا تقدر بـ320 مليون م³، كما تستفيد من 32 مليون م³ من مياه واد الدردار ومن الآبار كذلك. وقد جهز واد اللكوس بسد واق بمجره الأسفل لحمايته من صعود مياه البحر. ويتميز هذا النطاق بتجهيزه بصوامع صهرجية لإعطاء الماء ضغطا يستغل في أجهزة الرش المستعملة على مساحة 16.000 هـ وقد حقق هذا النطاق نتائج إيجابية كبيرة بتعميم زراعة قصب السكر والشمندر والعلف والخضر والبرتقال والبقول السوداني الذي أغنى المغرب عن استيراده وأخيرا توت الأرض الذي توجه كميات منه إلى التصدير.

نطاق ملوية السفلى : بلغت مساحته 70.000 هـ سنة 1990 تتغذى من مياه واد ملوية الذي أنشئ عليه سد حاجز بمشروع حمادي سنة 1955 لتغذية قناة ري كبرى، وأنشئ عليه سنة 1967 سد محمد الخامس حقيقته 490 مليون م³ ونظرا لتراكم رواسب كثيرة به فإن الحقينة المستغلة لا

تتجاوز 300 مليون م³ كما استغل بهذا النطاق فرشة مائية غنية أنشئ عليها أكثر من 3.000 بئر تزود المنطقة سنويا بحوالي 60 مليون م³. وأهم نشاط يهتم به الفلاحون هو زراعة الخضر التي كانت تجد في الجزائر سوقا رائجة تليها زراعة الفواكه خاصة البرتقال والكرام والكمون واهتموا بزراعة الشمندر والعلف لتغذية الأبقار. ويعتبر هذا النطاق اليوم المزود الرئيسي لسكان شرق المغرب بحاجياتهم من الخضر والفواكه والحليب والدواجن.

نطاق دكالة : يشمل مجال تدخل المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي لدكالة 500.000 هـ لكن المساحة القابلة للسقي هي 126.000 هـ تسقى منها 62.700 هـ إلى حدود 1990. وهو يتلقى من سدود نهر أم الربيع حوالي 550 مليون م³ حاليا. وقد ابتداء الري العصري هنا منذ 1940 عندما استخدم المعمرون قناة تغذي من سد إيمفوت. أما أول سد أقيم بالمغرب على واد أم الربيع سنة 1929 سد سعيد معاشو فقد كان موجها لإنتاج الكهرياء وتزويد مدينة الدار البيضاء والجديدة بالماء الشروب. ويعتبر اليوم سد المسيرة الذي أنشئ سنة 1979 بحقيته بلغت 2,7 مليار م³ هو المزود الرئيسي لنطاق دكالة بمياه الري. ويتميز هذا النطاق بتجهيزات تحتية مهمة منها قناة رئيسية طولها 111 كلم وصوامع ضغط الماء التي أشاعت استعمال الرش فوق مساحة 33.500 هـ وأهم منتجات هذا النطاق هي الحبوب الشتوية والشمندر والخضر والعلف وأنواع البطيخ وأخيرا فول الصوجا. ويتميز الشمندر هنا بمردودية كبيرة 63 طن/ هـ لخصوبة التربة العميقة الحمري وجودة ظروف الإنبات والمناخ. ويعطي هذا النطاق أهمية كبرى لتربية الأبقار من الفصائل الجيدة المستوردة والمهجنة لإنتاج الحليب ولهذا صارت المنطقة أكبر منتج للحليب بالمغرب وتتميز بإنشاء عدد من المعامل لتعبئة الخضر والفواكه والحليب وغيره أهمها : معملان لإنتاج السكر بسيدي بنور وخميس الزمامرة.

نطاق تادلة : بلغت مساحته 115.400 هـ سنة 1990 منها 97.000 هـ تدخل في نطاق الري الكبير ينقسم هذا النطاق إلى قسمين متباينين هما :

نطاق بني عمير : هو الأسبق إذ بدأ المعمرون يكونون به ضيعاتهم منذ بناء سد حاجز على نهر أم الربيع بقصبة تادلة سنة 1931 يغذي قناة بصفته اليمنى تنطلق جنوبا إلى القصبة الزيدانية حيث تستغل فارق الارتفاع بين مجراها العالي وسرير النهر فتشغل معملا لإنتاج الكهرياء ثم تعبر النهر عبر "سيفون" إلى الضفة اليسرى حيث تسقي قطاعا زراعيا مساحته 35.400 هـ. ويكمل القطاع حاجته للماء من فرشة باطنية غنية تمده بحوالي 115 مليون م³ من المياه سنويا. ونظرا لأسبقية هذا القطاع وتقدم تجهيزاته فقد تطلب إعادة بنائها وتحديثها. ولتوسيعه وضمان حصته من المياه تم بناء سد جديد على أم الربيع بعاليته سنة 2001 هو

سد دشر الواد حقيته 400 مليون م³. وبشتهر هذا القطاع باهتمامه بزراعة الخضر والعلف والحبوب والشمندر وتربية الأبقار الحلوب والدواجن، لكن تستبعد هنا أشجار البرتقال بسبب ارتفاع نسبة ملوحة مياه أم الربيع خاصة في الصيف (1.5 غ/ لتر).

نطاق بني موسى : أحدث وأكبر مساحته 70.000 هـ يتزود من سد بين الويدان الذي بني سنة 1953 على واد العبيد بحوض وورزغت، حقيته المستغلة 1.2 مليار م³. وتعبر المياه نفقا يتغذى من سد التعويض أيت وردة نحو أفورار المشرفة على سهل تادلة حيث أنشئت إحدى أهم المحطات الكهرمائية التاريخية بالمغرب. ويتزود هذا القطاع بـ710 مليون م³ من مياه السد التي تتوزع عبر قنوات رئيسية طولها 120 كلم وثانوية 200 كلم أما شبكة قنوات السقي والصرف فيبلغ طولها 1.700 كلم. ويزود هذا القطاع الأسواق المغربية خاصة الدار البيضاء بكميات كبيرة من الخضر والفواكه خاصة البرتقال والشمندر والقطن والطماطم والبطاطس والأعلاف والحبوب. أنشئ به عدد من المعامل لمعالجة منتجاته أهمها ثلاث معامل لمعالجة السكر.

نطاق الحوز : يعتبر من أكبر النطاقات مساحة 160.000 هـ ويأدخل مجالات الري بالأودية الجبلية والدير تتجاوز المساحة المسقية 200.000 هـ تسقى في معظمها بطرق تقليدية إما موسميا أو عرضيا أو بصفة دائمة من سواقي تاريخية وخطارات وآبار وعيون إلى جانب مياه السدود الحديثة. ولا زالت نطاقات الري به تتوسع إذ يتوقع المسؤولون تجاوزها 200.000 هـ في حالة توفر المياه الكافية. يشرف عليه المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للحوز وهو مكلف بتطوير وتجهيز الأراضي الفلاحية في الدوائر المسقية لسقي الحوز المنتشرة فوق مساحة 456.000 هـ. ويقسم هذا النطاق الواسع إلى ثلاث نطاقات رئيسية هي :

نطاق الحوز الأوسط : هو أقدمها وأوسعها مساحته 57.000 هـ اشتهر ببساتين الحوز التاريخية التي تستفيد من شبكة الخطارات التي بلغ عددها في الثلاثينيات 615 جفت كلها تقريبا وبساتين الأودية التي تستفيد من سواقي واد نفيس. شرع المعمرون الأوربيون في الثلاثينيات في إنشاء نطاق سقوي عصري بالسويهلة غرب مراكش فوق مساحة 6.000 هـ تطلب سقيه بناء أول سد بجنوب المغرب : للاتركوكوست (كافنيك سابقا) حقيته 50 مليون م³ ونظرا لردمه جزئيا بالرواسب فقد زيد علو جداره بـم مما رفع حقيته إلى 80 مليون م³ وهو يروي حاليا حوالي 16.000 هـ. كما يستفيد نطاق الحوز الأوسط من مياه أودية غياغية وأوريكا وغدات التي تغذي عددا كبيرا من السواقي التاريخية ويزيادة الطلب على الماء حفر الآبار : 7.000 منها 4.000 بئر في حوض نفيس. ويمكن تقدير ما يستخرج منها سنويا بحوالي 64 مليون م³ ويقدر ما يتلقاه نطاق الحوز الأوسط من وديان الأطلس : روافد تانسيفت : 400

مليون م3 وقد استفاد هذا النطاق من إمداده بمياه الواد الأخضر منذ منتصف الثمانينيات وهو من روافد أم الربيع تصل مياهه عبر قناة الربط البالغ طولها 118 كلم. تتغذى من حقينة سد الحسن الأول : 350 مليون م3 وتأخذ ماءها من السد الحاجز سيدي إدريس، تنقل إلى الحوز الأوسط في السنوات الوفيرة الأمطار 300 مليون م3 للسقي ولتزويد مدينة مراكش بـ 35 . 40 مليون م3 من الماء الشروب. لقد تضررت فلاحه الحوز الأوسط كثيرا من توالي سنوات الجفاف مما أدى إلى نقص كبير في مياه الري، دفع إلى حفر مزيد من الآبار مما يترتب عنه تناقص خطير لمخزون المياه الباطنية وانخفاض مستواها بعشرات الأمتار. وتلافي سلبيات هذا الوضع يخطط المسؤولون لبناء سدود جديدة على وديان أوريكا وغيغاية والزات وأغداد بالإضافة إلى سدود تلية عديدة لمخزن مياه الفيض الربيعي وشحن الفرشة الباطنية. ويشتهر هذا النطاق بانتشار واسع لأشجار الزيتون والمشمش وفواكه أخرى كالعنب والبرتقال والبرقوق والتفاح، كما يتوسع في زراعة الخضر والأعشاب الطبية الموجهة للتصدير باستعمال أساليب زراعية حديثة خاصة في الري الذي يشيع فيه استعمال الرش والتنقيط والتقطير والواقيات البلاستيكية.

نطاق تساوت العليا : تنتشر أراضي سهل الحوز الشرقي وهو قطاع زراعي تاريخي اشتهر ببساتين الزيتون والرمان والمشمش وزراعة الحبوب والقطنيات كان يستفيد من شبكة سواقي تاريخية تتغذى من وادي الأخضر وتساوت خاصة، أقام به المعمرون نطاقا سقويا عصريا حول قنالت يستفيد من مياه تساوت إلى جانب الضخ الآلي من آبار فرشة غنية. وعند بناء سد مولاي يوسف على واد تساوت سنة 1969 بحقينة 160 مليون م3 شرعت أجهزة المكتب في استبدال شبكة السواقي الترابية بشبكة قنوات حديثة، ولإنجاح العملية تطلب الأمر القيام بعمليات دمج الأراضي وتكوين تعاونيات وإقامة تجهيزات جديدة وتأطير الفلاحين وإرشادهم ليتكيفوا مع الوضع الجديد، فصاروا يهتمون بالزراعات الشجرية والعلفية والخضر وبينون الحظائر لتربية الأبقار الحلوب المستوردة والمهجنة، وإنتاج القمح الذي تضاعفت مردوديته باستعمال الري وتبلغ مساحة هذا النطاق 35.000 هـ.

نطاق تساوت السفلى : يقع خارج سهل الحوز الجغرافي، إذ يشرف على سهلي السراغنة وتادلة يسقى بمياه الواد الأخضر وتساوت عبر سواقي تاريخية مثل البيعقوية والمنصورية والقايديّة... ونظرا لاستغلال مياه الواديين في النطاقين السابقين بعد إنشاء السدود عليهما، تناقص نصيب هذا النطاق من المياه فاضطر المسؤولون إلى تعويضه بنصيب من مخزون سد بين الويدان الذي يصل إليه عبر قناة جديدة سنة 1990 تعرف بـ T2 أي تساوت الثانية وتزوده بحوالي 230 مليون م3 تبلغ المساحة المسقية هنا

44.000 هـ لكن جلها يقع بدائرة الري الصغير والمتوسط ويبدل المكتب جهوده لتأطير الفلاحين لاستيعاب الأساليب الجديدة وبناء حظائر عصرية لتربية الأبقار، إذ يهتم الفلاحون هنا بزراعة العلف خاصة الفصة كما يهتمون بزراعة الأشجار : الزيتون والحبوب والخضر.

نطاق سوس ماسة : اشتهر سهل سوس ببساتين الزيتون والخضر والحبوب خاصة ضواحي مدينة تارودانت. وأقام به الأوربيون نطاقا واسعا لزراعة البواكر أي الخضر التي تنضج مبكرة قبل نضجها في بقية أرجاء المغرب وأوربا مستفيدة من دفء سوس لموقعه الجنوبي، وتجد منتجاته أسواقا رائجة سواء بالداخل أو الخارج. تعتمد فلاحته على آبار الفرشة المائية التي يغذيها واد سوس بجريانه السفلي ومياه فيضانه الشتوي والريعي التي تغذي شبكة من السواقي التقليدية، إذ لم يُبنَ سد أولوز بعالية واد سوس لتنظيم الري وشحن الفرشة الباطنية سوى سنة 1989 بحقينة تبلغ 110 مليون م3 كما بني سد آخر : عبد المومن بن علي على واد إيسن رافد شمالي لواد سوس سنة 1983 بحقينة 216 مليون م3. وتستمد بساتين سوس حوالي 680 مليون م3 سنويا من مياه الفرشة المائية التي استنزفت بخطورة كبيرة مما يهدد كثيرا من البساتين بجفاف نهائي لآبارها إذ يؤخذ منها أكثر من طاقتها خاصة مع توالي سنوات الجفاف في العقدين الأخيرين من القرن العشرين. ويطبق المزارعون السوسيون أحدث الأساليب الزراعية لترشيد المياه وحماية المنتجات بواقيات البلاستيك، ينتجون الخضر خاصة الطماطم والبرتقال والموز الموجه إلى الأسواق الوطنية والأجنبية وكذلك القطنيات والعلف لأنهم يهتمون كذلك بتربية الأبقار الحلوب. وقد حققت الفلاحة التقليدية هنا تطورا كبيرا بحيث يصعب تمييزها عن الفلاحة العصرية. ويقسم المكتب الجهوي سوس إلى ثلاث نطاقات ثانوية هي نطاق واد يسن 13.000 هـ وعالية سوس 6.300 هـ وسافلة سوس 26.000 هـ ونطاق رئيسي هو :

نطاق سهل ماسة : يتكون من نطاق عصري مساحته 18.000 هـ ينتشر فوق سهل شتوكة ونطاق تقليدي تنتشر بساتينه بصفتي واد ماسة الأسفل مساحته 1.250 هـ يستمد هذا النطاق مياهه من سد يوسف بن تاشفين الذي شيد على واد ماسة سنة 1973 بحقينة 300 مليون م3. ونظرا لغلبة التربة الرملية بسهل شتوكة وارتفاع مستوى السهل عن مياه السد، فإن السقي يتم هنا برفع المياه إلى صوامع صهرجية لإعطائه ضغطا يستغل في الرش أو التنقيط والترشيع لترشيد استعمال الماء بعزيمة قوية. ويهتم المزارعون بزراعة الخضر والحبوب والعلف لأنهم يهتمون كذلك بتربية الأبقار الحلوب. ويوجه قسم مهم من الطماطم إلى الأسواق الأجنبية والوطنية. تبلغ المساحة الإجمالية لنطاق سوس ماسة 104.000 هـ منها 32.700 هـ تابعة لدائرة الري الكبير.

نطاق تافيلالت : اشتهرت تافيلالت بواحاتها المنتجة للتمور منذ القديم نظرا لجفافها وارتفاع حرارتها وندرة أمطارها فإن بساينها تسقى بمياه وادين هنا زيز وغريس وعدد من الخطارات والآبار، اكتسب فلاحوها مهارة وتقاليدها زراعية خاصة، تنتشر بساينهم في عدة قطاعات مروية متباعدة، مما جعل المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي لتافيلالت يقسم هذا النطاق إلى ثلاث نطاقات هي :

نطاق تافيلالت : يتكون من قطاعين مسقيين هما المجرى الأوسط لواد زيز، يمتد بين أرفود وسد الحسن الداخل الذي بني سنة 1971 بحقينة 360 مليون م3. وسهل تافيلالت بسافلته الذي يتكون من المجرى الأسفل لوادي غريس وزيز. يستفيد هذا النطاق من مياه واد زيز الذي ينظم استغلالها منشآت السد ومن عيون صفتي واد زيز التي تزوده سنويا بحوالي 25 مليون م3 أهمها العين الزرقاء لأيت مسكي كما تستفيد من مياه فيض الواديين زيز 25 مليون م3 وغريس 30 مليون م3 ومن مياه آبار وصل عددها 5.000 مترا يستعمل معظمها الضخ الآلي ومياه 370 خطارة لازال معظمها منتجا، ويستمد هذا النطاق من الآبار والخطارات حوالي 30 مليون م3. ومنذ بناء السد تم تجهيز وسقي 21.000 هـ بواسطة شبكة من القنوات الرئيسية والثانوية بلغ طولها 430 كلم.

نطاق حوض واد كبير : مساحته 5.100 يستفيد من مياه فيض واد أيت عيسى وواد كبير (الذي يعبر الحدود الجنوبية إلى الجزائر حيث شيد عليه سد صغير)، كما يستفيد من فرشة مائية ضعيفة تغذي عددا من الخطارات والآبار. ولشح الموارد المائية هنا شرع المسؤولون في بناء عدد من السدود التلية لحزن بعض الماء للشرب ولشحن الفرشة المائية.

نطاق حوض واد غريس : مساحته 10.800 هـ تتلخص تدخلات المكتب هنا في إصلاح السواقي التي تتزود من حواجز ترابية على واد غريس، وذلك لمنع تسرب المياه التي يضيع منها حوالي 60 مليون م3 بالتسرب، وإنشاء سدود حواجز لتغذية السواقي وإقامة محطات للضخ الآلي لتزويد الفلاحة والسكان بالماء. لقد تضررت تافيلالت من استفحال الجفاف، وتبذل أجهزة مكتب الاستثمار جهودها لضمان حد أدنى من الاكتفاء الغذائي وحماية النخيل من الأمراض خاصة البيوض وتلقيح الفلاحين أساليب جديدة لرعايتها وتعويض المفقود منها بفاسائل نخيل تقاوم هذا المرض الفطري، إذ لاتزال تافيلالت أكبر منتج للتمور بالمغرب. يبلغ مجموع نطاق تافيلالت 50.000 هـ منها 28.000 تسقى بآليات الري الكبير.

نطاق درعة : اشتهرت درعة بتمورها ونخيلها الذي ينمو بواحات تنتشر على طول مجرى واد درعة وبعض الوديان الموسمية التابعة من الأطلسين الصغير والكبير. وأكبر مزود لهذا النطاق بالمياه هو سد المنصور الذهبي الذي بني سنة 1972 على واد درعة بحقينة 560 مليون م3 لكنه

لا يمتلئ بكامله إلا مرة كل عشرين سنة كمعدل. وقد تضرر هو الآخر من استفحال الجفاف. وأنشئ على واد درعة خمسة حواجز صلبة لتغذية قنوات السقي بالمياه الذي يطلقها السد تبعا لبرنامجها، ويبلغ طول القنوات الرئيسية والثانوية 350 كلم. وهناك سبع محطات للضخ، تزود كل هذه الموارد نطاق درعة بحوالي 320 مليون م3، وتبذل هنا كذلك جهود لعلاج النخيل من مرض البيوض واستبدال المفقود منه باعتبار واحات درعة من أهم منتجي التمور ومزودي سوق مراكش بصفة خاصة. كما تبذل الجهود لنشر زراعة الأعلاف لتغذية الأبقار التي تربي في الخطائر وزراعة الحضر والحبوب لضمان أكبر قدر من الاكتفاء الغذائي. تبلغ مجموع مساحات نطاق درعة 66.000 هـ منها 26.000 تابعة لإدارة الري الكبير.

تطور تقنيات الري : تعمل أجهزة الري العصري على تشجيع استعمال المياه بإدخال تغييرات على أساليب العمل والإنتاج لرفع المردودية وإدخال مزروعات جديدة واستعمال بذور منتقاة مهجنة غالبا وبناء مختلف منشآت السقي كما تعمل على دمج الملكيات الصغيرة لتسهيل عملية السقي والتنقل واستعمال الآلات الزراعية كالجرار وغيره، وعندما تحقق هذه الجهود نتائج إيجابية فإن المردودية الزراعية ترتفع بخمسة أضعاف مقارنة بزراعة بورية في سهل جيد مثل دكالة، وتهدف من وراء هذه الجهود إلى تلبية حاجيات السوق سواء الوطني أو الخارجي وضمان أعلى حد ممكن من الأمن الغذائي خاصة في مواد أساسية مثل السكر والزيوت والحليب واللحوم والخضر والحبوب، ورفع مداخيل الفلاحين بتطبيق دورات زراعية مدروسة علميا واجتماعيا تراعي حاجياتهم إلى الاستهلاك والنقود، ولتشجيع استعمال المياه تعمل مكاتب الاستثمار الفلاحي على ترك السقي بطريقة غير الأحواض التي كانت سائدة في المغرب إلى نهاية عقد التسعينيات سواء في مجالات الري التقليدي بنسبة 100٪ أو العصري بنسبة 78٪ وتعتبر في عصر الندرة واستنزاف الموارد مضيعة لثروات مائية مهمة، وتعمل على تلقيح طرق وتقنيات جديدة هي :

الرش : لم تهتم به أجهزة الري العمومية إلا في نهاية عقد الستينيات وطبق أولا في مجالات محدودة يتعذر استعمال الغمر بها بسبب ميل السطح أو انعدام الميل كليا مما يعرقل تنقل الماء أو لشدة التسرب بالتربة الرملية أو ضعف مسامية التربة، لكن بعد التأكد من امتيازاته وقدرته الكبيرة على اقتصاد الماء بنسبة 50٪ وتخصيب الإنبات، بدأ يشيع في جهات كثيرة بالمغرب خاصة بنطاقات العرائش وسوس ودكالة فبلغت المساحات التي تستعمله حوالي 180.000 هـ سنة 2.000 فهي تتناول ربع الأراضي المسقية في مجالات الري الكبير. وهو يتطلب نفقات وتجهيزات إضافية لاقتناء مختلف الأنابيب والرشاشات وإقامة صوامع صهرجية عليا لتوزع ماءها مضبوطا لتستعمله الرشاشات.

الري بالمحاور : هو نوع من الرش المتحرك استعمل خارج إطار النطاقات المروية المعروفة بسهولة واسعة غير مشجرة. وطبقت التجارب الأولى بأراضي جماعية اكثر من طرف مؤسسات مالية وطنية، وذلك بإقليم قلعة سراغنة والشاوية وهي تقتصد حوالي 65% من المياه مما لو استغلت بطريقة العمر. لكن الري المحوري ذو تكلفة مرتفعة تصل إلى حوالي 15 مليون درهم للمحور الواحد الذي يتحرك ليسقي دائرة مساحتها 50 هكتاراً ولهذا لم يتوسع استعماله كثيراً إذ لم يتجاوز 10.000 هـ سنة 2000.

الري بالتنقيط : لازال استعماله محدوداً رغم اقتصاده الكبير للماء، ويستعمل خاصة لري الأشجار المثمرة حيث يمر أنبوب بلاستيكي على صف الأشجار ويثقب عند جذع كل شجرة لخروج قطرات ماء تحافظ على رطوبة دائمة عند جذرها تمكن عروقها من تغذية مستمرة، وأحياناً يضاف إلى هذا الماء مواد تخصيب وأدوية لاقتصاد العمل.

الري بالترشيع : طريقة جديدة تقوم على دس أنبوب داخل عرف ترابي بالحقل (أبدو) يغطي بغلاف من البلاستيك يثقب أعلاه لاستنبات فساتل نبتة ثمينة كتوت الأرض أو الجلبان. ويرشح الأنبوب عبر ثقوبه الصغيرة ما يغذي جذر النبتة. ويحمي غلاف البلاستيك ثمراتها من التلوث بالتراب والوحل.

الري تحت واقيات البلاستيك : ويتم إما بالرش أو التنقيط أو الترشيع وهذه طريقة تقتصد الماء وتحافظ على جو من الرطوبة والدفء داخل الواقية يزيد في انتعاش النباتات خاصة الطماطم والخضر والنباتات الثمينة والهشة كالورود، تحميها من شدة البرودة شتاء خاصة ليالي الصقيع أو الحرارة المرتفعة والرياح الحارة صيفا.

توصيل الماء إلى الأحواض بأنابيب البلاستيك صلبة أو خفيفة بدل السواقي التي تضيع قسماً من مساحة الحقل والمياه واستعملت بكثافة في حقول الوجلة الصغيرة بالسواحل الوسطى. ويشيع اليوم استعمالها في مناطق الري بالضخ الآلي.

حصىلة 75 سنة من سياسة الإعداد المائي : إن تجهيزات السقي العصري الكبير مرتفعة جداً كسائر التجهيزات العمومية ومنشآت البنية التحتية، واسترجاع استثماراتها لا يتم إلا جزئياً وعلى مدى عقود كثيرة. كما أن مردوديتها لازالت منخفضة لحد الآن نظراً لما يتطلبه تسييرها وصيانتها من تكاليف، ولانخفاض مساهمة المستفيدين في تكاليفها إذ لا يدفعون في المعدل لاستصلاح أراضيهم إلا حوالي 1800 درهم للهكتار في نهاية الثمانينيات، وهذا لا يمثل إلا حوالي ثلث إلى عشر تكاليف تجهيز الهكتار، كما أن سعر مياه السقي يبقى رمزياً إذ لا يتعدى 0.22 د هـ / م³ ولا يرتفع إلى 0.5 د هـ / م³ إلا بنطاق واد إيسن بسوس. وبهذا لا تتعدى مداخيل ماء السقي ثلث ميزانية تسيير أجهزته التي تستهلك نسباً مرتفعة من اعتمادات الدولة

للقطاع العمومي. وهذا يتطلب مزيداً من التنظيم وتطوير قوانين الاستغلال وتكوين تعاونيات وجمعيات مهنية كمحاور جاد متفهم يشرك الفلاحين في الإدارة وتحمل المسؤولية واتخاذ القرارات. كما أن استمرار تفتيت الأراضي الزراعية بسبب تقسيم الإرث بين الورثة يناهض كل مجهودات الإصلاح وي طرح مشاكل عويصة عند توزيع حقوق المياه. إن توالي سنوات الجفاف يضع مؤسسة السقي العصري أمام تحد عسير فكيف يمكن تدبير السقي عندما تنخفض حقينة سدود مهمة إلى 25% بل إلى 6% وكذلك عندما تنخفض حقينة السدود بفعل استمرار طهرها بالرواسب مثل سد سيدي إدريس الذي نقصت حقينته في ظرف 10 سنوات من 7 مليون م³ إلى 1، إلا أنه بفضل نباهة أطرها وتقنياتها والدراسات العلمية التي تقوم بها، استطاعت مواجهة أوضاع حرجة ببرامج مدروسة على أسس اقتصادية اجتماعية لتحديد المساحات المسقية في كل موسم وإعطاء الأولوية لمزروعات معينة واستبعاد أخرى لارتفاع استهلاكها للمياه، وتوزيع المياه على فترات متباعدة، والحث على ترشيد المياه باستعمال وسائل سقي حديثة كالرش والتقطير... لكن هذه الإجراءات تنعكس سلباً على الانتاج وذلك بتقلص المساحات المسقية. بل حتى المساحة المسقية يتراجع إنتاجها كثيراً بسبب نظام العطش الذي يفرض عليها. وبهذا يتراجع الهدف الوطني لسقي المليون هكتار وتحقيق اكتفاء ذاتي في مزروعات حيوية. ولئن استطاع هذا النظام إنقاذ اقتصاد المغرب لفترات محددة كسنة فإنه لا يزال عاجزاً عن وضع برامج طوارئ لعدة سنوات لأن جل السدود تيرمج حقينتها لمدة سنة، ولا يمكن أن تساهم بخزن مياه أكثر احتياطاً لعدة سنوات لأن جل السدود تيرمج حقينتها لمدة سنة، ولا يمكن أن تساهم بخزن مياه أكثر احتياطاً لعدة سنوات جافة مقبلة، إذ لا يطبق ذلك جزئياً إلا على سدود قليلة موجهة أساساً لتزويد المدن بالماء الشروب كسد واد الحاشف بنواحي طنجة أو سدي المسيرة والوحدة باعتبار حقينتهما الكبرى. وإن استطاعت برامج السقي العصري تحقيق استقرار اجتماعي بالأرياف وكبح جماح الهجرة جزئياً نحو المدن والمساعدة على التجديد القروي بإدخال تقنيات ومزروعات جديدة بددت ركود الأرياف وفقرها جزئياً، فإنها لم تستطع دمج الشباب القروي المتعلم، ولا المستثمرين الناهضين الحضريين أو المحليين الذين جمعوا أموالاً من أنشطة أخرى خاصة التجارة أو مشاريع البناء أو أموال الهجرة، إذ لازالت تجذبهم أنشطة المدينة. ورغم نمو مدن صغيرة في أهم النطاقات السقوية وازدهار حركة التجارة والتعليم والخدمات والنقل فإن المجالات المسقية العصرية لم تستطع تحقيق ما كان منتظراً منها أي تكوين أقطاب تنمية تكون بمثابة قاطرة جهوية لتنمية اقتصادية اجتماعية ريفية باعتبار رصيدها الفلاحي المهم وإمكاناتها الواعدة

للماء ؛ معلومات من مقالات حول الزراعة بالصحف الوطنية.

Sous la direction de Ahmed Lahlimi Alami, *La grande encyclopédie du Maroc : Agriculture et pêche*, volume 7, 1988 : Mustafa Qarouach, *La croissance de l'agriculture marocaine*, Casablanca, 1988 : M. I. Alaoui et P. Carriere Editeurs, *Aspect de l'agriculture irriguée au Maroc*, Université Mohammed V, Rabat et Paul Valery Montpellier : *Hydroplus 1er forum mondial de l'eau, Maroc l'eau souveraine*, mars 1997, Marrakech : Des numéros de la revue marocaine des sciences agronomique et vétérinaire, *Homme terre et eau* : Jean-Jacques Perennes, *Le Maroc à porté du million d'hectares irrigués*, Monde Arabe Maghreb Machrek, n° 173, sept. 1992.

أحمد هوزالي

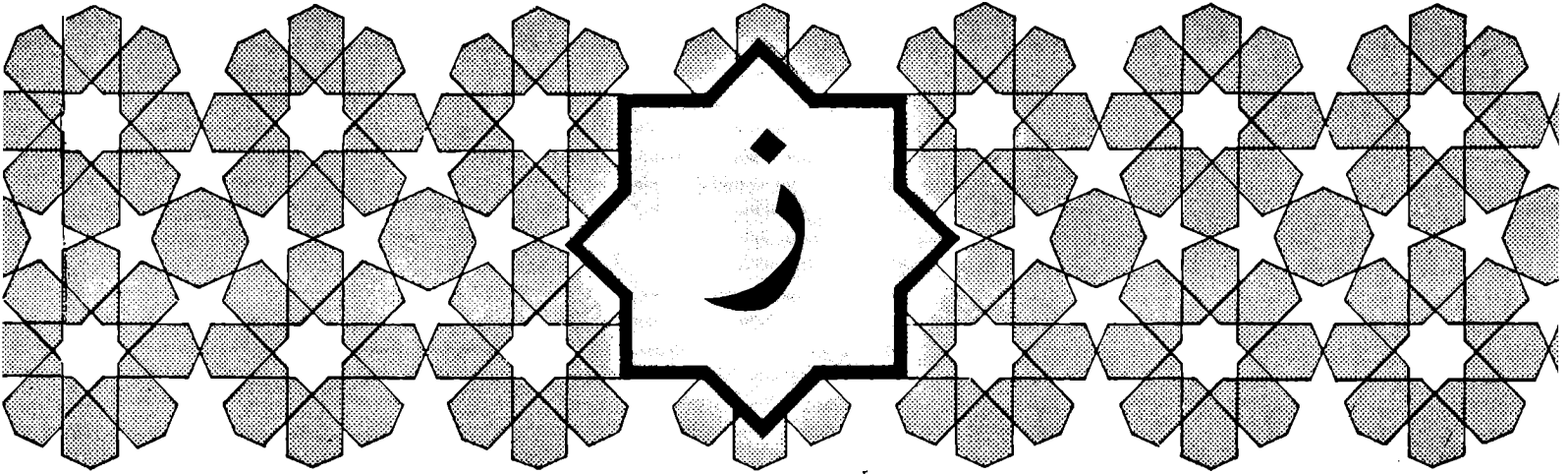
ريّان، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Rollan و Rellan ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1806/1221.

م. ابن عزوز حكيم، *كتشاف أسماء عائلات تطاون، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 751*.

محمد ابن عزوز حكيم

والاستثمارات العمومية التي تستوعبها، لكنها استطاعت توظيف كفاءات علمية متنوعة في أجهزتها، وتجديد أساليب الفلاحة وخلق أنشطة جديدة وصناعات سواء داخل فضاء الفلاحة أو بعاليها كصناعة الأسمدة والأدوية والبذور المنتقاة والقنوات والأنابيب وبعض الآليات الزراعية وخلق أنشطة أخرى بسافلتها حافظت على إبقاء جزء من فائض القيمة الزراعي في الأرياف يتمثل في مصانع معالجة المنتجات كعامل السكر والتعليب والعصر والتلفيف، ومحطات إصلاح الآليات وفروع الأبنك وشبكة من مراكز الأشغال الفلاحية ومكاتب المرشدين الفلاحيين... كما خلقت رواجاً تجارياً مهماً يرافق الفلاحة المروية في جميع مراحلها. إن التطور الفلاحي الحديث والانفتاح الذي فرضته العولمة على الأرياف والتخطيط لأهداف وطنية فلاحية يلقي على مؤسسة الري العصري مسؤوليات جديدة، ويؤهلها للقيام بأدوار اقتصادية واجتماعية حيوية.

بحوث واستطلاعات ميدانية : شوقي بنعزو، الماء التحدي المستمر، منشورات بانوراما، 1994 ؛ حسن المباركي، تعبئة المياه لأجل الري في المناطق شبه الجافة، حالة حوز مراكش مجلة المزارع المغربي العدد 11 مارس 2001 ؛ أعداد من مجلة الماء والتنمية، المجلة المغربية



زا، - بزاي مفخمة - هو أحد روافد نهر ملوية يقع مقره به شمال مدينة تاوريرت. من أهم ما يميز هذا المجرى عن واد ملوية نفسه، وعن مختلف روافده، جريانه الدائم، حيث يتغذى من مياه الفرشات الباطنية، ابتداء من عيون بني مطهر وتكفايت. ذلك ما دعا إلى تسميته بالواد الشارف عند عالية المجرى، حيث الهضاب العليا منبسطة وجافة، وبالواد الحمي عندما يصبح الجريان دائما، وبواد زا، في الجزء الأسفل حيث يتعمق على شكل خوانق في جبال الهورست، وحيث بني سد الحسن الثاني، ثم ينتهي على شكل مخاريط قديمة وواسعة بمنطقة تاوريرت.

سمح الانتظام النسبي للجريان بالسافلة، بممارسة نشاط زراعي مسقي قديم ومتنوع على طول المجرى، وذلك كلما توفرت الظروف الطبغرافية والترابية الملائمة. كما يتميز واد زا بشساعة حوض نهره الذي يمتد على 18000 كلم مربع، إذ يصرف المياه المطرية لأغلب الهضاب العليا المغربية والجزائرية، شرقا، ومن مشارف تاندرارة جنوبا، كما يصرف مياه الهوامش الجنوبية لسلسلة الهورست. نتج عن اتساع الحوض وتنوع تضاريسه، من جبال وهضاب وأحواض سهلية، اختلاف في علو وعنف ونوع وفترات حدوث التساقطات؛ إذ كثيراً ما تحدث على شكل عواصف رعديّة عنيفة في أماكن محدودة، كما يمكن أن تكون شاملة للحوض، أو على شكل ثلوج فوق الجبال على الخصوص. هكذا، ارتباطاً بتنوع التساقط من حيث علوه وعنفه وامتداده على المجال، يعرف صبيب زا تغيرات مهمة وخطيرة في نفس الوقت، إذ كثيراً ما تلحق فيضاناته أضرارا كبيرة بالسكان وبمختلف منشآتهم.

اعتمدنا في دراسة الصبيب والحمولة الصلبة التي ينقلها واد زا، على المحطة الهيدرولوجية بتاوريرت التي بنيت سنة 1956 وشرع في استغلالها سنة 1959، كما بنيت محطة هيدرولوجية ثانية بعالية موقع سد الغراس سابقا.

بلغ معدل الصبيب عند مستوى المحطة الهيدرولوجية بتاوريرت 34 متر مكعب / ثانية، كما تراوحت المعدلات السنوية خلال 30 سنة من الملاحظة، ما بين 1.2 و9.9 متر مكعب / ثانية. فأعلى معدل سنوي سجل سنة 1974 وأخفض معدل لوحظ سنة 1986.

في الواقع، لولا وجود عيون تكافيت لكان واد زا جافا، لا يعرف جريانا إلا على شكل فيضانات محدودة. فالصبيب اللحظي المرتبط بالفيضانات هو المسؤول عن اكتساح المصاطب النهرية المزروعة وهدم الكثير من الطرق والقناطير والمنشآت الهيدرומائية العصرية منها والتقليدية. من أعنف الفيضانات تلك التي تم تسجيلها سنة 1972، حيث بلغ الصبيب اليومي اللحظي 99 متر مكعب / ثانية، وهو أخطر ما سجل منذ نشأة المحطة.

أما من حيث فترات وفصول حدوث أقوى جريان فيمكن تلخيص ذلك في جدول لمعدل الصبيب الشهري لواد زا، وذلك من 1959 إلى 1980.

شهر	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	دجنبر	يناير	فبراير
م/2ث	3.8	5.7	3.8	2.3	2.4	2.1
شهر	مارس	أبريل	ماي	يونيو	يوليوز	غشت
م/2ث	3	6.9	4.6	3.9	2.7	2.8

يتضح أن أهم الموارد المائية بواد زا تتوفر خلال شهر أبريل حيث يبلغ متوسط صيبه 69 متر مكعب / ثانية، ثم يليه بالتوالي كل من أكتوبر وماي. هكذا يبدو فصل الربيع أكثر وفرة من حيث المياه الجارية في القعر، لأن الأمطار تكون مرتبطة بنظام الجبهات، وبالتالي أكثر دواما وانتشارا على الحوض النهري. أما شهور الخريف فأمطارها تكون على شكل عواصف رعديّة، مركزة في الزمان

والمكان. لكن يجب العلم بأن 46% من تردد الصبيب اليومي الأقصى سجل في شهري سبتمبر وأكتوبر، وأن الصبيب الأقصى اللحظي تردد بهما كذلك بنسبة 43% يليهما شهر ماي بـ 15% ثم شهر يونيو (شاكر 1998).

ذلك الجريان العنيف، المهدد للتربة والمنشآت، يحدث على الخصوص في فصل الخريف، حيث الأمطار عنيفة والسطوح عارية. كانت بذلك الحمولة الصلبة، أو الصبيب الصلب، لمياه واد زا هو 8.6 غرام / لتر. أما التوحد الأقصى اللحظي، فقد بلغ 114 غرام / لتر.

إذا كان من الصعب استخلاص العلاقة بين الصبيب وعلو التساقط لعدم وجود المحطات اللازمة للقياس داخل الحوض النهري، فإن العلاقة بين أهمية الحمولة والصبيب لا تبدو جيدة، حيث غالبا ما تكون أحداث مطرية متواضعة من حيث علوها وصبيبها، هي المسؤولة عن أقوى حالات تدهور الأتربة وتحريك المنقولات في اتجاه السافلة. فعلى سبيل المثال، سجلت الحالة القصوى لمعدل التوحد (27ع / ل)، نتيجة صبيب سنوي سنوي من مستوى 3.04 متر مكعب / ثانية.

فإذا اعتمدنا على مختلف هذه القياسات، نستخلص أن التعرية الإجمالية بحوض واد زا، تبقى متواضعة، إذ لا تتجاوز 50 طنا / كلم مربع / سنة. ويكون واد زا بذلك أقل عدوانية بالمقارنة مع باقي حوض ملوية الذي بلغت به مقادير الإزالة 156 طنا / كلم² / سنة. لكن رغم المقادير المفقودة المتواضعة على مستوى الكلومتر المربع، فإن هذه الإزالة تبقى خطيرة من الناحية الزراعية، حيث غالبا ما يتم كشط المواد السطحية الدقيقة والغنية بالمخضبات، وذلك ارتباطا بالتعرية الغشائية السائدة في مثل هذه الأوساط. ونظرا لشساعة الحوض النهري، فإن مقادير الإرسابات المحمولة إلى كل من سد محمد الخامس على ملوية، وسد الحسن الثاني على واد زا، من شأنها أن تهدد حقيقتيهما بالإطماء، مما سينعكس سلبا على القطاعات السقوية والماء الشروب بالمنطقة الشرقية.

يعتبر سد الحسن الثاني (الغراس سابقا) والذي أصبح جاهزا منذ بضع سنوات فقط، من أهم المنشآت الهيدروليكية بالمنطقة الشرقية التي أنجزت في نهاية القرن العشرين، حيث سيخصص 27% من مخزونه لتموين بعض المراكز الحضرية بالماء الصالح للشرب، وعلى رأسها مدينة وجدة. كما سيسهم السد بتوسيع رقعة القطاع المسقي، بسافلته، بحوالي ألفي هكتار، التي سوف لن تعود مهددة بالفيضانات التي دمرت غير ما مرة مختلف المنشآت البشرية وأحصب الأراضي الزراعية الموجودة على شكل مصاطب داخل الوادي.

شاكر ميلود

الزّات (واد -) واد جبلي من روافد تانسيفت ينبع من السفح الشمالي للكتلة القديمة للأطلس الكبير المراكشي، يتميز واديه بانفراجه وخلوه من الخوانق العميقة، وتعدد إفريزاته وسطوحه الضعيفة الميل لكثرة الصخور الهشة به، فهو يختلف عن جاره الغربي واد أوريكّا، الكثير التعمق في واديه، يبلغ طول مجراه الرئيسي في حوضه الجبلي 50 كلم ومساحة حوضه 496 كلم² ومعدل ارتفاعه 2000 ومعدل ميل سطحه 18% يتجه اتجاهها جنوبيا غربيا مخترقا أعراف ثنيات وأحواض، وعندما يخرج إلى السهل ينحرف في اتجاه غربي شمالي غربي، يجري في سرير رملي كثير الحجارة عريض 500-800 م مكونا ثنيات واسعة أو يتفرع إلى مجارٍ متوازية. وبعد 8 كلم ينقسم إلى فرعين أحدهما رئيسي شمالي يتصل بواد أوريكّا المعروف في سهل الحوز بواد غمات بعد 12 كلم، كما يتصل به الفرع الثانوي قبل 4 كلم. ويسمى المجرى الجديد واد الحجر، ترجمة عربية لكلمة الزّات التي تعني الحجارة، يقطع 9 كلم ليصل مستوى قاعدته واد تانسيفت على بعد 3 كلم بسافلة زاوية ابن ساسي، بعالية المنطقة المعروفة بالولجة وهو شريط بصفة تانسيفت اليسرى كانت تنفجر به عيون تغذى من فيض فرشة الحوز.

تتطلق منابعه من سفوح جبال الكتلة الوسطى العالية: جبال السور وتاسگا نرات وميلتسين 3573 م وهو أعلاها، يغلب على صخوره مواد صلبة من الريوليت والحث كما تكثر بمجاريه العليا والوسطى صخور البيروترياس وتكوينات فتاتية حمراء سميكة تتوضع بكيفية متناثرة فوق صخور الزمن الأول وتختلط أحيانا بتدفقات بازلتية (صعب على الدارسين تحديد أصلها وتاريخ توضعها لندرة الأحياء بها، مما جعلهم يطلقون عليها اسما مركبا: بيرموترياس)، يضاف إلى هذا حث وردي مرتب جيدا: حث أوكايمدن الموجود بكثرة فوق هضبية يگور وهي أكبر سطح هضبي معلق بالجبال المتوسطة 2200-2600 م يشرف على سهل الحوز بأجرف عالية ويفصل بين وادي الزّات وأوريكّا. يشتهر بمراعيه وعزبانه ونقوشه الحجرية.

يتكون مجراه الأوسط والأسفل من مجموعة أحواض، وهي إما بهرات مفرغة أو مقعرات أشهرها حوض آيت زياد بسافلته أو مقعرة معلقة أشهرها مرتفع تسغيموت 1003 م الذي يبدو كحصن يحرس مدخل وادي الزّات. ويتميز حوض الزّات بتناقضات صخرية فهناك صخور رخوة تتمثل في مركب الترياس الأعلى ومن طبقة صلصالية هشة ترجع إلى الجوراس والإيوسين بالإضافة إلى المواد الميوليوسينية، ثم هناك صخور صلبة تتمثل في بعض الدكات البازلتية واللياس الكلسي الدولوميتي، وقد تعرضت هذه الصخور منذ الأيوسين الأعلى لحركات بنائية أكسبتها ملامحها الحالية، كان من نتائجها التواء الغطاء الثانوي والثلاثي

على شكل مقعرات عريضة ومحدبات ضيقة وبهرات مفرغة تكشف عن تلال بازلتية، ومعظمها أحواض منزلفة. وقد تعرضت جل هذه الوحدات البنيوية لتعرية متوالية انتهت بتكوين أشكال بنيوية تعكس تناقضات صخرية كبيرة. وتظهر إفجيجيات عند خرق الواد لأعراف البهرات والمحدبات، مما يكون أفواها تعرف بإيمي (الفم) أشهرها إيمي ن الزات بمدخل الوادي. فالأشكال البنيوية بالحوض معظمها من النوع المشقق، أما الأشكال الأولية فهي نادرة وتتمثل في السطوح التي تتوسط القعور مثل آيت زياد وتنافيلالت والسور، إذ تمثل طبقة غمرية صلبة. إن حوالي 40٪ من مساحة حوض الزات يتكون من صخور هشة ما بين رواسب قارية ومستنقعة حمراء بالجبال المتوسطة وتلال كريتاسي وجوراسي بمنطقة الدير الأعلى. ويلاحظ أن الزات ككل وديان السفع الشمالي غير متكيف مع بنيته، فهو سالف ومنطبع يقطع الطيات والتصدعات بكيفية تحافظ على تخطيطه المستقيم قاطعا عدة عوارض أضعفتها الانكسارات. لكن انطلاقا من دوار تالبينت يغير مجراه فجأة راسما علقولا ويصبح متكيفا مع البنية حيث يجري في منخفض بهرة إيكوردان المكونة من صخور هشة في الغالب، ثم يخرج إلى السهل بعد أن يقطع آخر الطيات المقعرة الكبرى : آيت زياد ليجري فوق سطح مخروطه الذي يتميز بانتظام شكله وميله التدريجي نحو واد تانسيفت الذي تزحج تحت ضغطه نحو الشمال.

وفي السهل ينشر الزات مواده الغرينية إما فوق الميوليبوسين أو فوق المسطحات المتدرجة أو المتداخلة، وتزداد أهمية النشر كلما اتجهنا نحو السافلة، لكن المواد الفلافرانشية سرعان ما تغوص تحت المواد الرباعية الحديثة. ومع تعقيدات بنية حوض الزات فإنه يمكن تمييز المستويات المتداخلة أو المتدرجة لبقايا درجات معلقة متفاوتة الارتفاعات والمساحة تبدو بوضوح عند دوار الشمس، إذ أن جلها تدهور بفعل الحفر الذي قامت به الشعاب المنحدرة نحو محاور الجريان.

يشكل الزات مخروطا حديثا واسعا سميكا منتظم الانحدار، وباعتبار تهدل سهل المحور المستمر طيلة الرباعي، فإن الرواسب تتراكم بكثافة كبيرة، تبدو متنافرة خشنة تزداد بها أهمية المادة الدقيقة كلما ابتعدنا عن المجرى الحالي. وترتبط هذه الأشكال بشبكة مائية تتمثل في محاور قوية عملت على تعميق مجراها وتركزها ارتباطا بحركات الرفع المتأخر واختلاف سمك ومقاومة الطبقات. وهذه التعرية الخطية ليست سوى بداية تعرية انتقائية تسعى لتحقيق تسطيح جانبي مما يعكس التطور الكبير للشبكة المائية.

المناخ : يتميز حوض الزات بمناخ متوسطي قاري شبه جاف يتحول إلى قاري جبلي مع الارتفاع بأعلى الوادي، يتميز بتباين حراري فصلي ويومي كبير، إذ يسجل به في

بعض أيام الصيف أكثر من 40 درجة كما تنخفض حرارته الدنيا شتاء إلى ما دون الصفر. لا يعرف صيب وديان الأطلس إلا جزئيا لقدم القياسات وتقطعها وتغيرها الكبير في سنوات الجفاف، فنسبة الخطأ في أرقامها تصل إلى 25٪. يتميز صيب واد الزات بتغيراته السنوية والفصلية بل واليومية الكبيرة، فقد أعطت القياسات بين 1931 - 1963 صيبا سنويا معدله 150 مليون م³ عند محطة قرية تيفرياط بمخرج الوادي، ومتوسط أمطار حوضه 676 ملم / سنة يسقط منها جزء على شكل ثلوج فوق علو 1500 م، لكن هذا المعدل انخفض في الثمانينات إلى 451 ملم / سنة. وسجل بمركز أربعاء تغدوين 508 ملم / سنة كمعدل سنوي وآيت أورير 363 ملم / سنة، وانخفض بالتالي معدل الجريان السنوي إلى 137.7 مليون م³ ومتوسط صيبه 4.4 م³ / ث، يعرف قمة جريانه في شهر أبريل عند ذوبان الثلوج وتساقط أمطار الربيع، وقد سجل به أقصى صيب يومي 1000 م³ / ث ولحظ 1500 م³ / ث. لكن تذبذب التساقطات من سنة لأخرى يجعل العلاقة بين معدل الجريان السنوي الأعلى والأدنى تصل إلى 1 - 12 ضعفا. ويسجل ضعف صيبه الصيفي الذي يقل عن 1 م³ / ث. ذلك أن 46٪ من صخور حوضه غير مسامية و40٪ نصف راشحة و14٪ مسامية راشحة، كما أن أمطار الصيف نادرة باستثناء عواصف رعديّة عارضة في آخر الفصل. وباعتبار ارتفاع نسبة الصخور الهشة فإن الزات يتميز بحمولة صلبة كبيرة تصل إلى 4 كلغ / م³، مما يجعل حملته السنوية الصلبة تصل إلى 600.000 م³، فتبدو مياهه خلال بعض فيضانات الربيع كأوحال متلقة.

التربة : تربة بدائية مشتقة من صخور الجبل غير متطورة بها أحجار كبيرة مكورة، لونها أسمر أو أبيض ذات نسيج رملي طيني غير سميك سوى ببعض الهضبات والأحواض الأكثر استواءً أو انغلاقا، وهي سريعة العطب سواء بالغسل بمياه الري أو الانحراف بالمياه الجارية لكن طمي فيضان الواد يجدها خصوبتها.

النباتات : لقد تراجع الغطاء النباتي كثيرا عما كان عليه في بداية القرن العشرين، إذ بتزايد السكان المعتمدين أساسا على الزراعة والرعي وتزايد الحاجيات الجديدة، انضاف إلى عمليات قطع الحطب وخشب البناء اجتثاث الأشجار الغابوية بصفة مشروعة وغير مشروعة لتلبية حاجيات أسواق حضرية تنمو باستمرار، فحملت الشاحنات أطنان الحطب لتلبية حاجيات الحمامات والأفرنة وصناعة الفحم، كما زاد طلب النجارة على خشب أشجار الجوز والعراعر بمراكش خاصة. يضاف إلى ذلك حاليا استفحال الجفاف الذي يقضي على أشجار كثيرة بمناطق إعادة التشجير، وهكذا صارت مساحات واسعة عارية، بحيث لم تتعد نسبة التغطية الغابوية بالحوض 55٪.

ويلاحظ نوع من التدرج في الغطاء النباتي من الدير إلى أعالي الحوض، ففي الدير السفلي بحاشية المخروط كانت تنتشر نباتات عشبية وشوكية منفرجة مثل السدرية والدوم والطلح والبطم والزيتون البري، لكن اندثر جلها أمام توسع المجال الزراعي ولم يبق به سوى السدرية والدوم. وفي الدير العلوي أي بعد 1000 م تنتشر بقايا غابة الثويا والعرعار الأحمر، وفي الوسط نجد البلوط الأخضر وهو الأكثر انتشارا إذ يكون 70% من الغطاء الغابوي، ينتشر على شكل تجمعات تفصل بينها قعور الأودية والسفوح الصخرية أو القوية الميل، تختلط أحيانا مع عناصر من الأرز الشوكي والخروب وعينات محلية نادرة كالعصفية والفسق البري... ولا تظهر له تجمعات مهمة إلا بعد 1200م وتصد أشجاره إلى علو 1800. 2000 م. وفي الأعالي تظهر تجمعات العرعار الفواح إن لم يأت عليها الرعي، إذ يقطع الرعاة أغصانها لتغذية مواشيهم بأوراقها. وترتفع الغابة إلى 2200 م بالسفوح الشمالية و2500. 3000م أحيانا فوق السفوح الجنوبية المشمسة. أما سرير الواد فنتشر به نباتات خاصة مرتبطة بالماء وهي الصفصاف والدردار الذي توجد له خمائل جميلة وكذلك الطارفة والدفلة التي تنتشر بكل المجاري سواء الرطبة أو الجافة.

لقد تراجع الغابات كثيرا وتحولت السفوح الدنيا إلى ماطورال متدهور، ومن مظاهر ذلك، صعود المستوى الجاف وتعرض السفوح لتصح زاحف متصاعد يعري مساحات متزايدة من كل شجر إلا ما نجده متخلفا ببعض المقابر وحدائق الأضرحة. ويترتب عن هذا استفحال ظاهرة التخديد بكل أشكالها ومساوئها. ولحماية البيئة من مزيد من التدهور طبق المسؤولون منذ أيام الحماية برامج تشجير خاصة بجوانب المحاور الرئيسية للتنقل وهوامش المنشآت المائية، كما بنيت حواجز حجرية على مجاري السيول لتشتت جريانها وأخيرا بنيت سدود تلية في جهات محظوظة. إن عملية التشجير التي استمرت طوال عقود الاستقلال لا تهم سوى نقط محدودة حيث تم غرسها بأشجار صنوبر حلب الذي كون غابات جميلة عند مخرج الوادي أهمها محمية غروكا للخنزير على عرف أندين المحيط بحوض آيت زياد.

كما يتم التشجير كذلك بأشجار الكافور واللوز والعرعار والصبار وأحيانا البلوط الأخضر، ويتم الغرس بحفر أخاديد موازية لمخروط التسوية لمقاومة التعرية. لكن المساحات المشجرة لم تفلت هي الأخرى من سلبات التدخل البشري والجفاف، لأن مشاريع حماية هذه البيئة السريعة العطب لا تأخذ بعين الاعتبار حاجيات السكان المحليين من جهة وخاصيات الوسط الطبيعي، حتى يمكن إعادة التوازن بين الإنسان وبيئته. ولم تتضرر هذه البيئة من توالي سنوات الجفاف فقط بل كذلك من فيضانات مفاجئة مخربة لواد الزات وروافده، فتنهار الحواجز والسواقي والمنشآت المائية

والسكنية القريبة من مجرى الماء، وتنجرف تربة سطح الملاصقة له وتقتلع الأشجار المثمرة، وتكرر ذلك في نعتة الأخير مرتين : 1995 و 1999.

السكان : يشير المؤرخون كالبكري والبيدق وابن خلدون إلى أن حوض الزات كان مسكونا منذ القديم من طرف قبيلة مصمودية هي مسفيوة، وهي من مخلفات قبيلة رعوية وهي كبيرة عرفها المؤرخون بهزرجة، وفدوا إلى المنطقة انطلاقا من الجنوب منذ قرون وزحفوا في القرون الأخيرة على مخروط الزات وأوركا إلى أبواب مراكش وضفة تانسيفت. وكانت مسفيوة قبيلة مفتوحة تستقبل الوافدين من مختلف الجهات وتهضمهم بالزواج والتشارك في أعمال الفلاحة، وتميزت بحيوية دافقة أدت إلى تمردات كثيرة على السلطة المخزنية مما جر عليها انتقالها عدة مرات، ودفع الملوك إلى محاصرة واديهم بإقامة قصبات وإسكان فلول من قبيلة الرحامنة وغيرها بمخروطهم، وكانت ميالة إلى التحرر من قيود السلطة المخزنية مما جعل فقهاءها ينعنونها ببلاد السبيبة، دخلت مع سلطات المخزن بمراكش في صراعات منذ القرنين 18 و 19 دفاعا على حقوقها المائية والترابية بمخروطي الزات وغمات. وفي نهاية القرن (19 م) اصطدمت بتوسع نفوذ غلاوة، واستطاع القائد المدني الأگلاوي بعد حروب مخربة إخضاع مسفيوة وسلبها جزءا من أراضيها ومائها في مطلع القرن 20 وأسس مركز آيت أورير بمدخل الوادي وقصته لمراقبة مجال مسفيوة، واستقدم إليه عددا كبيرا من أعوانه من أگلاوة بالسفوح الشرقية للأطلس الكبير. ورغم انصراف المعمرين عن وادي الزات وقهر حكم الأگلاوي الذي دفع ببعض الأسر والسكان إلى الهجرة وتجنيد السلطات الفرنسية لبعض أهل مسفيوة في فرق خيالة ومخازنية خارج منطقتهم لاستحسانهم لخصائص سكانها، فإن سكان حوض الزات ومخروطه عرفوا تزايدا متوسطا منذ مطلع القرن العشرين إلى نهايته لكن يصعب تتبعه بدقة للتغير المستمر في مساحات وحدود الجماعات القروية. وقد عرفت دائرة آيت أورير التي تضم سكانا آخرين خارج حوض الزات وقبيلة مسفيوة نموا كبيرا في العقود الأخيرة.

1971 149.814 ن

1982 180.184 ن

1994 211.615 ن

وبهذا تعتبر آيت أورير أكثر دوائر الحوض سكانا. كما تطور سكان بعض الجماعات الواقعة كليا أو جزئيا بحوض الزات ومخروطه وهي :

	1994	1982	1971	1960
تغديون	20.939	18.744	14.872	12.754
تيديلي	22.056	21.951	18.310	-
آيت أورير	-	34.715	26.620	20.600

واللفت والفلفل والنعناع، بل هناك من تصدى لمزروع طبي وهو اللوزة التي كانت تشتريها شركة لتصديرها. ومن المنتوجات الفلاحية الجديدة التي تتوسع زراعة وتسويق فساتل الزيتون والبرقوق والتفاح والورود...

وينظم السقي على مخروط الزات بشكل نموذجي، إذ تبدو شبكته على هيئة فقرات هيكل سمكة تخرج من ضفتيه اليمنى واليسرى، وكل ساقية تغذي عددا من السواقي الثانوية تعرف بالمصرف توزع مياهها حسب الحقوق على بستان أو مشاركة أو حوض يتكون من بضعة أمتار مربعة أحيانا، ويغذي الزات 32 ساقية رئيسية بمجرد الأوسط ومخروطه، لكن مياهه تستنفذ في معظم السنة عند بداية مخروطه بالسقي والتسرب والتبخر، إذ وجد أن سواقيه الترابية الطويلة تهدر 50٪ من مياهها، وهي تتحكم في مجال قابل للسقي تبلغ مساحته 17000 هـ لكن لا يسقى منها عمليا إلا حوالي 2500. 5000 هـ حسب وفرة المياه.

ويلاحظ في الحوض غياب الملكية الحضريّة اللهم إذا هاجر أصحابها أو أبناؤهم وأصبحوا حضريين، لكن الأسر الأكلواوية الوافدة في بداية عهد الحماية والمدعمة بنفوذ السلطة استطاعت الحصول على بساتين وأراضٍ شاسعة بمخروط الزات، وكذلك بعض المعمرين الأوربيين. أما أراضي الوادي فلم تغر الحضريين خاصة أنه لم يحظ بأنشطة سياحية ولا تنعقد به مواسم مهمة تجذب الحضريين.

تعرف الفلاحة بالزات في العقدين الأخيرين تحولات كبيرة بفعل الضغط الديموغرافي والجفاف وتزايد الحاجيات، فبعد أن كانت الفلاحة تسعى إلى تحقيق اكتفاء ذاتي صارت الآن موجهة لحاجيات السوق وحاجة السكان إلى النقود لتلبية حاجيات جديدة. وأمام هذه الضغوط انتقلت الزراعة من الأحواض المنخفضة إلى المنحدرات والمجالات الغابوية حيث يلاحظ غزو حقيقي لأوعز السفوح من طرف زراعة الحبوب التي تحتل معظم الأراضي وهي أرض سهلة العطب مما لقوة حجارها وفقر تربتها وكثرة أحجارها. وكانت الأنشطة الفلاحية قديما تتم في إطار تنقل وتكامل بين السهل والجبل لكن هذا التكامل عرف تقلصا كبيرا بسبب انتشار التملك وتوسيع الزراعات والبساتين بالدبر والسهل، كما تقلصت مراعي الجبل العالية بسبب تقنين استعمال الغابة وتوجيه حركات الرعي نحو الأحواض والهضبات التي تضررت من الرعي الجائر والجفاف الذي قلص أهمية مروجها وعيونها وغدرانها، والنتيجة تقلص أعداد المواشي الصغيرة، والميل إلى بناء الحظائر لتربية الأبقار الحلوب، لكن في الأودية الوفيرة المياه والتربة الخصبة. أما الأحواض الفقيرة بالأعالي فكثيرا ما تدفع سكانها إلى الرحيل أفرادا وأسرًا. إن الأراضي الصالحة للزراعة ضيقة ومحدودة بحوض الزات الجبلي، فوادي الزات

وقسمت جماعة آيت أورير في إحصاء 1994 إلى بلدية سكانها 12162 ن وجماعتي آيت فاسكا 16210 ن وآيت سيدي داود 17307 ن المجموع 45679 ن، وقد بلغت كثافة السكان في كل من تيغوين 46 ن / كلم² وآيت أورير 166 ن / كلم². إلا أن هناك جماعات سجلت تناقصا في سكانها بين إحصائي 1982 و1994 مثل آيت فاسكا وتمگرت.

لقد عرفت جماعات الزات تزيادا مهما لسكانتها، لكنه أقل مما سجل عموما في أرياف المغرب، وذلك بسبب ارتفاع الوفيات خاصة لدى الأطفال وبسبب الهجرة الداخلية إلى المدن والسهول الأطنتيكية أكثر من الخارج، ويقدر معدل التزايد الديموغرافي في جماعات الحوض 2.1٪ سنويا و5٪ آيت أورير.

يستقر السكان في قرى صغيرة ومتوسطة وكبيرة إذ يتجاوز بعضها 1000 ن مثل أمانوز ووينداسن و700 ن في تالتاست وتقايا، تنتشر على طول المجاري المائية ويجوار العيون تجتديها اليوم خاصة الطرق المهمة والمرصفة وتتكاثر عند مخرج الوادي.

الفلاحة : اشتهر حوض الزات منذ القديم بمزروعات خاصة مثل الدخن وإيلان والثوم والقطنيات والجوز بالإضافة إلى محاصيل تقليدية مثل الحبوب والزيتون وتربية المواشي وزراعة الحضر وبعض الفواكه المثمرة مثل الرمان والمشمش.

لمواجهة تزايد السكان والحاجيات لجأ السكان إلى توسيع المجالات الزراعية على حساب السفوح الصعبة والغابات وبناء المزيد من المدرجات وإيصال السواقي إليها، وباعتبار تقنين الرعي بالغابات وتراجعها وتدني قيمة المراعي بسبب استفحال الجفاف اتجه القرويون إلى تربية الأبقار الحلوب المستوردة والمهجنة في حظائر جديدة وتوسعوا في زراعة العلف والبحث عن موارد جديدة للمياه لا يجدونها غالبا سوى في حفر الآبار واستعمال الضخ الآلي. ونجد بجماعة تيغوين التي تهيمن أراضيها على معظم الحوض الجبلي للزات أن حوالي 75٪ من الأسر تمتلك من الأبقار 5.1. وتمتلك 7.6٪ 10. بقرات. ولتسويق الحليب في ظروف جيدة تأسس بالجماعة 5 تعاونيات، ولازالت تربية البغال تكتسي أهمية جيوية فهي وسيلة التنقل المفضلة في المسالك الجبلية. وإذا كان سكان عالية الوادي لازالوا يعتمدون على تربية المواشي الصغيرة فإن سكان المجرى الأوسط والمخروط يعتمدون على توسيع مجالات الزراعة المسقية وتحديث المزروعات، وذلك بتجديد أشجار الزيتون والإكثار منها، ولم يقدموا على غراسة التفاح والبرقوق إلا مؤخرا، حيث بدأ يتصدى لها بعض الملاكين الأغنياء نسبيا، وتوسعت زراعة الحضر حيث صار كل الفلاحين يخصصون مساحات لزراعة البطاطس والطماطم التي تجد سوقا واسعا بمراكش وغيرها، وكذلك زراعة الجزر

الأعلى وروافده ضيقة ولا تتسع سوى في المجرى الأوسط، لكنه يتوفر بسافلته على أحواض واسعة أهمها آيت زياد الذي تشغله بكامله جماعة تيديلي مسفيوة. فالأراضي الصالحة للزراعة بجماعة تغدوين لا تتعدى 6% لكنها تتوسع بمخروط الزات فتبلغ في جماعة آيت أورير السابقة 40%.

تتميز الفلاحة في حوض الزات كما يتجلى ذلك في جماعة تيغودين بازداوجية : تقليدية - عصرية، ذلك أن عملية التحولات انتقائية يتصدى لها أولا الملاكون المحظوظون الذين يتوفرون على أراضي كافية تمكنهم من تحقيق تراكم مالي أو مداخيل غير فلاحية لإنفاقها في مزيد من التجهيز، أما الملكيات الصغيرة الممزقة بالتقسيم بين الورثة عبر الأجيال إلى مشاركات مكروسكوبية متناثرة متباينة الأشكال والمساحات، فإنه يصعب علاج مشاكلها في وادي لا يقر سكانه بعد بمشاريع إصلاح زراعي ودمج الملكيات، وهؤلاء هم المرشحون للهجرة وممارسة أنشطة غير فلاحية والعمل خارج المنطقة، وأثبتت الدراسة أن ثلث الفئة الشغيلة تعمل خارج المنطقة خاصة بالبناء والتجارة والنقل والأعمال الفلاحية بالضيعات العصرية.

كما اشتهرت قرى الزات بحرف تقليدية مثل الفخار والنسيج والتجارة خاصة صناعة المحارث والأبواب ونجارة الأخشاب الكبيرة، التي تدخل في صناعة عوارض الأبواب الكبيرة ومعاصر الزيت وقنوات الري المصنوعة من خشب الدردار الذي ينبت بضاف الواد والمعروفة بتغدوت ومنها أتت تسمية الجماعة وفرقة القبيلة : تيغودين وهي جمع تغدوت هي العارضة الخشبية المستعملة فيما سبق ذكره.

كما اشتهرت بعض القرى بالحداثة وتصنيع الدوم، لكن كل هذه الأنشطة تعرف اليوم تراجعاً كبيراً سواء في عدد الممارسين أو الإنتاج، ذلك أن انفتاح الوادي سهل غزو المصنوعات الحديثة، كما أن الأجيال الجديدة من سكانه لا تميل إلى المصنوعات التقليدية وأنشأ أحد المعمرين في عهد الحماية معملاً لمعالجة الدوم الذي يجمعه السكان ويبيعه له، لكنه توقف في بداية عهد الاستقلال. أما النشاط المعدني فباستثناء استغلال أحواض الملح قرب آيت أورير التي أنشأها هي الأخرى معمر أوربي وتوقفت منذ عقود، فإن الأنشطة المنجمية ظلت مجهولة بهذا الحوض، لكنه ساهم في الاقتصاد المعدني بنشاط وافر عندما وصل إليه معدن المنغنيز من إيميني عبر نقال هوائي (تيليفيريك) من أكلموس بطريق تيزي - ن - تشكا بالمنحدرات الجنوبية إلى محطة لتجميعه قرب مركز أربعا تيغودين لنقله بالشاحنات إلى مراكش. أما السياحة سواء الوطنية أو الأجنبية فلم تنشأ بهذا الوادي سواء في عهد الحماية أو بعده رغم وجوده كمعبر إلى مراعي هضبة يگور المشهورة بنقوشها الحجرية ومناظرها الطبيعية الجميلة وإمكاناتها في الرياضات الثلجية.

المراكز الحضرية : اشتهر حوض الزات بقراه الكبيرة ومراكزه السكنية، أهمها آيت أورير، وقد تحول اليوم إلى بلدية سكانها 12162 ن (1994) ومركز دائرة تضم 5 قيادات و15 جماعة قروية لم تحدد حدود بعضها بدقة على المجال، وكان عددها 9 في إحصاء 1982 لكن الكثير منها يخرج كلياً أو جزئياً من حوض الزات ومخروطه، وينتمي إلى حوضي أوريكيا وغدات. (انظر آيت أورير).

أما أهم مركز يعرف تطوراً كبيراً مستفيداً من الأوضاع الجديدة، فهو مركز أربعا تيغودين الذي يوجد بوسط الوادي على علو 1041 م سكانه 535 ن (1994)، وقد صار اليوم مركزاً محدداً يضم مقر القيادة والجماعة القروية ومدرسة مركزية ومستوصفاً وصيدلية وعدداً من المصالح تابعة لوزارات الفلاحة والأشغال العمومية والبريد. ينعقد بها سوق أسبوعي يوم الأربعاء ولضيق المكان فإنه ينعقد بنفس المركز حيث تتحول دكاكين السوق كلها إلى المساهمة في أنشطة السوق يضاف إليها تجار صغار لبيع الخضار وملابس وعلع خفيفة بجانب أزقتها. ويتميز المركز بتجمع تجاري خدماتي قديم قرب محطة السيارات، لكن المتاجر ومحلات مختلف الأنشطة تعرف امتداداً نحو الجنوب على طول طريق يتجه بموازاة مع الواد على مدرج طولي جنوباً نحو عمق الوادي والمنشآت السياحية الجديدة. لقد عرف مركز أربعا تيغودين حدثين مهمين في تاريخه الأول يرجع إلى بداية عقد الخمسينات عندما قررت الشركة المعدنية المستغلة للمنغنيز إيمان نقله عبر نقال هوائي إلى مركز تيغودين لتجنب عبور الشاحنات فح تزي ن تشكا، وإنزاله بمحطة قرب مركز تيغودين الذي ظهر في عهد الحماية فتم ترصيف الطريق الثلاثي، طوله 18 كلم يربطه بالطريق الرئيسي : مراكش - ورزازات واستمر التهييء للمشروع عدة سنوات وبدأ العمل سنة 1956 واستمر 1969، حيث تراجع إنتاج المنغنيز وتسويقه وظهرت شاحنات كبيرة قوية قادرة على عبور فح تيزي - ن - تشكا بحمولتها الثقيلة. وأدى هذا المشروع إلى ظهور عدد من المصالح الإدارية والتقنية بالمركز وربطه بالشبكة الوطنية للكهرباء. وإقامة برج ماء، لكنه لازال يعاني من مشكل التخلص من المياه المستعملة التي تدفن حالياً في آبار وحفر خاصة، ويتخوف من تسربها إلى مياه الواد، ولهذا يهيب مشروع لتنظيم شبكة لصرافها ومعالجتها قبل إعادة استعمالها في الري.

أما الحدث الثاني فقد ظهر في بداية عقد التسعينات عندما توصل بعض الزوار إلى اكتشاف الفعالية العلاجية لمياه عيون معدنية كانت تنبع دائماً من سفح أحد السطوح بأحد روافد واد الزات تبعد عن المركز بحوالي 3 كلم عددها 4 تبعد عن بعضها ببعض عشرات من الأمطار تنبع من سفح هضبة مسطحة تستغل في الزراعة تسقى بسواقي واد الزات. وهي غير بعيدة عن زاوية وضح سيدي أحمد

استثمارات وما يخلق من مشاكل جديدة تتطلب حولا جديدة.

بحوث ميدانية، معلومات من المرشدين الفلاحين وأعضاء السلطة المحلية والسكان؛ تحليل خرائط طبوغرافية وجيولوجية لحوض الزات؛ أ. زروال، دراسة جيومورفولوجية لدير أطلس مراكش بين وادي الزات وتساوت، الرباط، 1987؛ بحوث طلبة السنة الرابعة في الجغرافيا بكلية الآداب مراكش.

P. Pascon. *Le Haouz de Marrakech*, Rabat, 1983 ; *Theorie de la distribution des eaux et de l'occupation des terres dans le Haouz de Marrakech*, R.G.M, N° 18 - 1970 ; O.R.M.V.A.H. *Les ressources naturelles et la mise en valeur actuelle de la plaine du Haouz*, R.G.M, N°17, 1970 ; M. Lafuente, *La vie humaine dans un groupement berbère du Haut Atlas de Marrakech : Les Ait Oucheg* - R.G.M, N° 14, 1968.

أحمد هوزالي

الزاز، الطاهر، مقاوم ولد سنة 1911 بمدينة أسفي.

انخرط في صفوف النضال الوطني منذ سنة 1948 وحين اندلعت ثورة الملك والشعب التحق بإحدى المنظمات الفدائية تدعى "اليد المباركة" ضمن خلية تضم عشرة أفراد وقد كان الفقيه متخصصا في صنع القنابل التقليدية التي كان يمد بها خلايا أخرى بالمدينة. إلى أن تحقق الاستقلال. توفي يوم 26 أكتوبر 1995.

الندوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

الزّاك، مدينة تقع على بعد 120 كلم إلى الجنوب

الشرقي من مدينة كلميم. وقد كان عدد سكانها في إحصاء 1982 : 1357 نسمة، وبلغ في إحصاء 1994 : 2.759 نسمة بوتيرة تصاعديّة عالية جدا، رغم الوضع الصحراوي المتوغل في القحولة.

يوجد المركز في أقصى شمال غرب حمادة درعة الفاصلة بين التحدب الجبلي الكميري للأطلس الصغير في الشمال، والدرع الجرانيتي قبل الكميري للرقبيات في الجنوب. لا تتعدى التساقطات بالموقع 70 مم، كما تنزل الحرارة الدنيا إلى 3° وترتفع العليا إلى 45° مئوية.

يعتمد الاقتصاد المحلي تقليديا على الرعي، وبصفة متزايدة على التجارة، خاصة خلال العقود الثلاثة الأخيرة، الأمر الذي مكن من موازنة الهجرة التي عرفتها المدينة باستمرار قبل هذه الفترة.

إن ظروف المناخ الصحراوي الجاف الذي يميز المنطقة، وكذلك الأوضاع الحدودية الراهنة والنقص في التجهيزات الأساسية لم تمكن من تطوير الأنشطة الاقتصادية القارة. وبقيت التجارة في المواد التي يتم ترويجها لفائدة الثكنات العسكرية من أهم الأنشطة التي يعتمد عليها سكان هذه المدينة.

موحا حدوش

الوافي الذي أطلق اسمه على المكان. ورغم عدم التأكد من فعالية هذا الماء فقد أغرى طعمه المعدني الخاص الزوار وبعض المرضى للقدوم إلى ينابيعه للانتجاع والعلاج، وسرعان ما ظهرت بعين المكان تحت ظلال أشجار الصفصاف والدردار والزيتون الكثيرة هنا منشآت عشوائية لقاء ومآوٍ للمبيت، فتدخلت السلطة ومنعت البناء فوق مدرجات رخوة معرضة للفيضان والانهييار، لكن جمال الموقع وجودة ظلاله ومياهه أنست مختلف المنشآت الخدمائية التي تجاوز عددها اليوم 100 كلها مبنية بالقصب والخشب والبلاستيك... ما بين مقاهٍ ومطاعم ومآوٍ للمبيت ودكاكين لمختلف المواد الاستهلاكية، بل ظهر بينها محلات للتسلية وحمام. وهي تنتشر حول مسلك يتبع خط تسوية يتوازي مع مسلك آخر عندما يتسع المسطح، وقد حصل المستثمرون على الأراضي إما بالشراء أو الكراء، وتمنع السلطات البناء وتخطط لفتح تجزئة بمركز أربعا تبيغدون لبناء كل المنشآت التي تتطلبها هذه الأنشطة السياحية وتحويل منطقة العيون وطريقه إلى بستان للنزهة.

لقد استفاد مركز أربعا تبيغدون من هذا النشاط بشكل تلقائي إذ يفد عليه المئات من الزوار يوميا، خاصة أثناء العطل والأعياد ليس للعلاج فقط بل للنزهة والترفيه. وأدى هذا النشاط إلى بناء عدد من المنازل والدكاكين والمقاهي ومحلات مختلف الخدمات بالمركز، مما جعل عددها الإجمالي يصل إلى 220 تفتتح كلها يوم السوق ويغلق منها حوالي 40% في غير أيام السوق، كما ترتب عن ذلك تنشيط حركة البناء، مما جعل المنازل التقليدية الترابية تختفي تحت واجهة من مباني الإسمنت المصبوغة باللون الأحمر ذات طابع حضري وترصيف بعض الأزقة. ويهيئ بمصالح السكنى والتعمير مشاريع عمرانية وسياحية لتنظيم وتقنين أنشطة السياحة التي امتدت أخيرا إلى هذا الوادي، وتخطط لمد طريق مرصف من المركز إلى هضبة يكور الذي يمكن أن تتحول إلى مجال للرياضات الشتوية على سفوح جبل ملتسين المنتظمة الانحدار وهو غني بمروج خضراء وعيون ونقوش حجرية كثيرة ترجع إلى العصر الحجري الأوسط والجديد، بالإضافة إلى تل حجري له قداسة دينية قديمة. كما يخطط المسؤولون لبناء سد تلي ليتحول مستنقع إيفرض إلى بحيرة متوسطة الحجم تغني المنتجع السياحي، كما يخططون لبناء فنادق بالمركز وإنشاء مخيم مجهز، لكن ضيق المكان يطرح صعوبات يجب تذليلها ذلك أن منشآت المركز وساحة سوقه ومحطة سياراته ودوابه تنتشر فوق سطح طولي ضيق محصور بين جرف يشرف على سرب الواد ومنحدر غابوي بالعالية تغطيه أشجار العرعار الأحمر والثويا تضيء على فضاء المركز جمالا يؤهله لسياحة بيئية ريفية يزداد عليها الإقبال. وترقب السكان بناء سد عند إيسي - ن - الزات، ستغمر مياه بحيرته جزئيا حوض آيت زياد، لما سيوفره ذلك من مناصب الشغل وما يجلب من

ابن **زاكور**، أسرة فاسية عريقة، انتقل بعض أفرادها إلى تطوان. وقد اطلع مؤلف *إزالة الالتباس* على ظهر نسخة من شرح الشيخ محمد بن قاسم ابن زاكور لكتاب *المقصود والممدود* لابن مالك انتسخت عام ستة وثلاثين ومائة وألف (أي بعد وفاة المؤلف بقليل بخط قديم يظنه لبعض العلماء) : عبارة "شرح العلامة ابن زاكور المصلاسي" ومصلاسة ببلاد الريف. وكان لآل ابن زاكور بفاس، علاوة على العلم والأدب، خطط شرعية كالشهادة والحسبة. قال : وعروة أولاد ابن زاكور توجد بالكردان مازالت شهيرة بهم.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج 1 : 232.

ابن **زاكور**، **أحمد بن محمد بن قاسم الفاسي**، ابن المؤلف الكبير محمد بن قاسم آتي الترجمة. قال عنه صاحب *إتحاف المطالع* : "كان فقيهاً واعظاً مطلعاً شاعراً" ووصفه صاحب *تذكرة المحسنين* "بالفقيه العدل الواعظ الفصيح القارئ المجيد" لم نطلع على شيء من نثره أو شعره.

توفي ليلة الأحد ثاني عشر ربيع الثاني عام 1176 / 10 نونبر 1761 ودفن بالقباب خارج باب الفتوح.

ع. الكبير الفاسي، *تذكرة المحسنين* ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 7 : 2378 ؛ *إزالة الالتباس*، مرقون، ج 1 : 232.

ابن **زاكور**، **عبد الكريم بن عبد السلام الفاسي** أصلاً التطواناني داراً، الفقيه الأديب الكاتب الموسيقي الرئيس الزجال الفاضل. لعله ولد بفاس من أسرة بني زاكور التي منها من ينتسبون إلى الجزائر، وتلقى تعليمه بفاس وعمل في ديوان المخزن كاتباً على عهد السلطان محمد بن عبد الله، ثم ولى عمالة مدينة العرائش، ولما عزل السلطان المذكور القائد الحاج محمد لوقش وقد عليه أهل تطوان متنصلين من قائدهم المذكور وولى عليهم بدله المترجم له عام 1171 / 1757، لكونه حضرياً مثلهم على حد تعبير اكنسوس، فلبث فيهم إلى عام 1179 / 1765 حيث نكبه السلطان بالسجن واستصفى أمواله، ولعله ذهب ضحية غلط أو دسياسة لأنه كان جميل الأخلاق حسن المعاملة يحب أهل الخير والدين، يعمر أوقاته بنظم الموشحات والأزجال في المديح النبوي والصالحين والأولياء، لم تعرف له صبوة، ولا سجلت عليه نبوة، لم يقل فيه أهل تطوان كلمة سوء بل أجمعوا على مدحه وفضله، ومما بقي من آثاره الزاوية العباسية التي بناها المترجم له بساحة الوسعة باسم الشيخ أبي العباس السبتي، وفوق بابها كتبت أبيات بخط بديع بالزليج من نظم بانيها المذكور، وقد كانت أيامه بتطوان كما قال في وصفها سكيرج المؤرخ أيام هناء وسرور، وفرح وجبور، وشمل بالأجباب مجموع، وانشرح موصول غير

مقطوع. وقال الأستاذ داود في وصف المترجم : كان هذا الرجل الحاكم الأديب مولعاً بالموسيقى، ويرحم الله زماناً كانت فيه تطوان ممتازة بين مدن المغرب بإجادة أهلها رجالاً ونساءً للموسيقى الأندلسية التي كانت من أعز ما حمله المهاجرون معهم من غرناطة وطنهم الأول إلى تطوان وطنهم الثاني، فكانوا يتقنون فيها ويبدعون، ويتفنون فلا يملون، ويساتين تطوان وأنهارها ونزهها ومجالسها ومرح أهلها كل ذلك كان مضرب الأمثال ولكنه صار في خبر كان. ومما يسجل هنا قول النقيب ابن زيدان في كتابه *النهضة العلمية* إن السلطان محمد بن عبد الله كان يحيي ليلة المولد بجامع السنة بالرباط وكان إنشاد الأمداح النبوية فيه مناوبة بين أهل فاس وأهل تطوان، ومثل هذا قاله الضعيف في تاريخه.

للمترجم له ديوان *مدائح ضخم* يقع في ثلاثة مجلدات يوجد أحدها بالخزانة الداودية والأخران من نفس النسخة بالخزانة الحسينية، وقد اشتملت على مآت الأزجال والموشحات والأنظم في بعضها جودة وبراعة ومعظمها في المديح النبوي وفيها مدائح في بعض الصالحين كالشيخ عبد السلام بن مشيش والمعطي بن صالح الشرقي وكتابه *الذخيرة* ولا يعرف تاريخ وفاته ولا مكانها، وأغلب الظن أنه توفي بتطوان في نهاية المائة الثانية عشرة، والله أعلم.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، ص. 93. 95. 96. 100. 101. ط. تطوان ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، تنسيق محمد حجي، 7 : 2434، ط. دار الغرب.

محمد بوخيزة

ابن **زاكور محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد** ابن أحمد الفاسي، عالم متمكن في العلوم الشرعية، بحاته شهير، وأديب لامع، ورحالة كبير.

ولد بفاس أواسط القرن الحادي عشر (17 م)، وقرأ على أكابر أعلامها، أمثال عبد القادر الفاسي، ومحمد المهدي الفاسي، وأحمد بن الحاج، والقاضي بردلة، ومحمد القسنطيني، والحسن اليوسي، وعبد السلام القادري.

توجه ابن زاكور إلى تطوان حيث أخذ عن الحاج علي بركة، ثم إلى الجزائر فأخذ عن مفتيها محمد بن سعيد المعروف بقدورة.

وكان ابن زاكور متضلعا في البلاغة واللغة والعروض والقوافي، تضلعه في الفقه والحديث والتاريخ، يحفظ عن ظهر قلب عدداً من الأمهات، كمختصر خليل، والكافية، والتسهيل لابن مالك، وكافية ابن الحاجب.

وترك عدداً ضخماً من المؤلفات القيمة الدالة على موهبته الحق. ويمكن تصنيفها كما يلي :

1 - تراجم وتاريخ :

أ - الاستشفاء من الألم بذكر أثر صاحب العلم، في نسب الولي الصالح المولى عبد السلام بن مشيش.

ب - فهرست، تحتوي على تراجم علماء تطوان والجزائر الذين أجازوه سماها : نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضاء الأكابر والأعيان.

ج - المعرب المبين عما تضمنه الأنيس المطرب وروضة النسرين

2 - حديث وأصول :

أ - الحلة السيرة في حديث البراء

ب - نظم ورقات إمام الحرمين بعنوان : معراج الوصول إلى سماوات الأصول

3 - طب :

أ - الدرة المكنوزة في تذييل الأرجوزة، وهي كما يدل عليها اسمها ذيل لأرجوزة الرئيس ابن سينا الطبية.

4 - توقيت :

أ - الروضة الجنية في ضبط السنة الشمسية، وهي أرجوزة على نمط المقنع للمرغيني.

5 - أدب وقواعد اللغة :

أ - الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض، وهو ديوانه،

ب - الحسام المسلول في قصر المفعول على الفاعل والفاعل على المفعول،

ج - أنفع المسائل في أبلغ الخطب وأبدع الرسائل، وهو مجموع رسائل وخطب،

د - شرح حماسة أبي تمام، سماه : عنوان النفاسة في شرح الحماسة،

هـ - شرح قلائد العقيان بعنوان : مقباس الفوائد في شرح ما خفي من القلائد،

و - شرح المقصور والمدود لابن مالك، بعنوان : الجود بالموجود،

ز - شرح لامية العرب للشنفرى، بعنوان : تفریح الکرک في شرح لامية العرب،

ح - شرح الخرزجية في العروض والقوافي، بعنوان : النفحات الأرجية والنسمات البنفسجية بنشر ماراتق من قصيد الخرزجية،

ط - شرح بديعية صفي الدين الحلبي، بعنوان : الصنيع البديع في شرح الحلبي ذات البديع.

تدل هذه القائمة، ولو أنها غير تامة، على أن ابن زاكور كان أديباً أكثر منه مؤرخاً وفتياً؛ وعلى أنه شاعر وشارح ناقد أدبي قبل كل شيء.

ويصفته شاعراً، عالج ابن زاكور جميع الموضوعات الشعرية، ونظم قصائد رائعة في العزل، والخمر، والوصف، والمدح؛ كما أن له موشحات رائعة لطيفة، وقد في موشحين كلاً من ابن سهل الاسرائيلي في ليل الهوى يقظان، وصفي الدين الحلبي في شق حبيب الليل عن نحر الصباح، وهما في غاية الحسن والابداع.

ويصفته ناثراً، فقد برهن ابن زاكور في جميع شروحه،

سواء منها المتعلقة بالشعر والأدب، أو بالنحو والبلاغة، أو بالعروض والقوافي، عن حساسة نقدية مرهفة، وذوق سليم، ومعرفة واسعة. أما النقد ذاته، فالغرض الأساسي منه - يقول ابن زاكور - هو البحث عن الحقيقة، وعدم التحامل على الغير ما أمكن، والاعتماد فقط على القواعد وشهادة كبار شيوخ الأدب.

ولا تقل سلاسة النثر وعذوبته عند ابن زاكور فيما عدا النقد، كما نشاهد ذلك في وصفه لمنتزهات كيتان بضواحي تطوان فنثره المسجّع جذاب بثروته اللغوية، وصفاء ديباجته، وحسن صورته الموحية.

وبالجمل، فابن زاكور من أكبر رجال الأدب، وصاحب مدرسة تنتمي إلى الحسن اليوسي وتقتد بواسطته إلى محمد بن الطيب العلمي، وهي مفخرة الأدب المغربي.

توفي ابن زاكور بفاس يوم العشرين من محرم الحرام عام 1120 / 11 أبريل 1708، ودفن خارج باب عجيسة.

م. ابن تاروت، وعفيفي، الأدب المغربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ماي 1960 ص 346. 354 : ع. الرحمان ابن زيدان، التنزع اللطيف في التلميح بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم ج ص 595، 330 : ع. السلام ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1960، الجزء الأول، ص. 163 و182 و261 : الجزء الثاني، ص. 387 و401 و438 و441 و483 : م. الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، 1075. 1311 / 1664 J 1894، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1977، ص. 161. 171 : محمد بن عبد السلام، بناني، فهرست، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم 9225، غير تامة : س. الحوات، الروضة المقصودة، ذكرها صاحب فهرس الفهارس، الجزء الأول، ص. 185. 190 : م. داوود، مختصر تاريخ تطوان، مطبعة المهدي، تطوان، 1375. 1955، (ب) تاريخ تطوان، الجزء الأول، ص 283. 284 ، تطوان 1379. 1959، ص. 416. 423 : م. السائح، المنتخبات العبقريّة لطلاب المدارس الثانوية، الرباط، المطبعة الرسمية، 1920، ص. 59. 60 : م. الكانوني، تاريخ الطب العربي في عصور دول المغرب الأقصى، مخطوط خزانة عبد السلام ابن سودة، ص. 87 : عبد الحي، الكتاني، فهرس الفهارس والأنتيات ومعجم المعاجم والمشيات والمسلسلات، فاس، المطبعة الجديدة، الجزء الأول، 1346. 1927، ص. 130. 131 : محمد بن جعفر، الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبّر من العلماء والصلحاء بفاس، المطبعة الحجرية، فاس، 1316. 1898، الجزء الثالث، ص. 179 : عبد الله، گتون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1961، الجزء الأول، ص. 313، الجزء الثالث، ص. 82. 83. 131. 133. 231 و291 و305 و312 : ذكريات مشاهير رجال المغرب، رقم 13؛ أ. النمشي، تاريخ الشعر والشعراء بفاس، مطبعة أندري، فاس، 1343. 1924، ص. 74.

C. Brockelmann, *Geschichte der Arabischen Litteratur*, Weimar, Berlin, tome I, 1943, nllé éd. Leiden.

وتتميز كذلك الحياة الاقتصادية والاجتماعية بهذه المدينة بتطور سريع للقطاع السياحي خاصة خلال العقدين الأخيرين حيث امتدت الطاقة الإيوائية على أكثر من 2.000 سرير في 10 فنادق مصنفة. وكان لهذا النمو السياحي أثر إيجابي على تطور قطاع الصناعة التقليدية والخدمات بصفة عامة.

موحا حدوش

الزاكوري، أو أزاكوري اسم لعائلة يهودية مغربية تنحدر من زاكورة وهي مدينة كان عدد كبير من اليهود يقيمون بها لعدة قرون (قصر بني صبيح، قصر ابن حيون، الخ) ونفس الشيء بالنسبة لمناطق أخرى مثل واد درعة (ومنه ينحدر اللقب الشائع درعي).

الزاكوري، أبراهام عمل قاضياً وأنهى حياته العملية بالمحكمة العليا متخصصاً في القانون الموسوي وهو صاحب المؤلفات التالية :

"الطلاق حسب القانون التلمودي عند المغاربة ذوي الاعتقاد اليهودي والتعديلات الطارئة في هذه المادة".

"نظرة عامة حول تطبيق القانون المساوي في الأحوال الخاصة للمغاربة اليهود".

ملخص القانون العبري العام (الأحوال الشخصية لليهود).

الزاكوري، يحيى ينحدر من أسرة يهودية عريقة بالدار البيضاء، والده نسيب كان من الأعيان الذين ساهموا في تسيير الجماعة اليهودية للدار البيضاء في القرن الثالث عشر (19 م).

اشتغل في سنة 1907 مترجماً بالفضلية الفرنسية وبقي موظفاً وعاملاً بالإدارة الفرنسية التي ستكلفه بوظيفة مفتش للمؤسسات اليهودية بالمغرب. وهذا لم يمنعه من العمل كرئيس لأكبر جماعة يهودية وهي الجماعة اليهودية بالدار البيضاء لمدة تزيد عن خمسين سنة إلى أن حصل المغرب على الاستقلال. وعمل من خلال منصبه هذا على تطوير المؤسسات الاجتماعية أما على الصعيد السياسي فقد عمل على بقاء الأقلية اليهودية بعيدة عن الصراع الدائر من أجل الاستقلال.

ابن زاكين، ليون من مواليد غشت 1901 بالدار البيضاء والده إسحاق بن زاكين والدة استير المالح. درس الطب بباريس حيث تألق كطبيب داخلي، وكان بذلك أول مغربي يحصل على هذا اللقب متخصص في أمراض الجهاز التنفسي وخاصة في السل وعمل في هذا التخصص كمساعد بمستشفى لينك Laënnec وبمصلحة ليون بورجوا Léon Bourgeois.

p. 26 ; *Suppléments*, I, p. 54, 545, Leiden, 1937 ; M. El Fasi, *La littérature marocaine. Maroc, L'Encyclopédie coloniale et maritime*, Paris, 1948, p. 535, A et B ; M. Lakhdar, *La vie littéraire au Maroc sous la dynastie 'alawide (1075 - 1311 / 1664 - 1894)*, Rabat, 1971, pp. 126 - 133 et passim ; E. Levi-Provençal, *Les historiens des chorfa. Essai sur la littérature historique et biographique au Maroc du XVIe au XXe siècle*, Paris, 1922, pp. 287 - 290, ainsi que les références citées.

محمد الأخضر

زاكورة، مدينة تعتبر القلب النابض لواحات درعة التاريخية. وبحكم موقعها الجغرافي بالقرب من أكبر الواحات المغربية (ترناتة) التي تفوق 6.000 هـ، وكذلك تموقعها في ملتقى طرق القوافل الرابطة بين الجنوب والشمال حيث ازدهرت تجارة مهمة عبر التاريخ بل وكذلك بين الشرق والغرب في التبادل الحضاري بين القبائل منذ العصور الأولى.



يبلغ عدد سكان مدينة زاكورة 26.174 نسمة في 1994، مسجلاً بذلك 3.11٪ كثيرة للنمو الديمغرافي مقارنة مع 1982، ويمثل فيها الفلاحون نسبة 37٪ من مجموع الأسر خاصة في الدوائر السقوية المجاورة للمدينة حيث يحتفظ فيها السكان بكثافة عالية جداً (28 نسمة / هكتار).

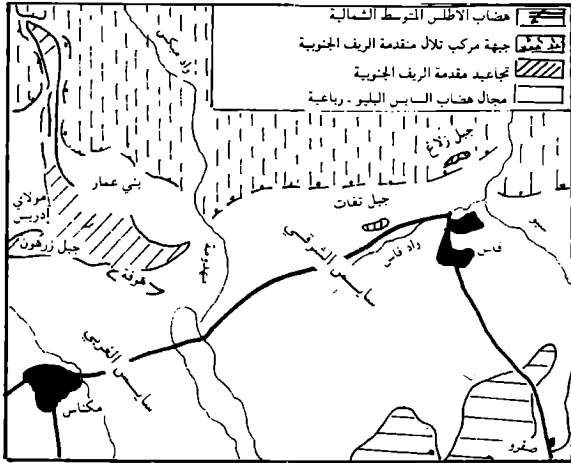
ويرجع هذا النمو أساساً إلى النمو الحضاري في المنطقة بسبب تفتح المنطقة على العالم الخارجي من جهة وصعوبة الاستثمار بالعالم القروي من جهة أخرى، بينما يعزى التطور الفلاحي إلى تزايد متطلبات السوق المتأثرة بعامل التمدن.

تتميز المدينة بمناخ صحراوي جاف حيث لا تزيد التساقطات المطرية على 75 ملم بينما ترتفع الحرارة في الصيف إلى أكثر من 45 درجة.

تتمتد الأراضي الفلاحية على مساحة 13.200 هـ من مجموع منطقة نفوذ الدائرة الحضرية. وتتمثل هذه المساحة في 10.000 هـ من المراعي، 1.200 هـ من الأراضي الفلاحية و2.000 هـ من الأراضي الصالحة للزراعة.

وتأتي زراعة الحبوب والنخيل والخضروات في صدارة الأنشطة الفلاحية وذلك إضافة إلى بعض المنتجات الحيوانية كالبحر والغنم والمعز والإبل.

الريف الصلصالية الهشة، عند النهاية الشرقية لهضاب إقليم سايس فاس - مكناس البليورباغية، المسلح سطحها بالكلس البحيري للبيوسين الأعلى.



الموقع المرفق بنيوي جبل زلاغ شمال فاس 0 5 10 كم

ارتبط تطور هذا الجبل، بالزحف الجاذبي (Vidal, 1977) لمركب فرشة مقدمة الريف الجنوبية الميوسينية، الذي ردم الأخدود الجنوب - ريفي التهدي خلال الميوسين الأوسط والأعلى (Michard, 1976). لذلك فإن بنيته ليست راسخة. لكونه تتكون من صخور ضلوميتية - كلسية جوراسية سمكية، تنتمي للياس الأسفل والأوسط (Fassi D., 1999). تم نقلها وهي طافية، ضمن مكونات الفرشة الصلصالية الميوسينية والزاحفة من الشمال نحو الجنوب، مكونا بذلك الحاشية الجنوبية لمقعر شاخص، ضمن مقدمة الريف الخارجية، جنوب نهر سبو.

D. Fassi, *Les formations superficielles du Sais de Fès et de Meknès : du temps géologique à l'utilisation actuelle des sols. Notes et Mém.*, Rabat, 1999 ; A. Michard, *Elément de géologie marocaine*, Rabat, 1976 ; M. Tailassane, *Le massif du Zerhoun et ses bordures Est et Nord-Est au Nord du Sais Fès et Meknès. Etude géomorphologique. Thèse 3è cycle*, Univ. Med. V, Rabat, 397 p., 80 fig., 53 tab., 38 phot., 9 cartes, 1986 ; J.C. Vidal, *Structure actuelle et évolution depuis le miocène de la chaîne rifaine (Partis sud de l'Arc de Gibraltar)*. *Bull. Soc. Géol. Fr.*, Paris (7), t. XIX, n° 4, 1977.

محمد الطيلسان

الزاهر، لمعلم الحداد علي مقاوم ولد حوالي سنة 1900 بافاناسة ظهر السوق إقليم تاونات. وشارك في الكفاح المسلح ضمن وحدة من وحدات جيش التحرير تحت قيادة حمادي اغمير، وكان يقوم بالتجسس لصالح جيش التحرير ويقوم بتضليل فيالق اللقيف الأجنبي ويوقع بهم في كمانن المجاهدين فيسهل بذلك مهمة الانتقاض عليهم، كما كان يساعد بالملابس والمواد الغذائية والرصاص وشارك كذلك في اتلاف القناطر والأعمدة الهاتفية والهجوم

وفي سنة 1938 استقر بمدينة الدار البيضاء لممارسة الطب إلا أن إدارة مستشفى كولمباني Colombani قامت بإسناد جناح الأمراض الصدرية إلى طبيب فرنسي داخلي من باريس مثله ولم تستند لها إليه فاشتغل بجناح السل عند النساء بمستشفى عين الشق وبمصحة أورتاب Orthlieb قرب مستشفى كولمباني بالإضافة إلى عمله في مصحة - ملحوق الاغاثة للأطفال "Oeuvre de secours aux enfants".

كان ابن زاكين رجلا نزيها يتميز بثقافة عالية، ويعد من أبرز الأطباء اذاك وتميز كذلك بحس وطني إلا أنه كان كبقية البرجوازية اليهودية في تلك الفترة يتأرجح بين الوطنية والنفود الفرنسي.

في الخمسينيات قام بتأسيس جمعية تجمع الأطباء والصيادلة وأطباء أسنان مغاربة وذلك لكون عددهم القليل لا يسمح لهم بتكوين جمعيات في تخصصهم، وقد قامت هاته الجمعية بالتعبير عن ولاءها وحبها ودعمها للملك محمد الخامس عندما أصبح هذا الأخير يتعرض للمؤمرات الاستعمارية وذلك بقيامها بزيارته.

وفي سنة 1956 بعد رجوع محمد الخامس إلى عرش أجداده وإعلان الاستقلال قام بتعيين مبارك البكاري رئيسا لمجلس الوزراء باختيار وزير يهودي. بعد تحري ومشاورات تم اختيار الطبيب ابن زاكين وزيرا للبريد والمواصلات، فكان أول وزير يُصدر تابعا بريديا عليه صورة الملك المغفور له محمد الخامس بالإضافة إلى إصداره عدة رسائل ودوريات ومعاملات إدارية لإرسال البعثات التي تحمل الأدوية والمواد البيولوجية.

كان رئيساً للجماعة اليهودية بمدينة الدار البيضاء من الستينيات إلى أن توفي في سنة 1977 بالدار البيضاء، حيث دفن بها وتم تشييعه في وسط حشد هام من رجالات الدولة مع ممثل عن الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، وهو المشتتار أحمد بن سودة الذي ألقى كلمة بالمناسبة.

شمعون ليثي

زالغ أو زلاغ (جبل -) يشرف على مدينة فاس من الشمال. وتغطي سفوحه مغارس الزيتون العتيقة خصوصا الشمالية. عبارة عن عرف عرضي. امتداده شش ش/غ ج غ، على مدى يفوق 3 كلم. تتراوح ارتفاعاته ما بين 864 م في الشرق و900 م في أقصى غربه، حيث تصبح قمته حادة، تتوجها أجراف عمودية، يشرف بها على الأحياء الشمالية لمدينة فاس العتيقة، على بعد 35 كلم. وذلك شرق المجرى الأوسط لنهر سبو، قبل اقترانه شمالا بواد إيناون.

بنيويا، يشكل عرف زلاغ، قشرة كلس - ضلوميتية جوراسية، صلدة. وحيدة الميل نحو الشمال (Suter., 1967). تبدو على شكل ضلع منعزل وسط بنية فرشة مقدمة الريف الزاحفة، وهو بذلك يجسد الحد الجنوبي لتلال فرشة مقدمة

على ملحقة بني وليد، وألقي عليه القبض بعد أن أوشى به وعندما رفض أن يدل العدو على مراكز جيش التحرير، تعرض لعذاب شديد من طرف السلطات الفرنسية وقطعت رجلاه.

استشهد رحمه الله تحت التعذيب يوم 15 دجنبر 1955 .
المنذوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء
الاستقلال.

الزاوية، مكان معد للعبادة وإيواء الواردين وأبناء السبيل وإطعامهم، وتسمى في الشرق "خانقة" جمعها خوانق. فهي شبه مسجد خاص، وعرفت دائرة المعارف الإسلامية الزاوية المغربية بأنها "مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة ... تشبه الدير في العصور الوسطى". ولم تظهر الزاوية في المغرب إلا بعد القرن الخامس (11 م) حلت محل الرباط وسميت في البداية "دار الكرامة"، كالتي بناها يعقوب المنصور الموحد في مراكش كما سميت "دار الضيوف".

تكاثرت الزاوية بالمغرب في القرن السابع (13 م) وفي القرون التالية بتكاثر عدد الزهاد والصالحين، كما يتجلى ذلك عند ابن الزيات (ت. 617) في التشوف، وعبد الحق البادسي (ت. 722) في المقصد الشريف، ومحمد الحضرمي السبتي (ت. 787) في السلسل العذب، وأحمد ابن قنفذ القسنطيني، (ت. 810) في أنس الفقير، ومن أقدمها زاوية أبي محمد صالح الماجر (ت. 631) الذي كان يحض مريده على حج بيت الله الحرام، بعد أن تقاعس المغاربة والأندلسيون عن الحج بسبب اختلال الأمن في الطريق، وبلغ عدد زواياه ستاً وأربعين فيما بين المغرب ومصر. وكانت تُدعى أيضاً رُطْباً، وبقي اسم الرباط غالباً على زاويته الأصلية بأسفي حتى اليوم. وهذا يدل على أن الرباط أصل للزاوية، فكلاهما معد للعبادة، لكن مع الإقامة للجهاد في الرباط، والإيواء والإطعام في الزاوية.

وعرف السلطان أبو عنان المريني 749 - 760 / 1348 - 1358) بالعناية بالزاوية تشييداً وتجهيزاً وازراقاً حتى قال كاتبه محمد ابن جزي "أمر السلطان أبو عنان بعمارة الزاوية بجميع بلاده لإطعام الطعام للوارد والصادر، وقد جعل التصدق على المساكين بالطعام يومياً رحمه الله". ومن منشآت الزاوية العظمى التي أسسها على غدير الحمص (وادي الجواهر) خارج المدينة البيضاء (فاس الجديد)، وقال عنها ابن بطوطة في الرحلة : إنها أعظم زاوية شهدها في المغرب والمشرق، ولا يوجد اليوم في هذا الموقع إلا بقايا أسوار يُظن أنها أطلال تلك الزاوية العظمى ؛ والزاوية الكبرى بسبتة خارج باب فاس أحد أبواب أفراك، قال عنها صاحب اختصار الأخبار : "أعدّها هناك للغرباء ولمن اضطر إلى المبيت بها من التجار وغيرهم، ملوكية البناء كثيرة

الزخرفة والتنسيق، متسعة الساحة، متعددة المساكن، وصومعتها من أبداع الصوامع بسبتة صنعة وأتمها إحكاماً؛ وزاوية النساك خارج باب فاس بمدينة سلا التي قال عنها ابن الخطيب في مقامات البلدان : "والزاوية كأنها البستان" وكانت إذك مجتمع أهل الخير والصلاح من الأولياء، فكان ابن الخطيب يتحنث فيها الليالي ذوات العدد ويقصده الزوار من الأدباء والعلماء المترددين بين سلا وفاس، ووصف ابن الخطيب زاوية النساك عن مشاهدة في الإحاطة قائلاً : "لها بيوت كثيرة وقبة للصلاة ويجري إليها الماء الجاري من سور الأقواس. ولها بابان، أحدهما مواجه لسلا، والآخر لشالة وهو المقابل لضريح أبي العباس" وهي اليوم خراب لكن بقايا المرافق التي ذكرها ابن الخطيب مازالت قائمة، وسواقي المياه في الصحن مزخرفة بالزليج الملون المعروف في العهد المريني.

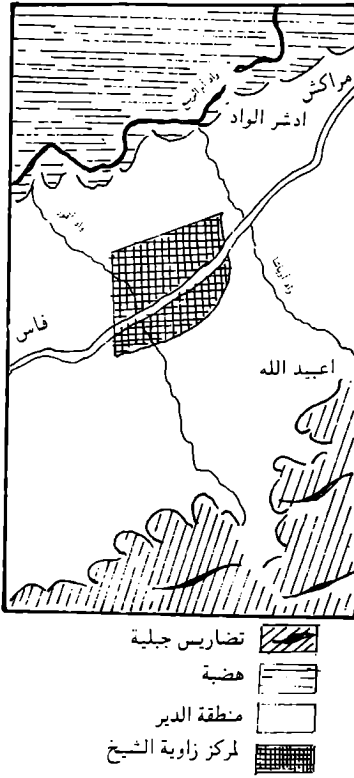
وهناك زوايا قديمة في الحواضر والبادي اندثر أكثرها وبقيت آثار بعضها قائمة على حالها أو رُمّت، مثل زاوية أبي محمد صالح بأسفي وزاوية الشيخ الكامل محمد ابن عيسى بمكناس، وزاوية الدلاء بالأطلس الكبير، والزاوية الناصرية في تامغروت بدرعة، والزاوية الوزانية بوزان. وأشهر الزاوية الحديثة الزاوية التجانية بفاس، والزاوية الدرقاوية في بويريح من بلاد بني زروال الجبلية، وفروعها الكثيرة في مختلف أرجاء المغرب، فضلاً عن الزاوية المعاصرة، مثل الزاوية الكتانية بفاس والزاوية القادرية البودشيشية في تاغجيرت ببني إزنان وفروعها في الأقاليم.

ي. ابن الزيات التادلي، التشوف، تح. أ. التوفيق، الدار البيضاء، 1984 : ع. الحق البادسي، المقصد الشريف، تح. سعيد أعراب، الرباط، 1982 : م. الحضرمي، السلسل العذب، تح. م. النجار، سلا، 1988 : أ. ابن قنفذ، أنس الفقير، تح. م. الفاسي وأ. فور، الرباط، 1965 : م. الأنصاري، اختصار الأخبار، الرباط، 1983 : إ. ابن الحاج النميري، فيض العباب، تح. م. ابن شقرون، د. ت. ولا مكان الطبع : م. ابن بطوطة، تحفة النظار، القاهرة، 1287 : م. ابن مرزوق الخطيب، المسند الصحيح الحسن، تح. م. خ فيغرا، الجزائر، 1981 : ل. ابن الخطيب، الإحاطة، تح. عبد الله عنان، القاهرة، 1973 : ع. الكبير الكتاني، روض الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية، مخطوط : م. ابن علي الدكالي، الإنحاف الوجيز، تعليق مصطفى بوشعراء، ط 2، الرباط، 1996 : ج. الناصري، ابن الخطيب في سلا، سلا، 1988؛ دائرة المعارف الإسلامية، تر. أ. الشنتواني وآخرين، القاهرة، 1933 : م. حجي، الزاوية الدلائية، ط 2، الدار البيضاء، 1988.

محمد حجي

زاوية سبتة أنشأها السلطان المريني أبو عنان (748 - 758 / 1348 - 1358). وقد تم تشييدها في إطار برنامج رسمي تضمن إنشاء سلسلة من الزوايا في عدد من مدن

يرجع الأصل في التسمية بزواية الشيخ، نسبة إلى الشيخ أحمد بن ناصر التامگروتي، الذي يوجد ضريحه بحي الزاوية القديمة، ويرجع الفضل لهذا الشيخ في تأسيس فرع الزاوية الناصرية بهذه المنطقة. وامتد نفوذ الزاوية وإشعاعها خلال قرون متتالية على كل بلاد تادالا والأطلس المتوسط ومنطقة وريغة. وكان يقصدها حفظة القرآن والتعاليم الدينية والشرعية من كل ناحية وصوب. ويقع المركز الحضري لزواية الشيخ عند التقاء النقطة الكيلومترية (ط. 418 كلم - ع. 224 كلم) على الطريق الرئيسية رقم 24 الرابطة بين فاس ومراكش ويبعد عن عاصمة تادالا (بني ملال) بحوالي 50 كلم في اتجاه بلاد زيان.



ويعرف سكان المركز بانتمائهم لقبائل "أيت أم البخت"، المتفرعة عن اتحادية أيت أسري، هؤلاء السكان استوطنوا المنطقة من زمن بعيد، منحدرين إليها من جنوب المغرب. واستقر أيضا بهذه الزاوية إلى جانب الشيخ أحمد بن ناصر، عدة أولياء، من بينهم خلفاء الزاوية الدلائية عبد الرحمن بوزيان.

لقد شجع المولى إسماعيل ظهور هذه الزاوية، للمحد من نفوذ الزاوية الشراقوية. فأصبحت تنتمي إلى اتحادية أيت الربيع التادلوية، وأنيطت بها مهمة مراقبة تحركات بعض القبائل المجاورة والمتمردة خاصة أيت ويرة وزيان. وأصبحت تكتسب بذلك تنظيما وخصوصية أقرب إلى الزوايا منه إلى المدن التقليدية. وعلى الرغم من وجود هذه المؤسسة

المغرب آنذاك. بنيت هذه الزاوية خارج باب فاس أحد أبواب أفراگ (المعلمة، 2: 547) وقد أنشئت بغرض إطعام المارة من المسافرين وضمان المبيت للتجار ولغيرهم من الغرباء الذين يتعذر عليهم ولوج المدينة حينما تغلق أبوابها عقب مغيب الشمس.

لم تكن تختلف هذه الزاوية من حيث الهندسة المعمارية وجمال الصنعة عن باقي الزوايا التي شيدها نفس السلطان في عدد من مدن المغرب وراء أسوار الحواضر. يحدثنا الأنصاري على أنها كانت مليحة البناء كثيرة الزخرفة والتنميق قائمة على مساحة واسعة وبها مساكن متعددة منها قاعة للصلاة وغرف للمبيت. وقد تميزت هذه الزاوية بصومعتها التي اعتبرت من أبداع الصوامع في سبتة من حيث جمال الصنعة والدقة في البناء. والملاحظ أنه إلى حدود زمن كتابة الأنصاري لمؤلفه أو بالأحرى حدود سنة 1415 / 818 تاريخ الاحتلال البرتغالي للمدينة لم تكن بناية هذه الصومعة قد خلصت بعد (اختصار، 32).

م. الأنصاري، اختصار الأخبار عما كان بشعر سبتة من سني الآثار، ط. الثانية، الرباط، 1403 / 1983؛ معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1410 / 1989، المجلد الثاني.

زليخة بترمضان

زاوية الشيخ (مركز)، يدخل المجال التضاريسي الذي يمتد فوقه مركز زاوية الشيخ، في النهاية الشمالية الشرقية لحوض تادالا البليورباغي، المعروف بسهل تادالا. وتتميز الجماعة التي ينتمي إليها هذا المركز بالخصائص التالية :

1. سطح شبه منبسط وخفيف الانحدار في الوسط، وشديد التضرس عند الأطراف الشمالية والجنوبية.
2. موقعها عند التقاء وحدات مورفولوجية مختلفة.

الأطلس المتوسط الذي يشرف من الجنوب بأعراف ذات قمم منحوتة في صخور كلسية لياسية أساسا.

هضبة الفوسفاط التي تمتد في الشمال، كلسية كريتاسية، تعطي سطوح متدرجة نحو الجنوب وشديدة التقطع.

المنخفض الجنوبي الشرقي للهضبة الوسطى في الشرق والشمال الشرقي، حيث نجد تدرج حادورات مشكلة في صخور القاعدة القديمة.

ويسود بالمنطقة مناخ شبه جاف ذو شتاء بارد نسبيا، ارتباطا بالحرارات المرتفعة والتي تزيد معدلاتها عن 40 درجة، وكمية التساقطات لا تتعدى بها 500 ملم.

ويحد مجال انتماء منطقة زاوية الشيخ : من الشمال كهف النسور الذي يدخل ضمن إقليم اخريگة، ومن الشرق زاوية إسحاق التابعة لإقليم خنيفرة، ومن الغرب سمگت ومن الجنوب والجنوب الشرقي القصبية وتيزي نيسلي.

الوظيفية. فإن ذلك لم يمنع من وجود بعض الوظائف الأخرى المعروفة في مجالات مختلفة.

عرف المركز تمدنا ضعيفا خلال مرحلة ما قبل الحماية تجسد على مستويين :

1 - على مستوى المورفولوجيا :

- السور الذي يحيط بالزاوية وتوفر أبواب تغلق ليلا
- هناك دروب مستقلة بعضها عن بعض، واحتضانها في نفس الوقت للعديد من الأنشطة.

- تمحور تنظيم الزاوية على بيت أحد أحفاد الناصريين على عكس الكثير من المدن التقليدية، حيث كان التنظيم متمركزا حول المسجد الكبير.

2 - على المستوى الاجتماعي :

- هناك فصل بين أهل الزاوية والأسر النبيلة وخدم الزاوية.

- تتوفر الزاوية على نظام تعليمي هام، حيث كانت تحتضن العديد من الطلبة الذين يدعون "مُسَافِرِينَ" وكانت هناك ملاحق في كل من أدشر الواد وأوعبيد الله.

- توفر نظام لحراسة الزاوية تقوم به الأسر بالتناوب.

كان النفوذ الديني خلال هذه الفترة حاضرا في زاوية الشيخ، ولو أنه كان يتوفر في بعض الاتجاهات، خاصة عندما يصطدم بقوى رادعة أو نفوذ زاوية منافسة (أبي الجعد). لكن على مستوى الاستقطاب، فمن المؤكد وجود ارتباط وثيق بينها وبين الزاوية الناصرية في الجنوب على المستوى الاقتصادي، حيث كانت الزاوية ترسل فائض إنتاجها إلى الزاوية الأم.

ويحكم الموقع الاستراتيجي للزاوية على الطريق الرئيسية الرابطة بين العاصمتين التاريخيتين فاس ومراكش، أخذت تستقبل بعض المهاجرين خلال فترة الحماية، فظهرت بها بعض الأحياء من أهمها حي المطالب. وتراجع خلال هذه الفترة نفوذ الزاوية الديني مع غياب لدورها الإداري.

وظهر تقسيم إداري جديد مع فترة الاستقلال، فأصبحت زاوية الشيخ تخضع لنفوذ العاصمة الإقليمية بني ملال وظهرت بسهل تادلا مراكز جديدة بالقطاع المسقي في الوقت الذي تحولت الأنظار عن هذا المركز القديم. وعلى الرغم من ذلك عرفت الزاوية توسعا ملحوظا، ارتبط بسنوات الجفاف التي عرفها المغرب ككل في بداية الثمانينات.

ارتفعت خلال هذه الفترة نسبة البناء من 25٪ سنة 1971 إلى 75٪ في سنة 1995. كما انتقل متوسط الغرف بالمسكن من 1.8 إلى 2.6. كما ازداد مستوى الارتباط بين متغيرتي حجم الأسرة وحجم المسكن من 0.22 سنة 1971 إلى 0.62 سنة 1990.

وتحسنت وضعية التجهيز بالكهرباء والماء الصالح

للشرب داخل المركز. إذ نجد حوالي 95٪ من المسكن مزودة بماء الأنابيب، بعدما كانت منعدمة سنة 1971.

ويرجع تطور هذه النسبة إلى انخفاض كلفة التجهيز بالمركز، ارتباطا بعدم وجود الوكالة المستقلة للماء والكهرباء. لكن لا يعني هذا أن هناك تغطية شاملة لكل الأحياء.

ويلاحظ أن أحجام الأسر، لا تتعد عن المعدلات الوطنية، إذ انتقل متوسط حجم الأسر بين 1971 و1990 من 4.2 إلى 5.2.

غير أن نسبة الأمية جد مرتفعة بهذا المركز، رغم الدور الديني الذي لعبه فترة تاريخية طويلة، ووصلت نسبتها مع بداية التسعينات حوالي 53٪.

وتوجد علاقة وطيدة بين المهن الممارسة من طرف السكان النشيطين وحجم سكان المركز.

لقد بلغ عدد سكان المركز سنة 1990 حوالي 17100 نسمة، بلغت نسبة العاملين منها في قطاع الوظيفة العمومية 11.4٪ وهي نسبة منخفضة بالمقارنة مع المراكز المجاورة.

وعلى العموم فإن العاملين في قطاع الجندية والمباومين يشكلون نسبة تزيد عن 54٪ من مجموع النشيطين المشتغلين.

يرجع ضعف هاته الأنشطة وعدم قدرتها على تقديم ربح إضافي يساهم في سرعة تحول مجال المركز إلى أن فترة أواخر الثمانينيات شكلت أنشطة التجارة 51٪ داخل المركز من مجموع الأنشطة، تحتل فيها تجارة المواد الغذائية نسبة قد تصل إلى 70٪.

أما على مستوى التوزيع فمركز زاوية الشيخ لا زال لم يتعد مستوى المركز الوحيد والمتمثل في بويمجان. وبالتالي فإن نفوذ المركز يمتد على تراب دائرته. يعني أن مركز زاوية الشيخ يعد بمثابة مركز محلي النفوذ.

ويمكن للمركز أن يلعب دورا اقتصاديا طلائعيا في المستقبل بحكم احتضانه لسد أدشر الواد على واد أم الربيع، والذي سيزود قسما كبيرا من قطاع بني عمير بمياه الري.

م. ميوسي، الجهاز الحضري بتادلا، مراكز قديمة في تحول، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، الرباط، 1990.

R. Peyronnet, *Tadla, pays Zaïun, Moyen Atlas, Alger*, 1932.

عبد الرحيم بنعلي

ابن زايد، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Benecid ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان، مع الإشارة إلى أنه إلى غاية سنة 1257 (1841) كانت توجد دار بحومة الطرانكات تحمل اسم دار ابن زايد.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية الأجنبية التي ذكرها في الرقم 252.

محمد بن عزوز حكيم

وعند قرب اندلاع المقاومة بجبل صاغرو خلال ربيع 1933 كان زايد أحماد على اتصال بأخ قائد المقاومة بصاغر والمدعو "باسو وسلام" وأمه بالأسلحة التي غنمها في المعارك السابقة.

كما شارك في معارك كردوس إلى جانب "أوسكونتي" أو "طرمون" "علي عرجي" في بداية صيف 1933 وجرح فيها بعدما فقد زوجته التي قتلت بفعل الغارات الجوية على المنطقة فرجع إلى مسقط رأسه "إقدمان" مكسور الخاطر. ومن باب منزله بقصر "إقدمان" المشرف على وادي أيت هاني" كان يتربص ويلاحظ بمرارة شديدة تحركات الجيوش الاستعمارية وهي تدوس بألياتها وتجهيزاتها الحقول الضيقة التي تشكل المصدر الوحيد للعيش بالنسبة للفلاحين الفقراء. وفي هذه الأثناء كانت النساء يرددن أشعاراً تعبر عن هذه الانتكاسة ومن ذلك :

أييمصبرين أوراوان إيشي النبي يادُ أمور إدى النبي
توارينيس إمان ديمزورا نقيم إمگوراً إ بوليس" د "بولاً"
وهو ما معناه :

- يا معشر المستسلمين لكم لم تعودوا تحت حماية النبي، لقد ذهب النبي وذهبت بركاته مع الأولين والأجداد وبقينا نحن في هذا الزمن الرديء المتأخر تحت رحمة بوليس وبولا (المقصود هنا ب بوليس هو Dupleisseis وبولا هو Paulin) وهما من أشد ضباط الشؤون الأهلية في المنطقة فتكا بالسكان.

وقد ساهمت هذه الوضعية في تأجيج الروح الوطنية في "زايد أحماد" وما كاد يتماثل للشفاء حتى التحق بزواية "سيدي بوعقوب" بأسول وذلك قصد الاستماع للفقهاء والمريدين لكسب شحنة معنوية. وقد احتضنت زاوية "أسول" جهاده وشجعت على المضي في خطته الجهادية.

وكان يردد من حين لآخر أنه ينبغي الاستمرار في الجهاد والمقاومة" وتم إخبار ضابط الشؤون الأهلية بأقواله ونواياه. وقد استغل هذا الأخير وجود "زايد أحماد" في ورش لشق الطريق لإهانته وذلك بصفعه أمام المأ وتزويق ملاسبه. إلا أن المقاوم كتم غيظه بضعة أيام، وإختفى عن الانظار بعدما طلب رخصة للتنقل والسفر نحو سهل الغرب قصد العمل. وقد التجأ إلى هذه الرخصة من أجل التمويه. ومنذ ذلك الحين دخل "زايد أحماد" في مرحلة المقاومة على شكل "حرب للعصابات" ومباغته الاستعمار في أماكن مختلفة. وامتدت من 1934 إلى 1936. وبين الجدول الآتي أهم العمليات التي قام بها "زايد أحماد" خلال هذه الحقبة :

- 11 / 6 / 1934 : وضع كمين للملازم Gramaulh "كرماي" بأعالي نهر تدغة قرب "تامنتوش" (مقتل جنديين من الليف الأجنبي)
- 26 / 6 / 1934 : سقوط الملازم فيليبون في كمين وضعه زايد أحماد بتانا قرب أسول (مقتل الضابط فيليبون

زايد أُوحماد ، مقاوم لمع اسمه ما بين 1934 و1936

في الناحية الوسطى للأطلس الكبير والواحات المجاورة لها. وذلك عبر مسافات شاسعة تمتد من أعالي نهر زيز وغريس وتدغة إلى واحات تافيلالت وتدغة وغريس وفركلة ودادس ودرعة بحيث لمع اسمه في هذه المناطق بسبب عملياته البطولية ضد جيوش الاحتلال التي أصيبت بالرعب والهلع لدرجة أن الذاكرة الشعبية نسبت إليه الخوارق.

يكنى "زايد أُوحماد" ب "أوماخداش" نسبة إلى عائلة "آيت ماخداش". وهو من مواليد إحدى السنوات الخمس الأخيرة من القرن الثالث عشر (19 م) وذلك بقصر "إقدمان" التابع لمركز "آيت هاني" على مقربة من منابع نهر زيز. وينتمي إلى قبيلة آيت مرغاد المنتمية إلى كونفدرالية قبائل آيت يافلما. ويقال أن أمه عطاوية (آيت عطا) لهذا يلقب "ريبب آيت عطا" ولاشك أن هذا الانتساب مكّنه من ربط علاقات مع آيت عطا بتدغة السفلى استغلها في جهاده لاحقاً.

وقد كسب "زايد أُوحماد" خصالاً حربية جيدة وقوة جسمانية خارقة وذلك بسبب تعاطيه في السنوات الأولى من شبابه للرعي والسير وراء الماشية عبر مسافات شاسعة بل بالإضافة إلى تعاطيه للصيد في براري وجبال المنطقة وشارك قبل دخول الجيوش الاستعمارية إلى المنطقة في مغامرات لقطع الطريق أمام المارة.

ومع دخول جيوش الأكلواي إلى تدغة في أواخر 1918 بوصفه عميلاً للاستعمار الفرنسي ؛ عرفت المنطقة حالة استنفار قصوى لمواجهة الأكلواي الذي يمثل رأس جسر للاحتلال الفرنسي. وهكذا استنجد سكان تدغة بالمحاربين من "آيات مرغاد" وآيت حديدو" وذلك لتنظيم المقاومة ضد "الأكلواي" وعملائه في المنطقة، وقد كان "زايد أُوحماد" من المجاهدين الذين لبوا نداء المقاومة وشارك في توجيه ضربات للجيوش الاكلواية، وفي تقليص نفوذ خليفته الذي لم يعد في حدود 1930 يتعدى أسوار القصبة، مما جعله يستغيث بالجيوش الفرنسية لاحتلال تدغة سنة 1931. كما شارك "زايد أُوحماد" في عدد من المعارك ضد الجيوش الاستعمارية المغيرة ومن أهمها مشاركته إلى جانب البطل "زايد أوسكونتي" في المجابهة المسلحة ضد قافلة عسكرية إستعمارية يوم 25 أكتوبر 1932 "بأقا نيوتفاريست" في أعالي نهر زيز وقتل على إثر هذه المعركة الضابط Guyétand "كايتون" بالإضافة إلى عدد كبير من الجنود الاستعماريين.

Philippon وإحراق سيارة جيب وغنم زائد أوحاماد سلاحه وذخيرته)

19 غشت 1934 : مهاجمة قافلة لفرقة الاتصال بمضيق تدغة (دور، نتائج) في تب عن، فشل العملية أن تم تنصيب كمين مماثل للمقاوم زائد أوحاماد نجا منه بأعجوبة وذلك يوم 1934/8/30

10/10/1934 : عملية ضد شاحنة قرب وين إوليون Ouin Iwaloune بين الراشدية وگلميمة (مقتل السائق وفرار الركاب وهم مغاربة)

01/12/1934 : عملية بمضيق تدغة (مقتل جنديين استعماريين)

27/01/1935 : عملية بين آيت هاني وتنغير (مقتل ضابط الصف Tristani تريستاني)

01/06/1935 : عملية قرب مركز إيميلشيل (مقتل الملازم فرومانتان Fromentin)

22 غشت 1935 : عملية بأيت هاني (مقتل عميل هو شيخ آيت الربان)

09/10/1935 : مهاجمة موكب أحد الأغنياء قرب أسول لتسوين المقاومة (السيطرة على ثروة تبلغ 120 دورو)

16/11/1935 : مهاجمة سيارة أحد رجال الأعمال يدعى بوركوان (نجا ممثل شركة Cie Vaccum بأعجوبة)

16/11/1935 : عملية ضد الكوم السابع باغبالو تكدروس (مقتل 6 جنود وغنم الأسلحة)

30/12/1935 : عملية ضد حانة بتنغير (مقتل 3 جنود من اللفيف وجرح اليهودي صاحب الحانة ومخزني مغربي)

05/03/1936 : مهاجمة زائد أوحاماد بتدغة (مقتل زائد أوحاماد ورفاقه الثلاثة بالإضافة إلى مقتل 3 جنود فرنسيين)

وقد بلغت خسائر الجيش الاستعماري من جراء عمليات "زائد أوحاماد" المختلفة حسب الملازم هنريس رئيس دائرة أسول ما يلي :

2 ضباط 1 ضابط صف 5 جنود اللفيف الأجنبي 3 شيوخ 23 من المخازنية وهو ما مجموعة 34 قتيلا"

في حين يرى ذ. الكتاني سيدي محمد : "أن القوات الفرنسية خسرت من جراء مقاومة زائد أوحاماد لها : ستة وأربعين قتيلا من بين الكوم والمخازنية وضباطين فرنسيين وشيخ "آيت أرتان" امبارك أو عسلام" مع مساعده موحى سكي، كما قتل "زائد أوحاماد" شخصاً من قصر آيت بوجان (تنغير) خطأ ويدعى خوجمان" وقد استمد هذه الاحصائيات من الروايات الشفوية المختلفة. وجدير بالذكر أن مقاومة "زائد أوحاماد" كانت تتمتع بتأييد شعبي واسع النطاق ولولا ذلك لما أمكن لحركته هذه، أن توجه ضربات موجعة لجيوش الاحتلال وهذا التأييد هو الذي جعله يتحرك بسرعة عبر

مسافات شاسعة ونقط متباعدة. إذ كان يجد في كل مكان يحل به المأوى والغذاء بالإضافة إلى معلومات عن تحركات الجيش الاستعماري في إطار البحث عنه. كما تجدر الإشارة أيضاً إلى: زائد أوحاماد لم يكن يتحرك ملغزه بل أنه سندا الوهلة التقى برفقيه : "موحا وحمو" و "مبارك أوتاراروت" وقد شاركاه في أغلب العمليات التي نفذها، وإذا كان "مبارك أوتاراروت" قد انسحب من الحركة لأسباب عائلية الشيء الذي فتح ثغرة في حركة زائد أوحاماد فإن "موحا وحمو" على العكس من ذلك استمر في المقاومة إلى جانب رقيقه وظل يحمل مشعل الحرية بيدتين قويتين ولم تهن عزيمته إلى أن استشهد هو و"زائد أوحاماد" و "موحا احسو" الذي استقبلهما في منزله بتدافالت بتدغة السفلى.

لقد كان "زائد أوحاماد" يدرك أن مصيره قد حدد وأنه لن يلتقي بالجنود الاستعماريين إلا ميتاً. وغالباً ما كان يردد اشعاراً تدل على إصراره وعناده واستمراره في النضال إلى آخر نفس من حياته.

وإذا كانت مقاومة "زائد أوحاماد" محدودة في الزمن والمكان كغيرها من المقاومات العفوية التي واجهت الاستعمار في المغرب فإنها مع ذلك لقتت الدروس للاستعمار : إذ تمكن فلاح فقير سلاحه الوحيد روحه الوطنية من إلحاق خسائر بهذه الجيوش بحيث تم استنفار قوات تابعة لثلاث مناطق عسكرية لمدة سنتين وهي قوات مكناس وتادالا ومراكش. وفشلت هذه القوات في إلقاء القبض عليه. ولولا الحياينة والوشاية لما تمكنت هذه القوات الضخمة من القضاء عليه يوم ثاني عيد الأضحى، 11 ذي الحجة عام 1354 / 5 مارس 1936.

م. الكتاني، زائد أوحاماد ومقاومين للاحتلال الفرنسي في جنوب الأطلس الكبير الشرقي من 1934 / 1935 إلى 1936/ 1936، مجلة تاريخ المغرب، العدد 5 نونبر 1994، ص. 101 - 135 : م. المعزوزي هاشم بن الحسن العابدي العلوي، الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900 إلى 1935، الرباط، 1987.

Jean Saulay, *Les Goums marocains*, Tome I, Paris, 1981 ; Le Capitaine Henrys, *Zaid ou Hammad rapport sur les opérations de 1934 à 1936* ; Le Caïd Brahim Srijj, *Le jihad de Goulmima au Jbel Baddou*, 1987 ; Moha Khettouch, *Zaid ou Hmad, Lamalif n° 128* septembre 1981, p. 50 - 53 ; Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, p. 446.

عبد القادر بوراس

الزكّير، أو ابن زاير أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Azair : وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع في الرقمين 253 - 757.

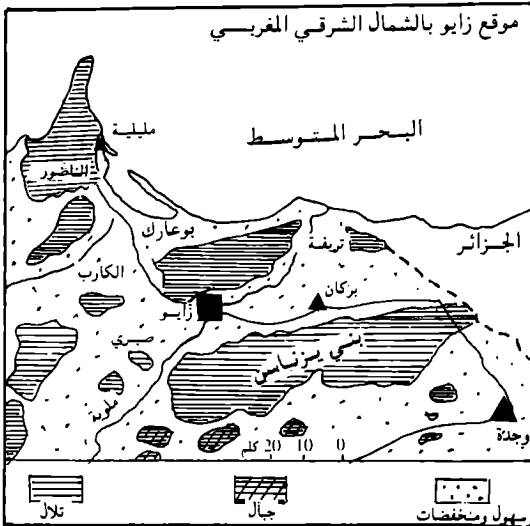
محمد بن عزوز حكيم

زايرجة أبي العباس السبتي دفين مراكش
 زايرجة سهل بن عبد الله
 زايرجة عمر بن أحمد بن علي الخطاني
 الزايرجة الشيبانية
 الزايرجة الهروية

ع. ابن خلدون، المقدمة، المجلد 1، ص. 907، ط. 3 : طاش كبرى
 زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، المجلد 2، ص. 549 :
 محمد حسين الأعلمي الحائري، دائرة المعارف الشيعية العامة، 10
 / 159 : فريد وجدي، دائرة معارف الشعب، 4 : 514 : البستاني،
 دائرة المعارف، 9 : 163 : حاجي خليفة، كشف الظنون، 2 : 947 :
 ح. الوزان، وصف إفريقيا، ط. 2، بيروت، 1983.

أحمد متفكر

زايسو، مركز حضري حديث النشأة، يسكنه 25.920 نسمة، مقر بلدية، ينتمي إداريا لإقليم الناظور، يقع في الشمال الشرقي المغربي على الطريق الوطنية الرابطة بين وجدة والناظور، في القدم الجنوبي الغربي لجبال كبدانة مشرفا على سهل صبري. يرتبط ظهور المركز بالفترة الاستعمارية الإسبانية حيث عملت السلطات على إنشاء ثكنة عسكرية سنة 1911 قرب ضريح سيدي عثمان بزايو لتحيط بجبال كبدانة وتراقب القبائل المجاورة وخاصة أولاد ستوت، ولكي تجعل من واد ملوية الحدود الفعلية للاستعمار الفرنسي. وقد ظل المركز متواضعا إلى حدود الستينيات إذ لم يتجاوز عدد سكانه 1.500 نسمة، لكن مع السبعينيات وإنجاز سد محمد الخامس ومشروع حمادي، وفتح ما يقارب من 30 ألف هكتار للري بالضفة اليسرى لواد ملوية، عرف المركز انطلاقته السكانية، فاستفاد سهل صبري من سقي 8.000 هكتار خصصت منها مساحة 3.400 هـ للشمندر و500 هـ لقصب السكر، وتطورت الزراعات العلفية، وروفق هذا المشروع الفلاحي بإنجاز



الزايرجة، ضرب من التنجيم مبني على أسرار الحروف في الدلالة على المستقبل، وقد كان لهذا العلم شأن خطير عند علماء العرب. وعقد ابن خلدون فصلا مطولاً في الجزء الأول من المقدمة عن كيفية استخراج أجوية المسائل بهذا العلم. يقول : "... من القوانين الصناعية لا استخراج الغيوب فيما يزعمون (بزايرجة العالم) المعزاة إلى أبي العباس السبتي من أعلام المتصوفة بالمغرب. وهي غريبة العمل صناعة، وصورتها التي يقع العمل عندهم فيها دائرة عظيمة، في داخلها دوائر متوازية للأفلاك والعناصر والمكونات الروحانية وغير ذلك من أصناف الكائنات والعلوم، وكل دائرة مقسمة بأقسام فللكها. إما البروج، وإما العناصر أو غيرها. وخطوط كل قسم مارة إلى المركز، ويسمونها الأوتار وعلى وتر حروف متتابعة موضوعة، منها برشوم الزمام التي هي أشكال الأعداد عند أهل الدواوين والحساب بالمغرب، ومنها برشوم الغبار المتعارفة في داخل الزايرجة. وبين الدوائر أسماء العلوم ومواضع الأكوان، وعلى ظاهر الدوائر جدول متكرر البيوت المتقاطعة طولاً وعرضاً يشتمل على 55 بيتاً في العرض، و31 في الطول، منه جوانب معمورة البيوت تارة بالعدد، وأخرى بالحروف، وجوانب خالية البيوت..."

وقد استمر ابن خلدون يصف بتفصيل عمليات ملء دائرة الزايرجة لاستخراج الجواب عن السؤال المطروح، لكنه حكم في الأخير بطلانها قائلاً : "وقد رأينا كثيراً من الخواص يتهافتون على استخراج الغيب منها بتلك الأعمال، ويحسبون أن ما وقع من مطابقة الواقع، وليس ذلك بصحيح، لأن الغيب لا يدرك بأمر صناعي البتة، وإنما المطابقة التي بين الجواب والسؤال من حيث الأفهام والتوافق في الخطاب حتى يكون الجواب مستقيماً أو موافقاً للسؤال".

وذكر الحسن الوزان في وصف إفريقيا (1 : 264. 266)، وهو يتحدث عن السحرة بفاس، قاعدة الزايرجة أي مخاطبة الأرواح، "لا يريطون عملياتهم بنصوص بل يعتبرونها جزءاً من العلوم الطبيعية... غير أن القواعد الزايرجية متناهية الصعوبة، ويجب أن يكون المرء منجماً ممتازاً ورياضياً ليعرف طريقة استعمالها... ولقد شاهدت عملية زايرجة في صحن المدرسة البوعنانية بفاس وهذا الصحن مبلط بالرخام الأبيض الرقيق الناعم طوله من كل جانب خمسون ذراعاً. وقد استعمل لثلاث الصحن في كل ما تطلبته الكتابة على رسم الزايرجة وقام بتخطيطها ثلاثة أشخاص عمل كل واحد منهم في جزء منها، ومع ذلك تطلب العمل يوماً كاملاً لإنجازه. وشاهدت زايرجة أخرى في تونس قام بها أستاذ ماهر شرح أبوه قواعد هذه العملية في ثلاثة مجلدات...".
 ومن الكتب المصنفة في هذا الفن فهي :

معمل لتكرير السكر بزايو، فكان هذا من وراء نمو ساكنة المدينة، وقد تجاوز إيقاعه خلال السبعينيات 13٪ سنويا، وهي من أعلى النسب على المستوى الوطني.

ويعتبر السهل العنصر الأساسي وراء هذا النمو، فقد بقي إلى فترة قريبة مجالا للصراع بين القبائل، وظل رغم الفترة الاستعمارية دون تطور يذكر بسبب سلطة أحد القواد على السهل، إضافة إلى تردد السلطات الإسبانية وموقفها من الحدود مع فرنسا، فقد ظل مجالا للرعي والزراعات البورية، موضوع نزاع قضائي بين السكان والقائد منذ الثلاثينيات، ولم تستطع السلطة البت في القضية إلا في أواخر الستينيات مع انطلاق مشروع السقي.

وعلى إثر ترقية المركز إلى مقر لدائرة لوطا وانطلاق الإنتاج، أصبح للمركز إشعاع جهوي، يقوم بتحويل 231.000 طن من الشمندر 30.000 طن من قصب السكر، وبذلك عمل على خلق فرص للعمل في النشاط الفلاحي وعمل على استخدام بطريقة مباشرة 300 عامل دائم وما يناهز 200 عامل موسمي إضافة إلى الأنشطة المرتبطة به بطريقة غير مباشرة مثل الجمع والنقل والتوزيع حيث يعمل على تحريك ما يزيد عن 100 شاحنة. وساهم في خلق عدة مؤسسات صغرى ومتوسطة بالجهة تقوم بتحويل وتصيير المواد الفلاحية.

وقد أثر هذا على توسع المدينة الجغرافي، وفي غياب وثيقة تصميم التهيئة، تم تطور المدينة الجديد بعيدا عن النواة مما جعل بنية المدينة ونسيجها متلاشين، وهذا ما حدا بالسلطة إلى محاولة جمع شتات المدينة بأعداد هذا المجال الفارغ وفتحته للبناء وربط النواة بالأحياء الجديدة، وقد شهد النمو السكاني التطور التالي :

السنة	عدد السكان	نسبة النمو السنوي
1960	1.569	7,5
1971	3.468	13,9
1982	14.559	13,9
1994	25.920	4,9

يوضح الجدول وتيرة النمو وسرعته خاصة مع عقد السبعينيات والتي تعزى إلى ما خلفه المعمل من نشاط، إضافة إلى الدور الذي تلعبه الهجرة الدولية بالمركز، وهذا ما جعل المركز يقفز إلى 25.000 نسمة، ويغذي النمو بالأساس الهجرة الريفية وخاصة من القبائل المجاورة مثل أولاد ستوت ومن جبال كبدانة. وعند فحص أصول أرباب الأسر نجد أن إشعاع المركز محلي يظفي عليه المولدون خارجه، نجد 73,4٪ وأقدين من الريف و11,6٪ ولدوا بعين

المكان، أما الذين وفدوا من المدن فيشكلون 15,0٪ مما يميز الطابع الريفي للمركز وينعكس على عناصره الأخرى مثل متوسط أفراد الأسرة 5,4 الذي يزيد على المتوسط الوطني وعلى المستوى الثقافي حيث تصل نسبة الأميين لدى هؤلاء 51,3٪.

وتتشكل الهجرة أساسا من العناصر الريفية المجاورة للمدينة مثل أولاد ستوت وكبدانة، فيمثل المولدون بجبال كبدانة 22,4٪ من مجموع أرباب الأسر، يليهم أولاد ستوت 21,0٪ مما يبين قوة الجذب التي يمارسها المركز على المجال المجاور في حين يتقلص إشعاعه أمام قوة بركان من الجنوب والناحور من الشمال. أما عن أنشطة السكان، فنجد النشاط الإنتاجي من فلاحية وصناعة وبناء يشغل 46,5٪ يليه القطاع التجاري 19,0٪ ثم الخدمات بـ 14,0٪، في حين يشغل قطاع النقل والاتصال 12,0٪، وأخيرا الوظيفة العمومية 8,5٪. فالنشاط الإنتاجي يعطيها ميزة خاصة داخل التراب الجهوي. ورغم تنوع أنشطة السكان، تظل نسبة البطالة من أعلى النسب على الصعيد الوطني بـ 32,4٪. ويعاني المركز من ضعف البنيات التحتية في مجال المواصلات دون أن يتوفر على محطة طرقية، وفي مجال السياحة دون فنادق، وفي المجال الصحي لا يتوفر سوى على مركز صحي وحيد.

تجريات ميدانية.

المصطفى اليزيدي

الزَيَّادِي، عبد المجيد بن علي بن محمد المنالي من الشرفاء الحسينيين الذين استقروا بإقليم سوس ردا من الزمن قبل أن يرتحل أسلافه إلى سلا ثم فاس التي هي مسقط رأسه ومركز دراسته وتخرجه بكبار علماء القرويين أمثال محمد بن قاسم جسوس ومحمد المناوي وأحمد الجرجاري فكان بيته بيت علم وصلاح، وكان هو واسطة عقده بعلمه وتصوفه وورعه وحسن سلوكه فقد انتسب إلى الطريقة العيساوية وأخذ الطريقة القاسمية على يد الشيخ أحمد السوسي دفين مراكش، فكان محبا للذكر وعقد حلقاته إلى درجة الوجد حيث ينشد أشعارا رمزية صوفية ولم يشغله هذا الانتماء الصوفي عن التضلع في مختلف العلوم التي برع فيها وأفاد طلابه بها فكان مثالا للعالم المتعدد المشاركة العلمية، فهو أديب ولغوي وعروضي وفقه وصوفي ونسابة. وتكشف رحلته الحجازية التي قام بها سنة 1159 على اهتمامه بملاقة العلماء واستجارتهم وتظهر سعة معلوماته وإلمامه بفهارس الشيوخ الذين تعرف عليهم وفي طليعتهم الشيخ أحمد بن مصطفى الصباغ الاسكندري الذي قال عنه : "له فهرسة كبيرة جامعة لمرويات كثيرة من أسانيد الكتب الحديثية والتفسير والقراءات والمسلسلات وكتب الفقه والتصوف والأحزاب وأسانيد طرق القوم..."

وعلاوة على هذا الاهتمام التربوي أعطى للتأليف

توفيت بفاس عام 1142 / 29 - 1730.

ع. المجيد الزبادي، كنانة، مخطوط : م. المتوني، مركز المصحف الشريف بالمغرب، دعوة الحق، عدد 3، السنة 11، يناير 1968، ص. 177 - 71.

محمد حجي

الزبّاخ، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الأحماس الجبلية، أنجبت عدداً من الفقهاء والمجاهدين منهم :

الزبّاخ، الطيب بن عبد الله كان يرأس جماعة مجاهدي قبيلة الأحماس، وانضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الرسوني، وعين عضواً بالمجلس الاستشاري للمقاومة في المؤتمر الذي انعقد بقرية عين الدالية يوم 11 ماي 1913، وحضر باقي المؤتمرات وشارك في خمس معارك.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الرسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب، الرباط، 418.

Capaz, Fernando, *Cabecillas ceber de Gomara*, 1940.

الزبّوج، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Xebuch وما زالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Acebuche وهو اسم مدينة إسبانية ومعناه شجرة زيتون بري ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية الأجنبية التي ذكرها في الرقم 758.

محمد ابن عزوز حكيم

الزبدة الحيوانية، مادة دهنية يستهلكها المغاربة منذ القديم يستخرجونها بمخض حليب البقر أو الغنم ونادراً الماعز، كما استخراجها المعمرون الأوربيون من القشدة التي تفصل عن الحليب الطازج بآلية خاصة.

وجدت بالمغرب منذ قرون باعتبارها أحد أهم المواد الدهنية المغذية بالإضافة إلى زيت الزيتون وأرگان والشحوم الحيوانية. كانت تستخرج من الحليب الطازج وذلك بتركه في أوان حتى يتخثر ثم يمحض في قربة من جلد الضأن تدعى الشكوة مدة تتراوح ما بين نصف ساعة إلى ساعتين تبعاً لظروف التخثر، فتفصل المادة الدهنية وتلتصم على شكل كويرات مكونة زبدة طازجة يميل لونها إلى الاصفرار المشرب بالحمرة. ويتحول بقايا الحليب إلى "لبن حامض". ثم

نصيباً من حياته فشارك الشعراء في نظم القريض خص به النبي عليه السلام في المديح والشوق إلى الديار المقدسة وتهنئة شيوخه عند ختم الكتب التي يدرسونها للطلاب، ولو جمعت قصائده لكونت ديواناً وأما مؤلفاته فهي :

الرحلة الحجازية المسماة بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام (مخطوط).

سلوك الطريق الوارية في الشيخ والمريد والزواية، مخطوط.

إنحاف المسكين الناسك ببيان المراحل والمناسك وهي رحلة دليلية منظومة في 127 بيتاً اقتدى فيها بالشيخ زين العابدين البكري ومحمد بن محمد المرابط الدلائي.

أرجوزة في فروع الشرفاء العمرانيين بفاس. شراب الصفا بالتوسل إلى أهل الاصطفا.

إفادة المراد بالتعريف بالشيخ ابن عباد وهو الفقيه الصوفي محمد بن إبراهيم بن عباد النفزي.

وتمتاز كتابته بالوضوح وانسجام الأسلوب والبعد عن التكلف. وأما تلميذه محمد بن الطيب القادري فقد شهد له بباعه الطويل في شتى العلوم وحلاه بقوله : "ومنهم شيخنا العلامة الصوفي اللغوي العروضي سيدي عبد المجيد المدعو بالزبادي الشريف..."

توفي بفاس في ثاني عشر شعبان عام 1163/17 يوليو 1750، ودفن قرب الشيخ دراس بن إسماعيل خارج باب الفتوح من عدوة الأندلس.

ع. المجيد الزبادي نفسه، الرحلة الحجازية، مخطوط : م. بن الطيب القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 6 : 2162. 2163. ل. بروفسال، مؤرخو الشرفاء، تعريف عبد القادر الخلافي : عبد السلام بنسودة، دليل مؤرخ المغرب، ج 2 : م. الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب في عهد الدولة العلوية : م. ماگامان، الرحلات المغربية في القرن 11 و12.

محمد ماگامان

الزبادي، محمد بن علي المنالي الحسني الفاسي شقيق عبد المجيد سابق الترجمة. كان عارفاً بعلوم القرآن، خطاطاً فناناً كتب بيمينه مصاحف كثيرة وغيرها كأخته فاطمة التي ستذكر بعده.

توفي بفاس عام 1209 / 94 - 1795.

ع. المجيد الزبادي، سلوك الطريق الوارية، الباب السادس، مخطوط : م. المتوني، تاريخ المصحف الشريف بالمغرب، دعوة الحق، ع. 4، السنة 22، يونيو - يوليو 1981.

الزبّادية، فاطمة بنت علي المنالية الحسنية الفاسية، أخت الشيخ عبد المجيد الزبادي سابق الترجمة. كانت صالحة مشاركة في علوم القرآن، خطاطة فنانة كتبت بيدها ما يزيد على خمسة وثلاثين مصحفاً.

تستهلك طازجة أو تعالج لتتحول إلى سمن. وكانت جل المواشي الحلوب تلد صغارها في فصل الربيع مستفيدة من توفر الأعشاب الطرية وينتج ضرعها الحليب بكميات إضافية، فيكثر الحليب في هذا الفصل وبالتالي الزبدة، فتحتفظ الأسر بقسم منها بإضافة الملح إليه إلى أن تتجمع لها الكمية المطلوبة، فتغلى على النار وتتحول إلى السمن وهو المادة الدهنية التي تختزن لاستهلاكها عند الحاجة طيلة السنة وبإضافة أعشاب وطرق معالجة خاصة، يحصل المغاربة على أنواع متعددة من الزبدة والسمن مثل السمن المر والسمن الحلو والسمن بودراع... تباع في المدن التقليدية في دكاكين خاصة يعرف بائعها بالبقال. وباستثناء الزبدة واللبن والجبن الطري الذي ينتج في بعض الأقاليم بالشمال خاصة، لم يكن المغاربة عارفين بطرق الحصول على أنواع الأجبان المصبرة المعروفة بأوروبا. وظلت الزبدة والسمن طعام النخبة والمناسبات العائلية لا يعم استهلاكها إلا في فصل ربيعي خصب.

لكن بدأ هذا الوضع يتغير في عهد الحماية بإدخال المعمرين الأوربيين لأساليب جديدة لإنتاج الزبدة أهمها آلة إنتاج القشدة Ecrimeuse تفصل الحليب عن القشدة بفعل تدويره في صفائح معدنية فتنفصل القشدة الأخف وزنا عن الحليب بفعل القوة الطاردة المركزية وتتدفق من أنبوب خاص. وتترك القشدة إلى أن تتخثر ثم تمخض في محضنة خاصة La Barate وهي أسطوانة خشبية تدور في وضع أفقي يدويا أو آليا، فتفصل جزيئات الزبدة عن ما بقي بها من حليب فتكاثف وتغسل بماء بارد لتعطي زبدة طازجة نقية موجهة إلى الأسواق العصرية غالبا. طبق ذلك على مستوى الضيعات الأوربية بأجهزة يدوية كما طبق بالمعامل الأولى لمعالجة الحليب بالمدن. وهكذا ظهرت زبدة جديدة تزايدت كمياتها المسوقة بأهم نطاقات الزراعة العصرية المسقية والمدن الكبرى كالدار البيضاء حيث ذاعت شهرة شركة الحليب المركزي. ومراكش : الحليب الجيد... لكن كميات الزبدة المنتجة محليا لا تلبى طلب السوق الوطني، مما دعى إلى استيراد الزبدة "الرومية" من دول أوربية طيلة عقود، تباع غالبا بثمن أقل من الزبدة المحلية، كما بدأ يزاحمها ظهور زبدة مصطنعة من الزيوت النباتية تعرف بالمارجرين، أشاع الأهالي عنها أنها مضرّة بالصحة، لكنها كانت واسعة الاستعمال في صناعة الحلويات والطبخ بالفنادق. لقد تزايد الطلب على الزبدة الحيوانية بعد الاستقلال مما دعى إلى استيرادها بكميات متزايدة، وقد استفاد المغرب من فائض الزبدة الأوربية خاصة الفرنسية التي كانت تصدر إليه بسعر مدعم، مما يجعل سعرها بالسوق منخفضا في متناول كل الشرائح الاجتماعية، إلا أن هذه السياسة أضرت بالإنتاج المحلي. ولم تتخذ السلطات إجراءات للحد من تدهور وضع الزبدة المغربية إلا بعد عقود، ففرضت ضرائب على الزبدة المستوردة لتشجيع الإنتاج المغربي الذي تكاثر خاصة من

طرف شركات معالجة الحليب بالمدن الكبرى والمتوسطة التي فاق عددها العشرين، لكن لا زالت شركة الحليب المركزي التي تمغربت وصارت في ملكية المجموعة الاقتصادية "أونا" مهيمنة على السوق الوطني بمعالجة وتسويق 65% من الحليب ومشتقاته بالمغرب.

عرف استهلاك الزبدة في بداية الثمانينات ظاهرة اجتماعية جديدة هي التقليل أو التخلي التدريجي عن استهلاك الزبدة الحيوانية بسبب ما شاع عن مضاعفاتها السلبية على المرضى بالكولسترول وأمراض القلب والضغط، فتزايد الاتجاه إلى استهلاك الزبدة المصطنعة من الزيوت النباتية خاصة زيوت الصوجا المستوردة من الولايات المتحدة والتي عمت السوق المغربي، وتقوى هذا الاختيار في عقد التسعينات، فلم تحل سنة 2000 حتى صار يعرض بالأسواق الممتازة ودكاكين الأحياء عشرات الماركات من الزبدة النباتية، فشاع استعمالها واشتد الإقبال عليها في جميع الأوساط الاجتماعية بسبب وفرتها وانخفاض سعرها الذي لا يتجاوز 20 دهم / كلف، وأبعدت الزبدة الحيوانية إلى الهامش فصار المعلمون التقليديون يحولون قسما متزايدا منها إلى أنواع من السمن الجيد الذي يباع بضعف ثمن الزبدة الأصلية و4 - 5 أضعاف ثمن الزبدة النباتية.

وهكذا تراجعت أو اختلفت الزبدة الحيوانية من بين واردات المغرب، بينما تزايد استيراد الزيوت النباتية، إذ بلغ وزنها 242000 طن سنة 1998 وثمانها 1489 مليون دهم، بالإضافة إلى 283000 طن من الحبوب والمنتجات الزيتية الحام ثمنها 773 مليون دهم.

بحوث ميدانية ومعلومات من أصحاب الحرف : المغرب في أرقام، نشرة إحصائية لقسم التخطيط بالرباط 1999.

أحمد هوزالي

الزبدة النباتية ← مرجرين

الزبدى، أسرة رباطية واسمها الحقيقي الزبيدي وأصلها من الشرق العربي من مكان يقال له عين زبيدة (زوجة هارون الرشيد). وأول من عرف في التاريخ باسم الزبيدي أبو بكر بن الحسن الزبيدي صاحب تأليف طبقات النحويين واللغويين، المتوفى سنة 379 هج. وربما هاجرت أسرة الزبيدي إلى الغرب الإسلامي ضمن من هاجروا إلى الأندلس بعد أن أصبحت مقراً للممالك الإسلامية. وبعد عدة قرون هاجرت إلى المغرب ضمن الأسر الأندلسية النازحة من الأندلس سنة 1609 حيث استقرت مشيبتها من أسر الأندلسيين المهاجرين بمدينة الرباط التي عرفت إحياء

وقاضي القضاة بمكة المكرمة عبد الله بن حسن الحنبلي، والشيخ محمد الهندي الدهلوي وغيرهم. وزار بدمشق الشيخ بدر الدين فأجازه بجميع مروياته في الحديث، ويحلب الشيخ راغب الطباخ مؤلف تاريخ حلب. فأجازه أيضاً.

كان أحمد الزبيدي علاوة على ذلك شاعراً يكثر من مدح الرسول - عليه السلام - وله قصائد ومقطعات أدبية واجتماعية وتاريخية ومساجلات مع عدة أدباء وشعراء توفي عام 1383 / 1963.

ع. الجاروي، من أعلام الفكر، 2: 58، 69.

الزبيدي، محمد بن الطاهر ولد بالرباط عام 1220 / 1805 واشتغل بالتجارة في بداية أمره وتوجه للحج مرتين، وهو متزعم الانتفاضة التي قادها أعيان مدينة الرباط سنة 1261 / 1845 ضد عاملهم الحاج محمد السوسي، والتي



نصبوه على إثرها عاملاً لمدينتهم وعلى الرغم من غضب السلطان المولى عبد الرحمان الذي عزله بعد وقت قصير فإنه لم يلبث أن قربه وأسند إليه أمر المالية والشؤون الخارجية التي ترد من النائب السلطاني بطنجة إلى السلطان، وعند نشوب حرب تطوان كلفه السلطان محمد بن عبد الرحمان بالتفاوض مع الإسبان، ثم عين أميناً للحسابات. وفي سنة 1293 / 1876 وجهه السلطان مولاي الحسن سفيراً إلى الدول الأوروبية وهي فرنسا وإنجلترا وبلجيكا وإيطاليا للتفاوض في أمر الحماية الفردية التي تفاقمت في المغرب بعد أن حرفت المعاهدات المبرمة في

لنشاطها الاقتصادي والعمراني والسياسي والثقافي على يدهم أواخر عهد دولة السعديين، وعرف أفرادها باسم الزبيدي. ولقد كان منها الحاج محمد الزبيدي عضو الديوان الأندلسي في بداية القرن الحادي عشر (17 م)، في القصة التي أصبحت تحمل اسم القصة الأندلسية (قصة الاوداية) وظهر منها الحاج إبراهيم أحد فقهاء الرباط المتخرجين عن الشيخ الكبير علي العكاري. كما كان ابنه محمد الزبيدي فقيها ملازماً للشيخ المذكور.

الزبيدي، أحمد بن محمد من العلماء الرباطيين تلقى

العلم على عدد من الشيوخ ابتداء من سنة 1304 / 1886 سنة دخوله المكتب لقراءة القرآن على يد الأستاذ المربي الهاشمي القصري الذي أخذ عنه أيضاً متون الأجرومية والمرشد واللامية والألفية. وبعد عشر سنوات بدأ يتتلمذ على الشيخ المكي البطاوري في النحو والفقه والحديث والأصول والبيان والتوحيد وأجازه في جميع مروياته سنة 1322، ودرس أيضاً على يد الشيخ محمد بن عبد السلام الرندة الذي أجازه أيضاً وعن الأديب أحمد جسوس، وحضر مجالس الشيخ أبي شعيب الدكالي.

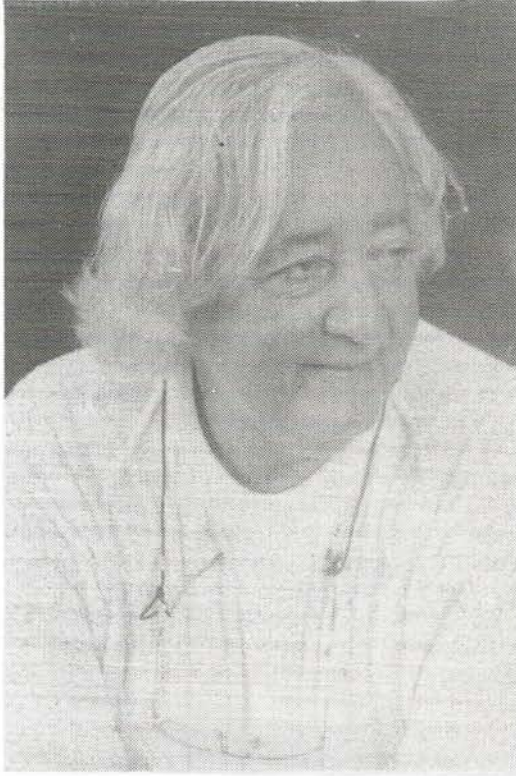
وفي سنة 1352 / 1933 رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج فلقي عدداً من شيوخ العلم وأخذ عنهم العلم بمصر ومكة ودمشق، ففي مصر حضر مجلس الشيخ يوسف



الدحوي من علماء الأزهر الذي أجازه إجازة عامة، ومجلس الشيخ محمد العربي الدسوقي من أشياخ أبي شعيب الدكالي، ومجلس محمد الحلبي في الحديث، وحضر أيضاً دروس مفتي مصر سابقاً الشيخ محمد بخيت المطيعي ومحمد الخضر حسين، ومحمد فريد وجدي مؤلف دائرة المعارف، والشيخ الطنطاوي جوهرى الذي أجازه، والمصلح الكبير محمد رشيد رضا، زاره في منزله في شهر ذي القعدة 1352 وأجازه.

وبمكة أجازه الشيخان عمر بن أبي بكر باجنيد والشيخ عبد الستار الهندي، وحضر مجلس الفقيه عمر حمدان،

أحرز كمال الزبيدي على دبلوم معهد اللوثر (بموضوع الأسلحة المغربية منذ العهد الفنيقي)، ثم انتقل إلى إيطاليا لدراسة اللغة والآداب الإيطالية، وقضى سنة كاملة بجامعة (وربروديجا) تعرف خلالها على كبار الفنانين والأدباء والمفكرين الإيطاليين، كما كانت له صداقة متينة مع الكاتب الإيطالي ألبير تومورافيا.



توفي بالرباط في حدود 1995.

م. أديب السلاوي، أعلام الفن التشكيلي العربي بالمغرب، بغداد، 1982.

محمد بلعربي

الزبل من زبل. وزبل زرعه يزبله زبلا سمّده. والزبل السرقيين والسرجين معرب عن الكلمة الفارسية سركين (مادة سرجن، محيط المحيط)، يستعمل لتخصيب التربة إذا ذهب رطوبتها وضعفت مادتها، ولا يصلح إلا للأرض الضعيفة الرقيقة، أما الأرض الغليظة فيقوم لها القلب مقام الزبل (ابن بطال، 55-65).

قسم علماء الفلاحة العرب الزبل المستعمل في تسميد الأرض إلى سبعة أنواع وهي: زبل الخيل والبغال والحُمير والإبل وكل الدواب، وزبل الأدمي، والزبل المضاف، وزبل الغنم، وزبل الحمام، وزبل الحمامات والأفران والزبل المولد (ابن حجاج 9 أ، وابن بصال 49، وابن بطال 10).

شأنها تحريفاً اتخذه الأجانب قنصلية وتجارامطية للتداول على المخزن وعلى المواطنين المغاربة.

توفي يوم الجمعة فاتح ربيع الأول 1304 / 28 نونبر 1886.

م. دينية، مجالس الانبساط، ص. 213؛ ع. الإله الفاسي، مدينة الرباط وأعيانها، ص. 230.

الزبيدي، محمد العربي بن محمد بن الطاهر، عينه السلطان مولاي الحسن أميناً لمرسی الرباط سنة 1302 / 1881 وكان والده الذي شاخ وعجز عن العمل، ولي أمانة الحسابات في عهد السلطان نفسه وهذه المهمة وصفها المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان في كتابه "إنحاف أعلام الناس" ومن هذا الوصف يمكن أن نحدد هذه المهمة فيما يلي: مراجعة حسابات الأملاك المخزنية والمستفادات والرباع والنظار ووكلاء الغيب، محاسبة قواد القبائل، مراقبة الداخل والخارج في جميع ما تملكه الدولة، حفظ جميع دفاتر الدولة وجعل برنامج خاص لما راج منها بعد ختمها وجعلها في صناديق، الترحال بهذه الدفاتر حيثما اتجه الركب السلطاني رغم كثرتها وثقلها لإيقاع الحساب مع العمال فيما يترتب بذمهم من الزكوات والأعشار فيقيد ما قبض والباقي في الدم ويختم العمال على ذلك بأختامهم ويجوز ذلك أمين الحسابات المذكور.

في سنة 1329 / 1911 ولي محتسباً بمدينة الرباط خلفاً للحاج العربي بن عبد الله لبضعة أشهر توفي سنة 1344 / 1926 . 25

ع. الرحمان بن زيدان، إنحاف أعلام الناس، ج 2، ص. 514 . 515؛

م. دينية، مجالس الانبساط، مخطوط، ص. 203؛ ع. الإله الفاسي، مدينة الرباط وأعيانها، ص. 231.

عبد الإله الفاسي

الزبيدي، محمد كمال الرباطي رسام وشاعر، ولد بمدينة أسفي عام 1928 حيث قضى فترة من صباه ثم غادرها رفقة أسرته نحو مدينة فاس التي استقر بها مدة أخرى، وتابع دراسته إلى أن اشتد عوده، فأخذ ينهل من الآثار الإسلامية والمعمارية وتشبع عن فطرة بروح الخلق والإبداع.

هاجر محمد كمال الزبيدي إلى باريس سنة 1947 لمتابعة الدراسة فانضم إلى معهد اللوثر الذي يهيئ اختصاصيين في تاريخ الفن العام ومحافظي المتاحف الوطنية.

استطاع كمال الزبيدي صقل موهبته بالعاصمة الفرنسية كفنّان وأديب حيث تمكن من المزج بين الريشة والقلم والحركة والكلمة بأسلوب ينم عن عمق الرؤيا الإبداعية، وبمجرد ما شرع في تنظيم معارضه الأولى لفت أنظار النقاد الأوروبيين الذين خصصوا لأعماله دراسات في غاية الأهمية.

1 - زيل الدواب : حارٌ رطب، وحرارته أكثر من رطوبته، وهو من النوع الذي تجود به مختلف النباتات، ويستعمل كما هو بعد تنقيته من التبن دون تعفين في كل فصول السنة ما عدا فصل الشتاء، ويستحسن استعماله بعد مرور عام عليه، وإن ترك عامين كان أحسن، وهو بعد ثلاثة أعوام أفضل أنواع الزيل على الإطلاق، وهو يوافق التربة الرملية (ابن حجاج 9 أ، وابن بصال 49، وابن بطال 11) وهذا ما يفسر ما ذكره الرحالون عن حرص سكان المناطق الواحية على جمع هذا النوع من الزيل وغيره من الأزيال. ذكر العياشي أن أهل وادي سوف يعالجون نخيلهم بأبعاد الإبل وغيرها بأن يضعوها في أصولها، وكذلك يفعلون بأنواع الخضر والبقول وسائر ما يغرسونه وقال بأن ركب الحجاج الذي كان فيه، تبعه حين غادر سوف كثير من أهلها يلتقطون البعر من منزل الركب (ماء الموائد، 1 : 51. 52) وذكر العوامر أن أهل سوف يجعلون للنخلة ما دامت صغيرة شيئاً قليلاً من بعر الغنم أو من روث الدواب مخلوطاً بالرمل لئلاً تحترق عروقها. وعندما تكبر النخلة يجعلون لها أبعاد الإبل مخلوطة بالتراب وتعرف بأبعاد الإبل عندهم باسم الجلة (الصروف، 66).

2 - زيل الآدمي : طبعه الرطوبة واللزوجة، ولا حرارة فيه، وهو زيل ميت عظيم الفائدة يوافق النبات ويصلحه خصوصاً في زمن الحر لأنه رطب لا حرارة فيه ولا يبوسة، وتجود به الخضر، وهو علاجها إذا احترقت. وكيفية استعماله في علاج الخضر المحترقة أن يرش بالماء حتى يصير في هيئة الطين، ثم يوضع في مجرى الماء، ويسرح الماء في المجرى، فيتحلل مع جري الماء في المجرى، فتحسب الخضر إثر سقيها به (ابن حجاج 9 ب وابن بطال 11).

وقد اشتهر عن أهل قابس ما اشتهر من بيع فضلاتهم، وهم يقرون بذلك ويدعون شدة احتياجهم إليها، وأن النخيل في بلادهم لا يثمر إلا به (البكري، 2 : 667 والتجاني 90 ومعجم البلدان، 4 : 289 والروض المعطار، 145). وقد أجاز الفقهاء بيع الأزيال والعذرة وهي الغائط، وقد قيل فيها : المشتري أعذر فيها من البائع، وبنوا حكمهم فيها على ما جاء في المدونة وغيرها حول جواز بيع النجاسات عند الحاجة إليها (المعيار، 5 : 315). ولما ذكر محمد بن عبد السلام ابن ناصر الرواية القائلة بتبايع أهل المجرى بالبلاد التونسية لزيل الآدمي قال بأن الداعي إلى ذلك أن أرضهم في غاية الجفوف لقربها من الصحراء وأنها بحاجة إلى ذلك الزيل لتدمن. قال : قلت وهذا التبايع في البلاد الصحراوية الرقيقة التراب أو ذات الرمل، فإنها إذا لم تزيل لا يأتي منها كبير نبات، سيما إن كان فيها ماء جار كقابس وبلاد درعة، فتلجئهم الضرورة إلى بيع الزيل والتفاني فيه (الرحلة الكبرى، 135). وقد دفعت الحاجة ببعض الفلاحين أحياناً إلى أن يهبوا الدور لغيرهم يسكنوها على أن يكون زيل دواب الساكن لرب الدار. وقد أفتى الفقهاء بعدم جواز ذلك وقالوا بأن الزيل لرب الدواب وعليه كراء المسكن (المعيار الجديد، 8 : 142).

3 - الزيل المضاف : وهو الزيل المؤلف من الكناسات وغيرها (ابن حجاج 9 أ) وهو الزبالة عند العامة (مادة زيل محيط المحيط). وهو ذو حرارة ورطوبة ولزوجة وملوحة، ولأجل هذه الخصائص المجتمعة فيه هو من أفضل الأزيال، وأكثرها موافقة للتربة، لأن لزوجته تلين التربة. ولا يستعمل إلا بعد مرور عام عليه، والأبال كلها لا ينبغي أن تستعمل إلا بعد انقضاء العام، وكل زيل استعمل قبل ذلك، فهو غير محمود لأنه نبيء يمرض الأرض ويدخل الدواخيل، أي تتولد منه حشرات تضر بالنبات. وما تجاوز العام إلى ثلاثة أعوام كان أفضل. وعلى العموم فهذا النوع من أنواع الزيل مفيد قوي، يقوم القليل منه مقام الكثير من غيره (ابن حجاج 9 ب و 10 أو 11 أو ابن بصال 50).

4 - زيل الغنم : ويعرف في اللسان الدارج بالبريو وهو حار رطب أيضاً، غير أنه أقل جودة من غيره من الأزيال التي ذكرناها أعلاه، لأن الضأن تأكل الحشائش، فلا تنضج في بطونها، وتبقى زربعتها دون تغيير، فتلقبها كما أكلتها حتى إذا استعمل هذا الزيل لتسميد التربة، نبتت تلك الزريعة مع النبات وغلبت عليه. ولتفادي ذلك يترك هذا الزيل حتى يتعفن وتموت زربعته، ويستحسن أن يخلط مع غيره ولا يستعمل وحده (ابن حجاج 10 أو ابن بطال 12 وابن بصال 51).

5 - زيل الحمام : ذو حرارة مفرطة ورطوبة شديدة ولا يبوسة فيه وهو أحسن الأزيال للنبات الذي ضعف وتحمير من شدة البرد، فإذا جعل له القليل منه فإنه يحيى من حينه، وينبغي ألا يستعمل إلا عند الحاجة لأنه بمنزلة النار، وقد يأتي على احراق النبات، فيصعب بعد ذلك اصلاح ما أفسده (ابن حجاج، 10 أ).

6 - زيل الحمامات والأفران أي الرماد : ذو يبوسة وملوحة ولا رطوبة فيه، وهذه الخصائص لا توافق الخضر والنبات، ولأجل ذلك لا يستعمل الرماد إلا لتحلية التربة الحشنة الحرساء، وبالجملة فهو زيل غير محمود (ابن حجاج، 10 أو 10 ب). ويستعمل الرماد أيضاً كما هو معلوم في تبييض الغزل (المعيار الجديد، 5 : 545).

7 - الزيل المولد وهو الزيل المتخذ من الحشيش والتراب ثلاثة أنواع : النوع الأول : تخلط فيه أصناف العشب والتبن وتوضع في حفرة ويضاف إليها رماد الحمامات أو رماد الأفران ويصب عليها الماء، ويواضب على هذا الخليط بالتحريك والتقطيع، لأن ذلك يعجل نضج الزيل ويجعله معتدلاً جيداً. والنوع الثاني يخلط فيه حمل من الزيل المضاف مع ثلاثة أحمال من التراب ويواضب على ذلك الخليط بالتحريك يأتي منه زيل جيد بعد عام. والنوع الثالث يخلط حمل من زيل الحمام مع عشرين حملاً من التراب ويترك عاماً، يأتي منه زيل جيد متمكن الحرارة والرطوبة. والزيل المولد يوافق الفصول الأربعة، وهو زيل نقي لا يخالطه حجر ولا جلود ولا عظام كما يخالط سائر

و Acebedo و Azevedo.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 759.

محمد ابن عزوز حكيم

الزبيدي، أبو بكر محمد بن عمر بن قطري من أهل إشبيلية، من بيت شهير بالعلم. أخذ بالأندلس عن جماعة منهم أبو الوليد الباجي وأبو العباس العذري الدلائي وأبو عبد الله بن سعدون القروي وأبو الليث السمرقندي. وكان عالماً بالنحو والأصول وعلم الكلام.

رحل إلى المشرق فجال في الحجاز والعراق والشام ومصر وصقلية. أخذ بمصر عن ابن فضال والحشني وابن بابشاذ النحوي وأبي عمران الصقلي ومهدي بن يوسف الوراق، ولقي بها الفقيه عبد الحق بن هارون الصقلي. وسمع بمكة الحسين الطبري وأبا محمد بن جمح السبتي من المجاورين بها، وهبة الله المقرئ الضرير، وأبا محمد النيسابوري وأبا الحسن الصقلي. وسمع بمدينة صور بساحل الشام من الشيخ أبي بكر الخطيب البغدادي الحافظ.

وبعد عودته أقام بإشبيلية مدة، ثم انتقل إلى سكنى سبتة، وعلم بها العربية، أخذ عنه بها القاضي عياض بعض كتب الخطيب البغدادي. وظل يدرس بها إلى وفاته سنة 501 / 1107.

القاضي عياض، الغنية، تج. ماهر زهير جزار، بيروت، ط 1، 1982، ص. 76 - 79 : محمد ابن عياض، التعريف بالقاضي عياض، تج. محمد بن شريفة، الرباط، مطبوعات وزارة الأوقاف، ص. 69 : ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تج. السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1955، ج. 2، ص. 536 - 537 : ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تج. عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، دار المعرفة، د. ت. ج. 1، ص. 332.

الزبيدي، حسن بن خالد بن إبراهيم شيخ صالح من فقهاء سبتة، غلب عليه الخير والزهدي، وكان من أهل الفقه والدراية بالقراءات. سمع من إسحاق ابن يربوع وأبي عبد الله بن الشيخ وغيرهما من علماء سبتة. ورحل إلى المشرق فحل بالقيروان وسمع من علمائها، ودخل مصر فقرأ بها القرآن على طاهر بن غلبون. وبعد عودته إلى سبتة ولي الخطبة والصلاة بجامعها، وانتصب به لإقراء القرآن والقراءات.

ابن حمادة السبتي، مختصر المدارك، ملحق بترتيب المدارك للقاضي عياض، تج. سعيد أعراب، المحمدية، 1983، ج. 8، ص. 172.

محمد المغراوي

الأزبال غير أن الزبل المضاف أقوى منه وأجود (ابن حجاج 10 ب 11 أو 11 ب وأين بصال 51 : 52 و53).

ابن حجاج الأندلسي، الفلاحة، مخطوط، خ. ع رقم 1410 د : ابن بصال، كتاب الفلاحة، نشر دخوسي مارية مياس ببيكروسا ومحمد عزيمان، تطوان، 1955 : ابن بطل، كتاب الفلاحة، مكروفيلم مصور عن النسخة المخطوطة في خ. ح رقم 6519 : أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، ج. 2، تح. أدريان فان ليوفن واندي فيري، تونس، 1992 : ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج. 4، بيروت، 1979 : ابن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار، تج. إحسان عباس، بيروت، 1984 : م. التجاني، رحلة التجاني، ليبيا - تونس، 1981 : أ. الوثريسي، المعيار، ج. 5، بيروت، 1981 : أبو سالم العياشي، ماء الموائد، ج. 1، الرباط، 1977 : م. ابن ع. السلام الناصري الدرعي، الرحلة الكبرى، مخطوط، خ. ح رقم 6904 : إبراهيم محمد الساسي العوام، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تونس، 1977 : المهدي الوزاني، المعيار الجديد، ج. 5 و8، المحمدية، 1998.

حسن حافظي علوي

الزبيب، فاكهة مجففة تحضر من أصناف العنب (انظر داليا) ذات المحتوى السكري العالي واللحم المتناسك.

أشار المؤرخون إلى إنتاج الزبيب بسجل ماسة وسوس في القرن الخامس (11 م). وكانت عملية التجفيف تتم تحت الظل فسمي بالزبيب الظلي. لكن في الوقت الحاضر صار إنتاج الزبيب شبه منعدم إلا في بعض المناطق كالريف وجباله حيث مازال الأهالي يحضرونه بكيفية تقليدية خاصة : تغسل عناقيد العنب في الماء الممزوج برماد الضرو أو بظم لانيسك Pistacia lentiscus (انظر بظم) وتبخر ثم تدهن بالزيت وتجفف في الشمس.

نظراً لندرة الكميات المحضرة محلياً فإن المغرب يستورد معظم احتياجاته من الزبيب من تركيا كالسلطاني وإسبانيا وغيرها من البلدان المتوسطية.

يستهلك الزبيب طازجاً في كل الأوقات أو مطهواً مع اللحم في عدة مأكولات مغربية كبعض الطواجين والكسكسو وبعض الحلويات.

ونظراً لكونه غنياً بالسكريات والأملاح المعدنية فإنه في أغلب الأحيان يدخل في محتويات زاد المسافر.

يستعمل اليهود المغاربة الزبيب لصناعة شراب الماحيا. أبحاث شخصية.

J. Bellakhdar, La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires. Paris, 1997.

عبد المالك بنعييد

زبيدة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Çobay et Zubeit - Zubay ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Acevedo

لون الزجاج	المادة المزدادة في الزجاج
الأخضر	أملاح الحديد والكروم
الأزرق	أملاح النيكل
الأزرق	أملاح الكوبالت
ياقوتي أحمر	أملاح الذهب
أحمر أو ليموني	أملاح الكاديوم أو السليسيوم

كانت صناعة الزجاج قديماً تعتمد على انصهار اودويان المواد الأولية : داخل غراريف من الطين أو حُفر. ولا زالت هذه الطريقة مستعملة في الصناعة التقليدية الحديثة، لانتاج كميات قليلة من الزجاج، كالبرصيات مثلاً. إلا أن معامل الزجاج العصرية أصبحت تذوب كميات أكبر داخل افران ضخمة على شكل أحواض، تتسع لأكثر من 1000 طن من الزجاج، مما يمكن انتاجاً يومياً يفوق 500 طن. وتعمل هذه الافران باستعمال الغاز أو المازوت أو الكهرباء.

أنواع الزجاج كثيرة نذكر منها هنا :

(1) الزجاج المنبسط، المستعمل خصوصاً في العمران ؛ كزجاج النوافذ، والشرفات، وغيرها. يتراوح سمك هذا النوع ما بين 3 و8 ملم.

(2) الزجاج السائل، ويمر هذا الأخير تحت مدامك خاصة، حيث يضاف إليها أحياناً خيوطاً من السلك الحديدي ليصبح زجاجاً مسلحاً، أو توضع أوراق من البلاستيك الشفاف ما بين ورقتين من الزجاج الرقيق لصنع واقية الهواء بالنسبة للسيارات مثلاً. وإضافة إلى الزجاج المسلح، وواقية الهواء، يستعمل ويكثر هذا النوع من الزجاج في الكثير من الميادين المعمارية.

(3) الزجاج المجوف، ويستعمل لصنع القنينات الزجاجية، والقمامق، والقوارير والمصابيح.

(4) الالياف الزجاجية، نحصل عليها بتمطيط المادة الزجاجية المنصهرة إلى أن يصل سمكها ما بين 0.5 و15 ميكروميتر، ثم ينسج أو يبلد تماماً كما يفعل بالمنسوجات. وتدخل الالياف الزجاجية في بعض صناعات الاقمشة مما يجعلها رفيعة ونادرة، وكذلك في صناعة الاثاث الشمين. وترجع قيمتها إلى الاستقرار الكيميائي للالياف الزجاجية، ومقاومتها للنار والماء ؛ فهي لا تصدأ بالحديد ولا تتعفن كالخشب.

(5) الزجاج التقني، ويشمل الزجاج البصري (عدسات النظارات وآلات التصوير والمجاهر)، وكذا العديد من أنواع الزجاج والتي تتميز بخاصية ميكانيكية أو ضوئية (زجاج مختبرات البحث العلمي مثلاً، يصمد للحرارة، ولا يتأثر بالكيماويات كالحوامض والكاويات).

يعد المغرب من البلدان المستوردة لأغلب حاجياتها من مختلف مصنوعات الزجاج، من أوروبا (فرنسا، إيطاليا، إسبانيا، روسيا، تركيا، رومانيا، الخ...) وكذلك من آسيا (الصين الشعبية، الطاويان، اليابان، الخ...). أما إنتاجات المغرب من مصنوعات الزجاج فتبقى دون تلبية حاجيات السوق الداخلية، ونذكر منها هنا صناعة القناني

الزُبَيْر، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم هكذا : - Zubeyr - Zuveir - Azubaire - .Azoveyre

الزبير، الحاج حمو بن علي، قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني بوغافر انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف سيدي محمد امزيان ضد التدخل العسكري الإسباني بناحية الناظور وشارك في عدة معارك وسقط أسيراً بيد الإسبان في المعركة التي جرت بأولاد غانم بقبيلة بني سيدال يوم فاتح سبتمبر 1910.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون، تطاون 1999؛ والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 760 : أعمال ندوة الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي (1909 - 1912)، تطاون 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

الزجاج، أصل الكلمة لا تيني "فيروم" (Vitrum) وتعني جسم صلب، شفاف وهش. يوجد الزجاج في الطبيعة على شكل صخور شفافة كالسيج (زجاج بركاني أسود)، والنيكتيت (صخر صواني زجاجي). ويعتبر الزجاج مادة لا بلورية، مكونة أساساً من السليس المنحدر من الرمل والمرو المنصهر في درجة حرارة عالية والممزوج بالصوانات والبورات. الشيء الذي يجعله يفقد بنيته البلورية عند عملية التبريد مما يعطي مادة زجاجية شفافة وهشة. وتمزج أغلب أنواع الزجاج بمواد أولية مختلفة كالقلي (مادة مضادة للحوامض) ونذكر منها هنا كربونات الصوديوم أو البوتاسيوم ؛ مما يخفف من درجة حرارة انصهارها وتلزمه. ولهذا السبب، وحسب تركبة الزجاج، فهناك أنواع تنصهر عند بلوغ درجة الحرارة C° 500 ؛ وأخرى يمكن أن تصل درجة حرارتها C° 1700. ونشير هنا إلى أن الجير والدولوميت (ثاني كربونات الكلسيوم والمنغنيزيوم) يلعبان دوراً هاماً كمثبت بالنسبة للخليط الزجاجي. إن أكسيديا التنتال والتوريوم يزيدا كثيراً في تقوية دليل إنكسار الأشعة للزجاج الصافي. ويمكن زيادة بعض المواد الكيميائية كالأكاسيد مثلاً حسب نوعية الاستعمالات المنتظرة من مادة الزجاج، وذلك قصد تغيير خصائصه الكيميائية والفيزيائية والميكانيكية.

للحصول على مادة صافية وعديمة اللون، يزيد الزجاجيون مادة المنغنيز لابطال مفعول بقايا الحديد، والتي تعطي للزجاج لونا بنيا مخضراً. ونشير هنا إلى أن لون الزجاج مرتبط بنوعية المادة الملونة الكيميائية، والمقادير المستعملة وكذا تركبة المحيط الجوي للزجاج إبان الانصهار. نحصل على تلوين الزجاج بزيادة الأكاسيد المعدنية كما يلي :

وبعض الأوعية، وكذا الواح الزجاج المستعملة في العمران كزجاج النوافذ، والشرفات، الخ... من بين أسباب تخلف صناعة الزجاج بالمغرب، سواء منها التقليدية أم الحديثة، نذكر قلة أو حتى انعدام وجود الرمل المناسب لهذه الصناعة. ونشير هنا كذلك إلى أن المغرب يستورد كل حاجياته تقريباً من مادة هذا الرمل من الخارج منذ إنشاء هذه الصناعة بالمغرب.

A. Foucault et J.F. Raoul, *Dictionnaire de géologie*, 3ème éd. Paris, 1988 ; E. Saïdi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (français-arabe)*, Rabat, 1990 ; J. Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*, Paris, 1986 ; D. Rudolf et Lubos R., *La grande encyclopédie des minéraux*, Paris, 1989 ; *Goéologie des gîtes minéraux marocains : Substances métalliques et non métalliques*, 2ème éd., t. 1, Rabat, 1980 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (Phosphates)*, 2ème éd., t. 3, Rabat, n° 19 ; J. Agard, *Minerais et substances utiles de la carte géologique au 1/200.000 des environs de Casablanca, rapport SEGM*, n° 151, 1950 ; A. Michard, *Elément de géologie marocaine*, Rabat, 1976 ; *Eléments de la géologie du Maroc*, Rabat, 1977 ; *Marbres et roches ornementales*, Mines, *Géologie et Energie*, Rabat, 1979 ; *Bulletins mensuels de la conjoncture minière* ; D. Reig, *Dictionnaire Arabe-Français, Français-Arabe, As-Sabil*, Paris, 1986 ; P. Lapadu-Harques, *Précis de minéralogie*, Paris, 1954 ; B. Bariand, F. Cesbron et J. Geffroy, *Les minéraux, leurs gisements, leurs associations*, 3 vol., 1978 ; A. Bouhaoui, *Note sommaire sur les sables marocains utilisables dans l'industrie du verre et les fonderies*, Notes techniques SEGM, n° 86, 1975 ; O. Köppel O et M. Nataf, *Les sables de Sidi Yahia du Gharb, de Mohamedia, de Sidi Allal El Bahraoui et de Sisi Madj, Etude préliminaire en vue de leur utilisation éventuel en fonderie*, Note technique SEGM, n° 101, 1976 ; M. Nataf, *Etude d'un grès siliceux de Bousselham Taguentecha (Maroc oriental), et de trois sables de Rabat et de Meknès en vue de leur utilisation éventuelle dans la fabrication de verre à vitre*, Rapport technique SEGM, n° 10, 1967 ; G. Berger, *Etude des sables noirs des plages atlantiques du Maroc*, Notes Serv. Géol. Maroc, t. 14, n° 133, 1956.

عبد الله بوصحابة

دخل مدينة مراكش سنة 640 / 1242، وهي مسرح للحروب والفتن بين الموحديين المتقاتلين على إرث الخلافة، ثم بينهم وبين المرينيين الذين قضوا على دولتهم.

عاش في عصر كله نكبات ومحن وفتن في الأندلس والمغرب. كما كان كثير الانقباض والقناعة، صبوراً على الوحدة. وقد تميز بين أقرانه باهتمامه الكبير بالثقافة العامية، وعنايته الخاصة بما يعرف بالتراث الشعبي. له ري الاوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام استخرج منه محمد بنشريفه كتاباً سماه (أمثال العوام في الأندلس).

توفي بمراكش ضحى يوم الخميس ثالث وعشري رجب عام 694 / 24 يونيو 1295.

صلة الصلة، 139، الذيل والتكملة، 8 : 3 : 2 : 334 ؛ الزركلي، الأعلام، 4 : 191 ؛ م. ابن شريفه، أمثال العوام في الأندلس، التقديم.

أحمد متفكر

الزَجَل، مصطلح موسيقي يراد به في أشعار الموسيقى الأندلسية ما نظم بلهجة عامة أهل الأندلس القديمة. ويقال في المقطوعة المنظومة على هذا النحو : "صنعة زجل" تمييزاً لها عن أنواع النظم الثلاثة الباقية، وهي : الشعر الفصيح الموزون، والتوشيح، والبرولة.

ومثال صنعة "الزجل" من قدام نوبة رمل المائة :

نمدح محمد سيد	أهل السما والأرض
من جانا بالشرائع	والسنن والفرس
واطوى الأرض البسيطة	طولها والعرض

وقد تنظم الأزجال المغناة على نمط الموشحات من حيث تبنيتها نظام توالي الاقفال والأبيات. ومثالها زجل من قدام نوبة رصد الذيل :

شمس النهار	ما تصبر
على الثمار	حين تصفر
لا يا عشية لا	تلهمني أنسا مضى
وكاس المدام خلا	يلهيني لما أضا
قلبي جمار أملا	يوهمني نار الفضا

ويحفل كناش الحايك بأزجال أغلبها مما نظمه شعراء أندلسيون، غير أن صعوبة اللهجة الأندلسية وانقطاع العهد بتداولها بعد هجرة الأندلسيين إلى المغرب كانا مما دفع بالشعراء المغاربة في العهود المتأخرة إلى استبدال بعض الأزجال الأندلسية بأخرى مغربية اللهجة ومثال ذلك معارضة الأديب المفضل أفيلال (ت. 1276) لزجل أندلسي أوله :

من ملك عقلي رهين	ريت على خده اليمين
بزجل آخر أوله :	

من كمال عقلي الرزين	هام فيمن وصفه يزسن
عبد العزيز بن عبد الجليل	

الزجالي، عبيد الله بن أحمد بن محمد بن

أحمد بن محمد القرطبي. ولد بمدينة قرطبة عام 617 أو 618 / 1220 أو 1221، وذلك قبل خروج المسلمين منها بنحو خمس وعشرين سنة ودرس على بعض شيوخها منهم: علي القرشي، وابن الطليسان.

ثم انتقل إلى شاطبة سنة 636 / 1238، وتعتبر حياته في شاطبة استمراراً لحياته الدراسية في قرطبة، وامتداداً لها، وقد درس على بعض علمائها مثل :

أبو عبيد الله محمد بن لب بن محمد بن عبد الله بن خيرة الشاطبي، وعن أبي عبد الله القطني، وعن أبي القاسم بن أبي القاسم الشاطبي.

تولى القضاء بمدين عديدة كأبذة، وشريش، وجيان، وشاطبة، وقرطبة في الأندلس. كما تولى قضاء سبتة، وفاس، ومراكش، وأغمات وريكة من مدن المغرب.

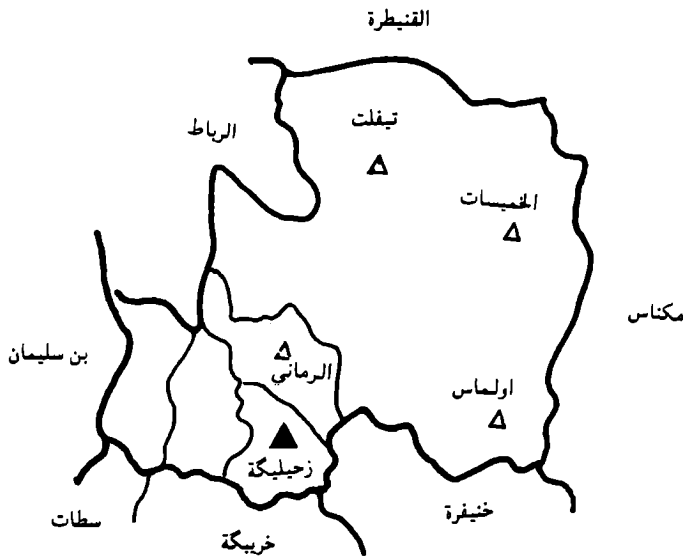
الخامسة عشرة 39,16٪، في حين من هم في سن الشغل (15 - 59 سنة) يشكلون 52,19٪، أما المسنون (60 سنة فأكثر) فيمثلون 8,65٪.

السكان البالغون بين 0 و 15 سنوات	15.05٪
بين 6 و 14 سنة	25.11٪
بين 15 و 59 سنة	52.19٪
أكثر من 59 سنة	8.65٪

ووصل الرقم التركيبي للخصوبة (معدل الأطفال لكل امرأة) بجماعة زحيليكة إلى 3,38 طفل، وهو رقم أعلى من المعدل المسجل على الصعيد الوطني (3,3)، وكذلك أعلى من المعدل الجهوي (2,7).

ومن خلال دراسة الأشخاص البالغين من العمر 15 سنة فأكثر حسب الحالة الزوجية، نستنتج هيمنة صفة المتزوج به 55,77٪، وتمثل صفة الأعزب 36,82٪، أما الحالات الأخرى من أرامل ومطلقين ... فلا تمثل سوى 7,40٪.

المتزوجون	55.77٪
العزاب	36.82٪
حالات أخرى	7.40٪



أما متوسط السن عند الزواج الأول فيصل إلى 25,71 سنة، ويعرف اختلافا ما بين الذكور والإناث، بحيث نجد أن الإناث يتزوجن في سن مبكرة نسبيا مقارنة مع الذكور (22,85 سنة في أوساط الإناث مقابل 28,08 سنة في أوساط الذكور).

وفيما يخص المستوى التعليمي بالجماعة (دائما حسب

الزجلي، علي بن محمد بن عبد الواحد الفاسي موسيقي نوه به إبراهيم التادلي في كتابه "اختصار تذكرة الأنطاكي" و"أغاني السقا" وكذا في إجازته لمحمد بن خليفة المدني، ونعته بأنه إمام في هذا الفن، ويحسن الضرب على العود بيده. توفي بفاس الجديد يوم الثلاثاء 23 رمضان عام 1265 / 1849، ودفن بالقباب.

إ. التادلي، أغاني السقا، اختصار تذكرة الأنطاكي؛ إجازة محمد ابن خليفة المدني، خ. ع. 5، 1427؛ م. المنوني، مجلة البحث العلمي، السنة 6 العدد 14 و15 شوال رمضان 1389 / يناير - برابر 1969، ص. 162 و175.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

الزجني، محمد بن أحمد (ابن أبي العافية أو ابن العافية) المصمودي ثم التطواني. الفقيه العلامة القاضي النوازلي المدرس، أصله من مدشر إزاجن من قبيلة مصمودة الغرب قرب مدينة وزان، وغالب الظن أنه ولد هناك ونشأ وشب وتلقى العلم إلى أن أصبح مؤهلا لتولية القضاء فتولاه ببلده، ثم ولى قضاء تطوان وقد وجد رسم عدلي سجل عليه بالوصف المذكور سنة 1111 ووجد التسجيل عليه بذلك سنة 1113. وللمترجم له تأليف في أنساب شرفاء المغرب سماه *دواعي الطرب*، في أنساب العرب لم أقف عليه. وفي التقاط الدرر للقادري وكذلك في نشر المثاني أنه توفي بالوصف المذكور سنة 1115 (1702) والظاهر أن وفاته كانت بتطوان.

م. داود، مختصر تاريخ تطوان، ص. 247 - 248. ط، تطوان، موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1896، 56؛ مختصر عمدة الراوين، ص. 103، مخطوط.

محمد بوخيرة

زحيليكة (جغرافيا -) تقع زحيليكة بإقليم الخميسات في أقصى الجنوب الشرقي، وتبعد عن عاصمة الجهة الرباط بحوالي 110 كلم، وتمتد على مساحة 540 كلم² بكثافة سكانية تصل إلى 0,31 نسمة في الهكتار الواحد.

عدد السكان	16.778 نسمة
المساحة	540 كلم ²
الكثافة	0.31 ن /كلم ²

تبلغ ساكنة زحيليكة 16778 نسمة حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1994، ويتشكل الهرم العمري لهذه الساكنة من 51,95٪ ذكور و48,05٪ إناث، وتتميز هذه الساكنة بكونها شابة، إذ تبلغ فئة الشباب دون

الحالة في المهنة	المعدل العام	ذكور	إناث
مستقل	28.63	26.35	2.28
مأجور	23.44	21.99	1.45
مساعد عائلي	38.80	36.72	2.07
أخر	9.13	8.92	0.21

أما فيما يتعلق بمميزات الأسر وظروف السكن بجماعة زحيليغة حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1994، فقد بلغ معدل الأفراد بالأسرة الواحدة 6,3 شخص (16778 نسمة موزعة على 2661 أسرة).

وفيما يخص نوعية السكن بهذه الجماعة فيطغى عليه السكن الريفي حيث يأوي 38,75٪ من الأسر، كما يأوي السكن البدائي شريحة مهمة من الأسر تصل إلى 30,26٪، في حين لا يمثل السكن المغربي سوى 15,87٪.

سكن ريفي	38,75٪
سكن بدائي	30,26٪
سكن مغربي	15,87٪
فيلا أو شقة	0,74٪
أخر	14,39٪

وفيما يهم عدد غرف السكن التي تشغلها الأسرة، فخلال سنة 1994 نجد أن حوالي 67,95٪ من الأسر بجماعة زحيليغة تشغل مسكنا يتكون من غرفة واحدة أو غرفتين على الأكثر، في حين نلاحظ إنخفاض نسبة الأسر التي تسكن ثلاث غرف على الأقل حيث لم تسجل هذه النسبة الأخيرة سوى 32,06٪. ويصل معدل شغل المسكن الذي يعد مؤشراً يبرز مدى الكثافة بالغرف، والمعبر عنه بمتوسط عدد الأشخاص بكل غرفة، إلى 3,13.

1 إلى 2	67,95٪
3	19,66٪
4	5,56٪
5 وأكثر	6,84٪

أما بصدد صفة حيازة المساكن التي تقطنها الأسر بهذه الجماعة، فحسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1994، فإن ما يناهز 81,12٪ من الأسر ما لكون لدورهم، في حين ناهزت صفة المكتري 3,86٪.

نفس الإحصاء)، نجد أن نسبة الأميين من السكان البالغين 10 سنوات فأكثر تبلغ 73,10٪، ويعزى هذا المعدل على ضعف التعليم في صفوف الإناث بصفة كبيرة حيث تصل نسبة الأمية في صفوف الإناث إلى 85,54٪ بينما تحوم في صفوف الرجال حول 61,40٪. أما فيما يتعلق بنسبة التمدرس (تمدرس الأطفال 7 - 12 سنة) فتحوم حول 45,09٪ مع تسجيل فوارق عميقة بين الذكور والإناث، فإذا كانت هذه النسبة الأخيرة تصل في أوساط الرجال على 54,42٪ فإنها لا تتعدى في صفوف الإناث 34,37٪.

معدل التمدرس	45,09٪
في أوساط الذكور	54,42٪
في أوساط الإناث	34,37٪
معدل الأمية	73,10٪
في أوساط الذكور	61,40٪
في أوساط الإناث	85,54٪

سجل معدل النشاط 31,23٪ بجماعة زحيليغة، في حين وصل معدل البطالة إلى 9,23٪، وحسب الجنس فإن هذين المؤشرين يسجلان في أوساط الذكور 55,49٪ و 7,29٪ على التوالي، وفي أوساط الإناث 5 و 32,50٪ على التوالي.

معدل النشاط	31,23٪
في أوساط الذكور	55,49٪
في أوساط الإناث	5,00٪
معدل البطالة	9,23٪
في أوساط الذكور	7,29٪
في أوساط الإناث	32,50٪

ويتبين من خلال توزيع السكان النشيطين بهذه الجماعة القروية حسب الحالة في المهنة بروز ظاهرة المساعد العائلي الفلاحي بـ 38,80٪ لكون اقتصاد المنطقة يقوم أساساً على الزراعة البورية وتربية الماشية، في حين يمثل المستقلون 28,63٪ في وقت سجلت صفة المأجور 23,44٪.

ونشير كذلك إلى وجود نشاط تجاري لا بأس به لكون مركز زحيليغة يعتبر محطة طرقية على الطريق الوطنية الرابطة بين الرباط وبنى ملال.

Guide des communes, Rabat, 1991 ; Organisation territoriale du Maroc et commandement indigène au 1er nov. 1929 et 1er janvier 1937 ; Robert (J.T), Dictionnaire des villes et localités du Maroc, Rabat, 1936 ; Villes et tribus du Maroc.

صالح شكاك

مالك	81.12%
مكتر	3.86%
أخر	15.02%

زداغة، مجموعة من القبائل، معنى الكلمة معرب من الكلمة الأمازيغية "إزدأغن" أي المستقرين حديثاً في مقابل "إيگيزولن" المستقرين الأصليين. وتقع هذه المجموعة البشرية إذا وزداع جغرافيا في السفح الجنوبي للأطلس الكبير في الشمال الشرقي لمدينة تارودانت تحيط بها قبائل متناكة غربا والمنابهة وأيت إيگاس جنوبا وتافنكولت شرقا، وسكساوة وكدميوة شمالاً.

وتتكون هذه المجموعة من قبائل : أيت سمك، أيت إيگاسا تيگوكا إگنسان، أيت يوسف، تالگجونت - حنكية أيت تامنت (وادي العسل) ادا اومسطوك.

وتعتبر تالگجونت مركزا قياديا وفيه كانت القيادة في أسرة بازين. وقد عرفت المنطقة ببعض المآثر من بينها. زاوية "تافياللت" زداغة وبها ضريح سيدي عبد الله بن سعيد الحاحي المشهورة في قبيلة أيت تامنت المتوفى عام 1012 / 1603 وقد تمكن ابنه يحيى الحاحي أن يسود سياسياً على أودية الأطلس الكبير المحيطة بزاوية تافياللت وعلى مدينة تارودانت بل وعلى مراكش كذلك في بداية القرن الحادي عشر (17 م). أما في قبيلة إذا اومسطوك فيوجد قبر السيد عبد الله بن الحاج إبراهيم التاساوتي مؤلف كتاب "رحلة الوافد" في القرن الثاني عشر (18 م). وقد أخرجت هذه المنطقة العديد من العلماء بفضل مراكز التعليم في المدارس العتيقة وخزاناتها العلمية مثل مدرسة زاوية تافياللت ومدرسة قديمة بايت سمك وقد درس صاحب رحلة الوافد من المدرسة الأولى. غير أنهما اندثريا معاً في الوقت الحاضر.

ع. أفا، مسألة التقود في تاريخ الغرب، ص. 72 - 73 (خريطة سوس)؛ التاساوتي، عبد الله بن إبراهيم، رحلة الوافد في أخبار هجرة الولد، تح. على صدقي، منشورات كلية الآداب بالقيظرة، سنة 1992؛ معلومات خاصة من الأستاذ أحمد بوزيد الكنساني. عمر أفا

الزدوتي، إبراهيم بن أبي بكر ولد بقرية تيكمي نتركا بقبيلة إداوزدوت في الجنوب الشرقي من مدينة تارودانت. وقد عميت أخباره العلمية عن المؤرخين ولا يذكر إلا باعتباره من مردي الطريقة الدرقاوية التي تلقاها، على عكس كثير من المردين السوسيين، من الشيخ مولاي المهدي الدرقاوي المراكشي.

كان الزدوتي فقيها مشهورا ببلده، قبل أن يسلك طريق

أما فيما يتعلق بدرجة التجهيز بهذه الجماعة الريفية فهي جد ضعيفة، فإذا كانت نسبة الأسر المرتبطة بشبكة عمومية للكهرباء في حدود 9,23٪ فإن نسبة الأسر المرتبطة بشبكة الماء لم يتجاوز 4,06٪. أما بالنسبة للتجهيزات الأخرى فإن حجم الأسر المتوفرة على مرحاض يصل إلى 17,71٪، في حين أن نسبة المنازل المجهزة بحمام لم يتعد 5,54٪.

الماء	4.06%
الكهرباء	9.23%
مرحاض	17.71%
حمام	5.54%

تجريات خاصة.

R.G.L.H, Série communale, 1994 ; Caractéristiques démographiques et socio-économiques de la population des communes urbaines et rurales du Royaume, Volume IV, 1997.

* * أما عن تاريخ زحيليگة، فهي قرية صغيرة، اشتهرت بمعركة "الفج" التي جرت فيها بتاريخ 2 دجنبر 1912، بين مقاومي زعير والقوات الفرنسية، حيث قتل الضابط "Christian". وأسس الجنرال "Blondlat" بهذه المنطقة مركزاً عسكرياً سماه "Camp Christian" نسبة للقبطان المقتول، وذلك بهدف ضبط الأمن بالمنطقة ولتوجيه الحملات العسكرية لإخضاع ما تبقى من زعير وقبيلة بني خيران المجاورة والتوغل في أراضي زايبان.

أصبح هذا المركز مستقراً للعسكريين والمعمرين، ملحقة بالمراقبة المدنية للرماني. وبعد الاستقلال أصبحت تعرف بـ "زحيليگة" نسبة للمنحدرات القوية التي وجدت بها. بلغ عدد سكانها في شتنبر 1994 : 16.778 على مساحة 540,00 كلم². ترتبط أنشطتها الاقتصادية بالفلاحة خاصة. تشتهر بسوقها الأسبوعي (الخميس). وتشكل محطة لتوقف المسافرين والحافلات بين الرباط من جهة، ووادي زم وخرببگة وبني ملال من جهة أخرى. وهي اليوم جماعة قروية وقيادة تابعة لدائرة الرماني، إقليم الخميسات، جهة : الرباط - سلا - زمور - زعير.

م. ابن سودة، قبيلة زعير قديماً وحديثاً، الدار البيضاء، 1977.

غابرة حيث إن الصينيين كانوا يتعاطون تربية أسماك المياه العذبة ورغم قدم هذا النشاط فإن الإنسان لم يتحكم بعد في مراحل تربية العديد من الأنواع المائية ومازالت تربية الأحياء المائية لا تنتج إلا أقل من 20٪ من المنتج العالمي من الموارد البحرية والمائية بشكل عام. أما في المغرب فتلك النسب لا تتعدى 1٪ نظراً لضعف الاستثمار في هذا المجال ونظراً كذلك لضعف التحكم في تقنيات تربية العديد من الأنواع. ومن المشاكل التي تعترض تقدم وتطور هذا الميدان هناك :

- التوالد حيث إن تربية العديد من الأنواع المائية، خاصة الأسماء يعتمد بالأساس على توفر نسل يلتقط في معظمه من الوسط المائي، إلا أن مشاكل التلوث والإفراط في الصيد الخ، يضعف من إمكانية العثور على نسل وفير يمكن من تأمين حاجيات المستثمرين في صغار الحيوانات المرباة.



- نمو وتطور اليرقات حيث إنه من المعروف أن أغلبية الحيوانات المائية تلقي حيواناتها المنوية وبويضاتها بالآلاف في الماء لتلتقي بينها وتتخاضب، لكن تلك البويضات المخضبة وبعد تطورها إلى يرقات تبقى انتقائية جداً من حيث ظروف الوسط الذي تعيش فيه الشيء الذي لا يمكن وجوده وتحضيره بشكل كامل في الوسط الاصطناعي.

- التغذية التي يمكن أن تسبب مشاكل على مستويين (كمي وكيفي)، أما من حيث الكيف فإن ما يعطى لنوع من الأسماك قد لا يصلح لنوع آخر بل وداخل نفس النوع فقد يختلف. عذاء اليرقات عن غذاء الأفراد البالغة. أما على مستوى الكم فما زال مشكل "الكمية" الكافية وغير الملونة قائماً بالنسبة لمجمل الزراعة المائية التي تسبب غالباً أضراراً بيئية قد يمكن تفاديها لو عرف المستثمر الكمية التي عليه أن يقدمها للأنواع المرباة.

- القابلية للتربية حيث إن الحيوانات اللاحمة المزمع تربيتها قد يصعب جمعها في مكان واحد نظراً لطبيعتها الافتراضية.

التصوف، ويتعرف على الشيخ الحاج علي الإلغي الدرقاوي ويصبح من مريديه ومن أعمدة الطريقة في بلده، حيث كان يستقبله عندما يسبح إلى تلك الجهة مع فقراؤه ويراسله عندما يستقر في زاويته يبلغ دون أن يزورها ولو مرة واحدة.

توفي الزدوتي في حدود سنة 1325.

م. المختار السوسي، المعسول، 16 : 234 : رجالات العلم العربي في سوس، ص. 211.

المهدي السعيد

زرارة وتكتب في بعض المصادر المغربية زرار والزرارات، وهي من عشائر قبيلة الأوداية التي أصلها من عرب معقل الصحراويين، وكانوا ينتجعون بين الصحراء وسوس الأقصى، وقد جمعهم السلطان مولاي إسماعيل في قصة مشهورة، وشكل منهم قبيلة مخزنية قوية، وكتبهم في ديوان الجيش، ووزعهم بين فاس ومكناس. ثم أمر بنقلهم إلى حوز وجدة، وأضافهم إلى إخوانهم من بين معقل الشبانان الذين نقلهم من حوز مراكش، وولى عليهم القائد أبا البقاء ابن الزويعر الزرهوني الزراري.

وتمكنت زرارة بعد وفاة السلطان مولاي إسماعيل مع أولاد جرار والشبانان من الهروب في اتجاه بلادهم، ونهبوا جميع ما مروا به، كما ذكر الريف في دولة السلطان محمد ولد عربية. وذلك عام 1150. ولما تولى السلطان سيدي محمد بن عبد الله رحل أولاد دليم من بلادهم وأعطاهما لزرارة والشبانان مما جعل الصراع حول المجال يمتد إلى عصر ابنه مولاي اليزيد. وكانت زرارة من أشد المساندين للسلطان مولاي هشام ضد أخيه اليزيد، وحتى بعد مبايعة مولاي سليمان ظلوا متشبثين ببيعة مولاي هشام. وقد استقروا قرب زاوية الشراذي، وأصبح وادي الحلوف يعرف ببلاد زرارة.

ع. الكريم الريفي، زهر الأكم، 248 : م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، تح. العماري، ص. 214 و236 و263. 299 : ابن الحاج، الدر المنتخب، مخ خ س 12184 ج 6، ص. 109 : ابن زيدان، العز والصولة، 1 : 164.

أحمد ابشرخان

الزراعة ← الفلاحة

الزراعة المائية، تطلق على تربية نباتات (طحالب مثلاً) وحيوانات (رخويات أسماك الخ) مائية من أجل استغلالها خاصة في ميدان التغذية. وقد يعنى بذلك حيوانات ونباتات تعيش في المياه القارية العذبة أو تلك التي تعيش في البحر.

والزراعة المائية نشاط اقتصادي معروف منذ عصور

البلاستيكي الامتيازات التالية :
- تكثيف نظام الإنتاج، خاصة في حيز المساحات الصغيرة ؛

- تعجيل الجني من أجل الاستجابة لطلب السوق بشأن الفواكه والخضر المبكرة ؛

- تقسيط الإنتاج وبالتالي ترتيب المداهيل ؛ استثمار منتج في آجال تحصيل قصيرة ؛

تأمين أفضل وتحسين ظروف العمل.

تاريخيا يبدو أن البيوت الخضراء قد عرفت النور بهولندا، خلال النصف الأول من القرن السابع عشر، إبان كان البلد أول قوة بحرية في العالم جعلته يتمتع بأعلى مستوى معاشي على الإطلاق. وقد كان من مباحج العيش في البلاطات الملكية بألمانيا وبريطانيا العظمى وفرنسا ما تقدمه زراعة البواكير، بالدفينات المخولة للإزهار الشتوي، التي توفر العنب والفواكه في غير أوانها. ولازالت هولندا، حتى اليوم، من ضمن البلدان الأكثر تطورا لزراعات الزهور والخضر تحت الدفينات في أوروبا.

عرف المغرب واقبات الدفيئة ابتداء من السبعينيات، وقد حصل ذلك تبعا للتضييق الزمني الذي فرضته أسواق المجموعة الاقتصادية الأوروبية بتخصيص فترة تصدير الطماطم ما بين نونبر وأبريل. فأصبح لزاما على المغرب إعادة هيكلة قطاع البقول (اتفاقية المغرب - س. ق. أ. 1976). ومن مقتضيات مشروع إعادة هيكلة قطاع البواكير (1979 - 1987). تقوية الإنتاج الشتوي وتحسين جودته وتكييفه مع توقيت التصدير. أجريت تجارب على زراعة الطماطم والفلفل تحت الدفيئة في 1970 بأكادير، ثم امتدت بعدها إلى نواحي الدار البيضاء، آسفي والجديدة. انتقلت تغطية الدفينات من 5 هكتارات في 1973 - 1974 إلى 1.500 هكتار، 1.300 منها بالطماطم، في 1986 - 1987 مع متم مشروع البواكير. وفي 1994 - 95، أصبحت التغطية 8.560 هكتارا، 5.270 منها لزراعات البقول الباكورة، 2.930 للموز، 325 لزراعة الزهور و35 لزراعات مختلفة منها الدالية والخوخ والأناناس. خلال 1998 - 99، احتلت البقول في الأنفاق البلاستيكية وحدها 7.770 هكتارا لإنتاج 652.500 طن، تغطي الطماطم منها 3630 هكتارا، متبوعة بالفراولة (1.475 هكتارا)، والبطيخ (1.320)، والفلفل (416)، والدلاع (320)، والخيار (200)، والفاصولية (180)، وغيرها.

أما المناطق التي همتها هذه الزراعات فهي أساسا سوس - ماسة (5000 هكتار)، الغرب - اللوكوس (1400 هكتار)، دكالة - آسفي (1200 هكتار)، الدار البيضاء - الرباط - ابن سليمان (650 هكتارا)، سطات - تادلا - الحوز (300 هكتار)، وغيرها (100 هكتار).
أصناف الدفينات المستعملة بالمغرب.
- الدفينات المعدنية.

واعتماداً على المعطيات البيئية للوسط المستعمل في تربية الأحياء المائية قد يلجأ المربي لتلك الأحياء إلى تطعيم الوسط بمواد مغذية تساعد الحيوانات على النمو والتطور. وقد يستغني عن ذلك إذا كان الوسط الذي تعيش فيه تلك الأحياء غنيا بالمواد العضوية الكافية لنمو كل حلقات السلسلة الغذائية التي تنتمي إليها الأنواع المزمع تربيتها.

يمكن تقسيم زراعة الأحياء المائية إلى ثلاثة أنواع حسب الهدف من هذه الزراعة.

1 - زراعة إنتاجية والهدف منها تكثيف إنتاج أحد الأنواع المرباة وذلك إما لدورها الاقتصادي والاجتماعي وإما لتخفيف الضغط على أنواع أخرى مستهلكة.

2 - زراعة توظيفية والمراد من تنميتها مساعدة بعض الأنواع المهدهدة أو في طريق الانقراض على التكاثر حتى تضمن الاستمرارية للنوع الذي تمثله.

3 - الزراعة الاحتياطية وهي زراعة أحياء مائية لأنواع مستعملة قد لا تكون مهدهدة لكن الإفراط في استعمالها قد يعرضها لذلك يوماً ما، لذا فإن زراعتها للتحكم في مراحل تطورها قد يساعد يوماً ما على إنقاذ وجودها إذا ما أصبحت مهدهدة.

رغم شساعة مساحة المنطقة الوطنية البحرية ورغم طول السواحل المغربية ووفرة الأوساط المحمية، فالمنطق المستعملة لزراعة الأحياء المائية تبقى جد محدودة (بحيرة الناصور، بحيرة الواليدية، بحيرة طرفاية...)، أما الأنواع المرباة فهي تقتصر على ثلاثة أنواع من الأسماك ونوعين من الرخويات. أما الإنتاج، وكما ذكرنا سابقا، فهو لا يتعدى 1٪ من مجموع الأسماك المستخرجة من البحر ولا يتعدى 2000 طن فقط.

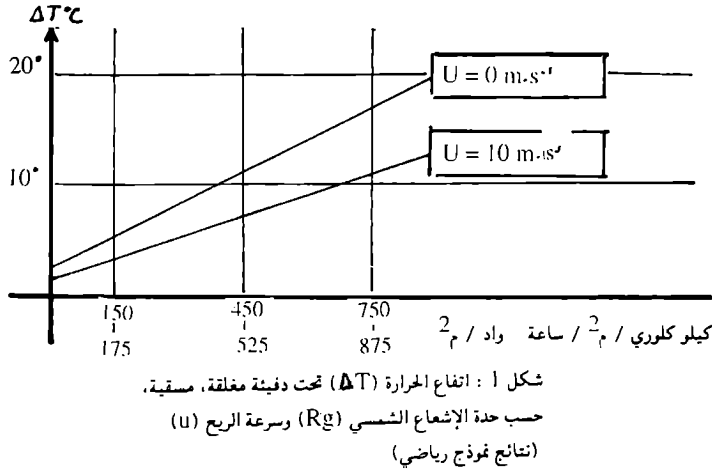
محمد منبوي

الزراعة المغطاة أو الدفيئة، أنماط زراعية

متطورة تعتمد البيوت المغطاة أو الدفيئة. والبيوت المغطاة بنيات محيطة مكونة من هيكل يحمل مربعات زجاجية أو غشاء بلاستيكي، يتلخص دورها في تعديل مفعول المناخ وتكييفه مع متطلبات المغروسات بأقل كلفة. يسمح هذا التغيير الاصطناعي للوسط بزراعة النباتات خارج إبان إنتاجها الطبيعي، حيث تعجز في غيابه عن النمو، أو إذا حصل، كان المردود هزيلا وإنتاج الفواكه أو الخضر أو الزهور ضعيف الجودة.

وتسمح الواقبات الخفيفة (الأنفاق البلاستيكية، الأنفاق الوطينة، السقيفات)، ذات الكلفة المتواضعة، بحماية النباتات من عنف الرياح ومن الصقيع، وكذا باكتساب بضع درجات حرارية خلال فصل الشتاء وتسريع إيكار الجني بأسبوعين إلى أربعة أسابيع حسب الأنواع النباتية المزروعة. ومقارنة بزراعة الفضاء الطلق، تخول الدفيئة أو النفق

وتفاوت المدى الحراري الأقصى كذلك حسب الموقع العرضي واختلاف فترات السنة. ففي شهر دجنبر، تسمح الدفيئة إذا كانت حجوزيتها كافية بريح 10 درجات (شكل 2). لكن بقدر ما يكون مفعول الدفيئة مطلوباً في فصل الشتاء، بقدر ما تخشى عواقبه في الصيف، إذ أن ارتفاعات للحرارة تصل إلى 15 و20 درجة التحكم فيها بمجرد التهوية السكونية.



هناك فوائد أخرى لمخابئ الدفيئة حيث إنها، بالإضافة إلى مفعولها على الحرارة، تحمي الغرس من تقلبات الجو (رياح عنيفة، أمطار...) كما إنها تقلل من التبخر والنتج بنسبة 30 إلى 40٪ مقارنة مع زراعات الحقول المفتوحة، الشيء الذي يحدث اقتصاداً في استهلاك المياه يترتب بالخصوص عن ارتفاع الرطوبة النسبية للهواء ومفعول صد الرياح.

- الأنفاق الوطنية.

الأنفاق الوطنية أو الأنفاق النانتية هي أنفاق نصف أسطوانية ذات هيكل من أسلاك الحديد المغلفن الراسخ في الأرض، تشد فوقها تغليفات بلاستيكية. وهي تعتبر بنيات تخول "نصف التبريد"، مستعملة بصفة مؤقتة من أجل تسريع انطلاق الزراعة في مراحل لازال الجو فيها بارداً جداً. أما إذا اقترنت بعمليات تفرش التربة فإنها تسمح بالزيادة في حرارة الهواء والتربة بما يناهز 5 إلى 10 درجات، على الأقل خلال النهار. ويتراوح مدى التبريد، مقارنة بالمجالات المفتوحة، ما بين أسبوعين وثلاثة أسابيع. تستعمل هذه الأنفاق، على الخصوص، في زراعات الفراولة والبطيخ. وتقدر المساحات المجهزة بها حالياً بحوالي 1000 هكتار.

مواد التغليف والتفريغ

- مواد التغليف.

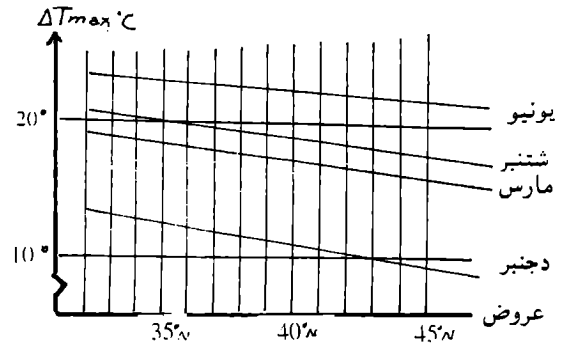
تقل أغشية متعدد الاتلين قاعدة الصناعة في مواد التغليف (Polyéthylène : P. E.) ويكون توزيعها على

تشكل الدفيئات المعدنية من أنفاق ذات هيكل معدني نصف - أسطواني مصنوع من أنابيب فولاذية مغلقة، يبلغ علوها 3 أمتار (نفق دلتا 9) إلى 3.5 أمتار (نفق سوكودام)، وعرضها 9 أمتار على طول 56 متراً. تشغل هذه الأنفاق مساحة أرضية هي 504 أمتار مربعة وحجم 1210 أمتار مكعبة (نفق دلتا 9) إلى 1350 متر مكعب (نفق سوكودام). من الأنفاق ما هو بسيط ومنها ما هو متعدد المقصورات. وفي الحالات الخاصة بغراسة الموز والورد يمكن أن يبلغ علوها 4.5 إلى 5 أمتار. تغطي الدفيئات المعدنية مساحة 4300 هكتار أي 50٪ من مجموع المساحة المغطاة.

- الدفيئات الخشبية.

تسمى كذلك بالواقيات الكنارية وهي متعددة المقصورات مسطحة ذات انحدار ضعيف، يتألف هيكلها من أعمدة مصنوعة من خشب الكلبتوس، راسخة في الأرض ومشدودة بعقد السلك الحديدي. تغطي الدفيئات من هذا النوع، في ما يخص زراعات البقول، ارتفاعات من 2.7 إلى 2.530 متراً، ومساحة أرضية من 2.530 متراً مربعاً بحجم 6.630 متراً مكعباً. تغطي الدفيئات الخشبية مساحة 3.300 هكتار منها 2.200 هكتار من الموز.

المراد من المخابئ الدفيئة بالمغرب أن تكون بنيات تسمح بنفوذ الأشعة الشمسية، الأشعة تحت الحمراء القصيرة، لكن مع حبس جزء من الإشعاعات تحت الحمراء الطويلة التي تعكسها التربة والنباتات تحت تأثير التسخين الشمسي خلال النهار. يحدث ذلك ارتفاعاً في درجات الحرارة، تبقى عالية في الليل داخل النفق معها خارجة، إلا ما كان من حالات استثناء الانعكاس الحراري. ذلك بالضبط هو ما يسمى بمفعول الدفيئة. قليلاً ما يتعدى الارتفاع الحراري الليلي الناتج 2 إلى 5 درجات، في حين يتزايد الفائض الحراري في النهار بحسب حدة الإشعاع الشمسي وضعف الرياح (شكل 1).



هيئة لفائف يتراوح عرضها ما بين 2 و6 أمتار. كما يتفاوت سمكها بين 40 ميكرون في الأنفاق الصغيرة الناتية أو في مواد التفريش، إلى 180 أو 220 ميكرون في دفيئات الموز.

وتعرض مواد البلاستيك أصنافاً مختلفة :

- متعدد الاثيلين العادي (P. E.) : شفاف، بدون تلون، لا يعمر أكثر من 6 أشهر، أما مفعول الدفيئة الذي يوفره فهو ضعيف. لا يستعمل إلا نادراً على الأنفاق.

- متعدد الاثيلين فوق البنفسجية (PEUV) : ينتج عن معالجة الصنف العادي، السالف الذكر، بإضافات الغرض منها تأجيل التدهورات المترتبة عن الأشعة فوق البنفسجية الشمسية. يبلغ مدى حياة غشاء من هذا النوع موسمين أو ثلاثة مواسم زراعية، وربما أكثر إذا كان محكم التركيب ومطلياً في مستوى الدعامات.

- متعدد الاثيلين تحت الحمراء (PEIR) : يأتي في الغالب على أساس متعدد اثيلين فوق البنفسجية مغناة بسليكات الألومين أو المغنيزي، الأمر الذي يقلل من نفوذته إزاء الأشعة تحت الحمراء الطويلة، محدثاً بذلك مفعول دفيئة أفضل. لكنه أقصر عمراً من الأغشية السابقة ويتميز بسهولة أكبر.

- متعدد الاثيلين خلات الفينيل (Polyéthylène vinyle-acétate : PEVA, EVA) وهو غشاء من الصنف الأول أو الثاني، مغنى بخلات الفينيل التي تسهم بزيادة خفيفة في شفافيته للأشعة الشمسية، مع تقليل واضح لشفافيته بالنسبة للأشعة تحت الحمراء الطويلة، الشيء الذي يرفع من مفعول الدفيئة. كما أنه أكثر مرونة من الأغشية العادية وأطول عمراً.

- متعدّدات الاثيلين الخاصة :

- مضادة للتضبيب، وهي أغشية من متعدد الاثيلين معالجة بإضافات تحول دون تكاثف الماء على جدران الدفيئة.

- مضادة للغبار، وهي أغشية تتوفر على كهربية سكونية تنزع إلى إبعاد الغبار عن الغشاء البلاستيكي.

حصل تجريب مختلف الأغشية البلاستيكية في جهتين مختلفتين، جهة الدار البيضاء لحساب المنطقة الشمالية، وجهة أكادير لحساب المنطقة الجنوبية.

ففي المنطقة الشمالية، تبين أن استعمال الأغشية البلاستيكية ذات المفعول الحراري هي الأنسب حيث أسهمت في زيادة المردودية شتاء، شريطة أن يكون تدبير مناخ الدفيئة (الحجوزية، التهوية المناسبة) قد تم في ظروف ملائمة.

أما في المنطقة الجنوبية، فإن استعمال الأغشية ذات المفعول الحراري غير مرغوب فيها بالضرورة. ذلك أنه في الدفيئات الضعيفة التهوية (أقل من 20 إلى 25٪ من سطح الأرض)، يمكن أن يحصل فائض حراري، حتى في

فصل الشتاء، يترتب عنه ذبول النباتات. كما إن تبرد الدفيئات في هذه المنطقة يكاد لا يحصل إلا خلال الليل، يتسبب فيه الإشعاع الأرضي المرتفع الذي يخص فترات الليالي الصافية. هذا النوع من التبريد يكون دائماً مصحوباً بتكاثف الماء على جدران البلاستيك مما يتسبب في مفعول دفيئة من المستوى الممتاز، يدوم بدوام الفترة الباردة. لذا فإن دفيئة مغطاة بغشاء من متعدد الاثيلين فوق البنفسجية (بدون مفعول حراري) توفر مفعول دفيئة بالقدر الكافي في الجو البارد، دون ما أي مفعول دفيئة يذكر خلال النهار عندما يختفي التكاثف.

- التفريش.

يخول التفريش البلاستيكي للتربة تغيير حرارة الهواء والتربة بالجوار المباشر للنبات. عملياً، ترتفع حرارة التربة بدرجة واحدة إلى 5 درجات في المعدل حسب طبيعة الغشاء وطريقة نصبه. فالبنسبة لتفريش بمتعدد الاثيلين أسود، تتحسن الحرارة الليلية بما قدره 2 إلى 3 درجات بسبب امتصاص الإشعاع، في حين لا يطرأ أي تغيير يذكر على حرارة التربة خلال النهار.

كما يساعد التفريش عموماً على مكافحة الأعشاب الضارة، وعلى الحد من التبخر والتنج، واندكك التربة وتحويلها، ويؤثر على التبريد ومردودية الزراعات.

تدبير مناخ الدفيئة.

يكون التحكم في بيئة الدفيئة إما باستعمال تقنيات بسيطة واقتصادية (تهوية سكونية، تسخين شمسي سلبي، تبييض الغشاء البلاستيكي، طلاء الدعامات...) أو باستعمال طرق معقدة ومكلفة (تسخين بريح مدفوعة، حواجز حرارية، تهوية دينامية...). يتم اختيار تقنية دون الأخرى بالنظر إلى طبيعة الدفيئة ذاتها، وإلى القيمة الاقتصادية للمزروع ومدى تحمله لتكلفة الاعتمادات المترتبة، وإلى مستوى تأهيل البستاني، وإلى مدى توافر مصادر الطاقة.

أما المتغيرات الأساسية المراد التحكم فيها فهي : الحرارة، والنور والرطوبة.

- الحرارة.

فمن أجل حفظ الحرارة وتحسين الأجواء الليلية، يوصى باعتماد التقنيات الرئيسية الآتي ذكرها :

- استعمال حاجز مثنى من أجل ردع الحرارة القصوى والرفع من الحرارة الدنيا. تؤمن هذه التقنية اقتصاداً للطاقة قدره 40 إلى 50٪ مقارنة بالتسخين الاعتيادي، مع رفع للحرارة الدنيا يبلغ 2 إلى 3 درجات.

- مزاولة التسخين الشمسي السلبي بالنسبة للزراعات المقامة بين نومبر ويناير تخول الحصول على رفع المعدلات الحرارية الدنيا بما قدره 4 درجات تحت الغلاف الوحيد، و6 درجات تحت الغلاف المثنى، مع تحسين مردودية البطيخ مثلاً بـ 50٪ مقارنة بالدفيئات غير المعرضة للتسخين،

وربح في التبكير من 2 إلى 3 أسابيع.

- إقامة مصدة الريح للحد من الإتلاف الحراري داخل الدفيئة.

- إقفال الدفيئة في الزوال الباكر عند هبوط الحرارة إلى 25 درجة.

- استعمال حاجز حراري متحرك، يتم نشره ليلا.

- استعمال غشاء بلاستيكي ذي شفافية قصوى بالنسبة تحت الحمراء القصيرة (متعدد الأتيلين من صنف تحت الحمراء، وصنف خلات (أسيات) (الفينيل)).

أما في حالات ارتفاع الحرارة الصيفية، فإن تقنيات الحد من الإشعاع صيفا تسهم في تخفيض الحرارة بداخل الدفيئة.

- النور والتشميس.

الوسائل التي تضمن أفضل ظروف التنوير هي كالتالي:

- استعمال غشاء بلاستيكي للتغليف يتوفر على شفافية قصوى للأشعة الشمسية، وعلى خاصيات لاسكونية مانعة لوساخة الجدران. ويستحسن في هذا الصدد استعمال بلاستيك 120 ميكرون كل سنة بالنسبة للزراعات المتطلبة للنور (بطيخ، طماطم)، في حين يمكن استعمال الأغشية البلاستيكية لموسمين في الزراعات المتواضعة الطلب على النور كالقرع الأخضر.

- الإبقاء على تهوية جيدة من أجل تجنب تكاثف الماء على البلاستيك والنباتات.

- إقامة الدفيئة في مواقع خارجة عن الظل.

- استعمال الكثافة المثلى في الغرس، وإيجاد التوجيه المناسب للخطوط المغروسة حتى تحظى النباتات بالقسط الأوفر من النور.

خلال الصيف، يحصل أن تتعرض الدفيئة إلى إفراط في السخونة بسبب الإشعاعات المرتفعة التي يمكن أن تصل، في الجو الصحو، إلى 1.5 وحدة حرارية للسنتيمتر المربع في الدقيقة. لذا ترتب التحسب لذلك بالتظليل بواسطة تبييض سقف الدفيئة أو باستعمال أنسجة التظليل المهواة، المنتقية (استبعاد الأشعة تحت الحمراء القصيرة وحدها)، والمنقولة المعدة لردع الحرارة المفرطة.

- الرطوبة.

وجبت مراقبة رطوبة الهواء مادامت تسهل تكاثر الأمراض الفطرية.

أما في الجو الحار والجاف، فغالبا ما تهبط الرطوبة بداخل الدفيئة إلى ما دون المستوى المرغوب فيه، فتكون التقنيات العملية التي تسمح بالرفع منها هي التظليل، ورش التربة، والتضبيب بالبخ وكذا إقفال الدفيئة. أما اقتناء نظام التبريد فهو ممارسة مكلفة، ويصعب التحكم فيها.

وعلى النقيض، عندما تكون الرطوبة النسبية للهواء مرتفعة، يجدر اتخاذ الإجراءات التالية: - تهوية الدفيئة

باكرا في الصباح.

- استعمال التفريش البلاستيكي والسقي المحلي عوض السقي بالجاذبية.

- نزع الأوراق عن قواعد النبات لتسهيل حركة الهواء.

- التسخين من أجل الرفع من حرارة الهواء.

- استعمال الحواجز الحرارية.

لاشك أن هاتين التقنيتين الأخيرتين فعاليتين، لكن إقامتهما مرتفعة التكاليف ولا مبرر لهما إلا مع الزراعات ذات القيمة المضافة العالية.

على العموم، يتبين أن الزراعة المغطاة، لما تقتضيه من تدبير معقد نسبيا ومن حاجيات ماسة للتقنيات المتطورة، تقتضي المستوى المعرفي الرفيع والمستخدمين المؤهلين. كما يتوجب على بنيات الدعم التقني (معاهد البحث، هيئات التنمية، محطات التجريب، ...) أن تسهم في تسهيل تحويل هذه التكنولوجيات الجديدة، بعد أن تكون قد تحققت من نجاعتها وتوافقها مع الظروف النوعية لوسط الإنتاج.

ولالي الأوديبي، ضوء المكان، قسم البستنة، معهد الحسن الثاني

للزراعة والبيطرة، الرباط.

K. Bendaou, *Impact des accords du GATT sur les exportations agricoles du Maroc*. Rabat, 1997 ; *Cultures protégées en climat méditerranéen*. Bulletin de la FAO, n° 90, 1988 ; A. Hamdi et C. Lacirignola, *An overview of protected agriculture in the mediterranean countries*. In *regional consultative meeting on greenhouse production in the mediterranean region*. November 1993, Agadir. pp. 300 - 319, 1993 ; Mamva, *Bilan du secteur des primeurs au Maroc. Campagne 1998 - 99*, 1999 ; M. Sirjacobs, *Les cultures protégées au Maroc. Choix des régions climatiquement favorables*. H.T.E., 1986 ; A. Morchid, *Potentialités de développement des cultures sous abris serres dans la zone côtière du périmètre du Gharb*. Mémoire de troisième cycle de l'Institut Agronomique et Vétérinaire Hassan II. Rabat, 1999.

إدريس الفاسي

الزرايعي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث

ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا :- Alaçaraque - Laçaraque - Alazaraque - ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Lazraque.

م- ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون 1999، والمراجع

العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 763.

محمد ابن عزوز حكيم

زبان أُوْكَرُومْ، مقاوم ولد سنة 1920 بأيت

عكناس، عرف منذ شبابه بالغيرة الوطنية والشجاعة بما

دفعه إلى الالتحاق بإخوانه المجاهدين في صفوف جيش

التحرير وذلك يوم فاتح شتنبر من سنة 1955 بالأطلس

كان نسج الزرابي على امتداد تاريخ المغرب وإلى غاية النصف الثاني من القرن العشرين عملية تجري داخل العائلة ولا سيما في البوادي، وتمهتت فيها في كل جهة عائلات توارثت صناعتها، وربما شارك الرجال في النسج أو في بعض جوانبه إلى جانب النساء. فالنساء والرجال هم حفظة التقاليد العريقة في صناعة الزرابي نسجا ورسما. صناعة الزرابي تقليدان : حضري وبدو، فالتقليد الحضري مثله الزربية الرباطية، وقد نشأت في مدينة سلا صناعة للزرابي في الربع الثاني من القرن العشرين.

فالزربية الرباطية كزربية مدن المغرب الكبير كالقروان وزرابي الهضاب العليا في جهة قسنطينة هي مما أدخله التأثير التركي حوالي القرن الثامن عشر. فأصلها النمودجي من آسيا الصغرى ولا سيما جهة موجور وربما دخلت فيها عناصر من زاربي غيورديش وكوبا ولاذق وميليز.

فالزربية الرباطية مثل زرابي الجهات المذكورة تتضمن سبعة ألوان (الأحمر والأزرق والأصفر والأخضر والبرتقالي والأسود والأبيض)، ويوجد بينها تشابه أيضاً في غنى التأطير وقوته. وتتميز الزربية الرباطية بعناصر ربما شكلت أصلتها، منها أن الخلفية الوسطى هي دائما حمراء لا يتغير لونها ؛ وأنها بخلاف الزربية الشرقية تكاد لا تحتوي توجها إلى القبلة حيث يكون لها في زوايا حقلها الأوسط أربع ركنيات (بدل اثنتين في زربية الصلاة) ؛ يضاف إلى هذا أن الزربية الرباطية هي على العموم موسومة في وسطها بحلية مزوقة على شكل معين رباعي أو رسم سداسي الأضلاع. أما مقاس الزربية الرباطية فيتميز

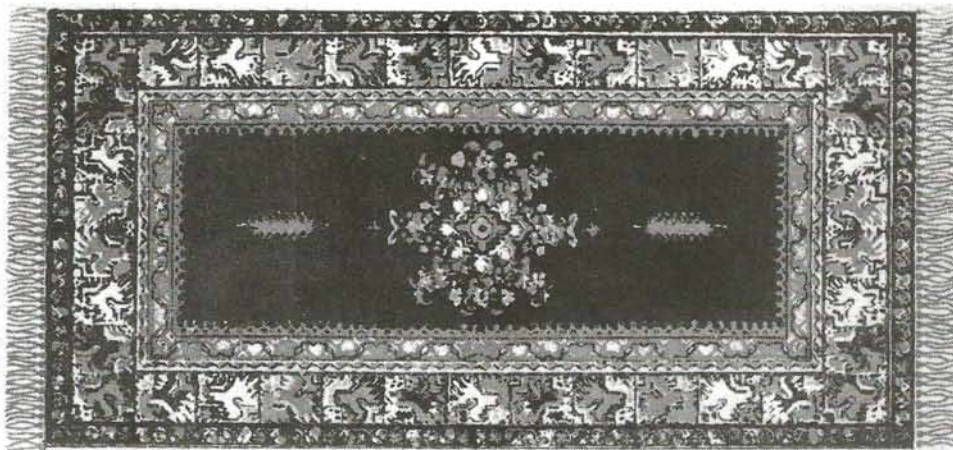
المتوسط تحت قيادة محمد بن قدور ضمن تشكيلة السلام الناري والأبيض بأيت حلوسين ملحقة بركين.

شارك في عدة هجومات على دوريات الاستعمار، منها الهجوم على مركز بركين الذي كان الغرض منه الاستيلاء على السلاح، وإثر الاشتباك مع جنود الاستعمار سقط المجاهد زربان وكروم شهيدا وذلك يوم السبت 13 صفر عام 1375 / فاتح أكتوبر من سنة 1955.

المنديبية السامية لقداما المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 508890.

الزربية، اشتهر أهل المغرب في الجبال والهضاب والسهول بتربية الأغنام التي توفر لهم اللحم والجلود والصوف، ومن الصوف يصنعون ملابس وأفرشة رائقة وأهمها الزرابي أو البسط التي تفننت فيها أيدي العاملات. يعالج الصوف من أجل صنع زربية بغسله وتنقيته وندفه وحلجه وصبغه وإقامة سداه ثم نسجه، وتحيط بهذه العمليات طقوس ومعتقدات تجمع بين حبور الاكتشاف والشعور بمقاربة الخفي والمجهول.

تصنع الزربية من مآت آلاف العقد ينسج بعضها على بعض على سدى تتخالف فيه خيوط ملونة تتخيل المعلمة الناسجة الأشكال التي ستنتج عنها دون أن تضع لذلك رسما مخططا، فيأتي شكل الزربية في تزويقها متوازنا متماثلا مشيراً للإعجاب. وهكذا تعبر الزربية المغربية بكيفية طبيعية عن شخصية جمالية وخصوصية ثقافية وذوق قد لا يكون غاية في الرقة ولكنه خال من الخلط والابتدال.



زربية رباطية

8 سم) وهي الحمراء والأقل طولاً (1 - 3 سم) من ألوان مختلفة (زرقاء، صفراء، برتقالية، سوداء، بيضاء)، وتتميز عن زرابي الأطلس المتوسط بتأثير لعله من تأثير زربية الرباط.

بوياحي : يغلب على صوفها الوافر تلوين أزرق - أخضر - زيتي، معينات تزويقها مليئة بزواقات تتكرر عرضياً بشكل متماثل وتتغير في اتجاه الطول. سجل تزويقها أغنى وأكثر زخماً مما في زرابي الأطلس المتوسط الأخرى، ففيها مربعات ومثلثات ومعينات مع عناصر جديدة كرسوم مشبكة قائمة ومائلة. وبسبب وفرة صوفها المتدلي تكون زربية بويحيي ثقيلة، ولكنها نادرة.

زمور : الزرابي البدوية التي رأيناها أعلاه ذات سمات مشتركة : مصنوعة من صوف معالج بأدوات وطرق ومواد متشابهة، وتزويقها هندسي بالأساس، وهذه السمات عامة في الزربية البدوية. غير أن اختلافات في معالجة المادة الأولية ونسجها يفضي إلى تميز كل مجموعة بسمه خاصة يدركها صاحب العين المدربة. فهناك تنوع لا يحصى في الوحدة. تتميز زربية زمور بطغيان اللون الأحمر الذي تفرغ فيه تلوينات لاتقل حدة، (البرتقالي والأصفر) وتتخلله فضاءات مفتوحة أو مغلقة مكونة من نقط بيضاء أو سوداء ولا نجد الأزرق إلا نادراً. تزويقها من معينات لكنها ذات خطوط منكسرة أو ممشقة.

وزكيتة : تتميز زرابيهم بتعارض غير صادم بين الأبيض والأسود أو بين الأزرق والبرتقالي، مع إمكان إدخال الأحمر والأصفر، بل وحتى الأخضر المحصل عليه باستعمال النيلة أو فوة الوزال الشائك. صوف زرابيهم أقل رقة وأكثر بريقاً. عقد النسج في الطول أقل منه في العرض بكثير. (وفي المتوسط : 9 إلى 14) يظهر وكأن كل صف في العرض معزول عن المجاور له بحوالي 1 سم. فرؤوس الخيوط مقطوعة بكيفية مائلة، وهذه التقنية لا توجد إلا في الزرابي الفنلندية.

شيشاوة : عمق أحمر موحد تارة وحامل تزويق متماثلة تارة أو مغطى بلوحات عرضية متوالية. يغادر مجال التزويق الهندسي ليدخل مجال تزويق أكثر انفتاحاً يستوحى في بعض الأحيان من مشاهد طبيعية فيها حتى مشاهد أشخاص أحياء.

توجد منسوجات للفرش تشبه الزرابي وتسمى الحنايل، وتتميز بمتانتها وبكونها أقل سمكا من الزرابي وأخف منها وزناً ولاسيما بالنسبة للزرابي ذات الصوف الوافرة والنقط المعقودة. نسجها محفوف مخلوق، تستعمل إما للفرس أو الغطاء أو إقامة الخيام. فيها من الأنواع بقدر ما في الزرابي، وأشهرها حنايل سلا وحنايل زابان وحنايل وزكيتة. تتفاوت جودة الزرابي بحسب المواد المستعملة وتقنية المعالجة والنسج والصباغة. وقد أنشأت السلطات الإدارية طابعا يضمن الأصالة ودرجة الجودة وتشترط مقتضيات

بالضيق في العرض وبطول ممتد في بعض الأحيان وذلك ليأتي على مساحة الغرف ذات العرض الضيق والطول الكبير كما نجدها في مساكن المدن المغربية.

فالزربية الرباطية تتميز بالتباين في الألوان بين إطاراتها وبين حقلها الأوسط : فبينما يتأكد بجلاء اللون الأحمر النحاسي في الحقل الأوسط، يتنحى في الحواشي لكي يدع المجال لعدة أنساق لونية بعضها أقل غمقا وبعضها أكثر صفاء ؛ بينما نجد الوسط لا يحتوي في ما عدا الحلية المركزية إلا على زواقات صغيرة، أما التأطير فتؤتته عناصر نباتية بمقاس أكبر تتوالى على طول الحواشي المتنوعة المفروقة بطريقة ذكية بواسطة أشربة دقيقة انتقالية ؛ أما الركينات فتتزين بزواقات ذات قياس متوسط تتناغم في توجهها وألوانها مع الخطوط المائلة للتقاويس المجاورة.

أما الصناعات البدوية للزربية فتمثلها على التقليد القديم جهات : - جيگو : من أشهر زرابيه تلك التي تتكون تزويقها من معينات لا غير وتنحصر ألوانها في الأحمر والأسود والأبيض. ليس في تكرار المعينات رتابة في حين تتدخل في الألوان توابت غير متوقعة وفي قالب شد الخيط وفي قطع البُسُط، ثم بعض التنوع في البنية الداخلية للمعينات ولاسيما عند رؤسها، كل هذا يجعل التزيين بعيداً عن الجمود الآلي ويشكل مجموعاً رائعاً للنظر. لا شيء في زرابي جيگو يوحي بالتأطير، مثال بلد جيگو الذي لا يعرف حدوداً دقيقة. وفي أنواع أخرى لا نجد المعينات وحدها بل تقوم النساجة بإدخال لوحات أفقية متوازية تتناوب فيها لحامات مكرورة ويسط من حاشية إلى أخرى.

يوب : تشبه زرابيه زرابي جيگو التي تزويقها من المعينات، ولكنها أغنى تلوينا.

مكيلد : تتميز زربية بني مكيلد بتزويق يستعمل فيه تشبيك من المعينات لا يكون رسمه بخطوط مائلة بل بمربعات صغيرة قائمة مما يعطي منظراً شطرنجياً. يكون تغير الألوان خفيفاً في بعضها حسب مناطق عارضة متوالية وتنوع زواقات بارزة في المحور الأفقي وفي الحواشي، وهذا يبعد كل رتابة عن منظر الزربية.

مرموشة : قد تبلغ زربية مرموشة وزربية بني وارين 5 أو 6 أمتار في الطول. وهكذا يمكن أن تتخذ فرشاً أو غطاء لعائلة بأكملها. قد تتناوب فيها وتتوالى لوحات مختلفة التزاويق بكيفية مستعرضة. يتكون بعض هذه اللوحات من معينات كبرى متداخلة متكونة أضلاعها من مربعات صغيرة. عند مرموشة كما كانت عند عدد من قبائل الأطلس المتوسط يشارك الرجل المرأة في نسج الزرابي.

زيان : تشبه زرابيهم زرابي مرموشة وبني وارين في وفرة صوفها ولكن زرابي زيان يغلب عليها اللون الأحمر تتدلى من صفحاتها خيوط متفاوتة القطع (من 5 إلى

المراقبة أن تكون الزربية من نقط معقودة أو منسوجة باليد من صوف منقى من الروائح والشحوم، يمكن أن تكون خيوط لحمته وسداه من القطن كما يمكن أن يدخل فيها شعر المعز أو وبر الإبل، ولا يمكن أن تحيد من حيث الألوان والصبغة عن النماذج المحددة لكل صنف رسمياً.

تتوقف درجة رقة الزربية على درجة رقة مكوناتها : اللحمة والسدي وعدد العقد، وكلما كانت الزربية دقيقة كلما تطلبت وقتاً ونفقة. فالنوع العادي يتكون من حوالي 20 نقطة في كل عشر سنتيمترات خطية أي 40.000 نقطة في المتر المربع، وقد تنزل إلى 14 نقطة في عشر سنتيمترات وقد تصل إلى 30.

هذه هي الوضعية إلى منتصف القرن العشرين. وبعد ذلك تطورت الزربية وصناعتها من حيث المواقع واتخاذ الطابع غير العائلي ومن حيث الكثرة في الإنتاج استجابة للسوق الداخلية والخارجية ومن حيث التزيين في النسج ومن حيث التفنن في الزواقات وفي إدخال ألوان جديدة، هذا كله دون أن تفقد طابعها المغربي حضرياً كان أو بدوياً، (ترد ضمن مادة : صناعات فنية معلومات حول هذا التطور الصناعي والاقتصادي الذي عرفته الزربية بعد منتصف القرن العشرين).

P. Ricard, *Corpus des tapis marocains*, Paris, 1923
- 34 ; *Les arts indigènes, Numéro spécial de "Nord-Sud"*,
Casablanca, 1930 ; J. Baldoui, *Les tapis*, Rabat, 1942.

أحمد التوفيق

ملخص ومترجم عن ب. ريكار

(*Tapis marocains*, Rabat, 1952)

الزردة أو الضيافة الكبرى أنواع كانت تحتل مكانة متميزة في العلاقات الاجتماعية بالمغرب، وعلى ضوءها يصنف الشخص بخيلاً (لا يزد الناس) أو كريماً (كثير الزرود)، وما تزال تلعب الدور نفسه في البوادي وفي المدن (بدرجة أقل) ومن أنواعها على سبيل المثال. ما يعرف عند العامة (بالنصف) أو (الحق) وهي زردة مفروضة على الشخص أو الجماعة التي ارتكبت خطأ أو مخالفة في حق الغير أو خرجت عن العرف السائد... ويفرض هذا النوع من الزردة (الجماعة) المكونة من حكماء القوم فتلزم الشخص أو الجماعة التي (فيها النصف أو الحق) بإقامة وليمة قد تكون محتوياتها ووجباتها اختيارية وقد تكون مفروضة، وذلك تبعاً لشدّة الخطأ أو المخالفة ومراعاة لحالة الشخص أو الجماعة وتخضع فيها لقرار (الجماعة) وغالباً ما تكون فيها الذبيحة الكبيرة (جمل، عجل أو بقرة) أو ذبيحة صغيرة (شاة من الغنم أو الماعز).

كان الاحتكام في المنازعات الصغرى بين أفراد القبيلة أو الدرب في المدينة إلى مقدم الجماعة (وهو مقدم غير رسمي) بل شخص عرف في القبيلة أو الدرب برجاجة عقله

وحصافة رأيه وبحياده واستقامته وفي حالة تعذر وجود المقدم أو لصعوبة الحكم في النازلة، أو في حالة عدم امتثال المعني بالأمر للحكم يتم اللجوء إلى سلطة أعلى وهي "الرمي" وهو جماعة من الناس لم يشتغلوا بالدنيا بل يعيشون من تبرعات المحسنين ليس في شكل صدقة وإنما نزولاً عند طلب هؤلاء (المتصوفة المجاديب)، كان "الرمي" يحلون بالقبيلة والدوار في دورات معروفة خلال السنة فتعرض عليهم الحالات العالقة، أما وجودهم الدائم ففي الأسواق الأسبوعية بالبوادي حيث يكون لهم قيطون أو عدة قياطين معلومة ؛ ويحضر أمامهم الطرفان المتنازعان أو الطرف المهضوم الحق وحده، وبعد الاستماع، والتثبت وفق مسطرة معروفة عند الجميع يصدر الحكم بإقامة زردة تنتهي بعقد الصلح وبحل النزاع، وفي حالة عدم الامتثال إلى الحكم بعد محاولات عديدة، تتم معاقبة الطرف الراض وذلك "برميّه بطلقات"، ومن هنا جاءت كلمة "الرمي" إذ تتم العملية في طقوس (يجذب) فيها هؤلاء ويهيجون ثم يسددون في اتجاه الشخص أو الجماعة المذنبه بناذقهم التي هي عبارة عن عطى ويطلقون عليه النار التي هي عبارة عن دعاء ضده حتى ولو كان على بعد كلمترات، أي أنهم يتوسلون إلى الله أن يهلك الطرف المعني أو يصيبه في بدنه أو ذريته أو ماله وهكذا ؟ وفي حالة الامتثال وإقامة الزردة يكون العكس، فسلطة هؤلاء هي "الفاتحة" لصالح الشخص أو ضده ؛ وبهذه السلطة استطاعوا تحقيق بعض التوازن في المجتمع إلى حدود منتصف القرن الماضي، وما تزال بقايا من هذه السلطة يمكن الوقوف عليها في بعض القبائل خاصة في منطقة الغرب (رواية شفوية).

النوع الثاني من الزردة ما يقيمه الشخص أو الجماعة من وليمة وإكرام لأهله ومعارفه وأصدقائه وجيرانه بمناسبة نجاح معين في التجارة أو الفلاحة أو بمناسبة بناء دار أو مؤسسة أو غيرها وقد تكون تلقائية أو بطلب وإلحاح من الآخرين الذين يعتبرونها حقاً لهم، وإلى وقت قريب "كنموذج" كان المحضر في المسجد يقيم أهله الزردة بمناسبة بلوغه سورة طه في حفظ القرآن الكريم ويسمونها الزردة الصغرى، أما الزردة الكبرى المصحوبة بكسوة الفقيه ويهدايا أخرى فتكون بمناسبة ختمه حفظ القرآن (السلطنة).

النوع الثالث مرتبط بالأبهة أو إظهار القوة والجاه أو بالسلطة، سواء كانت سلطة دينية (زوايا، أضرحة) أو قيادية (خاصة في ق 19) أو المخزن نفسه، ففي هذا النوع يتم إبهار العامة وإرهابهم بإبراز القوة والعظمة اعتماداً على ما يذبح ويقدم للناس من أطعمة في ولائم حاشدة يحشر إليها الناس على اختلاف مكانتهم ومستوياتهم.

النوع الرابع يقوم به عادة المخزن وأعوانه ويكون "ملغوماً" إذ الهدف منه إيهام "الزرودين" بأن المخزن راضٍ عنهم في حين يكون الهدف الإيقاع بهم وسجنهم أو قتلهم وأمثاله متعددة عبر التاريخ (الضعيف).

قلت في البداية إن مدلول الزردة تطور فأصبح اليوم يختلط بالضيافة العادية أو "العزومة" حتى ولو لم تكن فيها ذبائح وأصبحت هنا مرادفة لحفلة غداء أو عشاء ولا يجب أن نخلط كذلك ما بين الزردة بالمفهوم والمقاييس التي عرضناها وما بين الذبح في المناسبات مثل المواسم والنذر والأعراس والعقيقة والختان والزفاف وما إلى ذلك فهذه اكتسبت صبغة الاكراه الاجتماعي وأصبحت مفروضة بحكم الأعراف والتقاليد والدين.

الرواية الشفوية ؛ مذكرات خاصة ؛ ابن صاحب الصلاة، كتاب المن بالامامة، بيروت، 1987 ؛ تاريخ الضيف الرباطي الرباط، تج، أحمد العماري، الرباط، 1986 ؛ ابن عسكر، دوحة الناشر، الرباط، 1976، تاريخ إقليم أسفي، الدار البيضاء، 2000.

محمد حجاج الطويل

زروق، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس كان من بين أفرادها بعض الفقهاء مثل :

زروق، أحمد بن عبد الصمد الذي كان بقيد الحياة سنة 1130 (1718)

زروق، محمد بن أحمد بن المختار الذي زاول خطة العدالة بالمدينة سنة 1154 (1741).

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 768.

محمد ابن عزوز حكيم

زروق، أسرة عرائشية أصلها من أولاد يحيى فرقة من بني حيارة في عداد قبائل غمارة بني حسّان، ينتسب بعضهم إلى النسب الشريف ولاحظ لهم فيه. وقد وقف مؤلف رياض الجنة في مجموعة للمؤرخ النسابة العربي القادري الفاسي على رسم مثبت صحيح مخاطب عليه بالإعمال لقاضي الجماعة بفاس عبد الواحد الحميدي يتضمن الطعن فيما ادعاه بنو حيارة من النسبة النبوية ومعه كتاب لأبي القاسم ابن خجو مصرحاً بأنه لم يصح عندهم ببني حسان شرف الزجليين والحياريين والزياتيين والشداديين عدا فرقة بني عمران من بني شداد.

زروق، أحمد مقاوم ولد سنة 1921 بدوار تزران قيادة تفرانت دائرة غفساي إقليم تاونات.

انضم إلى صفوف جيش التحرير منذ انطلاقته سنة 1955 وشارك في العديد من المعارك التي استهدفت طرد

المستعمر وتحرير الوطن من حيز الاستعمار، وبعد أن أحرز المغرب على استقلاله وأصل الفقيه دوره الوطني بعد انخراطه في صفوف القوات المسلحة الملكية إلى أن أحيل على التقاعد. وتوفي يوم الاثنين 30 رجب عام 1415 / فاتح يناير 1995.

المدونية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 505529.

زروق، أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، شيخ الطريقة الزروقية التي انتشرت في آفاق البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً، ومحبي الطريقة الشاذلية بالمغرب، وذو اليد البيضاء في تمكينها من الغلبة به ابتداء من القرن 9 / 15 إلى هلم جرأً. وهو المهمد لعصر التصوف في هذه البلاد بدفاعه عن الوحدة بين الشريعة والحقيقة في إطار الطريقة، وعن الفقه والتصوف لحصول الكمال في الدين. وصاحب حركة إصلاحية دينية كبرى نال بها الصفة الجليلة والضخمة التي أطلقها عليه علماء المغرب، وهي "محتسب العلماء والأولياء"، والتي لم يظفر بها غيره من علماء وصوفية الإسلام، ولا فيما قبله ولا فيما بعده. وهو مصنف التأليف النفيسة والغزيرة في مختلف صنوف العلوم، والتي وقف الجهابذة عند ساحلها، وعز على الفطاحل الغوص في دقائقها وجلو حقائقها. ويمكن التمييز في سيرته المحافظة بين المراحل الأربع التالية :

1 - ولد زروق بفاس يوم 28 محرم 846 / 7 يونيو 1442، وكان وحيد أبويه اللذين توفيا في الأسبوع الأول من ميلاده نتيجة الطاعون. وكفلته جدته لأمه، وكانت فقيهة سالحة حرصت على أن ينال أفضل تربية وتعليم، فحفظ القرآن وهو في عامه العاشر، وهو نفس العام الذي توفيت فيه جدته أم البنين، فاضطر لمعانة حرفة الخرازة لكسب قوته. ولما بلغ السادسة عشرة من عمره تحول إلى طلب العلم، وانتظم في سلك طلبة جامع القرويين والمدرسة العنانية. وأخذ عن أعلام الحياة الفكرية بالمغرب خلال الطور الأخير من أطوار الدولة المرينية، كما انتسب إلى بعض مشاهير مشايخ التصوف بالحاضرة الفاسية. وقد ذكرهم بأسمائهم في كُناشيه، وأبعدهم أثراً في روحه وفكره الشيخ محمد بن قاسم القوري (ت. 872 / 1467) آخر حفاظ المدونة بالمغرب، ومقلد خطة الإفتاء بقاعدة ملك بني مرين ؛ والشيخ محمد بن عبد الله الزيتوني (ت. 901 / 5 . 1496) المتصدر لمشيخة زاوية بوقطوط الشاذلية بفاس، وحامل أركاب الحجيج المغربية، والذي توغل في محبته واجتهد في خدمته ولازمه في حضره وسفره. وقد أثمر هذا الأخذ والانتساب أول تعليق على الحكم العطائية صنفه زروق الشاب، وأيضاً كتيباً عنوانه تحفة المرید وروضة

الفريد وفوائد لأهل الفهم السديد والنظر المديد الذي جمع فيه مختاراته من قراءته.

2 - نيف عمر زروق عن العقدين حين اندلعت بفاس فتنة عام 869 / 1465 التي عصفت بدولة بني مرين، وعابن ذبح السلطان عبد الحق المريني، وإطلاق اليد في دماء اليهود وأعراضهم وأموالهم، ومحنة شيخه القوري الذي أبى أن يمكن الثوار من فتوى تبيح خلع السلطان ونقض ذمة اليهود لعدم وجود موجب شرعي لذلك وأجبر على تسليم الفتوى المطلوبة. ولاشك أن زروق قد وقف في صف شيخه في محنته هاته، وأصابه من شرورها مثل ما أصابه، ففسدت العلاقة بينه وبين شيخه الزيتوني الذي قد يكون من جملة المشايخ الذين أضرمو نار الفتنة على بني مرين، وغادر فاس في سياحة أربيعينية محمومة، وألقيت عليه شبهة اليهودية.

ولم يدر العام على هذه الأحداث التي زعزعت كيان زروق الطالب والمريد حتى بلغ فاس نعي الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (ت. 870 / 5 . 1466) الذي سمه بعض الفقهاء، وأذن اغتياله لاشتعال فتنة أخرى أشد فتكا وأطول زمنا وأوسع مكانا. ولم يلبث زروق أن رزى في شيخه القوري الذي توفي عام 872 / 1467، فيقرر أداء فريضة الحج في العام الذي يليه. وستستغرق رحلته الحجازية سبع سنين كاملة، حج خلالها وجاور بالمدينة، وأقام بالقاهرة ذهابا وإيابا، وأخذ بها عن جملة من العلماء والمشايخ المشاركة، ومنهم الفقيه الشهير محمد السخاوي (ت. 913 / 1507)، الذي ترجم لتلميذه زروق في كتابه "الضوء اللامع". واهتدى بها أيضاً إلى شيخه وعمدته في الطريق أحمد بن عقبة الحضرمي اليمني (ت. 895 / 1490)، الذي صدر به في الطبقة الأولى من طبقات المشايخ الذين صحبهم شرقا وغربا، واعتبره واسطته الرئيسية في سنده في الشاذلية.

وينصح الشيخ الحضرمي زروق بالعودة إلى المغرب ليأسه من المشرق وأهله، فيأخذ السميت إلى فاس وفي جعبته، بالإضافة إلى أسانيده العلمية والصوفية العالية، ثمانية شروح على الحكم العطائية وكتاب "النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية" الذي ألفه بجامع الأزهر عام 877 / 1473، والذي يعتبر من أكثر مؤلفاته شيوعا وتداولاً بين الناس، وكتاب "الجامع لجمل من الفوائد والمنافع" ويعرف باسم "النصيحة الصغرى" كتبه عام 878 / 3 . 1474، وبينه وبين كتاب "النصيحة الكافية" قدر كبير من التشابه.

3 - عاد زروق إلى فاس ما بين 879 و 880 / 4 . 1475 ليجد حال المغرب أسوأ من الحال التي تركها عليه، من اضطراب وانتكاس مملكته، وافتراق كلمة أهله، وعتو قبائل الشاوية في غربه، واستبداد عمر المغيبي (ت. 890 / 1485) بجنوبه، وسقوط ثغري أصيلا وأنفا وبعض سواحل سوس في يد البرتغاليين، وانتقال سلطنة فاس من يد

محمد الجوطي إلى محمد الوطاسي بعد حرب وتهالك. ورغم الغموض الذي يكتنف الأعوام الأربعة التي مكث زروق خلالها بالمغرب في صدر الدولة الوطاسية، فإنه من السهل تصور كسفه بدر فقهاء وفقراء الحاضرة الفاسية بوجه خاص ونظرائهم في بقية البلاد بوجه عام، وهروع طلبة الفقه ومريدي الفقر للكروع من حياض علمه الظاهر والباطن، وتشوفهم إلى تحصيل أسانيده العلمية والصوفية الرفيعة، من الفاسيين وغيرهم، ولاشك أنه قد اجتمع عليه منهم خلق كثير. كما اتصل به رجال الطوائف الصوفية، وقدموا إليه من مختلف أصقاع البلاد، والثابت اجتماعه بجماعة من المريدين أتباع المغيبي جاؤوه من الجنوب، وهم أشهر وأخطر طائفة صوفية على عهده.

والدليل على تصدر زروق للتدريس بفاس خلال المدة التي تهمننا تأليفه لجزء في الحديث، ويعرف أيضا "برسالة في تحديد مصطلح الحديث"، وتعليقه على قصيدة ابن البناء السرقسطي (ت. 649 / 1251)، ويعرف بشرح المباحث الأصلية وباللوائح الفاسية في شرح المباحث الأصلية. وقد فرغ زروق من هذين المصنفين في عام 881 / 6 . 1477. كما صنف خلال هذه السنوات الأربع خمسة شروح من أصل الشروح السبعة عشر التي وضعها على الحكم العطائية، وهي في ترتيبها من العاشر إلى الرابع عشر.

ويبقى الأثر الجليل الذي أخرجه زروق بفاس عام 882 / 7 . 1478 هو كتاب قواعد التصوف، الذي يعد أفضل تصانيفه الصوفية على الإطلاق. وهو تأليف نفيس ضمنه زروق عصارة ثقافته الواسعة وزيدته تجرته الروحية وخصاله آرائه الإصلاحية، في أسلوب متين شديد التركيز، ورتبه في مائتين وسبع عشرة قاعدة. فجاء كالطود الشامخ والراسخ وسط طوفان العصر المتلاطم الأمواج، يبسط برنامج مدرسة صوفية يحتاج تفصيله وتطبيقه إلى أمد طويل، ويدعو إلى نهضة علمية وتعليمية في مضمار التصوف المغربي، تدور على الاجتهاد والتجديد. ويقدم حلولا لمشاكل عصره الذي افترق أهله بين فقهاه وفقرائه، وطمع فيه القائم على الرئاسة الروحية في الرئاسة الدنيوية، وانعدم فيه المتوجه بصدق إلى الله.

وإذا كانت المصادر تؤرخ لفساد العلاقة بين زروق ومشايخ الحاضرة الوطاسية من أول لقائهم به، وإن النفرة حصلت بينه وبين وفداهم الذي خرج لاستقباله، فإن الكارهين لعودته والمتوجسين من حركته لم تلبث قيامتهم أن قامت، فضيقوا الخناق عليه، ودفعوه إلى الهجرة الثانية والأخيرة من المغرب. ومع جهلنا بحقيقة ما حدث نلاحظ أن زروق قد غادر فاس دون أهله، وترك بها زوجته فاطمة الزلاعية وابنيه الأحمدين الأكبر والأصغر، مما يضفي على هذه المغادرة طابع الاستعجال إن لم نقل الفرار والذهول عن الابن والصاحبة، ولعل ما حدث كان من العرامة بحيث بلغ صداه إلى القاهرة.

4 - وصل زروق إلى القاهرة عام 884 / 79 - 1480 يائساً من أهل المغرب يأس شيخه الحضرمي من أهل المشرق، وجدد اتصاله بشيخه المذكور وأستاذه السخاوي، وربما حج للمرة الثانية. ثم اختار بلدة مصراتة الواقعة على الساحل الليبي مستقراً، وصاهر المصراتيين، وولد له ولدان أحمد أبو الفتح وأحمد أبو الفضل وبنيت سماها عائشة. وصنف زروق أثناء ذلك أهم تأليفه الإصلاحية، وهي إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين الذي فرغ منه ببجاية عام 883 / 1479، ورسالة في الرد على أهل البدع، والنصح الأنفع والجنة للمعتصم من البدع بالسنة، وعدة المرید الصادق من أسباب المقت في بيان طريق القصد وذكر حوادث الوقت الذي ألفه عام 886 / 1 - 1482، ولاشك أن ظفر زروق بصفة محتسب العلماء والأولياء قد جاءه من تأليفه هاته.

ولم يغادر زروق مصراتة إلا مرتين، الأولى عام 891 أو 892 / 6 - 1487 حيث غرب لإحضار زوجته وولديه الذين تركهم بفاس، وكاد العقد أن يكتمل على فراقه لهم، وقد توقف بالمغرب الأوسط وأقام به إلى أن لحقوا به؛ والثانية عام 894 / 8 - 1489 حيث شق لآداء حجته الأخيرة. ومن تأليفه المصنفة خلال مقامه بمصراتة: شرح صدور المراتب لشيخه الحضرمي، وشرح عقيدة الغزالي، ونظم أرجوزة في عيوب النفس، وشرح الحكم، وشرح حزب البحر، وشرح الرسالة القيروانية، والكناش، ومناقب الحضرمي. وحاصل ما تعرضنا لذكره من تصنيفات لا يمثل إلا ثلث التراث الزروقي الحافل، والذي يربو عن المائة تأليف، في التفسير والحديث والفقه والتصوف والكلام والطب والتراجم وغيرها من العلوم والفنون.

وتمثل المرحلة المصراتية أوج شهرة الشيخ أحمد زروق العلمية والصوفية، والتي طارت في بلاد الإسلام شرقاً وغرباً، وصار له أتباع ومحبون يقصدونه من مختلف الأصقاع، ومنهم من لازمه حتى وفاته التي حدثت يوم 18 صفر عام 899 / 28 نونبر 1493، ومنهم من جاور بضريحه إلى يوم رمسه.

عبد الله گنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والسياسة والأدب؛ أ. زروق، رقم 23، الدار البيضاء، دون تاريخ، 5: 47؛ المؤلف نفسه، أحمد زروق، دفين مصراتة، مجلة كلية الآداب، الجامعة الليبية، العدد الثاني، 129 - 163؛ ع. ف. خشم، أحمد زروق والزروقية، دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة، الطبعة الثانية، 1980؛ ع. نجمي، بين زروق ولوثر في الإصلاح الديني والعصور الحديثة، ضمن الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، 77 - 120؛ إدريس عزوزي، الشيخ أحمد زروق آراؤه الإصلاحية تحقيق ودراسة لكتابه عدة المرید الصادق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المحمدية، 1998، 9: 235.

G.S. Colin, Sayyid Ahmed Zarruq, Estrato della rivista della Tripolitania, anno II, num 1, Rome, 1925; A.F. Khusaim, Zarruq the Saffi, Tripoli, 1976.

عبد الله نجمي

زروق، أحمد بن عبد الخالق، قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته الساحل. انضم إلى حركة المقاومة المسلحة بزعامة الشريف مولاي أحمد الريسوني، وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة:

- بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913.

- عين الدالية يوم 11 في نفس الشهر.

- ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913.

- قرية الزهرة يوم 11 يناير 1915.

وشارك في 9 معارك.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

زروق، عبد السلام العرائشي، أبو محمد دعاه في رياض الجنة: ابن زروق. ولد في العرائش في حدود سنة 1265 / 1849 قال عنه تلميذه عبد الحفيظ الفاسي: "كان عالماً مشاركاً في الفقه والحديث والسير والعلوم العربية، ماهراً في التنجيم والتعديل، مبالاً إلى التصوف، متفنناً فاضلاً كثير الأذكار والأوراد مع التقشف والقناعة والميل إلى الخمول، منقبضاً عن مخالطة الناس، مشتغلاً بما يعنيه، ملازماً لمحلله وما هو مكلف به من التوقيت بمنار الجامع بالعرائش".

درس على كبار شيوخ العلم بفاس كأحمد بناني ومحمد بن عبد الرحمن العلوي، ومحمد كنور الذي أجازته إجازة عامة، وسلك طريق القوم على يد شيوخ الشاذلية والجزولية، وخاصة الطريقة الناصرية التي أخذها عن عدد من رجالها بسند عال.

كان يقضي معظم وقته في علية الموقت بالمسجد الأعظم بالعرائش وفيها اجتمع به عبد الحفيظ الفاسي وأخذ عنه وأجازته، ولزروق تأليف عديدة وتقاييد كانت في المكتبة الأحمديّة بفاس وضاعت.

توفي في 15 قعدة عام 1328 / 18 نونبر 1910.

ع. الحفيظ الفاسي، رياض الجنة معجم الشيوخ، الرباط، 1931؛

ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب،

بيروت، 1996، ج 8: 2860؛ جريدة الميثاق، عدد 214.

محمد حجي

زروقي، العربي بن محمد، مقاوم ولد سنة

1343 / 1924 بقبيلة بني خيران، وانضم إلى العمل المسلح

ضمن منظمة اليد السوداء التي كان فرغها بقبيلة السماعلة بقبيلته ساهم في العمليات الفدائية التي عرفها الإقليم

بكل إخلاص ووطنية وحماس.

وفي يوم 20 غشت 1955 شارك في المظاهرة التي

عرفتها مدينة وادي زم، فأبلى البلاء الحسن أثناء هذه المعركة وفر إلى دار القائد الضاوي التي آوى إليها العديد من المتظاهرين هارين من نيران المستعمر حيث استشهد مع عدد من رفاقه في المقاومة.

المنذوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء
الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 520895.

الزُرُوقِيَّة، طريقة صوفية وحركة إصلاحية تزعمها

الشيخ أحمد زروق البرنسي الفاسي (ت. 899 / 1493) خلال النصف الثاني من القرن التاسع واستمرت إلى هلم جراً، وانتشرت في آفاق بلاد الإسلام شرقاً وغرباً وهي الطريقة الثانية والكبيرة في الشاذلية بالمغرب إلى جانب الجزولية، ومنهما تسلسل غالب المشايخ والطوائف والزوايا، إلا من شذ عنهما من بهلول ومجذوب أو صاحب حال ممن لا يعرف له شيخ. وبهما تحققت الغلبة للشاذلية، وحصل لها من الانتشار ما جعلها تعد بحق الطريقة الرسمية بالبلاد.

وقد نظم مؤرخو التصوف المغربي أواخر القرن الحادي عشر (17 م) وقائع وأحداث هذه الغلبة تنظيمياً رجع كفة الجزولية على كفة الزرُوقية في مضمارها، وأسلكوا الجزولي في أسانيد زروق في الشاذلية، وجعلوا الزرُوقية من فروع الجزولية. وحذا المؤرخون المحدثون حذوهم، وقالو بنشوء الزرُوقية في سياق التيار الصوفي السائد الذي اصطلحوها على تسميته بالشاذلية - الجزولية، وعدوها من جملة فروعها، ونسبوا إلى الجزولية العصر الأخير من عصور التصوف المغربي برمته.

ويفيد التأمل في مسار هذه الغلبة، وقراءة أحداثها ووقائعها على ضوء المتون الزرُوقية، في إعادة النظر في هذه الصورة المتواترة. ويفضي إلى فك الارتباط بين الزرُوقية والجزولية، وبالأخص خلال العقدتين الأخيرين من المائة التاسعة للهجرة، واللذين اسفرقتهما المشيخة الزرُوقية. ذلك أن الزرُوقية لم تخرج من رحم الجزولية بحال، ولم تنظم علاقة المرید بالشيخ بين زروق والجزولي، ولا ذكر لصاحب دلائل الخيرات في الكناش الذي عدد فيه صاحب "الوظيفة" مشايخه وأساتذته من المغاربة والمشاركة. والاتصال الحقيقي بين الزرُوقية والجزولية إنما تم بعد اكتمال العقد على وفاة الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (ت. 870 / 5 : 1466)، وحصل بين زروق وأعلام الطبقة الجزولية الأولى. وذلك في صدر الدولة الوطاسية، وبالضبط خلال السنوات الأربع التي مكث فيها زروق بالمغرب، من عام 879 أو 880 / 4 : 1475 إلى عام 883 / 1478. ويومها كانت أسانيد الزرُوقية في الشاذلية متعددة، وأعلاها السند الذي حصله زروق من شيخه أحمد بن عقبة الحضرمي اليمني (ت. 895 / 1489) الذي انتسب إليه في القاهرة. كما كانت لها أسانيد في طرق أخرى، وهي القادرية والسهورودية والجشتية والعروسية.

وقصدت الزرُوقية خلال هذا النيف من السنين إلى إصلاح التصوف المغربي داخل الجزولية السائدة في البلاد، ثم حدثت القطيعة بينهما، فتطورت إلى حركة إصلاح خارجها بل وضدها. وكان الموقف من الرئاسة الدنيوية من بين دواعي الخلاف الحاسمة بينهما : وقد أفادت الجزولية من مشاكل الألفية وهواجسها التي كانت تنتاب أهل القرن التاسع (15 م)، وأخذت منها ما يقوم به ناموسها من الحضرية والفاطمية وما اتصل بهذه الدعاوي من الاعتقاد بعدم مجاوزة الأمة الألف وقرب أوان الصيحة الأولى. وواجهت الهجمة الابيرية، ورفعت لواء الجهاد، وبادرت إلى تحصين الذات. وسعت إلى المصالح العامة من ابواء وإطعام وتعليم واشفاء ورد المظالم، ولم تخف طموحها إلى الرئاسة. وحاربت الزرُوقية حب الرئاسة هذا، وجعلته أصلاً من أصول بدع العصر، إلى جانب نقص الايمان، والجهل بأصول الطريقة، واعتقاد الفرق بين الشريعة والحقيقة.

ويحتل الموقف من الرئاسة حيزاً هاماً من المنظومة الفكرية الزرُوقية التي ترسم أبعاد العلاقة بين الإنسان وخالقه والوجود بأكوانه الأخروية والدنيوية، والتي تعبر عن الوجود الدنيوي الذي يعيشه وهو المجتمع "بالنظام"، لاستقامة أمر الناس به في حياتهم. وتهتم بخاصته من الأمراء والشرفاء والفقهاء والقراء، وتقصد إلى حفظه واستمراره بالأسباب الموجبة لبقائه من علوم وصنائع. وترى بأن الرئاسة هي قطب رحي هذا النظام، لأنها شرط حفظه. وتذهب كل مذهب في الدفاع عنها، وتتوسل بالأحاديث النبوية والوصايا المأثورة وأقوال العلماء التي تجمع على تحريم الخروج عن الإمام بقول أو فعل، بل وتوجب الصلاة وراء كل بر وفاجر من الولاة وغيرهم، ما لم يكن فسقه في عين الصلاة، وكذا الجهاد مع كل أمير من المسلمين، وإن كان فاجراً لا غيره.

ويتصل دفاع الزرُوقية عن الرئاسة والقائمين عليها من الأمراء بالأزمة السياسية التي أعقبت زوال ملك المرينيين واستدامت، حيث وضع المغاربة في أعناقهم، وفي ظرف ثماني سنين بيعة ثلاث دول متعاقبة، وذلك ما بين عام 869 / 1465 وعام 876 / 1471. ولم تقو إحداها على مقاومة الأطماع الخارجية والفتن الداخلية، ولم تفلح أي منها في القيام بمصالح البلاد والعباد. ولم تقصد الزرُوقية بدفاعها مرينياً ولا جوطياً ولا وطاسياً، وإنما رامت الذود عن وسيلة حفظ النظام، والذي يتحقق بها الذب عن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، وإقامة حرمتهم، والنصرة لهم في جميع أحوالهم جلباً ودفعاً. وراحت تدعو إلى الحفاظ على الدولة القائمة على ضعفها، والصبر على ظلم أمرائها وجورهم وفسقهم، والسعي في المصالح العامة تحت إمرتهم، وعدم إغراء الرعية بالفتنة وشق عصا طاعتهم.

وامتكلت الزرُوقية كل مقومات الصيغة الدينية المفيدة للملك الوطاسي، من توجهها في حسبتها إلى السلطتين

العلمية والروحية، وتحميلها أرباب الرئاسة الدينية، من مشايخ الطوائف الصوفية ومتقليدي الخطط الفقهية ومعهم الشرفاء، مسؤولية اختلال نظام المغرب. ودعوتها إلى سد ذرائع القيام بالمصالح العامة التي قصرت عنها هم الملوك، من سد رمق الرعية ورفع الظلم عنها ودفع النصارى عن أرض الإسلام. ومع هذا لم ينتهز الوطاسيون هذه الدعوة الدينية إبان وجود صاحبها في حاضرتهم، ولم يبسطوا أيديهم إلى خصومه، وكانوا فيه من الزاهدين. ولم يتخذوا الزرّوقيين شيعة إلا بعد حين، وظاهرها بهم على الاتجاه الغالب والمتطرح على الشرفاء الجوطيين من قبلهم والزيدانيين على عهدهم.

وفي مضمار الرئاسة الروحية اختلفت الزرّوقية مع الجزولية في قضية التوبة، ورامت التهوين من التهويل الذي أناطتها به. حيث جعلت الجزولية للتوبة أركان وشرائط، أهمها قص شعر التائب، والاجتماع عند خلق رأسه، وإقامة الوليمة لذلك، ونسبت الإذن بالتقصيص إلى الخضر عليه السلام. ولم تر الزرّوقية في ذلك سوى الدخول على الناس من جهة الدين، وإحداث طريق لأكل حطام الدنيا. وفصلت في التوبة وسطت فروعها الكثيرة ومداخلها الغزيرة، وجعلت تصحيحها أصل كل مقام، ومجراها في المقامات مجرى الأرواح في الأجسام. وأعانت الناس على أن يعلموا أن التوبة ليست من فعل الخلق، ولا ينفع فيها تقصيص أو وليمة، وأنها من فعل الحق. وأن التوبة منهم إليه توبة منه عليهم، وأن بدارهم إليه هداية، وتوفيقهم منه عناية. وهدت الزرّوقية التائبين إلى ميراث ترك الذنوب، وهي أمور كلها خير في الحياة وبعد الممات. وأكدت على الثمرات الدنيوية من لذة عبادة ورحمة وطيب حياة، عكس الجزولية التي كانت تمنى التائبين بالنجاة يوم المعاد.

ويبقى الأثر البعيد للطريقة الزرّوقية في دفاعها عن الوحدة بين الشريعة والحقيقة في إطار الطريقة، والتكامل بين الفقه والتصوف، ليحصل الكمال في الدين. ويرجع الفضل لصاحبها في رفع العداة المستحکم بين الفقهاء والصوفية، والتمهيد لعصر التصوف بالمغرب، وميل أهل القرن العاشر ومن بعدهم إلى التصوف بالكلية. فالانتشار الواسع الذي تحقّق للطائفة الجزولية خلال القرن 9 / 15 تم بين جمهور عوام البوادي والحواضر، واستعصت عليها فئة الفقهاء، والذين كانت وفاة الجزولي على يد أحدهم. والزرّوقية هي التي أعانت أهل الظاهر على التغلب على توهمهم وحذرهم من الطريق وأهله، ودفعت بهم إلى الإقبال عليه والانخراط في سلكه. وبذلك اندمجت هاتان الفئتان الدينيتان والاجتماعيتان الكبيرتان في فئة واحدة، بعد أن كانتا متعارضتين ومتنافرتين، فتقوت بوحدتهما بنية الزاوية واستكملت شروط هيمنتها على المجتمع المغربي وتاريخه. وكانت من عواقب هذا الاندماج أيضاً بروز الدور التعليمي للزوايا بشكل لم يعهد مثله من قبل، والذي بلغ أوجه زمان الفترة من القرن الحادي عشر (17 م).

وقد ان الأوان للتسييز في الشاذلية بالمغرب الحديث بين شاذليتين جزولية وزرّوقية، مع اعتبار خصوصية كل منهما، والتحفظ بشأن توهم الانسجام والوحدة داخلها، وترك تسميتها بالشاذلية. الجزولية. ولا شك في امتياز الشاذلية. الزرّوقية وإحيائها لمبادئ التصوف السني الخالص، وللتقاليد الشاذلية الأصيلة، حيث بلغت شروح زرّوق على الحكم العطائية وحدها سبعة عشر شرحاً. ولا ريب في كونها مسكة ختام الحركات التي رامت إصلاح التصوف المغربي، والتي تزعمها كل من الشاذلي (ت. 656 / 8 - 1159) وابن البناء السرقسطي وابن عباد الرندي (ت. 792 / 1390).

وكما سعى مؤرخو التصوف المغربي أواخر القرن الحادي عشر (17 م) إلى اختلاق نوع من الانسجام والوحدة داخل حركة الإحياء التي همت الشاذلية بالمغرب خلال القرن التاسع (15 م)، وغمطوا الزرّوقية، وجانبوا التطفيف في حق الجزولية، وهرع المؤرخون المحدثون على أثرهم. فإن هؤلاء الأخيرين زادوا عليهم بالشطط في النظر إلى تاريخ الطريقة الزرّوقية بعد انقضاء أجل مؤسسها، وذلك عبر سلسلة من الكتابات التي أنجزوها، سواء في إطار تاريخ الطوائف والطرق في بلاد الغرب الإسلامي، أو في سياق تاريخ التصوف المغربي، أو ضمن المونوغرافيات المفردة في زرّوق والزرّوقية.

وقد انطلق هذا النظر مع المؤلفين Coppelani, Depont (1897) اللذين اختزلا أربعة قرون كاملة من تاريخ الطريقة الزرّوقية في ما عايناه من قلة انتشارها على عهدهما، فذهبا إلى القول انه على الرغم من شهرة الشيخ أحمد زرّوق التي طارت في آفاق بلاد الإسلام شرقاً وغرباً، إلا أن طريقته ظلت مجرد تنظيم جنيني معاق لا ينمو ولا يتطور. وذلك لأن مذهبه ظل حكراً على الخاصة من أهل العلم، ولأن أفكاره لم تجد سبيلاً إلى التأثير على عامة الناس الذين اكتفوا بفكرة غائمة عن صاحب هذه التعاليم، وخلصا إلى التفكير في عد الزرّوقية ضمن دائرة الطوائف التي تخطو نحو العدم وتسير إلى زوال. وتلقف Colin (1925) هذا القول، وأكد أن الفكر الزرّوقي كان أرقى مستوى، ولعله كان أنقى وأصفى من أن يحظى بقبول العامة. وهذا ما قصره على الدائرة الضيقة من الطبقة الزرّوقية الأولى في حياة الشيخ أحمد زرّوق، ولم يقدر الذبوع والانتشار بعده إلا لوظيفته. ووافق Spillman (1951) المؤلفين المذكورين، وجزم باختفاء الطائفة الزرّوقية من المغرب. وبلغ هذا النظر مبلغ التواتر مع خشيم (1975) الذي قرّر قلة انتشار الطريقة الزرّوقية، في الماضي والحاضر، وإخفاها في اجتذاب الوفير من الأتباع كما هو الحال بالنسبة لطرق أخرى، وأنها ظلت محصورة في بعض المناطق ومقصورة على قلة من الناس. واعترف بأنه قد فقد الخيط تماماً في بحثه عن تاريخ هذه الطريقة بعد حديثه عنها في حياة

مؤسسها خلال النصف الثاني من القرن التاسع (15 م)، وأن تاريخها ظل مجهولاً بالنسبة له إلى غاية انتصاف القرن الثالث عشر (19 م). وعلل الأمر بأنه لم تكن لطريقة متنورة كالزروقية، في تلك الأيام المعتمدة من تاريخ الحضارة الإسلامية، أن تستمر بنقائها وصفاء جوهرها. وهي ربما كانت طريقة الخاصة من الناس، أما عامتهم فلهم طرق أخرى تتفق مع ميولهم وأهوائهم ومستوى إدراكهم العقلي والروحي على السواء. هذا ولم يذهل أصحاب هذه الأسطوغرافية عن نشوب الزروقية في الأسانيد الشاذلية لغالبية الطرق والطوائف والزوايا المغربية، وكانوا يعلمون أن أتباع الشيخ أحمد زروق قد أسسوا طوائف وطرق وزوايا تعد لها فروعاً، لكن وقر في ذهنهم تحول وانحراف هذه الفروع عنها ووقوفها حجر عثرة في طريق نموها وتطورها. وأصل الشطط في هذا النظر هو عدم اعتبار أصل مكين من أصول الطريقة الزروقية، دارت حوله العديد من متونها وأكادته، وجعلته أساس الانتساب إلى التصوف ورجاله. وقوامه الدعوة إلى التحرر والتجديد وطرح التقليد الصوفي الواحد أو السائد، والتشجيع على الإقبال والنهل من مختلف المشارب والتيارات التي عرفها تاريخ التصوف الإسلامي، بما فيها المذاهب التي دأب الناصحون على التحذير من كتبها، ولم تجتمع كلمة الناس على مشايخها. ورغم أن الزروقية جاءت بمذهب صوفي متكامل يرسم أبعاد العلاقة بين الله والوجود والإنسان، فإنها لم تلزم أحداً بالتقيد بها واعتمادها والسير على هديها. بل دافعت عن تعدد الطرق إلى الله، وأكدت على مبدأ الاستحسان، وقالت إن لكل فريق طريقاً. وفتحت بذلك آفاقاً فكرية وروحية رحبة، وهونت من شأن المذاهب الصوفية المحظورة أو الخطيرة، ليأخذ كل فرد بالمذهب الصوفي الذي يراه الأحسن، والذي يتفق مع استعداده الطبيعي ودرجته في العلم، شرط التقيد بالكتاب والسنة.

وتتنفي مع هذا الأصل القطيعة المتوهمة في الأسطوغرافية التي ذكرنا، ويتم الاتصال بين حلقات تاريخ الطريقة الزروقية، وتنظم متسلسلة من عهد مؤسسها الأول فالطبقة الأولى من أتباعه فأتباعهم إلى هلم جراً. ويرتفع معه القول بالانحراف والتحول عن التعاليم الزروقية بعد مواراة مبدعها الثرى، ويحل محله القول بالاتباع والعمل وفق هذه التعاليم بالذات، والإسهام في حيوية الفكر الصوفي، والضرب بنصيب في انتعاش الحركة الفكرية بالمغرب، وتمكين مغاربة القرن 10 / 16 ومن بعدهم من حلول روحية مناسبة لمشاكلهم وأزماتهم.

وقد اعتنى محمد المهدي الفاسي (ت. 1109 / 1698) بتاريخ الطريقة الزروقية في كتابه *تحفة أهل الصديقية*، ونظم أعلامها الذين اشتهروا خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16 و 17 م) في سبع طبقات، وصدر بالشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (931 / 1524) في الطبقة الزروقية الأولى.

ولا مرأه في اليد البيضاء التي أسداها الراشدي للزروقية بالمغرب بوجه خاص وللشاذلية به بوجه عام : فعن طريقه ستصبح الزروقية الواسطة في الشاذلية بالنسبة لليوسفية والحياطية والغازية والسهيلية والصادقية والكرزازية والشيخية والناصرية والخصالية والزبانية والدراوية، وغيرها من الطوائف والزوايا المغربية، بالإضافة إلى كبار صحب الراشدي من المغاربة والذين لا يعرف أنهم أسسوا طريقة أو أقاموا زاوية. وقد نسج الراشدي طريقه على منوال مذهب أبي يزيد البسطامي (ت. 261 / 874)، وانتشر من طريقه دعاة المحبة الخالصة بالمغرب، وطرحوا به مشكلاً فكرياً حاداً، أسال مداداً كثيراً، وأراق دماءً غزيرة.

ولم تنتشر الطريقة الزروقية بالمغرب فقط من الطريق الراشدي الذي طرأ عليه من المغرب الأوسط خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م)، بل تفرعت به أيضاً من طريق داخلي وسابق عنه، وزعيمه الشيخ إبراهيم بن علي الزرهوني المعروف بأفحام أو أفهام (ت. 926 / 1520). وهو صدر الزروقيين المغاربة، وكبير الأخذيين عن الشيخ أحمد زروق إبان عودته من المشرق واستقراره بالمغرب في صدر الدولة الوطاسية، وصاحب الطريقة الثانية والكبيرة في الزروقية إلى جانب الراشدية. وقد ذهب الشيخ أفحام مذهب الشيخ الراشدي في الاستناد إلى مبدأ الاستحسان في اختياره للمذهب الصوفي الذي بنى عليه طريقته، والتي ستشكل أحد التيارات الصوفية المتميزة والبارزة خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16 و 17 م). ونهل مثله من مدارس التصوف الإسلامي التي نشأت بخراسان خلال القرن الثالث (9 م)، واقتفى أثر شيخ الملامية بنيسابور حمدون بن أحمد القصار (ت. 271 / 884). وهو مذهب صوفي عريق في تاريخ التصوف المغربي، وسابق في نشأته عن الطريقة الشاذلية بالمغرب بما يزيد عن القرن.

وإذا كانت الطريقة الراشدية تمثل الواسطة الغالبة في الأسانيد الشاذلية - الزروقية خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16 و 17 م)، عكس الأثر الماحل والضئيل لسند أفحام فيها. فإن هذا يتناسب عكسياً مع خطورة الدور الذي كان لهذا التيار الزروقي الداخلي، ليس في تاريخ الزروقية بوجه خاص، بل وفي تاريخ المغرب الحديث بوجه عام. ولم تفت المؤرخ أحمد الناصري ملاحظة هذا الأمر، فأثبته في كتابه *الاستقصا*. ورأى أنه من الأمور العظام التي حدثت في صدر المائة العاشرة للهجرة، وأنه حدث جليل لا يقل في خطورته عن نزول الإيبيريين بثغور البلاد، وظهور الأتراك بالمغرب الأوسط.

ولم ينفلت أعلام الطبقة الزروقية الأولى جميعهم من باب الاستحسان إلى طرق ومذاهب مخالفة للزروقية مثل البسطامية واللامتية، كما فعل الشيخان الراشدي وأفحام. وقد ثبتت ثلثة منهم، وبالأخص من أهل المغرب الأوسط، على الزروقية الإصلاحية، ولم يستحسنوا غير الحسبة

والنهي عن المناكر وقمع الغش والتدليس في الدين. وكانوا يحق أبطال طور مبكر من أطوار السلفية بهذه البلاد، وأشهرهم محمد بن علي الخروبي (ت. 963 / 1556)، والصغير بن محمد الأخضر بن عبد الرحمان الأخضر. وقد أحيا الخروبي بالمغرب ذكريات حسبة شيخه زروق على أعلام الطبقة الجزولية الأولى، وأثار كثيراً من الجدل والتفكير في كلا المغربين الأوسط والأقصى. وأنكر على معاصريه من الطبقة الجزولية الرابعة مشايخا وأتباعا قضية قص شعر الثائب، التي جعلوها من أركان وشرائط التوبة ومن شعار الطريقة. وبعث برسالة إلى الشيخ أبي عمرو القسطلي (ت. 974 / 1567) صدر هذه الطبقة الجزولية، والمتصدر لمشيخة أكبر زاوية بمراكش، والتي يمكن القول إنها أم الزوايا الجزولية خلال العهد السعدي الأول، وأبدع له فيها. وقد استقطبت المشيخة القسطلية جل الأمور التي أنكرها الشيخ أحمد زروق على أسلاف الجزوليين الأوائل، من التعلق بالأحوال ومنها الجذب، والخوض في مقامات ودرجات أهل الخصوصية، والظهور بالولاية، وإنشاء الكرامة، وإيثار المصالح العامة، وتبعية الفضائل، والجنوح إلى طعام الطعام، واستيلاء العوام، والجرأة على الحكام. ولم تفتقر الحسبة الخروبية التي حدثت غداة انتصاف المائة العاشرة للهجرة، واستمرت عواقبها إلى نهاية المائة التي تليها.

وكان للزروقوية الإصلاحية القائمة على مبدأ الحسبة مجال مغربي خاص، ومجال إسلامي عام يشمل المنطقة الممتدة من المغرب الأوسط إلى الحجاز، وكذلك بالنسبة للزروقوية التجديدية القائمة على مبدأ الاستحسان. وما جلبناه في هذه المادة إنما يتصل بتاريخ الحيز الخاص من جغرافية الطريقة الزروقوية، وهو المجال المغربي. ويبقى مجالها الإسلامي الواسع، والممتد من بجاية غرباً إلى مكة شرقاً خارج نطاق هذه المادة. ولا بأس من الإشارة إلى اشتغال المتون الزروقوية على جوانب تتصل بتاريخ هذا المجال العام، وأن كل مشتغل بتاريخ التصوف، في كل بلد من بلدان هذه المنطقة المذكورة، يستطيع أن يتعرف على ملامح بلده وتاريخه في ثنايا هذه المتون، وأن استخلاص مونوغرافيات قطرية منها هو القمين برسم حدود الأبعاد الإسلامية للحركة الإصلاحية الزروقوية.

وقد اشتهرت عدة طرق وطوائف صوفية تفرعت عن الزروقوية، وانتشرت في هذا المجال، ومنها "الراشدية" وشيخها أحمد بن يوسف الراشدي، دفين مليانة بالمغرب الأوسط. و"السلامية" وشيخها عبد السلام الأسمر، دفين زليتن من أعمال طرابلس. و"البكرية" وشيخها أبو الحسن البكري (ت. 909 / 3 / 1504) بمصر، ومؤسسو هذه الطوائف الثلاث من تلامذة الشيخ أحمد زروق، ومن أعلام الطبقة الزروقوية الأولى. و"المدنية" وشيخها محمد حسن ظافر المدني (ت. 1263 / 1846)، وتأسست بالمدينة المنورة،

وانتشرت في الحجاز وتركيا وبلاد المغرب العربي. و"الشرطية" التي تسلفت منها، وشيخها علي نور الدين اليشرطي (ت. 1309 / 1891)، وهو من أهل تونس، وصار له أتباع في فلسطين ولبنان. و"السنوسية" وشيخها محمد بن علي السنوسي (ت. 1276 / 1859)، وآل إلى مشايخها حكم البلاد الليبية.

م. الخروبي، الرسالة الخروبية، مخطوط خ ع، عدد 91 ج 36. 38؛ أ. ابن أبي محلي، رسالة في الرد على الخروبي، مخطوط خ ع، عدد 611 ك؛ م. المهدي الفاسي، تحفة أهل الصديقية، مخطوط خ ع، عدد 76 ج 65. 105؛ أ. الناصري، الاستقصا، 4، 163؛ ع. غنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب، أحمد زروق، أحمد زروق دفين مصراته؛ ع. ف. خشم، أحمد زروق والزروقوية؛ ع. نجمي، بين زروق ولوتر، في الإصلاح الديني والصور الحديثة؛ البدعة والتصوف بالمغرب، طائفة العكاكزة، من تاريخ التصوف المغربي في القرن العاشر الهجري، الملامية؛ م. الصمدي، الشيخ أحمد زروق وطريقته الزروقوية بالمغرب، د. د. ع، كلية الآداب بالرباط، 1989.8؛ أ. العزوي، الشيخ أحمد زروق؛ المهدي البوعبدلي، الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركية وأثارها، مجلة الأصاله، قسنطينة، 1974، العدد 19، 133، 148؛ عبد الرحمن الأخضر وأطوار السلفية في الجزائر، مجلة الأصاله، السنة السابعة، 1978، العدد 53، 3521؛ م. حجي، الحركة الفكرية، 1، 172، 177، 277، 282، 284.

O. Depont et X. Coppolani, *Les confréries religieuses musulmanes*, Alger, 1987, 457 - 460 ; G. S. Colin, *Sayyid Ahmad Zarruq*, Estrato dalla rivista della Tripolitania, anno 2, 1925, 13 ; G. Spillman, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, s. d, 75 ; E. M. Bouabdelli, *Le Cheikh Mohammed Ibn El Kharroubi (XVe siècle)*, Revue, 1952, 330 - 341 ; A.F. Khusaim, *Zarruq the sāfi*, Tripoli, 1976.

عبد الله نجمي

زُرَيْدَة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Çerdan - Çereda : Çerdan ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Cerda و Çerdan ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1145 / 1732.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 769.

ابن زُرَيْق، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني كزير الغمارية، استوطنت تطوان في القرن العاشر (16 م) وقد انقرضت غير أنه إلى غاية سنة 1257 (184) كان يوجد بحومة الطرانكات فندق ودار يحملان اسم هذه الأسرة. وبين أفرادها تذكروا الوثائق :

ابن زريق، فاطمة بنت أحمد فقيهة تزوجت القاضي بالقاسم بن عبد الرحمن الكراسي وكانت بقيد الحياة سنة 1012 (1603).

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 254.

محمد ابن عزوز حكيم

زرزاي، المقدم عمرو المعروف بالأقرع أحد زرزية أو إزرزايين أي الحمالين بفاس الذين تدرجوا في الخدمة المخزنية، كالسيد دح الزرزي الذي عينه السلطان مولاي إسماعيل قائدا، وأصبح من الأعيان، وقد قتل أثناء حصار مدينة مراكش عام 1114 في ثورة محمد العالم.

كان عمرو الزرزي من أصدق الحمالين الذين لهم المعرفة الدقيقة بدروب فاس وأزقتها، وعندما أمر السلطان مولاي إسماعيل بالقبض على الخياط الزرهوني وقتله بمكناس عام 1125، أمر تولية عمرو هذا مقدا على اللطيين، ورغم أن السلطان كان قد أمر قائده أبا علي الروسي أن لا يعطي للمقدم سوى موزونتين، فقد تحسن وضعه المادي، وتزوج من فاس، وسكن في رياض يقال له رياض جحا. واستمر على حاله إلى أن قتله أهل فاس ونهبوا داره ودار رئيسه الروسي بعد وفاة السلطان مولاي إسماعيل عام 1139.

م. القادري، نشر الثاني، ضمن م. أ. م. 5، 2274 : ح. ابن الحاج، الدر المنتخب، مخ خ ن 12184 ج. 7، ص. 46 وج. 8، ص. 177.

أحمد ابشرخان

زرزية (حمالة) ← إزرزايين

زُرْزَايَة (قبيلة) تنتمي مجاليا إلى حوض ملوية الوسطى، وتؤلف إلى جانب قبائل أخرى متجاورة معها ما يعرف حاليا بأهل تانديت. يحد قبيلة زرزية شرقا الطريق الرئيسية المؤدية إلى مدينة جرسيف، وغربا وادي ملوية وشمالا وادي الواعر، وجنوبا وادي إبراهيم. وتندرج هذه القبيلة بمقتضى التقطيع الجماعي الأخير ضمن جماعة لفريطسة، وترتبط إداريا بدائرة أوطاط الحاج التابعة لإقليم بولمان.

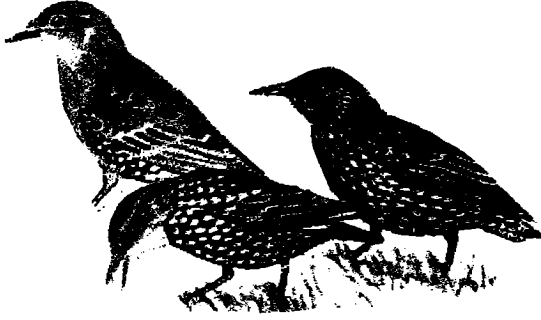
وبخصوص الدلالة الاشتقاقية لكلمة زرزية التي تشكل القوام الاسمي للقبيلة منذ زمن بعيد، ليس هناك في الوثائق المحلية والمعاليم الطوبونيمية ما يسمح بإمكانية إمطة اللثام عن أبعاد هذه الدلالة، ولذلك يبقى من الأرجح، حسب ما تتداوله الذاكرة الشفاهية، أن كلمة زرزية وسمت بها القبيلة أو ألصقت بها بالأحرى من قبل

السكان المحليين كناية عن ممارسة "ترزرايت" (الحمالة) التي كانت تحتربها بصورة جماعية معظم عناصرها بمدينة فاس.

تستوطن هذه الجماعة القبلية بحوافي وادي ملوية الأوسط بمحاذاة مجموعة من القبائل ذات أصول إثنية عربية وبربرية كقبائل رگو وأهل فقوس وأولاد جرار وأهل ترنيست .. يمارس سكانها أنشطة زراعية داخل مجال لا تتعدى مساحة الاستغلاليات الزراعية فيه بعض الرقع المحدودة للغاية. كما يتعاطون للرعي الذي يعد النشاط الأساسي المشترك بين كافة الأسر والعشائر. بيد أن هذه الأنشطة الفلاحية، وإن تنوعت شكلا، فإنها لا تحقق ولو الحد الأدنى من موارد العيش التي يقتضيها عادة اقتصاد الكفاف أو بعبارة أصح اقتصاد القلة. وتعود الأسباب البنوية لهذا الوضع، إلى نذرة المياه الناتجة عن الطابع شبه الجاف للمنطقة وقلة معدل التساقطات السنوية إن لم نقل انعدامها أحيانا، علاوة على ضعف الإمكانيات المادية والتقنية التي من شأنها أن تمكن من جهة الساكنة المحلية من ضخ المياه الجوفية واستجلاب المياه من وادي ملوية، ومن جهة أخرى استصلاح الأراضي وزيادة في حجم المساحات المزروعة. وقد أدت هذه الظروف الصعبة إلى انعكاسات شديدة على سيورة التوازن المحلي بين السكان والمجال. مما أدى إلى انطلاق حركة هجرية لازمت المنطقة منذ أمد ليس بالقصير، كما هو الشأن بالنسبة لباقي ساكنة ملوية الوسطى برمتها.

ففي العقود الماضية كانت أغلب الجماعات المهاجرة من سكان القبيلة يتوجهون إلى مدينة فاس، حيث يمتنون مهنة "ترزرايت" أسوة بغيرهم من طوائف الحمالين الآخرين من نفس الجهة، أي جهة ملوية الوسطى، كأولاد سيدي عيسى وأولاد جرار وأهل ترنيست.. وكانوا يمارسون عملهم في إطار گلسة خاصة بهم هي گلسة القطنين بعدوة القرويين. على أن الخدمات التي كانوا يضطلعون بها في نطاق "ترزرايت" كانت تتمثل بوجه أساسي في حمل الأمتعة ونقل البضائع حملا على الأكتاف عبر مدارات تتوزعها في الأغلب الأعم الأحياء السكنية والأسواق التجارية والمصانع الحرفية. وبهذه المهام اليومية كان حمالة طائفة زرزية إلى جانب اخوانهم الحمالين في گلسات أخرى يلعبون أدواراً على قدر كبير من الحيوية سواء من خلال الربط بين الأحياء والأزقة عبر جولات روتينية بالأمتعة المحمولة، أو من المساهمة في تنشيط دينامية الحركة التجارية عبر عمليات نقل البضائع من أماكن إنتاجها إلى أماكن تسويقها أو استهلاكها. وإذا أخذت هذه الخدمات في سياق أنظمة التبادل الوظيفي القائمة بين مختلف آليات الشبكة الاقتصادية للمدينة العتيقة يمكن الإقرار بدون تردد، بأن جماعات الحمالين كانت تساهم - وماتزال إلى اليوم - مساهمة ملموسة في دورة الاقتصاد المحلي للمدينة سيما

سائر الجسد وبمنقار مصفر مستدق الرأس وقوي يساعد على أكل الثمار والحشرات والديدان والحبوب. الإناث شبيهة بالذكور ؛ يبلغ طول بسطة الجناحين حوالي 40 سم وطول الجسم 21-22 سم. الذيل قصير ومستقيم المؤخرة. يعيش في مجموعات متعددة الأفراد ويخلف أضراراً بمزارع الزيتون والعنب وحب الملوك ومزارع الحبوب. يتنقل في مجموعات ويحدث ضجيجا بأصواته المرتفعة.



يشترى من شتنبر إلى فبراير في المناطق الشمالية المغربية - سهول وجبال الريف والأطلس المتوسط وسهول الغرب - ويخلف أضراراً في مزارع الزيتون. يهاجر إلى أوروبا في بداية الربيع ليتوالد منذ أبريل إلى غاية شهر يونيو. ينصب الزوجان العش بين حفر جذوع الأشجار وبين شقوق الجدران وصخور الجرف ويتكون من الريش ومن قطع التبن الصغيرة. تبيض الإناث 4-6 بيضات بيضوية الشكل ملساء مخضرة شاحبة تميل إلى الأزرق المصفر، يبلغ طول قطرها 17.8x23.3 ملم. تحضن الإناث البيض 12-14 يوماً ويقوم الزوج بالحراسة. تتغذى الصغار من الديدان والحشرات يأتي بها الآباء وتبقى بداخل العش حوالي ثلاثة أسابيع قبل أن تأخذ حريتها تدريجياً. تتوالد بعض الأفراد مرتين في السنة.

يقترب من المدن والقرى وتلتجئ المجموعات ليلاً إلى الأشجار وصخور الجرف لتنام ثم تتوجه في الصباح الباكر إلى المزارع والحقول.

الزرزور الأسود *Sturnus unicolor* يدعى بالفرنسية *Spotless starling* وبالإنجليزية *Etourneau unicolor* وبالإسبانية *Estornino negro* وبالإيطالية *Storno nero*. يتميز بمنقار أصفر طويل مستدق الرأس ويريش أسود داكن موحد خلال الربيع والصيف، تتخلل الأجنحة نقاطاً بيضاء في فصل الشتاء. الإناث شبيهة بالذكور ؛ يبلغ طول بسطة الجناحين حوالي 40 سم وطول الجسم 21 سم وتزن الكبار حوالي 80 غراماً. الذيل قصير ومستقيم المؤخرة. يعيش في مجموعات متعددة الأفراد ويفضل أكل ثمار الزيتون والعنب وثمار الكرز (حب الملوك) والحبوب. يتنقل في مجموعات ويحدث ضجيجا متواصلاً بأصواته المرتفعة.

إذا علمنا أن هذه الجماعات كانت تمثل وحدها دون سواها عماد حركة النقل مع الغياب الكلي لوسائل النقل الحديثة. وفضلاً عن الخدمات الآتفة الذكر، كانت طائفة زرزاية تتولى في بعض المناسبات الاجتماعية كالأعراس مثلاً حمل عمارية العروس وجهازها وكل ما يتصل به من توابع ولواحق. كما كانوا يحرسون البيوتات والفنادق والمحلات التجارية ليلاً بحكم ما كانوا يتسمون به من ثقة وأمانة واستقامة، وهي أخلاق يحرص الحمالون على اختلاف أصولهم وگلساتهم، أشد ما يمكن الحرص، على التحلي بها لأنها هي "الرأسمال الرمزي" الذي يحافظ باستمرار على شرف المهنة ويضمن بالتالي كسب المعاش اليومي. وإذا حدث أن اقترف أحد الحمالين ما يخالف مبدئياً تلك الأخلاق والثوابت فإنه يطرد من الغلسة أو يعاقب بصورة من الصور وفق الأعراف المتواترة داخل الحرفة بحسب نوع وحجم المخالفة.

والجدير بالملاحظة في هذا الشأن، أن حمالة زرزاية كانوا يتوارثون هذه الحرفة خلفاً عن سلف، عبر تدرجات الزمان وتعاقب الأجيال، لدرجة صارت معها هذه الممارسة سلوكاً سوسولوجياً موجهاً للأنماط الثقافية المحلية للقبيلة ومؤطراً في نفس الوقت لتطلعات أبنائها كلما جنحوا إلى التفكير في أفق الهجرة خارج الوطن الأصلي غير أنه في العقدين الأخيرين، ومع الأزمة التي صار يعاني منها حمالو زرزاية في مدينة فاس نتيجة للتحوّل النوعي الذي طرأ على وسائل النقل (سيطرة الدواب على حركة النقل) تناقصت أعداد المتعاطين لهذه الحرفة في صفوف سكان قبيلة زرزاية بصورة ملحوظة، إذ بدأ شبابها يقصد وجهات أخرى داخل مجال المغرب الشرقي، كمدن : بركان ووجدة وزايو للعمل إما في قطاع الفلاحة أو في مهن أخرى تعتمد أساساً على الجهد العضلي.

ح. الوزان، وصف إفريقيا، 1 : 235 ؛ م. كاربخال، إفريقيا، 2 : 151 ؛ ر. لوطرونو، فاس قبل الحماية، 1 : 353-58 ؛ المعلمة، 1 : 332-33 ؛ معانيات ميدانية ؛ روايات شفوية.

الفقيه الإدريسي

الزرزور والزرزور طائر من رتبة الجواثم أو العصفوريات *Passeriformes* ومن فصيلة الزرزوريات أو السورانيات *Strunidae* وهو طائر أسود، أصغر من البلبل، يألف الغابات والحقول الزراعية ويعيش في مجموعات كثيرة العدد. الزرزور اسمه الشائع في شمال إفريقيا ومصر والسودان والعراق ومن أسمائه أيضاً الشواش وهي شائعة في عمان وفي كتب اللغة ويدعى بالأمازيغية أمسبريد ج. ئمسبريدين. منه نوعان يعيشان في المغرب :

• الزرزور الأرقط أو المنقط يدعى علمياً *Sturnus vulgaris* وبالفرنسية *Etourneau sansonnet* وبالإنجليزية *Starling* وبالإسبانية *Estornino pinto* وبالإيطالية *Storno*. يتميز بريش أسود داكن مرقط بالأبيض الملطخ على

يتوالد في المغرب من أبريل إلى يونيو وينصب العش بنفس طريقة الزرزور المنقط. تبيض الإناث 6 بيضات زرقاء شاحبة وكبيرة نسبياً، يبلغ طول قطرها 21.5 & 31 ملم. تحضن الإناث البيض 12 - 13 يوماً ويقوم الزوج بالحراسة. تبقى الصغار بداخل العش حوالي 21 - 23 يوماً.

يعيش هذا النوع في جميع المناطق الزراعية المغربية ويعيش أيضاً في إسبانيا والبرتغال وإيطاليا وجنوب فرنسا وتونس والجزائر. معظم المجموعات التي تعيش في المغرب مستقرة وتهاجر نادراً إلى أوروبا.

م. رضاني، تبيبط، معلمة المغرب، الجزء 8، ص. 2655 : م. رضاني، الليل، معلمة المغرب، الجزء 4 : الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان - الطبعة الثالثة، 1988 : أمين المعلوف، معجم الحيوان، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with north Africa and the Middle east*, 1979, 320 p. ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1977, 430 p.

محمد رضاني

ابن أبي زرع، كنية ثلاثة أعلام من أسرة فاسية قبيل إن أصلها غرناطي، عاشوا في العهد المريني وهم : محمد ذكره أخوه صاحب الذخيرة السننية ووصفه بالخطيب المحدث، وذكره المقري، الجد، في فوائده. ووصفه بالعدل. امتدت حياته إلى دولة يوسف المريني، ما بين 685 و706. كان عدلاً بسماط القرويين وتولى الخطبة بجامع فاس الجديد.

أحمد كانت وظيفته التلاوة بجامع القرويين، وقدمته العامة للإمامة سبعين يوماً في حدود عام 683 وأواخر دولة يعقوب المريني.

علي ذكر صاحب كشف الظنون، أنه علي بن محمد بن أحمد، وصفه القادري في لقط الفرائد، بالكاتب، ولعله يقصد الكتابة بالبلالط المريني. ذكر صاحب دليل مؤرخ المغرب الأقصى (ج. 1، ص. 188) أن عبد السلام القادري له تأليف في ابن أبي زرع هذا، يقع في نحو الكراسة، يوجد طرف من أوله بخزانة صاحب الدليل ضمن مجموع. أدرج ابن القاضي وفاة علي بن زرع في وفيات سنة 741.

اشتهر علي هذا بكتابه الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. ورد المؤلف والتأليف عند المجهول الذي كتب التقييد المسمى ذكر مشاهير أعيان فاس في القديم. وعند الشيخ زروق في شرح أرجوزة ابن البناء وعند ابن القاضي في الجدوة، وعند ابن إبراهيم الدكالي في سلسلة الذهب المنقود وعند أكتنوسوس في الجيوش، بالإضافة إلى من ذكرناهم أعلاه. ووقع عند هؤلاء اضطراب كثير في اسم المؤلف، إذ خلط اسمه باسم

أحد أخويه، وفي نسبة الكتاب إليه، إذ نسبه بعضهم لابن عبد الحليم، وفي عنوان الكتاب، إذ ورد بصيغ مختلفة، بعضها أطول من بعض. ألقى البحث الذي كتبه ليفي - بروفنصال حول فتح المغرب بالعدد الأول من مجلة *Arabica* عام 1954، ألقى بعض الضوء على شخصية المؤرخ صالح بن عبد الحليم الذي عاش بنفيس في وقت كانت فيه تلك الجهة المراكشية هامشاً بالنسبة لفاس، عاصمة الدولة المرينية، وكان عدد من الناس، ومنهم ليفي - بروفنصال، قد نسبوا لهذا المؤرخ الإيلاني كتاب *القرطاس*، وليس لديهم من معلومات إلا ما وقعت الإشارة إليه في *مفاخر البربر* من كونه كان على قيد الحياة عام 712. ويعد أن ظهر لابن عبد الحليم هذا، كتاب في الأنساب، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت عدد ك 1275، وكتاب بعنوان *كتاب القبلة* بمجموعة الأوقاف بنفس الخزانة، ويعد أن نشر مصطفى يعلى أطروحته المقدمة إلى جامعة مدريد، محققاً فيها كتاب *الأنساب ومفاخر البربر*، صارت المعلومات المتوفرة عن ابن عبد الحليم أكبر، وتداعت بذلك أطروحة ليفي - بروفنصال الأولى بنسبة كتاب *القرطاس* إليه، وتداعت تبعاً لذلك أطروحة محمد الفاسي، الذي ذهب في نفس الاتجاه (*مجلة تطوان*، ع. 5، 1960) ولولا المشاحة لكان الاكتفاء في حسم الموضوع بما كتبه محمد التطواني بمجلة الثقافة المغربية، (عدد جوان - جويي 1945) والذي قبله، وهو نسبة *القرطاس* إلى ابن أبي زرع علي، وهو ما أيده بحث عبد الله كنون في *النبوغ المغربي* (ط. 1961، ص. 212) وفي مقالة له بالعدد الثاني من مجلة *تطوان*، 1957. وقد قارن كل المعطيات، ليخرج بنفس النتيجة الأستاذ محمد الناصري، في كتابه من فارس إلى مراكش (نسخة مرقونة عند عائلته).

أما مايا شاتز ميلر في كتابها *L'historiographie mérinide : Ibn Khaldoun et ses contemporains* (Leiden, 1985)، قد احتارت في الحسم وتشككت حتى في نسبة *الذخيرة السننية* إلى ابن أبي زرع علي، مؤلف *القرطاس*.

وما ثار حوله الجدل بين الذين اهتموا بهذا الموضوع، قضية وجود نصين لأصل *القرطاس*، أحدهما كبير والآخر صغير، والقول بأن الصغير هو الذي وصل إلينا، والقول بأن لفظ *القرطاس* الوارد في الشطر الأول من العنوان اسم لجنان بخارج فاس.

كتاب *القرطاس* تاريخ مغربي محلي، بدأ بالأدارة، ملوك فاس، وتتبع مألهم إلى الانقراض، ثم تعرض للإمارات البربرية بعدهم ولأخبار المرابطين والموحدين والمرينيين إلى حوادث عام 1326 م في بعض النسخ، وإلى حوادث عام 1332 م في نسخ أخرى. كتاب حسن الترتيب منتق لأهم الحوادث، فني العبارة التاريخية، مهتم باختلاف الروايات، متضمن لعدد من الوفيات. ذهب البعض أنه

تزلف به لأمرء بني مرين، وإن كان ابن مرزوق قد ذكر أن كثيراً من أخبار ابن زرع أنكرها السلطان أبو سعيد.

طبع المستشرق طورنبرغ بمدينة أوسالا بالسويد قسماً منه، مع ترجمة إلي اللاتينية عام 1843، وفي سنة 1860 ترجمة بوميبي Beaumier إلى الفرنسي، وترجم في نفس القرن التاسع عشر إلى عدة لغات أوربية أخرى، وطبع على الحجر الفاسي مرات، أولها سنة 1303. بعناية محمد الفاطمي الصقلي وتقرظه. وطبع على الحروف عام 1355 / 1936 بالرباط بعناية محمد الهاشمي الفيلاي وتقديم سعيد حجي، وآخر طبعاته صدرت عن دار المنصور عام 1973 بعناية عبد الوهاب بنمنصور.

المصادر مذكورة داخل النص.

أحمد التوفيق

أبو زرعة، من التابعين المدفونين - على ما يقال - في مقبرة التوتة من حي الميناء، شرقي مدينة سبتة حسب كتاب اختصار الأخبار وقبره من المزارات المشهورة. وقد نقل الأنصاري عن الفقيه أحمد بن محمد بن أحمد العربي عن شيخه الفقيه عبد الله بن عبيد الله الحجري أن أبا زرعة هذا هو الذي أدخل القرآن إلى المغرب (اختصار، 13).

من المحتمل أن يكون أبو زرعة من المقرئين الذين دخلوا المغرب مع الفاتحين الأولين وساهموا في نشر الإسلام وتعليم السكان قراءة القرآن وأحكام الدين - يذكر أن عقبة بن نافع الفهري عندما قفل عائداً إلى الشرق ترك جماعة من أصحابه وأوكل إليهم مهمة تعليم الأهالي القرآن، ومنهم صاحبه شاعر المنسوب إليه الرباط المشهور بنفس الاسم. وقد سار على نهجه موسى ابن نصير الذي انتقى من بين جنده، عشرة من خيرة رجاله وكلفهم بتعليم القرآن للأهالي، وأنزل جماعة من هؤلاء الحفظة بين سكان طنجة وقبائل غمارة المصمودية. كما تذكر كتب التواريخ أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز أنفذ إلى إفريقيا والمغرب عشرة من الفقهاء لنشر القرآن وتلقينه لأهالي الأقاليم المفتوحة. فلا شك إذن أن يكون أبو زرعة المذكور أحد الفاتحين الأولين من حفظة القرآن احتفظت باسمه الذاكرة السبتية فجلت مقداره واتخذت من قبره مزاراً للتيمم والتبرك ولاشك أن الكشف عن خبايا شخصية أبي زرعة قد يساهم في التعرف على جوانب تاريخية جديدة حول دخول القرآن إلى المغرب ومراحلها.

ابن القاسم، الأنصاري، اختصار الأخبار كما كان يثغر سبتة من سني الآثار، الرباط، 1403 / 1983.

زليخة بنرمضان

الزرعي، محمد الجدميوي السبتي، اشتهر بلقب التاريخي الحافظ. برع في الوراثة هو وأخوه بمدينة سبتة. عاصر الرحالة القاسم التجيبي وكان من أبرز أصدقائه

وشيخه، لكنه لا يشير إليه في كتابيه الرحلة والبرنامج باسم الزرعي بل باسم آخر هو الكتامي وذكر أنه قرأ عليه بسبته مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه وأجازه جميع ما ألفه ورواه. كما سمع عليه كتاب الزكاة لابن الجدي الفهري وكتاب النظر في أحكام النظر لابن القطان وكتاب معرفة أنواع علم الحديث وكتاب رائق الدرر ورائق الزهر في أخبار خير البشر لابن زكرياء اللغوي والمسند الصحيح وكتاب الموطأ وكتاب سيرة رسول الله لأبي إسحاق بن يسار المدني وغيرها من أمهات الفقه والتاريخ. وقد عرف عن الزرعي تأليفه لمصنف في التاريخ في نحو من أربعين سفراً، ورتبه على حروف المعجم جمع فيه أخبار العلماء والأدباء وضمنه كثيراً من روائع النظم والنثر والحكايات والفوائد والتندرات. كان الزرعي يعقد الشروط في سباط الموثقين بجوار مسجد مقبرة زجلو بمدينة سبتة كما كان يقوم بالإقراء في هذا المسجد وأيضاً في مسجد زقاق السلال يجهل تاريخ وفاته ولكن يفهم من كلام التجيبي أن الزرعي أو الكتامي بقي على قيد الحياة بعد سنة 693 / 1294.

القاسم بن يوسف التجيبي، مستفاد الرحلة والاعترا، تح. عبد الحفيظ منصور، ليبيا - تونس، 1975، ص. 161، 178؛ نفسه، برنامج التجيبي، تح. عبد الحفيظ منصور، ليبيا - تونس، 1981، ص. 7462، 132، 135، 139، 140، 199، 202، 272، 274؛ مجهول، بلغة الأمانة ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، المطبعة الملكية، الرباط، 1984، ص. 27، 28؛ محمد المنوني، تاريخ الورقة المغربية، الرباط، 1991، ص. 59.

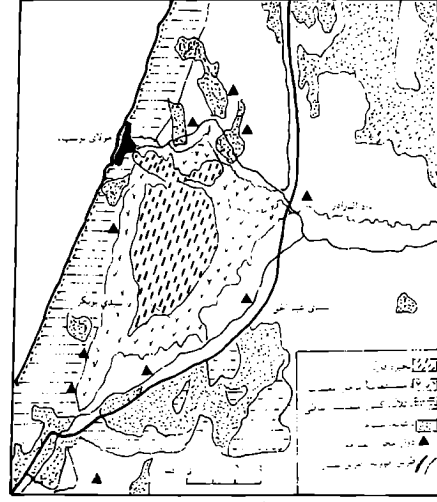
رشيد السلامي

الزرقاء (المرجة -)، وينطق بها أيضاً: "الزررقة"، بحيرة شاطئية ومحمية بيولوجية تحادي جنوباً مدينة مولاي بوسلهام بإقليم القنيطرة، وتعد من أمهات المواقع المغربية للطيور وأهم موقع مائي لعبور وإشتاء البطيات وطيور المستنقعات. وتجدر الإشارة إلى أن المغرب يتوفر على ثلاث مناطق مائية ذات الأهمية العالمية، وهي سيدي بوغابة بالمهدية وخليج خنيفيس بالقرب من طرفاية والمرجة الزررقة التي تعتبر أهم واحدة ضمنها.

تغطي المساحة الإجمالية لهذه المحمية حوالي 7.000 هكتار، أما المرجة بمفردها، والتي يبلغ عمقها في الوسط 1,5م، فتمتد على مسافة 9 كلم طولاً و5 كلم عرضاً، أي أنها تتخذ شكلاً إهليلجياً تبلغ مساحته 4.500 هكتار وتتكون من حلقتين مستنقعتين تطوقان قلب البحيرة، وهما المعشاب في الخارج والموحل في الداخل.

لقد صارت البحيرة دائمة منذ 1953 وأخذت تفضي إلى البحر عبر مضيق منعرج، حتى أن النظام المائي والتركييب الكيماوي أصبحا يعرفان باستمرار تغيرات هامة تحت تأثير حركات المد والجزر بالأساس، علاوة على نقل الصبب

المتواضع للمياه العذبة القادمة من الفرشة المائية المجاورة وكذا واد الدردار الآتي من الشرق وقناة الناظور لتصريف مياه الغرب الآتية من الجنوب.



المرجة الزرقة

تتضمن النباتات المستقرة داخل وحول البحيرة على تكوينات متنوعة تتمثل في النباتات المغمورة في قلب المرجة وأوالف الملح في المعشاب وقصب الكانيس والسمار على ضفاف واد الدردار وقناة الناظور. إضافة إلى ذلك فإن الحور (في الشمال) ومشاجر الأوكالبتوس تحيط بالبحيرة، ولتثبيت قمم الكثبان الساحلية تم غرس شريط من الأوكالبتوس الذي تتخلله بقع من السنط يمتد عرضا على 50 م وطولا من مجاز البحيرة إلى مدينة القنيطرة. أما الثروة الحيوانية المائية فتختلف حسب تنوع مواطنها داخل المرجة، إذ أن غالبية الأسماك ذات الأصل البحري لا تتعدى المضيق، في حين أن مجاري البحيرة تأوي الأسماك الأليفة للمياه المالحة والعذبة على السواء من نوع السلور على الخصوص، ودخل البحيرة يعيش 16 نوع من الضفدعيات والزواحف، أربعة منها مستوطنة في المغرب.

إلا أن الشهرة الحقيقية التي تكتسبها المرجة الزرقة ترجع إلى كونها تمثل موقعا مائيا يتردد عليه حوالي مائة صنف من الطيور، وهذه ظاهرة لا مثيل لها في المغرب، لا سيما وأن تجفيف مرجات الغرب أصبح شبه تام. كما تستقر بها، وخاصة في فصل الشتاء 15.000 إلى 30.000 من البطيات (أهمها البط الصافر) ونفس العدد من الغرر و1.000 إلى 2.000 من النحام الوردي. وتجدر الإشارة إلى أن بعض الطيور التي تتوالد فيها تعد من النوع الفريد أو المهدد. كما أن المرجة الزرقة توجد غير بعيدة عن مواقع مائية أخرى تتكامل معها (مرجة حلوفة ومصب سبو وبحيرة سيدي بوغابة وواد الفوارات).

لكل هذه الأسباب ارتقت المرجة الزرقة سنة 1978 إلى صف المحميات البيولوجية التي يخضع استغلالها إلى مجموعة من التنظيمات والتقنيات. وما يجدر ذكره أن

المغرب يتوفر على 168 موقع ذات النفع البيولوجي والبيئي. ذلك أن بالإضافة إلى المنتزهات الوطنية الطبيعية هناك 146 محمية طبيعية مائية وغير مائية، منها 108 بالمجال القاري و38 بالمجال الساحلي. أما نصيب منطقة الغرب منها فهو ضعيف (2 حول مولاي بوسلهام و5 بين المهديّة وسيدي يحيى الغرب)، ولكن ثلاثة من بين مواقعها لها صيت عالمي، وهي غابة المعمورة وبحيرتا المرجة الزرقة وسيدي بوغابة اللتان تتوفران على ذخيرة بيولوجية.

يتخذ استغلال المرجة عدة أساليب، أهمها الصيد في قلب البحيرة، مع تخصيص بعض الأحواض المتواضعة لتخزين السلور في انتظار تحقيق بعض مشاريع تربية الأسماك، ثم الرعي وضرر حصائر السمار وقطع خشب الأوكالبتوس على جوانب وهوامش البحيرة، وأخيرا السياحة البيئية المتعلقة بالطيور. غير أن مجموعة من الضغوط تلحق أضرارا عدة بالمحمية وتهدد صيانة هذا التراث الطبيعي النفيس، إذ أنها تشكو أولا من ضعف التجهيز ونقص في التأطير. ذلك أن التقني المعتمد من طرف إدارة المياه والغابات، والذي استقر نهائيا بالبحيرة منذ 1985، لا يتوفر على وسائل التنقل، كما أن المرشدين الخمسة لم يسبق لهم أن خضعوا لتكوين ملائم في ميدان السياحة البيئية. أما الحراس الأربعة فلا يتمكنون لوحدهم من التحكم في كل مساحة المحمية الواسعة.

فضلا عن ذلك، فقد تم منع التخميم والصيد والقنص في المحمية، لكن السكان المقيمين على ضفاف البحيرة، وعددهم يفوق 10.000 نسمة، لهم الحق منذ 1951 في ولوج المحمية، وبالتالي في استغلالها، والواضح أنهم يفرطون في استغلال مواردها عن طريق الرعي وقطع الخشب والسمار، وذلك من دون أن تتمكن إدارة المياه والغابات من مراقبتهم، بما أن الأمر موكول لمقدمي وشيوخ وزارة الداخلية، بل هناك تجاوزات أخطر تم تسجيلها بشأن تكتيف الصيد المحظور وكذا الاستمرار في القبض على بعض الأنواع من الطيور المحمية لتزويد حديقة الحيوانات بتمارة. زد على ذلك أن أحوال المرجة تتفاقم بفعل عوامل أخرى، منها الطبيعية ومنها الكيماوية، والتي تتمثل في التلوث والاطماء المتزايد والمحدثين من طرف واد الدردار وقناة الناظور (التي تعتبر منفذ سهل الغرب على الضفة اليمنى لنهر سبو). كما أن تطوير زراعات البواكر وقصب السكر في الهوامش يعمل على التقليل من حمولة الفرشة المائية وعلى إلقاء نفايات المواد الكيماوية المستعملة في الفلاحة داخل البحيرة.

نظرا لكل هذه الضغوط والمعيقات فإن عدة حلول تم اقتراحها لتحسين تدبير المحمية والمحافظة عليها، وترتبط أولا بتحديد واحترام خط الفصل بين الميدان البحري ومجال نفوذ البحيرة الذي يندرج ضمن الملك العمومي، وكذلك

ببذل مجهودات أكبر في مجال التوعية والإخبار البيئيين، كما تتعلق بوضع نظام تديبري مستعجل وبتحديد الضوابط القانونية لاستغلال المرجة.

Ministère de l'Agriculture et de la Réforme Agraire,
Plan directeur des aires protégées, Rabat, Montpellier,
1992, 6 volumes ; A. Akerraz, M. Ayad, A. El Khayari,
E. Ettahiri, J. Kadiri, A. Oubaizi, Patrimoine culturel et
territoire de la région du Gharb, Secrétariat d'Etat chargé
de la Culture, Rabat, 1996, 164 p.

مصطفى عباد

الزرقطون (معدن) ← الزركون

الزرقطوني، محمد بن محمد بن علي، مقاوم كبير من أسرة تنتمي لسيدى محمد بوزرقطون دفين الشياظمة. كان والده مقدماً للطريقة الحمدوشية بجماعة الدرسة بفاس قبل أن ينتقل إلى الدار البيضاء عام 1912. ولد الزرقطوني المقاوم بالدار البيضاء عام 1927 / 1345 وما بلغ ربيعه الرابع عشر حتى كان قد حفظ القرآن. وبعد مرور خمس سنوات أي عام 1946 انخرط في صفوف حزب الاستقلال، وهي نفس السنة التي أعلن فيها عن زواجه من هيبه بنت بويه الشيطمي.



جرى تعيينه ضمن لجنة استخبارات أوكل لها حزب الاستقلال مهمة التحري في صحة الأنباء الراجحة حول وجود أعضاء سئموا الخط المعتدل للحزب المتمثل في قراءة النشرات ودفع الاكتتابات وإنشاء لجان التزيين للإشراف

على الاحتفالات التي كانت تقام في بعض المناسبات الوطنية كذكرى اعتلاء سيدي محمد بن يوسف العرش في 18 نونبر 1927، وكونوا إطاراً دعي بـ "اتحاد الجنوب" وكان في طليعة مؤسسيه عبد الرحمان الصنهاجي.

تأثر محمد الزرقطوني بتوجهات أعضاء هذا الاتحاد، وانتهى به الأمر إلى الانضمام إليهم، وهكذا أصبح عضواً في أول خلية مسلحة بالمدينة القديمة في الدار البيضاء، وكانت تتألف من محمد صدقي ومولاي محمد المصلي ومصطفى الطنجاوي وسعيد المنوزي وشعيب شجاع الدين.

وقد جرت لقاءات كثيرة بين الصنهاجي ومحمد الزرقطوني منذ حل اتحاد الجنوب، وتم معظمها في مقهى بزقة 3 رقم 15 درب التريعة بالدار البيضاء وذلك منذ أبريل 1951، وأتت مرحلة تكوين قيادة التنظيم التي غدت على الشكل التالي بعد النجاح في استقطاب العديد من الأفراد : عبد الله الصنهاجي ومحمد الزرقطوني والتهامي النعمان وحسن العرائشي. وفي سنة 1952 انضم محمد بن الحاج منصور الحريزي ومحمد بن أحمد آجار... وزوّد الزرقطوني التنظيم الذي سيعرف لاحقاً بـ "المنظمة السرية" بسلاح عبارة عن مسدس.

ووفقاً لرواية المقاوم بوشعيب رغيب الشرقاوي، لم يعد بعد عام 1952 أي اتصال مع حزب الاستقلال. قد يكون هناك اتصال ولكنه ضعيف، خاصة بعد نجاح الزرقطوني في استقطاب العديد من الأشخاص. وكان يتم الخروج إلى وادي النفيخ أو وادي إيكم لإجراء تداريب كانت تتخذ مظهر نشاط للكشفية، ووفقاً لنفس الرواية بعث الزرقطوني رسالة للسلطان سيدي محمد بن يوسف جاء فيها : "أحرق ولا تمزق إن العدو ينسق"، وبعد مرور شهر حل أحد الأشخاص يدعى الفقير الرگيبي يحمل جواب السلطان وهبة ملكية وكانت عبارة : "سرّ على بركة الله" بمثابة الضوء الأخضر من محمد بن يوسف للمقاومة.

ونظراً لعلاقة الزرقطوني بالتجارة في الحشيش خلال فترة من حياته، فإنه دلّ رفاقه في المنظمة على مستودعات خشب كانت في ملك معمرين معروفين لديه قصد إحراقها. كما كان الزرقطوني ضمن إحدى الجماعات الأربع التي انتقل أفرادها إلى مراكش للقضاء على محمد بن عرفة الذي جرى تنصيبه "سلطاناً" للمغرب في غشت 1953. وعقب نجاح السلطات الفرنسية في إلقاء لقبض على محمد منصور ومقاومين آخرين اتهموا بالتورط في تدبير وتنفيذ عملية السوق المركزي بالدار البيضاء يوم 24 دجنبر 1953، حاولت المنظمة الرد فاقترح كريم محمد بن إبراهيم إحضار النار في مجموعة من محطات توزيع البنزين في وقت واحد، بينما اقترح محمد الزرقطوني القضاء على أربعة خونة لكن لم يؤخذ برأيه (انظر أنوال، ع. الخميس 21 يونيو 1984، ص. 1). كما أسهم محمد الزرقطوني في بعض العمليات المسلحة في مدينة فاس ومنها الهجوم على

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*...، ص. 44.

L. de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian, S.I.H.M., France* I, p. 575 - 627, 605-610 ; Nieto, Fr. Luis de., *Relación de las guerras de Berberia y del suceso y muerte del Rey Don Sebastian (Codoin, t. 100. p. 411- 458, 456) ; Agrippa d'Aubigné, Histoire Universelle, S.I.H.M., France, t. I, p. 628-648, 645.*

زريقيق، أسرة تطوانية أصلها من مدينة الجزيرة الخضراء بالأندلس. كان جل أفرادها فخرين باستثناء :

زريقيق، محمد بن علي الذي تعاطى خطة العدالة من سنة 1798 /1212 إلى سنة 1800 /1215، وكان من المدرسين بتطوان حيث يعد من تلاميذه العالم الفقيه عبد الله شطير. م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطوان 1999* ؛ المراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 765.

محمد ابن عزوز حكيم

الزركون (الزرقون)، أصل الكلمة عربي، زرقون وتعني زنجفر وزنجفر من فعل زنج ؛ ويقصد بها معدن متفتت بصاص أحمر، يصبغ به الحديد ويدهن به ليسلم من الصدأ. ينتمي الزرقون إلى فصيلة السيليكات رباعي الوجوه، منفرد، بنيته المعدنية $Zr [SiO_4]$ ، تحتوي زيادة على الزركونيوم (Zr) على الاورانيوم (U) والثوريوم (Th) الإشعاعين. نظام الزركون رباعي، على شكل مواشير ذات أربع أضلاع قصيرة، مدكوكة، هرمية الأطراف. صلابته 6.5-7.5، كثافته 4.71-3.90 ؛ انفصاماته ناقصة ؛ ألوانه : متعدد، أصفر، اسمر، برتقالي، أحمر، بنفسجي أرزق وأخضر. من أهم خاصياته، ألوانه الطبيعية المنتشرة، نذكر منها الأخضر، والأحمر المائلين إلى السمرة. أما الزركون العديم اللون فهو نادر جداً ونفيس. ونحصل على هذا الأخير بطريقة تتمثل في تسخين أحجار الزركون السمراء حتى حرارة $800^{\circ}C - 1000$ ، حيث يتغير لونه ويصبح عديم اللون أو أزرق ؛ إلا أنه كثيراً ما يرجع إلى لونه الأصلي. ويعتبر الزركون العديم اللون ذات قيمة تكاد تنافس أحيانا بعض أنواع أحجار الماس. يمكن أن يستعمل الزركون كأحجار كريمة في مجالات صناعة الحلي والصياغة. أما عنصره الكيميائي الأساسي (Zr) الزركونيوم، فيستعمل كأغلفة لقضبان اليورانيوم، وفي خليط اليورانيوم - راديوم (U - Ra) المستعمل في استقرار المفاعلات النووية، وكذا في الصناعة النارية كالمصابيح، والذخيرة، والبارود، والأسهم النارية، وضد تآكل وصدأ المواد الإلكترونية، وعازل للمكثفان، وصمامات التقويم. ويستعمل الزركونيوم كذلك في ميدان الطب وعلى الخصوص في صنع مواد وآليات

خليفة الباشا بمقاطعة باب الفتوح في 1 ماي 1954. أما في الدار البيضاء فقد هاجم الزرقطوني الخائن عبد العزيز الزواق يوم 12 مارس 1954.

وما تزال عملية اعتقال محمد الزرقطوني في 18 يونيو 1954 واستشهاده بابتلاع قُرص سم تُشير الكثير من المجلد، إذ يتم التساؤل حول الدواعي التي جعلته لا يغير مقر إقامته بالدار البيضاء بعد أن جرى اعتقال رفيقه شجاع الدين بمدينة فاس.

تمكنا من الإمام بأهم الوقائع في حياة محمد الزرقطوني من العروض المقدمة في المهرجان الذي نظمته أحزاب الكتلة الديمقراطية بقاعة سينما رباطو بالدار البيضاء بمناسبة الذكرى الأربعين لاستشهاده (18 يونيو 1994). وفي سبيل تفاصيل أخرى انظر *أنوال*، ع. 16 يونيو 1983).

محمد وحيد

الزرقون (معدن) ← الزركون

الزرقون، ويكتب أيضاً الزرق، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Zarcon و Zarco ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطوان 1999* ؛ المراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 764.

زرقون، محمد بن علي، قائد شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان عبد الملك، صار فيما بعد قائدا لجيش الموالي وصاحب خزائن الدار في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي.

ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*...، الرباط، 1972.

Medico Judio, *Carta a su hermano, S.I.H.M., Angleterre, T. I, p. 312 - 321.*

زرقون، محمد "الكاهية" أصله من وادي آش بالأندلس، انتقل حوالي سنة 1569/977 إلى عاصمة الجزائر حيث تعرف على عبد الملك السعدي الذي كان آنذاك لازال يطالب بعرش أبيه ؛ وعندما جاء مولاي عبد الملك إلى المغرب سنة 1577/985 صاحبه القائد زرقون الذي شارك بجانبه في معركة الركن التي جرت بالقرب من فاس يوم 16 ذي الحجة 983 /17 مارس 1576 وفي معركة فندق الرياح التي جرت بالقرب من وادي الشراط يوم 12 ربيع الثاني 984 /9 يوليو 1576 ؛ كما كان في معركة وادي المخازن يقود الجيش المعروف بعساكر النار، وبعد المعركة المذكورة بشهر واحد نكبه السلطان مولاي أحمد المنصور الذهبي في رجب 986/سبتمبر 1578.

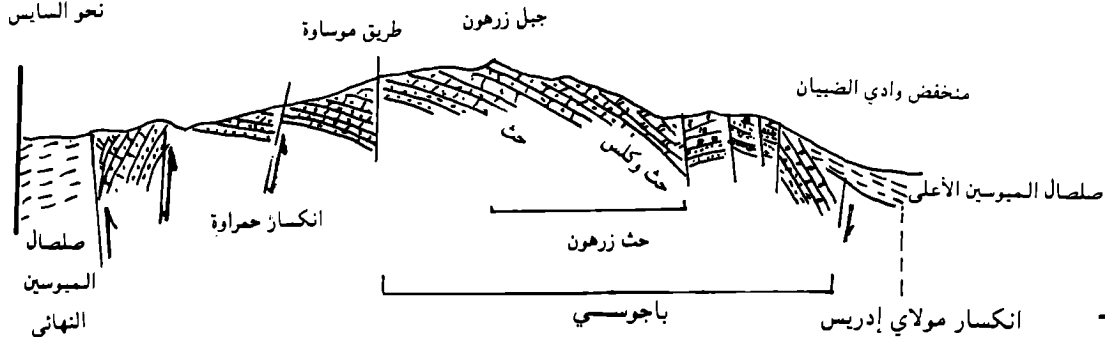
وذلك وسط تلال وهضاب وسهول حديثة، غنية تتمثل هذه الأخيرة في تلال فرشة مقدمة الريف الميوسينية، الممتدة شرقها وشمالها، وهضاب الساييس البليورباغية في الجنوب وحوض سهل الغرب الرباعي التهديلي في الغرب. تفصل بين هذه الكتلة الجبلية والمناطق التي تحتضنها، شبكة من الانكسارات والانخلاقات العميقة، ذات اتجاهات مختلفة. حدثت مزامنة للرواسب المكونة لهيكل بنية الكتلة (Faugères, 1978).

تشكلت تضاريس كتلة زرهون، في صحارة متنوعة، ضمن بنية التوائية راسخة، تنتمي للزمين الثاني والثالث. تتمثل صخور الزمن القاعدي في رواسب الترياس واللياس القاعدي. تبرز الرواسب الترياسية بصفة محدودة من خلال نواة بسيطة، شمال جبل تاكرمة في هضبة ضاية موساوة، التي يرجع سبب ظهورها لرواسبه الطينية، التي تكون مركز محدد اختراقي، يتوسطه حادث مولاي إدريس الرئيسي، الذي يفصل جبل النصراني وزرهون عن عرفي تاكرمة - قنوفة. لكن الأسبار كشفت تحت قبة ظهر النسور - التي تتوسط كتلة زرهون، عن وجود كتلة طينية - محلية - جيسية، بسماك 2140م، على عمق 1100 م تحت طبقات اللياس الكلس - ضلولميتية، والتي تستمر نحو الشرق والشمال الشرقي تحت مركب فرشة مقدمة الريف الغنية بيروزاتها.

تغلف هذه الرواسب مجموعة جوراسية. صخورها كلسية - ضلولومية، سمكية (400 م - 600 م) تنتمي للياس. يتوجها حث زرهون الباجوسي. تشكل تلك الصخور أغلب تضاريس كتلة زرهون.

بعد ثغرة إرسابية، يتم المرور إلى مجموعة صخرية تنتمي للكريتاسي الأعلى والبالوسين، صاصالية - كلسية - فوسفاطية سمكية (230 م). ينحصر مجالها في الحاشية الجنوبية الشرقية للكتلة، بين جبل النصراني وقبة ظهر النسور، حيث تكون المنخفض المقعري، الذي يحتضن حوض عالية مجاري ضبيان، لسند والضاية ومجرى بوخربوش.

تظهر صخور الزمن الثاني، المكونة لتضاريس زرهون، محاطة في الشرق والشمال بسفوح تتوجها مثلثات، تشكلت في غلاف رسوبي، صخوره متفاوتة السحنة والصلابة. تنتمي للميوسين الأوسط الأعلى السابق لزحف مركب فرشة مقدمة الريف الجنوبية، وذلك على شكل بهرة ضخمة. يتوج هذا الغلاف بصلصال كلسي أبيض (80 م)، تنتشر فوقه أقدم مغاريس أشجار الزيتون بالمنطقة.



بنية محدب زرهون المفرغ على شكل بهرة جانبية (عن Fougères 1978)

العمليات الجراحية كالصفائح، واللوالب والكعاب، وكذلك خليطة المواد المعدنية. ونجد الزركون عامة في المغرب كمعدن ثانوي مألوف في صخور الغنايس، والكرانيت، والبغماتيت والسيانيت والاسوانية النفلينية. ويتوقع الزركون على شكل شواذ طول الساحل الأطلسي من لورورة بجنوب منجم بوسافن (عمالة كلميم) إلى طرفاية؛ وكذا جنوب غرب أخفنيير على ما يقرب من 6 كلم، ومصعب واد سوس وإد أولعيان. وقد قدرت المدخرات من الزركون بمنطقة واد سوس وحدها بما يزيد على 52.6 مليون طن من المعدن الخام بنسبة 0.07% من أكسيد الزركون.

عبد الله بوصحابة

زرهون (كتلة وجبل ومدينة) تكون كتلة زرهون بغابتها من أشجار الزيتون، خلية جبلية مكنتزة ومتضرسة. تمتد بين خطي طول 8°، 50 د و 8°، 80 د، وبين خطي عرض 37°، 37 د و 38°، وذلك في أقصى جنوب سلسلة جبال الريف و ش غ الأطلس المتوسط الهضبي. كما يفصلها من جهة الغرب عن المحيط الأطلسي سهل الغرب بحوالي 80 كلم. (الشكل، 1). تبلغ مساحتها 363 كلم، حيث تطورت ملتصقة بسفوحها ستون (60) قرية، تتوزع بين ست جماعات قروية، إلى جانب مركز زاوية زرهون. يعيش بها ما يعادل 102.555 نسمة (إحصاء 1994).

باستثناء الامتداد الشمالي للكتلة، المتمثل في عرف بوقنفود - تسلفات. تتكون هذه الوحدة طبوغرافيا (الشكل، 2) في نصفها الجنوبي من تجاور ثلاث مجموعات متفاوتة: مجموعة عرضية وسطى أولى، تضم من الغرب إلى الشرق جبل قفص وكتلة زرهون وتجميعدتي تغات وزلاغ المشرفة مباشرة على مدينة فاس. ومن الجنوب مجموعة ثانية جنوبية، تكونها جبال تاكرمة، قنوفة، تاحياحت وزرهون المشرفة على ساييس مكناس والمؤثرة في بنيته، إضافة إلى مجموعة ثالثة، تمتد انطلاقا من تجعدة قفص وملحقاته الشمالية الغربية (جبل عاري وأوطيطا).

تتمركز وسط هذه المجموعات، قبة جبلية هرمية الشكل تعرف بجبل ظهر النسور. تفصل فيما بينها مجموعة من الأحواض تختلف من حيث الشكل والاتجاه والامتداد والأصل أيضاً (الطيلسان، 1986).

بنية كتلة زرهون التوائية. صخورها جوداسية في الوسط ونيوجينية في عند الهوامش. تشكل تقريبا النصف الشرقي لتجاعيد مقدمة الريف، التي تنتصب في أقصى جنوب الأحودود الجنوب - ريفي الخارجي، بأعرافها الحادة،

توافق هذه الوحدة، بنية التوائية انضغاطية راسخة. تتخللها شبكة من الانكسارات. إضافة إلى بنيات وحدة الميل، توافق الرواسب الميوسينية، تمتد على الخصوص في شرق وشمال الكتلة. تسليحها طبقات كلسية، ذات ميل متوسط إلى قوي في الغالب نحو الشرق، حيث تنتصب على سبيل المثال، في عرف النصراني الممتد جنوب شرق الكتلة.

ارتبطت نشأة كتلة زرهون بالبيوجرافيا، خلال اللباس الأعلى برصيف تحت - بحري لأخدود الأطلس المتوسط. قليل العمق وهادئ. يمتد نحو الجنوب والشرق، محيطا بكتلة هرسينية وسطى. استقبل رواسب كاربونية وضولوميتية، يعكسها تركيبها الصخري (Fedan, 1985, Michard, 1976). لكن هذا الانتماء للأطلس المتوسط، بدأ في الانقسام، ابتداء من اللباس الأوسط بدأت تتضح الحدود البنيوية، بعد تطور حوض مستقل بينهما، استقبل رواسب بحر عميق، كلس - صلصالية. مع نهاية الباجوسي بدأ انكشاف مجال التجاعيد، نتيجة ردمه برواسب رملية دلتائية سمكية، هي الأصل في حث زرهون (Faurères, 1978, Levy et al, 1952, Daguì, 1927). تميزت حقبة النيوجين، بتهدل مجال التجاعيد والسايس وعودة الإرساب إليهما. امتد بحره حتى الجرف البيريني للأطلس المتوسط. لكن خلال الميوسين الأوسط والأعلى، حدثت حركات بنائية إقليمية بالميدان الخارجي الريفي صحبها تهدل أخدود أمامي لمقدمة الريف والجنوب - ريفي. انطلقت على إثره فرشاة زاحفة، اندمجت مع الخلاط الخارجية (Vidal, 1977) من الشمال.

حدث تطور بنائي عكسي، من نهاية الميوسين الأعلى إلى البليوسن، أدى إلى رفع التجاعيد، التي حاصرت البحر في منطقة السايس، قبل انحساره النهائي خلال الرفع البنائي العام لكل المنطقة الجنوب - ريفية فوق حوض سهل الغرب، ومن ثم بناء التجاعيد الجنوب - ريفية (Fassi, 1999, Tailassane, 1986, Feiberg et al. 1970, Beaudet, 1964, LeCoz, 1969). جعل تضاريس الكتلة ترتبط جغرافيا، منذ ذلك الحين، بمقدمة الريف الجنوبية أكثر منه بالأطلس المتوسط.

تقدم كتلة زرهون، تضاريس بنيوية إفراغية، مشتقة وبسيطة، ضمن بنيات وحيدة الميل، تنحني بظهور منتظمة صوب الشمال. في حين تتصل بالسايس والغرب عبر انكسارات. يصل مداها 100 م (Ait Braim et al, 1983, Faugères, 1978, Vidal et al, 1975) وذلك كنتاج لنشاط بنية هورست وكرابن، بين طيات عريضة عادي (Fassi, 1999)، تتصل بالسايس بواسطة انكسارات عمودية ممي، ومع الغرب بانكسارات يسرى ميلها خفيف. (Vidal et al, 1975). وقد تم ذلك، ضمن سياق تطور بنية الريف المقعرية، ارتباطا بتزحزح وانغماس الصفيحة الإفريقية

تحت الكتلة الريفية، وهذه الأخيرة تحت صفيحة بحر الألبوران، وبالتالي حدوث انزلاق جاذبي لمكونات الفرشة (Feinberg, 1981, Vidal, 1977).

تشكلت تضاريس الكتلة، نتيجة تضافر الرفع البنائي الحديث والمتواصل ونشاط الأساليب المرفوتشكالية التغيرية. أدى إلى إفراغ جزئي لمحدبات تجاعيد زرهون، (حفرة البير والنصراني)، ومن ثم تشكيل وديان وأحواض إفراغية، تضيق أو تتسع، تطول أو تقصر تبعا لسمك وامتداد واتجاه الطبقات الهشة والحوادث البنيوية (الطيلسان، 1986)، مخلقة بذلك تضاريس مشتقة، بل معكوسة أحيانا. وذلك منذ انكشافها مع نهاية عمر الميوسين الأسفل. بحيث أصبحت تشكل تضاريس جوراسية، تجسدها بهرة ضخمة. يتوسطها تقب حتر ظهر النسور المشتق. توطرها من الخارج حادورات بنيوية للغلاف الميوسيني الممتدة في الشرق والشمال، حيث تشكلت أجزاف ومثلثات ضخمة.

وقد ساهمت في تشكيل تضاريس الكتلة، شبكة مائية حديثة وموافقة، تغلب على جريانها الموسمية. تصرف مياه الكتلة نحو الخارج صوب الشمال، أهمها مجرى زكوطة، بطول لا يتعدى 20 كلم، قبل اقترانه بنهر سيو. يليه واد الضيبان، الذي يكاد يصرف معظم مياه الكتلة صوب الغرب، ليقطع هضبة الكعدة البليورباغية، عبر مجرى الرمان، الذي يصب في مجرى الورد.

ختاما، أشير إلى أن مجال كتلة زرهون عرف ولوج الانسان النيرلتي إليه، حيث عثر الأركيولوجيون على بعض معالمه في ملاجئ وكهوف الكتلة (Belarbi, 1980). كما تشير آثار ويلي وبعض الكتابات فيها، إلى وصول الفنيقيين ولا سيما الرومان، الذين توقفت حضارتهم فيها ابتداء من القرن الثالث الميلادي. لكن في نهاية القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي، ستعرف المنطقة توافدا سكانيا مهما، مع وصول المولى إدريس الأول. أما خلال القرنين التاسع والعاشر (15 و 16 م)، فقد عرفت حسب وصف ليون الإفريقي، تطور 50 قرية وقصراً، وسط غابة كثيفة لأشجار الزيتون، بساكنة غنية، ضمن مجال أصبح يتوسط عاصمتي المغرب فاس ومكناس.

ويطلق اسم جبل زرهون، على العرف الجبلي العرضي الجنوبي، للجزء المتكامل من تجاعيد مقدمة الريف، المشرف مباشرة على هضبة سايس مكناس من الشمال، والتي اصطلح إطلاقها على هذه التجاعيد (الطيلسان، 1986, Fassi, 1999).

ينتصب هذا العرف، كأهم تجعدة في مقدمة الريف الجنوبية، ضمن شريط جبلي، بسفح وعر في أقصى جنوب الكتلة على هضبة سايس مكناس. فهو عبارة عن تجاور عرضي لأعراف طويلة، متفاوتة الامتداد على مسافة 10 كلم. اتجاهها العام شرقي - غربي. تبلغ أقصى ارتفاعها في

التوسع شمالا، حيث تنزل بعض أحيائها الحديثة، عبر سطح هضبة بلاد بورياح بالقرب من مجرى الرمان. بهذا الموقع، تتوسط المدينة مشهدا غابويا، قوامه أشجار السنديان الأخضر والصنوبر في الجنوب، وأشجار الزيتون في الشمال.

جاء موقع مدينة زرهون الدفاعي، عند بوابة كتلة جبلية، غنية بغابة تغلب فيها أشجار الزيتون في الشرق، مشرفة غربا على مجال هضبي وتلي، يخصص معظم مجاله لزراعات الحبوب البعلية. باستثناء الرساتيق المسقية، فوق الضفاف السلطان - غربية لمجاري الرومان والردم.

اقترنت نشأة هذه المدينة، بقيام دولة الأدارسة بالمغرب في نهاية القرن الثامن الميلاد. إذ تولى بها المولى إدريس الأول، سليل الحسن بن علي بن أبي طالب، حكم المغرب فيما بين 172 - 175 الموافق 788 - 791 (Histoire du Maroc, 1968)، لتمثل بذلك عاصمة أول دولة إسلامية بالمغرب. لا زالت تحتضن ضريحه.

تبدو مرفولوجية المدينة بأزقتها الضيقة بدون تصميم. يعكسه تداخل ألوان جدران بيوتها البيضاء بلون سقوفها القرميدية المحمرة، باستثناء ضريح المولى إدريس ذي السقف الأخضر، الذي يقع بحي الحفرة شرقا، إلى جانب الأحياء الثلاثة الرئيسية الأخرى، المكونة للمدينة وهي: تازكا الحفرة، خير، قصبه البلغيثين (Belarbi, 1980).

تضم المدينة، خليطا من السكان. ذوي أصول مختلفة، من بين أهمهم: الشرفاء الأدارسة، الصحراويون، بين يزغا، جبالا والعرب البلغيثيون.

وقد عرفت ساكنة المدينة تطورا محتشما، إذ لم تزد عن الضعف خلال 70 سنة الأخيرة من القرن العشرين، وذلك ضمن 2659 عائلة (إحصاء 1994)، كما يؤكد ذلك الجدول التالي:

السنوات	1926	1931	1936	1954	1971	1994
السكان	6.211	6.932	7.434	7.388	8.051	12.521

تطور ساكنة مدينة زرهون خلال القرن العشرين

تقاء بالزاوية، سوق السبت الأسبوعية، التي يعتمد سكان الدواوير الغربية والشمالية من كتلة زرهون على الخصوص في التزود بحاجياتهم منها. حاليا، أصبحت مدينة زرهون تشكل بلدية، تنتمي

عرف جبل زرهون بـ 1118 م. هذا العرف عبارة عن تجاور عرضي شرقي - غربي، طويل على مسافة 10 كلم، لمجموعة من الأعراف، متفاوتة الامتداد. تتمثل في عرف جبل زرهون، الأكثر استقامة وارتفاعا، حيث تم تشييد مركز الدفع الإذاعي والتلفزي لزرهون. يتراجع الارتفاع شرقا، عبر جبل تاكرمة (881 م) صوب جبل قنوفة (949 م)، وفي اتجاه الغرب المشرف على هضبة بلاد الملالي (800 م). يشرف هذا العرف على هضبة سايس مكناس جنوبا، بسفوح وعرة تتقعر في أسفلها، وإن كانت تتميز بوجود درجات عند عرف زرهون يصل مداها أحيانا إلى 50 م. تتوجها جميعا أجراف عمودية محمرة.

يمثل عرف زرهون مرفولوجيا، ضلعا خفيف التقوس. قمته حادة. سفحاه غير متماثلين.

يوافق سفحه الشمالي المنتظم، ظهر الطبقة الحثية العليا المنتمية للبايجوسي، تميل بـ 20 إلى 30 نحو الشمال. مخدد بعمق. بينما يشرف نحو الجنوب عبر جرف حاد، تشكل في نفس الصخور في الأعلى، إضافة إلى أخرى صلصالية منتمية للكيني في الأسفل. تقطعه مجموعة من الانكسارات عمودية وعادية ومعكوسة، خصوصا الحادث الانكساري، الذي يحده جنوبا عن السايس، حيث تكون درج انكساري مداه 1000م، أفرغته التعرية. لتشكل به ضمن طية محدب مفرغ، بهرة جانبية، انكشاف من خلالها الصلصال الآليني، المكون لقب المحذب. يشرف عليها ضلع الحث الباجوسي، الذي ينتهي بسفحه شبه بنيوي شمالا. تعبر هذه البهرة، طريق تربط بين قرى؛ حمرارة، المغاسيين، وموساوة، التي ترصع السطح الجنوبي لهذه التجمدة.

أما مدينة زرهون أو الزاوية، كما تسمى محليا، أكبر مركز قروي بكتلة زرهون (Belarbi, 1980). توجد معلقة ومنعزلة، فوق صخرة، ضمن حلبة متضرسة. تطورت عند مفصلة محدب مقروص. صخوره كلس ضلولوميتية، تنتمي للدوميري. منحصرة بين ضلع جبل زرهون في الشمال وضلع الكوار شمالا، محتلة بذلك موضعا حصينا.

تحده جنوبا أجراف عمودية، تشرف من خلاله على سليل خانق مجرى انشانيش بحوالي 100 م، والذي يعتبر

الأطول بكتلة زرهون، لكونه يكاد يصرف معظم مياهها السطحية، انطلاقا من منخفض الضبيان الكريتاسي الصلصالي، حيث ينعت بهذا الاسم هناك. قبل أن يصبح تحت اسم واد الرمان أو خومان، وهو يعبر هضبة وليلي صوب مصبه بوادي الردم غربا. في حين تمكنت المدينة من



nord-occidental. Notes et Mém. Serv. Géol. Maroc, Rabat, t. 30, n° 225, pp. 21 - 26, 1970 ; Brignon [et al...], *Histoire du Maroc*, 4ème édit. Casablanca, 1968 ; Lecoz J., *Le Rharb : Fellah et colons. Etude de géographie régionale*. Rabat, 2 t. ; *Le cadre de la nature et de l'histoire*, 1964 ; Levy R. et Druderer W., *Considération sur la "nappe pré-rifaine" d'après les travaux de la société chérifienne des pétroles. C.R. 19ème congr. Géol. inter. Alger*, pp. 277 - 294, 1952 ; Michard A., *Elément de géologie marocaine*, 1976 ; *Recensement du 1994*. Rabat, 1976 ; Tailassane M., *Le massif du Zerhoun et ses bordures est et nord-est au nord du Sais Fès et Meknès : Etude géomorphologique*. Thèse 3ème cycle. Univ. Med. V. Rabat, 1986 ; Vidal J.C. et Faugères J.C., *Une nouvelle interprétation de la structure des rides pré-rifaines (Rif, Maroc) : rôle des décrochements*. C.R. Acad. Sc., Paris, t. 281, 1975 ; Vidal J.C., *Structure actuelle et évolution depuis le Miocène de la chaîne rifaine (partis sud de l'Arc de Gibraltar)* Bull. Soc. Géol. Fr., Paris (7), t. XIX, n° 4, 1977.

محمد الطيلسان

الزهروني، إبراهيم بن عبد القادر كان من أبرز كتاب الدولة المقربين من السلطان المولى الرشيد، وأجل حملة الأقاليم في عهده، عارفاً باللغة العربية وآدابها وإنشائها "أديباً بليغاً وجيهاً ميجلاً فقيهاً نبهها أريحياً مهذباً ملحوظاً بعين الاجلال والاكبار، من عظماء دولة الافخم مولاي رشيد". الإتحاف (ابن زيدان، الإتحاف، 1 : 263). كانت وفاته في 17 شعبان عام 1080 / 10 يناير 1670.

رقية بلمقدم

الزهروني، إبراهيم بن علي المعروف بأفحام أو أفهام، السوسي النجار الزهروني المدفن والدار، يرتبه محمد المهدي الفاسي في الدرجة الثانية من الطبقة الزروقية الأولى، بعد الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني (ت. 931 / 1524) صدر هذه الطبقة، وذلك من كتابه *التحفة*. وينسجم هذا الترتيب مع قصد مؤلف التحفة من إفرادها في التاريخ العام للطريقة الزروقية شرقاً وغرباً، ولو كان قصد بها التأريخ للزاوية الفاسية التي ينتسب لها لانقلب هذا الترتيب، وعادت الصدارة إلى أفحام وتخلف الراشدي إلى الرتبة الثانية، ذلك أن واسطة بني الجد في الزروقية من طريق الشيخ أفحام أقوى وأشد من واسطتهم فيها من طريق الشيخ الراشدي.

ولا تمتاز مكانة صاحب الترجمة في تاريخ الزاوية الفاسية فحسب، بل وتعلو في تاريخ الطريقة الزروقية بالمغرب بوجه عام. ويأتي ذلك من اعتباره صدر الزروقيين المغاربة، وكبير الأخذين عن الشيخ أحمد زروق (ت. 899 /

إقليم مكناس المنزه، التابع لجهة مكناس - تافيلالت. بساكنة يبلغ تعدادها، حسب إحصاء (1994) 12.521 نسمة، تمثلها 2.659 أسرة.

كما تضم المدينة مقر دائرة حضرية، تتحكم في ست جماعات. تعيش بها 44.533 نسمة، تمثلها 16.613 أسرة، جلهم قرويون (إحصاء 1994). (انظر الجدول أسفله) :

الجماعات	كرمة المغاسيين	بنسالم	بنو عمار	نزالة
عدد السكان	5.154	5.026	8.212	9.465
الجماعات وليلي سيدي عبد الله الخطية	6.594	10.082	44.533	
عدد السكان				

تطور ساكنة بلدية مركز زرهون (حسب إحصاء 1994)

يتعذر في هذه المدينة، التمييز بين ما هو حضري فيها وما هو قروي. ومع ذلك فإنها تحتضن مقر بلدية كتلة زرهون. بفضل وجود قبر أول لاجئ سياسي، استقبله المغرب الإسلامي في نهاية القرن الثامن الميلادي. تحول إلى ضريح، وحتى زمن قريب، كانت زيارته 40 مرة متتالية، تعادل القيام بمناسك الحج بالحرمين الشريفين (Belarbi, 1980). لذلك دأبت المدينة على تنظيم موسم سنوي للمولى إدريس الأكبر، يستقطب سكان القبائل القريبة والبعيدة لإحيائه، قصد تحقيق هذه الغاية.

Ait Brahim L. & Chotin P., *Mise en évidence d'un épisode compressif dans les calcaires plio-quatérnaires du bassin du Sais*. C.R. Acad. Sci., Paris, t. 296, p. 133, 1983 ; Beaudet G., *Le plateau central marocain et ses bordures, étude géomorphologique*. Thèse de doctorat es-lettres, 478 p., 125 pl., 28 fig., 4 cartes, 1969 ; Belarbi M., *Zerhoun, population et structures agraires, Etude de géographie rurale*. Thèse de 3ème cycle, Bordeau I, 1980 ; Daguin F., *Contribution à l'étude géologique de la région pré-rifaine*, Rabat, 1927 ; Dresch J., *Essai sur l'évolution du relief dans la région pré-rifaine (Maroc occidental)*. Paris, 1933 ; Fassi D., *Les formations superficielles du Sais de Fès et de Meknès : Du temps géologique à l'utilisation actuelle des sols*. Rabat, 1999 ; Faugères J.C., *Les rides sud-rifaines. Evolution sédimentaire et structure d'un bassin atlantico-mésogéen de la marge africaine*. Thèse d'Etat. Univ. Bordeau I, t. 1, 480 p., 1978 ; Feinberg et Lorenz G., *Nouvelles données stratigraphiques sur le Miocène supérieur et le pliocène du Maroc*

1493) إبان استقراره بفاس في صدر الدولة الوطاسية، وصاحب الطريقة الثانية والكبيرة في الزروقية إلى جانب الطريقة الراشدية، والتي شكلت إحدى التيارات الصوفية المتميزة والبارزة بمغرب القرنين 10 و 11 / 16 و 17. زيادة على عمله على استقرار عبد الله الحياط (ت. 939 / 1533) تلميذ الراشدي بزوهون، وتمكين التيار الزروقي من الانتشار بهذا الجبل.

وقد اعتمد أفحام في طريقته على أصل مكين من أصول الطريقة الزروقية، وهو مبدأ الاستحسان الذي أكد عليه الشيخ أحمد زروق في مذهبه وجعله أساس الانتساب إلى التصوف ورجاله. وهو مبدأ يقول بحق كل فرد في اتخاذ المذهب الصوفي الذي يراه الأحسن، والذي يتفق مع استعداده الطبيعي ودرجته في العلم، شرط التقيد بالكتاب والسنة. فنهل أفحام من مدارس التصوف الإسلامي التي نشأت بخراسان خلال القرن 3 / 9، واقتفى أثر شيخ الملامتية بنيسابور حمدون بن أحمد القصار (ت. 271 / 884). وبقى استحسانه من صميم التصوف المغربي، ويعد إحياء لسلك عريق في تاريخه، وسابق في ظهوره عن الطريقة الشاذلية بالمغرب بما يزيد عن القرن. وقد تمت الإشارة إليه في كتاب 'التشوف'، واشتهر به الشيخ علي ابن حرزهم (ت. 559 / 1164)، وهو شيخ أبي مدين الذي تتلمذ على يده عبد السلام بن مشيش الذي أخذ عنه أبو الحسن الشاذلي. وتواتر ذكر مسلك أهل الملامة في مصادر التصوف المغربي المصنفة بعد ابن الزيات (ت. 627 / 1230). ثم إن تراث الشيخ أحمد زروق حافل بما يسوغ عقد الصلة بين الزروقية واللامتية، ويعين على الذهاب إلى القول إن استحسان تلميذه أفحام هو من صميم طريقته ومذهبه، وإن الاتجاه الإفحامي هو استقرار للزروقية واستمرار لها، ودليل على أن العقم لم يزم بها بالمغرب بعد خروج الشيخ زروق منه مغاضباً، وإنها قد أجزأت به قبل أن تغادره، وخلفت بناتها به قبل أن تفارقه.

ولعل ملامتية الشيخ أفحام كانت أقرب إلى جوهر الطريق الملامتي الذي قصد به مشايخه الأوائل إلى مجاهدة النفس ورياضتها، والحرص على ألا ينم الظاهر عن الباطن، وألا تظهر الأسرار في الأقوال والأفعال، وكنمان المعاملة مع الخالق. فسيرته عاطلة بالمرّة مما يفيد ظهوره بما يجلب عليه من الغير الملامة، أو بأخذه النفس باللوم والبخع والتأنيب. بل إن مترجميه يجعلون طريقته محمدية، ويقولون إنه كان قد رأى النبي (ص) في النوم ففتح له على يده الكريمة وأخذ عنه (ص)، ثم انضاف إلى الشيخ زروق وصحبه وانتسب إليه بقصد التربية والتهديب. ومع تلميذه علي الصنهاجي المعروف بالدوار (ت. 941 / 1535) ومن بعده سيخرج الملامتية المغاربة من طور الخمول والكنمان إلى طور الظهور والإعلان، ويتمدون الظهور في الناس بالأمر المحوشة التي تجلب لومهم وتؤدي إلى تنافهم عنهم.

وتتأكد الصلة بين الملامة والجذب والبهل والحال، وتيسر موافقة ضروب من السلوك غير جارية على الشروط الشرعية، ويسهل الخروج في العبادات والعبادات عما هو معروف من ظاهر الشريعة.

توفي بزوهون عام 926 / 1520.

ي. الزيات التادلي، التشوف، نج. أ. توفيق، 169 : م. العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ط. حجرية، 191 : م. المهدي الفاسي، تمتع الأسماع، نج. ع. العمرادي وع. مراد، 111 : المؤلف نفسه، تحفة أهل الصديقية، مخ ع 76 ج. 65 : م. الكتاني، سلوة الأنفاس، ط. حجرية، 2 : 221 : أ. الناصري، الاستقصاء، 4 : 163 : م. حجي، الزاوية الدلائية، 50 : م. مفتاح، الخطاب الصوفي، مقارنة وظيفية، الدار البيضاء، 1997، 131 - 132 : ع. نجمي، من تاريخ التصوف المغربي في القرن العاشر الهجري، الملامتية، 30.

عبد الله نجمي

الزوهوني، إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمان شيخ

تأسفت، من الشرفاء الأدارسة الذين دفعت بهم الظروف إلى البحث عن مستقر لهم بالمناطق الجبلية، فكان موطن أسلافه في الأطلس الصغير بإفران قبل الانتقال إلى تأسفت الواقعة بقبيلة كندافة بعمالة حوز مراكش. وهناك ولد إبراهيم سنة 1070 وتولى مشيخة الزاوية بعد وفاة والده وتفرغ لشؤونها وأملأها مع تربية المريدين والاهتمام بتوفير المستوى الضروري من التعليم للسكان وتنظيم مجالس الحديث في كل مناسبة دينية وربط صلات الود والصداقة مع عدد من الفقهاء الذين زاروا الزاوية. وسعى لتمتين الروابط الروحية مع ذرية المرابط سعيد بن عبد المنعم الحاحي أصحاب زاوية تافيلالت بزداغة وآل بناصر الدرعي بتمجروت. وفي سنة 1121 قام برفقة ابنه عبد الله بأداء فريضة الحج. واستمر في القيام بمشيخة الزاوية في أمن واستقرار معززا موقرا في الوسط الجبلي إلى سنة 1125 حيث اكفهر الجو السياسي بينه وبين المخزن فوصلته رسالة من السلطان المولى إسماعيل طالبا منه الحضور باستعجال إلى عاصمته مكناس لمقابلته، غير أن الشيخ أوجس منه خيفة وخبرته أحداث الماضي بمكايد رجال السلطة وشاعت الأقاويل حول أسباب غضب السلطان عليه، فمن قائل بأنه كان مؤازرا لابنه محمد العالم في ثورته بتارودانت ومن زاعم بأن الشيخ يملك سيفا أثريا وطولب بإحضاره أو بيعه للأمير. ومن مردد أن للشيخ له سيطرة واسعة على قبائل وادي نفيس ويخشى من نفوذه الروحي الذي قد يحوله لمواجهة السلطة فتوالت الرسائل الرسمية على الشيخ وقدم عليه مبعوثو الأمير لإقناعه بالذهاب إلى مكناس ووجدها باشا مراكش عبد الكريم بن منصور التكني فرصة لتحرير السلطان عليه بتوجيه المحلة للقضاء عليه، فعهد المولى إسماعيل لابنه المولى الشريف بهذه المهمة العسكرية فجدد

عاصمة البرتغال حيث انضم إلى حاشية الأمير مولاي الشيخ ابن السلطان المتوكل وظل بجانبه إلى أن اعتنق هذا الأخير دين الضلال.

Archivo General de Simancas (España) ; Ojeda, Luis de, Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian, S.I.H.M., France 1, p. 575 - 627.

محمد ابن عزوز حكيم

الزهروني، عبد الرحمن بن التهامي بن الفقيه يحيى
بن عبد الواحد الإدريسي الزهروني، شريف حسني. درس بمدينة زهون ثم انتقل إلى فاس. فأخذ عن شيوخها خاصة مولاي إدريس البكراوي الذي أجازته في علم القراءات، رجع إلى زهون حيث تسلم إمامة ضريح مولاي إدريس التي توارثها أسلافه، وعرف عنه أنه : "فقيه أستاذ، ناسك بركة، فاضل جليل من أهل الخير والدين" (الإتحاف، 5 : 292) كان من مريدي الشيخ سيدي عبد القادر العلمي الكناسي، صحبه مدة وعنه أخذ طريق القوم. توفي ببلده زهون عام 13/1332 - 1914.

رقية بلمقدم

الزهروني، عبد الله بن عثمان الصنهاجي، لقب بالزهروني نسبة إلى أمه الزهرونية، عرف بالصلاح والمعرفة بطريق التصوف والحفظ لأخبار الصالحين. وقد أدرك عدداً منهم كابن حرزم وأبي شعيب السارية وأبي يعزى. ذكر له ابن الزيات في التشوف مجموعة من الكرامات، يظهر منها أنه كان يقيم مدة برياط شاكراً.

ي. ابن الزيات، التشوف، 424 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 8 : 211.

أحمد إشرخان

الزهروني، عبد الله بن عز الدين قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني سعيد انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني، وشارك في المؤتمر الذي عقدته الثورة بقرية الزوة (جبل حبيب) يوم 11 يناير 1915 وشارك في أربع معارك فقط لأنه استشهد في معركة اشروطة بقبيلة بني حسان ليوم 19 ربيع الثاني عام 17/1343 - 1924.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب، الرباط، 1981.

Capaz Fernando, Cabacillas ..., 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

الزهروني، عمر ← الخطاب

لها 9.000 فارس و23.000 راجل ووجدت قبائل وادي نفيس نفسها محاصرة ومهددة بالتأديب والانتقام لتضامنها مع شيخ الزاوية واعتمادها في تسيير شؤونها على الأعراف المتبعة وأهمها الطاعة بدون التقيد بالتكاليف. ولجأت السلطة إلى اغراء شيوخ المنطقة وبذل الجهد في كسر تضامنها، فتمكنت جيوشها من الدخول إلى الجبل ونهج سياسة الدمار وإتلاف الأشجار وتخريب الزاوية وذلك في فاتح رمضان عام 1127. ووصف ولده عبد الله الزهروني هذا الدخول في رحلته المسماة رحلة الوافد : "وفي صحوة يوم السبت الأول من رمضان المعظم عام سبعة وعشرين ومائة وألف وقع الغدر بين قبائل نفيس بثنية وشدان وكان ذلك بسبب طلوع المخزن لبلادهم حتى طوعها كلها وطاع له أهل جبل درن ونهب أموالهم ومثل بهم ...".

وأمام هجوم المحلة، فر الشيخ وأسرته وجماعة من أصحابه إلى اغبار ثم إلى سكساوة. ومع أن المعركة وضعت أوزارها فإن الشيخ اعتصم في منفاه مهادنا ومراوغا إلى أن وافاه أجله في رجب سنة 1134 / أبريل - ماي 1722، في أعلى وادي مسطوكة في قبيلة زداغة. وهكذا فإن الظروف المؤلة التي عرفتها المنطقة تعكس الصراع بين المخزن والزاويا في حالة قوتها.

ع. الله الزهروني، رحلة الوافد، تح. علي صدقي : م. ماكامان، الرحلات المغربية في القرنين 11 و12.

La Rihla du Marabout de Tassaft, traduit par C. Justinard, Revue Africaine, 1942, H. Terrasse, A propos de la Rihla du Marabout de Tassaft.

محمد ماكامان

الزهروني، أحمد بن الحسن بن علي بن الأمير فقيه حافظ من أهل مكناسة الزيتون، ينتمي إلى أسرة علمية، فقد كان أبوه فقيهاً، وكان جده من حفاظ المذهب المالكي. قام برحلة إلى المشرق فحج، وعند عودته أقام بالأسكندرية مدة التقى فيها بالحافظ أبي طاهر السلفي (ت. 576) وأخذ عنه كثيراً من الحديث، وبعض الكتب كالناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس، وغريب القرآن لابن عزير، ومسند الموطأ للجوهري، وشرح غريب الموطأ للأفضل، وذلك سنة 533 / 1139.

وكان الفقيه أبو يوسف الزناتي يثني عليه ويصفه بالحفظ.

أبو طاهر السلفي، معجم السفر، تح. عبد الله عمر البارودي، مكة المكرمة، المكتبة التجارية، (د. ت.)، ص. 39.

محمد المقرافي

الزهروني، بآ يوسف، قائد شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان محمد المتوكل ثم فر إلى أصيلا التي كانت آنذاك بيد البرتغال، ومنها التحق بلبشونة

الزهرهوني، عمر بن عبد العزيز بن عمر الخطاب الزهرهوني فقيه مشارك، ولد بمدينة فاس سنة 972. كان بارعا في النحو وفي استظهار مختصر خليل وتدرسه. وصفه القادري بـ "الفقيه الشهير البركة" (نشر الثاني، 1 : 41) توفي قتيلا آخر ذي القعدة عام 1002 / 17 غشت 1594.

رقية بلمقدم

الزهرهوني، قاسم قائد بجيش زواوة شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان مولاي عبد الملك وذكره الإفرائي في *نزهة الحادي* من بين قواد الجيش في عهد السلطان مولاي عبد الله الغالب بالله. م. الإفرائي، *نزهة الحادي*، الطبعة الثانية - الرباط، د. ت. صفحة 47 و55.

Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian*, (S.I.H.M. France I, p. 575 - 627).

محمد ابن عزوز حكيم

الزهرهوني المقدم الخياط، رئيس للمطيين بفاس أيام السلطان المولى إسماعيل. كان عدد حومات فاس في هذا المعهد أربعاً وعشرين، في جهة للمطيين ثمان، وفي جهة الأندلسيين عشر، وفي عدوة الأندلس ست، وعلى كل حومة جار وعليهم رئيس، والخياط الزهرهوني هو رئيس للمطيين. لا تذكر المصادر اسمه الكامل ولا تاريخ ولادته. ولد بمدشر العامة بزهرن، وكعادة أغلب الزرهنه، التحق بفاس لإتمام دراسته، فقرأ القرآن بالروايات العشر، ثم قرأ "الخرجية" و"القلصادي" و"المنية"، فتفوق في الحساب وعلم الفرائض، وأصبح له الإمام بالتاريخ وأيام الناس وسياسة الملوك. ولم يؤهل للتدريس بالقرويين فاتخذ مكتباً لتعليم الصبيان بحومة زقاق الحجر بفاس، حيث عمل زمناً لمجاريها، ثم صار يزم لجميع الجارين بالمطيين ويجمع لهم حساب الأديات المخزنية، فتقرب بذلك إلى أبي علي الروسي فولاه رئيساً على الجميع، فاستبد بالأمر، وأصبح نموذجاً للمقدمين المستبدين حتى قيل في حقه: "لم يبق لأحد معه في تلك الجهة من الأمر شيء"، فكان يجمع المغارم والوظائف المخزنية بتجاوز وتسلط، ويقبض على من لم يؤد ما وظف عليه من المغرم، ولو كانوا في حرمة المساجد، فترك الناس بسبب ذلك مجالس الوعظ، وأصبح قلة منهم يستمع للتوريق بمسجد القرويين، فبلغ ذلك السلطان مولاي إسماعيل بواسطة مؤنسه المؤذن، فأمر بالقبض عليه وعلى أتباعه، وأرسل رسالة تهديد إلى عامله أبي علي الروسي، ثم أمر بضرب عنق الخياط الزهرهوني، بمكناس عام 1125 / 1713. ففرح أهل فاس بذلك، وقيلت بالمناسبة أشعار وقصائد ملحون.

م. القادري، *نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج. 6، ص. 2274 : م. ابن الحاج، *الدر المنتخب*، مخطوط، مخ ج. 12184، ج. 8، ص. 97 : ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 3، ص. 13.

أحمد إيشرخان

الزهرهوني، موسى بن بوبكر، قائد حصن بادس من قبل أبي حسون الوطاسي ما بين مارس 1549 ويناير 1552. لم تكشف المصادر عن اسمه وهويته بسهولة، فصارمول يسميه فقط الزهرهوني. وعرفت به مراسلتان باسم سيدي موسى، بينما قال "بيدرو سلزار" إنه سيدي موسى بن بوبكر (Cidemuca dembucar). وبذلك سندعوه موسى بن بوبكر الزهرهوني. وقيل أيضاً بعض الشيء عن سابق عمله قبل التحاقه بمهمته بجزيرة بادس، فمرة قيل عنه إنه كان قاضي القضاة بفاس، وأنه أحد أقرباء قاضي القضاة فقط. وإذا كان لا بد من الترجيح فإننا نميل إلى الرأي الثاني، إذ أن سيدي موسى أبان خلال مدة اعتصامه بالجزيرة عن مهارة ومعرفة بشؤون البحر. علاوة على أن عبد الله الغالب عينه قائد أسفي سنة 974 / 1566، وكان قد التجأ إليه إثر فراره من بادس.

فالظاهر من تمحيص الأقوال أن موسى بن بوبكر الزهرهوني كان من المحظوظين لدى أبي حسون، بفضل ما توفر عليه من خصال القيادة الحربية. وغير بعيد أن يكون هو من الموالين للأمير البادسي منذ استقرار هذا الأخير ببادس، وأن ما تم من الإصلاحات بالجزيرة كان على يده. وكيفما كان الأمر فإن أبا حسون كلفه بحراسة الحصن وشحنه بالأقوات والعتاد الحرب، وبالقطع المدفعية خاصة.

واستناداً إلى ذلك استخلص الجزيرة لنفسه أثناء أوج الصراع بين أبي حسون ومحمد الشيخ السعدي وتأجيج الأطماع الإسبانية. فبم نفس تمازج هذه المواقف الثلاثة؟ الواقع أننا نجهد تفاصيل هذا الحدث، فلم تأتأنا أخباره إلا من مملية التي أوى إليها أبو حسون منذ 17 أبريل 1549، بعد استفساره عن سبب قدومه إلى المدينة. كما وصل نفس الخبر إلى غرناطة على لسان أسير فر من بادس. فالظاهر أن محمد الشيخ السعدي كان قد وكل أمر القبض على أبي حسون إلى مولاي بوزكري، صهر هذا الأخير، بعد التباطؤ الذي أظهر في عدم الاستجابة لاستدعاءاته المتكررة، وإلا أن أبا حسون تفتن بالغاية من مقدمه قبل إشرافه على حوز بادس الساحلي.

فالظاهر أن الأمير الوطاسي فكر في التحصن بجزيرة بادس من ملاحقة محمد الشيخ السعدي. وإلى غاية 14 مارس كان قد نصب أربعين قطعة مدفعية، واختار لقيادة الجزيرة المدعو موسى بن بوبكر الزهرهوني. ونعتمد أن امتناع موسى بن بوبكر الزهرهوني بالجزيرة لم يكن مبرراً كافياً لمغادرة أبي حسون مركز إمارته بتلك السرعة وعلى تلك

وكان نحوياً جامعاً للقراءات بالطرق العشر، وله قدم
راسخة في العلم.

وهو تلميذ الشيخ أبي عمرو المراكشي القسطلي، وربما
أخذ عن العزواني كذلك قبل اجتماعه بأستاذه الأخص
المذكور لذلك قدمه عليه في نظمه الذي نظم فيه السلسلة
الشاذلية الجزولية :

وتوسلي لله بالرجال وشيخنا العزواني والقسطلي
ويقال بأن فقهاء زعير اتخذوه ورداً في وظيفتهم.

ومن المستبعد أن يكون الزروالي قد أخذ عن العزواني
الذي توفي سنة 935 / 1528 فإذا سلمنا أنه لقيه قبل وفاته
فان ذلك سيجعله يعمر أزيد من قرن. وهو أمر لم ينبه إليه
أحد من الذين ترجموه (إذ كانت وفاته كما سنرى سنة
1045.1635).

أخذ الطريقة الجزولية عن أبي عمرو المراكشي، عن عبد
الكريم الفلاح الحاجي، عن عبد الله العزواني عن الجزولي
(قبيلة بني زروال).

قال فيه الحلفاوي ... المشهور بين العباد والزهاد،
المحيط بالسنة بالعمل والاجتهاد... (شمس المعرفة).

وكان صاحب كشف وفساسة نافذة. وقال فيه ابن أبي
محلي : العالم الذي عن حوض الحقيقة والشريعة لا يزداد،
وعلى قدره الشريف لا يزداد (الإصليت) تقدم لحضرة فاس
في طريق القوم بعد وفاة شيخه أبي عمرو، وأخذ هناك
الوظيفة الزروقية عن محمد الخروبي تلميذ زروق. قبل أن
يتجه إلى مكة المشرفة مجاوراً.

قيل عنه إنه كان صاحب تأليف في العشق وغيره إلا
أن أهم مؤلفاته هو كتابه شمس القلوب لكل محبوب ألفه
في مناقب شيخه أبي عمرو ورتبه على مقدمة وأربعة
أبواب.

المقدمة : تمهيد في أصول الكتاب وقواعده التي تبنى
عليها جميع الأبواب.

الباب الأول : في اثبات نسبه المرضية وإسناد طريقته
المروية وتسمية أشياخه واحداً عن واحد إلى خير البرية.
الثاني : فيما دل على تخصيصه بإشارة أشياخه وحسن
سيرته.

الثالث : في ظهور دعوته البالغة وبراهينه البازغة
وحججه الدامغة ونفحاته السابعة.

الرابع : في شيء من كلامه المشكور وتفسير ما تسر
منه على حسب الفتح والنور، وكراماته الظاهرة وخصائصه
الباهرة ومحاسنه الزاهرة.

الخاتمة : في ذكر وفاته وما ظهر على بعض خواص
حضرتة من فضل بركاته (شمس القلوب).

أورد فيه قصائد عديدة في مدح شيخه وأعلام الطريقة
الجزولية.

ذكر صاحب دليل مؤرخ المغرب الأقصى أن الزروالي
توفي بمكة المكرمة بعد الألف، في حين حدد محمد البشير

الهيئة من الاستعجال في اتجاه مليلة. وبذلك جاز لنا أن
تصور تعرض أبي حسون لزحف صهره وتمرد قائد الجزيرة في
وقت واحد، أي أن الزرهوني أغلق باب حصن الجزيرة في
وجه أبي حسون حينما اقترب مولاي بوزكري من بادس،
وكان هذا رفضاً لقبول الطاعة للسعديين أيضاً.

والراجح عندنا أن لتمرد موسى الزرهوني على أبي
حسون علاقة متينة بما كان يروج حول علاقات أبي حسون
بالإسبان والبرتغال، إذ أن مراسلاتهم لم تخل من التلميح
إلى جزيرة بادس. ولا نظن أن القائد كان يجهل هذا. يظهر
هذا من موقف الزرهوني الملاين تجاه أبي حسون، إذ أنه لم
يعبر عن أي موقف عدائي باستثناء رفضه تسليم الحصن.
ولذلك كان من الأفضل أن نتحدث عن مجرد وجود الخلاف
بين القائد وأمير بادس.

وفي الوقت الذي وجدنا موقف قائد الحصن واضحاً تجاه
أبي حسون والأطروحة الإسبانية اتسم موقفه تجاه السعديين
بازدواجية حيرت الجانب السعدي. فالقائد الزرهوني اعترف
بالسعديين ولكنه امتنع امتناعاً كلياً من التنازل عن الجزيرة
لغيره والتخلي عن منصبه بها. عبر عن ذلك حينما طلب
منه تسليم الحصن إلى محمد الشيخ. ومع مرور الأيام
كشفت عن رغبته الرامية إلى تعيينه قائداً للحوز. وهذا هو
مادل عليه وتوصل إليه في محرم صفر 960 / يناير 1552،
وبقي بتلك الصفة إلى يناير 1554 حينما تخلى عن منصبه
نتيجة الزحف التركي.

ح. الفكيكي، مقاومة الوجود الإبري بالثغور الشمالية الغربية،
أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

P. Salazar, Hispania ; A.G.S. Guerra Antigua Miguel
Ortiz, Relación de lo que se entiende de Barbaria,
A.N.T.T. Gaveta 15. maco 18, nº 23, S.I.H.M. Espagne...;
S.I.H.M., Portugal.

حسن الفكيكي

زروال أو أزروال ← بني زروال

الزروالي، محمد بن عبد الرحمن الفقيه المقرئ

الصوفي جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أبي زيد عبد
الرحمن بن يوسف الشريف الحسني المعروف في بلاده بابن
الفقيرة ينتمي لقبيلة بني زروال الجبلية الشهيرة بشمال
المغرب.

يكتنف سيرته غموض كبير، فقد تردد محمد المهدي
الفاسي في اسمه فسماه حينما الوزروالي وحينما آخر الزروالي
في نفس الترجمة (ممتع الاسماع، 171. 172) وتبعه عباس
بن إبراهيم في ذلك (الأعلام، 5: 183.184).

نجهل تاريخ ميلاده والكثير عن حياته، قال فيه صاحب
الابتهاج : كان ممن رحل إلى الحجاز وأخذ عن الشيخ
الحطاب المالكي، وله معه منازلات، وجاور بمكة.

ابن عبد الله الفاسي الفهري تاريخ وفاته في سنة 1045 / 1635 ومكان دفنه بمدشر المحجرة من فرقة أولاد قاسم الزروالية (قبيلة بني زروال).

م. الزروالي، شمس القلوب لكل محب، مخطوط، خ ع رقم 3694 د ؛ أ. ابن أبي محلي، الاصلية الحريت، مخطوط خ. ح. رقم، 100 ؛ ع. ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، الدار البيضاء، 1960 ؛ م. الحلفاوي، شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة، مخطوط ؛ م. البشير الفاسي، قبيلة بني زروال، الرباط، د. ت ؛ م. المهدي الفاسي، تمتع الاسماع، تح. ع. المحي العمري وآخر، الدار البيضاء، 1994.

حسن جلاب

الزروالي، محمد بن عمرو. ينتسب إلى أولاد ابن عليلو من مدشر دار بن هيدور بقبيلة اغزاوة. سكن والده بقبيلة بني زروال قبل أن يستقر بمدينة فاس.

تتلمذ محمد بن عمرو الزروالي على كبار علماء الحضرة الفاسية الذين عاصروا السلطان سيدي محمد بن عبد الله أمثال محمد التاودي بن سودة، شيخ الجماعة المتوفى سنة 1795، ومحمد الطيب بن كيران، وعبد الكريم اليازغي. وقد كان الزروالي من جملة العلماء البارزين في دولة المولى سليمان، وصفه صاحب سلوة الأنفاس بكونه "بحراً لا يجارى في مجاري العلوم". تتلمذ عليه المولى سليمان وأخذ عنه الفقه والحديث والتفسير والنحو، وعندما تولى مقاليد الحكم في البلاد خصه بالاحترام وجعله ضمن دائرة العلماء الذين يحضرون مجالسه العلمية ويستشيرهم في القضايا المهمة.

ومن الفتاوي التي وقعها الزروالي جواباً على أسئلة السلطان فتوى تتعلق برفع حرمة الزوايا التي تستر على الأموال المفصولة لبيت المال، وفتوى تسمح باستئناف الحج في سنة 1811 بعد التحقق من ظروف الأمن السائدة بالحجاز على إثر استيلاء الوهابيين عليه.

وتوفي الزروالي في 12 ذي القعدة من عام 1230 الموافق ليوم 16 أكتوبر 1815.

م. الكتاني، سلوة الأنفاس، 3: 5، 6؛ ع. الكبير الفاسي، تذكرة الحسين، ضمن موسوعة أعلام المغرب، تح. م. حجي، بيروت 1996، 7: 2496.

محمد المنصور

الزروالي، محمد بن مبارك مقاوم ولد سنة 1921 بوجدة انخرط بصفوف حزب الاستقلال، وكان من أعضائه البارزين، شارك في مظاهرات 16 غشت التي شهدتها مدينة وجدة، وبعد ثلاثة أشهر أُلقي عليه القبض وتعرض لشتى أنواع التعذيب والتنكيل حيث حكم عليه بسنة ونصف سجنًا، توفي بتاريخ 17 محرم عام 1375 / 5 شتنبر 1995.

المدوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 514965.

زروالي، ميلود بن عبد السلام، مقاوم ولد سنة 1906 بدوار إزروالن ملحقة أجدير بإقليم تازة. نشأ كجميع أبناء المنطقة على حب الوطن. وخلال تأسيس جيش التحرير بالشمال انخرط ضمن الفرقة التي كانت مرابطة بأسويل بيورد تحت قيادة اشتاتو الحاج عمر. وقد عرف بين أفراد فرقته بالجرأة والإقدام فكان مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله نشيطا في عمله متحمسا في إيمانه مستعداً للتضحية والاستشهاد. شارك في عدة معارك منها الهجوم على مركز بوريد ومركز بوزينب إلى أن استشهد في معركة بجبل إبقريا بتاريخ 15 صفر عام 1375 / 3 أكتوبر 1955.

المدوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، رقم 504659.

الزرودية ← الجزر

زروفات أو زروفة مصطلح كان يطلق بقبائل الشاوية على جماعة صغيرة من حكماء القبيلة كانت تنزع الفصل في الخلافات وتسيير أمور القبيلة أثناء ضعف السلطة أو أثناء السببية، ويظهر أن جماعة زروفات كانت تتكون من عراف الدواوير، أو الفرق الذين يفصلون في مواضيع الخلافات الجنحية وفي أمور الحرب والسلم اعتماداً على أعراف القبائل. أي أنها كانت تحتكم للعرف أي "إزرف" باللهجة الأمازيغية ؛ ومن هنا جاء اسم زروفات.

تردّت كلمة زروفات أو حكم زروفات، أثناء انتفاضة الشاوية ومواجهتها للاحتلال الفرنسي بين 1903 - 1908. وعلى هذا الأساس فجماعة زروفات كانت تظهر خلال الانتفاضات القبيلة على المخزن ؛ حيث كان زعماء الفرق يتصدون للفصل في شؤون القبائل. كانت جماعة عرفاء القبيلة تصدر أحكامها وقراراتها خلال اجتماع قصير تحضره وفود الجماعات المكونة للقبيلة.

وكانت تلك الوفود من الجماعات تسمى "بالجواقفة"، وكان الاجتماع العام يسمى "الجوقة"، وخلال الاجتماع تبحر الجنب التي ارتكبت وتثبت التهم وتصدر الأحكام. وغالباً ما كانت الأحكام بأداء الغرامات. ومن لم يستطع دفع الغرامة تباع أرضه أو بهائمه. وهكذا هو "حكم زروفات" : إنه حكم سريع جزافي لا يستأنف.

تحريات ميدانية.

Martin, *Quatre siècles d'histoire marocaine*, Paris, 1924. p. 371 - 372.

علال الحديمي

الزرويلي، أبو الحسن الصُّغَيْرِ علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي البليصوتي. ويعرف عند أهل إفريقية بالمغربي ؛ يتصل نسبه ببليصوت العثماني الأموي أحد قواد موسى بن نصير بشمال المغرب.

قال في *نشر المثاني* : وبنو بليصوت من قبيلة غمارة، ولعل ذلك كان قبل تسمية إحدى قبائلها بالأخماس، وإلا فأحد أخماسها يعرف - إلى الآن - ببني زرويل بالأخماس السفلى حيث يدفن بليصوت هذا وإليهم ينتسب مترجمنا ويعرف بالزرويلي، وتصحف في الإحاطة بالزويلي، وعند عنان في أحد تعاليقه بالزروالي، قال نسبة إلى قبيلة بني زروال - وهو خطأ - كما لا يخفى.

ولد أبو الحسن في حدود سنة 619 وتعلم ببلده تعليمه الأولي، ثم رحل إلى فاس فأنتهى بها دراسته. ومن شيوخه المشهورين بفاس : الفقيه راشد بن أبي راشد الوليدي، لازمه طويلاً وانتفع به وعليه كان اعتماده، وصهره أبو الحسن بن سليمان، وتصحف في الإحاطة بـ (سليم) وأبو عمران الجوزاني، وفي الإحاطة : (الجورماني) ولعله تحرب وأبو زيد عبد الرحمان بن عفان الجزولي، وأبو إبراهيم بن مطر الأعرج البادسي.

ومن تلاميذ أبي الحسن المعدودين : أبو سالم إبراهيم التسولي، المشهور بابن أبي يحيى، وعبد العزيز القروي، وعلي بن عبد الرحمان اليفرنى، عرف بالطنجي، والقاضي أبو البركات، المعروف بابن الحاج.

وذكر ابن الخطيب من أوصافه : أنه كان ربعة، آدم اللون، خفيف العارضين، يلبس أحسن زي - صنعة ؛ وفي الجذوة (أنه كان قصيراً يلبس الثياب البيض الحسنة. وكان قيماً على تهذيب البرادعي حفظاً وفقهاً، يشارك في شيء من أصول الفقه، يطرز بذلك مجالسه مغرباً به بين أقرانه من المدرسين في ذلك العهد ؛ وكان يدرس بجامعة مع الاصدع من داخل مدينة فاس يحضر مجلسه نحو مائة نفس ؛ يقعد على كرسي عال يسمع القرب والبعيد على انخفاض كان في صوته ؛ يفتح في مجلسه : ما ينيف على الثمانين ديواناً، فيعرضها حفظاً عن ظهر قلب ؛ وكان حافظاً محصلاً، يقال إنه حفظ كتاب الفصيح في ليلة واحدة لقصة ذكروها. وكان حسن الإقراء، وقوراً، صبوراً متثبتاً.

انتصب للفتوى وكان أحد الأقطاب الذين تدور عليهم الفتوى أيام حياته ؛ ترد عليه الأسئلة من جميع بلاد المغرب، فيحسن التوقيع على ذلك على طريقة من الاختصار وترك فضول القول. وكان مستشاراً خاصاً لأستاذه راشد الوليدي المذكور آنفاً ؛ وكان لا ينفذ حكماً ولا جواباً في نازلة حتى يحضره ويرى رأيه فيه، ثم أسندت إليه ولاية القضاء حيث قدمه أبو يعقوب المريني لقضاء تازا، ثم ولي قضاء فاس على عهد أبي الربيع حفيد أبي يعقوب وأقام أوده وعضده فانطلقت يده على أهل الجاه،

فأقام الحق على الكبير والصغير، وجرى في العدل على صراط مستقيم إلا أنه نغم عليه اتخاذ شمام يستنشق على الناس روائح الخمر.

أرسله أبو يعقوب سفيراً إلى الأندلس ودخل غرناطة، وربما جلس للإقراء بها مدة على عادة كبار العلماء في رحلاتهم ؛ ويذكر ابن الخطيب أنه حضر مجلس إقرائه ويبدو أنه كان لم يتجاوز الثامنة من عمره ؛ فابن الخطيب كان مولده سنة 713 - 1213 ووفاة الفقيه راشد كانت سنة 719 - 1219، والله أعلم بحقيقة الحال.

وعلق ابن مرزوق على ترجمة ابن الخطيب لابن الحسن الصغير بقوله :

"قصر المصنف في التعريف والإعلام، بالشيخ أبي الحسن شيخ الإسلام ؛ وهو الذي ما عاصره مثله، بل وما تقدمه فيما يقاربه من الأعصار ؛ وهو الذي جمع بين العلم والعمل، ومقامه في النفقة والتحصيل يغرب المثل !" لم يخلف أبو الحسن أثراً في صورة تأليف، وإنما خلف تلاميذ علماء ومؤلفين، فقيدوا عنه ما كان يلميه في مجالسه، وأخرجوها في صورة تأليف، من ذلك : ما قيده على المدونة (تهذيب البرادعي)، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، وفتاوى.

ومن تلاميذه الذين جمعوا تقييده على المدونة أبو فارس عبد العزيز بن محمد القروي الفاسي، المتوفى سنة (750 - 1349). كتبه بخطه، وحسه بفاس ؛ وهو أحسن تقييد تلاميذه وأصحها، وقع النقل عنه في المعيار في غير ما موضع. ويقال كان أكثر اعتماد أهل المغرب على هذا التقييد وهو التقييد الصغير كما يقول الجوهري ؛ ونبه على أن التقييد الكبير جمعه رجل من صدور الطلبة يقال له اليمودي ؛ قال ويقع في ستة أجزاء ضخمة من القطع الكبير حسبما بعين ماض ؛ بدأ بمقدمة في فصل العلم يرمز فيه ؛ بالصاد للقاضي عياض، وبالشين لابن راشد، وبالحاء للخمى، وبالميم لابن يونس، وبالعين والقاف لعبد الحق، وبالشيخ لمؤلفه المملي - يعني أبا الحسن - مترجمنا.

ونقل عن أبي عبد السلام الناصري أنه لا يوجد بالزاوية الناصرية (مكتبة تمگروت) إلا جزآن. ومن الذين كتبوا عن هذا التقييد وعلقوا عليه : أبو عبد الله محمد ابن غازي المكناسي المتوفى سنة 919 - 1513) وأسماء تكميل التقييد.

وأبو القاسم محمد بن عبد العزيز التازغدري نسبة إلى تاز غدري قرية بقبيلة بني زروال - حيث مدفن الشطبي - كما عند محمد البشير الفاسي في كتابه قبيلة بني زروال. ونسب له بعضهم - خطأ - تأليف في البدعة والابتدعة، ولعل أول من تعرف على هذا الكتاب، ونسبه له أبو عبد الله محمد المهدي الفاسي، صاحب ممتع الاسماع إذ قال : ومن أنكر حلق الرأس للتوبة : أبو الحسن الصغير في

تأليفه الشهير، والذي أوقعه في هذا الوهم : قاصد رواية
الناسخ في طالعة الكتاب من زيادة شارح المدونة.

ولم يطلع كذلك على تأليف أبي عبد الله السنوسي في
الرد عليه الذي أسماه بنصرة الفقير، في الرد على أبي

الحسن الصغير - بفتح الصاد وكسر الغين فياء ساكنة ..

وذكر أن المعني به : أبو الحسن الصغير المكناسي، وقد جاء
في مقدمته بعد أن أورد طائفة من أوصاف علماء الظاهر :

"قأردت الكلام على بعض ما يتعلق بحالهم ولا سيما أوراق
تشبه الطرر، بعثها أبو الحسن الصغير المكناسي". فلما

وقعت في يدي هذه الأوراق التي اعترض فيها على أهل
الطريقة وسماهم مبتدعة، ولم يقيد قوله بشيء، وأطلق

عنايه إطلاقاً كلياً، نبذت والله تأليفه وراء ظهري وبغضت
فعله بسري ؛ وكنت قبلُ أسمع من الطلبة يقولون : أبو

الحسن الصَّغير هذا عالم يشبه أبا الحسن الصَّغير شارح
المدونة، وكنت أفرح بذلك ؛ فلما لقيت الشاب الفقيه العالم

الحافظ الأديب الرباني أبا العباس أحمد البرنسي، الذي
يعرف بزروق وسألته عنه - لما قدم سنة 846 - 1842، قاصداً

حج بيت الله فأخذ عنا علوماً جمّة، وأخذنا عنه سراً وأدياً،
فقلت له يوماً : ما بال أبي الحسن الصغير : يقول ويعترض

؟ فقال : نعم، أبو الحسن ليس له إلتزويق الظاهر خاصة
وليس معه في الباطن شيء وقال بعبارته : هو فقيه قح،

محبوب عن الدقائق.
قلت مخاطبته خطاب الحاضر لعل أن يقف عليه أو
يصل بواسطة بعض الرسائل إليه.

فتلخص أن مؤلف الكتاب في البدعة والمبتدعة ليس هو
أبا الحسن الصغير - بضم الصاد وفتح الغين وكسر الياء

المشددة - شارح المدونة، بل هو أبو الحسن الصغير - بفتح
الصاد وكسر الغين فياء ساكنة - المكناسي ؛ وهو من أهل

القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي عاصر أبا عبد
الله السنوسي وأبا العباس أحمد زروق بينما أبو الحسن

الصغير الزرولي - مترجمنا - من أهل القرن السابع الهجري
الثالث عشر الميلادي.

توفي بفاس يوم سادس رمضان عام تسعة عشر
وسبعمائة / 21 أكتوبر 1319 وسنه يقرب من مائة وعشرين

سنة ؛ ودفن خارج باب الجيسة بجبل العرض ويقال له :
جبل الزعفران.

وكان قبره معروفاً عند العامة بقبر سيدي الحسن
الزرولي، ثم انطمس بالأتربة التي كانت تتراكم هناك مع

طول الزمن.
ل. ابن الخطيب، الإحاطة، ج. 4 - ط 2 ؛ إ. ابن فرحون، الدباج، ط

1 ؛ أبو الحسن الصغير المكناسي، تأليف في البدع، مخطوطة
خاصة ؛ أبو عبد الله السنوسي، نصرة الفقير، في الرد على أبي

الحسن الصغير، مخطوطة خاصة ؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ط
1 ؛ أبو عبد الله محمد المهدي الفاسي، صنتع الأسماع، ط. حج ؛
ابن الطيب القادري، نشر الثاني، ج. 1، ط. 2 ؛ الكتاني محمد بن

جعفر، سلوة الأنفاس، ط حج، محمد الحجوي، الفكر السامي، ط
2 ؛ محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ط 1 ؛ محمد البشير
الفاسي، قبيلة بني زروال، ط 1.

سعيد أعراب

زرياب، علي بن نافع المغني البغدادي المشهور بلقب

زرياب. ولد حوالي عام 160 / 777. كان من ملازمي المغني
إسحاق الموصلي. وقد حدث أن قدمه يوماً للخليفة هارون
الرشيد، فلما سمع غناؤه لم يخف إعجابه به. وقد وجد
الأستاذ في نفسه من حظوة تلميذه لدى الخليفة، فخيره بين
أن يضرب في الأرض بعيداً عنه وعن محافل بني العباس
وبين أن يقيم ببغداد على كره منه، فاختار الفتى لنفسه
مغادرة العراق، وشد الرحال نحو القيروان. وبعد أن قضى
زرياب فترة في قصر الملك زيادة الله الأغلبي، رحل من
جديد نحو المغرب، فحط لفترة قصيرة بمدينة سبتة في
انتظار مبعوث الخليفة الأموي بالأندلس وقبل أن يغادرها
إلى قرطبة مقر الخلافة الأموية حيث سيدشن معهد التعليم
الموسيقى والغناء.

وليس في وسعنا أن نحدد الفترة التي قضاه في سبتة
قبل انتقاله إلى قرطبة، ولكن الذي نعلم هو أن سبتة كانت
يومئذ إلى جانب طنجة وملييلية محطة لاستقبال الوافدين
من المشرق إلى الأندلس، تطول إقامتهم فيها أحيانا وتقصر
أخرى.

ويخبرنا المقرئ في النفع أن زرياباً وهو في سبتة كتب
إلى الحكم الأول (180 - 206) المعروف بشغفه بالموسيقى
يستأذنه في دخول الأندلس ويشرح له إمكاناته الفنية.
وكان عليه أن ينتظر جواب الأمير قبل عبور جبل طارق، ثم
كان عليه بعد نزوله بالجزيرة الخضراء أن ينتظر ما ستؤول
إليه دعوة الأمير الحكم بعد أن بلغه نبأ موته وقبل أن يجدد
الترحاب به الأمير الجديد عبد الرحمن الأوسط.

وقد عني بأخبار زرياب جملة من المؤلفين كان أقدمهم
عهداً الحميدي (ق. 5 هـ) ؛ ثم تلاه آخرون أهمهم علي
الإطلاق أحمد التيفاشي (ق. 7 هـ) وابن خلدون (ق. 8 هـ)
والمقرئ (ق. 11 هـ)، وأقلهم شأنًا الإفرائي (ق. 11 هـ)
وإبراهيم التادلي (ق. 14 هـ).

وبهمنا من كتاب التيفاشي متعة الأسماع في علم
السماع إشارة إلى أن زرياب وفد على الأمير عبد الرحمن
الأوسط، فجاء بما لم تعهده الأسماع، واتخذت طريقته
مسلكاً ونسي غيرها.

وبخصوص هذه الطريقة يوافينا المقرئ في ثنايا كتابه
ببيان تفاصيلها، فيذكر أنه كان يصطفي تلامذته من بين
من كان صوته صافياً قويا لا تعثره غنة ولا حبسة ولا
ضيق نفس، فإذا تم له ذلك أقبل عليه يعلمه وفق النهج
التالي :

1 - يقرئ المتعلم الأبيات ويعلمه الإيقاع في تلاوتها، وأن ينقر الدف لتتعرف على مواطن الإيقاع، ويتعود على ضبط الحركات.

2 - يلحن المتعلم الألحان في شكلها البسيط.

3 - يطالب المتعلم بترجيع اللحن، وهو أثناء ذلك يدلّه على وسائل تحلية الأداء بإظهار العواطف.

وقد استمر التنويه بزرياب وصنيعه في الأندلس قائما ومتواترا بين المؤرخين والباحثين حتى رأينا التيفاشي يصفه بالإمام المقدم في شأن الموسيقى، ورأينا ابن خلدون من بعده يتبعه بأنه "أورث بالأندلس من صناعة الغناء ما تناقله منها بعد ذهاب نضارتها إلى بلاد العدو بإفريقية والمغرب، وانقسم على أمصارها، وبها الآن (القرن الثامن) صباية على تراجع عمراتها وتناقص دولها".

وبوافقنا المقرئ بما يفيد أن زرياب أرسى القواعد الأولى لنظام النوبة بالأندلس عندما حدد للمغني المراسيم التي يتعين عليه التقيد بها، وهي أن يبدأ التشيد بأي نقر كان، ثم يتبعه بالبسيط، ويختتم بالمحركات والأهزاج.

وقد توفي زرياب عام 238 / 852 بعد أن حقق عدة إنجازات فنية كان أهمها :

- إحداث معهد للموسيقى بقرطبة يمكن اعتباره أول معهد موسيقي يقام بالغرب الإسلامي.

- إقرار طريقة جديدة لتعليم الموسيقى والغناء.

- استبدال مضراب العود المصنوع من الخشب بمضراب من قوادم النسر.

- إضافة وترخامس إلى أوتار العود الأربعة.

أ. التيفاشي، متعة الاسماع في علم السماع، مخ. بالخرانة العاشورية، تونس بواسطة : م. ابن تاويت، مجلة الأبحاث، المجلد 21، العدد 2-3-4 ديسمبر 1968، ص. 114-115 : ابن خلدون، المقدمة، المطبعة التجارية، ص. 428 : المقرئ، نفع الطيب، ج. 3، ص. 124 و128.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

الزريعة لغة عامية شائعة بمعنى البذور. وقد بدأ استعمال البذور مع العصر النيوليتي، حين تحول الإنسان من عهود "القطاف والقتص" إلى ممارسة الزراعة.

1- تعاريف

يمكن أن تعرف البذرة عموما بأنها جسم حي يحتوي على رشم، الأمر الذي يسمح بإطلاقها في أن واحد على بزور النباتات السامية أو على بوع الفطور والبكتريا.

تعرف البذرة من الوجهة الزراعية بأنها "أي عضو أو قطعة نبات قادرة من خلال تطورها على إعادة إنتاج النوع الذي تنحدر منه". يترتب على البذرة إذن أن تُنتش وتنمو لتنتج النوع المعني بالأمر.

فما هو تعريف الإنتاش ؟

- بالنسبة للمزارع، هو ظهور النبتة الفتية على سطح التربة. في الواقع، يوافق هذا الظهور، عند الخبير الزراعي، مرحلة الرفع وبروز النبيتات.

- بالنسبة للمجرب، هو ظهور جزء من الجنين (رأس الجذير في الغالب) خارج أغلفة البذرة. حقيقة الإنتاش، بالمعنى الدقيق، هي تحول البذرة من الحياة البطيئة إلى وضعية النمو النشط والمحقق. يعتبر الإنتاش أول مرحلة لنمو النبتة.

- بالنسبة للعالم النباتي، هو التحول من جنين غير ذاتي التغذية إلى نبتة ذاتية التغذية.

2- طبيعة الزريعة :

تميز بين نموذجين كبيرين من البذور :

- البذور المائية، أصلها نبوتي، يحتوي على 70 إلى 90% من الماء، ومن أمثلتها، بصيلة البصل، عساقيل البطاطا أو فسل قصب السكر. تتكون من قطع نباتية بها على الأقل برعم وجزء من الساق أو الجذر. تحقق التكاثر الإنباتي من فرد واحد. يشكل نتاج هذا التكاثر ما يسمى باللمة أو الكلون.

- البذور الجافة، أصلها مجنّس (ثمرة أو بذرة) تتراوح نسبة الماء فيها ما بين 7 و20%. تسمى البذور الجافة في الغالب بزور أو حبات (وهي الأقرب إلى مفهوم الزريعة العامي). على أن هذه الكنايات ليست دائما صحيحة، إذ كثيرا ما تكون ثمارا جافة متفاوتة الاكتساء ببقايا تغليفات المبيض أو الثمرة.

لذا أمكن التمييز من وجهة النظر النباتية ما بين :

البزور الحقيقية (ثمار مخصبة) مغلفة بأغشية بذرية فقط، وتلك التي تأتي من الكريهة، وأمثلتها : الحنبلية المطبقة للإيدومارون، برّة القمح والذرة، قطع الثمار كالجوز. - ثمار بسيطة مكسوة. تعود أغلفتها للثمر، تضاف إليها القنابات أو العصيفات (شعير، خرطال) وحتى القنبيعات (السبيلة).

- ثمار مركبة : تجميع لبضع من الثمار البسيطة المتلاحمة، مثالها كبيبات الشمندر.

3- تشكيل البزور :

تميز الأغشية واللوزة، التي تحتوي على الجنين والذخيرة.

1. 3- الأغشية، وتلعب دورا هاما في التبادل المائي والغازي وهي بذلك تتحكم في تعمير البزور وسرعة إنتاشها.

2. 3- الجنين، ويأتي من تطور البيضة الأساسية. يحتوي على مشروع النبتة (جذير، سوق، عجز) وفلقة واحدة أو فلتتين، فتكون النبتة أحادية أو ثنائية الفلقة.

3. 3- الذخيرة، تبعا لموقعها بداخل السويداء أو الفلقات، تميز ما بين :

- البزور المؤحنة، حيث تضم البذرة السويداء وقلقات ورقية الشكل غير لحيمية، مثل القمح والذرة والخروع.

البزور في حال سبات : لا يلاحظ خلالها أي تطور تشكيلي، مع اجتفاف واضح، ومبادلات تنفسية خافتة جدا. لكن يبقى هناك نشاط أدنى على أساس استعمال الذخيرة. يبين الجدول التالي، رقم 2، التعمير الأقصى في ظروف تخزين جيدة. ويختلف الأمر داخل التربة. على العموم، تتميز البزور ذات الذخيرة السكرية (النجليات) بتعمير أضعف منه في بزور الذخيرة البروتيدية (القطاني) أو الدهنية (الزيتيات).

الجدول 2 - مدة الحياة القصوى للبذور (بالسنوات)

النوع	كفاءة إنتاشية عادية	غياب تام للإنتاش
حبوب		
. قمح	4 إلى 10	7 إلى 17
. سلت	3	5 إلى 6
. شعير	7 إلى 8	11
. خرطال	2 إلى 9	11
. ذرة	7 إلى 9	11 إلى 12
زراعات صناعية		
. شمندر	10	17 إلى 18
. نوار الشمس	4	4
. كتان	9 إلى 12	13 إلى 14
قطانيات ذات بزور		
. فول وفول مصري	10 إلى 13	14 إلى 15
. عدس	8	12 إلى 15
. جلبان	10	15
. فصّة	8	< 20
. بيقّة	7	12
. نفل بنفسجي	5	< 20

مصدر : Schribaux, Bussard, Franck

6 - المعايير التقنية الخاصة بجودة البذور :

6.1 - الهوية :

على العموم لا يوجد أي إشكال في التعرف على النوع، لكن الإشكال في ضبط الضروب، ذلك أساسا بسبب الضبابية المحيطة بمفهوم الضرب ذاته. يوافق الضرب، من الجهة الزراعية، مجموعة أفراد تربط بينها عدة خاصيات أحيائية وزرعية. لكن التجانس الوراثي فيها يمكن أن يكون شديد التفاوت حسب :
- نمط التناسل،

- البزور الطرد - مؤحينة، حيث تتحول الذخيرة من السويداء إلى فلقات الجنين، التي تصير لحيمة كالفاصولية والبيقّة.

وحسب الطبيعة الغالبة للذخيرة، يمكن تمييز :

- البزور السكرية (قمح، ذرة)،

- البزور الدهنية (نوار الشمس، خروع، قطن، كتان)،

- البزور البروتيدية (القطاني).

تؤثر طبيعة الذخيرة على التعمير، إذ تتدهور البزور السكرية بصفة أسرع مما عداها. في الواقع، تتضمن كل البزور الأصناف الثلاثة من الذخيرة، لكن بنسب متفاوتة.

جدول 1 - ترقية بعض البذور (ب. % من البذور الجافة)

البذور	% البروتينات	% الدهنيات	% السكريات
القمح	14.9	2	72.68
الذرة	11.9	5.4	73.66
كتان	25.21	38.34	25.20
خوع	20.15	55.46	15.5
فول	27.22	20.15	52.45
صوية	33	18	30

(مصدر : André et al)

4 - ظروف الحفاظ على البذور :

ظروف الحفاظ على البذور هي :

4.1 - رطوبة ضعيفة، دون 15٪ بالنسبة للحبوب ودون 10 - 12٪ بالنسبة للبزور الزيتية (كتان، نوار الشمس)، وإلا فإن الأغشية تترهل، والمبادلات الغازية مع الجو تصير ممكنة، ميسرة استئناف التنفس، فيترتب تسخين مخزون البذور وتحطيم الأجنحة، وامتناع الإنتاش عن البذور.
4.2 - حرارة منخفضة، هناك تفاعل بين الحرارة والرطوبة النسبية للهواء مع الكفاءة الإنتاشية للبذور.

تكون صيانة البذور المائية أصعب، إذ يوجد الماء دائما بما يكفي لتحويل أبيض عادي. فلا يمكن أي تدخل فعال إلا بتوفير :

- حالة جو كافية البرودة،

- استعمال مواد كابطة (تعطيل الأنزيمات). تستعمل للبطاطا التهوية الباردة في الجو الجاف ؛ كما يفيد الكريزيل في التعقيم من الجراثيم.

5 - التعمير :

نعني بالتعمير هنا مدى حياة البذور. وهو ضعيف عند البذور المائية، يتراوح بين بضعة أشهر وسنة أو سنتين ؛ أطول في البذور الجافة حيث يكون من بضع سنين. تكون

- البيولوجية الفلورية للنوع،
- مستوى الانتقاء.

من ذلك قوة تجانس البذور في :

- الضروب "اللمة" ("الكلون")، المحصل عليها بالتكاثر
النبوتي. تتميز بتطابق وراثي مطلق، ناتج عن كون ممثلي
الضرب من هذا الطرز تنحدر كلها من نفس الفرد.
- ضروب السلالة الخالصة المحصلة على النباتات
المخصبة ذاتيا بواسطة تلقيحات ذاتية متتابعة انطلاقا من
فرد واحد. يكون الناتج مجموعة أفراد جنيسة، أمثلة لها :
قمح، شعير، جلابان...

ومنه على النقيض تجانس ضربي أقل في :

- ضروب الفتنة، وهي عبارة تطلق على فريق من الأفراد
توجد بينها نخبة من الخصوصيات المرفلوجية والزربية
المشتركة (الإبكار، إيقاع النمو...).

توجد ضروب الفتنة في نباتات التخصيب الدخيل مثل
الشمندر، الكرنب، السلجم وجل ضروب النجيليات
والقطانيات. وهي إما ناجمة عن انتقاء طبيعي للوسط
(طراز يبني نباتي)، وإما عن عملية انتقائية الغرض منها
التقريب الأقصى بينها رغم أنها تبقى مختلفة الاقتران.
وخلال الزراعة، تقلل التكاثرات المتوالية من التجانس
الحاصل بالانتقاء.

- الضروب التركيبية، ويحصل عليها بالإخصاب الذاتي
الجبي في نباتات ذات إخصاب دخيل. يكون الناتج سلالات
خالصة يتم تهجينها بينها لإمدادها بالعنفوان، كما هو
الشأن في انتقاء الذرة. كذلك الأمر بالنسبة للنباتات
العلفية، لكن تكون المعالجة على مستوى الفئات. في
المرحلة الأولى، يحصل تجانس الأرومات بتلقيحات ذاتية
متوالية. وفي المرحلة الثانية، يقع تهجينها وزرعها لجيل
أرجيلين للاستفادة من تفوق الهجين.

6.2 - الصفاء :

ويقدر بالوزن بـ % من البذور الخالصة على وزن مجموع
حصّة البذور. تتكون الشوائب من البذور الأجنبية والمواد
الجامدة، مع وجود نسبة تسمح مقبولة بهذا المعيار. من
ذلك أنه لا يسمح، ضمن بذور الفصة، بأكثر من 3 بزرزات
من الكسوت في الكيلو غرام الواحد. ويجب أن يكون
الصفاء الضربي بنسبة :

99.8% في الانتقاء،

99.0% في التناسل،

95 إلى 98% في الزراعة.

6.3 - الكفاءة الإنتاشية :

وتقدر بـ % من البذور المنتشة بعد فترة زمنية محددة
بالنسبة لنوع مُعطى. وتم التجربة على عينة من 100 بذرة
في ظروف منمطة.

الآجال الاصطلاحية هي :

7- أيام لنوآر الشمس، النفل، الذرة، الشعير :

8- أيام للقمح، الصوية، الجلابان ؛

10 أيام للخرطال، الفصة، البيقة ؛

14 يوما للشمندر، العشب الشعاعي، الأرز.

6.4 - الطاقة الإنتاشية :

وتقدر بـ % من البذور التي أنتشت بعد جزء من الوقت
المحصور المحدد لتقدير الكفاءة الإنتاشية (مثلا : 4 أيام).

6.5 - القيمة الزربية :

وتعرف كالتالي :

القيمة الزربية = (الصفاء X الكفاءة الإنتاشية) / 100

الجدول 3- مثال للقيمة الزربية

زراعة صفاء : ص	كفاءة إنتاشية : ك	قيمة زربية : ق ز
98	85	83.3
97	68	66
95	80	76
82	80	65.6

6.6 - الحالة الصحية :

تعتبر الحالة الصحية للبذرة معيارا كفيها من المستوى
الرفيع، إذ أن مخاطر نقل الطفيليات والأمراض بواسطة
البذور كبيرة. هناك أمراض ذات النقل الخارجي، كالنخر
والسواد، وأمراض ذات النقل الداخلي كاللفطور،
الفيروسات والبكتيريا. ترتب عن هذه الآفات ضرورة
معالجة البذور. وتم المعالجة إما من طرف مؤسسات تسويق
البذور (SONACOS، الخواص) أو من طرف المنتج ذاته،
باستعمال :

* مبيدات الفطر :

- مواد عضوية - زيتيكية لمكافحة نخر القمح، سوادات
الخرطال، سواد الشعير المغطى، البوغ الدودي، القدم
السوداء في الشمندر، مغزلي الحبوب. وتعتبر هذه المواد
سامة للإنسان والنبات.

- المركبات الكلورو بنزينية الخواص : سداسي الكلور
وخماسي الكلورونيترو في مكافحة نخر القمح فقط.
وتتميز هذه المواد بضعف سميتها النباتية.

- أكسينات النحاس، ضد نخر القمح.

- المشتقات الكينونية، ضد النخر، وضد فطور القمح
المغزلية والمتشقة.

* مواد أخرى مستعملة :

تيرام، فورمول 25، كبتان ضد الفطر العنقودي في
الشمندر.

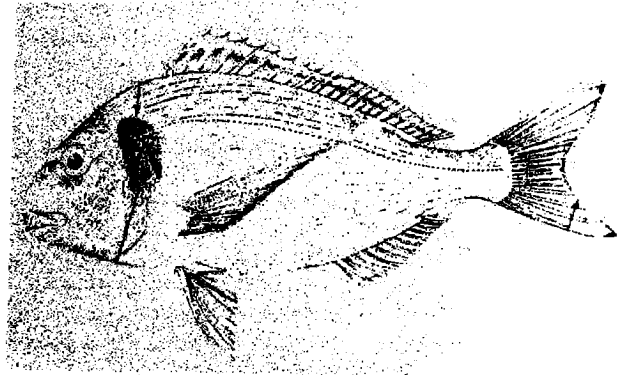
* مبيدات الحشرات :

وغالبا ما تكون مخلوطة بمبيدات الفطر : ليندان،

ألدرين، سباعي الكلور. ومن جهة أخرى، يتحرك الانتقاء أكثر فأكثر إلى إنشاء ضروب مقاومة لأنواع محددة من الأمراض، مثل ضرب الطماطم المقاومة لللفظ المغزلي أو الدوراي.

أحمد بوعزيز

الزريعة. كما هو شائع في الأسواق السمكية بالدار البيضاء والرباط والمحمدية والجديدة والصويرة وأكادير وطنطان وطرفاية والداخلة وطنجة، سمك بحري من العظميات يطلق عليه أيضاً اسم "محرقة" في كل من مولاي بوسلهام والعرائش واسم "أمون" في الصويرة وطرفاية والعيون وبوجدور والداخلة واسم "الدوراد" المغربية من الفرنسية Daurade في معظم الأسواق السمكية الوطنية. يعرف عند مربّي الأسماك في تونس وليبيا بسمك الدنيس وأوراطا ويقال له في مصر والعراق ولبنان وسوريا سمك المرجان ومرجان مذهب أو المذهب. وذكر أمين المعلوف في معجمه الأسماء الآتية لأنواع فصيلة الأسبوريات Sparidae : مرجان - بردة - أبو بصل - رباك - سرب - الكحلأ الجربيدي - عريض - الفريدي - حفار - السرغوس، وهذه أسماء محلية مجهولة في أقطار المغرب العربي.



والزريعة من الأسماك العظمية شائكات الزعانف ومن فصيلة الأسبوريات Sparidae. اسمها العلمي Sparus aurata (=Chrysophrys aurata) وتسمى بالفرنسية (Dorada) وبالإنجليزية Gilthead seabream وبالاسبانية Dorada. طوله شائع بين 20 و60 سم ويبلغ أحيانا 70 سم. الجسم بيضوي الشكل ومضغوط جانبيا، العينان صغيرتان، الشفتان غليظتان، يحمل كل فك 6.4 أسنان أمامية شبيهة بالأنياب، تليها أضراس مرتبة على 2. 4 صفوف. تنمو ضرس كبيرة على مؤخرة كل جهة من الفكين عند الأفراد التي يفوق طولها 20 سم. الجسم رمادي فضي على الجانبين وأزرق رمادي جهة الظهر. تعرف الكبار بقعة صفراء مرجانية مذهبية بين العينين ومحاطة ببقع سوداء. الجانبان مخططان بخطوط رقيقة داكنة. الزعنفتان الظهرتان متواصلتان، تتكونان من 11 شوكة ومن 12. 13.

أشعة لبنة. الزعنفة الذيلية هلالية الشكل ومستدقة الرأس تنتهي ببقع داكنة. الحراشف دائرية وصغيرة يبلغ عددها على الخط الجانبي 73. 85.

تألف الزريعة المناطق الساحلية المتوسطة والأطلسية الغنية بالأعشاب والطحالب وكذلك الأماكن الرملية والصخرية في أعماق لا تتعدى 30 مترا بالنسبة للصغار وتتعدى أحيانا 200 متر بالنسبة للكبار. سمك شائع في المياه البحرية الوطنية الضعيفة العمق وموجود أيضاً في البحيرات الساحلية كبحيرة الناظور والواليدية وسيدي موسى وخنفيس وشم الداخلة. يتحمل المياه القليلة الملوحة في مصبات الأنهار. يعيش في أغلب الحالات منعزلاً أو في مجموعات صغيرة. يتغذى من الرخويات وخاصة منها القواقع وثنائيات الصدف كبلح البحر (بوزروك) ومن القشريات (الإربيان وصغار السرطانات) وصغار الأسماك. ويتغذى أحيانا من الأعشاب والطحالب.

الزريعة سمك خنثى في أغلب مراحل النمو، ومعظم الصغار ذكور قبل سنتين من العمر (20 - 30 سم) وتصير إناثا ما بين سنتين وثلاث سنوات من العمر (33 - 40 سم). يقتصر التوزيع الجغرافي لهذا النوع على البحر المتوسط وعلى الشواطئ الأطلسية الممتدة من بريطانيا إلى الرأس الأخضر بالسواحل الإفريقية.

صيده في المغرب شبه صناعي ورياضي وتقليدي بالجبيبات العميقة والشاطئية والشباك المستقيمة والصنابير ويباع في أسواق الأسماك المغربية بصفة منتظمة. لحمه لذيذ يكثر الإقبال عليه ويستهلك طريا أو مجمداً. يلخص الجدول التالي الكمية المصطادة سنويا لسمك الزريعة في المغرب :

السنة	1990	1991	1992	1993	1994
الكمية بالطن	151	142	292	152	127
السنة	1995	1996	1997	1998	1999
الكمية بالطن	138	229	111	133	147

يربى في البحيرات بكيفية ناجحة في المغرب وتونس وفي بعض الدول الأوروبية (فرنسا، إيطاليا، اليونان، إسبانيا)، بدأت تربيته في المغرب سنة 1986 في بحيرة الناظور وقد عرفت هذه التربية نجاحا من طرف شركة ماروست حيث يتراوح الإنتاج ما بين 130. 800 طنا سنويا تصدر إلى الأسواق الأوروبية والوطنية. وفي سنة 1993 أنشئت شركة "صام" "SAM" الاستزراع السمكي قرب السعيدية ومصب نهر ملوية تعتنى بتربية سمك الدرعي

السياسي لهذا الحزب، وانتخب عضواً في أول برلمان مغربي وفيما بعده.

توفي في حدود سنة 1412 / 1992.

أ. معنينو، ذكريات ومذكرات، طنجة، 1991، ج. 5 : 130 : معرفة شخصية.

أحمد معنينو

زريولة، قرية إلى الجنوب الغربي لمدينة اكلميم

(كلميم) قاعدة وادي نون الذي يحده الأطلس الصغير جنوباً. ترجع هذه التسمية إلى فصيلة الزواولة المنتمين إلى آيت سعيد من قبيلة إيزرگيين (انظر مادة إيزرگيين بالمعلومة). ومن المعلوم أن هذه القبيلة تعد من أهم فصائل قبيلة أزوافيط حيث نجد إيزرگيين جزءاً لا يتجزأ من آيت بوليد (انظر مادة أزوافيط بالمعلومة). وما تزال بقية زريولة بعض الأسر تحمل أسماء دالة كأهل بومزيريك وأهل زريكين. وما تزال الرواية الشفوية تحتفظ بذكرى إيزرگيين بالقرية حيث كانوا يتحالفون باستمرار مع أمازيغ آيت موسي أو اعلي بلبيار القريبة.

كان حمو اسعيد إزركي قائد المولى إسماعيل لدى علي شندورة أمير الترازة رمزا للتماسك الحربي الذي كانت تمثله قبائل تكنة عبر مسالك الصحراء الأطلسية. فقد كانت قدرات هذه الكنفدرالية الحربية والتجارية تؤهلها لمراقبة المسالك التجارية وحماية صغريات القبائل الممنوعة من حمل السلاح من قبائل الزوايا وقبائل الغور الصنهاجي اللمتوني والمسوفي والكدالي الأقدم.

كانت القوافل تعود محملة بالسلع والبضائع لتستقر قبل دخولها أسواق وادي نون بقرتي زريولة ولبيار. فهناك نجد المروس التي كانت تجسد بنية تجارية ومكانا لحفظ المخزونات. وقد عرفت القريتان لهذا السبب بطابعهما المتميز روحيا ودينيا. ذلك أن صبغة المقدس التي كانت وما تزال تبسطها عليهما الرواية الشفوية، تعد بمثابة درع واق من اعتداء المعتدين.

على صراعات مفتوحة بين فصائل قبيلة أزوافيط، توجهت فصائل إزرگيين إلى جنوب أوريرة حيث أقاموا في ترحال مستمر جعلهم يجاورون فصائل آيت أمحمد أو لحسن القادمين من أسير. وقد أدى تبني الطرفين لنمط العيش الترحالي إلى تسميتهما بآيت الجمل على امتداد المحور الساحلي الممتد من أوريرة شمالاً إلى جنوب الساقية الحمراء. أصبحت زريولة بعد ذلك قرية صيفية لأيت احماذ أو اعلي آيت بوليد وبعض الفصائل الزفاطية الأخرى. كما شكلت مسرحاً لأحداث وصراعات جمعت بين أزوافيط وبعض القبائل التكنية الأخرى. ولم يتوان سكان زريولة من طلب الذبيحة من الشيخ ماء العينين عندما اقترب من القرية طالبا الإقامة بها. فما كان من الشيخ إلا أن أعلن عن أنه سوف يذبح قربانا لله لا لغيره. ولم يتردد سكان

وسمك الزريقة والإربان، وتعرف هذه الشركة حالياً صعوبات تتعلق بالتدبير. يلخص الجدول التالي الكمية المنتوجة سنويا لسمك الزريقة في أحواض الاستزراع السمكي التابعة للشركتين معا :

السنة	1990	1991	1992	1993	1994
الكمية بالطن	133	205	234	585	792
السنة	1995	1996	1997	1998	1999
الكمية بالطن	590	658	245	161	566

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان - الطبعة الثالثة، 1988 : الملوف أمين، معجم الحيوان، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932 : دليل تعريف الموارد البحرية في المغرب، المنظمة العالمية للتغذية، روما، 1998.

Ramdani M. et N. Elkhiafi, *Flore et faune marines du Maroc, Biodiversité, Biologie, Ecologie et Biogéographie*. Expo 98, Lisbonne, Rabat, 1998 ; Ministère des Pêches Maritimes (Maroc), *La mer en chiffre, Synthèse de l'activité du Ministère des Pêches Maritimes et de la Marine Marchande*, 1999.

محمد رمضاني

زريوح، محمد حمو الريفي. ولد بقبيلة بني سيدال

عام 1326 / 1908 وحفظ القرآن في الكتّاب بتسمان، ودرس بمدينة وجدة ومزونة، وأتم دراسته بجامعة الأزهر بالقاهرة ضمن البعثة الحسنية التي توجهت من تطوان سنة 1357 / 1938 وحصل هناك على إجازة القضاء العالمية. وكان في نفس الوقت يشارك في الحركة الوطنية فعين عضواً في لجنة الدفاع عن مراكش بالقاهرة.



ولما عاد إلى المغرب استقر بمدينة مليلة، وتابع نضاله السياسي واشتهر بصراحته وغيبرته الوطنية. أسس حزب المغرب الحر وانتخب رئيساً له، وفي سنة 1375 / 1955 تقلد منصب وزير التربية الوطنية والثقافة في الحكومة الخليفة بتطوان. وبعد الحوادث التي عرفتها منطقة الشمال سنة 1956 قدم استقالته ووقع اندماج حزب المغرب الحرفي حزب الشورى والاستقلال، وعين زريوح عضواً في المكتب

الاسم الأمازيغي الشائع في الأطلس الكبير وهو أزوكتي (انظر أزوكتي) مع الإشارة لكل مرادفاتهما العربية والأمازيغية التي تطلق على أنواع ثلاثة أجناس متقاربة في العطر، منتمية لنفس الفصيلة وهي الشفويات Lamiaceae. والأجناس الثلاثة هي أوريجانوم Origanum الذي يشمل 5 أنواع، 3 منها قيسية خاصة بالمغرب، وتيموس Thymus الذي يضم 24 نوعا، منها 12 قيسية لا توجد إلا بالمغرب، وساتوريا Satureja الممثلة بـ 23 نوعا منها 7 قيسية لا تصادف في البلدان الأخرى غير المغرب. وكل أنواع الأجناس الثلاثة تشتهر بتعدد استعمالاتها كتوابل في المأكولات كالرفيسة وركوكش والسلطة والسمن المصبر وكنباتات برية طبية وعطرية لعلاج أمراض الجهازين التنفسي والهضمي ولتنشيط الشهية. ذكر البعض منها في "عمدة الطبيب" و"تحفة الأحباب" ومن طرف الوزير الغساني وابن البيطار.



وأكثر الأنواع استعمالا هي النباتات التالية : أوريجانوم Origanum : جنبيات معمرة ذات أوراق بيضية الشكل وعريضة، وازهارات سنبلية مجمعة في ازهارات مركبة. كأس الزهرة أنبوبي وله 5 أسنان قصيرة، تاجها أبيض أو وردي، لها 4 أسدية :

- أوريجانوم إلونجاتوم Origanum elongatum نبات أزغب في قاعدته وأجرد في أطرافه العلوية، ذو ازهارات سنبلية ضعيفة الكثافة، وأزهار كبيرة الحجم نسبيا.

إنه نوع قيسي يصادف في غابات المناطق الرطبة في الأطلس المتوسط وفي الريف حيث يسمى بالزعر الريفي أو زعر تاركيست. يكثر فوق أتربة سيليسية ويعيش في الطوابق النباتية الممثلة في المتوسطي وفوق المتوسطي والجبلي المتوسطي.

تقطف كميات كبيرة من هذا النوع في الريف الأوسط من أجل استعمالها في التطبيب التقليدي وتقطيرها لا استخراج الزيوت العطرية المستخدمة في صناعة عدة أدوية.

كما يشتهر هذا النوع بجودة العسل الذي ينتجه النحل بجرسه ازهار هذا النبات.

- أوريجانوم كومباكتوم Origanum compactum : نبات أزغب، ذو ازهارات سنبلية كثيفة وقصيرة، وأزهار تتميز بلون أرجواني فاقع.

زربولة يومها من إعطاء الشيخ ليلة ماء أصبحت منذ ذلك الحين حكرا عليه وعلى عائلته.

تتميز هذه القرية بعين طبيعية معدنية غير صالحة للشرب. إلا أنها تسقي الحقول والماشية الصغيرة والكبيرة التي تأتي من أماكن بعيدة للارتواء. وقد أمكن تنظيم ساقية من حجم كبير شددت إليها الساكنة بشكل متزايد وانتهت بأن جعلت من القرية نقطة من نقط أزوايط العامرة خلال مرحلة ما قبل الاستعمار. إلا أن تفتت الديناميكية التجارية وتحول حركية المسالك نحو الساحل أدت إلى تطور ظاهرة الهجرة من أجل العمل بالمهجر مما أدى إلى اضمحلال القرية تدريجيا وانتقل سكانها إلى مدينة كلميم التي انتفخت تدريجيا بفعل الهجرة.

وتعد هذه القرية اليوم بمثابة نقطة سكانية ذات أهمية محدودة مما يدعو إلى إعادة هيكلتها وإلى النظر في الدور الاقتصادي الذي بإمكانها أن تلعبه. فهي مؤهلة بحكم موقعها وطبيعتها إلى لعب دور أساسي في ميدان السياحة الأيكولوجية والبيئية. كما أنها توفر للمنطقة المجاورة غطاء نباتيا من مادة الصبار قد يصلح لإنشاء تعاونيات هامة لإنتاج المربي وباقي المشتقات الممكنة. وكل تعاونية من هذا النوع بإمكانها تشغيل 500 امرأة على الأقل. وهو أسلوب تنموي بالغ الأهمية قادر وحده على تحقيق تنمية مستدامة نابعة من الخصوصيات البيئية المحلية.

مصطفى ناعمي

الزطاط، يعني في الأمازيغية المؤمن واستعمل اللفظ

اسماً للشخص القوي المسلح الوائق بنفسه الذي يؤمن المسافرين والقوافل وأمتعهم في الطرق بين المدن والقرى وعبر القبائل، مقابل أجره معينة ويصاغ منه اسم الحرفة الزطاطة "تازطاط" بالأمازيغية كما تستخلص مبالغ ماله من المسافرين بهذا الاسم "تازطاطت" وقد عرفها السجلماسي الرباطي شارح العمل الفاسي، بأنها : "القيمة التي تؤخذ على رؤوس المسافرين أو حسب دوابهم أو حسب ما يحملون من السلع" وقد استعمل للشخص المؤمن على طرق المسافرين اسم المزاراگ أو الخفير، أو الزطاط بنفس المضمون وربما اكتسبت مدينة سطات هذا الاسم من الزطاط، لأنها تقع في مكان يمر فيه المسافرون بين الدار البيضاء ومراكش. وهم في حاجة إلى زطاط

ع. أفا، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر،

ص. 404-418 ؛ م. ابن القاسم، الرباطي السجلماسي، شرح العمل

الفاسي، المطبعة الحجرية بفاس، 1288.

عمر أفا

زعبول ← صُبَّار

زعر، لقد سبق لنا أن تطرقنا لنباتات الزعر تحت

كذلك منتج لأجود العسول المغربية. نجده يباع عند كل العشابين بالمغرب وذلك نظراً للكثافة الإحيائية المتوفرة في مناطقها، مما يسهل عملية القطف لأجل بيع أوراقه مجففة أو لتقطيرها.

. ساتوريا Satureja : جنيبة أو جنيبة تختلف أسماؤها حسب اختلاف أنواعها. فمنها الزيترة وتازوكنيت ومانتا والنبطة وفليو البري...

تصادف أنواعها بكل المناطق المغربية لكن بكمية قليلة جداً حيث تستعمل محلياً.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 2000 ;
J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*. Paris, 1997.

عبد المالك بنعبيد

زعرور ← أدمام

الزعرور، الحسين بن الحسين أحد المقاومين البارزين الذين تصدوا لسلطات الحماية بمدينة الرباط. ولد بعين الحلو الواقعة جنوبي الرباط بحوالي 20 كلم. كان يسكن بحي دوار الدياغ، احترف صنعة الحدادة وقيل نفي السلطان محمد بن يوسف، عمل الحسين الزعري على تكوين خلية سرية مسلحة في حيه. وكانت تضم في البداية خمسة أشخاص : لحسن الحلوي، ومحمد المسطاسي، ومحمد الصحراوي لمصارني، وعلي بن بوعزة بالإضافة إلى صاحب الترجمة المعروف باسم الحسين "موسطاش" وبعد نجاحه في تكوين هذه الخلية، اتجه هذا الأخير إلى حي العكاري قصد توسيع اتصالاته، وهناك اتصل بأبي بكر الشراوي الذي زوده بالسلاح، وعرفه بعبد الرحمان البيضاء، أحد أعضاء المنظمة السرية بالبيضاء. هكذا أصبح المترجم يتزود بالسلاح من هذه المنظمة، الأمر الذي دفعه إلى تمديد اتصالاته بالمدينة العتيقة وأحواز الرباط، خاصة بعين الحلو. وكانت الخلية عازمة على تنفيذ عملية في باريس ضد الباشا الأكلوي، غير أن الشرطة الاستعمارية كشفت عن الجماعة التي ينتمي إليها الحسين الزعري، وزجت بهذا الأخير في زنزانة بالرباط يوم 17 يناير 1954، وبقي بها إلى فاتح مارس من نفس السنة قبل أن يتم نقله إلى سجن القنيطرة بعد أن صدر في حقه حكم الإعدام مرتين من طرف المحكمة العليا بالرباط. وعقب تكوين المجلس الوطني المؤقت لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، وجه الحسين الزعري رسالة إلى هذا المجلس بتاريخ 13 نونبر 1974 مصحوبة بملف عن مقاومة الرباط الذين وردت أسماؤهم في الصحف الوطنية والأجنبية في عهد الحماية والاستقلال معا.

رواية شفوية ومعرفة شخصية.

محمد السعديين

يصادف هذا النوع في المناطق الشمالية والوسطى من المغرب حيث يتواجد في الطابق المتوسطي الدافئ شبه الجاف وشبه الرطب.

تكثر استعمالات هذا النوع في التطبيب التقليدي لأن النبات ينمو في المناطق التي توجد فيها كثافة سكانية. مما أدى إلى ندرته أو انقراضه في بعض الأطراف من موطنه الأصلي.

. أوريجانوم ماجورانا Origanum majorana : وهو مردوش أو مردقوش أو بردقوش أو مرزنجوس أو سمسق أو سمسق أو عترة.

نبات عشبي زغبى رمادي ذو ازهارات كثيفة مجتمعة على شكل كروي.

يزرع في بهوات أو حدائق المنازل للأغراض السابق ذكرها، وكذلك على مساحات شاسعة في مناطق مراكش وأكادير أو غيرها لتصديره كنبات مجفف يستعمل لنفس الأغراض.

. تيموس Thymus : جنبيات أو جنبيات قائمة أو زاحفة، وعترة، ذات ازهارات حلقيه وأزهار ذات كأس أنبوبي وجرسي الشكل. منها ما يسمى بالزعتري أو أزوكني أو الزيترة أو تزوكنيت. كلها طيبة وعترية ومنتجة للعسل.

. تيموس بروسونيتي Thymus broussonetii : هو الزعتري أو الزيترة أو زعتري الحمير أو الزعتري الصوري. نبات جنبي قاتم وجد عطر.

إنه نوع قبسي يصادف في سهول وهضاب المناطق الساحلية ما بين القنيطرة والصريرة على أتربة صخرية.

تعرف تشكيلات هذا النوع تدهوراً خطيراً يكاد يؤدي بها للانقراض وذلك بسبب عمليات القطف المفرط لهذا النبات المجيد من طرف السكان نظراً لقوة عطره وجماله.

. تيموس ساتوريويديس Thymus saturejoides : وهو أشهر نوع من الزيترة أو تزوكنيت. جنيبة قائمة يبلغ علوها ما بين 30 و60 سم، جد متفرعة، ذات أوراق ملعقية الشكل وازهارات كروية وضعيفة الكثافة، وأزهار وردية أو ذات لون وردي مفتوح يميل إلى البياض.

إنه نوع قبسي، ولذا ينظم تشكيلات كثيفة في فرجات غابات العرعر Tetraclinis articulata واستثنائياً البلوط الأخضر، وذلك على سفوح جبال الأطلس الكبير وخاصة الجزء الغربي منه المصادف للطابقين المتوسطي الدافئ والمتوسطي شبه الجافين وشبه الرطبين. ولا يصادف بالأطلس الصغير إلا بصفة قليلة.

ينتج النحل الذي يجرس أزهار هذا النوع أجود العسول المغربية وأغلاها.

كما يعطي هذا النوع من الزيترة مواد جد مهمة من حيث الجودة والكمية والمنفعة والمزايا. فهو طبي وعتري يتميز باستعماله لكل الأغراض السابق ذكرها أعلاه، وهو

الزعرى، الحسين بن محمد السلوي، أحد المتعلمين الذين وجهوا إلى إيطاليا أواخر القرن التاسع عشر. ولد بمدينة سلا يوم 10 حجة 1293 / 27 دجنبر 1876، وأصل أسرته من آيت العروسي بقبيلة زعير. تلقى دراسته الأولى بكتاب قرآني، غير أننا نعرف أنه لم يتعلم اللغة الإيطالية بالمغرب، فلم يشر إلى ذلك في التقييد الذي خلفه، مقتصراً على القول إنه وصل إلى طنجة في شهر شتنبر سنة 1888 وأنه في آخر هذا الشهر سافر إلى إيطاليا على متن الباخرة الإيطالية "ضونضولو: Dondolo" التي رست بميناء جنوة حاملة عدداً من الشبان المغاربة. وبعد ذلك استقلوا القطار إلى مدينة طورينو ليلتحقوا بالمعهد الدولي الإيطالي Istituto internazionale وفيه التقى بعدد من الطلاب والأوروبيين والطلاب الأفارقة مثل الأمير أحمد فؤاد الذي سيعتلي عرش مصر فيما بعد.



وبطورينو بدأ أعضاء هاته البعثة التي كانت هي الثالثة من نوعها إلى هذه البلاد الإيطالية يتعلمون اللغة العربية بواسطة مدرس لبناني يسمي ماركوس واللغة الإيطالية على يد أستاذ إيطالي. وذكر الحسين الزعري أنهم بعد أن قضاوا ثلاث سنوات فيها وزعوا على ثلاث فئات : فئة دراسة تربية الجنود وتدريبهم وفئة دراسة علوم البحار، وفئة صناعة السفن، واستعرض بعد ذلك أسماء المرافقين له بمن كانوا يدرسون هناك، مبيناً نوع تخصص الكثير منهم.

تعد المذكرة التي أملاها الحاج الحسين على السيد الحاج أحمد معنينو ومذكرة أحمد الجبلي العيدوني زميله في الدراسة وأبي الدكتور أحمد الجبلي العيدوني الرباطي وسميّه من أفضل ما تخلف لدينا عن أحوال المتعلمين بإيطاليا.

ثم يضيف الزعري أن البعثة بعد أن قضت ثمانية سنوات في الدرس رجع أفرادها إلى أرض الوطن برتبة ضابط باستثناء اثنين ماتا هنالك وتأخر بعدهم قليل للانخراط في مدرسة اللغات بطورينو إلى أن نال شهادة منها سنة 1898، وأنه كان ينوي الانتقال إلى مدينة فلورينسا لتتبع تعلم اللغات ولا سيما الألمانية ولتعلم القانون. غير أن أمراً مؤكداً ورد عليه بالرجوع إلى المغرب. إذ استقدمه الحاج محمد الطريس من إيطاليا على يد

جوليوما لموسى سفير بلاده بطنجة، فكتب بذلك يوم 10 شتنبر 1898، وكانت عودته إلى المغرب في نونبر من هاته السنة بعد غياب دام أكثر من العشر سنوات.

وكان رجوعه كذلك بطلب من أبيه إذ جاء في رسالة سلطانية إلى نائبه الطريس في فاتح ربيع الثاني 1316 / 19 غشت 1898 أن الحسين بن محمد الزعري كان "وجه لأرض الطليان لتعلم آلة الحرب والفابريكات واللسان وغير ذلك، من جملة من كان توجه بقصد ذلك لبعض الأجناس. وهذه مدة من نحو اثني عشر عاماً وهو هنالك. وقد طلب والده من علي جانبا التوجيه عليه لصلة رحمه به. وعليه فإن حصل الغرض المقصود فليأت، والسلام".

كان الحسين يتكلم عدة لغات أجنبية : الإيطالية والفرنسية والإسبانية والبرتغالية والإنجليزية والألمانية ويتقن بعضها. ولما فتح بعد مدة من رجوعه إلى المغرب مدرسته لتعليم اللغة الأجنبية بالرباط مع رفيقه أحمد الجبلي العيدوني المذكور أعلاه قامت عليه ضجة حتى قيل إنه حبس من أجلها وأنه لم يفرج عنه إلا بشفاعة سفير ألمانيا بطنجة.

تقلب في وظائف متنوعة مع الحاجب أحمد بن موسى ومع العلاف (المكلف المخزني بشؤون العسكر)، مع محمد بن محمد الجباص أحد المتعلمين بالبلاد الإنجليزية الذي أسندت إليه وظيفة النيابة السلطانية بعد وفاة الطريس، وعين ترجماناً للمهندس الألماني فالطير روطنبورغ أثناء تشييده لبرج الرباط. وفي سنة 1909 أصبح قائداً للطابور الثامن للشرطة المغربية بمدينة الصويرة.

وفي سنة 1332 / 1914 عين خليفة لعامل سلا، ثم قائداً بسيدي بطاش قبيلة كفيان بزعير، وبقي هناك إلى حدود سنة 1339 التي أعفي فيها من منصبه، وقضى بقية عمره ترجماناً بالمصالح البلدية بسلا.

ويحكي الذين عاشروه أنه كان رحمه الله مثال النزاهة والاستقامة، ولا تزال أمام مخيلتي صورته الجسمانية في الأربعينيات : ربعة في القد وبياض مشرب بحمرة قليلة لايساً جلباباً وطربوشاً أحمر بالرزة، وأمام عينيه نظارتان، متأبطاً بعض الجرائد التي كان يشتريها من الدكان المعروف "بالبزار" الموجود بحي الرمل.

توفي يوم الاثنين 18 جمادى الأولى عام 1375 / ثاني يناير 1956، ودفن قرب ضريح الشيخ أحمد ابن عاشر بجوار حوش شهداء الاستقلال.

م. بوشعراء، الاستيطان والحماية، ج. 4، ص. 1363. 1365. 1387: التعريف ببني سعيد، ج. 2، ص. 247. 248 : أ. معنينو، مذكرة طالب مغربي أرسل في بعثة مغربية إلى إيطاليا منذ ثمانين سنة، في دعوة الحق، عدد نونبر، 1968، ص. 143. 148 : كناشة الحاج أبي بكر الصبيحي، بالخرانة الصبيحية بسلا : وثائق مكتبة تطوان : وثائق الخزانة الصبيحية.

مصطفى بوشعراء

الزعرى، العربي بن بلال النجدي المزارعي لا يُعرف شيء عن أوليته. بيد أن كل القرائن تدل على أن الرجل من أسرة غنية، كان أبناؤها من أعيان القبيلة. وأن العربي كان حافظاً للقرآن، لأننا نجد المؤرخ الضعيف الرباطي ينعته بـ "الطالب العربي ولد عبد الله بن بلال المزارعي النجدي".

ومن الجدير بالذكر أن عبد الله بن بلال المزارعي، كان ضمن أعيان زعير الذين قاتلوا الشاوية في صفوف السلطان مولاي سليمان وأنه قتل في إحدى المعارك بامزاب.

وهكذا فالطالب العربي بن بلال، ينتمي إلى قبيلة النجدة، إحدى الفرق المكونة لقسم المزارعة، الذين يكونون نصف زعير. أما النصف الآخر فيكونه الكفبان. وتقع مواطن النجدة حول وادي گرو يحدها شرقاً قبيلة زمور، وتجاور فرق أولاد علي وأولاد ميمون وأولاد عزيز وهي فرق من المزارعة. وبالنجدة يقع المكان التاريخي كلتة الفيلا وهو مركز النجدة اليوم يقع على الطريق الرابطة بين الرماني والخميسات. وإلى الشمال من هذا المركز توجد بقايا قسبة ابن بلال على بعد حوالي 12 كلم.

أول ظهور للعربي بن بلال في الميدان السياسي، حدث بمناسبة الخلاف الذي نشب بين الباشا محمد بن العامري عامل بني احسن وعرب الويدان (زعير - الصباح - السهول) وبين قبيلة الدغمة وهي إحدى قبائل عرب الصباح. وكان منشأ الخلاف خروج القبيلة عن طاعة ابن العامري الذي ألقى القبض على بعض رجالها ورفض جميع الوساطات في الموضوع.

وعندما تهيأ ابن العامري لمعاقبة الدغمة التي تعبأت حول وادي الشراط استعداداً للدفاع عن نفسها ضد أربعين ألف حشدهم الباشا، قدمت زعير إعانة من الرماة للدغمة، ثم تواطأ عرب الويدان على إعانة إخوانهم ورفضوا أوامر ابن العامري. وأمام هذا التحالف تراجع الباشا عن القتال خوفاً من لف الدغمة وعرب الويدان.

وفي 2 شعبان 1229، تحالفت عرب الويدان على رفض حكم ابن العامري وقد ساق الضعيف الرباطي سبب خروج هذه القبائل عن طاعة الباشا كالتالي :

في 15 رجب 1229 الموافق جاء الطالب العربي بن بلال بزكاة زعير للباشا الذي قبضها قائلاً : هذا المال لا أحسبه من الزكاة والعشور وإنما هو دية أبي الذي قتلتموه. وأمام هذا التصرف غافل ابن بلال أصحاب الباشا وانسل راجعاً إلى بلاده. ولما لحقه بعض أصحاب الباشا بمجاز وادي أبي رقرق، هدهم وقال : والله لا أنظر وجهه إلا إذا كنت أمامه راكباً على فرسي" (الضعيف، 383).

منذ ذلك الحين بدأ العربي بن بلال يبرم التحالفات بين عرب الويدان، حتى تم الاتفاق بينهم و "حتى حلفوا بتحريم أولادهم أن لا يتصرف عليهم ابن العامري".

في 5 شعبان جدد التحالف بين عرب الويدان والدغمة بسيدي يحي زعير، ثم اتفقوا على الذهاب للسلطان يطلبون موافقته على عزل ابن العامري عنهم. وقدم لهم ابن بلال قنطاراً من المال مساعدة منه.

كتب ابن العامري للسلطان يتهم القبائل المذكورة بالخروج عن طاعته. فبعث السلطان صاحبه مولاي أحمد القسطالي، لبيحث في حقيقة الأمر. وصل مبعوث السلطان لزعير بصحبة مساعدين للباشا ولما قرأ كتاب السلطان عليهم، انبرى العربي بن بلال فشتم الباشا وحلف أن لا يقبل حكمه. ثم قدم سُخرة مضاعفة للشريف الذي كتب للسلطان بحقيقة عزم عرب الويدان على رفض حكم ابن العامري.

وكانت الخطوة التالية، هي ذهاب وفد عرب الويدان إلى السلطان الذي كان بمكناس. فوسطوا أخت السلطان، واستحرموا بضريح مولاي إدريس بزرهون، بعد أن كان السلطان قد عزم على القبض عليهم بالمشور. وبعد هذا الحادث كتب لهم السلطان بالأمان، فجاء وفد عرب الويدان يتزعمه الطاهر بوعرى أحد أعيان الصباح والعربي بن بلال أحد أعيان زعير. وقد اتفق على تقديم ابن بلال الذي ولاه السلطان على جميع عرب الويدان وفوض له. ويبدو أن مولاي سليمان ولى ابن بلال باشوية سلا كذلك حسبما يفهم من عبارة الضعيف : " فتعمل الباشا العربي بن بلال وذلك يوم الأحد 20 شعبان (1229). وكتب السلطان لعشعاش (عامل الرباط) على أن يقبض الباشا ابن العامري" (الضعيف، 384). وإثر ذلك أطلق سراح مساجين الدغمة وزعير وكانوا حوالي 41 سجيناً.

حكم ابن بلال عرب الويدان، الذين كانت أراضيهم تمتد من الشاوية إلى حدود زمور بما في ذلك الرباط وسلا. ويبدو أن سلطة الرجل كانت شاملة ومسيطرة، باستثناء محاولات فاشلة من الدغمة الذين حاولوا التمتع من الباشا ابن بلال لكنهم اضطروا للخضوع بدون حرب من أواسط 1230. كما يبدو أن قوة ابن بلال كانت بارزة فقد ذكر الضعيف أن ابن بلال كان يلعب البارود "بمائة من الخيل" عند استقباله لوزير السلطان محمد السلاوي.

ولقد سعد نفوذ ابن بلال الزعري، وعزز السلطان جانبه بتوليته باشوية الرباط كذلك. فبعد انتفاضة قصيرة تزعمها الدباغة والحرازون بما فيهم اليهود، ضد حكم عشعاش التطواني، نجد السلطان يصدر ظهيراً بتولية العربي بن بلال على أهل الرباط. ويعطى ولاية سلا لمحمد بن الجليلي أخي سليمان بن القرشي السقيري الحسنائي.

قريئ كتاب تولية ابن بلال على الرباط بالجامع الكبير يوم 7 رمضان 1230. وإثر ذلك استلم منصب الباشوية بحضور جم خفير من سكان المدينة وبحضور البحرية والطبجية وقاضي المدينة عبد القادر مرين. كان العربي بن بلال أحد ركائز دولة مولاي سليمان، إذ كان السلطان

يصحبه معه في جميع الحركات، ضد الخارجين عليه. ففي شوال 1230. قدم عرب الويدان بقيادة ابن بلال مساعدة حاسمة للسلطان ضد الشاوية فقد انتصر السلطان على المزامرة الذين تشفع فيهم العربي بن بلال وعامل بني حسن فقبل السلطان شفاعتهما على عكس ما كان يرغب فيه عامل الشاوية عبد الخالق غريان الحريزي.

ولما عاد ابن بلال إلى الرباط التي كان قد عين فيها الحاج فرج خليفة عنه، تلقته المدينة "بالطبل والبارود" (الضعيف، 393).

والأمر الذي يدل على مكانة الرجل عند السلطان ومكانة إخوانه الحربية، أن مولاي سليمان عندما أراد الحركة لتأفيلالت ضد آيت عطا، أصر على استصحاب الباشا ابن بلال بالرغم من مرضه. ذلك أن السلطان أشرف بنفسه على مداواة عامله "بالأشربة والأدوية وبعث له البعض من جواريه يسمّونه بورق الكرنب مدهوناً بالزيت. وبيعه للحمام ويعوده كثيراً ويسأل عليه في كل حين حتى وجد الراحة وسار معه.

ويظهر أن ابن بلال كان من دهاة الحكام. إذ ظلت إيالته خاضعة لسلطته طائفة للسلطان. وفي عهده حكمت بادية الرباط على مدينتها. وكانت علاقة الرجل ودية مع قبائل بني مكيدل التي كان يصطاد بأرضها. ففي 1232 يذكر الضعيف أن بني مكيدل تلقوا للباشا "البارود وصنعوا له أربعين قصعة. وكل قصعة بين أربع نساء يحملنها".

إلى حدود سنة 1230 / 1815، كان ابن بلال مازال يقطن في خيمته إذ كان الغالب على سكنى عرب الويدان الخيام، وإذا كانت زعير اليوم خالية من قصبات القيادة، فإن الاستثناء الوحيد هو صمود قصبة ابن بلال للأحداث وبقاء جدرانها قائمة إلى اليوم دالة على مجد غابر وحكم قوي قاهر.

وبالجملة، فإننا لا نستطيع - نظر الانعدام الشواهد - أن نحزم بمصير حكم العربي بن بلال الزعري. لكن الرواية الشعبية تشير إلى استمرار حكم الرجل بالرغم من شيخوخته. فيقال إنه ظل يحكم حتى بعد فقد بصره. حيث كان يخفي حقيقة عماءه، ويتصرف مع الناس الذين يهابونه وكأنه يراهم بواسطة مساعد يضعه إلى جانبه !

وهكذا لم يجرؤ الإنس على معرفة حقيقة من كانت قوته تتصرف فيهم ! كما لم يعرف الجن حقيقة موت سليمان إلا بعد أن دلتهم عليه "دابة الأرض تأكل منسأته" !

م. الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة، تج. وتقديم : أ. العماري، دار المآثورات، 1986 ؛ ع. الخديمي، قبائل زعير والمخزن خلال القرن التاسع عشر، في البادية المغربية عبر التاريخ، نشر كلية الآداب، تنسيق، إبراهيم بوطالب، ندوات ومناظرات، رقم 77 ؛ بوشعراء مصطفى، الاستيطان والحماية، جزء 2، ص. 743.

الزعري، علي بن حمو مجاهد صلب، وزعيم قبلي

رفض التعاون مع الفرنسيين المحتلين لقبائل الشاوية المجاورة لقبائل زعير، واستمر في جهاده إلى النهاية.

ولد علي بن حمو في دوار لحرأكتة بفرقة الغوالم، إحدى فرق قسم الكفيان من زعير. لا يعرف شيء عن شباب الرجل. بيد أن شهرته ارتبطت بالجهاد ضد الاحتلال الفرنسي. ذلك أن علي بن حمو نشط في معارضة كل تعامل مع المحتلين، وكان من أبرز الشخصيات الزعرية التي وقفت في وجه النفوذ الفرنسي. وتشير بعض الروايات إلى تعاون الرجل مع العربي بن البشير وأخيه الحبشي بن البشير أخوي المرابط الزعري الشهير سيدي عبد القادر بن البشير المباركي (انظر مادة البواشيرة).

ويظهر أن علي بن حمو قد تبوأ مرتبة الزعامة بين ذويه وبين قبائل الكفيان، نتيجة لنشاطه المعارض للتدخل الفرنسي ولقد أثبت له السلطان مولاي عبد الحفيظ هذا التقدير إذ عينه مقدماً عاماً على قسم الكفيان بظهير مؤرخ شهر ماي 1908، سلمه علي بن حمو لأحد الفرنسيين الذين كانوا مرافقين للمحلة الحفيظية الآتية من مراكش إلى فاس عبر قبائل زعير أواخر 1908 وبداية 1909 وهو الضابط Cicard.

وتعني وظيفة أمين عام أو مقدم عام أن صاحبها كان هو المشرف العام أو القائد الأعلى المشرف على القيادة ومراقبتهم واقتراح توليتهم أو عزلهم في بداية العهد الحفيظي.

كان للشيخ علي بن حمو نفوذ كبير في كل قبائل المخاليف وقد استقبل بفاس أواخر 1908 (رمضان 1326) ضمن قواد زعير ونعت في إحدى الوثائق "شيخ الربيع". وهذه الصفة تعني زعيم الثوار أو المقدم الأعلى لقيادة القبيلة أثناء الثورة أو أثناء ضعف السلطة المركزية.

لعب الشيخ علي بن حمو دوراً رئيسياً في جهاد زعير ضد الاحتلال الفرنسي، وكان ينسق جهاده مع زعماء آخرين مثل القائد الحفيظي عبد القادر ولد عويش والعربي بن البشير المباركي وأخيه الحبشي وغيرهم. وكان حزب المقاومة من القوة بحيث نجده يصادر أموال الأعيان والقياد الذين ثبت تعاملهم مع الفرنسيين المحتلين للشاوية خاصة لما انتخب علي بن حمو قائداً للجهاد على رأس الكفيان وبني خيران ومجاهدي زيان وتادلة في اجتماع قرب الرماني يوم 31-30 يناير 1911.

ولقد حاول الفرنسيون - دون جدوى - إغراء علي بن حمو بالجاء والمال لكنه أبى. ويظهر أن علي بن حمو لم يكن عربياً عن حادث مغشوش المشهور في المؤلفات الفرنسية "بكمين مغشوش" الذي وقع في يناير 1911. وذلك الحادث الذي تعرضت فيه دورية فرنسية دخلت لزعير إلى الهجوم والفتك بأفرادها.

فقد قاد حاكم المركز العسكري بمدينة الكارة بالذاكرة مفرزة من الجنود ودخل لقبائل زعير بهدف كسب المتعاونين

العالي توبّ علينا لا تحافينا إلى ابغيت الجمال اطلع لشمال
يعتمد أداء هذه المتفرقات في البداية على دخول الحني
بواسطة الآلة والإيقاع وبعد ذلك يكون السؤال بواسطة جملة
موسيقية يضعها العازف ثم يكون الجواب بواسطة البيت
الشعري الذي ذكرناه وبعد ذلك يستمر العازف في عزفه
متصرفاً كما يساد في المقامات إلى أن يعود فيسأل بالجملة
الموسيقية المعروفة ليجيبه المغني أو المغنية بالبيت الشعري
وهكذا.

لقد تطرق هذا النوع من الغناء لكل المواضيع
والأغراض مثل الطبيعة والمرأة والاجتماعي والاقتصادي
والمقدس وذلك نظراً لسهولة أدائه ولكثرة النظم والتجديد
في أشعاره. مما ساعده على اكتساح كل مناطق المغرب.
من الرواد الأوائل لهذا اللون نجد الشيخة خربوعة وولد
العواك وانعينية والموتشو وغيرهم، أما من رواده الحاليين
فنذكر ولد مبارك.

إجمالاً، يعتبر هذا اللون الغنائي من الألوان الأكثر
انتشاراً بين الناس نظراً لسهولة أدائه وعذوبته ولمصاحبه
لعمليات الرقص والرشق.

علا رگوگ، الغناء المغربي الشعبي مظاهره وتجليات، مطبعة
وليلي، مراكش، 2000 ؛ علا رگوگ، نماذج من الزعري بيان
اليوم الثقافي، 17، 21، 1552.

علا رگوگ

الزعري، محمد بن بوعمر، باشا قبيلة زعير في

عهد الحماية، ولد حوالي سنة 1332 / 1914 بدوار الحساسنة
من قبيلته بأولاد علي اهتم والده القائد بوعمر بن رحو
العليوي بتعليمه بقبيلته، ثم التحق بثانوية مولاي يوسف
بالرباط حيث حصل على الشهادة الثانوية. وبذلك أصبح
سندا لأبيه في مهامه. وقد طلب هذا الأخير - بعد مرض
ألزمه الفراش - من السلطان محمد بن يوسف أن ينصب ابنه
قائداً على القبائل التي كانت تحت ولايته وهي : المراكشية،
والمراشيش، وأولاد خليفة، وقد تم ذلك عام 1945، واستقل
المرجع بالأمر بعد وفاة والده في 2 أكتوبر 1948. اشتهر
محمد بن بوعمر بحزمه لكن بعد الأزمة المغربية انحاز إلى
جانب الإقامة العامة ضداً على السلطان الشرعي للبلاد،
ومال كل الميل لحركة الباشا الكلاوي، وبذلك تمت ترقيته
إلى منصب باشا. هكذا شارك المترجم في عملية إبعاد
السلطان محمد بن يوسف عن العرش وبعد رجوع هذا
الأخير من منفاه التجأ الباشا محمد إلى فرنسا، وبقي
هناك إلى أن صدر العفو الملكي على القواد والباشوات
الاثني عشر الذين كانوا خارج الوطن، فرجع المترجم إلى
قبيلته بأولاد علي. توفي محمد بن بوعمر في 16 ربيع
الثاني عام 1389 / 2 يوليو 1969 بالسويقة بالرباط، ودفن
بمقبرة سيدي المهدي بعين السببت بقبيلته.

ع. ابن زيدان، الإتحاف، 2، 468: م. ابن سودة، زعير قديماً
وحديثاً، ج. 2. أ. معنينو، مذكرة طالب أرسل في بعثة مغربية

ونشر النفوذ الفرنسي. لكنه عندما وصل إلى قبيلة أولاد
دحو، في طريقه إلى قصبة مغشرش - حسبما ادعى
الفرنسيون - للقاء المرابط عبد القادر بن البشير، تعرضت
الدورية للهجوم المباغت، حيث قتل معظم أفرادها ومنهم
المضابط مارشان Marchand الذي أطلق اسمه على قرية
الرماني بعد الاحتلال، واستولى المهاجمون على سلاح الجنود
وخيولهم.

وقد اتهم علي بن حمو ورفاقه بالتسبب في الحادث
وعوملوا على أساس ذلك من طرف المحتلين.

رفض علي بن حمو الخضوع للمحتلين الذين سيطروا
على القبيلة وهاجر إلى القبائل المجاورة (بني خيران). وظل
في هجرته وجهاده هو ومعظم سكان دواره الحراكتة والقائد
عبد القادر ولد عويش إلى أن غلبوا على أمرهم بعد أن
تغلّبت قوة الاحتلال.

صودرت أموال دوار الحراكتة، وسجن الشيخ علي بن
حمو بسجن عين علي مومن قرب سطات في حين أدخل عبد
القادر ولد عويش لسجن الرباط. وبعد سنتين أطلق سراح
المجاهد الزعري الذي لم يلبث أن وافاه الأجل في حدود عام
1915/1333، وعمره حوالي 90 عاماً. أما القائد ولد عويش
فبعد أن سرح أعيد للسجن الذي ظل فيه إلى وفاته بتدبير
من المستعمرين وأعاونهم بدون شك..

رسالة من الحاج أحمد إلى قائد المشور الحاج بنعيسى، رمضان،
1326 ؛ تحريات ميدانية.

Archives de guerre Vincennes, 3h18 (9 - 2 - 1911) ;
Cicard, L'organisation des Zaers, R.M.M., 1910.

علا الحديمي

الزعري (غناء) أو العيطة الزعرية نسبة إلى مجالها
الجغرافي أي منطقة زعير، هذا اللون نجد فيه تقاطعا لكل
من فط العيطة الحوزية والمرساوي والملائي وهو قريب من
الغربيكي أي فط الغناء الموجود في خربكة.
والملاحظ في العيطة الزعرية أنه يوجد بها فط العيطة
المركبة التي تتكون من مقدمة وفصول قفل وأهم عيطة
زعرية في هذا الباب عيطة "اجعيدان" نسبة إلى بوعبيد
الشرقي ولي الزاوية الشراوية وهي مشهورة جداً من
مقاطعتها :

اجعيدان ايسان سيري لا تخاف والسي
وتتم تكلمة الوزن بتريدي عبارة "ألباسُ ألباسُ" أو
أعوامُ أعوامُ" والإيقاع هنا مركب وصعب يعتمد فترات
مهزوزة تنتهي بقفل عبارة عن وقفة تردف بإيقاع سريع
ينتهي بقفل عبارة هو من وقفة كذلك.

هذا بالنسبة للشطر الأول الذي هو عبارة عن عيطة
مركبة وتتلوها عيطات أخرى من نفس اللون ولكنها بسيطة
وهي عبارة عن متفرقات تتكون من بيت من الشعر يتكون
من صدر وعجز يشكل في بيت صورة متكاملة من حيث
الموضوع أو الغرض الشعري كقولهم مثلاً :

إلى إيطاليا منذ ثمانين سنة، دعوة الحق، السنة 12، العدد الأول،
1968 / 1388، ص. 143، 148؛ زكي مبارك، مذكرات مقام،
ضمن سلسلة تاريخ المقاومة وجيش التحرير من أفواه رجالاتها،
مذكرة الحسين الزعري.

J. Caillé, *Histoire de Rabat*, 1 : 331 ; V. Loubignac,
Textes arabes des Zaër, Paris, 1952 ; Cicard, *Organisation
des Zaër*, R.M.M., 1910 ; *Villes et tribus du Maroc, Rabat
et sa région*, T. III, p. 139 - 162.

محمد السعديين

الزعري، محمد بن مبارك بن أحمد بن مسعود،
الشيخ الشهير، نسبه بعضهم إلى الشرف، ونفاه عنه تلميذه
أحمد بن أبي محلي في كتابه الإصليت (الإكليل والتاج،
303 : الإعلام، 5 : 179) لكن المتفق عليه أنه من قبيلة
عربية بالمغرب، يقال لها زعير. ولذلك يقال عنه : محمد بن
امبارك الزعري أصلا ونسبا (إتحاف، 4 : 39 : قبيلة
زعير، 79).

كما لم تذكر المصادر التي ترجمت له تاريخ ولادته،
لكن يفهم من تاريخ وفاته، وسنوات عمره أنه ولد حوالي
عام 938. وذكر بعضهم أيضا أنه ولد باوطاط من وادي
ملوية، ثم انتقل إلى مكناس، وفيها نشأ (قبيلة زعير،
79). ولذلك يعرف أحيانا بالزعري أصلا المكناسي نشأة
(إتحاف، 3 : 39). ويذكر أنه نزل في حاضرة مكناسة قصد
تعاطي القراءة، لكن صعب عليه الأمر، وتعذر عليه الفهم،
فعاد إلى البادية (إتحاف، 4 : 39). واستقر في تستاوت
بأرض زيان. ولذلك يعرف بالزعري التستاوتي (متمتع، 127؛
قبيلة زعير، 79).

وهذا يعني أن محمد بن مبارك لم يأخذ نصيبه في
علوم الظاهر، بل تصرح بعض المصادر أنه كان أميا (*الإكليل والتاج*، 304)، ومن ثم اشتغل في البادية بالفلاحة
وتربية الأنعام، وخاصة تربية النحل (متمتع، 127). إلا أن
ذلك لم يمنعه من الانخراط في عالم التصوف والصوفية.
وكان دخوله هذا العالم على يد الشيخ المراكشي الشهير أبي
عمرو القسطلي، أحد كبار أولياء المغرب في القرن العاشر.
ويروى في هذا الصدد "... أن عرب زعير لما ذهبوا إلى
سيدي أبي عمرو وصحبوه، قال لهم "من أتى بها كلها
ذهب بها كلها"، قالوا يعني المحبة. وكان (محمد بن مبارك
الزعري) إلى الآن ما صحبه. فلما رجعوا من عنده، وتحديثوا
بقوله ذلك سمعه (الزعري)، فجمع جميع ماله من ماشية
وغيرها حتى جمع القدر التي يطبخ فيها، وذهب بذلك كله،
هو وزوجته إلى الشيخ، فقال له ياسيدي قد سمعت عنك
أنك قلت وقلت، وقد أتيت بها كلها، يعني ما يملك من
الدنيا. فقال له : وأنت قد ذهبت بها كلها، فامتلا منه
مددا"، من حينه، وأصابه الجذب، وصار من المحبين في
شيخه، ومن أتباعه في الطريقة (متمتع، 127).

وإذا علمنا أن أبا عمرو القسطلي جزولي السند

والنحلة، فمن تحصيل الحاصل القول بأن محمد بن مبارك
الزعري، كان مثل شيخه، جزوليا. وقد أهله مجاهداته إلى
الارتقاء في مقامات الطريقة الجزولية، مما جعل شيخه يأذن
له بالتصدر للمشيخة في "مسجد" أسسه في تستاوت،
غير بعيد عن أبي يعزى (إتحاف، 4 : 39 - 40). وما اشتهر
به هذا الرجل في مشيخته أنه كان "فياض الحال، باهر
الخوارق" (متمتع، 127)، وأنه كان صاحب "مائدة"، وصاحب
"فائدة"، بل أعجوبة في دقائق التصوف، وأسرار كلام
القوم، مع أنه أمي (الإكليل، 303، 304 : الإعلام، 5 :
177). كما قالوا عنه بأنه أحد الرجال الكمل الريانيين في
زمانه (الإعلام، 5 : 177)، وقالوا عنه أيضا بأنه وصل مقام
القبطانية (متمتع، 127).

وقد بلغ صدى شهرة ابن مبارك الزعري إلى كبار أولياء
زمانه. ومنهم جاره سيدي بوعبيد الشرقي، دفين بوجعد
بتادلا، فبعث إليه، وكأنه يدعوه إلى الأخذ عنه، ببيتين من
الشعر الملحون، جاء فيهما :

يا الساكن في أرض البوادي لا تتعشش الموارد
أصحب هاذ الطريقة تحصل لك الفوايد

(متمتع، 127)

فأجابه ابن مبارك، ببيتين من الشعر الملحون، كذلك،
افتخر فيهما بخصوصية طريقة شيخه في التربية الصوفية،
وبقوة مدده، وكفاية ما أخذه عنه، وقال :

تا الله ما كان هذا إلا من مجذوب سالك
يسقي خمر للرجال مملوك من الحق سالك

وما أجابه إلا بعد أن ألح عليه أصحابه في الجواب.
ويقال إن سيدي بوعبيد الشرقي أعجب بالجواب واستحسنه
(متمتع، 127)، بل يذكر أن ابن مبارك قال يوما أهل زماننا
محسبون علينا فيبلغ ذلك سيدي بوعبيد الشرقي فقال :
اشهدوا أنا من أهل زمان ابن مبارك (إتحاف أخبار، 4 :
39). وقد لفتت شهرته أولى الأمر في البلاد كذلك. نضيف
هذه الإشارة استنادا إلى رواية تفيد حدوث اتصال بين
الرجل وسلطان زمانه، عبد الله الغالب السعدي. فقد ذكر
القادري أن هذا السلطان بعث إلي ابن مبارك يقول له "...
إذا مت من يرث منك هذا السر ؟ فقال للرسول : قل له إذا
كان بالعناية فالسلطان، وإذا كان بالقرابة فمحمد ابني ؟
وإذا بالأخلاق الحسنة فبب علي الشربة، لرجل من أصحابه
الفاسيين، قل له : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"
(الإكليل، 304).

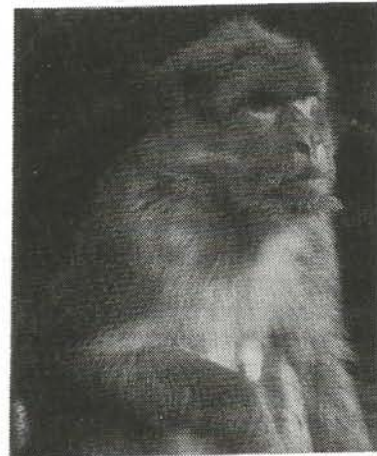
وقد ظل محمد بن مبارك يحظى بهذه الشهرة في
زاويته بتستاوت إلى أن أتاه أجله في ثاني عيد الفطر
1006 وقيل 1008، وكانت وفاته بالوباء، ودفن في
تستاوت، خلفا عقبا وتلامذة (متمتع، 127 : الإعلام، 5 :
177 : إتحاف، 4 : 40).

م. بن الطيب القادري، *الإكليل والتاج*، تح. مارية دادي، د. د. ع.
9 : 1991، مرقون، خزانة كلية الآداب بالرباط : د. المهدي

الفاسي، ممنوع الأسماع، طبعة حجرية بفاس، 1313؛ ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، الرباط؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، ج. 5؛ م. ابن سودة، قبيلة زعير قديما وحديثا، الجزء الثاني، الدار البيضاء، 1987/1397.

أحمد الوارث

زعطوط أو أزعضوض، اسم أمازيغي للقرود المغربي مقطوع الذيل. يعرف جغرافيا بـ *Le Magot de Berbérie* وعلميا بـ *Macaca Sylvanus*. متوسط الحجم، يزن ما بين 5 و10 كلغ والذكور أكبر حجما من الإناث. جسمه متكامل لا ذيل له، يبلغ طوله من الرأس إلى المؤخرة 65. 75 سم. له أنف أفطس ضعيف البروز ينفتح من الأعلى وخطم مكور وعينان دائرتان محاجرهما عارية من الشعر وحاجبان بارزان، يغطي جسمه وبر كثيف متوسط الطول لونه أصهب خليط من اللونين البني والأصفر، يكون داكنا بالظهر وجوانب الأعضاء الخارجية وأصفر شاحب بالبطن والجوانب الداخلية لأعضائه، شعر وجهه قصير. وهو أكل عشب وفواكه يكمل تغذيته بالحشرات والطيور والبيض والزواحف الصغيرة، كما يلتهم لحاء أشجار الأرز عند المجاعة. يفضل العيش فوق الأشجار حيث يجلس على مؤخرته ويستخدم يديه في معالجة أكله وتبادل تنقية شعره مع رفاقه من القمل خاصة، ويستعمل قوائمه الأربع للمشي على الأرض. يقدر متوسط عمره بـ 20 سنة، تصل صفاره إلى النضج الجنسي في سن 4 إلى 5، تحمل الأنثى مدة 5 إلى 6 أشهر وتلد مولودا واحدا في فصل الربيع ونادرا اثنان، ولأنها دورة حيض شهرية مشابهة للمرأة، وهو حيوان اجتماعي يعيش في إطار جماعات صغيرة فوق مجال خاص قطره حوالي 10 كلم، ويلاحظ أن الأنثى لا تفارق أمها بعد البلوغ عكس الذكور. يسود المجموعة تراتبية، يوجد بقمته ذكر قوي يهيمن على حريم الإناث وصغارها، يعيش في صراع مستمر مع منافسيه الذكور خاصة العزاب الكبار. ولشبهه بالإنسان في مظاهر عديدة اعتبرته الأساطير الشعبية بشرا مسخه الله لأخطاء ارتكبتها.



مجاله : تعيش معظم قرود فصيلته اليوم البالغ عددها 11 بأسيا وهو الوحيد الموجود منها بإفريقيا، اكتشف أقدم هياكله بشمال وادي النيل. كان واسع الانتشار في كل حوض البحر المتوسط منذ حقبة البلايستوسين، وذلك بفضل الانتشار السابق للغابات المخروطية المعتدلة التي هي مجال عيشه المفضل، لكن لم تبق له اليوم تجمعات سوى في الجزائر والمغرب خاصة وجبل طارق الذي أدخل إليه من المغرب لأول مرة سنة 1740، لكن مجاله في تقلص مستمر منذ عقود بحيث صار مهددا بالانقراض.

لم تتناوله الدراسات العلمية الحديثة بالمغرب إلا مؤخرا بعد 1974 عندما لوحظ تقلص أعداده بوتيرة متسارعة. وتوجد اليوم 75٪ من تجمعاته الوحشية في الأطلس المتوسط بغابات الأرز الخالصة أو المختلطة بالبلوط الأخضر، حيث يعتبر وجوده مؤشرا بيئيا وبيولوجيا يحدد مستوى التوازن البيئي فيها، وذلك من حيث أعداده وتناسله وسلوكه وتغذيته وتنقلاته. كما توجد له تجمعات مهمة بالريف والأطلس الكبير. وبناء على نتائج دراسة علمية تبين وجود القرود الكحلة بقلب منطقة غابوية للأرز بالأطلس المتوسط مساحتها 483 كلم² بكثافة بلغت 44 فردا / كلم² سنة 1968 لكن تراجعت إلى 18.68 فردا / كلم² بناء على دراسة ميدانية أجريت سنة 1998 وأحصي بها 3775 فرد، لكن بحكم ميلها إلى التخفي والهروب عند سماع أو مشاهدة أبسط حركة بشرية، قدر الباحثون أعدادها بنفس المنطقة بأكثر من ذلك. ولوحظ خلال الدراساتين تناقص مستمر لأعدادها خاصة الإناث التي صارت تكون 25.86٪ من المجموعة والصغار غير البالغين 37.40٪ أما نسبة الذكور فقد بلغت 40.24٪.

إن تراجع المساحات الغابوية وانقسام وحداتها الكبرى إلى أجزاء تفصل بينها طرق وتجمعات بشرية، فصل بين مجموعات القرود وجعل كلا منها تتكيف على حدة مع الوسط البيئي التي انجست فيه ليس على مستوى السلوك والتغذية بل حتى على مستوى الخصائص الجينية والنفسية. كما أدى تناقص الغذاء الذي اعتادت عليه بسبب توالي سنوات الجفاف إلى التهامها للحاء أشجار الأرز وأطراف الشجيرات الصغيرة مما يضر كثيرا بتجدد أشجار غابات الأرز. وتلاحظ هذه الظاهرة خاصة في المناطق التي ينعدم فيها الماء أو عندما تجف موارده.

لقد تغلغلت الأنشطة السياحية بالأوساط الغابوية وحولت بعض المجالات إلى مناطق سياحية تميزت بمزابلها خاصة من فضلات الطعام وورق وعلب وبلاستيك وأنسجة... اجتذبت فضول القرود وأثارت شهيتها، فصارت تعتمد على هذه الفضلات وتأتي إليها ليلا بل حتى نهاراً في بعض الأماكن إلى أن صارت أكثر تجمعات القرود تلاحظ من طرف الزوار حول الأماكن السياحية

المشهوره مثل غابات رأس الماء ومثليفن وشجرة الأرز الضخمة كورو وغابات عين اللوح وبحيرة أزكزا قرب خنيفرة بالأطلس المتوسط وكذلك بحمية تلامنتان بغابة الصنوبر الحر Le Sapin الشوح حول شفشاون بالريف. ويشلال أوزود بالأطلس الكبير الأوسط. وحتى بأقصى مجالها الجنوبي بالأطلس الكبير المراكشي، فيعد أن سجل الدارسون حضورها منذ عقد الثلاثين بأجراف هضبة يگور بوادي أورريكا، وكادت تختفي خلال الستينيات والسبعينيات، فإن مجموعة منها قدر عددها بستين قردا عاودت الظهور وهي تنتقل جماعة بسفوح ومنحدرات الضفة اليمنى لوادي أورريكا بين أجراف هضبة يگور المنبوعة على الرعي وشلال ستي فاطمة الذي سار منتجعا مهما للمصطافين الذين يتركون به فضلات كثيرة.

وسجل هجوم بعض القرده على الخيام بالمخيمات المرتجلة حول بحيرة أزكزا ورأس الماء، وسرقتها لأطعمة وأحيانا ملابس وعلب وورق، في غفلة من أصحابها والفرار بها إلى الخمائل الكثيفة.

لاحظ الدارسون استمرار تراجع أعداد القرده في منتصف التسعينيات بسبب استفحال سنوات الجفاف وما يترتب عنها من ضغوط على الغابات بالرعي الجائر للمواشي، كما أن فصل الثلوج صار قصيرا مما يسمح بدوام طويل لعائلات الرعاة بغابات ومراعي الأطلس المتوسط، بل سجل في بعض المناطق حضوراً مستمراً له لا ينقطع أبداً، ووجود المواشي بأعداد كبيرة بفضل نقلها بالشاحنات. وعندما تفر جموع القرده من الضغوط البشرية وكلاب الرعاة التي تكون خطراً عليها إلى غابات منزوية بعيدة، تجد أن الرعاة بمواشيهم قد سبقوها إليها، ورغم اختفاء آخر الفهود بمجالها الأصلي التي تكون أعداءها الطبيعية إذ تغذى عليها وتحافظ على التوازن البيئي بالغابة، وذلك لمحاربتها من طرف الفلاحين والرعاة لما تكونه من خطورة على مواشيهم فإن أعدادها في تراجع مستمر، وقدر الباحث السيد محمد مونا مجموع أعدادها بالمغرب حوالي 12.000 في صيف 2001 ولوحظ أن 80٪ من المواليد المدروسة اختفت ما بين فصلي الصيف والخريف، وأن ما يصيب القرده من توتر عصبي بسبب انتهاك حرمة غاباتها يتسبب في ضعف خصوبة الإناث، وإذا ما ظلت هذه الأوضاع قائمة فإن القرده المغربية التي سجل حضورها بغابات الأطلس المتوسط منذ آلاف السنين ستضمحل بعد عقود قليلة، لأن المجالات الغابوية تتقلص باستمرار وما بقي منها يتعرض لهجوم بشري متعدد الأشكال خطير العواقب على التوازن البيئي. ويسبب ما أطلقه الدارسون من إنذارات فإن الوزارة المكلفة بحماية البيئة تدخلت بعدة إجراءات بيئية وقانونية لحماية القرده، منها تخصيص حدائق وطنية محمية لها ولغيرها من الحيوانات خاصة بعين اللوح وهنا بدأت تسترجع حيويتها واطمئنانها. ومنع صيدها وقتلها وبيعها،

لكن مع ذلك مازالت صغارها تصطاد وتروض للعروض والفرجة بساحات بعض المدن خاصة جامع الفنا بمراكش التي كانت ومازالت منذ بداية القرن العشرين، تعرض القرده بحالاتها لفرجة الجمهور الشعبي والأجنبي كذلك.

وحيش المغرب، منشورات مكتب تنسيق التعريب بالعالم العربي، محمد لحضر غزال، الرباط، 1976؛ عروض ودراسات علمية حول القرده، ندوة حول التنوع البيولوجي وحماية الثروات الطبيعية، جامعة الأخوين إيفران مايو 13. 15 سنة 1999؛ عرض شفوي حول القرده بالأطلس المتوسط لمحمد مونا، أستاذ باحث بالمعهد العلمي، الرباط.

M. Mouna, M. Arahou, A. Camperia Ciani, *Etude sur la vie sauvage des singes du Moyen Atlas, Ifran, 1999* ; *La grande encyclopédie du Maroc : La faune, Rabat, 1987.*

أحمد هوزالي

الزعفران، اسم فارسي الأصل يطلق على نوعين

نباتيين من التوابل والأصباغ يستعملان لعدة أغراض كإعطاء الأغذية لوناً أصفر فاقعا ونكهة وعطراً متميزاً، وكذلك لهدف العلاج.

النوع الأول هو الزعفران الحر الذي يسمى علمياً كُروكوسُ ساتيفُوسُ *Crocus sativus* وهو من فصيلة السوسنيات Iridaceae ومن فرغ نباتات وحيدة الفلقة.

أما النوع الثاني فهو زعفران القرطم أو العصفر المسمى علمياً كارطوموسُ تانكتوريا *Carthamus tinctoria* وهو من فصيلة المركبات Asteraceae ومن فرع نباتات ذوات الفلقتين.

الزعفران الحر :

هو نبات عشبي بصلي يشبه السوسن والنجرس تستعمل مياهم وأقلام أزهاره كتابل وكمادة للأصباغ. موطنه الأصلي هو بلاد الكاشمير. ومنها انتشرت زراعته إلى بلدان أخرى من آسيا الجنوبية وآسيا الصغرى والمنطقة المتوسطية.

فمنذ أقدم العصور زرعه الهنود والآشوريون في ما بين النهرين، والفينيقيون، والإغريق، والرومان، والعرب في آسيا الصغرى وشمال إفريقيا وصقلية والأندلس التي منها انتقلت زراعته إلى أوروبا الجنوبية. وذلك ما ذكره البيروني والوزير الغساني والبكري وابن البيطار وغيرهم، ابتداء من القرن العاشر الميلادي. وربما تكون زراعة الزعفران بالمغرب قد بدأت في هذه الفترة.

تقتصر زراعة الزعفران حالياً بالمغرب على ناحية سكتانة بمنطقة تاليوين حيث تصادف ظروف مناخية ملائمة توفرها الهضاب المرتفعة الموجودة ما بين الأطلس الكبير والأطلس الصغير بناحية جبل سيرة. فالمنطقة شبه سهبية والبيومناخ شبه جاف لكنه يتميز بالبرودة المفرطة في فصل الشتاء كما هو الشأن بالنسبة لموطنه الأصلي كاشمير.

المنديبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء /الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 515848.

زعواط، محمد سالم مقاوم من مواليد مدينة طرفاية، ولد سنة 1981، وانخرط في صفوف جيش التحرير منذ سنة 1957 ضمن المقاطعة الثامنة تحت قيادة ناضل الهاشمي و ابا الشيخ ابا علي. وقد ظل وفيًا لمبادئه الوطنية حيث انتقل من طانطان إلى مخيم الوحدة بالعيون لتأكيد الوحدة الترابية للمغرب في الاستفتاء التأكيدي وهناك وافاه أجله المحتوم يوم 21 شوال عام 1416/11 مارس 1996.

المنديبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء /الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 500522.

زعير، مجموعة قبلية كبرى مستقرة جنوب الرباط، يلف الغموض جوانب كثيرة من مكوناتها ولا توجد مؤلفات - في حدود علمنا - كتبت عن هذه القبيلة في تطورها التاريخي، باستثناء شرف السيق الذي ناله أحد قضاة زعير بتأليفه كتاب : قبيلة زعير قديماً حديثاً . بيد أن قصور أهداف الرجل وأدواته، جعله يقتصر على جمع الروايات جمعاً ونقل الأخبار المتفرقة نقلاً، فنال بذلك حسنة المجتهد على أية حال. ولذلك بقي على الباحث المحقق أن يلتقط الإشارات والأخبار من حوليات التاريخ المغربي وهي نادرة في حالة زعير. ومن مؤلفات الأجانب وهي قليلة وتحتاج إلى سلاح المؤرخ لفرز الغث من السمين. ومع ذلك كله ؛ تبقى هذه الكتابات قاصرة عن إعطائنا الصورة التي نريد. فلا مندوحة - إذن - من اللجوء إلى تقنيات عديدة توفرها علوم مساعدة كالانثروبولوجيا والطبونيما واللغويات، بالإضافة إلى الثقافة الشعبية بأساطيرها وأحاديثها ؛ ثم



وبفضل المردودية العالية لزراعة الزعفران اشتهرت تالوين. فحتى القائد الكلاوي الذي كانت سيطرته تمتد إلى هذه المنطقة كان يفرض على مزارعي الزعفران أن يؤدوا له قدرًا من محصولهم، مما جعله يجمع ثروة هائلة بفضل هذا المنتج.

يستعمل الزعفران الحر حاليا كتابل وكمادة تلوين الأغذية في كثير من الأطباق المغربية الشهيرة وخاصة في الحفلات الكبرى. كما يدخل في تحضيرات تخصص التطبيب التقليدي، وفي تلوين بعض الأدوية.

- العَصْفُرُ :

هو نبات يقال إن موطنه الأصلي هو الهند، ومنها انتشر في جل البلدان الحارة، وذلك نظراً لأهميته في الصباغة وتلوين الأغذية. من الممكن كذلك استخلاص زيت من بذوره.

وتجدر الإشارة إلى أن العصفر يشمل ضربين، أحدهما ذو أزهار حمراء أو برتقالية تعطي لونا أحمر، والآخر ذو أزهار صفراء تعطي لونا أصفر. من الممكن مصادفة زراعة العصفر في جميع المناطق المغربية غير الباردة. أما من ناحية الإنتاجية فإن العصفر يعطي كمية تفوق بكثير تلك التي ينتجها الزعفران الحر. لكن هذا الإنتاج أقل قيمة من النوع الأول.

أبحاث شخصية : ألبرت هيل، 1962، تر. عبد المجيد زاهر وآخرون، النبات الاقتصادي، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة - نيويورك.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle*, Paris, 1997, 764 p.

عبد المالك بنعبيد

زعكو، عبد الرحمان بن عبد السلام، مقاوم ولد سنة 1915/1333 بغفساي إقليم فاس، انضم إلى صفوف جيش التحرير المغربي بالمنطقة الشمالية غداة تأسيسه تحت قيادة محمد ولد علي المكناسي. وقد خاض إلى جانب رفاقه في النضال عدة معارك ضد المستعمر الغاشم وقواته، فكان مثالا للرجل المجاهد، واصل نضاله ضمن صفوف جيش التحرير بكل شجاعة وروح نضالية صادقة إلى أن استشهد في معركة اللبانية سنة 1956/1375.

المنديبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء /الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 507116.

الزعماري، محمد مقاوم، من مواليد سنة 1929 انخرط في جيش التحرير، وكان من المسؤولين آنذاك بمنطقة الحاجب، شارك في الكفاح المسلح ضد المستعمر الأجنبي وحضر عدة معارك برهن خلالها عن شجاعته ونكران الذات والتضحية في سبيل الوطن.

توفي يوم الأربعاء 27 صفر 1416/26 يوليوز 1995.

إلى كتب المناقب. هذا لمعرفة ماضي القبيلة. أما معرفة تطورها في التاريخ المعاصر، فلا بد من الاعتماد - زيادة على ما سبق - على المستندات الرسمية بما فيها الوثيقة المخزنية والتقارير العسكرية ومراسلات القناصل الأجانب. تُكوّن زعير مجموعة قبلية كبرى مجاورة لمدينتي الرباط وسلا، تتصل من الغرب والجنوب الغربي بقبائل الشاوية وقبائل تادلا مثل ورديفة ويني خيران والسماعلة. ومن الشمال والشمال الشرقي بقبائل السهول وزمور ومن الجنوب الشرقي بزبان. وهناك غموض فيما يتعلق بأصل كلمة زعير وبالاتفاق اللغوي بهذا الاسم، فالشائع في النطق عند العموم هو زعير، بتسكين الأول وفتح الثاني، أو زعير بفتح الأول والثاني كما تنطق الكلمة وتكتب في اللغة الفرنسية. بيد أننا إذا ما اطلعنا على روايات الإخباريين، وخاصة على كنانيش كتاب المخزن خلال القرن التاسع عشر، نجد اسم زعير يكتب وينطق هكذا : زعير أي برفع الأول وفتح الثاني.

وفما يتعلق باشتقاق هذا الاسم فهناك روايتان شائعتان : ترجع الأولى للقرن العاشر (16 م) تدعي أن الاسم مركب من لفظتين هما : زع و ري، وتقول الرواية إن اللفظين، كان يستعملهما جد القبيلة لزرع الجمل والحصان على التوالي أثناء عملية الحرث. وعلينا أن نلاحظ هنا أن التسمية نجد سندها في نشاط بشري يتعلق بالزراعة. أما الرواية الثانية وهي متأخرة عن الأولى، فترجع الاسم إلى صفة الزعورة من لون البشرة. وتقول : إن هناك بعض القبائل الزعرية التي تنتشر فيها هذه الصفة. وإذا كنا لا نطمئن لهذه الرواية المتأخرة فإننا نستبعد كذلك الرواية الأولى لأنه من السهل تطبيق الروايتين معاً على مجموعات بشرية عديدة زيادة على تأخر الروايتين عن ظهور المجموعة.

إن بعض التحريّات الميدانية، والاشتقاقات اللسانية، جعلتنا نميل ونستأنس ببعض اكتشافات الرواية الشفوية التي تدلنا على أن اسم زعير قد يكون اسماً لفعل حركة. ونسوق في هذا الموضوع ثلاث حكايات تصب في مجرى واحد.

ملخص الأول : أن مجموعة قبلية كبيرة، افتقرت أثناء سيرها، فقرر قسم منها التحرك بعيداً، ولما افتقده القسم الأول وأراد أن يرده وجده ابتعد ققيل : "زعرو" أو "تزغراو" أي ابتعدوا وسميت المجموعة لذلك زعير.

وتقول الثانية إن كلمة زعير اسم يطلق كذلك على نوع من الجراد. فالجراد عندما يضع بيضه ويخف من حملته وتحلّق أسراه في السماء ذاهبة بعيداً، يسمى حينذاك "زعير" بلغة أعراب الصحراء !

أما الثانية : فنأخذها عن بعض اللهجات المنتشرة في بعض الفرق الزعرية ذات الأصول العربية. فبقبيلة سفيان

الشرقية، نجد أهالي فخذة عوف قرب عين الدفالي، يقولون للذي ابتعد في سكناه عن المجموعة لماذا "تزغريت". ومن هذه الروايات أو نستفيد بأن اسم زعير يدلّ على السير والحركة.

وبالفعل عرفت المجموعة التي تنتمي إليها زعير حركة واسعة قادتها خلال قرون إلى مواطنها الحالية. لكن هل نطلق كلمة زعير على مجموعة بشرية معينة. نعرف تحركها في الزمان وعبر المكان ؟ أو على كل تائه تحرك أو حرك من مكان لآخر ؟ وفي هذه الحالة لا تختص زعير بهذا الفعل أو الصفة. نقول هذا مع ملاحظة أن أحد الملاحظين الأجانب، قال : سنة 1910، اعتماداً على الرواية الشفوية - بدون شك - إن كلمة زعري قد تعني التائه.

إذن هل يمكن الاطمئنان إلى أن اسم زعير أطلق على المجموعة الأصلية وصفاً لحركتها. أو لقلتها وتفرقتها حسبما يفيد الأصل اللغوي. وبقي السؤال مع ذلك مطروحاً متى ألحق الاسم بالمسمى أو الصفة بالموصوف ؟ هل منذ انطلاق المجموعة القبلية المعقلية من شبه الجزيرة العربية، على فرض أن زعير هلالية معقلية. أم أن الاسم أطلق منذ انطلاق فرق زعير من فيافي الصحراء المغربية نحو المراعي الخضراء في الجبال الأطلسية والسهول الساحلية بعد ذلك حسبما تفيدنا الأسطورة الهلالية ؟

إن الذي أوحى لنا بهذه الأسئلة هو ما أشارت إليه بعض المعاجم من وجود قبائل الوغيرات بالاردن، والزعير بالعراق. وما نعرفه عن هجرة للهلاليين والمعقلين في رحلتهم الطويلة عبر الزمان والمكان، من الجزيرة العربية إلى المغرب الأقصى وشمال إفريقيا. ثم ما استفاد من الصوبونيمياء ومن الانثروبولوجيا، حيث توجد آثار بني معقل في محاميد الغزلان ومازالت فرق عربية في وادي درعة تشبه اختها بزعير اليوم من حيث الفلكور. زد على ذلك أسماء أماكن وأودية وقصور تحمل اسم زعير.

يلاحظ وجود بعض الروايات التي تنسب قبائل زعير إلى الأصل الأمازيغي. ويبدو أن منطلق هذه الروايات، ما رواه ابن خلدون من أن زعير تنتمي إلى لواتة من البرابر البتر، الذين ينتمون إلى مادغيس الأبتير. وحسب هذه الرواية، فإن فرق لواتة كانت منتشرة في شمال مصر وبلاد برقة بليبيا. وعلى هذا الأساس فأصول زعير تشبه أصول زناتة التي اختلطت بالقبائل العربية بعد أن تنقلت أو نقلت عبر المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى.

وعلى كل حال فقد نسب عبد العظيم الزموري زعير إلى الأصل البربري كذلك. وكتب دوفوكو De Foucault سنة 1883 يقول : "إن زعير يكونون قبيلة قوية ومستقلة من أصل أمازيغي وتتكلم الأمازيغية".

وإذا كذب مسافر أوربي آخر هو كدانفلدت Quedenfeldt الألماني رواية دوفوكو تكذيباً. وأكد أنه تحدث مباشرة إلى رجال من زعير، مرات عديدة، وثبت لديه

أن لغة القوم عربية صميمة. فإننا نستبعد - بدورنا - انطباق رواية ابن خلدون على قبائل زعير الحالية.

والواقع أننا إذا ما حاولنا تتبع أصول زعير، فسنجد أن أصولها العربية ثابتة وأنها ترجع إلى خليط من القبائل الهلالية والمعلقية.

ومع ذلك فلا ينبغي أن ننسى أن الأرض التي انتهت إليها قبائل زعير كانت تسكن من طرف القبائل البرغواطية. وأن تحرك القبائل كان تحركاً عاماً شاملاً لفرق عربية وأخرى أمازيغية، وأن اختلاط الأصول أمر لا شك فيه : انطلاقاً من التحولات الجغرافية والتطورات السياسية.

إن فرقة أولاد كثير الزعرية - مثلاً - ترجع أصولها إلى الأتبيج من بني هلال. ثم إن استقرار زعير جاء لاحقاً لمُور القبائل الهلالية التي سبق أن انتشرت في تامسنا وتادلا منذ العهد الموحد.

والأكيد أن الدلائل اللغوية والانثروبولوجية، تثبت أن قبائل زعير تنتمي للأصول المعلقية. وأن مواطنها التي انتهت إليها في الصحراء كانت قرب أو في محاميد الغزلان أي في واحات درعة. حيث لا تزال إلى اليوم آثار مادية وعناصر بشرية معلقية تثبت مرور زعير عبر تلك الجهات. ومن الصحراء انتقلت الفرق الزعرية نحو الشمال بحثاً عن المراعي الخضراء، مدفوعة بالتغيرات المناخية والتبدلات السياسية والتغيرات الاجتماعية المرتبطة بالأوبئة والمجاعات.

لا نعرف الطريق التي اتبعتها الفرق الزعرية حتى وصلت إلى مواطنها اليوم، ولكن يبدو أن تلك الطريق كانت طويلة وأن سلوكها استغرق قرناً عديدة.

تدل بعض الإشارات التاريخية على أن زعير كانوا بأعالي وادي ملوية وأنهم كانوا خلال القرن العاشر (16 م) بالأطلس المتوسط قرب هضبة ادخسان. وفي أواخر هذا القرن استقروا بمنطقة تاستاوت حيث يوجد اليوم ضريح ولي القبيلة وعالمها سيدي محمد بن المبارك الزعري، الذي توفي ودفن بأرض القبيلة سنة 1597 والذي تنسب إليه الزاوية الزعرية.

ولقد أكد الضعيف الرباطي في تاريخه على أن زعير إخوان العرب الصباح، مثلهم في ذلك مثل السهول والدغمة. وأطلق على تلك القبائل في موطنها الحالي عرب الويدان (إشارة إلى انتشارها في أودية : الشراط وإيكم، وكريفلة، وگرو وأبي رقرق).

ومهما يكن من أمر، فإن استقرار زعير في مواطنها الحالية، لم يتم إلا خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 - 19 م). وقد شاهد القرن الأخير تحركات وتنقلات القبيلة ولم تستقر القبائل في مواضعها اليوم إلا مع بداية القرن العشرين. ولاشك أن تدافع القبائل لا يرجع للعوامل الطبيعية والبشرية، بل يساهم الحكام في تلك التدافعات والتنقلات القبلية.

لقد أشار الحسن الوزان إلى أن زعير كانوا من أتباع الملك عندما أشار لوجودهم بأدخسان خلال بداية القرن العاشر (16 م). وهناك روايات تاريخية تحدثت عن إنشاء مولاي إسماعيل لفرقة من عبيد زعير. وهذه الفرقة هي التي وضعها محمد بن عبد الله في قصب المنصورية.

ويعد وفاة سيدي محمد بن عبد الله، بدأ اسم زعير يتردد في الروايات التاريخية، نتيجة لحضور القبيلة في الأحداث السياسية. فقد أيد طرف منها أو كلها مولاي مسلمة بن محمد ضد إخوته. وتزعم القائد محمد الزعري بيعة مولاي مسلمة وزحف نحو الرباط ضد أتباع مولاي سليمان. لكن القائد الزعري هزم قرب مدينة الرباط. ثم ما لبثت زعير أن أيدت مولاي سليمان وعلى عكس بعض الروايات، فإن علاقة مولاي سليمان بالقبيلة كانت علاقة ودية وتأييد متبادل.

فبعد مخالفة زعير وعرب الويدان عامة، عن قائد مولاي سليمان محمد بن العامري، ورغبتها في ولاية أحد أبنائها نجد السلطان يقبل اقتراح الوفد الزعري الذي زار السلطان بمكناس بتعيين الطالب العربي بن عبد الله بن بلال النجدي المزرعي الزعري قائداً على كل عرب الويدان وباشا على مدينة سلا سنة 1229 / 1814. ثم ولأه باشوية الرباط التي عزل عنها الباشا عبد الرحمان عشعاش سنة 1230 (الموافق 1815). ومنذ هذا التاريخ أصبحت زعير خاصة وعرب الويدان عامة، من القبائل الحليفة للسلطان والمؤيدة له باستمرار ؛ حتى أن السلطان لم يكن يفرط في حركات هذه القبائل عند كل تحرك سلطاني إلى جنوب البلاد أو إلى صحرائها.

وفي عهد مولاي عبد الرحمان، بدأت إدارة زعير تتوزع وعلاقتها بالمخزن تتوطد. فقد قسمت زعير إلى قسمين في ديوان الجباية هما :

(1) الكفبان

(2) المزارعة

يقع قسم المزارعة في شرق القبيلة، ويقع القسم الثاني إلى الغرب والجنوب الغربي.

ويظهر أن تسمية القسمين عائدة إلى الموقع : فالكفبان ينتشرون إلى غرب القسم الأول أي إلى قضاة (هذا احتمال).

أما قسم المزارعة فيقع فوق هضاب خصبة، كانت تربتها ومازالت موضع زراعة مزدهرة. ولهذا سمي القسم تبعاً لنشاط سكانه الزراعي. في حين يغلب على قسم الكفبان النشاط الرعوي.

وعلى كل حال فقسم الكفبان، يضم القبائل الآتية :

(1) بني عبيد جملة، وفرقوم : أحرار - الرمامحة، أولاد الطيب ومنتشرون حول سيدي يحي زعير، وفدان النموس والمنزه.

(2) السلامة، (حول عين فوزار)

(3) أولاد زيد، (سيدي عبد الرحمان)

(4) أولاد دحو، (صبارة)

(5) الحلاليف، (واد تمسين، دار قاسم)

(6) الرواشد، (سيدي حشلاف، اعويد الماء)

(7) المخاليف، تضم (الفرق الآتية، الغوالم، أولاد

عمران، أيت العروسي)

وينتشر حول (المرس البيض، سهب الاريح)
(أسواقهم اليوم حد الغوالم، خميس الزحليكة).

أما قسم المزارعة فيضم القبائل الآتية :

(1) النجدة، (مركزها التاريخي گلثة القبيلة)

(2) أولاد علي، (عين السبيت)

(3) الكصيصات، (عيون السلطان أو عيون ماسي)

(4) البراشوة، (حد البراشوة، الدار البيضاء)

(5) أولاد كثير، (زبيدة)

(6) أولاد خليفة، (زبيدة)

في بداية القرن العشرين، كانت قبائل زعير تتكون من
حوال 6300 خيمة. وهذا هو التقدير الذي حرر سنة 1910
(Cicard, L'otganisation des Zaers).

وحددت تقديرات أخرى لاحقة عدد خيام زعير بـ 8087
خيمة وعدد السكان بـ 40.500 نسمة.

والملاحظ أن التجزئ الإداري وصل في زعير إلى مداه
في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان وخاصة في
عهد ابنه مولاي الحسن (1873- 1894). وتفيدنا المستندات
المخزنية أن كل قبيلة كانت خاضعة لقائد، وأحياناً كان لكل
فرقة قائد وخاصة في عهد مولاي عبد العزيز الأول أي أيام
صدارة أحمد بن موسى البخاري (أباً حماد).

وهكذا كانت إدارة زعير في سنة 1310 الموافق 1892 .
1893، تتوزع إلى ما يقرب من (25) خمس وعشرين قيادة.
والملاحظ أن هذا التجزئ ظل سائداً إلى عهد الحماية حيث
ركز الفرنسيون السلطة في أيدي أسر معينة تعاملت مع
المحتلين وخدمت أهدافهم. وقبل أن نتطرق لعلاقة زعير مع
الاحتلال الفرنسي، ارتأينا أن نعرض بعض سمات طبيعة
علاقة القبيلة مع السلطة المركزية.

لقد أوجت بعض الحوادث التي أفرزتها علاقة قبائل
زعير مع المخزن ومع جيرانها من قبائل ومدن، مثل الشاوية
وأعراب الرباط، وزمور، ومدينتي الرباط وسلا ؛ خلال
القرن التاسع عشر ؛ أوجت لبعض الملاحظين الأجانب
بإطلاق نعوت وأوصاف على زعير، أحياناً تكون صحيحة
وفي كثير من الأحيان لا أساس لها من الحقيقة.

فقد وضعت القبيلة "بالعصيان" و"بالشغب" و"النهب"
و"التوحش". ورتبت في خانة القبائل "المستقلة" عن المخزن
أو قبائل "السيبة".

بيد أن التأمل في وثائق المخزن، قد مكنا من ملاحظة
أن كل تلك النعوت، لم تكن إلا أوصافاً نسبية. ولذلك فإن
تعميمها على القبيلة فيه تجنّ على الحقيقة التاريخية.

إنها أوصاف وأحكام قد تصدق على فترة زمنية محدودة
ومكان معلوم. وقد تهم فرقة صغيرة أو دواراً مكوناً من
بعض الخيام في ظروف خاصة بالمجموعة البشرية المعنية.

وهكذا فلا دوام في الزمان ولا عموم في المكان
للأوصاف التي نصادفها في الكتابات الأجنبية حول زعير.
والجدير بالإشارة هو أن ملاحظات الأجانب على أحوال
القبيلة خلال القرن التاسع عشر كثيراً ما اعتقدت على
روايات وأخبار مختلفة تناقلتها ألسن الدبلوماسيين أو
برقياتهم الدورية.

والواقع، أن علاقة زعير بالمخزن لم تشذ في عمومها
عن علاقة المجموعات البشرية المجاورة بها. وحتى إذا ما
بحثنا في صميم الخطاب المخزني الموجه لزعير أو في
المكاتب الإخبارية الرسمية ؛ فلن نعثر إلا على كلمتين
تستحقان الانتباه هما : "الصلاح" و"الفساد". وإذا حللنا
طبيعة محتوى الكلمتين والمقصود منهما، فسنجدهما
مرادفتين، على التوالي، لطاعة أوامر المخزن في أداء
الواجبات الجبائية أو عصيان تلك الأوامر.

إن مشكل علاقة زعير بالمخزن كان على العموم مشكل
جباية وأمن. وحول مسألة الجباية والأمن يتمحور خطاب
الصلاح والفساد. فيكون الصلاح والفساد - نتيجة لذلك -
مسألة نسبية. فإذا دفعت القبيلة الواجب من زكاة وأعشار
فهي سالحة. وإذا لم تدفع توصف بالفساد. وقد يكون
نصف القبيلة صالحاً، لأنه دفع الواجب. والنصف الآخر
فاسداً لأنه تماطل في الدفع ؛ (دون البحث في علة التماطل
وسبب التهرب).

وهكذا فلا أثر لدلائل على فساد عام أو عصيان دائم
فأحرى أن نقبل وصف "الاستقلال" و"السيبة".

وعلى الرغم من ثقل الجباية، وما ينتج عنها من تهرب
في الأداء، وطلب الإمهال، وأحياناً الفرار ؛ فإن زعير ظلت
خاضعة للمخزن. وتكفي الإشارة إلى أن بلاد زعير بالرغم
من وعورتها ظلت طيلة عهد مولاي الحسن معبراً لتنقلات
السلطان بين جنوب البلاد وشمالها كما كان الحال في عهد
مولاي سليمان ومن جاء بعده. وقد أفرز هذا الحضور
المكثف للسلطان مصطلحات عديدة في مجال الطبونيميا ؛
فهناك أماكن معروفة منسوبة للسلطان أو جيشه ؛ عيون
السلطان، عرگوب السلطان، عرگوب المحلة... وهناك
محطات معروفة كانت عبارة عن منازل لتخيم محلة
السلطان عبر ممرين يخترق أحدهما وسط زعير، عبر گلثة
القبيلة وسط قبيلة النجدة. ويمر الآخر بشمال غرب زعير
انطلاقاً من الرباط.

والملاحظ أن منطقة زعير التي تحتل موقعاً متوسطاً،
يتحكم في الطرق الرابطة بين جنوب البلاد وشمالها، جعلت
المخزن يوليها اهتماماً خاصاً للمحافظة على أمن القوافل
والسيارة. ذلك أن قرب زعير للطريق الساحلي، وتوفر
الجبال والأودية والغابات، كان يدفع بعض الناس إلى قطع

الطرق وارتكاب أعمال النهب ضد القوافل، وقد ازداد الاهتمام بحفظ الأمن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، عندما تضررت البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع المغربي بفعل عوامل كثيرة أهمها وأبرزها عامل التدخل الأوربي بعناصره المتعددة.

يمكننا القول : إن طبيعة بلاد زعير ونمط العيش السائد الذي كان يتميز بعدم الاستقرار، وإيلاف الرحلتين ؛ رحلة الشتاء والصيف، والسكنى تحت الخيمة وهي مسكن من السهل طيه بسرعة والانتقالات من المتابعة. إن كل ذلك إذا أضفنا له سيادة اقتصاد القلة والكفاف لم يفرز سلطة ثابتة الأركان بزعير. فلا تتوفر زعير - إذا قورنت بقبائل الشاوية المجاورة مثلاً - على قصبات تحمي القيادة وتجعلهم يراكمون أسباب القوة ويستحبون الاستبداد.

لقد كان القائد الزعيري في كثير من الأحيان لا يتعدى رتبة شيخ في قبيلته. فلا يستطيع إخضاعها إذا تمرت عليه بكاملها. ولذلك يظهر أن القائد بزعير كان يحافظ على التوازنات داخل الفرق الأمر الذي كان يجعله - أحيانا - يتأخر عن تنفيذ أوامر السلطان، ويتلطف حتى يستوفي واجبات المخزن.

وبالجملة، فإذا وضعنا في الاعتبار هذه العناصر : طبيعة جبلية قد تخيف وقد توفر الملجأ والحماية. ونمط في العيش يدفع إلى التضامن والاتحاد داخل الفرقة ؛ ويحتم ظهور جماعة قوية بأفرادها المكونين تكويناً حربياً للطوارئ، وغلبة المعتقدات الدينية المشوية بانتشار الأمية، وسيادة اقتصاد الكفاف واتساع هامش الفقر مع نهاية القرن الثالث عشر (19 م) ؛ إذا جمعنا كل هذه العناصر، سهل علينا أن نتقبل ظهور حوادث قطع الطرق، ونهب قوافل التجار، وبالتالي بروز هاجس الأمن في أحواز الرباط. ذلك الهاجس الذي جعل زعير صعبة الاختراق على الأوربيين.

لقد حاول بعض الكتاب إذن أن يجعلوا من حوادث متفرقة، وقع أغلبها ليس في أرض زعير، بل في أحواز الرباط حيث توجد قبائل أعراب الرباط والأودية وبعض فرق زعير، أن يجعلوا من تلك الحوادث دلائل لوصف زعير كلها بالتعصب والنهب والعصيان. بل نجدهم يتهمون سكان الرباط وسلا بالتعصب والمحافظة، ويرجعون السبب إلى حضور قبائل زعير وزمور المجاورين. والغريب أن هذه الأوصاف كثرت لما بدأت قبائل زعير تتحفز للجهاد في إطار ردود فعل المجتمع المغربي بأكمله ضد مظاهر التدخل العسكري الفرنسي، بعد إعلان ميثاق الجزيرة سنة 1906.

ولقد أصبحت قبائل زعير مواجهة للمحتلين الفرنسيين بعد احتلال الشاوية 1908. وانتشرت فيها الدعوات للجهاد. وازداد حماس الناس للجهاد بعد إعلان بيعة مولاي عبد الحفيظ في 16 غشت 1907 بمراكش. ولذلك أيدت زعير جانب السلطان الثائر.

كانت مساهمة زعير في جهاد الشاوية محدودة لكن

أرضها مثلت مجالا حيوياً لمجاهدي الشاوية الذين كانوا يتزودون من زعير بحاجياتهم وينظمون فيها أنفسهم.

ومنذ 1910 بدأ الاصطدام الفعلي بين القوات الفرنسية وقبائل زعير. فلما حاول بعض الضباط الفرنسيين بمركز ابن سليمان التدخل في جيرانهم زعير لإلقاء القبض على بعض الزعيريين ووجهوا بمقاومة مسلحة حيث قتل قائد السرية التي توغلت في زعير إلى أن وصلت عين فوزار يوم 18 فبراير 1910.

وقد حاول الجنرال مواني Moinier انتهاز فرصة الحادث ليتدخل في زعير وينفذ أول عملية عسكرية كبيرة. وهكذا دخل إلى أرض القبيلة على رأس قوة عسكرية قوامها 1000 رجل. وعسكر في المكان الذي قتل فيه الضابط الفرنسي. ثم توغل داخل القبيلة ليتعرف على المسالك ويمهد بعض الطرق. ولما وصل إلى قرب وادي كريفلة تعرض لهجوم شديد اضطره للعودة إلى معسكر فوزار. وفي 8 مارس 1910 هوجم المعسكر الفرنسي من جديد فاضطر قائد جيش الاحتلال. إلى الخروج من زعير وبذلك فشلت المحاولة الفرنسية الأولى في الدخول لزعير والتمركز في بعض قبائلها.

وبعد مرور حوالي سنة أقدم ضابط فرنسي آخر كان مكلفاً بالاستخبار على الدخول إلى زعير ليربط اتصالات مع بعض الأعيان ويتم عمل المخبرين. توجه القبطان ناسني بصحبة ضابطي صف نحو قرية مغشوش حسب الرواية الفرنسية للقاء المرابط عبد القادر المبارك. لكن السرية الفرنسية تعرضت لهجوم خاطف بقبيلة أولاد دحور يوم 14 يناير 1911. وأسفر الهجوم عن مقتل وجرح معظم أفراد القوة الفرنسية، واستولى الزعيريون على كل أسلحتها وخيولها ولم ينج قائدها من القتل إلا بالجوء عند أحد الأعيان.

وإثر هذا الحادث أقام الحزب الاستعماري ضجة إعلامية حول ما سماه بـ "اعتداء زعير" وجعل من حادث 14 يناير قضية هامة في العلاقات الدولية ؛ بين المغرب وفرنسا وألمانيا. فقد طلب قائد جيش الاحتلال بالشاوية في 17 يناير بالسماح له بالتدخل في زعير، وإرسال إمدادات عسكرية جديدة إلى المغرب. ثم ذهب إلى بايز لإقناع المسؤولين بمشروعه. والواقع أن الحكومة الفرنسية ترددت في البداية، لأنها كانت لا تزال تتفاوض مع السلطان الذي كان يأمل في أن تحترم الحكومة الفرنسية تعهداتها له.

ومع تولي جان كروبي J. Cruppi وزارة الخارجية زال تردد الحكومة، فتقرر إرسال امدادات عسكرية للشاوية بدل سحب القوات المحتلة. وقد أبدى المغرب معارضته بهذه الإجراءات التي عارضتها بها الحكومة الألمانية وبدأت تستعد لردود الفعل.

أما في الجانب الشعبي فالملاحظ أن زعماء الجهاد بزعير كانوا على جانب كبير من الوعي بخطورة الموقف

وبقوة الفرنسيين. ومع ذلك فقد صمموا على المقاومة ومواجهة الغزاة مهما كان الثمن. وقد نشطت الاتصالات بين القبائل، وأرسلت وفود إلى القبائل المجاورة لزعيم، خاصة زيان وزمور بتبادلة تدمرها إلى الجهاد ضد المحتلين.

وقد أثمرت هذه الاتصالات، انعقاد جمع عام قرب قرية الرمان في يومي 30 - 31 يناير 1911، أي بعد الحادث بستة عشر يوماً. وفي ذلك الجمع تبادل الحاضرون السلام علامة على التحالف وتقرر أن توزع القيادة لمواجهة الاحتلال كما يلي :

* القائد حمو الشليح يت رأس مجاهدي المزارعة وزمور.

* علي بن حمو يت رأس مجاهدي الكفيان ويني خيران وزيان وتادلة.

كما تقرر تخريب الطرق التي مهدها الفرنسيون للجب المدفعية داخل زعيم وإلقاء القبض على الأعيان والقواد الذين يتصلون بالعدو وقتلهم. وأرسلت الوفود لتنفيذ هذا الأمر مباشرة. فألقي القبض على قائد أولاد كثير، لكنه سرح ريشما يقع القبض الجماعي على أمثاله.

وتدلنا التقارير العسكرية الفرنسية على أن زعيم أبدوا معارضة قوية للتدخل الفرنسي في بلادهم. وأن الاتصالات قطعت وصودرت أموال الذين اتهموا بالتعامل مع المحتلين ولم ينج من العقاب إلا من استطاع الهروب إلى الشاوية. وصدرت الأوامر للقبائل المجاورة لزعيم بالاستعداد للدفاع عن نفسها.

وأمام مظاهر التحدي وإعلان الجهاد تدخلت الحكومة الفرنسية لدى السلطان وطلبت منه معاقبة زعيم ومنعهم من التسوق في أسواق الرباط والدار البيضاء.

أما السلطان مولاي عبد الحفيظ فقد حورب بهذه القضية وهو في وضع لا يحسد عليه. لقد كان يعيش أزمة مالية حادة ويرغب في تنظيم جيش قادر على بسط سيطرة المخزن. لكن الفرنسيين كانوا يخططون لإضعافه فافتعلوا قضية زعيم بهدف المزيد من الاحتلال.

والواقع أن السلطان قد استاء من الحادث ورأى فيه تصعيداً من جانب المحتلين لا مبرر له إلا الضغط عليه. كما رأى في إثارة ضجة حول ما وقع، برهاناً على سوء نية الحكومة الفرنسية ومخالفة أفعالها لأقوالها وتعهداتها. وهكذا اتهم السلطان العسكريين الفرنسيين بالتهور وحملهم مسؤولية الحادث. وطلب من الحكومة الفرنسية إصدار تعليماتها لضباط الاحتلال لكي لا يتسببوا في حوادث جديدة.

وأكد أن أي تحرك ضد زعيم معناه فتح لباب الفتن بالمغرب "مع أنه لولا مجاوزة أولئك العساكر حدودهم - يقول السلطان - لما وجد من يرومهم بسوء ولكنهم لما بدأوا بالعداء جنوا على أنفسهم عاقبتهم".

ويبدو أن موقف زعيم الراض للاحتلال وموقف السلطان الذي ندد بالعسكريين وحملهم المسؤولية، يبدو أن

ذلك دفع الأوساط الاستعمارية إلى تصعيد الأحداث داخل المغرب. وهكذا تولد عن مشروع معاقبة زعيم مشروع أخطر منه هو : تنظيم حملة عسكرية كبيرة لاحتلال فاس وإسكات السلطان ثم وضع زعيم وزمور بين كما شتي الاحتلال في الشرق والمغرب.

وبالفعل نظم الفرنسيون حملتهم حيث احتلوا فاس في ماي 1911، وبعد احتلال العاصمة توجهت الجيوش الفرنسية من الشرق ومن المغرب نحو زعيم في صيف 1911. وبذلك بدأت معارك المقاومة في هذه القبيلة التي أخضعت للاحتلال بالقوة سنة 1912.

وثائق خ.ح. : كناش رحلات السلطان مولاي الحسن : ابن أبي محلي، الإصليت، مخ : الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تر. محمد حجي، الأخضر غزال، ج. 1 : م. الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة، تح. العماري 1986 : أ. الناصري، الاستقصاء، 9 أجزاء : محمد بن عمر ابن سودة، قبيلة زعيم قديماً وحديثاً، جزء 1 : علال الحديمي، مقاومة قبائل زعيم للتدخل الفرنسي، 1906 - 1912 ضمن ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار، 1904 - 1956 : نشر المندوبية السامية للمقاومة، 1991 : قبائل زعيم والمخزن خلال القرن التاسع عشر، ضمن البادية المغربية عبر التاريخ، تنسيق إبراهيم بوطالب، نشر كلية الآداب بالرباط، ندوات ومناظرات، رقم 77 : أزمة أكادير، 1911، والعلاقات الألمانية الفرنسية المغربية، ضمن أعمال ندوة أكادير الكبرى، المحور التاريخي، نشر كلية الآداب أكادير، 1990، ص. 123 - 153.

Archives de guerre Vincennes, Paris, 1910 - 1911 ; Arch. des Aff. étrangères, Paris ; Quedenfeldt, *Division et repartition de la population berbère au Maroc*. Traduit de l'Allemand par H. Simon, Alger, 1904 ; Dr. Mauran, *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1909 ; Cicard, *L'organisation des Za'ers*, R.M.M., 1910 ; Document diplomatique français, *Aff. du Maroc*, 1910.

علال الحديمي

الزعيمي، أسرة تنتمي إلى الشرفاء الحسينيين، وهي موجودة في شتى أنحاء البلاد، في الرباط وفي مدينة مولاي إدريس زرهون وفي المغرب الشرقي في قبيلة بني خالد حيث تلقب عندهم بالشرفاء. ويقال إن لها وجوداً في مدينة أبي الجعد وفي نواح أخرى وما أورده ابن إبراهيم المراكشي في كتابه *الإعلام* (الجزء الثاني، ص 280) من كون أولاد زعيم بدكالة فهو يمكن أن يكون صحيحاً غير أن أولاد زعيم قبيل والزعيمين قبيل آخر لا علاقة بينهما إطلاقاً لأن الأخيرين شرفاء معروفون في شتى أنحاء المغرب ولهم شجرة أنسابهم وظهائرهم التي تثبت ذلك.

الزعيمي، أحمد بن محمد بن علي لا يعرف له إخوة أو أخوات، ولد بالرباط في العقد الثامن من القرن الثالث عشر (19 م) ربما يكون ميلاده بين سنتي 1270

تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بكوليج مولاي إدريس بفاس ثم دخل كلية الحقوق فحصل على تكوين أدبي واقتصادي و"أصبح رجلاً من صنف استثنائي بسعة ثقافته" كما قال عنه عميد كلية الآداب الأسبق شارل أندري جوليان مما أهله إلى تولي إدارة إحدى المؤسسات الكبرى في العاصمة العلمية وخلافة رئاسة الغرفة التجارية والاقتصادية إلى جانب اهتمامه بالتعليم ورئاسة جمعية قدماء تلاميذ الإدرسية قبل أن يصبح عضواً في الغرفة المغربية لمجلس شورى الحكومة في عهد الحماية.



عرف منذ حداثة بالحكمة والاعتزان والتفكير المتأن في القضايا المطروحة حول الشأن العام وبإتقانه للغتين العربية والفرنسية تحريراً وخطاباً وله بعض القصص والدراسات. كان عذب الحديث والبيان قوي الحجج والاقناع، حلو المعاشرة. وكان إلى جانب إخلاصه لوطنه وخاصة عنايته بالطلبة وأعدادهم للمستقبل، حر الفكر لا ينتمي إلى حزب أو حركة سياسية بعينها، ولكن لا تستغني إحداها عن مشورته. من ذلك إسهامه في تحرير وثيقة المطالبة بالاستقلال سنة 1944، وهو ما أشارت إليه الوثيقة وكان من أوائل الموقعين عليها في استهلالها ذكراً إسهام "بعض الشخصيات الحرة" هو والحمياني ختات وأحمد أبا حنيني، ومحمد العربي العلمي. وكان ممن اختيروا لتقديم الوثيقة إلى الإقامة العامة الفرنسية بالرباط يوم 11 يناير 1944. وقد توجه إلى ممثل فرنسا قائلاً: "إنني أقوم بأنبل عمل في حياتي وهو المطالبة إلى جانب إخواني باستقلال وطني". كان هذا الموقف سبباً في اعتقاله وحبسه مدة سنتين. ظل ثابت الجنان، متشبهاً بالمبادئ الوطنية شأنه شأن الرعيل الأول من أبناء جيله وأصدقائه كأحمد بناني وعبد الكبير بن حفيظ الفاسي. وكان ملكياً وفعالاً لجلالة محمد الخامس ومن جملة الذين ناضلوا في سبيل عودته إلى

و1275، تعلم على شيوخ وقته أمثال القاضي محمد بن إبراهيم والعالمين الحاج عمر عاشور وعلي دينية، وكان ذا حظ جيد واشتغل بالعدالة والتوثيق. اختير كاتباً من كتاب النائب السلطاني محمد بركاش، ثم استدعاه المخزن فاتخذته كاتباً من جملة كتبه واستخدمه أيضاً ببعض المراسي المغربية ثم عاد للتوظيف مع المخزن، وأخيراً رجع إلى الرباط فتعاطى خطة الشهادة، وكان من العدول المبرزين أيام القاضي محمد البربري والقاضي علي دينية إلى أن جاء القاضي أحمد بناني فأخره عن الشهادة، ويقال إن السبب في ذلك كون هذا العدل المبرز كان رجلاً رقيق المشاعر محباً للطرب وللعزف على آلة العود، مما يتبين منه أن سلوك القاضي معه فيه إجحاف وظلم.

توجه أحمد الزعيمي إلى الديار المقدسة للحج والعمرة سنة 1304 / 1887، تولى الخطابة في جامع مولاي سليمان. شهد له معاصروه ومن أتى بعدهم بعلو كعبه في اللغة والأدب والبلاغة والشعر وكان من خواص القاضي المكّي البطاوري له معه محاورات أدبية ومساجلات شعرية أثبتت في بعض كتب تراجم الرباطيين، ارتحل إلى فاس واكتسب شهرة في عالم الأدب ظل صداها متردداً بين المنتديات والمجالس، وترك عدة أشعار رقيقة وديواناً كاملاً في المديح النبوي. وفي أيام قضاء أبي حامد البطاوري رجع إلى خطة الشهادة وبقي فيها إلى أن أسندت إليه خطة القضاء بالدار البيضاء حيث ظل هناك خمس سنوات من 1325 إلى 1329 / 1907. ولم يكن قضاء الدار البيضاء في ذلك الوقت مستقلاً عن قضاء الرباط بمعنى أن قاضي الدار البيضاء كان ينوب عن قاضي الرباط في هذه المدينة. توفي بالدار البيضاء يوم 20 صفر 1329 / 20 فبراير 1911 إثر إراحته من خطة القضاء بها.

الزعيمي، محمد بن علي ورد اسمه سنة 1237 / 1822 ضمن أعيان الرباط الذين قدموا البيعة للسلطان الجديد مولاي عبد الرحمان بن هشام وأمضوها بتوقيعاتهم ولا نعلم شيئاً آخر عن هذه الشخصية سوى ما سجل عن سيدي العربي التهامي الرباطي بأن محمد بن علي الزعيمي ورد من الدار البيضاء وكان يعدل بها. أما موطنه الأول وأسرتة فلا علم لنا بهما.

م. دينية، مجالس، ص. 293. 298؛ م. بوجدار، الاغتباط، 55. 62؛ ع. الجزائري، من أعلام الفكر، ص. 14. 20؛ ع. بن إبراهيم، الإعلام، ج. 2، ص. 280.

عبد الإله الفاسي

الزغاري، محمد بن محمد الفاسي. شخصية من كبار رجال الدولة المخضرمين الذين قدّموا أجل الخدمات لبلادهم في عهد الحماية الفرنسية والعقد الأول من استقلال المغرب. ولد بفاس سنة 1320 / 1902.

عرشه بعد خلعه ونفيه من لدن السلطات الفرنسية فكان من الواجب الاستفادة من مؤهلاته وتجربته وحنكته عند حصول المغرب على الاستقلال : عُيِّن نائباً للوزير الأول في الحكومة الأولى ثم في عدة مناصب عليا منها إدارة مكتب الفوسفاط ثم بنك المغربي وصك النقود، ثم سفيراً بفرنسا. كما عاد فعين على رأس وزارة الدفاع الوطني والتنمية الاقتصادية ونائباً للوزير الأول مرة أخرى ثم عاد إلى محافظة بنك المغرب.

عرف بالأمانة والإخلاص في العمل الدائب من أجل الشأن العام والوفاء للعرش وللعاهلين محمد الخامس والحسن الثاني اللذين كانا يعتبرانه من الأوفياء الخالص ويكنان له المودة والتقدير.

توفي مساء يوم الثلاثاء ثالث وعشري قعدة عام 1388 / 11 فبراير 1969 بالرباط، ونقل إلى فاس فدفن بالقباب بروضة التازي وكان تشييع جنازته حافلاً وترك أحسن الذكر لدى الخاص والعام.

معرفة شخصية : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب، 9: 3408.

قاسم الزهيري

زغبوش، أسرة مكناسية عريقة، ورد ذكرها ضمن القبائل الأولى التي كانت تسكن موقع مكناس يوم كانت مازال حوائر. وقد أُنجبت عدداً من الفقهاء والرؤساء والصلحاء منذ عصر المرابطين والموحدين.

زغبوش، أحمد - الحُضْر بن محمد بن عبد القادر، مكناسي المولد والنشأة والأقبار، سليل عائلة عريقة مشهود لها بالولاية والصلاح والعلم، فهو حفيد الولي الصالح الشهير بسيدي مغيث (عبد المغيث).

لا يعرف ميلاده ولا لوفاته تاريخ، كما أن المصادر بما في ذلك الوثائق الجسسية وظهائر التوقير والإتحاف لا تتحدث عن مشايخة لكنها تجمع على تحلته بأوصاف عالية مثل : "فقيه عدل ثقة مبرز وقور، صالح... محمود الغريزة والطبع، معدود فيمن يترقب له للمعضلات الدفع، نبيه العقل وجيه في عهد الفضل..." (الإتحاف، 1: 334).

كانت له منزلة عظيمة لدى السلطان مولاي إسماعيل : "منظور إليه من الجلالة السلطانية الإسماعيلية بعين الإكبار، مسبول عليه من لدنها رداء الوقار والفخار..." (حوالة المساجد الصغار، 4: 205)، فتمتع بظهائر توقير تشهد بعلمه وصلاحه وأسرته وعلو مكانتها "اعتناء بقدره الذي سمت به رياسة أسلافه في أعلى المظاهر. ومشت بطرق العلم والعمل والمحبة في جانب الخلافة المؤيدة بالود الباطن والظاهر" (الإتحاف، 1: 334). بل كتب له

كتاباً بخط يده أعرب له فيه عما له من شرف المكانة لديه. وتمتع بنفس المكانة لدى السلطان مولاي زيدان بن إسماعيل الذي جدد له ظهائر التوقير.

زغبوش، أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن عبد المغيث، ولد بمكناس ونشأ بها وفيها أقيم "فقيه معظم، وجيه محترم، تقي زكي" (الإتحاف، 1: 298) نشأ في بيت أدب وعلم وتقوى وصلاح، تقلد عدة مناصب هامة أفراداً وجمعا منها خطة العدالة، حظي بمكانة عالية عند المولى إسماعيل فشملة بعنايته وحمله على كاهل المبرة والاحترام.

زغبوش، أحمد بن محمد بن حماد بن محمد، فقيه جليل تقي ورع، حافظ لكتاب الله تعالى كثير التلاوة له، ماهر مع ذلك في معرفة الهيئة والتعديل، أصيب بالعمى آخر عمره، فلما جاءته الموت تلا : "فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد"، فارتد إليه بصره (الروض الهتون، 52).

زغبوش، سهل بن القاسم بن عبد الله ولد بوادي آش حيث كان أبوه قاضيا. وصحبه إلى تاورا، عاد بعد وفاة والده إلى الأندلس وأواخر سنة 610 وذلك بسبب توالي أسباب الحراب على تاورا وغيرها من حوائر مكناسة، فولي بالأندلس قضاء مدن متعددة منها : رندة وأستجة كما ولي قضاء مدينة طنجة ثم مرسية إلى أن توفي. (الروض الهتون، 34).

ترك تقييدا منه نقل صاحب الروض الهتون الكثير من أخبار مكناسة ورجالاتها.

رقية بلمقدم

زغبوش، عبد الله بن محمد بن حماد المكناسي. قرأ في صغره بمدينة فاس في أواخر عصر المرابطين، ثم تأثر بدعاية الموحدين، ففضل ترك فاس والتحق بهم، وبمراكش انتظم في سلك طلبة الحضرة التي كانت تعتبر أعلى هيئة علمية رسمية، ودرس على بعض شيوخ الطلبة تأليف المهدي بن تومرت كابن الإشبيلي، كما أخذ عن عدد آخر من علماء مراكش.

كان من أهل المعرفة والنباهة، ومن المتحمسين لتراث المهدي بن تومرت، وكانت له عناية بتأليفه، وبمجموع كتاب أعز ما يطلب الذي أملاه الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي.

ويعتبر عبد الله بن زغبوش من القلائل الذين كتبوا عن ابن تومرت، حيث اجتهد في إثبات هدايته، فكتب في ذلك كتابا "استخرجه بالاستقراء من الكتاب العزيز، كان شيوخ طلبة الموحدين يسألون أبدا عن هذا الكتاب ويشنون عليه

وعلى صاحبه" ولم يكتب لهذا الكتاب أن يشتهر، لأنه اختفى على يد أحد طلبة الموحدين أيضا وهو الشيخ أبو إبراهيم إسماعيل بن محمد بن أيوب المصالي الذي ولي "عمل مكناسة، وكان متشعبا للمهدي حافظا لتأليفه، قائما على مذهبه، من طلبة الموحدين ومن زهادهم، وكان ناقدا عليهم غير راض عما ابتدعه، فألح في طلب هذا الكتاب حتى ظفر به فكان آخر العهد به" (الروض الهتون).

بقي عبد الله بن زغبوش بمراكش مدة ملازما لهيئة طلبة الحضر، إلى أن عينه الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن قاضيا بمدينة شاطبة وجزيرة شقر، واستقر بها طويلا، وكان قاضيا بها سنة 567، "ولما أسن رغب في استيطان بلده فأسعت رغبته، واستوطن داره بتاورا إلى أن مات سنة 594 في سن الثمانين" (الروض الهتون). لكن بعضا من ذريته فضلوا الاستقرار نهائيا بشرق الأندلس لأنهم كانت تربطهم بها قرابة من جهة الأم.

م. ابن غازي، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، الرباط، ص. 12: ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، دار المعرفة، ج 2، ص 305.

محمد المغراوي

زغبوش، عبد المغيث (سيدي مغيث) القرشي
الملقب بأبي الفضائل من أولياء مكناس الشهيدين، ضريحه قرب باب البرادعيين مزاراة مقصودة للتبرك إلى الوقت الحالي.

لا يعرف له تاريخ مولد ولا وفاة، استدل ابن زيدان على قدمه بوقوفه على عقد صدق لبعض عقبه مرفوع فيه نسبه إليه بتاريخ 11 ربيع الثاني 1217، يكون سيدي مغيث هو الجد الحادي عشر له.

ويصفه ابن زيدان بقوله: "فقيه عدل صالح، نبيه كامل ناصح، عابد سالك ناسك، متبرك به فالح، ذو مواهب سنية..." (الإتحاف، 4: 317) كما وقف على تحليته في بعض العقود القديمة بـ "الزكي العابد الناسك المجاهد، قدوة العباد، وعلم الزهاد، قطب العارفين، وغوث المستغيثين، من ظهرت بركاته وبانت مآثره وكراماته..." (الإتحاف، 4: 317).

زغبوش، القاسم بن عبد الله بن محمد. كان فقيها عالما، ولي القضاء بجهات متعددة من المغرب والأندلس (غرناطة)، ثم اعتزل وعاد إلى بلده تاورا سنة 597 حيث اقتصر على الاشتغال بالفلاحة إلى أن مات. (الروض الهتون، 34).

زغبوش، محمد بن حماد بن محمد فقيه جليل علامة
دراكة درس بمدينة قرطبة وغيرها وصحب جلة من أهل زمانه" (الروض الهتون، 32).

امتحنه والي المرابطين على مكناسة "يدر بن لجوط" مع سبعة من قرابته، حيث حبسهم في دار وجعل عليهم حرسا، ولم يزالوا محبوسين إلى أن أصبحوا مقتولين ذبحا، وفي الدار نقب يفضي إلى السور لعله كما قيل من فعل الوالي المرابطي. وسبب نكبتهم، هجرة عبد الله بن محمد بن حماد إلى الموحدين أثناء وجودهم بفاس حيث كان يدرس، وإكرامهم له وظهوره بمحلتهم أثناء حصارهم لمدينة مكناسة (540) فاتصل ذلك بالوالي فنكب والده وقرابته (انظر التفاصيل عند ابن غازي، الروض الهتون، 22).

رقية بلمقدم

زغراوي، محمد، مقارم ولد سنة 1921 بأولاد بويكر بناحية بركان إقليم وجدة.

شارك في النضال الوطني وفي العمل الفدائي في صفوف المقاومة السرية المغربية بمدينة الناظور والمنطقة الشمالية للمغرب تحت مسؤولية السيد مصطفى بوعونة.



كان معروفا بأنه مناضل نشيط في حزب الاستقلال منذ سنة 1946 الذي عليه القبض ثلاث مرات، سجن خلالها ثلاث مرات لمدة أربع سنوات متفرقة شارك في المظاهرات الوطنية الشهيرة بمدينة وجدة يوم 16 عشت 1953. وعندما ألقى عليه القبض للمرة الأخيرة، اشتشهد تحت التعذيب بمركز جنود الدرك الفرنسي بتافوغالت سنة 1955 / 1374. المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 401.284.

زغغفن ← أزغغفن

زغزاف، محمد 1945. 2001. اقترن اسم محمد زغزاف بتاريخ إبداعي خصب في مجال الكتابة السردية الحديثة بالمغرب والعالم العربي قصة ورواية، وبإيقاع متواصل ومنتظم وثري شكلا ورؤية وذخيرة.

ولد سنة 1945 بسوق أربعاء الغرب. امتهنت التدريس بالتعليم الثانوي بالدار البيضاء. وانضم عضواً باتحاد كتاب المغرب منذ يوليوز 1968. تعددت اهتماماته الأدبية وتوزعت بين كتابة القصة والرواية والترجمة. صدر له :



حوار في ليل متأخر (قصص) دمشق وزارة الثقافة

1970

المرأة والوردة (رواية) بيروت الدار المتحدة للنشر 1972

أرصفة وجدران (رواية) بغداد منشورات وزارة الإعلام

العراقية 1974

بيوت واطئة (قصص) الدار البيضاء دار النشر المغربية

1977

قبور في الماء (رواية) تونس الدار العربية للكتاب

1978

الأقوى (قصص) دمشق اتحاد كتاب العرب 1978

الأفعى والبحر (رواية) الدار البيضاء المطابع السريعة

1979

الشجرة المقدسة (قصص) بيروت دار الآداب 1980

غجر في الغاية (قصص) بيروت المؤسسة العربية

للدراسات والنشر 1982

بيضة الديك (رواية) الدار البيضاء منشورات الجامعة

1984

محاولة عيش (رواية) تونس الدار العربية للكتاب

1985

ملك الجن (قصص) الدار البيضاء إفريقيا الشرق 1988

الملاك الأبيض (قصص) القاهرة مطبوعات فصول 1988

الثعلب الذي يظهر ويختفي (رواية) الدار البيضاء

منشورات أوراق 1989

الحي الخلفي (رواية) منشورات عالم الصحافة 1992

العربة (قصص) منشورات عكاظ 1993

أفواه واسعة (رواية) الدار البيضاء مطبعة الجنوب

1998

هكذا، استطاع محمد زفزاف أن يكون مساهماً ومطوراً لأسلوب خاص في ابتداء الحكايات، فقد أتى إلى الكتابة بعد تجربة غنية في الحياة وقراءات خصبة للأدب الرفيعة أهلته ليكون أحد رموز أدبنا السردى المغربى والعربى الحديث والمعاصر.

لقد عرفت الكتابة السردية المغربية، على الأقل، منذ أواسط الستينيات اهتماماً ملحوظاً بسؤال الكتابة وابتكار أشكال من التعبير القصصي والروائي ذات صلة بالنسيج الثقافي والفكري وتوترات المرحلة الاجتماعية والسياسية. إن ما تراكم من نصوص قصصية وروائية خلال العقود التالية يفيد وعي الأديب المغربى بقيمة التخيل بوصفه أفقاً للمحتمل وسبيلاً للتعبير عن العلاقة بالعالم والأشياء وما يخترقها من أجواء وأحوال يعكسها الواقع المغربى والعربى بكل تعددته الثقافية والاجتماعية والسياسية. لأجل ذلك، يتصف التطور المتنامي الذي تعرفه الكتابة السردية بالمغرب، خلال العقدىن السالفين، بالتنوع على صعيد الأداء الفنى والتناول الشكلى؛ وتبدو مساهمة زفزاف فى هذا الإطار لافتة للنظر لما يميز عوالم قصصه ورواياته من حيث تجذرها فى عمق الواقع المغربى والعربى بكل اختلالاته وخبائته وتناقضاته وأحلامه.

يتسم أدب زفزاف بكتابة سردية ذات علامات مشيرة للاهتمام تعلن عن جملة من الإيحاءات تحتزنها عوالم تجرية ذاتية تستكين فى عمقها لقيم إنسانية أرحب وأشمل. هكذا، تحفل قصصه ورواياته بتشخيص للأحداث يبني السرد وفق أسلوب تصويرى يستمد من المشاهدات اليومية وسير شخصيات مألوفة وصرحة وصادقة فى أحاسيسها رغم فواجع الحرمان والتهميش الذى تعانىه؛ من هنا براعة وبلاغة السرد الأدبى عند زفزاف؛ وراء واقعية الحدث والموقف والسلوكات والعلاقات تكمن رمزية ساحرة وباروديا أسرة وسخرية هادفة. لذلك، يستثمر زفزاف مختلف أدوات الكتابة السردية لخلق وضعية وجودية تغدو، على صعيد التخيل، أفقاً ممكننا لقول الحقيقة وانتقاد الواقع القائم.

يستطيع محمد زفزاف، باقتدار وفتنة، أن ينقلك فى قصصه ورواياته إلى عالم حكاياتى على مسافة قريبة مما هو محيط بك من علاقات وفضاءات توهمك دوماً بلعبة البحث عن مطابقتها بالواقع الذى تحيا فيه، كأن الحكاية قطعة محذوفة منه أو مضافة إليه. ولذلك، لا تسرد أبطال قصصه ورواياته حكايات معتادة، لكنها تشهد لحظات من التغميب والتهميش التى اعتادت مواضع المجتمع إهمالها بالنية أو بدونها.

تبدو الحكاية فى "المرأة والوردة" و"قبور فى الماء" و"الثعلب الذى يظهر ويختفي" و"بيضة الديك" و"أفواه واسعة" وفى غيرها من النصوص، راغبة فى احتواء شساعة وضيق الأزمنة والأمكنة، إلا أنها تبدو مولعة أكثر بفهم

يكون مساهما ومطوراً لأسلوب خاص في كتابة السرد بالمغرب والعالم العربي بحس إبداعي مرهف ودال على حقيقة منشودة من أجلها كرس كتاباته : حقيقة أن يعيش الإنسان في عالم قاس ومعقد. ولذلك، لم يكن محمد زفزاف يشغل باله بالكتابة النظرية، كان فقط، ينصت - ويحسن الإنصات ؛ يتأمل - ويحسن التأمل - ثم يكتب : أي يخلق بعيدا في عالم رحب ظل ملاذه حتى في أعقد وأدق وأصعب لحظات حياته... عالم زوده بالصبر والإصرار على المقاومة وحب الحياة.

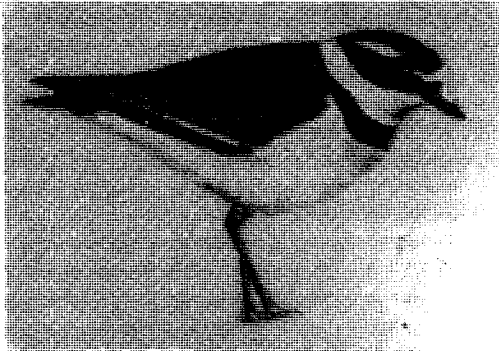
توفي بمصحة بالدار البيضاء يوم الجمعة 21 ربيع الثاني عام 13/1422 يوليوز 2001.

دليل الكتاب المغاربة، اتحاد كتاب المغرب، الرباط، 1993 ؛ معرفة شخصية.

عبد الفتاح الحجري

الزفزوف ← أزگار

الزقزاق أو أبو الرؤوس كما هو شائع في المعاجم، وسقاساق وتورم وقطقاط وأبو ظفر ورسول الغيث في مصر والسودان والشرق العربي، جنس طير من الفصيلة الزقزاقية Charadriidae ورتبة طوال الساق Charadriiformes، منه سبعة أنواع كلها من القواطع تشتو في المغرب وتألّف المناطق الرطبة والشواطئ البحرية وضاف الأنهار والبحيرات الساحلية والقارية. تتميز بمنقار قصير وبسرعة فائقة في المشي، كما أنها دائمة التحرك والتنقلات بما أدى إلى تسميتها بالزقزاق :



الزقزاق المطوق Charadrius hiaticula يسمى بالفرنسية Grand gravelot وGravelot à collier وبالإنجليزية Ringed Plover وبالإسبانية Chorlito grande وبالإيطالية Corriere grosso. تسميه العامة في لبنان وسوريا دمشق. الإناث شبيهة بالذكور، المنقار برتقالي قصير وقوي ينتهي برأس مستدق أسود. القوائم برتقالية مصفرة وقصيرة، ريشه أسود على قاعدة المنقار ثم أبيض متبوع بلفافة

قيم وسلوكات وعلاقات مكشوفة ليس بالإمكان إخفاؤها أو نسيانها.

لا مجال للهديان في حكايات زفزاف، ثمة فقط سحر التجربة ولحظات من الأحاسيس المرهفة ترددها أصداء النصوص بقوة وتفرد.

هكذا، تعبر كل شخصية من الشخصيات الروائية والقصصية عن مصيرها بجرأة وكرامة أيضا. إنها شخصيات تحاول تبديد العتمة المحيطة بها، تحيا الحب والأمل ببساطة وألفة وسط أوضاع الزيف السائدة.

ويبدو العالم الروائي والقصصي عند زفزاف قريبا من المألوف واليومي، مادته الخام سخرية عميقة تلتقط التفاصيل وتنظم صيغ الكلام بانتقاد هذا الوعي أو ذاك، وتحريه من الضياع الاجتماعي وحتى الايديولوجي.

بهذا القصد وبغيره، يغدو سؤال الكتابة لدى زفزاف حريصا على اكتشاف تجليات الحياة اليومية "بواقعية" أدبية لا تلغي إحياءات التخيل وتلويناته. وتستمد تشخيصات الواقعية إمكاناتها من خصوصية المنجز النصي الذي يركز على ما يلي من عناصر وأفكار :

أ - منح النص إمكانية تنوع محتمله الحكائي إظهارا لهموم النفس واستبطانا لصوتها الداخلي الملازم لعبثية الأقدار ومثاتها (المرأة والوردة).

ب - انفتاح النص على تلميحَات تنقل تفاصيل الأفعال والأقوال، مثلما تنقل تقاطعات الأزمنة والأمكنة دفاعا عن قيم نبيلة تخرج الأحلام من دائرة الإحباط وقمع السلطة ومرارة الفشل (قبور في الماء).

ج - غياب البطل عن النصوص الحكائية لزفزاف وحضور الإنسان في مواجهة اليومي والطارئ والمتردّي (الثعلب الذي يظهر ويختفي).

د - استيعاب واقعية الحكاية عند زفزاف قدرة متفردة على تركيب أساليب السرد بتوزيعات من الكلام اليومي اللاذع (الأفمى والبحر).

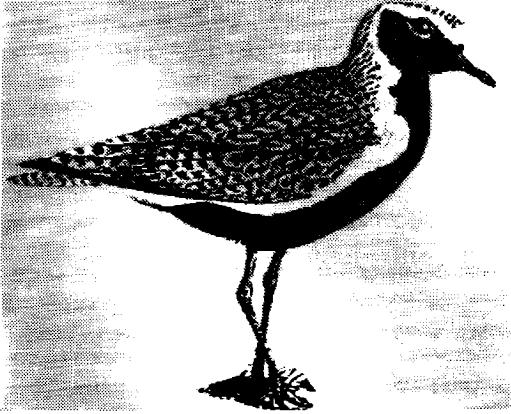
هـ - إيمان شخصيات زفزاف القصصية والروائية بالمكتوب والقدر القاهر، كما تؤمن بالأمل الذي يخلصها من جهامة المصير (بيضة الديك).

و - تحرر واقعية السرد عند زفزاف من المحاكاة الباردة للواقع وكشفها، بالمقابل، عن موضوع حكاياتي تخييلي يقاوم الوعي المغلوط والمعتقد الذي يسلب الإنسان حريته في التفكير والوجد (أفواه واسعة).

هذه اعتبارات تجعل كتابته السردية محكمة الصنع وذات تنوعات دلالية متماسكة في تشكيل اللوحات الحكائية : تنتقل من المألوف واليومي إلى الاستبطاني والتأملي. كتابة محمد زفزاف تكشف أكثر مما تصف، تجهز أكثر مما تهمس. إنها مرآة عاكسة لشروح الواقع وسحر التخيل.

بكل هذه المعاني، استطاع الأديب محمد زفزاف أن

سوداء، يحمل الصدر بقعة من الريش الأسود على كل جانب توحى بشكل طوق غير مكتمل. يظهر على جناحيه خط أبيض عند الطيران. يألف المناطق الساحلية الرملية والغنية بالحصى. يشتهر في أغلب المناطق الإفريقية والآسيوية ويتوالد في سواحل إفريقيا الشمالية وأوروبا الجنوبية وآسيا الوسطى الغربية (منذ إيران إلى المغرب). منه عدة آلاف تأتي إلى المغرب عبر مضيق جبل طارق تنضم إلى عدة مجموعات شبه مستقرة في المغرب تقوم بتنقلات موسمية نحو الجنوب بحثا عن الأكل وتتوالد على ضفاف الشواطئ الساحلية المغربية. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 24. 26 يوما ويبلغ طول قطره 24×3.3 سم. شائع في الخريف والشتاء على ضفاف البحيرات القارية والساحلية ومصبات الأنهار والسدود.



الزقزاق الذهبي *Pluvialis paricaria* يسمى بالفرنسية *Pluvier doré* وبالإنجليزية *Golden plover* وبالإسبانية *Chorlito dorado* وبالإيطالية *Piviere dorato*. تسميه العامة في لبنان وسورب دمشق ذهبي. يبلغ طوله 19 سم من أكبر الزقزاق التي تعيش في المغرب، الذكور شبيهة بالإناث، ريشه على ظهره مبقع بالأصفر والأصفر الذهبي، ريش العنق والصدر والبطن أسود داكن محفوف بلقافة من الريش الأبيض تمتد من الرأس إلى الذيل، المنقار والقوائم رمادية. يألف المناطق الساحلية الرملية والغنية بالحصى. يشتهر في سواحل إفريقيا الشمالية والشرق الأوسط وأوروبا الجنوبية والوسطى ويتوالد في سواحل أوروبا الشمالية. منه عدة آلاف لأفراد تأتي إلى المغرب عبر مضيق جبل طارق ولا تتعدى منطقة سوس بجنوب المغرب. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 26. 28 يوما ويبلغ طول قطره 24. 26 سم. تفارق الصغار الأبوين بعد شهر من التفقيس. شائع في بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام وسيدي بوغابة وتونيدية وسيدي موسى ومصبات الأنهار والسدود.

الزقزاق الرمادي *Pluvialis dominica* يسمى بالفرنسية *Pluvier argenté* وبالإنجليزية *Grey plover* وبالإسبانية *Chorlito asiático* وبالإيطالية *Piviere asiatico*. يبلغ طوله 28 سم ويعد من أكبر الزقزاق التي تعيش في المغرب،

سوداء تحيط بالعينين، الصدر مطوق بلقافة سوداء. ريش الظهر بني رمادي والجناحان محفوفان بريش أسود ويشتملان على لقافة بيضاء تظهر فوقه عند الطيران. يبلغ طول الجسم 19 سم. يعيش في مجموعات متعددة الأفراد ويتميز بسرعة كبيرة في المشي. عدة مجموعات تحصى بالآلاف الأفراد تأتي من أوروبا عبر مضيق جبل طارق لتشتو في المغرب من شتنبر إلى مارس، وذلك في مختلف المناطق الرطبة الساحلية. يتوالد في أوروبا الشمالية بين مايو ويوليوز. ينصب العش بين الرمال الشاطئية وعلى ضفاف الأنهار. تبيض الإناث عادة 3. 4 بيضات بيضوية الشكل مصفرة رمادية منقطة بالأسود، يبلغ طول قطرها 2.5×3.5 سم. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين بين 22. 27 يوما. تغادر الصغار العش مباشرة بعد التفقيس وتحسن الطيران بعد ثلاثة أسابيع. يتغذى من العناكب والحشرات والقشريات الصغيرة والقواقع والديدان يبحث عنها على ضفاف شواطئ البحيرات الساحلية والقارية وفي مصبات الأنهار. يعود إلى أوروبا في أواخر الربيع ليتوالد. يعيش أيضاً في المناطق الساحلية الأوروبية والآسيوية وفي كل مناطق حوض البحر المتوسط. شائع في مختلف المناطق المغربية الرطبة الساحلية منذ بداية الخريف إلى بداية الربيع : بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام وسيدي بوغابة والوليدية وسيدي موسى ومصبات الأنهار والسدود.

الزقزاق الصغير *Charadrius dubius* يسمى بالفرنسية *Petit gravelot* وبالإنجليزية *Little ringed plover* وبالإسبانية *Chorlito chico* وبالإيطالية *Corriere piccolo*. تسميه العامة في لبنان وسوريا "دمشق" و"أبا الرؤوس". يبلغ طوله 15 سم، المنقار والقوائم مصفرة شاحبة، يحمل الرأس والعنق خطوطاً عريضة متتالية من الريش الأبيض والأسود. جناحاه لا يحملان الخط الأبيض. يألف المناطق الساحلية الرملية والوحلية والغنية بالحصى. يشتهر في أغلب المناطق الإفريقية والآسيوية ويتوالد في شمال إفريقيا وفي أوروبا وآسيا. منه عدة آلاف الأفراد تأتي إلى المغرب في الشتاء عبر مضيق جبل طارق تنضم إلى عدة مجموعات شبه مستقرة في المغرب تقوم بتنقلات موسمية نحو الجنوب بحثا عن الأكل وتتوالد على ضفاف الشواطئ الساحلية المغربية. نمط عيشه شبيه بنمط عيش الزقزاق المتطوق السابق الذكر. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 24. 26 يوما ويبلغ طول قطره 22×3 سم. شائع في بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام وسيدي بوغابة والوليدية وسيدي موسى ومصبات الأنهار وبعض السدود.

الزقزاق الإسكندري *Charadrius alexandrinus* يسمى بالفرنسية *Gravelot à collier interrompu* وبالإنجليزية *Kentish plover* وبالإسبانية *Chorlito pantinegro* وبالإيطالية *Fratino*. تسميه العامة في لبنان وسوريا دمشق والزقزاق في المغرب. يبلغ طوله 16 سم، المنقار والقوائم

منه عدة مئات الزوجات تأتي إلى المغرب عبر مضيق جبل طارق لتقضي فصل الشتاء وتوزع على طول السواحل الأطلسية والمتوسطية. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 24-26 يوماً ويبلغ طول قطريه 29×3.9 سم. تفارق الصغار الأبوين بعد 4 أسابيع من التفقيس. شائع في بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام وبحيرة سيدي بوغابة والواليدية وسيدي موسى وخنفس وشم الداخلة ومصبات الأنهار وبعض البحيرات القارية والسدود الكبرى.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 : أمين المعلوف، معجم الحيوان، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britan and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris, 1977.

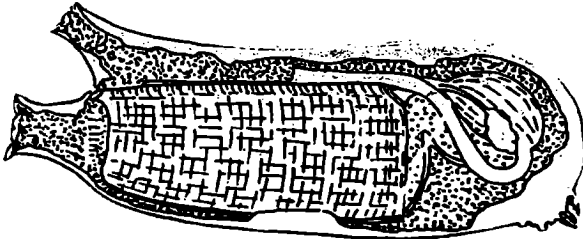
محمد رمضان

زق البحر، حيوان بحري رغم شكله الكيسي العادي

ورغم نمط عيشه البدائي لاصقاً على دعامة يتغذى على حيوانات صغيرة يمتصها من الماء. ورغم عدم وجود أي عنصر خارجي شبيه بالرأس، فإن زق البحر يعتبر من أكثر الحيوانات تطوراً حيث يصنف مع اللاقريات كالحشرات والنواعم الخ. بل مع الحلييات أي تلك التي لها جبل ظهري شبيه بالنخاع الشوكي كالإنسان.

تتميز هذه الحيوانات بتوفرها على كساء فريد من نوعه في عالم الحيوانات فهو يتكون من 60% من مادة تشبه ما يعرف بالسليولون عنه النباتات أما 40% الباقية فهي مكونة من 27% من المواد الأزوتية و13% من الأملاح المعدنية، إلا أن هذا الكساد يبقى شفافاً فيمكن في غالب الأحيان رؤية معظم الأجهزة والأعضاء الداخلية لزق البحر.

لزق البحر خياشيم بارزة بل هناك بلعوم تابع للجهاز الهضمي على شكل كبير وهو الذي يلعب في نفس الوقت دورين اثنين أولهما تصفية الماء من المواد العضوية التي يقتات عليها زق البحر والآخر امتصاص الأكسجين الذائب في الماء.



الذكور شبيهة بالإناث، ريشه على ظهره مبعق بالرمادي والأصفر رصاصي اللعنان، ريش العنق والصدر والبطن أسود داكن محفوف بلقافة من الريش الأبيض تمتد من الرأس إلى الذيل كما هو الشأن عند الزقواق الذهبي، يختلف عن هذا الأخير ببقعة من الريش الرمادي على إبط الجناحين تزه عند الطيران. المنقار والقوائم رمادية. يألف المناطق الساحلية الرملية والغنية بالحصى. يشتو في سواحل إفريقيا الشمالية والشرق الأوسط وأوروبا الجنوبية ويتوالد في سواحل أوروبا الشمالية الوسطى. منه عدة مئات الأفراد تأتي كل سنة إلى المغرب عبر مضيق جبل طارق لتشتو. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 23 يوماً ويبلغ طول قطريه 3.5×51 سم. تفارق الصغار الأبوين بعد 4 أسابيع من التفقيس. شائع في بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام والواليدية وسيدي موسى وخنفس والداخلة ومصبات الأنهار والسدود والبحيرات القارية.

الزقواق المغفل أو زقواق الألب Eudromias

morinellus Pluvier بالفرنسية

guignard وبالإنجليزية

Dotterel وبالإسبانية

Choeilto وبالإيطالية

carambolo. تسميه العامة

في لبنان وسوريا دمشق. يبلغ طوله 21-22 سم، الذكور أقل

حجماً من الإناث، المنقار داكن والقوائم صفراء مخضرة.

يختلف لون ريشه بين الصيف والشتاء. العنق أبيض

والصدر رمادي مفصول عن البطن بخط أبيض. البطن

أسود، جناحاه لا يحملان الخط الأبيض. يألف المناطق

الساحلية الرملية والوحلية. يشتو في أغلب مناطق إفريقية

الشمالية والشرق العربي وتركيا ويعود في أواخر الربيع

مباشرة إلى الدول الاسكندنافية ليتوالد في سواحلها. يقطع

مسافات طوال دون أن يستريح في أوروبا الجنوبية

والوسطى. منه عدة آلاف تأتي إلى المغرب عبر مضيق جبل

طارق ابتداءً من أكتوبر. يحضن البيض بالتناوب من طرف

الزوجين مدة 23 يوماً ويبلغ طول قطريه 2.9×4.4 . تفارق

الصغار الأبوين بعد 4 أسابيع من التفقيس. شائع في بحيرة

الناظور ومولاي بوسلهام والواليدية وسيدي موسى وخنفس

والداخلة ومصبات الأنهار والسدود والبحيرات القارية.

زقواق الماء أو قبرة الماء Arenaria interpres من فصيلة

سكولوباسيدي Scolopacidae، يسمى بالفرنسية

Turnestone وبالإنجليزية

Tourne-pierre à collier

وبالإسبانية

Vuelvepiedras وبالإيطالية

Voltapietre. تسميه العامة في لبنان وسوريا دمشق. يبلغ طوله 22-23

سم، الذكور شبيهة بالإناث، ريشه على ظهره أسود أشقر،

ريش العنق والصدر أسود داكن وريش البطن أبيض لامع،

المنقار أسود قصير وقوي، القوائم برتقالية حمراء. يألف

المناطق الساحلية الوحلية والرملية الغنية بالحصى. يشتو

في سواحل إفريقيا الشمالية والشرق الأوسط وأوروبا

الجنوبية والوسطى ويتوالد في سواحل الدول الاسكندنافية.

كل أنواع زق البحر تقريباً أحادية الجنس حيث إن نفس الفرد يحمل أعضاء تناسلية في نفس الوقت ذكورية وأنثوية. أما الحيوانات المنوية فكلها تلقى في الماء كما أن البويضات غالباً ما تلقى في الماء إلا أنه في بعض الأحيان يحتفظ ببعضها داخل الجسم. إذن فتلقيح البويضات يتم في الماء إلا في بعض الحالات حيث يتم تلقيحها داخل الجسم. ولزق البحر طريقة ثابتة للتكاثر وهي التبرعم. هناك في العالم ما يناهز 3000 نوع لزق البحر تعيش في كل بحار العالم من منطقة المد والجزر إلى أكبر الأعماق. إلا أنها وحسب العديد من التجارب فإنها لا تتحمل نقصاً في ملوحة الماء حيث إنه ليس هناك نوع واحد من تلك الحيوانات بإمكانه العيش في مياه تنقص ملوحة عن 15 غراماً في اللتر الواحد.

محمد منبوي

الزقاق، أسرة فاسية عالمة أصلها من الأندلس من قبيلة تـجـيـب العربية، عُرفت هنا وهناك بإتقان الفقه والنحو والأدب، واشتهر منهم الشاعر الكبير علي بن عطية ابن الزقاق البلنسي صاحب الديوان المطبوع، (ت. في حدود 530).

ولعل أول قادم منهم إلى فاس قاسم بن محمد بن مبارك الزقاق الأموي الإشبيلي في منتصف القرن السادس (12 م) تخرّج على يد كبار الأساتذة المقرئين وشيوخ العلم المشهورين بالأندلس في عصره. قال ابن القاضي في *المجذوة* (2: 513) : "نزل مدينة فاس وتصدر للإقراء، وأخذ الناس عنه، وكان مقرناً فاضلاً نحوياً حافظاً مسنداً، حدث عنه ابن خروف، وأبو المجد هذيل بن محمد، وأبو الصبر أيوب بن عبد الله، لقيته بسبسة سنة تسع وخمسين وخمسمئة، وتوفي بسلا بعد ذلك (بعد سنة 570 / 1175).

وعن شهرة الزقاقين بهذا اللقب، وجد بخط الفقيه علي ابن قاسم الزقاق : "حدثني بعض شيوخ قرابتي وهو موثوق به أن الزقاق ليس بنسب لصناعة، نعم كان جد والد الذي ذا مال، ولا يعيش له ذكر، فدل على أن يسكب زقاً من زيت على ما يتزايد من ذكر له يسخته به ثم يتصدق به ففعل، فعاش ذو الزق فاشتهر بذلك، فبقي في ذريته شهرة.

وتميز من الزقاقيين الفاسيين فقهاء كبار، كانوا في القرن العاشر (16 م) في نطاق المذهب المالكي صلة وصل بين الاجتهادات الأندلسية أو عمل أهل الأندلس، والاجتهادات المغربية المعروفة بالعمل الفاسي. كما عرف آل الزقاق الفقهاء بفاس بالعناية الفائقة بمختصر خليل حفظاً وفهماً وتدريساً "ولهم تقييد كثيرة وبه اعتناء كبير" (فهرس المنجور، ص. 57). قال في *الدر البهية* (2: 343) "ولم يبق الآن من أولاد الزقاق بفاس فيما أعلم إلا رجل واحد هو الآن ناوي بالسبيطرين قرب مسجد القرويين".

الزقاق، أحمد بن علي بن قاسم التجيبي الفاسي، درس على والده الإمام علي بن قاسم الزقاق التجيبي، وعلى الفقيه الكبير أحمد الونشريسي مؤلف المعيار، وعلى شيخ الجماعة محمد ابن غازي وغيرهم من أهل المغرب، ومن أهل المشرق أثناء رحلته إلى الحج، فقيه متمكن ملازم لإقراء مختصر خليل، وله عليه حاشية سماها *الدرر على المختصر* أو قريب من هذه التسمية. وقد عقب أحمد المنجور في فهرسه عند حديثه على هذه الحاشية بقوله : "قلت : ولم تظهر بعد موته عدا أنه دخل بيدي نحو ورقتين في القالب الثمني من حاشية عليه (المختصر) لأبي العباس هذا بخط يده مختصرة محققة". (فهرس المنجور، ص. 57).

وللمترجم له أيضاً شرح مختصر رشيق لمنظومة والده المعروفة *بالزقاقية وبالمنهج المنتخب إلى قواعد المذهب*، كتب منه نحو النصف ثم حال الموت دون إتمامه، وله تعليقات على *الرسالة، والمدونة*.

توفي بفاس عام 931 أو 932 / 1525 . 1526.

الزقاق، عبد الوهاب بن محمد بن علي التجيبي الفاسي. ولد سنة 905 / 1500 ودرس على كبار، شيوخ عصره، وفي مقدمتهم عمه أحمد الزقاق، وأحمد الحباك، والمحدث عبد الرحمن سقين، وأكثر قراءته على الامامين المقتيين علي بن هرون، وعبد الواحد الونشريسي. انقطع للتدريس بالقرويين، يحضر مجالسه كبار الطلبة، ومنهم أحمد المنجور الذي خصه بترجمة مطولة في فهرسه، وذكر ما قرأ عليه في الفقه والأصول وقواعد اللغة، والتفسير والتصوف، ووصف دروسه الثلاثية المتوالية التي يستهلها بتفسير القرآن الكريم "ينقل عنه من كلام ابن عطية، وكثيراً ما ينقل عن كلام ابن العربي في القانون ... وكان فصيح العبارة غزير الحفظ ويقرئ بعد فراغه من التفسير الرسالة ينزل على كلامها فروع خليل في المحل، ثم ينقل من كلام الشيخ ابن عباد على حكم ابن عطاء الله بلفظه لا يغادر منه حرفاً ولا يغيّره نحو نصف ورقة منه ولا يشتته عليه ما قرأ قبله من التفسير والفقه مع تطويله". وذكر قصة تدل على أنه كان يلقي هذه الدروس الثلاثة دوماً حاجة إلى مطالعة ومراجعة قال : "وهذا غاية الحفظ".

كان يسكن داراً بزقنة حجامة، متمتعاً بتقدير العامة والخاصة من أهل فاس، وملوكها الوطاسيين. ولما رجحت كفة السعديين واستولوا على معظم مناطق المغرب باستثناء فاس التي قنعت عليهم بسبب موقف الشيخين عبد الوهاب الزقاق وعبد الواحد الونشريسي اللذين أفتيا بعدم جواز مياعتهم لقيام بيعه الوطاسيين في الأعناق، فلما دخل السلطان محمد المهدي الشيخ إلى فاس. للمرة الثانية يوم السبت 24 شوال عام 961 / 22 شتنبر 1554 بعد قضائه على أبي حسون الوطاسي ومن معه من الأتراك، أمر بقتل عبد الوهاب الزقاق لأنه اتهمه بالميل إلى أبي حسون. ولما

مثل الزقاق بين يدي السلطان قال له : اختر بأي شيء تموت، فقال له الفقيه : اختر أنت لنفسك فإن المرء مقتول بما قتل به، فقال لهم السلطان : اقطعوا رأسه بشاقور. وتم قتله في شهر ذي القعدة عام 961 / أكتوبر 1554.

الزقاق، علي بن قاسم التجيبي الفاسي، وسماه في درة المجال علي بن محمد. أعلم فقهاء هذه الأسرة وأشهرهم. ولد ونشأ ودرس بفاس على كبار فقهاء عصره، وفي مقدمتهم الإمام محمد القوري، (ت. 872) وذهب إلى الأندلس قبل سقوط غرناطة بسنوات معدودات وقرأ على فقهاءها. وكبيرهم الإمام محمد المواق (ت. 897).

كان علي الزقاق خطيب جامع الأندلس بفاس، وبه يلقي دروسه وبجامع القرويين، كان رفيقاً لأحمد الونشريسي مؤلف المعيار الذي يدعو صاحبا، مواظبا على إلقاء مختصر خليل قيماً عليه حفظاً وفهماً، وكتب عليه شرحاً مفيداً وصل فيه إلى الحيض أو الأوقات وقطع الموت دون إتمامه، فأكماله ابنه أحمد سابق الترجمة. على أن أشهر مؤلفات علي الزقاق لاميته الفقهية المسماة : المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب، "وشرح منه أبياتاً كثيرة ما يقرب من الثمانين شرحاً محققاً مفيداً قطع الموت على إكماله" (فهرس المنجور، 57) ثم أعاد شرحه ابنه أحمد إلى نحو النصف ومات قبل إتمامه، فشرحه شرحاً مدققاً كاملاً تلميذه أحمد المنجور. ويعتبر المنهج المنتخب أصل الاجتهادات الفقهية بالمغرب المسماة بالعمل الفاسي بناء على ما تضمنه من عمل أهل الأندلس.

توفي بفاس عن سن عالية في 6 شوال عام 952 / 19 فبراير 1507.

الزقاق، محمد بن عبد الله التجيبي الفاسي. حلاه تلميذه المنجور في الفهرس بقوله : "الفقيه الأستاذ النحوي العروضي الفرضي الحاج الرحال". درس على شيوخ فاس في عصره، ولا سيما عبد الواحد الونشريسي، والأخوين المشنزينيين، محمد بن عبد الرحمن ابن إبراهيم وكان قارئه (الذي يسرد بين يديه) في المدونة والرسالة والمختصر، وأبي القاسم ابن إبراهيم قرأ عليه النحو وغيره. ورحل عام 948 أو 949 إلى المشرق فحج ولقي كبار الشيوخ وأخذ عنهم، مكث هناك أزيد من خمس عشرة سنة استوطن فيها مصر إلى أن توفي. ومن أكبر شيوخه فيها الإمام ناصر الدين اللقاني، وأخذ التصوف عن الشيخ محمد الداكر وتزوج بنته.

كان محمد الزقاق مدرساً نافعاً كثير التلاميذ سواء في المغرب أو في مصر، وذكر المنجور في الفهرس ما قرأه عليه: "ألفية ابن مالك... يقرئها إلقاء حسناً جيداً ينقل عليها المرادي ويستوفيه، ومغني اللبيب (لابن هشام).

وقرأت عليه بلفظي جملة وافرة من خرجية العروض وانتفعت به في ذلك كله".

توفي بالقاهرة سنة 968 / 1561.

أ. المنجور، فهرس المنجور، تح. م. حجي، الرباط، 1976 في مواضع متعددة ؛ أ. ابن القاضي، جذوة، الرباط، 1974 ؛ درة المجال، تح. م. الاحمدي، القاهرة، 1974 ؛ لقط الفرائد / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 2 ؛ م. ابن عسكر الشفشاوني، دوحه المناشر، تح. م. حجي، الرباط، 1976 ؛ أ. باب التنبكتي، نيل، بيروت، د. ت. ؛ أ. المقرئ، نفع الطيب، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968 ؛ ع. الكبير الفاسي، تذكرة المحسنين / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 2 ؛ إدريس الفضيلي، الدر البهية، تح. أحمد العلوي وآخر، المحمدية، 1999 ؛ م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 1300، ج 3 ؛ م. الحجوي، الفكر السامي، فاس، 1930، ج 4 ؛ ع. ابن سوادة، إزالة الالتباس، مرقون ؛ ع. القادر الصحراوي، جولات في تاريخ المغرب، الدار البيضاء، 1961.

محمد حجي

الزقوم، يطلق هذا اللفظ على عدة أنواع نباتية مشوكة، منها التي ذكرناها في مادة الدغموس (انظر دغموس)، ومنها التي ستتطرق لها هنا وهي شجرة تَيْشَطُ أو تُوكَّا أو بلح الصحراء أو تمر الغراب أو تَيْبُورَاق المسماة علمياً بِأَلَانَيْتَيْسُ إِيْجِيْبَيْسِيَاغَا Balanites aegyptiaca والمنتمة إلى فصيلة القديسيات Zygophyllaceae. ولا ندري إن كان الزقوم المذكور في القرآن الكريم ينطبق على هذا النوع. فالشجرة مازالت موجودة بشبه الجزيرة العربية، لكن ثمارها حلوة المذاق وليست مرة وتؤكل من طرف الإنسان.

تيشط جنبه أو شجرة قصيرة القامة لأن ارتفاعها لا يتجاوز 10 م. تاجها مستدير. قشرة جذعها مشققة وذات لون أسود. أغصانها مزودة بأشواك مستقيمة وطويلة قد يصل طولها 12 سم، خضراء اللون كما هو الشأن بالنسبة للأغصان الفتية لأن الشجرة تفقد أوراقها لمدة طويلة في السنة. أوراقها صغيرة، متقابلة، مركبة بوريقتين اثنتين. تظهر أزهارها ابتداء من شهر نونبر. ثمارها نوية وإهليلجية الشكل، خضراء اللون ثم صفراء تشبه البلح عند نضجها ما بين دجنبر ومارس.

تصادف الشجرة بالمناطق المدارية والصحراوية من المحيط الأطلسي إلى آسيا الصغرى مروراً بالصحراء المغربية حيث نجد تشكيلاتها ما بين فم الحصن وآسأ وجنوب هذه الأخيرة وفي الساقية الحمراء. يعيش النوع في تشكيلات نقية أو مختلطة مع أنواع الطلح (انظر طلح) فوق أترية رملية سميكة نسبياً، في الوديان الصحراوية. وذلك في المناطق القاحلة وفي الطابق تحت المتوسطي الدافئ بالمغرب.

بالإضافة إلى استعمال أوراق الشجرة وثمارها ولحاءها وأغصانها في عدة وصفات من التطبيب التقليدي، يستخدم خشبها الصلب والمتين لبعض الأغراض، وتستعمل سيقانها الفتية في عملية تنظيف الأسنان. كما تؤكل ثمارها (بلح الصحراء، قمر الغراب) من طرف الإنسان، وترعاها الحيوانات مثل الإبل والأغنام والمعز.

A Benabid. *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 2000 ;
J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997.

عبد المالك بنعيد

الزكرنسيون (Les Zegrenses)، يعد الجغرافي

بطليموس (Ptolemés) المؤلف الوحيد الذي ذكر الزكرنسيين ضمن "قبائل" موريطانيا الطنجية. وحدد مواطنهم جنوب السهل الأحمر (Campus Rufus)، عند خط طول 30° 9 وخط عرض 30°.

فما المقصود بالسهل الأحمر ؟

تتعدد الافتراضات وتباين تحديدات الباحثين. فهل السهل الأحمر هو الأراضي الحمراء الواقعة جنوب أم الربيع والتي توافق هضاب الرحامنة ؟ أم هل هو "البحيرة الحمراء" الواقعة قرب مراكش، والمحصورة بين نهر تانسيفت والأطلس الكبير في الأقليم الحالي لشيشاوة ؟ أم هل هو المنطقة المحصورة بين جنوب جبال الريف وسهل الغرب ؟

يبدو أن بطليموس - من خلال تحديده لمواقع "القبائل" المورية - كان يعتمد على نقل أسماء موضوعة على خريطة ينطلق فيها من الغرب إلى الشرق هذا من جهة، ومن جهة ثانية فاللائحة التي اعتمدها حول القبائل تقتصر فقط على ذكر "القبائل" التي تقع مجالاتها داخل ولاية موريطانيا الطنجية ؛ أو لها علاقة ما بالولاية إما سياسية أو عسكرية.

وعليه يجب أن نبحث عن مجال الزكرنسيين ضمن المجالات الواقعة تحت النفوذ الروماني، أو لها علاقة ما بمنطقة النفوذ الروماني. وليس في مجالات بعيدة قرب جبال الأطلس مثلا.

وليس من المستبعد أن يكون اسم الزكرنسيين مستمدا من الكلمة الأمازيغية "أزغر" التي تعني البقر أو البقرات بصورة عامة. فإذا كان اسم "القبيلة" بالفعل موافقا لهذا الافتراض، فهذا يعني أننا أمام "قبيلة" مورية تحمل هذا الاسم لأنها كانت تعتمد في غط عيشها على تربية البقر. كما أنه من المرجح أيضا أن اسم "القبيلة" قد يكون مشتقا من "أزغار" الذي يعني مجال الانتجاع في السهل خلال فصل الشتاء.

وسواء كان الاسم مشتقا من "أزغر" الذي يعني البقر أو "أزغار" الذي يعني مكان الانتجاع، فإن هذا يجعلنا أمام

"قبيلة" تعتمد في غط عيشها على تربية الماشية في مجال يضم منطقة جبلية، وأخرى سهلية.

وما يدعم هذه الأطروحة، أي كونهم كانوا مربى أبقار وأن مجالهم ربما امتد بين السفوح الجنوبية لجبال الريف والمجرى الأوسط لنهر سبو هو العثور على مجموعة من اللقى الأثرية (Vestiges) لها علاقة بهذه "القبيلة" في موقع بناصا الأثري (Banasa)، ومنها شاهد يحمل منحوتة تمثل الرب "كورزبل" الإله الموري الخاص بالبقرة. والكتابة الإيبغرافية بلوحة برونزية تعود للقرن الثاني الميلادي بنفس الموقع وقد عثر عليها خلال حفريات 1957. ويتضمن نص النقيشة معطيات متعلقة بمنح المواطنة لرعي "القبيلة" يوليانوس ولزوجته "زدينا" ولأبنائهم الأربعة، وحفدتهم كذلك.

وتتوزع النقيشة إلى ثلاث فقرات على النحو التالي :

- الفقرة الأولى تتضمن رسالة صادرة عن الإمبراطورين مارك أوريل (Marc Aurele) وقيروس (Verus) موجهة إلى برزقراؤور (Procurateur) (والي / نائب) موريطانيا الطنجية كوديوس ماكسموس (Cadius maximus) استجابة لطلب هذا الأخير، وذلك للموافقة على تسليم الجنسية الرومانية لعائلة زكرانسية تتكون من الأشخاص السابق ذكرهم : يوليانوس (Iulianus) وزوجته زدينا (Zidina) وأبنائهم الأربعة.

- الفقرة الثانية : عبارة عن رسالة ثانية في عهد مارك أوريل (Marc Aurele) وكومود (Commode)، قصد تسليم الجنسية الرومانية لزوجة يوليانوس الثاني (أي الابن)، وهي المسماة فگورة (Faggura) وأبنائها الأربعة. ولقد صار يوليانوس الثاني، في هذه الفترة، هو رئيس اتحاد "قبائل" الزكرانسيين.

- الفقرة الثالثة : تشير إلى المصادقة على تغيير جنسية هذه العائلة الأمازيغية من طرف مجلس روماني سام مكون من 12 شخصية. عرف باسم الكونسيليوم برانسيس (Consilium principis). وتمت المصادقة في 6 يوليوز 177 ميلادية.

يوليانوس الأول

زدينا

ديوجينيانوس ماكمنوس ماكسموس يوليانوس الثاني

فگورة

ديوجينياس يوليانوس الثالث ماكسيما يوليانا

يبدو أن القصد من نقيشة بناصا الأثري ذكر إخبار أبناء "قبيلة" الزكرنسيين الذين يترددون على المدينة بالتركيب الذي حصل عليه زعيمهم ؛ وفي نفس الوقت

1974, p. 175 - 186 ; A. Luquet, *Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc, région du Gharb, B.A.M.V.I.*, 1966 ; P. M. Morestin, *Le dieu au chef cornu de Banasa, H-T II*, fasc. 2 - 3, 1961, pp. 337 - 344 ; W. Seston et M. Euzennat, *La citoyenneté romaine au temps de Marc - Aurèle et de commande d'après la Tabula Banasitana*, C.R.A.I., 1961 ; ID, *Le dossier de la chancellerie romaine, la Tabula Banasitana, Etude de diplomatique*, C.R.A.I., 1971 ; R. Thouvenot, *Une colonie romaine de Maurétanie Tingitane, Valentia Banasa*, Paris, 1941.

مصطفى مولاي رشيد

ابن زكري، أسرة أندلسية هاجرت إلى فاس وتطوان وتلمسان قبل سقوط غرناطة وانتقل بعض أفرادها إلى العرائش ومراكز أخرى في الشمال. وفي كشاف أسماء عائلات تطوان أنه مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Cegri - Zegri. واشتهر منهم في تطوان فقيهان : أحمد ابن زكري، قائد عسكري شارك إلى جانب السلطان المخلوع محمد المتوكل السعدي في معركة خندق الريحان بالقرب من وادي الشراط يوم 13 ربيع الثاني عام 984 / 9 يوليوز 1576 حيث لقي حتفه ؛ ومحمد بن علي ابن زكري الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1285 إلى سنة 1295 / 1878.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان، والمراجع العربية والأجنبية في رقم 255.

S.I.H.M., France, 1 : 649 - 688.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن زكري، أحمد الفقيه المفتي. أقدم من تحدثت عنه المصادر من فقهاء هذه الأسرة إلا أنها لم تنسبه إلى فاس أو غيرها من المراكز التي وجد بها أبناء زكري الأندلسيون. وإن كان بعض الباحثين رجع نسبه إلى فاس. وابن زكري هذا معاصر للأمير الشريف علي ابن راشد مؤسس مدينة شفشاون وإمارة بني راشد التي امتد نفوذها إلى جبال غمارة وبلاد الهبط، التي اشتهرت بالجهاد ضد البرتغاليين المحتلين لسبتة وغيرها من الثغور الشمالية. ولما أبرم أحمد بن محمد الوطاسي (ت. 960 / 1552) الهدنة مع البرتغاليين للتفرغ لمواجهة السعديين، لم يعترف المجاهدون وأميرهم علي بن راشد بالهدنة وظلوا يهاجمون النصارى. فقام فقهاء البلاط يشنعون على المجاهدين عملهم بدعوى أن الجهاد لا يصح إلا مع السلطان وبإذنه. وفي هذا السياق طُرح سؤال على فقهاء المغرب عامة، ومنهم المترجم : "ما ترون في هذا الشريف القائم بأمر الجهاد الآن في المغرب الأقصى من سور سبتة وأحوازاها. فهل فعله اليوم جائز شرعاً لكون السلطان صالح المشركين" ؟ الجواهر المختارة.

وقد فنّد الفقهاء الأحرار رأي مانعي الجهاد. وسيستكرر الموقف بعد أزيد من قرن مع المجاهد العياشي السلوي ومناوئين شيعة للمتأخرين من السعديين.

دفعهم إلى قبول وجود الحكم الروماني. ولا يبدو معقولاً أن يكون زعيم الزغرنيين وعائلته يسكنان مع "قبيلتهم" قرب مدينة مراكش بينما العثور على كتابة تتعلق بهم على ضفاف نهر سيو. كان من السليم أن نعثر عليها مثلاً بموقع سلا الأقرب للجنوب.

وعليه، فيبدو أن "القبيلة" كانت تستوطن منطقة قريبة من بناصا. ونظراً لرغبة الرومان في استمالتها وجعلها "قبيلة" موالية لهم منحوا زعيمها المواطنة مع احتفاظه بكامل استقلالته وحقوقه داخل "قبيلته" وذلك حتى يؤثر عليها ويجعلها تسير في فلك الرومان.

وما يزكي هذا الطرح العثور على مؤشرات أثرية أخرى - غير التي ذكرنا - تعود للعهد الروماني وجدت بالمجالات المقترحة لامتداد نفوذ الزغرنيين. نذكر منها نقوداً من فاس البالي وعين مديونة قرب تاونات، ويقايا أبنية ما قبل إسلامية قرب هذين الموقعين، ومقابر أمازيغية غير بعيدة عنهما.

وفي حالة إذا بات بالإمكان توطين "قبيلة الزغرنيين" بشرق بناصا بالوادي الأعلى لنهر ورغة، وكذلك على المنحدرات الأولى لجبال الريف. فقد يبدو هذا التوطين محتملاً للمعطيات الأثرية السابقة الذكر.

وانفتاح الرومان على السكان المحليين لموريطانيا الطنجية يتزامن مع ظروف سياسية صعبة جداً، ذلك أن "القبائل" في أوسط القرن الثاني الميلادي، قاومت بشدة المواقع الرومانية وشكلت تهديداً واضحاً على الوجود الروماني، بل أكثر من ذلك فقد عبرت مضيق الأعمدة وهددت الرومان بجنوب إقليم البتيك (Bétique) حيث حاصرت ما بين 169 - 177 م بعض المدن الإسبانية، لا سيما إيطاليا وسانجيليا باربا (Singilia Barba)، وغالباً أن "قبيلة" الزغرنيين التي يفترض أنها كانت تقطن بالجنوب الغربي لسلسلة الريف، قد كان لها النصيب الأوفر في تهديد الكيان الروماني حتى بالجنوب الإيبيري، ومن الطبيعي "تجنيس" زعيمها واستمالاته لكسب وفائه هو وعائلته ولم لا باقي أفراد "قبيلته" !

مصطفى أعشى، العلاقات السياسية والعسكرية بين المور والرومان ما بين 144 و285، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، الرباط، 20 يونيو 1980، ص. 66. 107 : مصطفى مولاي رشيد، المغرب الأقصى عند الإغريق واللّاتين، الدار البيضاء، 1993 : نفسه، "مضيف الأعمدة والجوار الموري - الإيبيري حسب المصادر الأدبية القديمة"، وقفات في تاريخ المغرب، دراسات مهداة للأستاذ إبراهيم يوطالب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات 27، الدار البيضاء، 2001، ص. 267. 273.

G. Camps, *Les berbères, Mémoire et identité*, 2e éd., Paris, 1987 ; J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines dans l'antiquité classique à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; M. Euzennat, *Les voies romaines dans l'itinéraire d'Atonin, Hommage à A. Grenier*, Bruxelles, 1962 p. 595-610 ; Id, "Les Legrenses", *Mélanges W. Seston*, Paris,

توفي أحمد ابن زكري في النصف الثاني من القرن العاشر (16 م).

م. ابن عسكر، دوحه الناشر، الرباط، 1976، ص. 59. 60. ع.
العزير الزياتي، الجواهر المختارة، مخطوط : م. عمراني، الشرف
والمجتمع والسلطة السياسية، أطروحة مرقونة في كلية آداب
الرباط، 2001 : محمد البرتغالي الوطاسي، معلمة المغرب، 4 :
1142. 1141.

ابن زكري، محمد بن عبد الرحمن الفاسي، عالم
دراك مجتهد يتقن كثيراً من العلوم اللغوية والشرعية. أخذ
العلم عن مشيخة فاس، والتصوف عن شرفاء وزان، محمد
بن عبد الله الشريف، ثم ولده التهامي فولده محمد الطيب.
وصفه تلميذه عبد المجيد الزبادي المنالي بقوله : "الشيخ
الإمام الحبر الهمام، الثقة الحجة، السالك من مناهج الدين
أوضح محجة، الحافظ الضابط الثبت، الحسن النعت
والسمت، العلامة الفهامة الدراكة المشارك، الذي لم يعقه
عن الانفراد بدائرة وقته متدارك".

ألف كتباً كثيرة كان يبدو فيها متفتحاً معتدلاً غير
متقيد بما ألفه الناس من مسلمات قد تؤدي إلى التناقض
فيما قرره الإسلام من مبادئ كمالغة تفضيل العرب على
العجم التي تمس قضية المساواة بين المسلمين وذلك مثلاً في
همزته التي عارض بها همزية البوصيري، ولم يسايره في
بعض مبالغاته التي ترسخت في أذهان العامة والخاصة عن
حسن نية وبالع محبة في الجناب النبوي الشريف. وقد
توقف محمد بن الطيب القادري عند هذه النقطة في ترجمة
ابن زكري في نشر المثاني واستطرد صفحات كثيرة في الرد
على الشعوبية، وكان المترجم له منهم، بالرغم على ما سمعه
القادري من ثناء أشياخه المتعلمين على ابن زكري العالم
المحقق المدقق الصوفي. وقد ألف أحد علماء فاس وهو
أحمد بن عبد السلام بناني (ت. 1234 / 1818) كتاباً في
جزءين في الانتصار لابن زكري والرد على المتحاملين عليه
: تحلية الأذان والمسامع، بنصرة الشيخ ابن زكري العلامة
الجامع، وسماه أيضاً بأسماء أخرى على عادة بعض
المؤلفين.

من مؤلفات ابن زكري المطبوعة بالمغرب : الإلام
والإعلام بنفثة من بحورما تضمنته صلاة القطب مولانا عبد
السلام ابن مشيش (ط. حجر فاس عام 1316 هـ، 312
صفحة) ؛ حاشية على صحيح البخاري وبهامشه كتب
أخرى (ط حجر فاس د. ت. خمسة أجزاء) ؛ المهمات المفيدة
في شرح الفريدة : فريدة السيوطي في النحو (ط. حجر
فاس، 1319 هـ، جزآن) ؛ همزية في مدح الجناب النبوي
(ط. حجر فاس، 1330، 32 صفحة). ومن مؤلفاته التي
مازالت مخطوطة : تفسير مواضع من القرآن العظيم ؛
الفوائد المتبعة في العوائد المتبدعة ؛ وشرح النصيحة وشرح
النصيحة كلاهما للشيخ أحمد زروق ؛ وشرح الحكم لابن
عطاء الله ؛ وشرح الشمال المحمدية للترمذي ؛ حاشية على

توضيح ابن هشام ؛ وتقاييد في النحو والبيان والمنطق
والأصول والفقه والتصوف وأشعار كثيرة.

توفي بفاس ليلة الأربعاء 8 صفر عام 1144 / 22 غشت
1731. ودفن بدار بالدرب الطويل صارت بعد ذلك مقبرة.
م. ابن زكري نفسه، مؤلفاته المذكور لاسيما الهمزية وشرحها ؛ ع.
المجيد الزبادي، فهرس، مخطوط : م. القادري، التقاط الدرر ؛ نشر
المثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 5 : 2033 -
2044 ؛ أ. بناني، تحلية الأذان والمسامع، مخطوط : م. الحضيبي،
طبقات، تح. أ. يومزكو، مرقون ؛ م. ابن جعفر الكتاني،
الأزهار العاطرة الأنفاس، مخطوط ؛ سلوة الأنفاس، ط. حجر فاس،
1300 ؛ ج. 1 : 158 ؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء،
1955، ج. 8 : 83 ؛ م. مخلوف، شجرة النور، لبنان، د. ت. ص.
335 ؛ سركيس، م. كحالة، معجم المؤلفين، بيروت، 1957 ؛ ج.
10 : 140 ؛ إ. الإدريسي، معجم المطبوعات المغربية، سلا، 1988،
143 - 144.

ابن زكري، محمد العفضل بن عبد الغني الفاسي،
عالم محدث مشارك، صوفي ذاك ناسك، تخرج على يد
كبار مشيخة العلم بفاس في وقته كمحمد بن المدني گتون
وعبد المالك العلوي الضرير وأحمد ابن الحياض ومحمد بن
التهامي الوزاني ومحمد القادري وأحمد بناني وغيرهم.
ولم يكن يعقد مجالس عامة للتدريس، وإنما كان يشتغل
في البحث عن المراجع وسرد كتب الحديث مع جماعة خاصة
من أقرانه. قال عنه في سل النصال : "لا يعرف قيمته إلا
الخواص من الناحية العلمية والدينية. اجتمعت به مراراً
وتبركت به وذاكرته".

توفي في ثالث عشر جمادى الأولى عام 1352، ودفن
بالقياب.

ع. ابن سودة، إتخاف المطالع ؛ سل النصال / موسوعة
المغرب، بيروت، 1996، ج. 8 : 3021.

محمد بن

الزكريتي، محمد بن حموش مقاوم من مواليد سنة
1328/ 1910 بدوار زكريتين ملحقة اجدير إقليم تازة.
انضم إلى صفوف الثورة المغربية الريفية بقيادة البطل
عبد الكريم الخطابي وأصيب بجروح، كما كان من المؤسسين
لجيش التحرير سنة 1955 في كل من الناظور وقبيلة
اكزناية، حيث كان ينفذ التعليمات الحربية المسندة إليه بكل
شجاعة وإخلاص تحت قيادة أخيه الشهيد سيدي الحسن
الزكريتي الذي كان قائداً لفرقته ضمن صفوف جيش
التحرير.

توفي يوم الثلاثاء 29 جمادى الأولى عام 1416 / 24
أكتوبر 1995.

المدوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء
الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 524246.

زكرياء، أحمد بن زكرياء بن الحسين الباعمراني اشتهر باسم والده زكرياء. وتعجب صاحب المعسول من انتقال هذه الأسرة من البساط الفسيحة فكيغ إلى بعقيلة الضيفة، هذا وقد استجويت مترجمنا هذا فقال : أوكد لك عن عدم أي أثر يردنا إلى فكيغ اللهم إلا مالنا من أجسام كاملة طويلة على عكس البودرايين القصار هذا كلامه.

ولد المترجم سنة 1335 / 16 / 1917 وبعد نموذجاً للشخصية الباعمرانية، فقد نشر المعرفة هناك وبث روح المقاومة الوطنية في تلاميذه وكان دائما في المقدمة، وبما أنني من تلاميذه فمن الواجب علي أن أشير إلى ما قيل فيه من خير وإكبار وإشادة بمكانته.

قال عنه صاحب المعسول : "هذا هو الذي إليه يساق الحديث، وبسببه ذكرنا جميع من في هذه الأسرة المباركة". حفظ القرآن في زاوية سيدي سليمان على يد أحمد الباعمراني من قبيلة إيمستيتن ثم التحق بالمدرسة العلمية (الجمعة) بقبيلة أيت عبلأ الباعمرانية عند سيدي محمد بن عبد الله أولكوش، ومن هناك إلى مدرسة تانالت عند سيدي الحاج الحبيب البوشوري سنة 1354 ثم التحق بزواية - إلغ - الدرقاوية عند الشيخ المدني، ومن إلغ إلى مدرسة إيفيغلال عند الحاج مسعود الوفقاوي إلى سنة 1361 ثم انتقل إلى فاس فأخذ عن جلة علماء فاس. وهكذا جال في معظم المدارس العلمية بسوس، وأخذ عن كبار أساتذتها، وكان ولاشك سمع قوله الشيخ بلقاسم من - تيفنوت - عند ما قال لبعض المحصلين من تلاميذه : ها أنت تعلمت العلوم وأتقنتها، فإذهب إلى فاس لتتعلم العبارة (المعسول، ج. 10، ص. 250).

شارط الأستاذ زكرياء في عدة مدارس علمية وتخرج على يده كثير من أطر الدولة حاليا ومن تلك المدارس مدرسة - بوكرفا - حتى تعرض فيها لمضايقة الاستعمار الإسباني، ثم شارط في مدرسة أيت بوبكر حيث كان يقصده الهاربون من فدائيي الدار البيضاء، ثم في مدرسة سيدي سليمان، وأخيراً صار أستاذاً في المعهد الإسلامي بتارودانت إلى أن بلغ سن التقاعد.

كان يكره الظلم بقدرما يكره الاستعمار، وكانت دروسه لا تخلو من الشحنة الوطنية، لذلك انضم إلى قادة أيت باعمران وشيوخهم عندما استنكروا الحالة المدنية لأيت باعمران وفيها الجنسية الإسبانية (الصبرانية) فأقام كل أمغار - تبريحا - يسوقه يتبرأون من الجنسية الإسبانية، فكان رد إسبانيا هو القبض على الزعماء وعلى رأسهم مترجمنا هذا، وذلك سنة 1366 فسجنوا في الداخلة بالصحراء المغربية لمدة سنتين ونصف.

وساهم في المقاومة السرية بالدار البيضاء صحبة الشاويش أحمد الباعمراني وعلي الخمسي الباعمراني ثم ساهمنا في تكوين فرقة أخرى في خربكة تحت يد سعيد بن

المعلم مبارك الباعمراني ومعنا عبد العزيز الماسي (المعسول، ج. 10، ص. 263).

وكانت مدرسة أيت بوبكر هي مقصد الفدائيين حيث مترجمنا هذا ومنها إلى مدينة سيدي إفني.

وعند رجوع الملك محمد الخامس سُمح في إفني بالاحتفال للأجثين دون الباعمرانيين، ولما فرض أيت باعمران احتفالهم بالقوة قبض على المتزعمين ومنهم مترجمنا هذا ونقلوا إلى الداخلة لمدة أكثر من خمسة شهور، كان مترجمنا هو الذي تولى الخطاب باسم وفد أيت باعمران بالرباط سنة 1376 / 1956.

وبما أن الحكومة المغربية لم تسرع إلى تسلّم السلطة في أيت باعمران فإن المقاومة الشعبية بدأت من جديد فاعتقل مترجمنا هذا ونقل إلى السجن بالجزر الخالدات لمدة مائة يوم، ولما أطلق سراحه صادق من جديد الثورة التحررية لأيت باعمران ضد الاسبان في 24 نوفمبر 1957 فكان مترجمنا هذا ممن يشجع ويبحث عن تومين المجاهدين، كما تفرغ لتكوين الشباب ثقافيا بالمعهد الإسلامي بتارودانت.

تنبأ له صاحب المعسول منذ كان في الغ بقوله "لهذا الأديب الكبير ربيب المدرسة الإلغية آثار أدبية لا بأس بها، وذلك سنة 1356. قال عنه المرحوم حمدي أنوش "حرم مترجمتنا من زيارة أهله وهو طالب بتنالت سنة 1935 ولاشك أن هذا الحادث له وقع كبير في مسيرته التضالية..." وأضيف هنا حتى الأدبية وقد جُمع له حتى الآن 3100 بيت كموضوع لدكتوراه لدولة.

وقال عنه اليزيد الراضي : "ونذر نفسه لخدمة الأجيال الصاعدة وتكوينها تكوينا متينا سليما، ينسجم مع هويتنا الحضارية ومبادئنا الدينية وتطلعاتنا المستقبلية".

وقال عنه أحمد أبو القاسم : "انخرط في ثورة الشعر المتأججة ضد الاستعمارين، فلم يبق له وقت لممارسة الإبداع، بل صرف كل جهوده للمشاركة في تنظيم وتسيير حركات المقاومة المغربية".

هذا وقد أقيم تكريم للمترجم من طرف جمعية أيت باعمران للتنمية بمدينة سيدي إفني يوم 13 نونبر 1994.

وتوفي يوم 29 جمادى الثانية عام 1416 / 23 نونبر 1995.

م. المختار السوسي، المعسول، ج. 10، ص. 241 : الإلغيات، تكريم الأستاذ أحمد زكرياء من طرف جمعية أيت باعمران للتنمية، عروض وشهادات، ص. 27.

الحسين جهادي

زگزول، اسم لأهم أنهار سهل تريفة شمال سلسلة جبال

بني ازناسن بالمغرب الشرقي. والظاهرة الغربية التي يتميز بها أن عيونها تتفجر بالعدوة الجنوبية بطيبة كبرى تقع أسفل الجبال المذكورة من الجهة المذكورة ثم تتجمع عند وهدي

تقعري يكسو سربه تركيب مختلط بين الأتربة الطينية ومسطح من الكلس. ويمر الوادي عبر خنك، أي خانق، يبلغ عمقه زهاء 700م، تحت الجبال، قبل أن يطل من إبط بركان. ومن غرائب الطبيعة هناك أيضاً، أن الخنك المذكور تعلوه طبقتان مسطحتان، احدهما على ارتفاع 800 م والثانية تتخللها قمم يتباين ارتفاعها من 1150 م إلى 1200 م، باستثناء قمة واحدة مرتفعة بنحو 1400 م. وتوجد بجوانبه خوانك كثيرة تحمل اسمه.

وتتميز الضفة الغربية لوادي زكزل بوجود عينين، عين أولول وعين الكرمة مما أثار الانتباه إلى ما قد يكون تحت سهل ارتفاعه وسهل انكاد من مياه جوفية، وفعلاً أكدت أعمال الحفر أن المنطقة غنية بتلك المياه، وقد تم اكتشافها على عمق 63 م، وشرع في استغلالها منذ عدة عقود. ويواصل زكزل مسيرته نحو الشمال حيث يصير اسمه واد الشرع الذي يصب في ملوية على نحو 30 كلم من البحر المتوسط.

وهناك جماعة قروية يخترق أرضها واد زكزل تسمى باسمه قاعدتها بلدة أكليم التي أصبحت بلدية بـ 8.000 من السكان، ومركزاً لدائرة عدد سكانها 76.000 نسمة، في حين تبلغ ساكنة الجماعة القروية 25.000 نسمة.

R. Raynal, *Plaines et piedmonts du bassin de la Moulouya (Maroc oriental)*, Rabat, 1961, pp. 166, 254 ; A. Stretta, *Amalat d'Oujda : la plaine des Triffa*, pp. 43, 45 ; L. Gentil, *Extrait du Bull. Soc. Geog.*, t. XXIII, jan. 1911, pp. 17 - 38 ; Ministère chargé de la population : Direction de la Statistique, *Recensement 1944*, Rabat.

أحمد بنجلون

الزكارة، قبيلة تقطن بجبل زكري الذي يبعد بحوالي خمسة وعشرين كيلومتراً جنوب غرب مدينة وجدة، وتنتشر في مجال يمتد من وادي إسلي إلى مشارف العيون الشرقية. ويعود أهلها في أصولهم إلى جهات مختلفة من بسط أنكاد ويني إزناسن وكرسيف وبدو وفكيك والصحراء، ويشغلون بالفلاح والرعي.

وستنحسب من تاريخ هذه القبيلة على إبراز الأثر البعيد الغور الذي خلفه انحراطها في سلك الحركة الصوفية التي تزعمها الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 931 / 1524) خلال الربع الأول من القرن العاشر (16م)، وثبات أهلها على المحبة في هذا الشيخ والتعلق بمذهبه وخدمة ضريحه وحفدته. وتأتي على رأس مهادت انتساب الزكراويين إلى الطريقة الراشدية مجاورة بلادهم للمنطقة الغربية من المغرب الأوسط التي شكلت مهد هذه الطريقة ومجال انتشارها في حياة الشيخ أحمد بن يوسف، والممتد من سهل شلف شرقاً إلى ندرومة غرباً ومن السواحل المطلة على البحر المتوسط شمالاً إلى تخوم الصحراء جنوباً. وقد أهلت هذه المتاخمة قبيلة الزكارة لتحتل قلب جغرافية الطريقة الراشدية في المغرب وتتصدر تاريخ حلقات

انتشارها به، إذ تأسست غالبية الطوائف والزوايا الراشدية المغربية الأولى في الناحيتين الشرقية والجنوبية من البلاد، مثل السهيلية والشيخية والكرزازية والصادقية والغازية وغيرها.

وتعتبر الرواية الشفوية الزكراوية عن هذا الامتياز، وتحدث بخير زيارة الشيخ الراشدي للزكراويين ونزوله بين ظهرانيهم، وهو خير لا سبيل إلى إثباته أو نفيه. والمؤكد هو طرؤه حفدة هذا الشيخ على الزكارة، قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1245 / 1830 ومن بعده، وانتظامهم في المجموعات المشكلة لها، وتفرعهم إلى عدد من فرقها، وتقاسمهم الرئاسة الروحية بها مع حفدة الشيخ عمر بن سليمان تلميذ الشيخ أحمد بن يوسف، ومؤسس الطائفة اليوسفية المتفرعة عن الراشدية. وتؤديها السيرة المفردة في الراشدي من قبل محمد الصباغ القلعي خلال العقد السادس من القرن العاشر (16 م)، وذلك فيما يتعلق بتأكيد اسم شيخ اليوسفيين، وجعله من أعلام الطبقة الراشدية الأولى، ومن كبار صحب الراشدي ومن المقربين من أتباعه، الذين كانوا يقضون الليل في بيته، وذلك في قرية مصراته المجاورة للقلعة من البلاد الراشدية. وتباین أخبار سيرة الشيخ عمر بن سليمان في الرواية الشفوية الزكراوية، نتيجة التعارض بين مروجيتها "أولاد الزروقي" المنتسبين إلى فرقة "أولاد سيدي أحمد بن يوسف" حفدة شيخ الطريقة الراشدية و"الرسم" حفدة شيخ الطائفة اليوسفية، وهما فرقتان زكراويتان متنافستان حباً في الرئاسة والاستظهار : وينسب الأولون الشيخ عمر بن سليمان إلى وطن بني راشد، ويقولون بنشوته على دين اليهودية، ويفخرون بإسلامه على يد جدهم، ويحملونه مسؤولية الانحراف الذي لحق بالطريقة الراشدية على يده، والمتمثل في دعوته إلى البدعة اليوسفية. ويقول الرسمىون إن هذا الشيخ جدهم الأعلى، ويرفعون نسبه إلى إدريس الأكبر، ويجعلون ضريحه بقصبة شراعة من قبيل تريفة، ويذكرون أنه قد بنى بإحدى بنات أو حفيدات شيخه أحمد بن يوسف.

وقبيلة الزكارة ليست الوطن الأصلي لعشيرة الرسمىين، الذين يزعمون أنهم خلف طائفة صوفية أندلسية ! ولا يعلم متى طرأوا على بني عتيق في بني إزناسن، واستقروا بالموضع المسمى تغاسروت، وهو الموضع المسمى اليوم تزغين قرب أبركان. ولم ينظر بنو عتيق بعين الرضى إلى هؤلاء الطارئین المنتحلين لمعتقدات أنكروها، وكافحهم وراموا استئصال شأفتهم. ولم تنج منهم إلا فئة قليلة فرت إلى فرقة أولاد محمد الزكراويين المنتسبين إلى الطائفة اليوسفية، والذين استضافوهم وأكرمهم، واتخذوهم متبوعين لاتصال نسبهم بمؤسس هذه الطائفة.

ولا يتفرد الزكراويون بإقرار الرسمىين على صلتهم الدينية والطينية بالشيخ عمر بن سليمان، بل يقطع بهذه الصلة أيضاً الغنائمة القاطنون بين مراكش وتامصلوحت في

مطلع القرن الرابع عشر (20 م)، وهم معدودون من جملة اليوسفيين. ويسوغ هذا التساؤل إذا ما كان موضع تزغين موطن استقرار عمر بن سليمان بعد خروجه عن شيخه أحمد بن يوسف، وهل هذا مسقط رأسه أيضا ووطن عشيرته؟ وهل شكل المجال الجغرافي الممتد من قسبة شراعة من قبيلة تريفة شمالاً إلى فرقة أولاد محمد من قبيلة الزكارة جنوباً، مروراً بهذا الموضع من بني عتيق، موقع تأسيس الزاوية اليوسفية الأم، ومجال نفوذها في حياة مؤسسها الشيخ عمر ابن سليمان؟

وهكذا يكون الزكراويون قد انتسبوا إلى الطريقة الراشدية من طريق الطائفة اليوسفية التي تأسست قريبا منهم، في حياة الشيخ أحمد بن يوسف، خلال الربع الأول من القرن العاشر (16 م)، وصاروا تابعين لأحد أعلام الطبقة الراشدية الأولى، وهو الشيخ عمر بن سليمان. وقد تفرعت الطريقة الراشدية بعد انتقالها إلى المغرب إلى اتجاهات متفقة في النسبة الزروقية - الشاذلية، ومختلفة في رؤاها الفكرية والمذهبية. وتزعمت الطائفة اليوسفية الاتجاه الذي تعلق بمذهب الشيخ أحمد بن يوسف، والمتصل بفكر أبي يزيد البسطامي (ت. 261 / 874)، والقائل بالإحسان بلا علل، والمحبة الخالصة، والتساهل في تحقيق خشية والرجاء. وقد بالغت الطائفة اليوسفية في التأسس بالطريقة الراشدية التي تسلت منها إلى درجة انتحال أحد أسمائها وهو اليوسفية، والتعفف عن اتخاذ اسم يخصها ويميزها عنها، وظلت تعرف بهذا الاسم طول القرن العاشر (16 م). وستدعى من بعده، وعلى مدى تاريخها الطويل والممتد من القرن العاشر (16 م) إلى القرن الرابع عشر (20 م)، بتسميات متعددة. منها ما ارتضاها أتباعها لأنفسهم كالأحمدية والملاينة نسبة إلى الشيخ أحمد بن يوسف وضريحه بمليانة، ومنها ما أطلقها خصومهم عليهم كالبيضاضة نسبة إلى إباضية مزاب بالمغرب الأوسط، والشراكة نسبة إلى القبائل التي انتقلت منه إلى المغرب الأقصى. والعكاكزة نسبة إلى العكاكز أحد شعارات الفقر، وهي التسمية التي اشتهرت بها هذه الطائفة أواخر الدولة السعدية وصدر الدولة العلوية، وطغت على كافة تسمياتها السابقة. هذا بالإضافة إلى القبائل التي ظلت على هذه النحلة الصوفية إلى مطلع القرن الرابع عشر (20 م)، والتي لم تعد تعرف إلا بأسمائها كالزكارة التي تهمننا وبني محسن والغنامة والملاينة.

ويعد المشرب الصوفي الذي كرع الزكراويون من حوضه من المشارب الصوفية غير المرغوب فيها من قبل غالبية مشايخ التصوف المغربي من أهل القرن العاشر (16 م)، الذين كانوا يرون فيه أصل شيوخ الفتن، والطريق المباشر إلى الانحراف، وكانوا يحذرون الناس من مشايخه، ويصرفونهم عن مصنفاته، ويقولون إنها تسد باب الفتح. فطوقت الطائفة اليوسفية بتهمة البدعة، وجوبت بالمكافحة

على عهد الوطاسيين والسعديين. وأفاد اليوسفيون من زمان الفترة الطويلة التي امتدت من وفاة السلطان أحمد المنصور (ت. 1012 / 1063) إلى قيام الدولة العلوية، وظهروا ظهوراً خطيراً. ونتوفر من تاريخ قبيلة الزكارة، خلال هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الطائفة اليوسفية بالمغرب، على الإشارة التي جاءت بكتاب "تبصرة الرئيس الأمين في ذكر شروط إمام المسلمين" للمؤلف المجهول الذي عاش بالمغرب أواخر الدولة السعدية، ورحلة أحمد الهشتوكي الحجازية التي تمت عام 1096 / 1684 وعنوانها "هداية الملك العلام"، وقوامها ذكر بني يعلى من بني يزناسن ضمن المواضع اليوسفية التي طبقت شهرتها آفاق المغرب على عهد الفترة من القرن الحادي عشر (17 م) وبنو يعلى المقصودون هم الساكنون في اجراة والراجعون لقبيلة الزكارة الكبرى، وأيضاً إختوتهم من بني عتيق الزناتيين اليزناسيين.

وحاكم السلطان مولاي رشيد اليوسفيين عام 1080 / 69 . 1670 واستتابهم، ونكبهم السلطان مولاي إسماعيل عام 1102 / 1691، وخرّب أنشط وأهم مواضعهم الواقعة بتادلا وزمور، ونفذ حكم الزندقة في مشايخهم، وبيد تراثهم، وفرق شمل عوامهم وأجلاهم عن مطاعنهم إلى حيث لا شيعه لهم، ونفاهم خلال القبائل التي لا تدين بنحلتهم، وقد أفادت قبيلة الزكارة من موقعها الجغرافي النائي عن السلطة المركزية والقريب من مراكز الطائفة اليوسفية والطريقة الراشدية في تزغين ومليانة، فنجت من هذه النكبة، وازدادت أهمية بعد نزوح الرسميين إليها من تزغين وهم حفدة شيخ اليوسفيين، وتكاثر بها حفدة شيخ الراشديين. حيث طرأت عليها فرقة جديدة منهم فارة في وجه الفرنسيين بعد احتلالهم للجزائر، وهي فرقة "أولاد الزروقي" التي انضافت لفرقة "أولاد الزناكي" المستقرة بالزكارة قبل القرن الثالث عشر (19 م). وهناك فرقة زكراوية ثالثة تدعي النسبة إلى طائفة "أولاد سيدي أحمد بن يوسف" وتدعى "الغواثة"، ولا تقرها الفرقتان السابقتان على ذلك، وتنسبناها إلى مؤذن وخديم جدهم الشيخ أحمد بن يوسف، وانتشر النفوذ الصوفي الزكراوي بعد تفرق الرسميين أيادي سبأ، وانتشارهم في القبائل التي ظلت على النحلة اليوسفية في بني محسن من قبيلة غيانة في ناحية تازة، والغنامة المستقرين بين مراكش وتامصلوحت، والملاينة المستوطنين سهل الغرب. وبدت الزكارة في مطلع القرن الرابع عشر (20 م) بمظهر الزاوية اليوسفية الأم، واعترفت لها القبائل المذكورة بالتبعية الروحية، وقصدتها بالزيارات ورفع الهدايا.

وإذ أذنت نكبة عام 1102 / 1691 لحرب اليوسفيين أن تضع أوزارها، ولأهل السنة أن ينصرفوا عن الاهتمام بهم بعد خضد شوكتهم، وللمصادر السنوية أن تسكت تماماً عن أخبارهم، حيث اعتور تاريخهم فتور لم ينشط من عقاله

أبد الدهر. فإن المجاورين والمخالطين للزكراويين لم يجنحوا إلى السلم، واستمروا على مكافحتهم لليوسفيين منهم. ونقصد بالمخالطين "أولاد الزروقي" المتنافسين مع إخوانهم "أولاد الزناكي"، والذين تسلحوا بصورة البدعة اليوسفية في خصومتهم معهم ومع شيعتهم الرسميين، واستخدموها كتهمة يلوحون بها ويهددون. ولا يستبعد أن تكون هذه أيضاً حال بعض المجموعات المكونة للقبيلة الزكراوية من غير اليوسفيين، أمثال "أولاد رباح" و"المحافظ".

وتتلخص صورة البدعة الزكراوية المروجة من قبل الخصوم في غلو الزكراويين اليوسفيين في محبة الشيخ أحمد بن يوسف وتفضيله عن الرسول (ص)، وجريهم على سائر سلفهم في إنكار نبوته (ص)، والجرأة على الاستخفاف به (ص). وفي تعدد مظاهر إباحتهم، من تعطيلهم أركان الإسلام الخمسة، ورفضهم الضحية وتفضيل الميتة عليها، واستحلالهم أكل الخنزير، وارتكابهم المحارم واشتراكهم في النساء في ليلة معلومة تدعى ليلة الخلطة أو الغلطة، وعقدهم القران بين الرضيع والبالغة وتفككه رسمتهم بالأبكار. وتتصل صورة البدعة الزكراوية هاته بالصورة التي رسمها أهل السنة لليوسفيين خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16 و 17 م)، وقصدوا بها إلى كافة المغاربة تحذيراً لهم من انطلاء ناموسهم عليهم، وإلى ولاة الوقت انتهازاً لهم لإطفاء شرهم ووضع الحكم الشرعي فيهم. وهي صورة غريبة عن المنطلق الحقيقي والمصدر التاريخي للنحلة اليوسفية وهي الطريقة الراشدية، وهي بداية هذه البدعة في المصادر السننية. أما متوسطها ونهايتها وقوامها الغلو والإباحة فلا يمتان إلى الواقع بصله، ويؤولان إلى تاريخ الخيالات والذهنيات، ويتصلان بالتهم المتواترة كونياً، ومنذ أقدم العصور، والملفقة للخصوم في المذهب والدين.

وهكذا تلازم ثبات الزكراويين على النسبة اليوسفية مع إصرار واستمرار مجاورهم ومخالطهم على مكافحتهم والتصديق عليهم، وذلك في إطار قطيعة تامة مع تاريخ هؤلاء وأولئك. وقد نتجت هذه القطيعة عن الفجوة التي حدثت في تاريخ الطائفة اليوسفية، والتي أعقبت نكبة عام 1102 / 1691 واستغرقت القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 و 19 م) بأكملها. ولم يعد الزكراويون يذكرون من تاريخ أسلافهم اليوسفيين شيئاً، ونسوا تماماً تاريخ الخلاف المذهبي الطويل الذي در قرنه بينهم وبين أهل السنة في إطار الإسلام والتصوف منذ أولية القرن العاشر (16 م)، ولم تخف حدته إلا في نهاية القرن الذي أعقبه، وهذه حال خصومهم أيضاً الذين يجهلون تاريخ المكافحة السننية التي عنها يصدر.

وفي خضم هذا النسيان الشامل للجذور التاريخية للخلاف الناشب بين الزكراويين وخصومهم طراً اهتمام جديد بأهل جبل زكري ونحلتهم، وانطلق من مدرسة الاستشراق

الفرنسي التي نشأت بالجزائر، والتي ما انفك علماءها منذ استقروا بهذه البلاد يسألون الناس ويبحثون في بطون الكتب عن إمكانية وجود قبيلة مغربية وأمازيغية بالأساس لا تدين بالإسلام. وكان يحلو لهم أن يظنوا أن قفار جنوب وشرق المغرب الشاسعة وكتلة الأطلس الهائلة لا زالت تأوي جماعات تحافظ على معتقدات جد يدائية ظلت مستعصية على الإسلام. وتسلط هذا الوسواس أكثر ما تسلط على Auguste Mouliéras أستاذ اللغة العربية بوهران، الذي بعث بمخبره الجزائري المتستر في مرقعة الفقر في ثلاث بعثات استكشافية إلى المغرب يبحث له عن ضالته المنشودة : قبيلة مغربية أمازيغية لا تدين بالإسلام. وكان مخبره المذكور يعود إليه في كل مرة بخفي حنين، إلى أن قاده إلحاحه إلى رجل من بني إزناسن أسر إليه بأن الزكراويين الزناتيين لا يدينون بالإسلام، وأن مجاورهم يرون أنهم على دين النصرانية، وعليه أن يحقق هل هم نصارى حقاً أم من عبدة الأوثان ؟

وفرغ Mouliéras بهذا "الاكتشاف" فرح الصائد بالقنص، واعتقد أنه اهتدى - حسب تعبيره - إلى العثة التي قطعت الطريق على القيل الذي هو الإسلام، والحطام الذي نجا وطفا على السطح بعد طوفان الإسلام الذي أغرق كل الأديان والشعوب التي تعاقبت وتوالت على المغرب ! وأخرج ما في جعبته في مقالات متسلسلات ثلاث جمعها في كتاب (1903 - 1905)، وأثار ذلك حين صدره ضجة عارمة، حاول البعض إخماد نارها، وسعى البعض إلى إذكاء أوارها. وكان له على هناته وسقطاته فضل لفت النظر إلى القبائل المغربية التي ظلت على النحلة اليوسفية إلى مطلع القرن الرابع عشر (20 م)، كما كان وراء إنتاج تراكم لا بأس به من الكتابات التي همت مختلف أوجه الحياة في قبيلة الزكارة.

ووضع Mouliéras يده على مظاهر الغلو والإباحة من النحلة الزكراوية، والمخالفة للإسلام المخالفة الصريحة، كيبغض الرسول (ص) ورفض المأمورات واقتحام المنهيات، وترك ما دون ذلك. وكذب كل الأخبار التي تهم اشتراك الزكراويين في النساء تكذيباً قاطعاً، ونسبها إلى كره المسلمين لهم لاستعصانهم - في نظره - عن الدين الحنيف. وجعلها مجرد أراجيف واقتراءات باطلة، واجتهد في دحضها متوسلاً بكل التأويلات الحسنة لها، ومستعيناً بكل الأساليب الساخرة تنكيتاً على مروجيها وتسفيهاً لهم.

ولم يكن Mouliéras من الأصل متحمساً إلى نسبة الزكراويين إلى المسيحية، لميوله الماسونية واستخفافه بالأديان السماوية. ورأى بأن نحلتهم موعلة في القدم، وترجع إلى عهود البدائية السحيقة. فالزكراويون - في نظره - لم يبروا لا بالمرحلة الأسطورية ولا الدينية، والعقيدة التي لا يزالون يحيون عليها حتى مطلع القرن العشرين إرث حي

ومباشر تخلف عن المجتمعات البدائية، واستمر خالصاً من كل شائبة، رغم تعاقب الأديان والمذاهب على الصقع المغربي قرابة ثلاثين قرناً. وظلت هذه العقيدة مرآة صافية تعكس العصور القديمة التي سبقت الأساطير والنواميس التي مهدت للأديان السماوية.

ولم يستقر Mouliéras على مذهب واحد بعينه في بحثه عن مصدر النحلة الزكراوية، وقال بجملته من الأصول فسر وأول بها تبعاً لنحلة الزكراوين : فبعد أن توهم في بادئ الأمر أنهم نصارى، رجح بأن عقيدتهم تأليهة خالصة أو ارتيائية. ولم يلبث أن جعلها وضعية بدائية، ثم عاد وقال إنهم زنادقة ملحدون، كما سيعتبرهم فولتيريين وماسونيين. وكانت قضية هذه القبيلة من بين القضايا التي اهتم بها وتدارسها المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين، الذي انعقد في مدينة الجزائر في شهر أبريل عام 1905، وقد حضره خمسمائة عضو جاؤوا إليه من مختلف الأقطار. وقد تقدم كل من محمد بن عبد الرحمن وW. Marçais وVong وOppenheim بملاحظات في موضوع النحلة الزكراوية، وساهم E. Montet بعرض هوامه "هل الزكراوين مسيحيون أم مسلمون؟"، وقارن W. Marçais بينهم وبين بني عداس الجزائريين الذين يسمون أيضاً بالعامرية أو عامر. وواصل E. Montet اهتمامه بمشكل هذه القبيلة، تبعاً للجدل الذي أثاره عرضه السابق الذكر، فنشر في العام نفسه مقالا وسمه "الزكارة في المغرب : مشكل ديني"، وأكد فيه أن الزكراوين مسلمون، وأن نحلته مجرد بدعة، وربما كانوا على صلة بالشيعة الدرور.

واهتم R. Basset بهذه النحلة في خاتمة مقاله "أبحاث عن الديانة عند الأمازيغ" (1910)، الذي استعرض فيه الدين عند الأمازيغ منذ الوثنية إلى عهود الإسلام الأولى في المغرب. وتساءل إذا ما كان الزكراوين على صلة بالمذاهب الخارجية والشيعية والبورغواطية، والحادثة في المغرب قبل المائة السادسة للهجرة. ولم يؤيد A. Bernard ما ذهب إليه Mouliéras بصدد عقيدة الزكراوين، وذلك في كتابه الحدود المغربية الجزائرية (1911)، والتي تقع قبيلة الزكارة قريبة منها، ورأى بأنهم ربما كانوا على مذهب الإباضية أو على دين اليهودية. وأكد E. Voinot في كتابه وجدة والعمالة (1912) على نسبة الروايات التي تهم هذه القبيلة إلى المجاورين والمخالطين لأهلها، وأن الزكراوين ينكرونها ويعلنون إسلامهم، إلا أنهم تغلب عليهم رقة الدين، وأن مشايخهم لا علاقة لهم بالكهنوت، وأنهم صلحاء مبدلون.

وأفرد E. Friang بحثه لنيل شهادة التخرج في سلك المراقبين المدنيين سنة 1946 في البدعة الزكراوية، وانتهى فيه إلى تفهقها في وجه العقيدة الإسلامية، واستدل على ذلك بالرحلة الحجازية التي قام بها أحد الرسمه مع ثلاث زكراوين قصد أداء مناسك الحج عام 1937. وقال باختفاء

ليلة الغلظة، واضمحلال بقية الشعائر والمراسيم الجنسية من تفككه الرسمه بالأبكار وزواج الرضيع من البالغة.

وأعد Monsempes المنتسب إلى معهد الدراسات العليا الإدارية الإسلامية بباريس دراسة عنوانها مساهمة في التعرف بقبيلة : الزكارة، وذلك عام 1955. وهي مونوغرافية مفصلة عن جغرافية هذه القبيلة، وأصول سكانها، وأحوالهم المادية والاجتماعية والإثنوغرافية. وقد عمد هذا الباحث إلى التحري الميداني، وقام بالاستخبار في عين المكان. ويبدو أن مهمته لم تكن بالسهلة اليسيرة، وأنه كان مستخبراً مشبوهاً وجوبه بالحذر والحيطه. وأكد أن الصبر كان ديدنه، وأن تردده المستمر على الزكراوين، والعلاقة الطيبة التي نظمت بينه وبينهم، قد أثمرت صداقة ومودة وثقة ألفت بينه وبين بعضهم. وخلاصة استخباره في شأن البدعة الزكراوية قوله إن الروايات المتعلقة بها مادة يصعب تحديد مقدار الصحة فيها، أو تعيين مقدار الخيال فيها، سواء كان مصدرها المنكرون أو المستحلون، وإقراره بعجزه عن اتخاذ موقف منها تأييداً أو إنكاراً.

وأذنت نهاية الحماية الفرنسية على المغرب، عاماً واحداً بعد هذه الدراسة، بنهاية اهتمام الفرنسيين بقبيلة الزكارة، وبغيرها من المجموعات القبلية المغربية التي ظلت على النحلة اليوسفية إلى القرن الرابع عشر (20 م). ودخل تاريخ الزكراوين طور الخمول من جديد، وانحصرت أخبارهم في نطاق المحلية الضيق، لكن إلى حين. وقد تلقف عبد الصمد الديالمي ما عند Mouliéras في كتابه المرأة والجنس في المغرب (1985)، فدفع برمضان مصباح إلى شد الرجال إلى الزكارة والاستخبار فيها مع رئيس جماعتها القروية وطائفة من كهولها ومسنيتها، ونشر حصيلته تحت عنوان "بين أوغست مولبيراس وعبد الصمد الديالمي ضاع إسلام وكفاح قبيلة الزكارة" (1986)، وخلاصة مقاله أن معاصرنا الزكراوين لم يعودوا يذكرون إلا ما كتب وقيل عنهم في عهد الاستعمار.

م. الصباغ القلعي، بستان العارفين الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعادن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار، مخ خ ع 243 ك، 59؛ مجهول، تبصرة الرئيس الأمين في ذكر شروط إمام المسلمين، مخ خاص، غير مرقم؛ أحمد بن محمد الهشتوكي، هداية الملك العلام إلى حج بيت الله الحرام والوقوف بالمشاعر العظام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام، مخ خ ع 190 ق، 71؛ قدور الورطاسي، بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1976، 20، 93، 94؛ عبد الصمد الديالمي، المرأة والجنس في المغرب، الدار البيضاء، 1985، 44؛ رمضان مصباح، بين أوغست مولبيراس وعبد الصمد الديالمي ضاع إسلام وكفاح قبيلة الزكارة، العلم الثقافي، العدد 792، السبت 6 شتنبر 1986، 4، 5؛ ع. نجمي، التصوف والبدعة بالمغرب، طائفة العكاكرة ق 16 و17، منشورات كلية الآداب بالرباط، الدار البيضاء، 2000، 33، 36.

257، 261، 295، 299، 310، 350، 355، 357، 364، 367، 371 -
372، 376، 379، 383، 384، 392، 395، 397.

A. Mouliéras, *Une tribu Zénète anti-musulmane : les Zkara*, bull. soc. archéo. Oran : 26e année, t 23, fasc XCVII, oct - déc 1903, 293 - 332, 1ere partie ; 27e année, t 24, fasc c, juillet - sept 1904 ; 28e année, t 25, fasc CII, janv - Mars 1905 ; *Une tribu Zénète anti-musulmane : les Zkara*, Paris, 1905 ; V. Aymé, *Lettre à Mr Mouliéras à propos d'ethnologie berbère*, bull. soc. géo. archéo. Oran, 1904, 405 - 407 ; J. Corriéras, *Une tribu Zénète anti-musulmane : les Zkara*, A.F : R.C, année 1906 ; *Actes du 14e congrès international des orientalistes d'Alger*, 1905, 1 : 45 - 46 ; A. Bel, *Le 14e congrès international des orientalistes d'Alger* 1905, bull. tr. soc. géo. archéo. Oran, 28 année, t 25, fasc CIII, avril - juin 1905, 192 - 204 ; E. Montet, *L'histoire des religions au congrès des orientalistes d'Alger*, revue de l'histoire des religions, t 52, 1905, 78 - 84 ; M. Bencheneb, *3e section langues musulmanes dans le congrès d'Avril 1905 à Alger*, revue africaine, 2e - 3e tr, 1905, 263 - 343 ; E. Montet, *Les Zkara du Maroc : un problème religieux*, revue de l'histoire des religions, t 52, 1905, 418 - 425 ; R. Basset, *Recherches sur la religion des Berbères*, revue de l'histoire des religions, vol XLI, n 3, 291 - 342 ; A. Bernard, *Les confins algéro-marocains*, Paris, 1911, 29 - 30 ; L. Voinot, *Oujda et l'Amalat*, Oran, 1912, 186 - 189 ; E. Friang, *Les Zkara et leur évolution devant l'Islam*, mémoire de Fin de stage des contrôleurs civils, promotion 1946 ; E. Dermenghem, *Le culte des saints dans l'Islam maghrébin*, Paris, 1954, 237 - 238 ; Monsempe, *Contribution à la connaissance d'une tribu : les Zkara*, archives du centre des hautes études administratives musulmanes, Paris, 1955.

عبد الله نجمي

الزكاري، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة أسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Zacari.

وكانت بتطوان أسرة أخرى أصلها من قبيلة بني زگار الهبطينة منهم، أحمد بن محمد الزكاري من أعيان تطوان، عين أميناً للمستفاد بالعرائش في 22 ربيع الثاني 1304 وتوفي بطنجة سنة 1330 (1911).

م. ابن عزوز حكيم، *كتشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 770.

محمد ابن عزوز حكيم

الزكاري أحمد الفاسي ← ابن الخياط

الزكاري، محمد (الحاج -) التتواني (خليفة النائب السلطاني بطنجة وأمين مرساها). ينتمي إلى إحدى العائلات الشهيرة بتطوان في القرن الثالث عشر (19 م) (مختصر، 2: 333) والتي تولى بعض أفرادها مناصب مخزنية هامة، وخاصة منها مناصب الأمانة. وقد برز من

بينهم أشخاص حملوا نفس اسم المترجم منهم الحاج محمد الزكاري الذي كان يشتغل أميناً بمرسى العرائش 1249 / 1834 (تاريخ تطوان، 8: 286)، وكذلك محمد الزكاري الذي كان يشغل منصب أمين الداخل بمكناس سنة 1274 / 1858 (إتحاف، 3: 549). هذا ولا نعرف إذا كانت هنا قرابة عائلية بين هؤلاء وبين المترجم الذي نكاد لا نعرف عنه هو نفسه شيئاً، قبل اندماجه في الخدمة المخزنية، سوى ما وصفه بلديه مفضل أفيلال في الرحلة المراكشية عندما نزل ضيفاً على خطيب المسجد الأعظم بطنجة الفقيه الفلوس في شوال 1277 / ماي 1261، وكان الحاج محمد الزكاري من بين الطلبة المستقبلين له، فكتب عنه يقول :

"وإذا بالشاب الأديب، الورع الحسيب، من طاب خلقاً وخلقاً، وفاق أقرانه نباهة وتقى، حاج الحرمين، ومجل العلماء بلامين، من خاضت في محاسنه أفكاره، الحاج محمد الزكاري، فتفألت بطلعته السعيدة وبمنه، على صغر سنه، أقبل كالظبي النافر وأحضر كل ما يحتاج إليه المقيم والمسافر... (تاريخ تطوان، 7: 202)، وهذه كلها صفات من شأنها أن تجذب نظر المخزن إليه لتولي مناصب هامة في أسلاك الدولة. وهكذا ولاه السلطان المولى الحسن أميناً بمرسى طنجة فيما بين شعبان 1301 / ماي 1883 وبيع الثاني 1304 / يناير 1887 (كناش خ ح رقم 677). وعندما قرر إرسال نائبه بطنجة الحاج محمد الطريس سفيراً عنه إلى روما لدى البابا ليون الثالث عشر سنة 1888 (تحفة، 100 - 108 : الاستيطان، 1: 383-390) استنابه عنه ليقوم مقامه بشؤون دار النيابة السعيدة بطنجة أثناء مدة غيبته عنها (وثائق تطوان، مح 6: 75) التي استمرت شهري فبراير ومارس من نفس السنة (الاستيطان، 1: 385). وظل المترجم على اتصال دائم بالنائب السلطاني الحاج محمد الطريس بروما يكتب له عن كل ما يجري بدار النيابة ويتلقى منه الأجوبة عن ذلك (تحفة، 108)، كما كان يكتب إلى السلطان بما يجيبه به الطريس وكذلك النواب الأجانب باعتباره "خليفة خديماً الأرضى الحاج محمد الطريس" كما كان يعثه المولى أثناء غيبته هذا الأخير عن طنجة (وثائق تطوان، مح 6: 79). وكانت العادة الجارية أن مهمة هذا الشخص غالباً ما تنتهي بعودة النائب السلطاني إلى محل أشغاله بطنجة، إلا أن الحاج محمد الطريس تعمد الإبقاء على المترجم معه بدار النيابة للاستعانة به على كثرة الأشغال وقلة المعين، خاصة بعد أن عينه المولى الحسن في 82 ماي 1888 لحضور المؤتمر الدولي المزمع عقده في مدريد للحد من أضرار الحماية القنصلية بالمغرب (وثائق تطوان، مح 6: 114) والذي سوف يتم تأجيله المدة تلو الأخرى قبل أن يتم إلغاؤه (Miège, 4 : 155 - 165). ومن أجل ذلك طلب من السلطان جعل الأجرة للمترجم أي جعله خليفة له بصفة رسمية، إلا أن المولى الحسن كان له موقف آخر، وهو أن يبقى أمر الانابة إلى السلطان. (وثائق تطوان، مح 27 : 153).

وبالرغم من التبرم الذي أبداه السلطان في هذا الجواب، فقد ظل الحاج محمد الطريس مصراً على طلبه، محاولاً إستغلال علاقات الود التي تجمعها بالوزير غريط المذكور آنفاً (وثائق تطوان، مح 27 / 165).

هذا ولم يلبث السلطان المولى الحسن أن وافق على طلب الحاج محمد الطريس بجعل خليفة له من دون أن يعين له أحداً حسبما أجابه به الوزير محمد المفضل غريط في 25 ربيع الثاني 1306 / 29 دجنبر 1888 بقوله :

وأمرني مولانا نصره الله بالكتابة لك بأن تعين للنيابة عنك من تطيب فيه نفسك.. (وثائق تطوان، مح 28 : 48).

لكن بالرغم من هذه الموافقة من طرف السلطان، فإن تنفيذ ذلك لم يتم إلا في 28 رجب 1308 / 9 مارس 1891 عندما تم تعيين الحاج محمد الصفار لشغل هذه المنصب "نحو العامين وببدل بغيره" (وثائق تطوان، مح 165).

ويعود هذا التأخير - فيما يبدو - إلى تكليف المترجم بمهام جديدة، ذلك أن المخزن كان يصدد التهيء لشراء مدفعين كبيرين يتم تركيبهما على البرج الكبير أو البرج الألماني، وهو حصن يوجد بالقرب من مصب أبي رقراق، كان المهندس الألماني روتنبرغ (Rottenburg) قد انتهى من إنجاز الأشغال الكبرى فيه في ربيع 1889 (162 - 161 Guillen). وقد أرسل المولى الحسن لهذه الغاية بعثتين إلى ألمانيا قادهما المترجم بمعية المهندس الزبير سكيرج، وذلك في سنة 1307 (بداية 1890) و1308 (نهاية 1890) (إتحاف، 2 : 489) ؛ مجلة دار النيابة، ع. 8 : 30).

أما في عهد السلطان المولى عبد العزيز، فلعل أهم منصب تقلده المترجم هو "التكليف بالقرض الفرنسي المجاري بطنجة وغيرها من المراسي السعيدة" الذي كان يقتطع 60% من مداخيلها، وذلك بموجب الفصل (13) من عقد قرض سنة 1904 الذي ينص على أن : "تعين الدولة الشريفة نائباً خصوصياً من قبلها يكون واسطة بينها وبين حملة الاستلزامات ويكون محل استقراره بطنجة وأن جميع ما يتعلق بأمر هذا السلف يكون يخبر به خيراً صحيحاً نيابة عن دولته كما يتعين عليه أن يرفع لأمناء المراسي الأوامر المماثلة للأوامر التي يوجهها نائب حملة الاستلزامات لوكلائه بعد الموافقة بينهما. وأن راتب النائب المذكور وصوائره تكون على الدولة الشريفة (كناش، خ ح. رقم 773). وقد شغل المترجم هذا المنصب على الأقل منذ سنة 1905 (كناش، خ ح. رقم 707) إلى أن أعفاه منه السلطان المولى عبد العزيز في يونيه 1907 وولى مكانه محمد بن محمد بن المفضل ابن خلدون الفاسي، وكتب بذلك إلى أمناء مرسى تطوان (كناش، خ ح. رقم 666، ص. 12)، وكذلك إلى نائبه بطنجة الحاج محمد الطريس (كناش، خ ح. ك 2720، ص. 350). وكان آخر ما وقفنا عليه بالنسبة للمترجم هو أنه كان يشتغل أميناً بطنجة في رمضان

1328 / سبتمبر - أكتوبر 1910 (كناش، خ ح. رقم 569، ص. 304).

وبالرغم من أننا لا نعرف مآل الحاج محمد الزكاري بعد سنة 1910 ولا تاريخ وفاته، فيمكن القول إن مسار الرجل ما بين 1883 و1910، رغم تبدده، يعكس الدور الذي اضطلعت به بعض الأسر المنحدرة من مدينة تطوان في المد المخزن بحاجياته من الأطر المقتدرة في ميادين مختلفة كالمال والسياسة من مغرب ما قبل 1912.

وثائق خ ح. كناش، 569، 666 و677 و701 و773 ؛ وثائق، خ ع. كناش، ك 2720 ؛ وثائق تطوان، مح 6 ومح 27 ومح 28 ومح 165 ؛ ع. ابن زيدان، إتحاف، ج. 2 و3 ؛ م. داود، تاريخ تطوان، ج. 7 و8 ؛ م. داود، مختصر تاريخ تطوان ؛ أ. الكردودي، التحفة السنوية ؛ م. بوشعراء، الاستيطان، ج. 1 ؛ مجلة دار النيابة، ع. 1985 : 8.

P. Guillen, *L'Alemagne et le Maroc de 1870 à 1905*, Paris, 1967 ; J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, tome IV, Rabat, 1989.

ميلود أحسن

ابن زكّون، حسن بن إبراهيم بن عبد الله، فقيه مالكي ولد بتلمسان سنة 484 / 1091 وسكن مدينة فاس. دخل الأندلس فأخذ بها عن بعض علماء قرطبة ومرسية. ورجع إلى مدينة فاس فصار كاتباً لقاضيها عيسى بن يوسف ابن الملجوم الأزدي. ويحكم خبرته في الفقه وأحكام القضاء ألف كتاباً في الرأي والنوازل سماه اعتماد الحكام في مسائل الأحكام، لا يزال مخطوطاً، وتتوزع أجزاءه بين خزنة القرويين، وبعض الخزائن الخاصة. توفي بفاس سنة 553 / 1158.

ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تح. ع. السلام الهراس، الدار البيضاء، ج. 1، ص. 217 ؛ ابن الأبار، معجم أصحاب أبي علي الصديقي، نشر فرانيسكو غوديرا، مدريد، 1885، ص. 73-74 ؛ أ. ابن القاضي، جنوة الاقستباس، الرباط، 1973، ج. 1، ص. 183؛ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، بيروت، 1971، ص. 61.

محمد المغراوي

الزكّموزني، محمد نسبة إلى زكّموزن، بكاف معقودة، أحد مداشر ونيلة الواقعة على طريق تلوات القديمة، جنوب غربي مدينة دمنات. ولعل زكّموزن علم لشكل طبيعي. إذن فهو اسم موقع. لذلك يتكرر تواردته في جهات أخرى، أشهرها، الوادي الواقع بين أراضي إيوزيون، وأراضي إسكتان، شمالي الطريق الواصلة بين تازناخت وتاليوين، على سفح الأطلس الصغير الشمالي (رحلة الوافد، 142).

أما محمد الزكّموزني، فهو ينتمي إلى الجهة الأولى.

وردت ترجمته عند الخليلي (الدرّة الجليلية، 264)، ولعله ينفرد بها. لا نعرف شيئاً عن تاريخ ولادته ونشأته؛ ولا عن مستواه العلمي. وتفيدنا المعلومات القليلة التي جمعها الخليلي، أنه "كان من أجل تلاميذ الشيخ أحمد بن ناصر". ولعل هذا ما خلد اسمه. وقد كونت زاويته، مع باقي فروع الناصريين المنبثّة في تلك الربوع، عناصر أساسية للحفاظ على تماسك تلك القبائل، ودعم توازنها، بما اضطلع به شيوخها من وظائف؛ مثل نشر التعليم، والتحكيم في النزاعات، والمساهمة في العمل على سيادة الأمن والاستقرار، في ذلك الموقع الذي تخترقه طريق كانت مطروقة بكثافة في ذلك العهد.

وقد ترقى الزكوموني في سلك الطائفة الناصرية حتى أصبح مقداً على فقراء جهته. و"عرف باتباع الحق والقول به، ناسجاً في ذلك على منوال شيوخه الناصريين".

توفي بزكومون وبه دفن في تاريخ غير معروف؛ لكن الراجح أن وفاته كانت قبل سنة 1182 / 1768.

الزهوني، رحلة الوافد، تج. علي صدقي، ص. 142؛ الخليلي، الدرّة الجليلية، مخطوط؛ التحري الميداني.

أحمد عمالك

الزكندري، عبد الله بن محمد أحد العلماء

المراكشيين الكبار والحفظة المتميزين للمصحف الكريم. اسمه عبد الله بن محمد بن عبد الله الهرغي يلقب بالزكندري أو الزقندري نسبة إلى المدينة المغربية القديمة زكندر أو زقندر أو زقندر التي اختطها أبو يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن سنة 578 / 82 - 1183 بإقليم سوس بالقرب من معدن للفضة (نفاضة، 62؛ الإعلام، 8؛ 232). ولد بمراكش يوم 17 ربيع الأول من عام 705 / 7 أكتوبر 1305، وبها درس الحديث والفقه واللغة (نفاضة، 66).

وقد عرّف بالفقيه المذهب المحدث الرزين العالم الفاضل، الشاعر الأديب، الظريف العلمي، الحسن الهيئة (بلغته، 178).

خرج الزكندري من مراكش في رحلة حجازية علمية أخذ خلالها عن كثير من العلماء في الغرب الإسلامي وشرقه ولم يخلف لنا أثراً لها على غرار ما قام به مواطنه التجيبي وابن رشيد السبتيين. فبعد أن اكتمل تعليمه على يد أساتذته المراكشيين من أمثال ابن العباس العفائري وأبي الحجاج الدغوي وأبي القاسم ابن معنصر وأبي القاسم بن القشاس وأبي عبد الله بن مسعود، خرج إلى أغمات فأخذ بها عن أبي يحيى الجزري. وفي فاس تتلمذ عن أبي محمد عبد العزيز القروي. كما توقف في تازة حيث أخذ عن أبي محمد الرجالي وفي تلمسان تتلمذ عن الشيخ الفقيه النظار أبي موسى ابن الإمام وأبي عبد الله الأيلي. ومن التونسيين أخذ عن أبي عبد الله بن دمعون وأبي عبد الله بن جابر

وفي الأسكندرية تفقه على يد عدد من العلماء الكبار من بينهم أبو العباس بن فتوح وأبو الحسن ابن الفرات ومحمد بن عبد الكريم بن عطاء الله وإسماعيل العزيز. كما حضر في القاهرة حلقات العلم التي كان يلقيها قاضي المالكية تقي الدين الاحساني وأبو الحسن المارديني. ثم تابع رحلته إلى بلاد الشام فتوقف بدمشق حيث أخذ عن جملة من مشايخها من بينهم شهاب الدين بن فضل الله كاتب الانشاء وبالصالحية حيث درس على عز الدين المقدسي وغيره. وفي الحجاز حيث أدى فريضة الحج، توقف بمكة للأخذ عن مشايخها الكبار كشمس الدين النوفري وخليل ابن أحمد وتفقه في المدينة عن عفيف الدين المطري (نفاضة، 65).

بعد أن أتم رحلته الحجازية المشرقية عاد إلى وطنه فولّي قضاء أغمات. ثم بعد ذلك ولي قضاء سبتة. كما جلس للتدريس بالمدرسة الجديدة منها. فكان يستقبل وفود الطلبة السبتيين بمنزله الشهير الكائن آنذاك بأعلى زقاق الوراق من سبتة فانتفعوا من علمه. وكان أبو محمد القاسم بن أبي حجة من بين العلماء السبتيين الكبار الذين تفقهوا على يديه في (كتاب مسلم بن الحجاج) (بلغته، 178) وقد ظل بسبتة إلى أن أحيل من قضاءها. ففقل راجعاً إلى بلده مراكش فتسلم قضاءها في 15 رمضان من عام 760 / 10 غشت 1359 (شرف الطالب، 84؛ وفيات، 125). كما جلس للتدريس بها واختص في تلقين علوم التفسير والحديث وقد أخذ عنه عدد من العلماء بمراكش من بينهم أحمد بن قنفذ القسنطيني (شرف الطالب، 84؛ كتاب الوفيات، 366) وأحمد باب التمكنّي (نيل، 224) ومراكش لقي به محمد ابن الخطيب السلماي الذي خصه بجميل القول وحسن الاشادة والذكر (نفاضة، 63).

يذكر التمكنّي أن وفاته كانت في سنة 808 / 1406 (نيل، 224) ولعل الصحيح أنه توفي سنة 768 / 1367 (الإعلام، 8؛ 232؛ شرف، 84؛ وفيات، 125؛ لقط، 213؛ كتاب الوفيات، 366).

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، المطبعة الملكية، الرباط، 1974، الجزء 8؛ أ. بابا التمكنّي، نيل الابتهاج، نشره عبد الله الهرامة، طرابلس، 1398 / 1989؛ بلغة الأمية ومقصد اللبيب، تج. محمد ابن تاويت، مجلة تطوان، العدد 9، 1964؛ ابن الخطيب، نفاضة الجراب، تج. أ. مختار العبادي، الدار البيضاء، أ. ابن القاضي، لقط الفرائد، تج. م. حجي، كتاب ألف سنة من الوفيات، الرباط، 1396 / 1976؛ أ. ابن قنفذ، شرف الطالب، تج. م. حجي، كتاب ألف سنة من الوفيات، الرباط، 1396 / 1976؛ كتاب الوفيات، تج. عادل نويهض، بيروت، ط. 2، 1978؛ الونشريسي، وفيات الونشريسي، تج. م. حجي، ألف سنة من الوفيات، الرباط، 1396 / 1976.

زليخة بنرمضان

الزغوندر، مَنجَم لاستخراج الفضة، بكتلة السيروا بالأطلس الصغير الأوسط، على بعد 30 كلم إلى الشمال من تاليوين. ويبدو أن الموقع معروف منذ زمن بعيد باعتبار معنى التسمية الذي يفيد الكنز بالأمازيغية.

من أواخر فترات استغلاله، نخص بالذكر تلك التي قامت بها الشركة المنجمية لسيدي لحسن (SOMIL)، إحدى فروع مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية (BRPM)، خلال الثمانينيات. وقد توقف استخراج المعدن في الوضع الراهن. بالإضافة للفضة، يضم المنجم مواد مختلفة منها الزنك والرصاص والنحاس واليورانيوم. وتتركز التعدادات في مواطن السحق البنائي على حد تقاطعات البنيات الشرقية - غربية والشمالية - جنوبية من ضمن التكونات الطينية المتحجرة لما قبل الكمبري.

عدي عزي

زكي الإدريسي مولاي إدريس بن المختار (مقاوم) : ولد سنة 1925 بمراكش، وتلقى تعليمه الابتدائي بإحدى مدارسها. إلا أنه لم يستمر في الدراسة، فأنصرف إلى العمل في ميدان التجارة في سن مبكرة. وكان يقيم بفونتي بأكادير في الفترة الممتدة بين سنتي 1953 و1960. وقد انخرط في حزب الاستقلال منذ سنة 1944، وبرز فيه كأحد العناصر المهمة التي تسيّر أنشطة الجمعيات التابعة له، وكان يقوم بمهمة توعية المواطنين واستنهاضهم من أجل دعم مطالب الحركة الوطنية المغربية بعد تقديم عريضة الاستقلال سنة 1944. واستمر في القيام بأنشطة سياسية بصفة سرية إلى غاية سنة 1952، حيث تمكن من تأسيس منظمة مسلحة بالاتفاق مع بعض أصدقائه الذين شاطروه الرأي بشأن الانتقال من العمل السياسي إلى العمل المسلح في مواجهة السلطات الاستعمارية الفرنسية بمدينة أكادير، وهم : عبد الله أوثن (النوصيري)، محمد بن العربي الشيشاوي، وإبراهيم بن الحاج بوسلام، وقد انضم إليهم آخرون وبلغ مجموعهم 25 فرداً، واتفقوا على تسمية منظمتهم بـ "الفرقة التحريرية"، وعرفت بعد العمليات الفدائية التي قامت بها بـ "اليد السوداء".

كانت الاجتماعات السرية التي يعقدها مع عناصر المنظمة تتم في منزله الكائن بأغرديس قرب مدينة أكادير، وفي بعض الأحيان في منزل أحد تلك العناصر، وكان يشرف مباشرة على تخطيط وتدبير العمليات الفدائية التي تقوم بها. وقد تبنت منظمته فعلاً مسؤوليتها عن أكثر من سبعة انفجارات استهدفت عدة مصالح فرنسية، إضافة إلى اختطاف عميد الشرطة الفرنسي كروازو المعروف بتعذيبه للمقاومين المغاربة وللمتعاطفين معهم.

ألقت الشرطة الاستعمارية القبض عليه وعلى أكثر زملائه، واستجوبوا وعذبوا أثناء التحقيق، وقدموا إلى

المحكمة العسكرية بالدار البيضاء يوم 11 مايو من سنة 1954 لمحاكمتهم، وتراوحت الأحكام الصادرة عنها في حقهم بين 5 و10 سنوات سجن إضافة إلى ما بين 5 و20 سنة نفيًا. وكان الحكم الصادر في حق زكي الإدريسي مولاي إدريس يصل إلى السجن لمدة 10 سنوات والنفي لمدة 20 سنة. وأطلق سراحه في يوم 23 يناير من سنة 1956 بناءً على البرقية 140 س، وذلك بعد عودة المغفور له جلالة محمد الخامس رحمه الله إلى المغرب. وبعد خروجه من السجن، شغل منصب محتسب مدينة أكادير مدة من الزمن إلى أن أحيل على التقاعد، وهو متزوج وله 4 أبناء. (شهادات المرحوم عبد الله النوصيري وزكي الإدريسي مولاي إدريس بن المختار).

عرض مفصل حول أعمال الفرقة التحريرية الملقبة بمنظمة اليد السوداء. (مرقون)، أرشيف المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير - نيابة أكادير : شهادة إدارية، وهي عبارة عن تصريح مصادق عليه بتاريخ 10.7.1979، بحوزة المرحوم عبد الله النوصيري (أوثن) : شهادة من إدارة المستودع المركزي لأرشيف العدالة العسكرية بمو (Meaux)، مؤرخة بتاريخ 25 شتنبر من سنة 1964، تحت رقم 135000 HY : شهادة عبد الله النوصيري، (أوثن) على شكل استجواب محرر بتاريخ 25 و26 نونبر من سنة 1986 : شهادة زكي الإدريسي مولاي إدريس مؤرخة بتاريخ 11 يناير 1987 : خالد أوثن، الوعي الاجتماعي بالمقاومة الوطنية، (نموذج أكادير، 1953. 1956) بحث لنيل الإجازة في التاريخ، تحت إشراف الأستاذ محمد أعفيف، السنة الدراسية 1986. 1987، بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط : عبد الرحيم الوردغي، المقاومة المغربية ضد الحماية الفرنسية، 1952. 1956، الرباط.

خالد أوثن

زكي، علي صحفي مصري كان يعمل بصحيفة المؤيد المصرية. فأرسلته هذه الصحيفة المقرية من الأوساط الإسلامية إلى إسبانيا سنة 1906، ليوافيها بأخبار مؤتمر الجزيرة الخضراء الذي انعقد من يناير إلى أبريل 1906. ويظهر أن علي زكي ربط علاقات مع الوفد المغربي، وهو أمر طبيعي لكون الوفد المغربي كان الوفد الرسمي العربي في المؤتمر الذي لم تستدع له أية دولة إسلامية مثل مصر أو تركيا كما كان يأمل بعض المراقبين المسلمين.

بدون شك استفاد الوفد المغربي الذي كان من أبرز أعضائه الأمين محمد المقرري الذي كانت له اتصالات مع المشاركة، من خدمات الصحفي المصري، وربما أصبح علي زكي من تراجمة المؤتمر وربما اقترح عليه العمل بالمغرب. لهذا نجد علي زكي عوض أن يرجع إلى مصر يذهب إلى فاس إثر انتهاء أشغال المؤتمر.

قبل علي زكي العمل مع المخزن كترجمان رسمي بدار النيابة ولذلك سكن بطنجة وظل يزاول مهامه كموظف

مخزني إلى بداية عهد الحماية.

تولى علي زكي رئاسة لجنة السمسة التي أحدثها مؤتمر الجزيرة في إطار إنجاز الأشغال العامة بالمغرب على أساس سياسة الباب المفتوح. كما تولى عدة وظائف عندما أصبح الحاج محمد المقرري وزيراً أول في عهد مولاي عبد الحفيظ، قبل الإشراف على الشؤون الاجتماعية بطنجة وأعمال الصحة والوقاية بين 1909 . 1911.

كان علي زكي مرتبطاً بمحمد المقرري يكاتبه بكل ما يطرأ بطنجة من كل الأمور التي تهم العلاقات المغربية الخارجية.

وزيادة على عمله الرسمي كان يهتم بالأمور الثقافية ويظهر أنه في عهد الحماية، قد شارك في ميدان التدريس بالثانوية الإدريسية بفاس. فكتب عن التربية والتعليم والأحباس والمالية وتربية الأطفال وأمراض أجهزة التغذية والتنفس.

ولقد كان علي زكي نفسه مبتلى بمرض البواسير الذي أرقه مدة حسبما يفهم من مراسلاته مع محمد المقرري.

وبالجملة، فقد كان علي زكي واحداً من المثقفين العرب الذين أبدوا استعدادهم للتعاون مع إخوانهم المغاربة. فقد قدّم خدماته للمغرب في ظروف حرجة، كان المغاربة يصارعون فيها ضد الهجمة الاستعمارية الفرنسية في مطلع القرن العشرين.

ع. زكي، مراسلات، خ. ح. الرباط، محمد بن الحسن الوزاني، حياة وجهاد، 1، ص. 278.

علاء الحديمي

الزكي، محمد بن العباس أسرة الزكي من الأسر الرباطية، برز فيها محمد بن العباس الذي عاش في القرن الثالث عشر (19 م)، تولى خطة الحسبة في الرباط ابتداء من 25 ربيع الثاني 1266 / 1851 خلفاً لمحمد بناني وهو ابن عم المحتسب الذي يحمل اسمه وسبقه للخطة بمسقط رأسه الرباط أيضاً. أما المحتسب الزكي فقد ظل في الخطة مدة طويلة امتدت ستاً وعشرين سنة أعفي منها سنة 1292 / 1875.

م. دينية، مجالس، ص. 203؛ ع. الفاسي، مدينة الرباط وأعيانها، ص. 124.

عبد الإله الفاسي

الزلازل بالمغرب، يقصد بالزلازل في علم الجيوفيزياء تلك الاهتزازات الفجائية، التي تعترى القشرة الأرضية بسبب تحرك كتل صخرية عظيمة في باطن الأرض وعلى سطحها أحياناً، وذلك عبر الصدوع والتشققات، مدفوعة بقوة الطاقة الحرارية المتجمعة والمتراكمة في مكان مناسب من باطن الأرض خلال فترات زمنية طويلة جداً.

يؤدي تراكم تلك الطاقة الحرارية المتجمعة والمتراكمة إلى ظهور قوة حركية هائلة، تبدأ على شكل توتر واضطراب في مكان تأثيرها، وتأخذ الصخور بالتشوه شكلاً وبالتشنج أحياناً، ولكن مع تزايد الطاقة الحرارية وشدة تأثيرها يتصاعد التوتر ويزداد التشنج ويبدأ ظهور الشقوق الصغيرة متناثرة في البدء ثم تتجمع على شكل أحزمة، وفي لحظة الضعف الكبرى للصخور - اللحظة الحرجة - تنشق الكتل الصخرية على شكل صدع أو شق كبير دافعاً طرفي الصدع باتجاهين مختلفين، وربما يرتفع أحد الأطراف وينخفض الآخر وذلك خلال ثوان أو دقائق معدودة. قد يمتد الصدع عشرات الكيلومترات أفقياً وعمقاً، يرافق ذلك تحرير طاقة تحريكية مدمرة وبصورة فجائية تبلغ قوتها قوة بضع ملايين من القنابل الذرية المعيارية، كالتي ألقيت على مدينة هيروشيما اليابانية. مثل هذه الطاقة نراها في الزلازل المدمرة التي يزيد مقدارها عن سبع درجات حسب مقياس ريختر.

انتضح سبب وقوع الزلازل بمقاربة الملاحظات المتطورة للعلماء التي انتهت بنظرية جديدة، مهمة بالنسبة لتطور القشرة الأرضية ولها تأثير مباشر وحيوي في ظهور الفعاليات الزلزالية في المحيطات والقارات. عرفت بنظرية تكتونية الصفائح، حيث كانت الملاحظة الأساسية التي توصل إليها علماء الزلازل هي أن الجزء العلوي من القشرة الأرضية المسمى بالغلاف الصخري "الليتوسفير (Lithosphere) هو في حالة صلابة ويتحرك فوق طبقة لزجة تدعى غلاف الانسياب (Asthenosphere) وعلى الرغم من أن الصفائح أو الألواح المتحركة التي تشكل القشرة الأرضية تتفاوت مساحتها من بضع مئات إلى عشرات الملايين من الكيلومترات المربعة، فإنها تشترك في سمة واحدة هي صلابة قوامها الداخلي. لذلك فهي تخضع لتشوهات رئيسية عند هوامشها فقط، حيث تحدث بها فعلاً الأحداث الجيولوجية الكبرى، فعند مواقع تصادم الصفائح تتشكل الجبال وتظهر البراكين، وعند مواقع تباعدها تنفتح أحواض المحيطات ويتكون قعر بحر جديد.

الموجات الزلزالية : تقع الزلازل إثر التحرر القوي والعنيف للطاقة المتكدسة في الصخور انطلاقاً من البؤرة بواسطة ثلاثة أصناف أساسية من موجات مرنة، مماثلة للموجات المألوفة في الهواء والماء، تؤدي إلى الارتجاج وتحدث أضراراً، إثنين فقط من هذه الموجات تنتشران في جسم الصخور، لذا تدعى بالموجات الجسمية (Onde de volume) الموجات الطولية والموجات المستعرضة.

تعد الموجات الطولية (Onde primaires P) الأكثر سرعة، ومن خصائصها الأساسية، أنها تستطيع اختراق الصخور الصلبة والمواد السائلة بالمحيطات، كما تستطيع أن تعبر الأوساط الغازية كالهواء، عندما تخرج من أعماق الأرض إلى السطح تصدر دويماً على شكل موجات صوتية.

منطقة البؤرة الزلزالية السطحية والأماكن المجاورة لها مباشرة، وهنا يمكن للأشياء أن تقذف نحو الأعلى. وتظهر الحركات الأفقية واضحة من خلال الأشجار المنحنية والمدخن والمآذن والأبنية أحياناً، أما الحركات الدورانية للأشياء فإنها أقل حدوثاً ولكنها ليست نادرة.

مقاييس وخصوصيات الزلزلة :

لمعرفة ما يحدث لسطح الأرض أثناء وقوع الزلزال أقيمت في أوائل القرن العشرين محطات الرصد السيزمية، وهي أجهزة استقبال حساسة مؤلفة من مراجف (Seismographes)، تسمح بمعرفة ماذا يحصل بالضبط خلال حدوث الزلزال. فهي تسجل اهتزاز الأرض عادة بواسطة قلم حبر على ورقة ملفوفة على أسطوانة لها حركة دورانية. وقد بدأ في السنوات الأخيرة تسجيل تلك الحركة بالتصوير الفوتوغرافي أو بالشريط المغناطيسي، كما صممت أجهزة منبعا الحركة بشكل يتحمل الاهتزاز العنيف للأرض بطريقة يمكن بها الحصول على تسجيلات، تقرأ على شكل تعجيل أو تسارع الأرض مباشرة، وتدعى المعجلات أو أجهزة قياس التعجيل (Accelerographes).

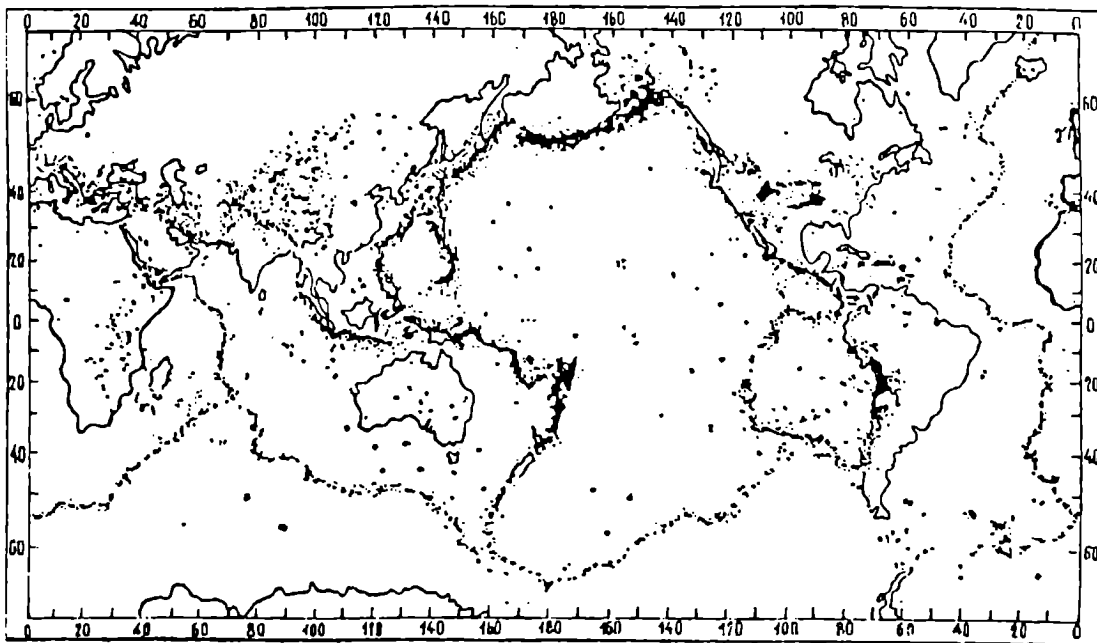
وبناءً على معلومات آلات التسجيل تتم معرفة خصوصيات الزلازل وهي : موقع الزلزال، وإحداثياته، وشدته، ومقداره.

وقد عرف المغرب خلال تاريخه عدداً لا يستهان به من الزلازل، جاءت أول إشارة إليها في أقدم سجل لها "كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة" لجلال الدين السيوطي (ت. سنة 911 / 1505). كما وردت أنباء الزلازل ضمن ما كتب من حوليات وتراجم سواء في المشرق أو المغرب غير أن أكثرها أهمية بالنسبة للمغرب مؤلف محمد بن الطيب القادري (ت. سنة 1187 / 1773) في مؤلفيه نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني وكتاب التقاط الدرر

يشعر بها في البداية عندما يقع زلزال فتتذبذب الجدران والنوافذ. وبعد ثوان من ذلك تصل موجة (S). تدعى الموجات المستعرضة (S) (Ondes secondaires) تسير في جسم الصخور، بسرعة أقل من الأولى ولا تخترق الوسط السائل. تصل إلى محطات الرصد الزلزالية بعد فترة من الزمن بالنسبة للطولية وقد يتراوح التأخير بين بضع ثوان وعدد من الدقائق، ذلك حسب بعد مركز الزلازل عن محطة الرصد، عرفت بالأمواج اللاحقة أو الثانية، وتقل سرعتها عن الطولية بمقدار ثلاث مرات. وتتميز عنها بأنها لا تغير حجم الوسط الذي تمر فيه، لكنها تغير الوسط الذي تخترقه، وبحركتها من أعلى إلى أسفل ومن جهة لأخرى، تهز سطح الأرض عمودياً وأفقياً، فتكون هذه الحركة هي المسؤولة على الأضرار الحاصلة في البنايات.

والنوع الثالث من الموجات يعرف بالموجات السطحية (Ondes de surface) وتتميز بانتشارها في الأجزاء السطحية من القشرة الأرضية. وهي ذات سعة ودور زمني أطول من النوعين السابقين، يمكن تصنيفها إلى مجموعتين : الأولى تدعى "لوف" (Love) وحركتها في الأساس تشبه حركة موجات (S) تحرك الأرض من جانب لآخر فقط، في مستوى أفقي مواز لسطح الأرض، ونتيجة للاهتزاز الأفقي الذي تسلطه على أسس المنشآت تخلف دماراً. أما المجموعة الثانية فتسمى بموجات "رايليغ" (Rayleigh) وهي أقل سرعة من الموجات الطولية والعرضية، تنتقل في الوسط المشوه كما تنتقل الموجة البحرية المتدرجة.

وتجدر الإشارة إلى أن الأنواع الثلاثة لهذه الموجات الطولية والمستعرضة والسطحية، تتسبب في تحريك جزئيات المادة بثلاثة مظاهر، رأسية وأفقية ودورانية، تظهر الحركة الرأسية عندما تصطدم أو تحتاح الأشعة الاهتزازية سطح الأرض بزاوية شبه قائمة مثل هذه الحركة ترصد عادة في



ومستفاد المواعظ والعبر، ثم الناصري (ت. سنة 1315 / 1897) في كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. وضمن اهتمام الأوربيين بالمغرب سجل بعض التجار والرحالة والأسرى وغيرهم حوادث الزلازل ضمن الحوادث الأخرى، فتضمنت تقاريرهم ومذكراتهم ومراسلاتهم كل ما كان يحدث في المغرب بما فيه الزلازل. وهي إذا كانت قد سجلت زلازل لم تذكرها المصادر المغربية وفصلت في بعض منها، فإن أغلبها يتسم بكثير من الخلط للأحداث والتضخيم في الأضرار، لذا أوجب استعمالها الكثير من الحيط والحذر.

لقد توفرت معلومات أغلب الحوادث الزلزالية بالمغرب إنطلاقاً من القرن الحادي عشر (17 م)، غير أن غالبها كان يهتم الحواضر وبصفة خاصة فاس العاصمة العلمية وملييلية بحكم استعمارها المبكر. ومن خلال تلك المعطيات تبين أن المغرب عرف خلال تاريخه حصيلة لا يستهان بها من الزلازل المحسوسة، المدونة في مصادر ومراجع مختلفة ومتعددة، تفوق 400 هزة أرضية محسوسة فيما بين القرن التاسع الميلادي وأواخر القرن العشرين.

خلفت بعض الزلازل أضراراً مادية فقط في كل من فاس وملييلية ويادس والحسيمة وأسفي وأكادير وغيرها، لكن البعض الآخر خلف أضراراً مادية وبشرية بشدة سبع - ثمانية درجات من سلم VII-VIII MSK، حيث أسفرت عن عدد مهم من الضحايا.

وصل البعض الآخر مستوى كارثة بشدة عشر درجات (XMSK)، كزلزال 1624 الذي خلف خسائر مادية وبشرية كثيرة بفاس وبلغت شدته عشر درجات من سلم XMSK حيث تصدعت الجدران ووقعت أغلب المنازل، وحتى ما لم يقع آل إلى الوقوع لتشقق جدرانه، بل خوفاً من وقوعها صار أصحابها يهدمونها بأنفسهم خشية وقوعها عليهم، فلم يمر أسبوع دون أن تنهار أربعة أو خمسة منازل، منها ما يقع نتيجة الهدم وأخرى تسقط من تلقاء نفسها. ومن الطبيعي أن يخلف زلزال بهذه القوة عدداً مهماً من الضحايا 11 في فاس الجديد و1500 في فاس القديم.

ثم زلزال فاتح نونبر 1755 المعروف بزلزال لشبونة، الذي شمل مناطق شاسعة بما فيها المغرب سواء بواسطة الزلزال الذي بلغ مستوى كارثة (XMSK)، مخلفاً أضراراً مادية وبشرية كبيرة، في جل المدن المغربية خاصة مكناس، كما حصلت أضرار هامة، بواسطة موجات البحر الزلزالية (تسونامي) التي أودت بكل ما صادفته في طريقها في جل الشواطئ المغربية من طنجة إلى أكادير.

ثم زلزال أكادير في 29 نونبر 1960، الذي خلف خسائر فادحة، دمر 75٪ من حصيلة البناءات و15.000 من الضحايا وآلاف المشردين. لقد كان لهذا الزلزال أهمية كبرى. كان حافزاً لاهتمام السلطات المسؤولة بالموضوع، ووضع قانون البناء المقاوم للزلازل، ووضع محطة ثانية سنة

1964 للرصد الزلزالي، بدأت تتوسع شيئاً فشيئاً لتشمل حالياً ست شبكات جهوية تكون مجملها شبكة وطنية متكاملة.

أ. الناصري، الاستقصا، 9 أجزاء، الدار البيضاء، 1956؛ القادري محمد بن الطيب، نشر الثاني، تع. م. حجي وأ. التوفيق، في أربعة أجزاء، الدار البيضاء، 1982؛ بروس بولت، الزلازل، تر. سهل السنوي وأمين إبراهيم حسون، بغداد، 1988؛ شاهر جمال آغا، الزلازل وتطور وتبدل الأرض في القرآن، المكتب الإسلامي، 1416 / 1996؛ ثريا المرابط، تاريخ الزلازل بالمغرب من سنة 846 إلى 1960، رسالة دبلوم الدراسات العليا، 1991، جامعة محمد الخامس، الرباط.

ثريا المرابط

زلاغ (جبل) ← زالغ

الزلاغي، نقد نحاسي صغير يجمع على "الزواغ" ويساوي جزءاً من 12 جزء من الفلس. وفي مجال القسمة ينقسم إلى 12 حبة. وتدعى هذه القطعة النقدية "تازالاغت" بالأمازيغية، ويمكن من قبيل التداخي الربط بين تازالاغت كقطعة نقدية نحاسية وتازالاغت المدينة القديمة التي تتوفر على منجم للنحاس شرق قبيلة تافراوت بسوس ما يزال يحمل هذا الاسم وهو غني بهذا المعدن.

وينسب الزلاغي لجبل زلاغ بفاس. واستمر رواج هذه القطعة حتى أسقطها السلطان مولاي الحسن.

ع. آفا، مسألة النقود في تاريخ المغرب، ص. 404؛ ع. ابن زيدان، العز والصولة، الرباط، 1961، ص. 408.

عمر آفا

الزلاقة، معركة كبرى انتصر فيها المرابطون والأندلسيون على القشتاليين فسميت باسم المكان الذي جرت منه وهو سهل الزلاقة الفسيح الواقع بين نهر جبوره شمالاً ونهر جرير جنوباً، القريب من مدينة بطليوس.

كان سقوط مدينة طليطلة وضمها إلى مملكة قشتالة في عهد الفونسو السادس سنة 477 / 1085، ايذاناً بانقلاب موازين القوى في شبه الجزيرة الأيبيرية بين دار الإسلام ودار الكفر لصالح الطرف الثاني بعد أن كانت الغلبة والتفوق للمسلمين منذ الفتح الإسلامي (الاستقصا، ج. 1 و 2)، وأصبح المسيحيون منذ سقوط طليطلة يهاجمون دار الإسلام، يخربون مزارعها ويساتينها ويحتلون مدينتها وحصونها، ويخضعون حكامها لمعاهدات وقيود وغرامات جائرة (التبيان، 121). ولما اشتدت وطأة الإمارات المسيحية على ملوك الطوائف لم يجدوا مغيثاً ولا منقداً غير المرابطين "وكان يوسف بن تاشفين لا تزال تفد عليه وفود تغور الأندلس مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين

بالله والإسلام مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته فيسمع إليهم ويصغي لقولهم وترق نفسه لهم".

لم يكن يوسف بن تاشفين قادراً على تلبية نداء الأندلس قبل أن يخضع لنفوده وسلطته مدينة سبتة التي استعصت عليه، فاشترط على المعتمد بن عباد كبير أمراء الأندلس أن يقدموا له الدعم والمساندة البحرية لفتح المدينة ؛ وفعلت جرت معركة برية وبحرية بين الحلف المرابطي الإشبيلي وحاكم سبتة سكوت البرغواطي وأبنائه كاد الانتصار فيها أن يكون حليف هذا الأخير لولا دخول سفينة حديثة الصنع إلى المعركة (ابن بسام، الذخيرة، ث 2 م 1)، وبعد فتح المدينة أصبحت الطريق إلى الأندلس سالكة.

جاز المرابطون البحر بقيادة يوسف ونزلوا بالجزيرة ومنها ساروا في اتجاه مدينة اشبيلية، وفي ظاهرها التقوا بالأندلسيين جيوشاً وأمراء وقادة فكانت درجة الحماس عند اللقاء عالية بعد زوال الحواجز النفسية والخوف عند الأندلسيين، فالجيش المرابطي نزل بلاد العدو بنظام وانضباط.

علم الفونسو السادس ملك قشتالة بعبور يوسف بن تاشفين وهو يحاصر مدينة سرفسطة ففك عنها الحصار وعاد إلى طليطلة ليستعد للحرب فاستنفر جيوش بلاده وبعث إلى ملك أراغون الذي كان محاصراً لمدينة طرطوشة، واستدعى قائده البرهانس الذي كان محاصراً لمدينة بلنسية فلاحقوا به، وقدم الفرسان من فرنسا وإيطاليا وغيرها. حشد له من جنود النصرى ومتطوعتهم أمماً لا حصر لها "وبعث إلى بلاد قشتالة وجليقية ونبيلونة فأتاه من تلك البلاد من حشود الروم أمم لا تحصى" (القرطاس، 145، 146) ؛ (الاستقصا، 2: 14) ولما رأى الفونسو السادس كثرة جيوشه أصابه الغرور وهتف قائلاً "بهؤلاء أقاتل الجن والإس وملائكة السماء" (الروض المعطار، 289).

أما يوسف ابن تاشفين ورعياً لقواعد السنة الإسلامية. أرسل إلى الفونسو خطاباً يدعو فيه إلى الإسلام أو أداء الجزية أو الحرب، فاستكف الطاغية واستكبر. وخرج بجيوشه وحشوده الهائلة متوجها نحو بطليوس وكان المسلمون قد عسكروا بالقرب من المدينة في بسيط الزلاقة واستقرت الجيوش النصرانية في مكان يبعد بنحو ثلاثة أميال عن المعسكر الإسلامي، يفصل بينها وبين فرع وادي يانة الممتد شمالاً في اتجاه نهر "التاجه (دولة الإسلام، 322) ؛ ورغم اعتداد الفونسو بكثرة جيوشه، فإنه لجأ إلى الخديعة فأرسل إلى المعتمد بن عباد يوم الخميس مقترحاً أن تكون المعركة يوم الاثنين مبرراً اقتراحه بكون الجمعة والسبت والأحد أياماً مقدسة عند المسلمين والنصارى واليهود (القرطاس، 150) لكن المعتمد ابن عباد بما أوتي من تجرية وحنكة فطن إلى الخديعة فأمر جنوده أن يكونوا على أهبة الاستعداد التام للمعركة وأرسل إلى يوسف مخبراً إياه فاستنفر جيوش المرابطين ؛ وقبل بزوغ فجر يوم

الجمعة 12 رجب عام 479 / 23 أكتوبر 1086 بدأت الجيوش المسيحية زحفها نحو المعسكر الإسلامي، وهذه أصح الروايات في تاريخ معركة الزلاقة كما وردت في القرطاس والحلل المشوية، وفي رسالة يوسف بن تاشفين إلى المغرب يعلمه بالفتح والنصر، ورأى المسلمون أن يبقى الجيش المرابطي مختبئاً بعيداً عن الجيش الأندلسي بحوالي ستة أميال ولا يدخل المعركة مع الجيش الأندلسي بقيادة ابن عباد إلا فرقة على رأسها القائد داود بن عائشة (القرطاس، 156، استقصا، 2: 14 و 15).

كانت الخطة المسيحية تعتمد على عنصر المباغتة، وقد قسم الفونسو جيوشه إلى قسمين : الأول بقيادة القائد القشتالي البرهانس وملك أراغون ابن روزمير والقسم الثاني بقيادة الفونسو نفسه بحيث يهاجم الأول الجيش المرابطي ويتولى الثاني مهاجمة القوات الأندلسية ؛ ودخل الجانبين المسيحي والإسلامي المعركة وفق الخطط التي رسمها المتحاربون ؛ لكن الجيش المسيحي كان أكثر عدة وعدداً حتى إن التقديرات جعلته أضعاف الجيش الأندلسي والمرابطي مجتمعاً ثلاث مرات، فكان الظهور أولاً للمسيحيين وتراجعت طوائف كثيرة من الأندلسيين بطليوس لكن المعتمد بن عباد على رأس جيشه صمد في وجه العدو وقاتل بشجاعة نادرة رغم كثرة الجراح التي أصابته، فأيقن الفونسو السادس من الانتصار وبدأ جنوده يلاحقون المتراجعين من جنود الأندلس ظانين أن المعركة في نهايتها وأنهم قاتلوا الجيوش المغربية والأندلسية مجتمعة. عندئذ برزت جيوش يوسف مقسمة إلى قسمين : فرقة بقيادة ابنه الأمير سير واتجهت لنجدة ابن عباد، والفرقة الثانية بقيادة يوسف نفسه اتجهت نحو معسكر العدو ؛ وانقضت على محلة الفونسو فنهبتها واضرمت النار في الخيام بعد أن قتلت حراسها وسبت حريمها ثم التحق بالمعركة الكبرى فانقلبت الموازين لصالح المسلمين إذ انتقلت إليهم المبادرة، فسحق جيش قشتالة - المنهك ولم ينفع الملك القشتالي وقليل من رجاله إلا الفرار، وطاردهم المسلمون إلى أن حال بينهم الظلام ثم استؤنفت المطاردة في اليوم الموالي ؛ وتؤكد مختلف الروايات الإسلامية أن الحسائر في الأرواح في صفوف المسيحيين كانت كبيرة : "مات من جيشهم خلائق، وتبددوا في الطريق، فمن بين قتل وميت مثقل صريع..." (التبيان، 125) وعن القتلى في صفوف المسلمين قال أحد الذين شهدوا المعركة وهو كانت ابن عباد (أبو بكر بن القصيرة : "ولم يصب بحمد الله من المسلمين - وفرهم الله - على هول المقام، وشدة الإقتحام كثير ولا مات من أعلامهم تحت تلك الجولة إلا عدد يسير..." (الذخيرة، ق 2 م، 1 : 244).

وبما ساعد المسلمين على الانتصار في معركة الزلاقة مشاركة حرس ابن تاشفين من السودانيين، وكان عددهم أربعة آلاف مقاتل، ووفرة الجمال، فقد "أمر يوسف بن

1119 / 1120 / 1127 وكانت له معرفة بالشيخ الشهير أبي الحسن علي بن محمد بركة الأندلسي ووقفت له على مساجلة شعرية معه بدأها المترجم له مادحاً الشيخ المذكور،
مطلعها :

يهنيك أن حزت المفاخر كلها لما رقيت منابر التوفيق
توفي عبد الرحمن الزلال بتطوان عام 1130 / 1717.
أ. الرهوني، عمدة الراوين، 6 : 171. مخطوط : م. داود، تاريخ
تطوان، 2 : 287. 286 : مجموع مخطوط رقم 605 بخزانة تطوان
العامه.

محمد بوخيزة

الزلال، عبد السلام بن أحمد، قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني مصور، انضم إلى صفوف المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الرسوني ؛ وشارك في جميع المؤتمرات التي عقدتها الثورة وعين عضو القيادة المركزية للثورة في المؤتمر المنعقد بضرخ مولاي عبد السلام يوم الأحد 15 شعبان عام 1331 / 20 يوليوز 1913.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الرسوني والمقاومة المسلحة بشمال المغرب، الرباط، 1981.

الزلال، العربي بن عبد السلام قائد كان يرأس مجاهدي قبيلة بني مصور انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الرسوني، وقد شارك في جميع المؤتمرات التي عقدتها الثورة في كل من ضرخ سيدي بسف التليدي وضرخ مولاي عبد السلام بن مشيش وقرية عين الدالية سنة 1331 / 1913 عضو القيادة المركزية للثورة ؛ وشارك في عدة معارك إلى أن استسلم وقدم الطاعة للخليفة السلطاني سنة 1345 / 1926 حيث عين قائداً على قبيلته.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الرسوني والمقاومة المسلحة بشمال المغرب، الرباط، 1981.

الزلال، العياشي قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني مصور انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الرسوني، انتخب في مؤتمر الثورة المنعقد بقرية عين الدالية يوم 11 ماي 1913 عضواً في المجلس الأعلى للثورة ؛ وهو الذي استلم البنادق ذات الطلقات الخمسة (الخماسية) التي اشتراها زعيم المقاومة بالسوق السوداء بطنجة يوم 29 أبريل 1913 ؛ وفي مؤتمر الثورة المنعقد بقرية الزوة بقبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915 عين وكيل مالية المقاومة وقد شارك في 45 معركة إلى أن انتهى أمر المقاومة سنة 1345 / 1926 وعندئذ استسلم وقدم الطاعة إلى الخليفة السلطاني بتطوان.

تاشفين بعبور الجمال فعبور منها ما أغص الجزيرة وارتفع رغاؤها إلى عنان السماء ولم يكن أهل الجزيرة رأوا جملا قط ولا خيلهم رأتها قط فصارت الخيل تجمجم من رؤية الجمال ورغائها وكان ليوسف رأي مصيب في عبورها فكان يحدق بها عسكريه ويحضرها الحرب فكانت خيل الفرنج تجمجم منها" (وفيات الأعيان، 5 : 27 : 116). ووقعت مبالغات في تقدير خسائر الجانبين في هذه المعركة "وإن كانت الرواية النصرانية تجمجم على أن الموقعة كانت هائلة، وأن خسائر النصارى كانت فيها ذريعة فادحة. ولا ريب أيضاً أن خسائر المسلمين كانت عظيمة وإن كانت أقل بكثير من خسائر النصارى" (دول الطوائف، ص. 328)..

وتجمع كذلك كل المصادر على أن انتصار المسلمين في معركة الزلاقة أعطاهم فرصة البقاء في الأندلس أربعة قرون أخرى بعد أن كانوا قد زلزلوا فيها زلزالاً شديداً.

ابن بسم الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، بيروت، 1978 - 1979 : ع. الله ابن بلكين، التبيان، الرباط، 1995 : أ. ابن خلكان، وفيات الأعيان، بيروت، 1968 و1969 و1979 : ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972 : ع. المنعم الحميري، الروض المعطار : أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954 : يوسف أشباح، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1958 : ع. الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 1964 و1987 و1988 : ملوك الطوائف (العصر الثاني)، ط2، القاهرة، 1969.

Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Paris - Casablanca, 1967 ; J. Descola, *Histoire de l'Espagne*, Paris, 1959.

محمد حجاج الطويل

الزلال، - بتفخيم اللام المشددة - أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني مصور إحدى قبائل الجبل القريبة من تطوان وطنجة لمجشري الخندق ويوغابش ومنهم من تولى القيادة أيام الحماية.

الزلال، عبد الرحمن بن علي التطواني الفقيه العلامة المفتي النوازلي القاضي الأديب الخطيب، لا ندري عن أوليته ودراسته وأهله، ومن تلاميذ المترجم له الشريف العلمي الشفشاوني، فقد وصفه بشيخنا في نوازله ونقل عنه فتاوي في الأنكحة وغيرها. ومنها حكمه القضائي المهم في النزاع الناشب بين قبيلة الحوز وأهل تطوان في أراضي شاسعة أسفل الملاليين إلى شاطئ البحر كان الطرفان يدعيان ملكها بدون حجة، فحكم بأن تبقى هذه الأراضي مراعي مشتركة بينهما، ووقع الترامي عليها بعد ذلك وملكت منها حقول بيعت بعد استقلال المغرب بأموال طائلة وأقيمت عليها مشاريع سياحية وفنادق وملاعب وغير ذلك، وحالها كما سمعت، وقد كان المترجم له قاضياً أعوام

م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة بشمال المغرب، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

زلو، أسرة سلوية ربّما كان أصلها من سوس من عشيرة الشيخ وگاگ ابن زلو صاحب الرباط الشهير قرب مصب وادي ماسة وهم أهل حرفة ومروءة وديانة. ينتسبون إلى الزاوية الحجية، وتوارثوا التقديم على مريدي هذه الزاوية معظم القرن الرابع عشر (20 م) وأشهر هؤلاء المقدمين الحاج حجي زلو والحاج عمر زلو. كما اشتهر منهم أساتذة مدررون كانوا يعلمون الصبيان القرآن في كُتاب معروف لهم بالمدينة إلى جانب كتابتهب الأساتذة المدررين في القرن الماضي : بربطل وبوشعرة والنجار.

زلو، العربي موسيقي ماهر يعزف على آلة البانجو. كان موظفا بوزارة المالية، ثم تفرغ للفن فعمل في عدة أجواق، حافظاً نويات الموسيقى المغربية المسماة أندلسية، والطرب الغرناطي، وقصائد الملحون والأمجاد النبوية. وشارك في عدة مهرجانات وطنية ودولية بإشراف وزارة الشؤون الثقافية.

توفي بسلا سنة 1407 / 1987. وأقيم له حفل تأبيني عند مرور سنة على وفاته شارك فيه عدة جمعيات ثقافية وموسيقية.

وتائق عائلية، ومعرفة شخصية ؛ أبو رقرق مجلة، ع. 4 : 1988.

محمد حجي

الزليج، ينطلق الفن الإسلامي من رفض تقليد المظاهر المحسوسة ممتثلا في ذلك لمقتضيات الدين. فالقرآن في الحقيقة يحرم الأصنام وليس الصور. وهكذا فالجمالية في الفن الإسلامي تضم الفنون المستوحاة من الشهادة العقدية بعظمة الله تعالى ووحدانيته : "لا إله إلا الله".

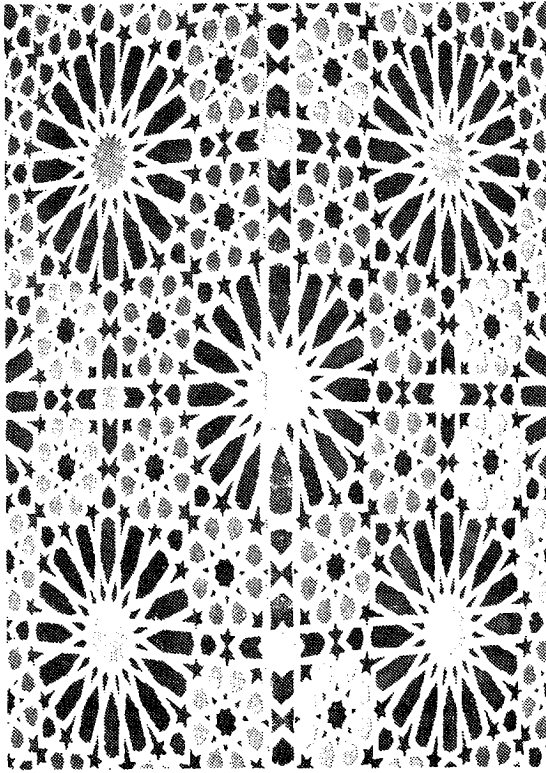
ويتجسد ذلك فعلا، في الفن المعماري، بالتجريد. كونية الفن الهندسي : ينبثق الفن الهندسي للزليج مباشرة من نظرة شمولية وموحدة : إنه فن تجريدي إيقاعي وساحر ؛ هدفه هو جعل سمة الخلود تنعكس على الحاضر، وجعل الباطن ظاهراً عبر الهندسة وموسيقى الأشكال. وانطلاقاً من بعده الراقي هذا يمكننا تحديد مدى مساهمته في الحضارة الكونية. ولقد قارب هذا المبدأ للنظام العالمي، خلال العصر الذهبي الأندلسي تخوم الخيال الإبداعي منقياً في كل أشكال التناسق انطلاقاً من الخوارزميات وكأنها "مرآة فنية" للتقدم العلمي يطبعها نموذج وحدة المعرفة والتعالي.

- إن المقومات أو "عناصر اللعبة" في الشكل الهندسي وكذا المفاهيم الأولية للتناظر كانت موجودة منذ غابر الزمن

في عالم الزخرفة لدى المجتمعات البدائية أو الرحالة.

- تطورت في العديد من الحضارات أشكال زخرفية معتمدة على التناظر والمبادئ الهندسية المشابهة لفن الزخرفة العربي. نذكر من ذلك على سبيل المثال فن "المندلا" (الهند، والصين واليابان) وفن "المودرا" (الحركة في الرقص الهندي) والرسم الرمزية لنقاجو (أمريكا الشمالية) والتشبيكات السلتنية.

ولكن مع ظهور الإسلام وانتشاره، منذ القرن الأول (7 م) وإحيائه لمفهوم الوحدانية المطلقة، وانفتاحه على العديد من عوالم التمثيل التي عرفتها تقاليد المجتمعات الرحالة والمستقرة على حد سواء، سيظهر فن جديد مزيج بين التعددية والوحدانية" ليخرجها في ألمع صور التجريد الدقيق والشاعري. إنه "تعال" ورقي جمالي في مخاض، ظهر قبل التجريد الذي طبع الفن التشكيلي الغربي بعشرة قرون.



- أصبح فن الخط هو عنوان الفعل الإبداعي الرباني.

- وجسد فن الزخرفة العربي أقصى رمزية في مملكة النبات.

وعكست الزخرفة الهندسية ذلك البحث العميق عن المزج بين علم الأرقام والأفكار والأشكال الأولية لأفلاطون من جهة وذلك الحدس العارف للجمال الملازم للعالم المعدني والبلوري من جهة أخرى.

من إشبيلية إلى لاهور ومن بغداد إلى فاس، ترى نفس الحذق / الاستلاب المائل نحو إبداع الأشكال الهندسية والتداخلات المقصورة يحدد أسلوب زخرفة المساجد والمدارس والقصور والإقامات الخاصة.

تفوق 400 شكل، ويمكن تصنيفها حسب مجموعات صغرى :

- الأشكال البسيطة : أدهار يتم الحصول على الرسم بواسطة قطعة واحدة منسوخة متنوعة حسب لون القطعة.
- الأشكال المعقدة حيث يوظف عدد كبير من القطع.
يمكن تصنيف مجموعتين كبيرتين من الأشكال :

- عَمَلٌ عادي

- عَمَلٌ بالقطيب

ومن أمثلة العَمَلِ العادي :

- العنكبوتية : توحى التسمية ببيت العنكبوت، وذلك، لسببين أولهما أن شكل الرسم يذكر بيت العنكبوت، وثانيهما أن تركيب مقياس التناسب يتم ابتداءً من الوسط نحو المحيط الخارجي.

- السطاشري، وهو كذلك صنعة دائرية لكن مركزها مكوّن من نجمة متفرعة إلى 16 ورده.

ومن نماذج "العمل بالقطيب"، هي صنایع أو شبكة أشكال تحيط بجميع المقاييس المكوّنة، هذه البنيات ذات المهارة الفائقة، يمكن أن تكون مستوى واحداً إلى خمس مستويات من التعقيد والتشابك.

تهيئ لوحات على الجدران وتسويتها.

يقع تركيب اللوحات من طرف معلم فرأش في مرحلتين :

- بعد أن تؤخذ مقاييس الجدار، يقسم إلى قطاع بشكل لوحات مستطيلة الشكل في الغالب، ويقوم المعلم حينئذ بتخطيط الخطوط الكبرى للزخرفة المعينة على الأرض ويشرع في العملية الدقيقة للتجميع المقلوب. تكون القطعة الرئيسية (مقياس التناسب) هي التي توضع أولاً، وتأتي بعدها القطع الخارجية المحيطة وشبنا فشبنا تتسع الدائرة إلى أن يأخذ الزخرف المعين شكله النهائي.

تأتي بعد ذلك مرحلة تقوية التجميع، فيوضع إطار عند نهاية التجميع ويملاً تخليط من السبما والرمل الدقيق من أجل ضمان تماسكه والتحامه.

- ثم تلصق اللوحات على الجدار حسب تسلسل تجاورها المرتب مسبقاً. ويُستعمل من أجل ذلك بين اللوحات والجدار خليط سائل مزيج من الماء والسبما ليضمن الالتحام النهائي للوحات بالجدار.

محمد عزيز الشفاونى

زليل Zilil مدينة قديمة ورد اسمها في المصادر بصيغ مختلفة نوعاً ما كما سنعرض لذلك. وقد اخترنا صيغة زليل نظراً لتوافقها مع اسم المدينة كما هو وارد في النقائش.

أول من ذكرها هو ألكساندر بولسطور Alexandre Polyhistor، الذي عاش في القرن الأخير قبل الميلاد، وهو

وستوارث أسرار فن الزليج أباً عن جد بدون أي تعليم منظم. وفقط طبقاً لقواعد التناسب التي ستنسق بين أبجدية الأشكال الأولية (كالمثلث والمربع ومسدس ومثلث الزوايا) ونسق معين من التقاطعات والتلاحمات ستظهر زخارف دقيقة غنية مماثلة لمجموعات نجوم من قبيل الأنظمة ذات 8، 16، 24، 32 و48 فرعا أو زوايا الاتساع.

- ولقد اختص المغرب الأقصى والأندلس بالفن الهندسي حتى أصبح الفن الطاغى بهذه البلاد ليبلغ أوجه في صناعة الزليج التي بها زُخرف قصر الحمراء بغرناطة وقصر البديع بمراكش وجل المنشآت المعمارية في المغرب الوسيط والمعاصر. وبعد سقوط مالك الأندلس ورث المغرب مكاسب من هذه الحضارة المشرقة وصناعاتها الماهرين.

سيرورة الإنتاج. كما في مجال صناعة الفخار، فالطين هو المادة الخام الأساسية المستعملة في صناعة الزليج. في البداية يوضع الطين الخام مفتتاً في صهريج ماء دائري (زوية) حتى يتم التأكد من تحلله. ويدوم التخثير هكذا يومين إلى ثلاثة أيام. وبعد ذلك تتم عملية المجانسة عجننا ودلكاً باليد مع التنقية من الفضلات. وهكذا بعد التجفيف في الظل نحصل على عجين من طين قابل للقولبة.

وتتمثل العملية الموالية في صناعة المربعات. لهذا الغرض يملأ المعلم الضراب قالبه طينا بواسطة مطرقة مسطحة، بعدها، توضع المربعات تحت أشعة الشمس لتجف وتيبس. وبعد ذلك تأتي عملية الحرق داخل فرن محكم الإقفال حرارته 950 درجة مئوية. وتدوم عملية الحرق هذه لساعات. وبعد برود الفرن تستخرج المربعات وهي معدة للطلاء بالميناء وهو تلوين وجه المربعات وإعطاؤها لمعانا معيناً. ويتم تحضير الطلاء اعتماداً على مسحوق الألوان مع إضافة معدني القصدير والرصاص. ويتذويب العناصر الثلاثة بالنار، نحصل على سائل الصباغة. ولتثبيت طلاء المينا وضمان لمعانه يتم اللجوء ثانية إلى عملية الحرق في نفس الظروف التي مرت بها الأولى.

القطع والأشكال :

تتم صياغة النموذج من لدن المعلم الخطاط الذي يضع الهندسة المعمارية للرسم على الورق ثم يسلمها للمعلم النقاش قصد التقطيع. وتتطلب عملية الانجاز عدة مراحل - مرحلة التحليل حيث تحدد أشكال وأعداد مقاييس التناسب المنحوتة.

- مرحلة رسم المربعات بواسطة المسطرة أو اعتماداً على القطعة الرئيسية التي يراد نسخها.

- مرحلة القطع في حد ذاتها التي تشتمل على قطع أولي تقريبي ثم قطع نهائي دقيق.

وقد تكون لأنواع القطع الممكن الحصول عليها من النموذج الواحد أهمية بالغة ولكل مقياس تناسب هويته واسمه الخاص.

تُعد مقاييس التناسب في مجال فن الزليج بالمئات، قد

معاصر ليوليوس قيصر. وقد كتبها كما يلي: Xilia وذلك في كتابه الرابع الذي يحمل عنوان Libyques. بعد ذلك وردت عند سترابون في بداية القرن الأول الميلادي. وهذا قوله: "إذا أبحرنا انطلاقاً من لونكس Lunx (لكسوس) متجهين صوب البحر الداخلي (الأبيض المتوسط) فإننا نجد على التوالي زليس Zelis وتيكة Tiga (طنجة)" (Strabon, 17, 3, 6). وفي سياق آخر تحدث مرة أخرى عن طنجة قائلاً: "في ما مضى كانت هناك مدينة مجاورة لتيكة تدعى زليس Zelis, لكن الرومان نقلوها (يقصد نقل أهلها) إلى الساحل المقابل (يقصد الساحل الإسباني)، بعدما أضافوا لسكانها قسماً من أهل تيكة. ثم أتوا إليهم بمستوطنين رومانيين وكونوا منهم مستوطنة تحمل اسم إبوليا إيوزا (Strabon, 3, 1, 7) Iolia Ioza".

ثم ذكرها بومبونيوس ميلا الذي أصدر كتابه في الجغرافية حوالي سنة 40، وذلك في تعريفه بالمواقع الأطلسية، متجهاً من الجنوب إلى الشمال قائلاً: "نجد على البحر كلا من سلا ولكسوس التي يسقيها نهر لكسوس ثم مستوطنة زلية Zilia" (Méla, 3, 10, 107).

ثم تحدث عنها بلينيوس الأكبر المتوفى سنة 79 في تعريفه بالمواقع الأطلسية، متجهاً من الشمال إلى الجنوب وهو الذي سماها زليل قائلاً: "بعد خمسة وعشرين ميلاً من تنجي Tingi نجد على ضفاف المحيط مستوطنة أغسطسية تدعى يوليا كنستانتيا زليل Colonia Augusti Iulia Constantia Zili. وهي لا تخضع لسيادة الملكين، (يقصد الملك يوبا الثاني وابنه بطليموس اللذان تمتد فترة حكمهما بين 25 ق م و40) نظراً لارتباطها إدارياً مع بيتيكا Baetica. وبعدها توجد مدينة لكسوس على بعد اثنين وثلاثين ميلاً" (Pline, 5, 2).

ثم كتبها الجغرافي بطليموس في القرن الثاني الميلادي كما يلي: زلية Zilia وذكرها على رأس المدن الداخلية، متبعاً في إحصائها الاتجاه من الشمال إلى الجنوب. وحدد لها الإحداثيات التالية: الطول 6 و10 والعرض 35 و30. وبعدها ذكر ليكس Lix (لكسوس) (Ptolémée, 4, 1, 7).

كما وردت في مسالك انطونوس في القرن الثالث الميلادي بصيغة زلي Zili مرتبة على الطريق الرومانية الساحلية، في اتجاه من الجنوب إلى الشمال. فذكرت بعد تابرناي Tabernae بأربعة عشر ميلاً، وقبل أدمركوري Ad Mercuri بستة أميال وهي تبعد عن مستوطنة تنجي Tingi Colonia بأربعة وعشرين ميلاً (2, Itinéraire)، وهي مسافة تكاد تكون مطابقة لما ذكره بلينيوس الأكبر حول المسافة الفاصلة بين مدينتي طنجة وزليل.

وأخيراً وردت عند الجغرافي الرافيني في القرن السابع الميلادي، بنفس الصيغة التي وردت بها في مسالك انطونوس، علماً بأن هذا المصدر هو الذي اعتمده الكاتب المذكور في معرفة عدة مواقع مورية. ولقد اتبع الكاتب

نفس الاتجاه في سرد المواقع التي تندرج ضمنها هذه المدينة، أي من الجنوب إلى الشمال، فوضعها بين تابرنتيس Tabernis ومستوطنة تنجيس Le Tingis Colinia (Géographe de Ravenne, 5, 4). وفي سياق آخر خالف الكاتب الاتجاه المتبع في مسالك انطونوس بالنسبة للطريق الذي تندرج فيها المدينة، أي بدأ من الشمال ورتب المدينة بين تنجي وتبرنيس (Le Géographe de Ravenne, 3, 11).

إن بعض هذه الأخبار التي تحدثت عن وضعية المدينة تعكس مصير البلاد كلها بعد وفاة الملك بكوس الثاني سنة 33 ق م. حيث قرر القائد الروماني أكتافيوس Octavius أن يسيطر على موريطانية وتحولها إلى ولاية رومانية. لكن الموريين ثاروا ضده ومنعوه من تحقيق مشروعه التوسعي. فما كان على القائد المذكور إلا أن يتدخل عسكرياً في موريطانية. فتصدى لمقاومة السكان بعنف مدمر، ترك بصماته في التخريب الذي تعرضت له عدة مواقع أثرية في شمال موريطانية، وهي تمودة وسيدي عبد السلام البحر في ناحية تطوان ومواقع قروية في ناحية طنجة وزليل ولكسوس.

ونعتقد أن ترحيل سكان زليل مرتبط بهذه الأحداث. مما يعكس إيمان أكتافيوس في الانتقام منهم، لكونهم ربما تزعموا هذه المقاومة ضد رومنة بلادهم. وهذه سياسة طبقتها أكتافيوس حتى في إيطاليا حيث شرد سكان عدة مدن وحولها إلى مستوطنات خاضعة له (Dion Cassius, 51, 4). وفي موريطانية تمكن أكتافيوس من إخماد الثورة المورية، وأقام أربع مستوطنات هي طنجة وزليل وبناسة وبابة.

هذا عن المدينة وبعض من شؤونها كما وردت في المصادر، فماذا نعرف عن نتائج الأبحاث الأثرية حول هذه المدينة؟ لقد قام الخلاف حول موقع المدينة منذ شارل تيسو، الذي ظن أن مدينة أصيلاً تغطي أطلال زليل القديمة، غير أن أوزينا رجح أنها تقع في مكان بعيد عن أصيلاً بحوالي 13 كلم جوا يسمى حالياً الدشر الجديد، حيث توجد أطلال قديمة رجح تيسو أنها مثل موقع أدمركوري Ad Mercuri القريب من زليل في مسالك أنطونوس. لكن موريس لنوار أوضح أن صاحب هذا الرأي هو باحث إنجليزي يدعى سبول Spaul، وذلك في أطروحة أنجزها سنة 1957.

ثم إن البعثة الأثرية المغربية الفرنسية التي تنقب في موقع الدشر الجديد اكتشفت سنة 1986 نقائش لاتينية تحمل اسم زليل كما كتبه بلينيوس الأكبر، وتحدثت عن سكانها بالصيغة التالية Zilitanorum. وبذلك قضى الأمر في الخلاف حول تحديد موقع هذه المدينة القديمة. كما اكتشفت نفس البعثة موقع أدمركوري بين زليل وطنجة وفقاً لما ورد في مسالك أنطونوس.

أهم ما أسفرت عنه تنقيبات البعثة المذكورة هو وضع استراتيجرافية مضبوطة لمراحل إعمار المدينة في الفترة المورية مع التمييز بين مستويين أثريين.

فالمستوى الأسفل يمثل مرحلة الاعتماد على المنتجات المحلية والاستغناء عن السلع الرومانية، التي كانت تروج بكثافة في بقية أرجاء العالم المتوسطي مثل قرطاجة ونوميديا وإسبانيا. أما المستوى الموري الثاني فإنه يتميز بانفتاح موريطانية للسلع والتأثيرات الرومانية. وقد فسر الدارسون للموقع هذا التحول كما يلي : "إن هذه القطيعة الثقافية بين المستويين تبدو عميقة ... والدليل على ذلك هو غياب المواد المستوردة في المستوى الأول، وغزارتها في المستوى الثاني".

ونحن هنا بصدد مسألة عزيزة على الباحث في التاريخ القديم، وهي تطابق النصوص والآثار حول موضوع شغل اهتمامنا كثيرا، عاجلناه في مادة الرومان والمغرب. والأمر يخص العلاقات بين موريطانية وروما التي ظلت جامدة إلى أواخر القرن الثاني قبل الميلاد.

م. مجدوب، مملكة المورين وعلاقتها مع رومة لغاية سنة 33 ق.م. رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، 1990، مرقونة : أضواء على أوضاع موروسية من خلال حرب بوغرطة، بحث، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العددان، 2، 3، 1990، ص. 82.61 : دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، 1988، مرقونة.

A. Akerraz, N. El Khatib-Boujibar, A. Hesnard, A. Kermorvant, E. Lenoir, M. Lenoir, *Fouilles de Dchar Jdid 1977-80*, B.A.M., 14, 1981-2, p. 169-225 ; A. Akerraz, N. El Khatib-Boujibar, A. Hesnard, A. Kermorvant, E. Lenoir, M. Lenoir, G. Montheil, *Ab eo XXV in ora oceani Colonia Augusti Iulia Constantia Zilil, Africa Romana*, 4, 1987, p. 433-44 ; *Recherches archéologiques récentes à Dchar Jdid, (Zilil), les découvertes monétaires*, Bulletin de la Société Française de Numismatique, 44ème année, 2, 1989, p. 510-5 ; M. Kovatchévan, *Recherches archéologiques sur trois sites archéologiques du Maroc*, B.A.M., 16, 1985-6, p. 285 - 93 ; P. Rouillard, *Le commerce grec du 5ème et 4ème siècles av. J.C. dans la région de Lixus et de Gades*, Collection de l'Ecole Française de Rome, 166, 1992, p. 207-15 ; M. Majdoub, *Les luttes du début du 1er s. av. J.-C. au nord de la Maurétanie*, Collection de l'Ecole Française de Rome, 166, 1992, p. 235-8 ; Idem, *La Maurétanie et ses relations commerciales avec le monde romain jusqu'au 1er s. av. J.-C.*, Africa Romana, 11, 1996, p. 287-302 ; Idem, *Octavius et la Maurétanie*, Africa Romana, 13, 2000, p. 1725-37 ; Idem, *Note sur les niveaux maurétaniens dans les régions de Tétouan et de Tanger*, Journée d'études sur les niveaux maurétaniens organisée par l'Institut National des Sciences d'Archéologie et du Patrimoine, Rabat, 26/5/2000, sous presse ; M. Lenoir, *Ad Mercuri Templum, voies et occupation antique du nord du Maroc*, *Madrid Metellungen*, 100, 1993, p. 5079-20.

محمد مجدوب

زمبيل Zumbiehl طبيب فرنسي من الأطباء الذين

المستوى الأسفل يتضمن ما يلي :

الخزف المصبوغ

الأمفورات 4 Mana أو 2-3 Kouass

الخزف المغطى بطلاء أحمر Céramique à engobe rouge

- المستوى الثاني يتضمن ما يلي :

الأمفورات المورية من النوع Dr. 18

الخزف الكيماني المتأخر معظمه من النوع B بكمية أكبر

من النوع A المتأخر

الأمفورات الايطالية خاصة النوع Dr. 1

الخزف الدقيق Céramique à paroi fine

ولقد تعرض هذا المستوى للتخفيف قبل رواج الخزف

الأرتزي في حوالي السنة 30 ق. م.

يؤكد الدارسون أن التاريخ للمستوى الأول مرتبط من الناحية الاستراتيجية بالمستوى الثاني، الذي يعلوه ذون فاصل واضح. وهذا يعني أن تاريخ إعمار المستوى الأول يبتدئ من وقت غير مضبوط، لكنه ينتهي في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد. أما المستوى الثاني فيمتد تاريخه من بداية القرن الأخير قبل الميلاد إلى حوالي سنة 40 ق. م. نظراً لعدم وجود الخزف الأرتزي.

وفي سياق آخر، أكد الدارسون أن المستوى الأول تعرض للتخفيف خلال القرن الثاني قبل الميلاد، دون تدقيق أوضح، وتلا ذلك إعمار جديد انتهى بالتخفيف حوالي سنة 30 ق.م. أما التحاليل المخبرية فقد توصلت إلى أن أقدم آثار الموقع ترجع إلى ما بين القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد.

الإشكال الذي ظل معلقاً حتى الآن بالنسبة للمستوى الأسفل هو عدم إكمال الاستتار حتى الأرض البكر. والغاية من التنقيب حتى الأرض البكر هي التأكد من بقية المواد التي يفترض أنها توجد بالموقع، وربما العثور على مستوى آخر أسفل المستوى الموري الأول. وقد يكون مستوى فنيقيا كما هو الأمر في مكدور ولكسوس وسيدي عبد السلام د البحر وأمسة. وهنا أتساءل عن الخزف الأحمر الذي يوجد في المستوى الموري الأول إلى أي حد يمثل مواد متبقية من مستوى أسفل ؟

ثم إن الكشف عن كل الطبقات في زليل سيفيد في مسألة وجود الخزف الإغريقي أو انعدامه، وهو معروف في مواقع أخرى خاصة في موقع الأقواس القريب من زليل. وقد استمر رواجه في المواقع المورية حتى القرن الرابع قبل الميلاد.

ومهما يكن من أمر، فإن استراتيجيات زليل هي على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لدراسة الحياة الاقتصادية بموريطانية، وعلاقتها التجارية في الفترة المورية. ومن المعلوم أن هذه الاستراتيجيات تعد من الناحية المنهجية، النموذج الأمثل مما أُنجز لحد الآن، في ضبط تراتب مستويين موريين "مختلفين ثقافياً واقتصادياً"، حسب تعبير المنقبين في الموقع.

متوجة بخفة مكونة من توالي تقببات ومنخفضات كبيرة الشعاع. وتوافق المنخفضات إما مجاري فروع دابرة لواد تساوت في اتجاه ثغرة واد كاينو شمالا، وإما منخفضات شبه مغلقة كمنخفض بويدة شمال قلعة تازارت.



من الناحية البنيوية تعد بلاد زمران جزءا من منخفض سهل الحوز الذي يمثل حوضا رسوبيا قاريا منذ النيوجين إلى الزمن الجيولوجي الرابع. وبذلك شكلت بلاد زمران مجالا تراكمت فيه خلال هذه المدة مواد فتاتية مولاسية مكونة من توالي عدسات رصيصة، حثية أو صلصالية ميوليوسينية، أو مواد رباعية مختلفة الأبعاد أكثرها أهمية مواد الرباعي الأوسط. ومجموع هذه المواد ناتجة عن تعرية سلسلة الأطلس الكبير التي تعتبر المناطق المزودة بالرواسب والمياه. وبلغ سمك هذه المواد عموما 200 م، إلا أنه يقل في اتجاه الشمال. وتتكون الركيزة الجيولوجية من الترياس والزمن الأول، إلا أن مواد الترياس تنتهي مائلة مباشرة بحاشية الأطلس التي تحدها انكسارات عكسية كانكسار سيدي رحال. ولهذه المعطيات البنيوية انعكاسات على التربة والموارد المائية خاصة الباطنية.

أما مناخ بلاد زمران فيصعب التدقيق في خصائصه، لكنه بصفة عامة يتميز بمميزات المناخ المتوسطي السائد في كل سهل الحوز. وهو بذلك يجمع بين القساوة بالجزء السهلي شمالا، وبتزايد الأمطار وانخفاض طفيف للحرارة في اتجاه الحاشية الجبلية بحكم تزايد الارتفاع المتوسط الحراري السنوي مرتفع عموما (قلعة السراغنة 19,7 شمالا أيت أورير 18,9 جنوبا، سيدي رحال 18,5 بالدرجة). متوسط أبرد شهر 11,9 ومتوسط أسخن شهر 27,1. فوارق يومية وشهرية كبيرة. أعلى معدل (39 بقلعة السراغنة، 37,1 بأيت أورير). أدنى معدل (4,5 بقلعة السراغنة، 5,4 أيت أورير). كما تتعرض المنطقة لموجات حرارية عليا أو دنيا قصوى حادة (50,5 بشهر يوليو 1924 بقلعة السراغنة و(3 بشهر يناير 1918، ثم 48,8 يوليو 1938 و(0 بأيت أورير).

متوسط التساقطات يتراوح بين 300 و600 ملم سنويا (قلعة السراغنة 257 ملم، سيدي رحال 392 ملم وأكادير بوعشبية 612 ملم)، لكن توزيعها غير منتظم مجاليا وزمانيا.

عملوا بالمغرب عدة سنوات. ولد في 19 غشت 1866 بمدينة مولوز Mulhouse، وتابع دراسته في كلية الطب بنانسي Nancy حيث قدم أطروحته في صيف 1889.

عين زمبيل بطلب من ليناريس Linarès في البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب، ليحل محله في تلك المهمة ما بين 1899 و1902، وليوازن به تأثير الطبيب الإنجليزي Verdon (وهو أخ لأحد ضباط ماكلين Mac Leau. بقي طبيبا لحرس السلطان إلى سنة 1912)، عند اصطحاب أعضاء البعثة خلال تحركات المحلة السلطانية. وكان الدكتور زمبيل يتقن اللغات الإنجليزية والألمانية والعربية. نودي على زمبيل لأول مرة إلى القصر السلطاني في نونبر 1901 ليعالج السلطان من نزلة زكام ألمت به، فأظهر براعة في كشفها عنه وفحص عدد من حريم القصر، مما جعل السلطان يقربه ويهديه حصانا مسرجا.

وفي سنة 1902 غادر الدكتور زمبيل المغرب إلى الجزائر ومنها عاد مرة أخرى إلى المغرب في سنة 1907 ليتأسس مصلحة الصحة الخاصة بطوابير عمليات احتلال الدار البيضاء. وفي ماي 1913 أصبح طبيبا رئيسا لمستشفى ماري فويي Marie-Feuillet بالرباط، ثم عين بعد ثلاثة أشهر مديراً عاماً لإدارة الصحة، وهو أول من عمل على رأس هذه الإدارة. وفي سنة 1918 عين طبيبا لدى السلطان مولاي يوسف.

أنهى الدكتور زمبيل مدة عمله العسكرية كطبيب رئيس لساحة فرساي (Place de Versailles) وشطب عليه من مهامه في سنة 1925.

Maxime Rousselle, *Médecins, chirurgiens et apothicaires français au Maroc (1577 - 1907)*, Paris, 1996.

بوجمعة رويان

زمران، أو زمرارة أو إزمران منطقة تقع في النصف

الجنوبي من سهل الحوز الشرقي. يحدها شرقا وادي تساوت عند خروجه من جبال الأطلس الكبير، وجنوبا الحاشية الشمالية الشرقية لأطلس مراكش الممتدة من أيت أورير إلى أكادير بوعشبية عبر زاوية سيدي رحال. وتحدها من الشمال بلاد السراغنة وأولاد سيدي رحال ثم بلاد الرحامنة. أما الحدود الغربية فتتمثل في سليل وادي تخزيريت.

من الناحية التضاريسية بلاد زمران عبارة عن مجال سهلي. وإذا كان الانبساط هو الطابع العام، فإن أرض زمران مكونة في التفاصيل من مجموعة من المخاريط الانصبابية المتفاوتة الأهمية. هناك مخروطان كبيران هما: مخروط واد غدات غربا ومخروط واد تساوت شرقا. تفصل بينهما مخاريط صغرى أهمها من الشرق نحو الغرب مخاريط أودية أماسين، تازارت، لاغ وتوامة - أماسين. وتفصل بين المراوح الانصبابية منخفضة بيمخروطية متفاوتة الحجم كذلك. وكلما توجهنا شمالا نجد طبغرافية

الرياح السائدة ببلاد زمران غربية وشمالية غربية رطبة عموماً، غير أنها تتعرض صيفاً لهبوب رياح الشرقي والقبلي الساخنة والجافة لمدة لا يستهان بها. كما أن الرطوبة ضعيفة عموماً والتبخّر قوي خاصة خلال فصل الصيف.

ولهذه المعطيات انعكاسات على الغطاء النباتي والتربة والموارد المائية.

فيما يخص الموارد المائية السطحية، يعبر بلاد زمران محوران هيدروغرافيان رئيسيان يتميزان بالجران الدائم هما واد غدات غرباً الذي يعتبر جزءاً من حوض تانسيفت وواد تساوت شرقاً وهو ينتمي لحوض أم الربيع. وبذلك تمتد بلاد زمران بين حوضين هيدروغرافيين مختلفين. وتتفرع عنهما عدة سواق تلعب دوراً أساسياً في حياة السكان :

السواقي المأخوذة من واد تساوت والتي تروي بلاد زمران هي من العالية نحو السافلة : السلطانية، الخزابنية، الجديدة، العراضية والوكادية.

أما السواقي المتفرعة عن واد غدات فهي : تازمورت، أفياض، تامستين، الكرناوية، الجديدة، أيت بن أحمد. هذا بالضافة اليسرى. أما بالضافة اليمنى فنجد : الفقراء، تاخيارت، تاطولت، الزاراوية، أولاد راضية والريكي. وتستعمل في الري الموسمي. بالإضافة إلى هذين المحورين هناك محاور ثانوية هي من الشرق نحو الغرب : واد أماسين وتازارت تصريفها ببلاد زمران ثم واد لاغ وواد توامة - أماسين وواد تخزيرت وكلها تصب في تانسيفت. وتستعمل مياه هذه الوديان في غمر الحقول أثناء فترات الفيض القصيرة جداً.

لكن بلاد زمران شهدت في النصف الثاني من القرن الرابع عشر (20 م) تجهيزات هيدرورزاعية هامة تتمثل في شبكة عصرية من السواقي الإسمنتية، وذلك بعد تشييد سد مولاي يوسف على واد تساوت سنة 1970.

أما فيما يخص الموارد المائية الباطنية، فإن بلاد زمران هي جزء من الخزان المائي للحوز الشرقي الذي يتميز بتراكم مواد فتاتية نيوجينية ورباعية سميكة تعطي مواصفات رديئة لحركة المياه الباطنية خاصة في جنوب المنطقة. وتحسن هذه الحركية في اتجاه الشمال. كما أن عمق السديمة المتوحة بالنسبة لسطح الأرض يصل بجنوب بلاد زمران إلى أكثر من 100م، لكنه يقل في اتجاه الشمال والشمال الغربي حيث لا يتعدى عشرة أمتار بضواحي تاماللت.

كما أن الظروف المناخية تنعكس على الغطاء النباتي والأترية. فالغطاء النباتي الطبيعي ببلاد زمران تطبعه السهوية والتدهور. وقد كانت النباتات الذرية مكونة من أشب من الأحراش أو من غابة من العناب أو السدر *Ziziphus lotus* الذي يواكبه نبات السنط أو الطلح *Acacia gummifera*، بالإضافة إلى البطم أو فستق الأطلس

Pistacia atlantica. هذا بالإضافة إلى النجيليات ثم الزبوج أو الزيتون البري *Olea europea*. وعموماً يصعب تحديد العشيرة النباتية ببلاد زمران نظراً للتدهور الذي لحقها ارتباطاً بالتدخل البشري العميق. وهكذا فإنه لم يبق من الأنواع الغابوية سوى عناصر الزبوج والسدر والسنط بالمقابر.

أما الأترية فنجد حسب التصنيف المحلي تربة الحمري التي تنتشر بالخصوص بمخروط تساوت شرق بلاد زمران، الحرشة أو تربة بياض أو تربة الفكرون التي نجدها بالحاشية الجنوبية بالدير خاصة الرمل التي نجدها بجوانب الوديان والسيول المنحدرة من الحاشية الجبلية، تربة الترس التي نجدها بالمنخفضات شبه المغلقة كمنخفض بويدة أو بسافلة التلال البازلتية المطلّة على السهل وبالخصوص بغرب البلاد. وأخيراً تربة رقوان الموجودة فوق المواد الطينية - الطميية بالسطوح المنبسطة خاصة شمال غرب المنطقة. أما من الناحية التصنيفية العلمية الترابية فإن أترية بلاد زمران تدخل في إطار الأترية السيدبالية (65, Aubet). وهي أترية في معظمها قابلة للري بنسبة 92٪ بزمران الغربية و88٪ بزمران الشرقية (73, Ducrocq, M). تمثل التربة القابلة للري من الدرجة الأولى 11٪ بزمران شرقاً و44٪ بزمران الغربية. لكن مشكل كثرة المواد الخشنة المتركة على السطح أو المرصوة على عمق متواضع خاصة بشرق وشمال زمران الشرقية بنسبة 10٪ إلى 50٪ من الحجم العام (M. Ducrocq, 1973)، في حين تمتاز زمران الغربية بسيادة الأترية القابلة للري ذات النسيج المتوازن والتي تقل بها نسبة المواد الخشنة.

تستقر ببلاد زمران قبيلة زمران أو زمراوة التي تنقسم إلى قسمين : زمران الشرقية وزمران الغربية. إدارياً بلاد زمران تابعة حالياً لإقليم السراغنة، تتكون من بلدية سيدي رحال وجماعتين قرويتين هما : زمران الغربية وزمران الشرقية.

وكانت بلاد زمران في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) عبارة عن أراض قليلة الانزراع حيث كانت تشكل في معظمها مجالات رعوية لقطعان القبيلة. كما كانت السواقي محدودة جداً، مما جعل الزراعة نادرة ومتنقلة. إذ كانت هناك عدة صعوبات تقف أمام الاستغلال المستقر للمجال. وتتمثل تلك العراقيل في الصراعات التي كانت تقوم بين الزمرانيين والرحامنة من جهة، وبينهم والمسفيويين من جهة أخرى حول هذا المجال. أضف إلى ذلك تهديد كلاوة المستمر من جهة الجنوب. ذلك أنه منذ 1700 كان الصراع قائماً بين قبيلتي زمران وكلاوة حول ساقية تازمورت المتفرعة عن واد غدات بزمران الغربية، إلى أن فصل ظهير المولى إسماعيل في هذا النزاع. أضف إلى ذلك صراع زمران مع فطاكة الذين التجأوا إلى كلاوة ضدهم. ومنذ ذلك الوقت كانت بلاد زمران تتعرض من حين لآخر

السديمة التي يتعدى 110م أحيانا.

- بالنسبة لزمران الغربية :

- عكس زمران الشرقية تطور فيها الري المتوسط والصغير والمتمثل في الضخ الخاص للمياه الجوفية نظرا لقرب المستوى التغمزي من سطح الأرض، ولأنها لم تكن موضوع استثمار فلاحي إلا مؤخرا. وقد بدأ هذا النظام بأربعة دواوير هي : أولاد عامر، أولاد حجاج، أولاد فطام والروحة. وذلك بعد حفر أول بئر سنة 1970. ويتطابق هذا التاريخ مع استعمال ماء سد مولاي يوسف بالحوز الشرقي وبالضبط بقطاع الصهريج. بعد ذلك عرف حفر الآبار تطورا مهما خاصة خلال نوبات الجفاف حيث بلغ أوجه بين 1991 و1993. وبذلك عرفت المساحات المسقية توسعا ملحوظا (انظر الجدول 1) ببلاد زمران لكنها لا زالت ضعيفة جدا بزمران الغربية. إلا أن المساحة المروية ستعرف توسعا ملحوظا بعد استصلاح قطاع غدات السفلى (مكتب الحوز) انطلاقا من قناة روكاد.

وهكذا فإن المشكل الرئيسي الذي يعوق تطور المزروعات ببلاد زمران خاصة والحوز عامة هو الماء. ذلك أن الثروات المائية أقل من الحاجيات التي يتطلبها الاستثمار المكثف للأراضي القابلة للري. ورغم ذلك تعتبر بلاد زمران محظوظة بالمقارنة مع باقي سهل الحوز.

الجدول 1 : المساحة المروية ببلاد زمران

المجموع	استعمال الأرض % الأراضي		المنطقة
	نسبة الأراضي المسقية	البور	
100	68.12	31.88	زمران الشرقية
100	4.4	95.6	زمران الغربية

المصدر : المركز الفلاحي سيدي رحال

- على مستوى الإنتاج الفلاحي والنظام العقاري :

معظم الأراضي الزمرانية ملك، إلا أن هناك اختلافا بين شطري البلاد : نسبة الأراضي الملكية مهمة جدا بزمران الغربية إذ تمثل 81.54% كما أن نسبة الأراضي الجماعية أهم بزمران الشرقية إذ تمثل 40.82% (الجدول 2).

الجدول 2 : توزيع الأراضي حسب النظام العقاري بالنسبة المئوية

المجموع	النظام العقاري الملك				المنطقة
	المجموع الأحياس	ملك الدولة	ملك	ملك	
100	3.36	0.10	40.72	55.82	زمران الشرقية
100	3.15	0.2	15.11	81.54	زمران الغربية

المصدر : المركز الفلاحي أولاد ناصر

للنهب من طرف الاكلاوي بهدف فتح نافذة على سهل الحوز عامة وبلاد زمران الغربية خاصة. وتم له ذلك بالحوز الشرقي عندما شيد قلعته بمخرج واد تازارت المظلة على بلاد زمران. ثم في 1907 هُزمت الجيوش العزيرية الزمرانية من طرف الاكلاوي الذي أصبح رئيس الجيوش الشريفة.

كل هذه الظروف التاريخية كانت تمنع إقامة زراعة دائمة بالمجال الزمراني. فكان من الصعب الحديث عن أراضٍ جماعية، بل كانت بلاد زمران أراضي في ملك القبيلة مع وجود ملكيات خاصة حول السكن تدعى "المكلمات". وكانت محاصيل القبيلة تخزن سابقا في مطامير كما هو الحال بمرس البغال الذي شيد في عهد السلطان المولى الحسن. وبعد ذلك تحول نظام الأراضي القبلي إلى نظام "الكرائات" عندما قام أعيان زمران (القواد والشيوخ) باستصلاح الأراضي واستملاكها عن طريق الاستعمار بواسطة التوزيع أو المخابرة (الببيرة). ومارسوا فيها زراعة الحبوب بكيفية واسعة مثل "كران" ديلوصير وكران "البليشي". وتم تحويل بعضها فيما بعد إلى عزبان مثل عزيب التهامي الكلاوي باشا مدينة مراكش، والذي يدعى عزيب بويدة. وقد بلغت مساحة الأرض التي استولى عليها الكلاوي ببلاد زمران 1618 هكتارا مورست فيها الزراعة المعاشية والتسويقية عن طريق الكلفة والخماسة. ثم انطلاقا من 1950 تحول نظام الكلفة والخماسة إلى نظام الأجرة والببيرة. وفي سنة 1957 وضعت أملاك الاكلاوي تحت الحراسة القضائية ثم أصبحت تسير من طرف مصلحة الأملاك المخزنية. في 1959 تمت دراسة مشروع تجزئة عزيب بويدة وتوزيع أراضيه كأنموذج للتحديث الزراعي بحوز مراكش. وذلك غداة توزيع الأراضي المسترجعة من المعمرين وغداة تشييد سد مولاي يوسف على وادي تساوت.

لقد أدى بناء هذا السد إلى خلق القطاع السقوي العصري لتساوت العليا. وتشغل بلاد زمران الشرقية الجزء الجنوبي الغربي منه (أولاد كايد، أولاد سعيد، بويدة). في حين لم تستفد بلاد زمران الغربية منه. وهكذا نجد عدة أوجه تشابه أو اختلاف بين شطري بلاد زمران.

- على مستوى التجهيز المائي :

- بالنسبة لزمران الشرقية :

يجمع التجهيز المائي بين نظامين :

- نظام تقليدي مهيكّل متمثل في شبكة من السواقي و متميز بوجود حقوق مائية عريقة خاضعة للتوارث والتقسيم والبيع والكراء. ولا توجد علاقة بينها وبين الأرض.

- نظام عصري للسقي الكبير متمثل في شبكة هندسية من القنوات و متميز بوجود محورين مائيين للري بالغمر هما أولاد كايد وأولاد سعيد - بويدة. ويأخذ هذا النظام بعين الاعتبار النظام التقليدي السابق له. والملاحظ أن الري الصغير والمتوسط لم يتطور بهذا الجزء من زمران نظرا للعمق

كما أن نظام الملكية الصغرى هو المسيطر، بحيث أن نسبة مهمة من الاستغلاليات تقل مساحتها عن خمسة هكتارات خاصة بزمران الشرقية. في حين أن زمران الغربية تمثل فيها الاستغلاليات التي تفوق خمسة هكتارات نسبة لا يستهان بها (الجدول 3).

الجدول 3 : البنية العقارية ببلاد زمران بالنسبة المئوية

المنطقة	حجم الاستغلالية بالهكتار	4,9-0	9,9-5	20-10	أكثر من 20	المجموع
زمران الشرقية	70,00	16,75	10,45	2,8	100	
زمران الغربية	49,9	23,46	23,22	3,42	100	

المصدر : المركزان الفلاحيان أولاد ناصر وسيدي رحال
+مكتب الحوز بتصرف

بالإضافة إلى الأبقار يربي الزمرانيون الأغنام غير أنها محدودة بزمران الشرقية نظرا لامتداد المساحات المزروعة وقلة أو انعدام المراعي. في حين تعرف انتشارا مهما بزمران الغربية نظرا لأهمية المساحات البورية وتوفر المراعي، إلا أنها تمارس بكيفية واسعة خاصة لدى صغار الفلاحين. تعرف أعداد القطيع عامة تغيرات بيسنوية ارتباطا بكمية المنتوجات العلفية المرتبطة بدورها بكمية مياه الري، وبأثمنة المواد العلفية التي تعرف ارتفاعا مهولا خلال فترات الجفاف.

أ. زروال، دراسة جيومورفولوجية لدير أطلس مراكش بين وادي الزرات وتساوت، الرباط، 1987؛ أ. زروال، تربة رقوان، مقال معد للنشر بمجلة المغرب؛ أ. توفيق، المجتمع المغربي في القرن 19 (إينولتان 1950. 1912)، الرباط، 1403/ 1983؛ إدريس الفاسي - محمد البدرواي، تربة الحمري، مجلة المغرب، الجزء 11، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا، 1419، 1998؛ منوغرافية عن إقليم قلعة السراغنة.

Direction de l'Hydraulique, Carte hydrogéologique de la plaine du Haouz (Maroc occidental) au 1.200.000. Notes et mémoires du service géologique. N° 284. Rabat. 1980 ; G. Aubert, Cahier. O.R.S.T.O.M, série pédologie, volume 3, fascicule 3, 109p, 1965 ; J. Dresch, Recherches sur l'évolution du relief dans le massif central du Grand Atlas, le Haouz et le Sous. Paris 1941 ; M. Ducrocq et P. Pascon, La mise en valeur du périmètre de la Tessaout (Haouz de Marrakech). H.T.E., N 6. 1973 ; M. Kebaier, Etat de la mise en valeur agricole dans la Tessaout - Amont - Rabat. 1995 ; N. Bouderbala, M. Chraïbi et P. Pascon, La question agraire au Maroc, B.E.S.M., N° 123-124 - 125 ; O.R.M.V.A.H, Etude d'actualisation de la factibilité des secteurs centraux de la PTI du Haouz central. Rapport définitif. Décembre 1992 ; P. Pascon, Le Haouz de Marrakech. Tomes 1 et 2. Rabat. 1977. أحمد زروال

الزمراني، أحمد بن عبد العزيز، أديب شاعر عمل كاتباً في بلاط محمد الشيخ المامون السعدي بفاس، وكان ينشد بحضرة مولديات في ليالي المولد النبوي على غرار ما كان يجري في بلاد أحمد المنصور الذهبي بمراكش. لقي أحمد المقري المترجم في فاس أثناء رحلته الأولى إلى المغرب عام 1010 وأثنى عليه في كتابه روضة الآس وأثبت له قصيدة ثانية في الغزل، ومطلع مولدية نونية من مولديات كثيرة ضاعت منه. وحلاه بقوله : "الكاتب المجيد، الناظم النائر... ولهذا الكاتب فهم حسن ومشاركة في العلوم، وله نظم جيدة".
ومن أحسن شعره ما قاله في الدولاب (الناعورة) على وادي فاس :

ودولاب كأن الماء فيه سيف جردت يوم اللقاء
ويحكي في سناه إذا تبدى بروق الجو في كبد السماء
وأورد له سميح التملي في طلائع البمن والنجاح قصائد في المولد النبوي وفي مدح محمد الشيخ المامون.

الاستغلاليات الفلاحية هي استغلاليات عائلية والاستغلال المباشر هو الأكثر انتشارا بنسبة 82٪. كما نجد نظامي الشركة والكراء. وتنظيمات مهنية تتمثل في تعاونيات الإصلاح الزراعي خاصة بزمران الشرقية وتجمعات مستعملي الماء وتعاونية إنتاج الحليب الداخلة بزمران الشرقية والتي تضم أزيد من 553 منخرطا والتي أنتجت 2.318.873 ليتر من الحليب سنة 1995 (موني كباير 1995).

وهكذا يتميز الإنتاج الفلاحي ببلاد زمران بالجمع بين الإنتاج النباتي والإنتاج الحيواني : يمتاز الإنتاج النباتي بسيطرة زراعة الحبوب التي تشغل أكثر من 60٪ من المساحة المزروعة بزمران الشرقية، و89.5٪ بزمران الغربية نظرا لأهمية أراضي البور (الجدول 1).

تأتي بعد الحبوب الفراسة بحيث تمثل الشكرات المغروسة بالزيتون أحيانا أكثر من 33٪ من المساحة الزراعية المستغلة بزمران الشرقية، في حين لا تتجاوز 85٪ بزمران الغربية. على العموم يلاحظ في السنوات الأخيرة تطور في المساحات المغروسة.

كما تنتج بلاد زمران البقول، الخضز وخاصة المزروعات العلفية (الفصة، البرسيم، الذرة والشعير). وذلك لتطور الإنتاج الحيواني. تربية الأبقار مقصلة لأنها تعتبر ثروة يلجأ إليها الفلاحون الزمرانيون لتغطية تكاليف الإنتاج خاصة خلال الفترات الصعبة (الحرث الحصاد...). تمارس تربية الأبقار حسب أسلوب مكثف. ويتكون القطيع من ثلاثة أصناف : الصنف الأصيل، الصنف المهجن ثم الصنف المحلي. والاتجاه العام لبنيته هو نحو إدخال النوع المحسن (المهجن)، بينما الأصناف المحلية التي لم تبق سوى عند الفلاحين الصغار في تراجع مستمر. وتعرف تربية الحلوب تطورا مهما بزمران.

توفي بعد عام 1010 / 1602.

ع. العزيز التملي، طلائع اليمن والتجاح، فيما اختص بمولد الشيخ من الأمداح، مخطوط : أ. المقري، زهرة الآس، الرباط، ط. 2، 1983.

محمد حجي

الزمراني، البشير بن صالح ولد عام 1302 / 1884 بدوار أولاد إبراهيم بزمران الشرقية، وهناك تربى تربية دينية وتعاطى الفروسية وركوب الخيل فأظهر خبرة نادرة، ولعل ذلك ما دفعه إلى الانخراط في الخدمة العسكرية، حيث شغل في العهد العزيمي رتبة قائد المائة، وفي العهد الحفيظي أصبح قائد الرحي ؛ وحارب في الشمال والجنوب، حيث ساهم في تهديده الرحامنة بعد وفاة السلطان المولى الحسن، وفي تهديده مناطق شمال البلاد كبنى مستارة بالريف إضافة إلى عمله بجانب الجنود المخزنية في حرب الفتان بوحمارة.

وفي آخر العهد الحفيظي أصبح قائدا على قبيلة زمران ثم على بعض قبائل شمال المغرب مثل التسول وتاونات ومقدمة الريف وكانت له ثروة طائلة وعقارات كثيرة بزمران.

توفي بفاس عام 1361 / 1942.

شوقي الحسن

الزمراني، عبد الكبير بن الطالب الأنصاري أديب مناضل أستاذ ولد بمدينة مراكش عام 1331 / 1912، ولد والجيوش الفرنسية تحط أقدامها على الأرض المغربية، وتفرض حمايتها عليه.

قرأ القرآن ومبادئ القراءة والكتابة بكتاب الحمي إلى أن استظهره، بعدها تطلع إلى المزيد من العلم والمعرفة، فالتحق



بمسجد أبي العباس السبتي القريب من حيهم ليدرس على الفقيه حم الفطواكي، وعلى سيدي محمد الصغير السباعي مجموعة من العلوم. بعدها التحق بالجامعة اليوسفية، ودرس على شيوخها نذكر منهم السادة العلماء :

أحمد أكرام - محمد بن عمر السرغيني المعروف بابن

نوح، مولاي أحمد العلمي، والشيخ أبي شعيب الدكالي. وفي عام 1351 / 1932 رحل إلى جامعة القرويين، فجالس مجموعة من العلماء، وهم السادة :

مولاي عبد الله الفضيلي، الطائع بن الحاج السلمي، محمد (فتحا) العلمي، العباس بناني، ومحمد أقصي.

ولما أشبع نهمه، ونقع غلته من المعارف، انكفأ عائداً إلى مسقط رأسه، وشارك في مباراة الحصول على شهادة العالمية من جامعة ابن يوسف سنة 1358 / 1993، وبعد ذلك صار يقوم بدروس تطوعية بجامعة ابن يوسف وجامع باب دكالة الذي صار فيما بعد خطيباً فيه.

تقلب في مناصب عديدة منها :

- كاتب عند قاضي مسفيوة السيد ابن رحمون.

- كاتب خاص لدى محتسب مراكش الحاج عمر بن الطالب، ثم شارك في مباراة الالتحاق بالقضاء الذي نجح فيه، فعين عضواً بمجلس الاستئناف الشرعي الأعلى بالرباط. وعند زيارة جلالة الملك محمد الخامس لمراكش عام 1365 / 1945، وتدشينه مدرستين ابتدائيتين : الحسنية والعبدلاوية، في إطار جهود الحركة الوطنية لنشر العلم والتعليم، عين الفقيه عبد الكبير الزمراني مديراً وأستاذاً بالمدرسة العبدلاوية، حيث قام بالدور البارز في تربية الأجيال تلو الأجيال، على مبادئ الإسلام الصحيح، والوطنية الصادقة، إذ يعتبر من المؤسسين للحركة القومية (حزب الشورى والاستقلال) فيما بعد.

واستمرت المدرسة في عطاءاتها واشعاعها إلى سنة 1373 / 1953، حيث أقفلت من طرف السلطات الاستعمارية، وشرد معلموها وتلامذتها إلى حين عودة جلالة الملك من منفاه فعادت المدرسة لعطائها المعهود.

توفي يوم الخميس 22 شوال عام 1397 / 6 أكتوبر 1977، بعد مرض عضال، ودفن طبقاً لوصيته بضريح الولي الصالح سيدي أحمد السوسي. وعند حلول الذكرى الأربعينية لوفاته أقامت جماعة من قدماء تلامذة المدرسة العبدلاوية حفلاً تأبينياً ألقى فيه كلمات وقصائد بالمناسبة.

أ. متفكر، ذيل الإعلام، مخطوط.

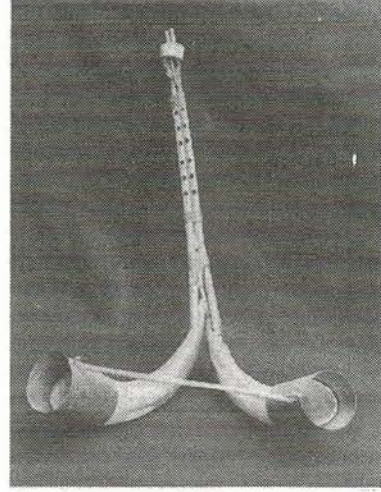
أحمد متفكر

الزمار (أو أزمار) آلة نفخ يستعملها الموسيقون المحترفون المعروفون باسم "أمديازن" والمنتشرون في مناطق الريف الوسطى والشرقية. وهو عبارة عن قصبتين صلبتين أُلصقت احدهما بالأخرى، وربط عند طرفيهما قرنا ثور مخروطان، تعلق بكليهما سلسلة من فضة بها قطع نقدية للزينة.

والزمار من الآلات الشعبية العتيقة، وقد ندر استخدامها في العهود المتأخرة، وخاصة بعد انبثاق ظاهرة

المجموعات الغنائية الحديثة التي تبنت آلات من قبيل البانجو والكيثار والكمنجة.

ويعتبر نافع الزمار رابع أربعة يشكلون فرقة أمديازن الموسيقية في منطقة الريف، وهم : الشيخ - ويضطلع بدور الغناء ونافخ القصبة ونافخ الزمار، وناقر البندير.



وتحتوي كلتا قصبتي الزمار على خمسة ثقوب يتم فتحها وإغلاقها مثنى بواسطة السبابة والوسطى والبنصر. م. التوفالي، مجلة الزمان المغربي، العدد 3 و4، خريف، 1980، ص. 61.

عبد العزيز بنعبد الجليل

زَمَام (أولاد -) ← زَمَامَة

زَمَامَة، أسرة فاسية أصلها من تلمسان، دخلوا إلى فاس في القرن العاشر (16 م) ولعل منهم الشيخ زَمَام المتوفى سنة 1024 / 1615 دفين روضة الشيخ أحمد الشاوي. وإليهم ينسب درب ابن زَمَام داخل باب عجيسة المدفون به الشيخ أحمد بن يحيى اللمطي.

ع. السلام ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون، 1 : 242.

الزَمَامِي، محمد نسبة إلى أولاد زَمَام، وهم فرقة من قبيلة أولاد عريف، المنضوية تحت لواء اتحادية أولاد موسى العربية، بجهة تادالا. تقع مواطن أولاد زمام على الضفة اليمنى لواد أم الربيع، قرب قنطرة سيدي عيسى الواصلة بين مدينتي سوق السبت أولاد فمة، والفقبة بن صالح ؛ وغير بعيد عن ملتقى واد داي بواد أم الربيع.

إلا أن بعض كوانين أولاد زمام توجد على الضفة اليسرى للواد المذكور.

أما محمد الزمامي، فقد ترجم له الخليلي (الدرّة

الجليلة، 369)، وعده من أجل تلامذة الشيخ أحمد ابن ناصر.

لا نعرف شيئا عن ميلاده وطفولته ؛ لكن من ترجمته نتيين أنه اشتهر بالصلاح والعبادة ؛ ولم نقف على ما يفيد فيما يتعلق بمستواه العلمي. ومن ثم نستنتج أن مبلغه من العلم كان محدوداً، وأنه اقتصر على التصوف.

ولاشك في أنه ترقى في هذا الميدان، حتى أصبح مقدم الناصريين بتادالا، يلقي الورد لأتباع الناصريين، ويصلهم بالشيخ في تامغروت. لذلك كان كثير التردد إلى الزاوية الناصرية، حيث التقى ببعض شيوخها، مثل أحمد الخليفة وموسى بن محمد الكبير، ويكبار تلاميذهم كالحسين الشرحبيلي. كما كان محمد لزمامي من المقربين من الشيخ أحمد ابن ناصر، حتى إنه - في أثناء مرض موته - استوصى به خلفيه موسى الناصري وأخاه عبد الله، حيث قال : "سيدي محمد الزمامي كنجح.."

ويلح الخليلي على أن المترجم "كان مجتهدا في دينه، وفي أمور الزاوية، وحسنت سيرته، وبانت عليه بركة الشيخ، ونال منه غاية النوال..."

وأيا ما كان الأمر، فإن محمد الزمامي قد اضطلع بدور بالغ الأهمية، بسبب موقع زاويته، في جهة عرفت بعدم الاستقرار، نتيجة سيادة حياة الترحال، وكون جهة تادالا معبراً يصل بين الشمال والجنوب ؛ وكون موطن أولاد زمام قريبا من مشرعة واد أم الربيع، يخوضها المارون بذلك المجال.

من أجل ذلك كله، تصدى محمد الزمامي للتحكيم والوساطة بين المتنازعين، كما تصدر لتلقين الناس تعاليم دينهم، ومحاربة بعض مظاهر الانحراف ؛ لا سيما وأن تلك الجهة كانت مسرحا لظهور بعض الطوائف الضالة، مثل العكاكرة والشراقة. لذلك يمكن القول إن محمد الزمامي، وغيره من الناصريين، قد أسهموا في استقرار المجتمع، وفي إقامة نوع من التوازن الذي كان يفتقد في أثناء الأزمات التي كانت تصيب الناس من حين لآخر.

وكما جهل الخليلي تاريخ ميلاد محمد الزمامي، فإنه أغفل ذكر تاريخ وفاته. لكن يغلب على الظن أنه عاش مدة بعد وفاة شيخه (1129 / 1717).

ولا نجازف بناء على الذاكرة الشعبية - حيث ظل ضريحه مقصوداً بالزيارة إلى أيامنا هذه - إذا استنتجنا أن محمد الزمامي ترك بصمات واضحة في تلك الجهة ؛ مما يؤكد أن زاويته لم تندثر بعد وفاته.

الخليفي، الدرّة الجليلة : التحري البيداني.

أحمد عمالك

زهور، منطقة خصبة تبلغ مساحتها 350.000 هكتار،

وتقع بين مكناس شرقا وسلا والرباط غربا وبين غابة المعمورة شمالا والهضبة الوسطى جنوبا تمتاز المنطقة بتربة خصبة تنتمي في مجملها إلى نوع التيرس وهي تربة سميكة، ونظرا للظروف الطبيعية الملائمة فإنها تسمح باستغلال فلاحي متنوع وبمردودية مناسبة، هذا بالإضافة إلى أراض رملية أقل جودة توجد بمحاذاة غابة المعمورة. مناخ المنطقة شبه قاري حيث تتميز بالارتفاع خاصة كلما تم الابتعاد عن المحيط، معدل الحرارة يتراوح ما بين 10° و 27° درجة خلال الشتاء بينما يصل إلى ما بين 25° و 27° درجة أثناء الصيف. كما أن المناطق المرتفعة خاصة ألباس تعرف ارتفاعا في درجة الحرارة خلال الصيف تصل أحيانا إلى 30° درجة بينما تستقر الحرارة شتاء ما بين 7° و 8° درجة.

التساقطات المطرية في نواحي تيفلت تبلغ 528 ملم سنويا و501 ملم في منطقة تيداس أما المنطقة الجبلية فيصل معدلها سنويا إلى 655 ملم خاصة بألباس. وتعتبر المنطقة خزانا مهما للمياه الجوفية تتجسد في الفرشة المائية للمعمورة حيث تسمح التشكيلات الصخرية المكونة من حث وكلس بتسرب واختزان كمية مهمة من مياه الأمطار. الغطاء النباتي مهم يتمثل في الشريط الغابوي للمعمورة الذي يمتد شمالا من سيدي علال البحراوي إلى حدود الكنزرة كما يعرف تنوعا في مرتفعات الجنوب خاصة بألباس حيث تنوع الأشجار الغابوية. هذا بالإضافة إلى غابات اصطناعية من نوع الأوكالبتوس في منطقتي تيداس والمعايز.

تستقر بهذه المنطقة قبيلة زمور وهي عبارة عن تجمع قبلي أمازيغي كبير يضم قبائل أيت أوربيل التي لم تستقر مع باقي القبائل المكونة لزمور إلا في نهاية القرن الثاني عشر (18 م) على إثر زحف بعض قبائل الأطلس المتوسط عشر (18 م) على إثر زحف قبائل الأطلس المتوسط ثم القبليين Colin, Origine, 267 و Lesme, L'histoire, 57 ثم القبليين وأيت بلقاسم وأيت مالك وأيت ايشو وأيت إيكو وأيت بويحيى وأيت ميمون وأيت سبيرن وأيت يدين وأيت عبو وأيت جبل الدوم وأيت واحي وحودران وأيت زكري ويني حكم وبنى عمر والصفاصيف والماروديين.

وفي سنة 1911 ومع الزحف الاستعماري الفرنسي على مناطق زمور أنشئت مراكز عسكرية لمراقبة تحركات الزموريين ومنع أي اتصال أو تحالف مع جيرانهم الزعريين وهكذا شُيد مركز تيداس لمراقبة بني حكم في زمور العليا ثم مركز آخر في سيدي علال البحراوي وكذا بالمعايز وتيفلت وألباس والخميسات، هذه المراكز العسكرية تطورت وأصبحت تشكل مراكز حضرية ومدناً متوسطة كالخميسات التي تعتبر اليوم نموذجا للجبل الحضري الجديد والقطب الاقتصادي الهام لمنطقة زمور. كما أن مدينة تيفلت عرفت بدورها توسعا عمرانيا مهما في العقود الثلاثة الأخيرة، ونفس المصير عرفتته مراكز تيداس وألباس والمعايز.

تعتمد ساكنة قبائل زمور على استغلال المعطيات الطبيعية والمناخية للمنطقة من أجل الحصول على موارد العيش. ففي زمور السفلى تسود الظروف المشجعة على الزراعة بفعل توفر تربة خصبة تصلح لزراعة الحبوب رغم ضعف مواردها. بينما منطقة زمور العليا التي يكثر فيها الكلاً والغابة في المرتفعات والجبال فهي مجال يسود فيه النشاط الرعوي بالإضافة إلى الصناعة التقليدية (حياكة الصوف وصنع الزرابي). كما توجد بالمنطقة عدة أسواق للتبادل مع سكان المناطق الجبلية، وتطور بعضها إلى مراكز حضرية، كما تتوفر المنطقة على معطيات طبيعية وسياحية لم يستغل بالشكل الصحيح لتعود على المنطقة بالنفع ومن هذه المعطيات بحيرة ضاية رومي التي تعتبر من أكبر البحيرات بالمغرب.

م. حيني، الخميسات، دراسة في الجغرافية الحضرية، د.د.ع.، كلية الآداب، الرباط، 1980؛ وزارة التخطيط وتكوين الأطر والتكوين المهني، الإحصاء العام 1982.

محمد بلعربي

الزَمُورِي، أسرة منسوبة في الغالب إلى قبيلة زمور المستوطنة فيما بين سلا ومكناس، وهي قبائل شتى. منهم من ينسب إلى مدينة أزموور عند مصب نهر أم الربيع فتحذف الهمزة ويقال زمُوري. ومن هؤلاء أسرة فاسية صنهاجية عالمة انتقلت من أزموور إلى فاس في أوائل القرن العاشر (16 م) فراراً من الاحتلال البرتغالي.

الزموري، أحمد بن علي بن أبي بكر الصنهاجي الفاسي، فقيه مشارك متخصص في النحو وعلوم القرآن من قراءات وتجويد وتفسير، يعرف المقارئ السبعة، ويحفظ مختصر ابن الحاجب الفرعي، وتسهيل ابن مالك عن ظهر قلب.

انتقل جده ووالده من أزموور إلى فاس في مطلع القرن العاشر (16 م) بسبب الاحتلال البرتغالي لشغور دكالة، وولد المترجم بفاس بعد عام 930 / 1524 ودرس على كبار فقهاؤها ومقرئها أمثال محمد بن أحمد اليسيثني ومحمد بن أحمد ابن مجبر المساري وأبي القاسم ابن إبراهيم الدكالي وأضرابهم.

شغل أحمد الزموري كرسي التفسير والقراءات بالقرويين وجامع الأندلس بعد وفاة شيخه ابن مجبر، وكان يدرس إلى ذلك أمهات كتب النحو والفقه خاصة مختصر ابن الحاجب وتسهيل ابن مالك. وامتازت دروسه العالية في التفسير بما ينقل فيها من أقوال المفسرين وتأويلاتهم، وما يورد عليهم من عنده بما يرفع الإبهام ويزيل الإشكال. وقد أخذ عنه عدد كثير من علماء فاس والوافدين عليها، ومنهم أحمد ابن القاضي الذي ترجم له وذكره في كل كتبه وأثنى على علمه وخلقه وأدبه.

وإلى جانب ذلك اشتهر أحمد الزموري بالأدب وقرض الشعر إلا أن أشعاره ضاعت سوى مقطعات قليلة احتفظ بها أحمد المقرئ في نفع الطيب (7 : 75) ومحمد الإفرائي في نزهة الحادي (ص. 52-53) ومعظمها تخميسات إلا أنها تدل على تمكن في فن النظم وذوق أدبي رفيع.

كان أحمد الزموري يقضي شهر رمضان في حاضرة مراكش يؤم بأحمد المنصور في صلاة التراويح لحسن صوته وتجويده وحفظه. فيجزل له العطاء، وأعطاه ذات سنة نحو خمسمائة ألف أوقية وجناناً بمراكش وأرض حرث وغير ذلك.

توفي بفاس ليلة السبت غرة رجب عام 1001 / 3 أبريل 1593 ودفن داخل المدينة في ضريح الشيخ محمد الحياطي بالدوح من طالعة فاس.

أ. ابن القاضي، جدوة، الرباط 1974، 1 : 136 ؛ درة المجال، تج. الاحمدي، القاهرة، 1970، 1 : 154 ؛ المنتقى المقصور، تج. م. رزوق، الرباط 1986، 2 : 779-780 ؛ أ. المقرئ، نفع الطيب، تج. إ. عباس، بيروت، 1968، 7 : 75 ؛ ع. التمارتي، الفوائد الجملة، مخطوط ؛ أ. الكلاي، تنبيه الصغير من الوالدان، مخطوط ؛ م. الطيب الفاسي، مطمح النظر، مخطوط ؛ م. الإفرائي، صفوة، ط. حجر فاس. د. ت : نزهة الحادي، ط. حجر فاس، د. ت : م. القادري، نشر / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 3 : م. الحضيكي، طبقات، تج. أ. بومزكو، د. د. ع. مرقون، كلية الآداب، الرباط ؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1956، ج 5 : م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 1300، ج 1 : م. الأزهرى، اليواقيت، القاهرة، 1908 ؛ م. مخلوف، شجرة النور، القاهرة، 1930 ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1974، ج 2 : أ. النميشي، تاريخ الشعر والشعراء بفاس، فاس، 1924 ؛ م. حجي، الحركة الفكرية، المحمدية، 1976، ج. 2.

الزموري، أحمد بن محمد الفاسي، حفيد شيخ

المقرئين بفاس أحمد بن علي الزموري سابق الترجمة. ولد بفاس عام 1012 / 3 / 1604 وبها درس على شيوخ عصره وفي مقدمتهم عبد الرحمن الفاسي العارف. تخرج عالماً كبيراً وتصدر للتدريس بالقرويين، قال عنه تلميذه محمد الطيب الفاسي : "كان عارفاً بالنحو والفقه تام المشاركة في غيرهما من الفنون، أعجوبة الدنيا في الحفظ والفهم، كثير النقل في التدريس" (فهرس). ومن تلاميذه كذلك العالم الموسوعي عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، قال : "سمعت عليه الألفية ثلاث مرات بما يتعلق بها وخصوصاً محاذي ابن هشام. ولي أحمد الزموري خطة القضاء بفاس عام 1053 / 1643 إلى أن توفي في الثالث والعشرين من جمادى الثانية سنة 1057 / 15 يوليوز 1647.

ع. الرحمن الفاسي، أزهار البستان، مخطوط ؛ م. الطيب الفاسي، فهرس، مخطوط ؛ م. القادري، نشر الثاني ؛ ع. الكبير الفاسي، تذكرة المحسنين / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 4 : م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 1300، ج. 2.

الزموري، أحمد بن محمد المراكشي، صنهاجي ينتسب إلى مولاي بوشعيب أزموور. ولد بحي القصور بمراكش حوالي عام 1287 / 1870. ودرس بها أولاً على الشيخ أزيظ وعبد الله أكنسوس والعربي الرحماني البربوشي، ثم توجه إلى فاس فقرأ على الشيخ أحمد بن الحياط ومحمد القادري ومحمد گنون وعبد السلام الهواري وعبد السلام بناني الطيب وغيرهم.

تولى القضاء في عدد من المدن إلى أن أحيل على المعاش فاستقر بمسقط رأسه مراكش. وتذكر له تأليف، منها حاشية على شرح الخزرجية في العروض. وكان إلى جانب تكوينه الفقهي "يملي الكثير من أشعار العرب والمولدين وخصوصاً شعر أهل الأندلس فقد كان يستحضر منه الشيء الكثير مع نسبة الشعر لقائله وذكر مناسبة إنشاده، يحفظ ذلك عن ظهر قلب لم أر مثله في ذلك" (سل النصال، ص. 3272).

توفي بمراكش عام 1951. ودفن بمقبرة باب أغمات. ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / سل النصال / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 9 : أ. متفكر، ذيل الإعلام، مخطوط.

الزموري، أحمد، يُعرف بالقاضي الزموري. ولد بمدينة أزموور سنة 1314 / 96 / 1897، وكان توقيعه "الأزموري" لكن غلب عليه الزموري - دون همز - وكما هو شرطنا في المعلمة أدرجناه في الزاي، قال عنه مؤلف إتحاف المطالع "كان علامة مشاركاً مطلعاً شاعراً مفتدراً، يجيد الشعر مع فصاحة وإقدام". ولي قضاء مدينة ابن أحمد أولاً، ثم نقل إلى قضاء الدار البيضاء درب السلطان. ضاعت أكثر آثاره الفقهية والأدبية إلا موليدية نونية أثبتتها صاحب كتاب اليمن الوافر الوفي مطلعها :

أهناكم قلائد العقيان أم هناكم معاهد التيجان
توفي بالدار البيضاء، وهو قاض بها، يوم الأربعاء 8 ربيع الثاني عام 1373 / 16 / 1953 وأقبر بها. ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 9 : 3288 ؛ ع. ابن زيدان، اليمن الوافر الوفي، فاس، 1342.

محمد حجي

الزموري، عبد السلام بن محمد الفاسي، وصفه صاحب السلوة بـ "الفقيه الأديب اللوذعي الأريب" وحلاه الإدريسي في المعجم "بأبرع الأدباء المقتطف من رياض الأدب أزهاراً، والمقتبس من مصباح المعارف أنواراً". امتحن في أول دولة السلطان عبد الرحمن بن هشام، واشتهر بمنظومة الأتاي، وفيها يبدو متين اللغة سلس الأسلوب. وقد نعتها شارحها البطاوري "بالأرجوزة الفائقة المستعذبة الرائقة".

لقيت منظومة الأتاي إقبالاً كبيراً لدى عامة الناس وخصتهم، لما اشتملت عليه من تدقيقات حول طرق صنع الأتاي وفوائده الطبية وما يطيبه من نعناع وعنبر، والآلات الضرورية لحفظها والظروف المواتية لهذا الشراب المنعش. واعتُبرت منظومة الأتاي من النصوص الأدبية التي يجمل بالمتعلمين والمتأدين حفظها، فطبعت على الحجر بفاس ضمن مجموع المتون الكبير الأول سنة 1319 / 1901 إلى جانب الألفية ولامية الأفعال ولامية المجراد وسلم المنطق. كما نُشرت بنفس المطبعة الحجرية في مجموع المتون الثاني، وشرحها شيخ الفقهاء والأدباء بالرباط محمد المكي البطاوري.

زاوّل الزموري مهنة الوراقة وهو في وضع متأزم، ونسخ عدة كتب، منها المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل للإفرني، في 10 رمضان 1260، أيام إقامته بمراكش بعد خروجه من سجن مصباح، مخطوط خ ح 207. ثم نزّهه الحادي للمؤلف نفسه، انتهى من نسخه في 2 ربيع الأول 1261. برسم عامل مراكش أحمد بن القائد عمر ابن أبي سنة، مخطوط خاصة.

توفي عبد السلام الزموري بفاس في تاسع عشر جمادى الثانية عام 1279 / 12 دجنبر 1862 ودفن خارج باب عجيسة بجامع روضة الشيخ أبي الحسن.

ع. السلام، الزموري نفسه، إزالة البوس، مخ خ س 3665 : منظومة في الأتاي، المطبعة الحجرية فاس، 1319، ضمن مجموع : المامون الكتاني، هداية الضال المشتغل بالقليل والقال، مخ خ ع 320 ك : الطيب البياز، الكناشة البيازية، خ س 3665 : م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 1300، ج. 3 : أ. النميشي، تاريخ الشعر والشعراء بفاس، 1924 : أ. سكيرج، كشف الحجاب، ط. حجر فاس، 1325 : م. المكي البطاوري، شرح أرجوزة الأتاي، الرباط، 1946 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 8 : 487 : ع. ابن سودة، إتخاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 1 : م. كحالة، معجم المؤلفين، دمشق، 1957، ج. 5 : الإدريسي، معجم المطبوعات المغربية، سلا، 1988 : م. المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، 262 : قيس من عطاء المخطوط المغربي، 1 : 260 و 270 و 272 : السبتى والخصاصي، من الشاي إلى الأتاي، ص. 24 و 302.

أحمد إيشرخان

الزموري، عبد الغني بن مسعود، ليس من الزمورين الصنهاجيين آل الأستاذ أحمد بن علي الفاسي، ولعله من زمور قبيل البرانس. عالم محقق وطبيب ماهر. كان أبوه مسعود طبيباً يمارس علاج المرضى بمراكش، فأراد عبد الغني أن يشاركه في مهنته وهو حديث سن مزجى البضاعة، فمُنع من ذلك. وكان الأطباء يومئذ بحاضرة السعديين إلى نظر رئيسهم أبي القاسم الوزير الغساني، لا يمارس المهنة إلا من اختُبر وأذن له.

لازم عبد الغني مجالس الطب في مراكش ولا سيما دروس الشيخ أبي القاسم الوزير إلى أن شدا في فنه، وبرهن عن كفاءته النظرية والعلمية فأذن له في التطبيب والعلاج.

كان تكوين عبد الغني الزموري مزدوجاً، قرأ كتب الأطباء المسلمين القدامى واستوعبها مع شيخه الوزير الغساني، وتدرّب على مداواة المرضى مع والده مسعود، وتعرف على الأعشاب الطبية في الكتب وفي الميدان، وألف في ذلك كتابين.

1- الفائق المفيد في علاج الحصى بقول سديد، أهده إلى الملك أحمد المنصور، ذكر في المقدمة خطر هذا المرض وانتشاره ومع ذلك لم يؤلف بخصوصه من الأطباء أحد، فجمع هذا الكتاب سالكاً سبيل الاختصار وبين المصادر التي رجع إليها قائلاً : "معتمداً في ذلك على ما طالعته من تصانيف المتقدمين، وتوالتف مهرة الأطباء المتأخرين، كجالينوس ويقراط وعلي بن سينا، وعلي بن العباس المجوسي وأبي القاسم الزهراوي وعبد الملك بن زهر وأبي زكرياء الرازي وابن عبد ربه، وعلي بن الغليظ، وابن رشد صاحب الكليات وابن البيطار وغيرهم من فضلاء الأطباء حسبما حضر لي ذلك عند جمع هذا التأليف". وقد بناه على خمسة عشر باباً، بيّن في الأبواب الأربعة الأولى هيئة الكلى وخلقتها ومزاجها وطبيعتها، وماهية الحصى وكيف يتولد، وأسباب تولده. وشرح في الأبواب الباقية أعراض هذا المرض وطرق علاجه وتفتيت الحصى وذكر الأدوية المفردة والمركبة، وسبل الوقاية منه.

وكنّت في أواسط سنة 1967 بعثت إلى طبيب صديق لي بمدينة مراكش أعرف فيه سعة الاطلاع على التراث الإسلامي في الطب، واهتماماً خاصاً بعلاج الحصى دواءً وجراحة، بعثت إليه بمقتطف من بابين من كتاب القانون المفيد للزموري : الخامس في علامات الحصى الخاصة بها، والسادس في الأعراض التي يقصدها الأطباء بالعلاج في الحصى وقوانين تدبيره. فتلقيت منه جواباً مطولاً يثبت صحة النقول الواردة في النص عن خلف الزهراوي وابن سينا وابن البيطار، ويؤكد "أن الأعراض المشار إليها مازالت صحيحة قائمة ولو أصبح التشخيص اليوم يعتمد على فحوص إضافية أخرى كالأشعة السينية والتحليلات الكيماوية الأخرى. أما في ذلك العصر فانهم كانوا يسترشدون بدقة العلامات المرضية وقوة الحدس. أما فيما يخص المداواة فان كل الأعشاب المذكورة لا يعمل بها اليوم. وليس صحيحاً البتة أن كل المتخلى عنه اليوم والمهمّل لم يكن ذا جدوى فيما مضى وخاصة في الطب، إذ استطاع الإنسان أن يقاوم الألم بشتى أنواع الوسائل من عشبية ونفسانية..".

2- كتاب في خواص النباتات، عرف فيه بالنباتات الطبية على غرار ما فعل شيخه أبو القاسم الوزير الغساني في حديقة الأزهار في شرح ماهية العشب والعقار. وشرح

الأدوية باللسان اليوناني والسرياني والفارسي والعجمي وغير ذلك مما يشكل عند أهل العصر.

وبالرغم عن علم المترجم وعمله في التطبيق والتأليف لم يترجم له أحد من معاصريه ومن بعدهم، لأنه لم يكن فقيهاً وإنما عُرِفَت بعض أخباره من مقدمة كتابه القانون المفيد.

توفي في حدود عام 1030 / 1621.

ع. الغني الزموري نفسه، القانون المفيد، مخطوط؛ م. الكانوني، الطب العربي بالمغرب، مخطوط؛ م. حجي، الحركة الفكرية، المحمدية، 1976، ج. 1 و 2.

الزموري، علي بن منصور الفاسي من قبيلة زمور. من بطون البرانس المستقرين بالسهول القريبة من ساحل البحر. كما هو منصوص عليه في بعض نسخ النشر.

درس علي الزموري على كبار شيوخ فاس أمثال عبد القادر الفاسي، ومحمد ميارة الكبير، والحسن اليوسي وأجازاه محمد بن عبد القادر الفاسي. فكان من هيئة المدرسين. وهو والد الفقيه محمد بن علي بن منصور الزموري الذي تولّى القضاء بفاس.

توفي علي الزموري بفاس يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب عام 1107 / 2 مارس 1696.

م. الطيب الفاسي، فهرس، مخطوط؛ م. القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 5؛ م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 1330، ج. 1.

محمد حجي

الزموري، عمرو بن ناصر يكنى بنو زكري إشارة إلى مولده بآيت زكري بإقليم الخميسات سنة 1916. أمازيغي المنبت، من الرواد الأوائل في الحركة الوطنية. اعتقل ونفي مراراً دفاعاً عن وحدة البلاد وحرمتها واستقلالها.



تلقى تعليمه الأولي بمدرسة موسى بن نصير في الخميسات والثانوي في مدرسة أزرو التي خصصتها إدارة الحماية الفرنسية إلى الأمازيغيين بنية فصلهم عن زملائهم الطلاب من أصل عربي تمهيداً لتكسير الوحدة المغربية التي برزت في الظهير البربري 16 مايو 1930.

تخرج عمرو بن ناصر من شعبة المعلمين فعين مدرساً للغة الفرنسية في إقليم زمور. وكان من الأوائل الذين تنبهوا لتلك السياسة، فانخرط في كتلة العمل الوطني سنة 1934 وأخذ يناهض سياسة "فرق تسد" في زمور وأصبح من أكبر الدعاة في وسط الشباب وعموم سكان الإقليم، يقاوم التفرقة العنصرية والتنصير في صفوف التلاميذ الأمازيغيين الذين كانوا يوجهون لمدرسة أزرو، وألف جماعة من العاملين أخذت تعقد التجمعات الوطنية وتنظم التظاهرات. وكان من أعضاء هذه الجماعة عبد الحميد الزموري أحد الرواد كذلك من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال.

فصلت الإدارة الاستعمارية عمرو بن ناصر عن التعليم ثم اعتقلته وفتته إلى مدينة الصويرة سنة 1937. فلما عاد من المنفى تابع نشاطه التعليمي والوطني فأسس مدرسة "الأطلس" ومكتبة عربية بالخميسات. ثم دُعي للتعليم في مدرسة "محمد جسوس" التي أنشأها الحاج أحمد بلا فريخ الأمين العام لحزب الاستقلال فكانت منارة إشعاع. وظل ينظم تجمعات الطلبة والشباب الأمازيغيين من زمور وزعير ويوفد الكثير منهم إلى جامعة القرويين بفاس بدلاً من مدرسة أزرو، ترسيخاً لروح المواطنة البعيدة عن النزعة العنصرية في نفوسهم. وكان من الأعضاء البارزين في الحزب الوطني.

ونظراً لمكانته في العمل الوطني رشح من بين الستة والستين الذين حضروا وثيقة المطالبة بالاستقلال في يناير 1944 ووقعوها. فاعتقل ونفي من جديد. وبعد اطلاق سراحه عاد إلى التعليم وأخذ يسعف عائلات المسجونين والمنفيين. وبعد اشتداد الأزمة المغربية - الفرنسية في الخمسينات وخلع محمد الخامس انخرط في المقاومة المسلحة وأصبح رقيقاً للشهيد الزرقطوني.

وبعد الاستقلال تقلد عدة وظائف سياسية في وزارة الداخلية التي تولّى شؤونها مدة طويلة إدريس المحمدي أحد القياديين والموقعين كذلك على وثيقة المطالبة بالاستقلال. ثم تولى إدارة المدرسة الفلاحية بالقنيطرة إلى أن دعاه قاسم الزهيري أحد الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال والذي تقلد من بين المناصب منصب وزير التعليم الثانوي والتقني ليكون رئيس ديوانه. ثم آثر بعد انتقال هذا الأخير إلى منصب جديد أن يعود مرة أخرى إلى التعليم فتقلد إدارة مدرسة الأيوبي بسلا.

واقاه الأجل في حادثة سير سنة 1366 / 1974.

معرفة شخصية ووثائق إدارية.

قاسم الزهيري

الزموري، عيسى بن الغازي، مقاوم ولد سنة 1342 / 1924 بزمور. انضم إلى المقاومة المسلحة إبان الأزمة السياسية في أوائل الخمسينيات ضمن التشكيلة التي كان يرأسها علال ابن عبد الله.



وقد عمل ضمن هذه التشكيلة بكل تفان وإخلاص إذ قام باغتيال أحد المتعاونين مع المستعمر فألقي عليه القبض في الحين من طرف شرطة الاستعمار، التي غذبتة لبيوح بأسرار التشكيلة التي كان ينتمي إليها، إلا أنه فضل الموت بتجرعه السم يوم الجمعة 27 ربيع الأول عام 1373 / 4 دجنبر 1953 واهبا روحه فداءً للوطن.

المدوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهيد^٤
الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 508269.

الزموري، الفتوح بن عيسى بن أحمد الصنهاجي الفاسي، يكنى أبا القاسم، ذكره السخاوي في الضوء اللامع دون أن يترجم له.

كان عالماً باللغة خصوصاً علم العروض والقوافي، ولم نقف في بقية المصادر على ترجمة مفصلة له. ولم يصلنا من مؤلفاته سوى شرحه على الخزرجية، وهي منظومة في علم العروض تسمى "الرامة" لمؤلفها عبد الله بن محمد الخزرجي المتوفى عام 549 / 1154 طبع شرح الفتوح الزموري على الخزرجية - التي سماها بعضهم "الإشارة الحلبية في حل رموز الخزرجية" على الحجر بفاس عام 1316 ضمن مجموع، وتوجد منه عدة نسخ مخطوطة بالخزانة العامة، أحصينا منها عشر نسخ، وفي نسخة د 2141 / 3، ذكر المؤلف أنه انتهى من إملاتها في أوائل جمادى الأولى من عام 816. بينما كانت وفاته - رحمه الله - عام 852 / 1448.

السخاوي، الضوء للأمة لأهل القرن التاسع، القاهرة، 1354، ج. 6، ص. 167؛ سركيس، معجم المطبوعات، 342؛ بروئصال، فهرس المخطوطات، الطبعة الثانية، ج. 1، 87؛ إ. الإدريسي، معجم المطبوعات المغربية، صلا. 189، 145؛ ع. العزيز بن عبد الله، معلمة المغرب، القنيطرة، 2000، ص. 137.

أحمد إيشرخان

الزموري، مبارك قائد شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان المتوكل ثم فر إلى أصيلا (التي كانت آنذاك بيد البرتغال) ومنها التحق بلشبونة حيث انضم إلى حاشية الأمير الشيخ ابن المتوكل وظل بجانبه إلى أن تنصر هذا الأخير.

Archivo General de Simancas España.

محمد ابن عزوز حكيم

الزموري، محمد بن عبد الله الفاسي، لعله من أوائل زمور صنهاجة المهاجرين إلى فاس من دكالة. كان من أقران الشيخ المحدث الزاهد رضوان الجنوي ورفاقه" وكان سكناه بالمدرسة التي يدرّب سيدي خلف الله، وبه كان منزل الشيخ الجنوي، "وكان كل واحد يتعاهد صاحبه بالزيارة ولم نر أحداً في وقتها أروع منهما" بهذا وصفه معاصره أحمد المرابي الأندلسي في كتابه مواهب الامتنان، وذكر أن الشيخ الجنوي قيّد بخطه شيئاً من أخبار محمد الزموري وتاريخ وفاته. ويذكر بعض مترجميه أنه كان من أشياخ المحدث رضوان الجنوي.

وما يمكن استنتاجه من النصوص القليلة التي تحدثت عنه أنه كان فقيهاً مشاركاً زاهداً صالحاً، يسكن منفرداً في أحد بيوت مدارس فاس، ولا يبرر الإقامة من وجهة نظر الوقف إلا أن يكون طالب علم أو مدرساً. ويظهر أن المترجم كان كذلك في أطوار حياته. متعلماً ثم معلماً. يؤكد الأثر الوحيد التي عشر له عليه، وهي أرجوزة تعليمية في وصف منازل الكواكب يقول فيها :

وبعد فالقصد بهذا الرجز وصف المنازل بلفظ موجز
توفي محمد الزموري بفاس - حسب تقييد رضوان الجنوي - في أوائل ذي القعدة عام سبعة وسبعين وتسعمائة / أبريل 1570.

م. الزموري نفسه، أرجوزة في وصف منازل الكواكب، مخطوطة :
م. الكتاني، سلوة، ط. حجر فاس، 1300، ج. 3؛ أ. المرابي الأندلسي، تحفة الإخوان ومواهب الامتنان في مناقب سيدي رضوان، مخطوط.

C. Brocklmann, G.A.L. Supplément, Leiden, 1937, T.2.

الزموري، محمد مقاوم من مواليد سنة 1331 / 1913 بعبدة ناحية أسفي. أنخرط في صفوف العمل الوطني ضمن حزب الاستقلال منذ سنة 1944 ومع تأجج الكفاح الوطني المسلح انضم إلى منظمة المشنقة الفدائية مع ثلة من المقاومين الذين بلغ عددهم داخل هذا التنظيم إحدى عشر شخصاً ونتيجة نشاطه الفدائي فقد تعرض للاعتقال والسجن لمدة تزيد عن تسعة أشهر وذلك بتهمته المشاركة في عمليات المقاومة.

توفي يوم الأربعاء 15 شوال 1416 / 6 مارس 1996.
المدوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهيد^٤

الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 516826

الزموري، مسعود بن الحسن المراكشي، يكنى أبا سرحان، طبيب ماهر بالممارسة دون دراسة. كان يعالج المرضى في مراكش خلال النصف الثاني من القرن العاشر (16 م) لا تعرف له ترجمة ولم يتعرض له أحد من أصحاب كتب التراجم إلا ما ذكره عنه ولده وتلميذه الطبيب عبد الغني الزموري في مقدمة كتابه القانون المفيد. قال عنه : "وهو الماهر بهذه الصناعة... وإن لم تكن له يد في الطب (أي النظري) فطالما أخذها عن أربابها، معتنياً بتحصيل شروطها وقواعدها وأسبابها، حتى إنه مدّ فيها اليد والباع، وسلك فيها حيث تضيق على أربابها مسالك الاتساع، فهم يعرفون هذا العلم نقلاً، وهو يعرفه قولاً وفعلاً، فله فيه من المسائل النادرة الوقوع ما يشهد لذهنه الثاقب، وثناء الألسن عليه بأحسن المناقب. والله أسأل أن يمتعني برضاه في إطالة عمره، حتى أفوز منه بما بقي لي من التقاط درره".

يظهر أن مسعود الزموري بدأ مزاوله مهنة التطبيق قبل أن تقتن في عهد أحمد المنصور، ويصبح علماً يُدرس لطلابه بعد تمكنهم وأنه لمهارته وإقبال المرضى عليه لم يمنع من مباشرة عمله كما مُنع غيره. توفي بعد سنة 994 / 1586.

ع. الغني الزموري، القانون المفيد، المقدمة، مخطوط : م. حجي، الحركة الفكرية، المحمدية، 1976، ج. 1.

محمد حجي

الزموري يدعى إستيبانيكو (مشارك في استكشاف أمريكا) : عرف المغرب خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر حالة من الانحسار والتفكك كان من أبرز نتائجها اكتساح كل من البرتغال وإسبانيا لعدد من مدنه وثغوره في الشمال والجنوب على السواء، حيث سعى المستعمرون في إطار مخطط غزوهم إلى استنزاف كل خيرات البلاد. ولم يسلم السكان أنفسهم من هذا الاستغلال الشرس، إذ لجأ البرتغاليون في هذا السياق إلى استعمال وسطاء مسلمين ويهود لاختطاف وقنص الكثير من الناس وبيعهم كرقيق إلى الأجانب. وكانت أزموور التي احتلت سنة 1513 تمثل سوقاً حيوية للمتاجرة في العبيد وتسويقهم. والجدير بالذكر أن هذا الصنف من التجارة بلغ ذروته إبان مجاعة 1521، حيث دفعت الفاقة الغذائية الكثير من المغاربة إلى بيع ذوبهم وحتى أنفسهم مقابل الحصول على القليل من الأكل. وتشير بعض المصادر إلى أن عدد المغاربة الذين تم ترحيلهم طوعاً أو قسراً في هذه الفترة نحو شبه الجزيرة الإيبيرية بلغ حوالي مائة ألف نسمة كان نصيب إسبانيا منهم ستين ألفاً.

وقد كان من بين أولئك الذين سقطوا في براثن العبودية شخص يدعى الزموري، حيث تم بيعه بقادس إلى

قبطان إسباني اسمه أندريس دورانتيس دي كرانكا (Andrés Dorantes de Carranca)، والذي أطلق عليه لقب إستيبانيكو (Estebanico) أو إستيبانيو (Estebanillo). ولا نعرف الشيء الكثير عن هذا الشخص غير كونه من مواليد أزموور. توجه هذا القبطان والزموري بصحبة الحاكم بانفيلودي ناربييس (Panfilo de Navaéz) في رحلة استكشافية نحو العالم الجديد في يونيو 1527. وانطلاقاً من كوبا جهز الحاكم دي ناربييس أسطولاً يضم خمس سفن تحمل على متنها أربعمئة رجل وثمانين حصاناً، وتوجه نحو فلوريدا في أبريل من هذه السنة. وبعد أن أرست السفن بالقرب من خليج طامبا الحالي (Tampa)، انطلق الحاكم بصحبة ثلاثمئة رجل فقط يحذوه الأمل في اكتشاف مناجم الذهب، في حين قرر المائة الآخرون العودة خوفاً من الهنود. ومن هذه المنطقة توجه المستكشفون ومن بينهم الزموري نحو الغرب. وصادفتهم مشاكل عديدة بفعل عداة بعض القبائل الهندية، وقلة الزاد، وصعوبة التحرك داخل مجال مطير حيث تتكاثر المستنقعات التي تساعد على انتشار الأوبئة القاتلة والأمراض الفتاكة. فقد بلغ على سبيل المثال عدد ضحايا إحدى هجمات الهنود على المستكشفين عشرين فرداً، مما اضطر الحاكم دي ناربييس إلى إنشاء خمسة قوارب قصد التوجه نحو المكسيك عبر البحر. ولم يبق آنذاك غير أربعين ومائتي فرداً. وأثناء هذه الرحلة التي استمرت حوالي أربعين يوماً عانى المستكشفون الأمرين، نظراً لصعوبة ملاحاة بخليج المكسيك وقلة المؤونة والماء. وبعد تجاوز خليج موبيل (Mobile)، وعلى مقربة من مصب نهر الميسيسيبي، تعرض البحارة من جديد للهجوم من طرف الهنود مما حتم عليهم العودة ثانية نحو البحر. وقد أدت الرياح العاتية إلى تفريق القوارب عن بعضها البعض باستثناء اثنين أحرا بمحاذاة لويزيانا لبضعة أيام، قبل أن ترمي بهما العاصفة في نونبر 1528 نحو جزيرة كالفتستون (Galveston) بالقرب من تكساس. وقد بلغ عدد الناجين ثمانين رجلاً فقط. وبعد ذلك بأسابيع قليلة أسلم معظم المستكشفين الروح، ولم ينج من الموت غير خمسة من بينهم الزموري. كما توفي كذلك أغلب البحارة على ظهر القوارب الثلاثة الأخرى نتيجة الجوع والبرد، ومن نجا من هاتين الآفتين لم يفلت من سهام ونبال الهنود.

ذاق الزموري ورفقاؤه مرارة العبودية، إذ تعرضوا للأسر من طرف قبيلة هندية. وكانت ظروف عيشهم صعبة للغاية حيث اضطروا إلى أن يقتاتوا من جذور بعض النباتات والمحار والطحالب والسرطان. وتمكن أربعة من المستكشفين من الانسلاخ من هذه القبيلة في أبريل 1529 والتحقوا بأخرى. لكن وضعهم لم يتحسن خلال السنوات الخمس التي قضوها بين ظهرانيتها، ولم يتمكنوا من الفرار إلا في خريف 1534. وتوجهوا بعد ذلك نحو المحيط الهادي حتى وصلوا إلى كاليفورنيا الحالية، واستقروا إلى جانب قبيلة

أخرى مدة ثمانية أشهر، وتعاطوا المهنة الطب. وكان لنجاحهم في إشفاء أحد المرضى أثره الحسن في نفوس الهنود الذين أطلقوا على الزموري ورفقائه لقب أبناء الشمس. عقب ذلك انطلق المستكشفون في ماي 1535 نحو المكسيك جنوبا حتى وصلوا إلى نهر ريو كراندي (Rio Grande)، ثم عادوا في خريف نفس السنة نحو الشمال حتى وصلوا إلى حدود جبال الروكي، ليتوجهوا في خطوة أخرى بعد ذلك نحو الهضاب العليا بالمكسيك في صيف 1536.

لقد تمكن الزموري ورفقاؤه الإسبان، وهم أندريس دورانتيس دي كرانكا وألونسو دي كاستيو (Alonso de Castillo) وكابيسا دي باكا (Cabeza de Vaca) الذي اشتهر بروايته حول الرحلة، من قطع مسافة تقدر بحوالي 9000 كلم، 6000 كلم منها فوق الأراضي الحالية للولايات المتحدة الأمريكية، والبقية فوق أراضي المكسيك، وتعرفوا على ما يدعى حاليا بولايات فلوريدا وألاباما ولوزيانا والتكساس وأريزونا والمكسيك الجديدة. وقد صادف وصولهم إلى المكسيك وجود أنطونيو مندوسا (Antonio Mendoza) الذي عين منذ 1535 نائب الملك الأول لإسبانيا الجديدة. وكان هذا الأخير يرغب في توجيه رحلة جديدة نحو شمال المكسيك، من أجل الكشف عن مدن سيبولا (Cibola) الأسطورية السبع والتي كثر الحديث حولها بشبه الجزيرة الإيبيرية منذ قرون عديدة. وارتأى أن يوكل أمرها إلى المغامرين الأربعة، نظرا لما أبدوه من صبر وجلد وقدرة على ارتياد المخاطر. ولما رفض الإسبان المشاركة في الرحلة، لم يكن أمام الزموري إلا الامتثال للأوامر نظرا لوضعه العبودي. وكان عليه أن يقوم بدور المستطلع والمترجم في آن معا.

وفي ربيع 1539 انطلق الزموري بصحبة راهبين هما الفرنسيسكانيي ماركوس دي نيسا (Marcos de Niza)، وأصله من مدينة نيس (Nice) بمنطقة السافوا (Savoie) وأونوراتو (Onorato) ومجموعة من الهنود المكسيكيين، وسرعان ما تخلى أو نوراتو عن الرحلة لأسباب صحية. كانت مساعي الزموري والراهب مختلفة، لأن هدف هذا الأخير كان متصلا بالتنصير ليس إلا. وكان الزموري أكثر معرفة بمجال الرحلة، وباعتبار دوره كمستطلع فقد كان يسير أمام ماركوس دي نيسا ويخبره عن كل شيء بواسطة مراسليه من الهنود. ففي ماي 1539 عبر الزموري الحدود الحالية لجنوب غرب الولايات المتحدة الأمريكية بأريزونا، وكان أول من وصل إلى أراضي قبائل الزوني (Zunis) بالمكسيك الجديدة، معتقدا أنه وصل إلى مدن سيبولا حيث اللجنة الموعودة والمعادن النفيسة.

وكانت نهاية الزموري المليئة بالمغامرات نهاية مأساوية حيث لقي حتفه في نفس السنة على يد إحدى قبائل الزوني، مما اضطر رفقاءه إلى العودة إلى المكسيك.

وما زالت الذاكرة الهندية تحتفظ بذكرى وصول هذا المغامر المغربي. أما الراهب ماركوس فقد وضع تقريرا مغلوطا أكد فيه وجود المدن الأسطورية، مما أفضى إلى إرسال بعثة استكشافية أخرى تحت قيادة فرانسيسكو باسكيس دي كورونادو (Francisco Vázquez de Coronado) لم تفض إلى أية نتيجة.

لقد غيبت الاستغرافية الغربية دور هذا المغامر المغربي، وأكدت فقط على ما قام به رفقاؤه ذوو السحنة البيضاء. بل تم وضع تمثال للكونكستادور كورونادو رغم أن الزموري سبقه إلى التعرف على الكثير من المناطق والتعريف بها سنة قبله. إن المطلع على تاريخ المنطقة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، والمدرك لحجم وخطورة المصاعب والمعيقات الهائلة التي رافقت الاستكشافات لشمال أمريكا من طرف الإسبان والفرنسيين والإنجليز، لا يسعه إلا أن ينظر بعين التقدير والإعجاب إلى هذا الرحالة المغربي المغصور الذي أبدى صمودا ومقدرة نادرين لعقد من الزمن في مواجهة مختلف التحديات الطبيعية والبشرية التي اعترضت سبيله عبر طول خط الرحلة التي قادته من شبه الجزيرة الإيبيرية ابتداء إلى شمال أمريكا انتهاء.

د. دي طوريس، تاريخ الشرفاء : أ. بوشرب، وكالة : مغاربة في البرتغال.

A. Debo, *Histoire des Indiens des Etats-Unis*, Paris, 1994 ; J. Rostkowski, *Une rencontre manquée : la découverte du Nouveau-Mexique par un moine franciscain et un esclave maure in Destins croisés. Cinq siècles de rencontres avec les Amérindiens*, Paris, 1992, pp. 198-206 ; G. Martinet, *Fantastique exploit d'un explorateur marocain en Amérique. Première traversée de l'Amérique du Nord de l'Atlantique au Pacifique par Azemmouri*, inédit.

خليل السعداني

زنابق البحر هي من نفس الشعبة التي تنتمي إليها قنفاذ البحر أو خيار البحر أو نجوم البحر إلا أن كل الدلالات البيولوجية تؤكد على ذلك. كل هاته الفصائل تنتمي إلى نفس الشعبة وهي شوكلات الجلد أي حيوانات تتميز بهيكل "عظمي" على شكل أشواك كلسية مبعثرة تحت الجلد. وقد تتطور هاته الأشواك وتنمو لتخرج عبر الجلد كما هو الحال عند قنفاذ البحر وقد تبقى صغيرة تحت الجلد كما هو الحال عند خيار البحر.

وإذا كانت كل شوكلات الجلد حيوانات يمكنها التنقل لتطارد فرائسها فإن زنابق البحر هي الوحيدة التي قد تبقى ملتصقة بالصخر لتنشر أذرعها العشرة بحثا عن الغذاء، هاته الأذرع التي قد تنكسر لكن زنابق البحر لها قدرة كبيرة على تجديدها، بل على تجديد كل أحشائها إذا ما ضاعت بشرط أن لا يضيع جهازها العصبي.

تعيش زنابق البحر في معظمها في المياه الدافئة الاستوائية إلا أن البعض منها يعيش كذلك في المياه

التي تباينت الآراء في شأنها، وليس المقام مناسباً للخوض فيها.

وبقيت زنات سوقاً أسبوعياً فتمّ ترميم قصبته (يوم السبت). واقتضت مصالح السكان وقبيلة جبال في أن تسترجع زنات بعض الاعتبار فجعلت منها الإدارة المركزية مقراً لجماعة قروية عدد سكانها 5565 نسمة، وأصبحت بمقتضى التقسيم الإداري الأخير، محسوبة على تراب دائرة مقرصات التابعة لإقليم تطوان.

ع. المريني، الجيش المغربي عبر التاريخ، دار نشر المعرفة، الرباط، 1997، ص. 382.

Dr. F. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, Rabat, 1947, p. 133 - 134 ; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830-1912)*, Paris, 1977, p. 385 ; Ch. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes (1415-1956)*, Paris, 1978, pp. 44 - 45, 62, 123.

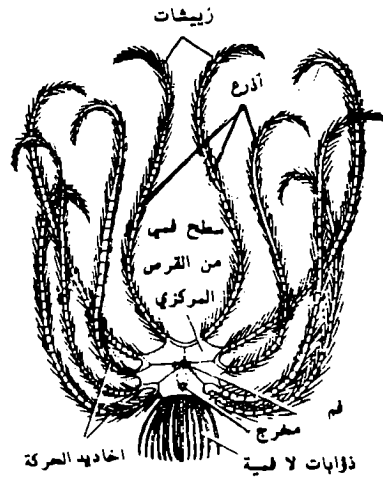
أحمد بنجلون

زناتة، إحدى المجموعات القبلية الكبرى التي يقسم إليها المؤلفون العرب قبائل البربر، سكان المنطقة الممتدة من واحة سواك جنوبي مصر إلى سواحل المحيط الأطلسي مروراً ببرقة والمغربين الأدنى والأوسط ويأخذال مجموع بلاد التوارك في الصحراء الكبرى. وهذه المجموعات هي مصمودة الغالب عليهم الاستقرار ولا سيما في جبال الأطلس والسهول المجاورة للمحيط قبل دخول عرب بني هلال وبني سليم المغرب الأقصى، وصنهاجة وزناتة الغالب عليهم الترحال وهم متفرقون على امتداد المجال المذكور.

من نسميهم الجغرافيين العرب : اليعقوبي (ق 3 هـ) في كتاب البلدان، والاصطخري (منتصف ق 4 هـ) في المسالك والممالك، وابن حوقل (ت. 367 هـ) في صورة الأرض، والبكري (منتصف ق 5 هـ) في المسالك والممالك، إلى النسايين كابن حزم (منتصف القرن 5 هـ) في جمهرته، إلى مؤرخي البربر وكبيرهم ابن خلدون (ق 8 هـ) لا نجد ما يفيد بالبيان بخصوص معنى هذا التقسيم. فأما من ناحية التوزيع الجغرافي، فهم يذكرون مجالاً به معظم كل مجموعة من المجموعات المذكورة مع ذكر وجود فلولها وفروعها في جهات ربما كانت بعيدة عن المجال الأعظم، وأما من حيث نمط العيش فيصرحون بأن صنهاجة وزناتة يغلب عليهم الترحال مع إعطاء انطباع يرجح أن مصمودة هم أقدم استقراراً وأن زناتة كانوا على ما يشبه الجنوح إلى الاستقرار لو وجدوا مجالاً يساعدهم على ذلك، وأن صنهاجة هم الصحراويون الظاعنون، ولكن ذلك لم يمنعهم من اهتبال الفرصة في المستقرين ليؤسسوا إمارات ودولا تجعل منهم لمدة من الزمن مندمجين في سيرورة الاستقرار.

أما الفهم الجنيالوجي الذي تبناه الكتاب المذكورون مشرقين وأندلسيين ثم اتبعهم عليه المغاربة بمن فيهم البربر أنفسهم، فهو فهم يعتمد النسب إلى جد أعلى كما

الباردة في أقصى شمال وجنوب الكرة الأرضية، تفضل المياه الغير العميقة حيث تكون لاصقة أو متشعبة بالصخور أو شعب المرجان أو الطحالب تنشر منها أذرعها لتلتقط بها عوالق نباتية أو حيوانية تتغذى عليها. ليس لزنايق البحر جهاز تنفسي واضح، ليس لها رئة ولا خياشيم وهي تنفس بواسطة جلد الجسم كله. لزنايق البحر خمسة خصيات أو خمس مبيضات، حسب الجنس، وهي موجودة في أذرعها حيث عند وقت التوالد يقذف بالحيوانات المنوية والبويضات لتتخاضب في الماء عن طريق الصدفة.



يوجد في المغرب حوالي 170 نوعاً من شوحيات الجلد كلها تعيش في مياه البحر سواء منها المتوسطة أو الأطلسية ولا تمثل منها زنايق البحر إلا نسبة ضئيلة حيث لا يتعدى عدد أنواعها العشرة والمشهورة بجنس Antedon بينما يوجد في العالم حوالي 80 نوعاً.

محمد منبوي

زنات، قرية جبلية تقع على مسافة 45 كلم من طنجة إلى الجنوب الشرقي، و20 كلم جنوب تطوان. بجبل تازرروت المجاور لجبل العلم. مع فقر المنطقة القروية كلها، يعيش أهالي هذه البلدة على تربية الماعز وقليل من الرعي الغابوي. اشتهرت بأنها كانت قاعدة لقوات أحمد الرسوني الذي ثار على السلطان عبد العزيز وحارب القوات الاستعمارية الإسبانية في مطلع القرن العشرين. وقد بنى الرسوني بزنانة قسبة محصنة تكسرت عند مشارفها كل المحاولات المخزنية للقضاء عليه. وفي يوم 13 يونيو 1903، استطاع القائد ابن بوشتي البغدادي على رأس حملة انطلقت من فاس أسبوعاً من قبل من الوصول إلى زنات وهزمت حامية القسبة الرسونية واستولت عليها، لكن بعدما خاب أمل ابن بوشتي في اعتقال الرسوني، اخترق قصره وخرّب القسبة وملحقاتها. أما الرسوني، فقد اختفى بين الجبال حيناً من الوقت، ثم ظهر ليوصل تحركاته ونشاطه وأعماله

اتخذه العرب في فهم أنسابهم. يرى هذا الفهم الجنيالوجي أن البربر تنسلوا من جد واحد هو بر وأن هذا الجد تنسل منه برنوس أبو البرانس ومدغيس الابتر أبو البتر. وذكروا معظم قبائل البرانس وهي مصمودة وصنهاجة وكتامة وأوربة وأزداجة وعجيسة وأوريغة الذين منهم هواره، أما قبائل البتر فمنها زناتة التي تُنسب إلى جد أخذت منه اسمها حسب هذا الفهم وهو زانا أو شاننا أو جانا وينسب بدوره إلى داري بن زحيك بن مادغيس الأبتري.

هنالك عدد من النقاط الغامضة التي تجعلنا لا نفهم على هذا الأساس الجنيالوجي ما الذي أدى تاريخياً إلى تمييز زناتة عن غيرهم من قبائل البربر أو مجموعات قبائل البربر، منها :

(1) لا يذكر النسابون زمن تميز البرانس عن البتر ؛
(2) لا تراعي نظرية الأنساب الدقة في الآباء والأجداد بل تختزلها بحيث إن يوسف بن تاشفين مثلاً ليست بينه وبين جد حمير سوى عشرة آباء حسب شجرة أنساب ابن حزم في جمهرته ؛

(3) الأسماء أسماء الأجداد وأسماء القبائل البربرية، كما وردت عند الجغرافيين والمؤرخين كلها محرفة على الأقل بوضعها في صيغة تعريبيه، فصنهاجة في اسمها الأصلي هي إزناكن ومصمودة هي إمصمودن بصاد مشمومة زايا أو أصادن (بصاد مشمومة زايا). وزناتة هي إزاناتن أو إجانانتن، أو إزاناتن.

(4) لم يكتشف بعد عمل معجمي معاني هذه الأسماء بما لا يدع مجالاً للشك وبما يعطيها معنى يتصل بتميز خاص له صلة بالمجال أو نمط العيش أو غير ذلك مما يبعدها عن الفهم على أساس الجد المخترع.

(5) لو ملنا إلى شرح عقلاني على أساس تقسيم المجال على صعيد مجموع ما نسميه اليوم بالشمال الإفريقي بين ثلاث مجموعات كبرى كانت لها هويات فعلية تتحرك بمقتضاها في وقت سابق للإسلام قبل التفرع الكبير وحتى التداخل، فإننا نفاجاً عندما تأتي إلى العهد الإسلامي فنجد واصفاً دقيقاً للمسالك كالبكري لا يتحدث كما سيفعل ابن خلدون في ما بعد على أساس مجالات كبرى بين كل من مصمودة وصنهاجة وزناتة، بل نجده في شمالي المغرب مثلاً يقدم لنا في وصفه ما يشبه رقعة شطرنج من ثلاثة ألوان :

- جاء البربر من فلسطين إلى بلاد المغرب وكانت زناتة فيمن نزل الجبال ؛

- زناتة عند البكري، تارة تتفرع عنها قبائل وتارة تقدم كواحدة من القبائل التي يذكر آخرون أنها تفرعت عنها ؛

- زناتة من قبائل جهة تيجس قرب القيروان ؛

- زناتة من قبائل غربي تيهرت ؛

- تلمسان دار مملكة زناتة ؛

- زناتة أصحاب مدينة تابريدا في جهة قلعو غارت

(شرقي المغرب الأقصى) ؛

- زناتة مجاورون لمربيسه في جهات نكور ؛

- زناتة مجاورون لغمارة ؛

- كانت بلاد تامسني لزناتة وزواغة قبل استيلاء برغواطة عليها، وهم الذين تحولوا إلى قوم دعوة يونس البرغواطي ؛

- زناتة الجبل كانوا مسلمين تحت وطأة البرغواطي ؛

- زناتة الأحساء قرب أرفود في طريق سجلماسة ؛

- زناتة من جملة قبائل أوداغوشت بالسودان يسكنونها

تجاراً مع العرب في علاقات عدا ؛

- كان زناتة يهددون سجلماسة حين غزو المرابطين لها.

يستنتج من إشارات البكري أن زناتة لم ينحصروا في صقع واحد ولم يكونوا نسيجاً بشرياً ممتداً على مجال بعينه، ارتبط ذكرهم بالجبال والسهول والواحات والمدن والرعي والفح والتجارة. فلا يبقى مع هذا لا أن ينظر إليهم على أساس هوية للتمييز أو للدفاع عن النفس أو للهجوم والاكتماع مبنية على مجرد الانتماء بقطع النظر عن شيء آخر. ولعل زناتة من بين المجموعات الثلاث كانوا أسبق إلى التفكك في المجال منذ الفتح الإسلامي على الأقل، ولعل ذلك مما جعلهم يلعبون فيه دوراً، في مقاومته ثم في تعزيره فكونوا التجارب الأولى للإمارات الإسلامية المحلية إمارات مغراوة ويني يفرن. فمن مغراوة بنو خزر الذين ساندوا أموي الأندلس ضد الفاطميين، ومن زعمائهم زيزي بن عطية الذي حكم فاس بعد إبعاد الأدارسة. ومن أمرائهم بنو خزرون الذي حكموا سجلماسة إلى أن دخلها المرابطون.

تميزت زناتة في الأصل على ما يظهر بلغة خاصة داخل الأمازيغية ظلت معروفة في المغرب الأوسط ومنطقة مزاب ووارگلا ولكنها اندثرت على الفلول التي جاورها غيرها وطفى عليها الماء. ولعل التجارة كانت السبب في حركية زناتة حيث نجدهم في سجلماسة وأغمات وأودغشت، ولعلمهم كانوا ضحية هذه الحركية من جهة فقد العصبية، ولكن شحنة كبرى من هذه العصبية عبرت عنها فروع بني واسين التي تأخرت منهم مكتلة حتى شكلت القوة التي أسست دولة بني مرين في القرن السابع (13 م) هوية متجددة على القرون تغور وتغور.

في انتظار فرضية أكثر إقناعاً نحازف بالقول إن "إزانتن" هم التجار، على التغليب، من فعل جدعه في الأمازيغية "زن"، فباع = ازنز. مع العلم بأن الفعل الذي منه اشتقاق اسم صنهاجة ازناكن، هو نفسه جدعه "زن" مع حرف ثالث للفرق هو گ (ج). وربما بالغنا في الافتراض بالقول إن أسماء المجموعات الأمازيغية الثلاث لها جذع مشترك لأسمائها هو "زن" مع ثلاثة حروف للفرق "گ" و"ت" و"د".

الإصطخري، المسالك والممالك ؛ البكري، المسالك والممالك، ابن

حزم، جمهرة الأنساب ؛ ابن خلدون، كتاب العبر.

R. Basset, Etude sur la Zenatia du Mzab, de Ourgla

2 - المشتري : له يوم الخميس وليلة الإثنين، ومن الأشكال: \equiv \vdots

3 - المريخ : له من الأيام الثلاثاء وليلة السبت ومن الأشكال: \equiv \vdots

4 - الشمس : له من الأيام الأحد وليلة الخميس، ومن الأشكال: \equiv \vdots

5 - الزهرة : لها من الأيام الجمعة وليلة الثلاثاء، ومن الأشكال: \equiv \vdots

6 - عطارد : له من الأيام الأربعاء وليلة الأحد، ومن الأشكال: \equiv \vdots

7 - القمر : وله من الأيام الإثنين وليلة الجمعة، ومن الأشكال: \equiv \vdots

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المعلومات لم تدرج هاهنا إلا بغرض تقريب الفهم من استعمالات الخط الزناتي وعلاقته بالأشخاص والأسماء والعناصر الطبيعية وبالحوالات والطباع والظلال، أما أسرار تلك الاستعمالات فتعتمد على قواعد حسابية وإجرائية معقدة ينبغي دراستها على حدة وبالتفصيل الممل لأن أي خطأ في الحساب أو أي غفلة عن أي نقطة أو حركة أو سكونة سيؤدي إلى الخطأ في الفهم وفي الفعل المطلوب أداءه، وبالتالي في النتيجة المتوخاة.

ويبقى القول في نهاية المطاف : إن هذه الصنعة وإنما هي من اجتهادات وأبحاث أشخاص بعضهم كان على هدى وعلى علم بالكتاب فزلت به القدم إلى هذه الفنون الفاتنة كما زلت من قبل ذلك بكهنة بني إسرائيل وأجبارهم وسدنة هياكلهم بدليل وجود نفس الصنعة ونفس العلامات في بعض استعمالاتهم القديمة كتلك المأخوذة عن الهرمسية أو عن جهايزة الهيروغليفية (الفرعونية) الشهيرة في عالم السحر والكهانة.

الطوخي الفلكي عبد الفتاح، أحكام الحكيم في علم التنجيم، 1 :

6 : الأصول والوصول في علم الرمل ؛ بلوغ الأمل في علم الرمل ؛

السر المكتشف في طب الحروف ؛ هداية العباد في أسرار الحروف

والأعداد ؛ م. الزناتي، الفصل في أصول علم الرمل، مكتبة

القاهرة ؛ الغزالي، كتاب الطب الروماني للجسم الإنساني في علم

الحرف، وبه السبع عهد السليمانية، والسبع هياكل، ويليه الطب

الروماني للإمام السنوسي وقسم التمايم والرقى وقسم البرهنية

بتصنيفها، مصر ؛ م. عزيز الوكيل، المدارس الباطنية بين العلم

والفلسفة والعقيدة والدين، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، 1998،

جامعة محمد الخامس، الرباط.

محمد عزيز الوكيل

الزناتي، يحيى بن أبي ملول بن عشيرة القلعي

اليجفشي، من أهل قلعة مهدي بن توالي التي خربها المرابطون بجبال فازاز، وينتسب إلى قبيلة بني يجفش الزناتية. لم تذكر المصادر شيئاً عن حياته بالمغرب الأقصى قبل توجهه إلى المشرق. وقد دخل إلى بغداد وتفقه فيها

بالمدرسة النظامية على الشيخ أبي الحسن الطبري، وحضر مجالس الوعظ التي كان يعقدها أحمد بن محمد الغزالي أخو أبي حامد الغزالي. ثم عاد إلى الإسكندرية وسكنها مدة طويلة ودرس بها وانتفع به طلبتها في علوم شتى.

كان فقيهاً كاملاً، ولغويًا متكلمًا، وصوفياً زاهداً. وكان شافعي المذهب ويقول له كان يفتي طول إقامته بالإسكندرية، لكنه كان لا يتظاهر إلا بمذهب مالك.

صحبه أبو طاهر السلفي في الأخذ عن أبي الحسن الطبري ببغداد وكانت بينهما مودة تامة ومكاتبة.

صحب أبا زكريا وتفقه عليه بشعر الإسكندرية عدد من العلماء، منهم أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد ابن عيسى السفاقي البصير، ورافع بن يوسف بن زيدون القيسي (ت. 551) وعلق عنه المسائل الخلافية، وقرأ عليه أبو العباس أحمد بن موسى المباحي (ت. 562) وحج معه.

وعلى إثر إحراق كتاب الإحياء بالمغرب سنة 503 / 1109 أرسل بعض فقهاء تلمسان إلى أبي زكريا الزناتي رسالة يسألونه رأيه فيها عن كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، فحرر الجواب في رسالة علمية صغيرة الجرم ناقش فيها الاعتراضات التي اعترض بها بعض الفقهاء على الإحياء، بعمق علمي ونفس صوفي، معلنا تنويهه بالغزالي وكتابه. توجد هذه الرسالة في نسختين مخطوطتين، إحداهما بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع رقم ك 251، والأخرى بالاسكوريال بمدير رقم 1130.

وقد فضل الشيخ أبو زكريا في آخر حياته التفرغ للزهد والسياسة، فغادر الإسكندرية إلى الحجاز ثم إلى اليمن، ورجع إلى العراق وتوفي بالبصرة أو بعبادان، ولم يعرف تاريخ وفاته.

أبو طاهر السلفي، معجم السفر، تج. عبد الله عمر البارودي،

مكة المكرمة، المكتبة التجارية، (د. ت)، ص. 53. 91. 171.

438 : مجهول، مفاخر البربر، تج، محمد يعلى، مدريد، المجلس

الأعلى للأبحاث العلمية، 1996، ص. 206.

الزناتي، يكتول بن الفتوح الجيمالي الفاسي عالم

محدث من أهل فاس، روى بها عن يوسف بن عبد العزيز ابن عديس وهو من تلاميذ المحدث أبي عمر بن عبد البر النمري. لم تذكره المصادر المغربية، وورد ذكره عند الحفاظ السلفي فقط.

رحل إلى المشرق ودخل بغداد، وروى بها عن جماعة من المحدثين منهم أبو طالب الزيني الشريف، وأبي الكوفي وابن مرزوق الزعفراني وابن طرخان، وأبي عامر العبدري.

وكان متمكناً من علم الحديث عارفاً برجاله وأوضاعه في عصره، وفي ذلك يقول : "لم أر فيمن لقيته أحفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي عامر العبدري ببغداد". وقال أيضاً عن الأماكن التي كانت في عصره أكثر عناية بالحديث : "بلاد الحديث اليوم التي تشد المطايا

البحيرات القارية بالنصف الشمالي للكرة الأرضية وقد ظهر في بداية الحقب الجيولوجي الثالث. يرجع تاريخ إدخاله من أوروبا إلى المغرب إلى سنة 1936 بواسطة محطة تربية السمك بأزرو وبمساعدة هواة صيد السمك الفرنسيين المقيمين آنذاك في مكناس وفاس وأزرو وخنيفرة. تم إدخال البيض والبلاغيط من فرنسا مدة 15 سنة لإنجاح التأقلم ولتعزيز وتقوية الصيد الرياضي في بحيرات الأطلس المتوسط والأطلس الكبير والسدود الكبرى. يعد المغرب البلد الوحيد في شمال إفريقيا الذي تكيف فيه سمك الزنجور بكيفية ناجحة، وفي ما يلي أهم



الزنجور

البحيرات والوديان الذي يعيش فيها حاليا : ضاية عوا وسيدي علي وحشلاف وأكلمان لعزيزة وتيفوناسين وويوان وأفنورير وبحيرة تيسليت قرب إيميلشيل وسد القنصرة (أدخلت فيه 5000 بلعوط في مايو 1947) ومشروع حمادي ومحمد الخامس وبين الوديان والوحدة والمسيرة وبعض السدود التلية كسد بوعامر وبوهودة والساهلة قرب تاونات ووادي تكريكرا قرب أزرو. تستعمل حاليا بحيرة أمغاس 4 الاصطناعية لاستقرار الفحول.

تأقلم الزنجور في هذه البحيرات إلا أن ولادته ضعيفة جدا وما تزال الأبحاث العلمية مستمرة في المركز الوطني لأحياء الماء وتربية السمك بأزرو، تسعى إلى ضبط وتقوية الولادة الاصطناعية لهذا النوع قصد تعميم استزراعها في معظم البحيرات الطبيعية الجبلية والسدود التلية والكبرى. والهدف من هذا الاستزراع تلخصه كما يلي :

- تحقيق توازن في الوسط المائي للبحيرات ؛
- تخفيض الكثافة والتكاثر العشوائي للأسماك العاشبة المرتفعة الخصوبة ؛

- تحويل لحوم الأسماك العاشبة ذات جودة غذائية ضعيفة إلى لحوم بيضاء ذات جودة ممتازة وذلك عن طريق السلسلة الغذائية ؛

- تنمية وتعزيز الصيد الرياضي حيث يفضل هواة هذه الرياضة سمك الزنجور لمقاومته الشديدة ولصعوبة اصطياده الذي يتطلب خبرة ومهارة ؛

إليها ثلاث : بغداد وأصبهان ونيسابور".

ورد طرابلس الغرب عند عودته من المشرق قبل سنة 1124 / 517، وحدث بها برواية أبي حفص، ومن الآخذين عنه بها أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن عبيد الطرابلسي المالكي (517). ولا يعرف تاريخ وفاته.

أبو طاهر السلفي، معجم السفر، تح. عبد الله عمر البارودي، مكة المكرمة، المكتبة التجارية، (د. ت)، ص. 237-238.

الزناتي، أبو يوسف، فقيه مغربي من أهل القرن السادس الهجري، دخل الأندلس وسكن بإشبيلية مدة قصيرة عاد بعدها إلى المغرب الأقصى. أعجب فقهاء وطلبة إشبيلية بعلمه الواسع بفقته ومسائل المذهب المالكي فأجلسوه للتدريس والمناظرة عليه بمسجد رحبة الباجي، واجتمعوا إليه. ومن الآخذين عنه أبو عبد الله بن المجاهد. لا يعرف تاريخ وفاته.

ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تح. عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، دار المعرفة، ج. 4، ص. 227-228.

محمد المغراوي

زناكة ← صنهاجة

الزناكي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا :

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 779.

محمد ابن عزوز حكيم

الزنجور أو سمك الكراكي كما هو معروف في الشرق العربي وفي المعاجم، والبروشي - المغرب من الفرنسية Brochet. كما هو في الدارج في الأطلس المتوسط، سمك بحيرات المياه العذبة القارية، لاجم شرس كبير القامة ومستدق الرأس، تأقلم بكيفية ناجحة في البحيرات الطبيعية الجبلية بالأطلس المتوسط والكبير وفي عدد من بحيرات السدود التلية والكبرى بالأقاليم الشمالية المغربية. يصنف علميا ضمن الأسماك العظيمة شعاعيات الزعانف ورتبة إيسوسيفورم Esoisiformes وفصيلة الزنجوريات إزوسيدي Esoidae. تأقلم نوع واحد فقط من بين ثلاثة أنواع أدخلت إلى المغرب : الزنجور الشائع إيزوكس ليسيوس Lucius، بينما فشلت محاولة تربية النوعين Esox niger أو Esox masquinengy. يدعى بالفرنسية Brochet وبالإنجليزية Pike. موطنه الأصل

- رفع مستوى الدخل المادي الفردي للصيادين الحرفيين ببحيرات السدود وتحسين وضعيتهم المادية.

الزنجبور سمك معروف لكبير حجمه ولبطء هضم مأكولاته ولشهيته الضاربة عند شدة جوعه ؛ يتحرك قليلاً ويقاوم الجوع لمدة طويلة، الشيء الذي يدفعه إلى التحكم في طاقته الحرارية وإنفاقها بكيفية اقتصادية. يتميز بجسم ممتدد مستطيل الشكل ويخطم مستدق الرأس على شكل منقار، واسع الشدق. يحمل الفك السفلي 5 مسام على كل جهة ونادراً 4 أو 6. يحمل الخط الجانبي أزيد من 176 حشفة ويتكون العمود الفقري من 57. 64 فقرة. يبلغ طوله الأقصى 1.4م، الزعنفتان الظهرية والشرجية متقابلتان على مؤخرة الجذع ومتقاستان. الجسم مغطى بحراشف صغيرة، الفك قويان يحملان أسنانا مستدقة الرأس وعديدة، البطن فضي، الظهر والجانبان خضر داكنة أو سمر تتخللها أشرطة عمودية ناصعة مصفرة عند الصغار. يساعده لونه على الاختفاء بين النباتات المائية التي يلتجئ إليها في أغلب الأحيان ليتربق فريسته من الأسماك والضفادع وغيرها من الحيوانات.

الذكور سريعة النمو في المياه المغربية وتصير بالغة سنة وتزن 400. 500 غرام بطول يتراوح بين 20. 25 سم. تصير الإناث بالغة بعد سنتين بطول ينحصر بين 25. 35 سم وتزن بين 500. 1000 غرام. يتوالد في المغرب من مارس إلى أبريل في حرارة تتراوح بين 7. 18C. يرتبط عدد البيض بالقامة والوزن ويقدر بحوالي 2000. 35000 في الكيلو غرام والوحد. يبلغ قطر البيض 2. 3 ملم. تخرج الصغار من البيض بعد 4. 19 يوماً بطول لا يتعدى 9 ملم وبدون فتحة فوهية. يصير طوله بين 9. 25 سم بعد سنة.

التوالد الطبيعي لسمك الزنجبور في المياه المغربية ضعيف جداً في البحيرات الطبيعية الجبلية إلى منعدم في بحيرات السدود وذلك لسبب النضج الجنسي غير المتزامن بين الذكور والإناث ؛ غالباً ما تسبق الإباضة نضج رول الذكور بأربعة أسابيع فينعدم التلقيح. والتناسل الاصطناعي وسيلة ناجحة لتكاثر هذا النوع واستزراع في المغرب. يتم بعد حقن هرمون الغدة النخامية في بطن الإناث والذكور البالغين. يستخرج هذا الهرمون من الغدة النخامية لنفس النوع أو لسمك قريب النسب في التصنيف العلمي كالشبوط والسلمون. يلعب هذا الهرمون دوراً فعالاً في تنشيط وحث النضج الجنسي في آن واحد عند جنس سمك الزنجبور وأنواع أخرى من الأسماك. يستورد هذا الهرمون من الخارج على شكل مسحوق يتم حقنه بواسطة جرعة مضبوطة ترتبط بالقامة والوزن. تحم جوانب بطن الذكور والإناث بعد حوالي 48 ساعة من عملية الحقن ويخلط رول الذكور بالبويضات التلقيح تحت حرارة مائية لا تتعدى 15 درجة. تدوم مدة نشأة الجنين 4. 19 يوماً حسب درجة الحرارة المائية.

يعيش منعزلاً في أغلب الأحيان ويفترس كل أنواع الأسماك والضفادع والحشرات المائية، كما أن ارتفاع كثافة أفراد غير البالغين يخلق فيهم غريزة أكل بعضهم بعضاً. يسهر المركز الوطني لأحياء الماء وتربية السمك بأزرو، التابع لوزارة المياه والغابات، على توسيع استزراع سمك الزنجبور وتوزيعه بكيفية عقلانية على معظم البحيرات القارية المغربية دون خلطه بسمك التروتة.

م. رضاني، سمك التروتة بالمغرب، معلمة المغرب، 1998، جزء 7، ص. 2341. 2342 : الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 : أمين المعلوف، معجم الحيوان، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

M.E. Himmi, *Reproduction artificielle du brochet : Elevage des alevins et pisciculture dans les lacs naturels du Moyen Atlas (Maroc)*. Fac. Sci. Meknès, 114 p., 1999 ; A. Zraouti, *Etude hydrobiologique et socio-économique des principaux plans d'eau à truite du Moyen Atlas*. Mémoire fin d'étude, ENFI, Salé, 1993, 98 p. : P. S. Maitland, *Les poissons des lacs et des rivières d'Europe*, Paris, 1977, 255 p. ; B.J. Muus et P. Dahlström, *Guide des poissons d'eau douce et pêche*, Paris, 1973.

عبد الخالق الزراوطي و محمد رضاني

الزنك، فلز أبيض مزرق، رمزه الكيميائي Zn، عدده الذري 30، وزنه الذري 65.38 ووزنه الحجمي 7.14 غ / سم³. وهو طروق، قابل للتصفیح ما بين 100 و200 درجة حرارية. يصلح لصناعة خلاط الغلونة والسحن والتصفیح.

معدن الزنك معروف منذ ما قبل التاريخ، حيث كان يستعمل في تركيب البرونز والفضة (الفلزات)، من ذلك تخويل تاريخ الفترات المنتممة لما سمي بعصر البرونز. وهو يوجد في الطبيعة على شكل مركبات كبريتية (بلاند أو سفاليريت)، كاربوناتية (كالمين، سميثسونيت) أو سليكاتية (كالمين، هيميمورفيت)، كما يكون في الغالب مشتركا مع معادن الرصاص والنحاس وغيرها.

في سنة 1999، قدر الاستهلاك العالمي بحوالي 8.357 مليون طن مقابل إنتاج 8.369 مليون طن من الفلز.

يتم استغلال الزنك بالمغرب على شكل كالمين في إقليم الرشيدية وبوعرفة (نطاق مكتب الشراء والتنمية للمنطقة المنجمية لتايفيلالت وفكيك = Cadetaf) وعلى شكل كبريتات (بلاند) بمناجم حجار، حوالي 30 كلم إلى الجنوب من مراكش، وتيفزا (جبل عوام) بإقليم الخنيفرة.

وقد بلغ استخراج معادن الزنك من المناجم المغربية، سنة 1999، ما قدره 1.710.000 طن، أنتجت حوالي 216.000 طن من المادة المركزة التجارية، توجهت إلى التصدير بحجم 211.102 طن بقيمة 545.8 مليون درهم (المصدر : مديرية المعادن).

هناك علامات معدنية مختلفة معروفة عبر التراب الوطني. كذلك الأمر على الخصوص بالنسبة لتيولي

(المغرب الشرقي) وأكرد نتازولت (الأطلس الكبير لناحية أزليلال). تهتم تنقيبات الشركات المعدنية حالياً بمحورين أساسيين : أحدهما يخص تمعدنات الكالين بالأطلس الكلسي، والآخر التمعدنات من صنف التراكمات المكبرته في بنيات الحقب الأول.

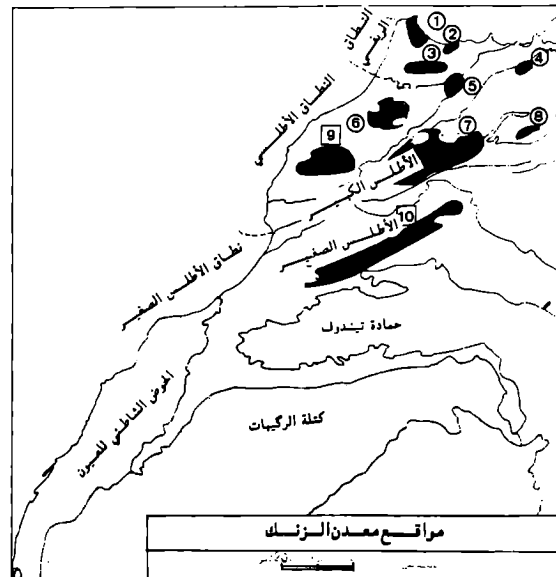
عدي عزى

* الزنك لفظ ألماني، ثقله النوعي 7.1، وزنه الذري 65.38، رمزه الكيميائي Zn. لا يوجد بتاتا في الطبيعة على شكله الخام، وإنما يدخل في تكوين كثير من المعادن وخاصة منها الكبريتيات (بلاند ZnS) والأوكسيدات (الزانسيت ZnO) والكربونات (سميثصونيت ZnCO3)، والمعادن التي تشمل السريوم (Ce) والارسونيك (As) والحديد (Fe)؛ وكذلك بعض المعادن كالسيليكات ونذكر منها هنا حجر التوتيا أو الكالين (Zn4 [Si2O7] (OH)2 H2O) والويليميت (Zn2 SiO4).

ونشير هنا إلى أن معدن البلاند هو أهم المعادن الحامة للزنك، إلى جانب لمعادن الأخرى سالفة الذكر. بلاند (انظر ما سبق)

- زانسيت : هي أوكسيد الزنك (ZnO)، نظامها البلوري سداسي الوجه، صلابتها 5.45، كثافتها 5.54، لونها أحمر إلى أحمر مصفر أو أحمر-أسمر، لمعانها شبه معدني. نجد الزانسيت بالعروق الحرمائية، وداخل الحلقات التحولية. - سميثصونيت : هي كربونات الزنك (ZnCO3)، تركيبها الكيميائية هي 64.90% من ZnO و35.10% من CO2؛ نظامها البلوري معيني؛ صلابتها 5، كثافتها 4.3؛ لونها أبيض، أصفر، أحمر، أحمر ليموني وأزرق مخضر؛ لمعانها زجاجي إلى صديفي. نجد معدن سميثصونيت في المناطق المؤكسدة.

- كالين : سيليكات الزنك، نظامه البلوري معيني؛ صلابته 5؛ كثافته 3.33؛ لونه أبيض، أزرق، أخضر،



أصفر، أسمر، أشهب وأحياناً لا لون له ؛ لمعانه زجاجي، صديفي إلى حريري. تنتج الكالين أساساً عن تأكسد البلاند.

- الويليميت : سيليكات الزنك، تركيبها الكيميائية هي 72.96% من ZnO و27.04% من SiO2؛ نظامها البلوري شبه معيني، صلابتها 5.5؛ كثافتها 4.0؛ لونها أبيض، أخضر، أصفر، أشهب، أسمر إلى أزرق مخضر، لمعانها شفاف عادة ما تكون مستشعة. نجد معدن الويليميت في غالب الأحيان ثانوياً في الصخور التحولية، زيادة على استعمال الويليميت كمعدن للزنك، فإن بلوراتها تستعمل لشفافيتها كأحجار كريمة.

يستعمل معدن الحارصين للغلجنة، والصناعات المعدنية، ونقل المعادن الثمينة، وكذا لخصائصه كمغزول في الصناعات. أما كبريت الحارصين فيستعمل كخضاب في صناعة الصباغة والمطاط والمنتجات الضيائية.

في المغرب يأتي ترتيب الحارصين إلى جانب الرصاص بعد الفوسفات مباشرة. يمكن تمييز خمسة عشرة راسباً بالمغرب يتجاوز إنتاجها الإجمالي 800.000 طن من الحارطين وذلك حتى أول يناير 1974. وأما باقي الرواسب فيبلغ إنتاجها السنوي الإجمالي عشر إنتاج المجموعة السابقة الأكثر أهمية. وتنتمي معظم رواسب الحارطين في المغرب إلى نوع الرواسب العرقية وتمثل في تمعدنات الصدوع وينحصر وجودها في صخور القاعدة حيث تقطع المستويات الأكثر صلابة لحجر الرمل الوردوفيشي في تافيلالت، أو تتركز في الرواسب الطبقاتية لغطاء القاعدة والمتمثلة في كتل وطبقات تتداخل بين الطبقات وتصحبها الظواهر الخاصة بالانتشار وملء الشقوق.

وأخيراً الرواسب المكسرية المتمثلة في ملء الفواصل والفجوات المختلفة مع إمكانيات الانتشار أيضاً في الصخور المحيطة حيث تتركز على وجه الخصوص في السحن الكربونائية للأطلس المطوي الكبير والمتوسط، وفي الحقب الثلاثي المتدلت للحاجز الفلخي الجبري لجبال الريف.

ومن أهم رواسب الحارصين الموجودة بالمغرب ما يأتي : بوبكر تويسيت - بيئات من الرواسب الطبقاتية على بعد أربعين كيلومتر جنوب وجدة، حيث تتركز التمعدنات على نحو كتل من ثلاثة مستويات يعلو بعضها الآخر وذلك في نسق كربناتي شديد التدلت ينسب إلى اللباس والبازوسي ومن أهم المعادن الموجودة بهذه المنطقة نذكر على سبيل المثال الحالتا والسلفا لريت (بلاند) والكالكوبيريت؛ ويوجد جزء من التمعدن المشمل على صورة متأكسدة ونذكر منها السيروسيت والانجازيت واسميثصونيت.

- أحولي من الرواسب العرقية على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً شمال شرق ميدلت.

- مبيدالان من الرواسب الطبقاتية على بعد خمسة عشر كيلومتراً شرق شمال ميدلت.

- زيدة من الرواسب الطبقيّة على بعد ثلاثين كيلمتراً شمال غرب ميدلت.

- جبل عوام من الرواسب العرقية الموجودة على بعد ثمانين كيلمتراً جنوب مدينة مكناس، وتوجد هذه العروق في الصخور الباليوزوية للمغرب الأوسط، حيث تُمَيِّز مرحلتان رئيسيتان للتمعدن، الأولى تشتمل على السيدريت (البلاند) والجالينا والمرو، والثانية فتشتمل على الجالينا والبلاند والكالسيت، والمرو والبارتين.

- مفيس من الرواسب العرقية، على بعد مائة وعشرة كيلمترات جنوب شرق مدينة الرشيدية، وتشتمل هذه الرواسب على الجالينا، البلاند، الكالكوبريت، البرتين، السيدريت الكالسيت، الباريت والمرو مع كميات مهمة من الفضة تصل أحياناً إلى 2 كلم في كل طن من الركاز الذي يحتوي على 60٪ من الرصاص.

- تامجوط من الرواسب الطبقيّة، الموجودة على بعد ثمانين إلى مائة وعشرين كيلمتراً جنوب شرق أكادير (الأطلس الصغير الغربي).

جبل بوظهر من الرواسب المتعددة الأشكال : عروقية، كسورية أو طبقيّة، على بعد مائة كيلومتر شرق شمال شرق مدينة الرشيدية. وتشتمل المعادن بهذه المجموعة على الجالينا، البلاند، البيريت، الكالكوبريت، الكالسيت، السيدريت الاتكريت، الباريت والمرو.

يهتم حالياً مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية بالبحث والدرس للكثير من المؤشرات للزنك واستكشاف قطاعات أخرى بالتراب الوطني نذكر منها :

- قطاع أگلموس الموجود جنوب غرانيب مانت، حيث تم إظهار سواد هامة من الرصاص والزنك والنحاس.

- كتلة تازكة الواقعة بالأطلس المتوسط الشمالي، جنوب غرب مدينة تازة. وتتكون من هضبة باليوزوية ظاهرة على شكل سفح، بها عدة مكامن ومؤشرات للرصاص والزنك والنحاس والحديد والباريوم والقصدير والذهب على شكل عروق أو انتثرات وتكدسات في تقصفات قشرة الأرض.

- منطقة إقليم رگو، من الطرف الجنوبي الشرقي للأطلس المتوسط المتعرج، المحتوية على تمعدنات الزنك والرصاص، الظاهرة على شكل تكدسات كربوناتية (سيليكات الزنك) على مقربة من التقصفات الكبرى الإقليمية.

مناجم معدن الزنك

1- الريف الباليوزوي

2- بوكوية

3- منطقة وزان

4- منطقة المرتفعات (بوكو، تويسيت، بيدبان)

5- كتلة تزكا (الأطلس المتوسط لتازة)

6- جبل عوام

7- ميبلاذن، زايدة، أحولي، بوظهر، تافيلالت، مفيس

8- منطقة الأطلس الصغير

9- منطقة الجبيلات ورحامنة (شمال مراكش).

عبد الله بوضحابة

زنيبر، أسرة سلوية أصلها من الأندلس من مدينة غرناطة، ولما طُرد المسلمون من الأندلس في القرن العاشر (16 م) خرجوا من ديارهم وبقيت فيها بقية منهم ونزلوا بشمال المغرب ببلاد غمارة مند مجين مع قبائلها لذلك كانوا يوصفون أحياناً بالغماريين ومنها نزحوا لاحقاً إلى مدينة سلا وهم كثيرو العدد فيها فكان لهم سنة 1920 أزيد من ثلاثمائة نسمة، أصهروا قديماً وحديثاً إلى أسر أخرى إلى حد أنهم تفرعوا شعباً تميزت بألقاب مختلفة مثل : المحبس واللطام وأولاد عبد الهادي وأولاد حجي (القاضي شارح "الهمزية") وأولاد القاضيين : بناصر وبوعبيد وأولاد خريش المتعاطين للفلاحة، ثم عرفت بعض الشُّعب بألقاب ثانوية مثل الباش والزيت والفرّيج وغيرها. ولعل من هؤلاء البقايا "محمد زنيبر المنون عليه بالإسلام" الوارد على المغرب سنة 1219 / 1804.

احتل آل زنيبر في المجتمع السلاوي مكانة رفيعة فكان منهم المناضلون والأفاضل، وكان منهم الفقهاء والمفتون والولاة والقضاة والنظار والمحسبون، والعدول والأمناء والتجار والفلاحون والمالكون العقاريون.

كوستي وعشاش، بيوتات مدينة سلا، تح. بحجة المريني، سلا، ص. 77 وما بعدها : حول محمد زنيبر المنون عليه بالإسلام، وثائق الحزاة الصبيحية، المحفظة 76 الوثيقة 8944 السلسلة الثالثة (18 رجب 1219 / 1804 ميلادية) ؛ أخبار شفيوة لا سيما من المرحوم الحاج أبي بكر بن الحاج أحمد زنيبر.

مصطفى بوشعراء

زنيبر، أحمد بن إبراهيم السلاوي، اشتهر بين معارفه بلقب "الزيت"، الفنان البارح في مجال المديح والسماع. وكان يجيد حفظ الأمداح ؛ ملما بالطبوع والأوزان. وقد عرف بولعه بإدخال القدود والتلاحين الشرقية ضمن مستعملات السماع والمديح المغربية، وهو أمر كان يثير حفيظة المنشدين المحافظين.

عرف الفنان زنيبر بنزعتة إلى التجديد وتطعيم التراث بما كان يراه مناسباً. وقد استفاد منه أصدقاؤه وتلامذته. توفي رحمه الله عام 1376 / 1957 بالديار المقدسة حيث كان يؤدي مناسك الحج.

عبد اللطيف بنمنصور، مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية المعروف بالحايك، 1397 / 1977، ص. 467.

عبد العزيز بنعبد الجليل

وكان من بين طلبته عمر الطنطاوي (عود) وعلي عاكب (ناي) وعبد العزيز السباعي (تشيلو) ومحمد كرم (دف) وصالح الشرقي (عود وقانون) ومحمد سميرس ومصطفى الحريري ورحال (كمان).

وقد ظل الفنان زنيبر مقيماً بالدار البيضاء حيث وافاه أجله في السبعينيات من القرن العشرين.

عبد اللطيف بمنصور، مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المغربية المعروف بالهايك، 1397 / 1977، ص. 450 : صالح الشرقي، أضواء على الموسيقى المغربية، ص. 122.

عبد العزيز بنعيد الجليل

زنيبر، أحمد بن محمد بن محمد بن حجي حفيد

القاضي محمد بن حجي شارح الهمزية، ولي خطة أبي الموارث بسلا، وتوفي بعد سنة 1238. وصفته بعض المصادر بأنه هو الزعيم الذي رد لأهل سلا ما نهبه منهم أعراب عامر المجاورون للمدينة.

م. ابن علي الدكالي، الإتحاف الوجيز، ط 2، ص. 145 - 147 : م. بوشعراء، ذيل، الإتحاف الوجيز، ط 2، ص. 224 : كوستي وعشاش، بيوتات مدينة سلا، ص. 79 : كناشة محمد بن المكي المريني، مخطوط الخزانة الصبغية، الورقة 40.

مصطفى بوشعراء

زنيبر، أبو بكر بن الطاهر بن حجي السلوي، عالم

سلفي يمثل اتجاه إصلاحياً متتورا يجمع بين القديم والحديث، وأهم ما كان يميزه عن غيره من الفقهاء المعاصرين هو فكره السياسي والإصلاحي.

ولد بسلا في مطلع القرن الرابع عشر (20 م) وهو ينتمي إلى أسرة اشتهرت بالعلم حيث يقول في مخطوطه حول التعليم: "... اذ بيتنا بني زنيبر من البيوت القديمة في العلم المهمة بشأنه ولا يعرف كثير من أفرادها



زنيبر، أحمد بن بناصر من شعبة اللطام، فقيه سلاوي انتصب للعدالة ببلده، وكان سنة 1190 ما يزال كذلك، وتوفي بعدها.

م. بوشعراء، ذيل، الإتحاف الوجيز، الطبعة الثانية، ص. 223 : رسوم الخزانة الصبغية.

زنيبر، أحمد بن عثمان من شعبة المحبس، كان من

فقهاء سلا وعلمائها توفي سنة 1301 / 1884.

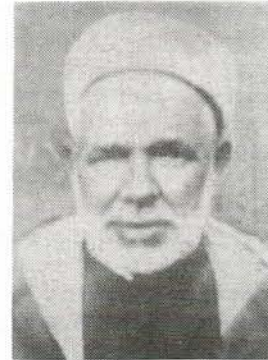
م. بوشعراء، ذيل، الإتحاف الوجيز، ط 2، ص. 225 : م. بوشعراء، التعريف ببني سعيد، ج. 2، ص. 57 و 61 : كوستي وعشاش، بيوتات مدينة سلا، ص. 78 : وثائق بنسعيد.

مصطفى بوشعراء

زنيبر، أحمد بن المحجوب البيضاوي، من مواليد

الرباط عام 1294 أقبل منذ شبابه على تعلم الموسيقى، فأخذ عن شيوخها بالعدوة أمثال المعلم سعيد الذي علمه الغزف على الكمان، والمعلم المهدي بوستة، كما أخذ عن بعض أعلام الآلة بفاس كالمعلم إدريس بن جلون، وعبد السلام البريهي، وبذلك جمع بين إتقان الموسيقى الأندلسية والطرب الغرناطي.

ينسب إليه أنه كان أول من استعمل آلة القانون في جوق الموسيقى الأندلسية بعد أن نقله من حظيرة أجواق الطرب الغرناطي. وكان يقدم بإذاعة راديو المغرب حصصا موسيقية من حين لآخر.



انتدب في الأربعينيات للتعليم بدار الأيتام بالدار البيضاء، فكان يلقي دروس الموسيقى الأندلسية لثلة من نزلاء الميتم الذين حفظهم بعطفه وعنايته. وبعد أن كانت دروسه الموسيقية في البدء مقصورة على تلقين مستعملات "الآلة" انفتحت على الموسيقى الشرقية، وأصبحت المجموعة الفنية التي أنشأها بالميتم ميدانا لممارسة الفنون معا. وقد شكل هذه المجموعة من خيرة طلبته، ووزع عليهم أدوار الغرف على الآلات العربية العربية التقليدية وبعض الآلات الغربية كالفيولانسيل، إضافة إلى آلة القانون التي يعتبر أول من أدخل استعمالها إلى الأجواق العصرية بالمغرب.

الاحتراف بشيء سواه" ص. 29. ومن أبرز العلماء الذين درس عليهم أو استفاد من مجالستهم : الفقيه أحمد الجريري والمؤرخ أحمد الناصري والفقيه عبد الله بن خضرا، والمحدث أبو شعيب الدكالي، وكان له اتصال بشخصيتين سلفيتين كان لهما حضور وازن على الساحة الفكرية والسياسية هما محمد بن العربي العلوي ومحمد الحجوي.

وبرجعنا إلى مقدمة مخطوطه نظرات في تطور التعليم بالمغرب، يتضح لنا سعة اطلاع الشيخ أبي بكر زنيبر والمكانة العلمية المرموقة التي كان يحظى بها حيث يخاطبه الدكتور عمر فروخ مدير مجلة "الأمالى" قائلا : "حضرة صاحب السماحة والتقى العالم العلامة الأستاذ الجليل الشيخ أبو بكر زنيبر مفتي سلا الأكرم. ونظرا لما نعهده في سماحتكم من علم غزير واطلاع واسع رأينا أن نكتب إليكم راجين أن تشرفوا هذا العدد بالاشتراك في تحريره..." (ص. 1).

إن مقدمة كتاب جهود الإسلام في ترقية الأنام تعرفنا على رافد أساسي من روافد التكوين الثقافي للشيخ أبي بكر زنيبر وهو الفكر السلفي إذ يقول : "قصدت به خدمة الإسلام والأمة الإسلامية وأن أكون من أهل الإصلاح العاملين على ربط المستقبل بالغابر، ووصل حلقات سلسلة ما تقدم من الزمان بالحاضر".

إن تشييع أبي بكر زنيبر بالفكر الإصلاحى جعله شديد التتبع للأحداث الوطنية والإسلامية، يسمع كثيرا ويجتهد في القضايا التي تعرض عليه. وقد ظل ذهنه مفتوحاً وكانت كتابته عصرية لا علاقة لها بما يكتبه الفقهاء، ويرجع ذلك إلى اتصاله الكبير بما كان ينشر في الشرق، وقدرته على الإحاطة بكل ما كان يروج في ذلك الوقت، يتتبع القضايا ويناقشها ويعرض رأيه فيها كقضايا الإلحاد وتنظيم الدولة والمجتمع والأحزاب والصحافة. أما علاقته بالشباب فقد كانت وطيدة فهو يحاورهم ويستفيد منهم ويفيدهم كما كان له استعداد دائم للعمل وتزويد الصحف والمجلات بالمقالات.

شكلت مسألة إصلاح التعليم في شموليته وإصلاح التعليم بجامع القرويين، إحدى أبرز القضايا الاجتماعية التي استأثرت باهتمام أبي بكر زنيبر وغيره من رواد الحركة السلفية، في عهد الحماية، ويدخل هذا الاهتمام في إطار مشروع وطني إصلاحى اضطلع به مجموعة المثقفين الوطنيين أمثال المختار السوسى، وعبد الله گتون، حيث وجدوا في مجال التأليف والتعليم، وإحياء قيم الثقافة الوطنية للرفض والمواجهة ووسيلة لبعث اليقظة وبث الثقة في النفوس، في اتجاه خلق حركة وطنية قادرة على الضغط على نظام الحماية والتعجيل باسترجاع الاستقلال الوطنى.

تولى أبو بكر زنيبر عدة مناصب منها خطة العدالة بالدار البيضاء وسلا والقضاء بمدينة سطات وتاوريرت وسيدى قاسم وسيدى سليمان، ونظرا لأرائه الجريئة ولاستقامته في مزاوله مهام القضاء فقد أعفته سلطات الحماية من منصبه حوالى سنة 1924، ومنذ هذا التاريخ تفرغ للتدريس والتأليف والإفتاء ومقاومة الاستعمار، حيث كان يساهم في بعض المعارك السياسية كعالم مصلح يكتب العريضة ويوقع فيها. ويحضر بعض الاجتماعات العامة ويلقى المحاضرات. ويمكن القول بأنه من العلماء والقادة السياسيين الممارسين، الأمر الذي دفع السلطات الاستعمارية إلى اعتقاله هو وإبناه الطاهر ومحمد سنة 1944، بعد تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال.

للمترجم عدة مؤلفات ما تزال في معظمها مخطوطة، منها :

• إرشاد الله للمسلم الغافل عن الله أو بداية الرحمة إلى الثقلين الإنس والجان، وهو تفسير للقرآن الكريم يقع في عدة مجلدات.

• جهود الإسلام في ترقية الأنام، مطبوع.

• نظرات في تطور تاريخ التعليم، قيد التحقيق.

• الصداق والمهر، ترجم ونشر باللغة الفرنسية.

• مجموعة من الفتاوى الفقهية.

• مذكرة حول تعليم الفتاة.

تجمع جميع المصادر المكتوبة والشفوية على أن أبا بكر زنيبر شخصية عالمة متميزة متشعبة بالفكر الإصلاحى، متفتحة على قضايا عصرها، متفاعلة معها بواسطة النقد وطرح الأسئلة ذات العمق الفكرى والحضارى وتقديم المقترحات العملية اعتمادا على منهج الاجتهاد والبحث عن الحقيقة العلمية، إلى أن توفي بمسقط رأسه سلا يوم الأربعاء 3 ربيع الثانى عام 1376 / 7 نونبر 1956.

أبو بكر زنيبر نفسه، نظرات في تطور التعليم بالمغرب، مخطوط، جهود الإسلام في ترقية الأنام، تج. فائزة البوكيلي، ع. الله الجرارى، من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين، شهادات مجموعة من الأساتذة، محمد زنيبر (الابن) أبو بكر القادري عبد الرحيم بوعبيد - قاسم الزهيري - محمد حجي.

خديجة الميلحي

زنيبر، بناصر بن محمد من وجوه سلا كان سنة 1286 يتولى خطة نظارة الأجاس بسلا فكان يباشرها باشتراك مع ناظر آخر كما كانت العادة جارية في ذلك الوقت، وتوفي سنة 1298.

م. بوشعراء، ذيل، الإتحاف الوجيز، ط 2، ص. 225 : وثائق بنسعيد.

زنيبر، بوعزة بن بوعبيد أحد علماء سلا وفقهائها، ولي القضاء بها سنة 1230، وكانت وفاته بعدها.
م. بوشعراء، ذيل، الإتحاف الوجيز، ط 2، ص. 224؛ تقييد جعفر الناصري حول قضاة سلا.

زنيبر، حجي بن **محمد** من علماء سلا ونوازليها وفقهائها أخذ بادئ أمره عن علماء المدينة وعلماء فاس، وأسند إليه القضاء في بعض المدن، وعين عضواً بمجلس الاستئناف الشرعي إلى أن أحيل على المعاش.
توفي في أواسط رجب عام 1389 / أواخر شتنبر 1969.
تأثّل المال فكان ذا ثروة كبيرة.
ع. الله الجاروي، من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين، ج. 2، ص. 290.

زنيبر، حجي بن **محمد** (الحاج -) من أعيان المدينة السلاوية، انتصب للعدالة بمرسی الدار البيضاء سنة 1267 إلى أن عاد سنة 1273 لمباشرتها بمسقط رأسه. وتوفي بعد ذلك.
م. بوشعراء، ذيل، الإتحاف الوجيز، ط 2، ص. 225؛ الوثائق الملكية؛ وثائق بنسعيد.

زنيبر، الطاهر بن أبي بكر من رجالات الأدب والفكر والوطنية بسلا على سنن والده الشيخ المفتي أبي بكر سابق



الترجمة. درس بمسقط رأسه سلا وبالرباط وهو من أوائل الشبان المغاربة الحاصلين على (الليسانص) في الأدب من الجامعات الفرنسية. انخرط مبكراً في حقل النضال الوطني فسجن هو وأبوه سنة 1944 على الرغم من حالته الصحية، لأنه كان سابع سبعة من أهل سلا وقعوا وثيقة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال.

وبعد الإفراج عنه عمل في سلك التعليم العربي الحر، بمدارس محمد الخامس سنتي 1948 و1949.
ولما بزغ فجر الاستقلال وظف بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية رئيساً لديوان الوزير، وظل كذلك حتى وافته المنية يوم 15 محرم 1391 / 13 مارس 1971 ودفن بمسقط رأسه.

ع. الله الجاروي، من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين، ج. 2، ص. 444؛ معرفة خاصة بالمتروجم له.

زنيبر، عبد الله (الحاج -) بن **عبد الله** من ذرية المحبس، كان سنة 1290 خليفة لعامل سلا الحاج محمد بنعصيد.

م. بوشعراء، ذيل، الإتحاف الوجيز، ط 2، ص. 225، في الطبعة الثانية التعريف ببني سعيد، ج. 2، ص. 129 و130؛ وثائق بنسعيد.

زنيبر، عبد الهادي بن **محمد** بن عبد الهادي بن الهاشمي نجل عامل سلا محمد بن عبد الهادي آتي الترجمة، احترف التجارة أول أمره بالداخل والخارج، ثم عين ناظراً للأحياس مع غيره بسلا، وتقلب في مناصب الأمانة بالعرائش والجديدة والدار البيضاء ومراكش قبل سنة 1291. وكانت وفاته سنة 1328.

كوستي وعشاش، بيوتات مدينة سلا، تح. نجاة المريني، ص. 81؛ م. بوشعراء، ذيل، الإتحاف الوجيز، الطبعة الثانية، ص. 225. 226؛ التعريف ببني سعيد، ج. 2، ص. 129. 173. 176. 223؛ الاستيطان والحماية، ج. 3، ص. 973؛ وثائق بنسعيد.

زنيبر، عبد الهادي بن **الهاشمي** الجد الأعلى لفرع أولاد ابن عبد الهادي الذين تولوا مناصب مختلفة في الإدارة والأمانة. كان عبد الهادي منخرطاً في سلك العدول وتوفي سنة 1241 بمدينة سلا.

م. بوشعراء، ذيل الإتحاف الوجيز، ص. 224 من الطبعة الثانية؛ كناشة محمد بن علي الدكالي، رقم 4257 د بالخزانة العامة بالرباط. الورقة 13؛ رسوم الخزانة الصبيحية.

زنيبر، العَرَبِي - بفتح الراء - من شعبة المحبس رياضي ماهر في كرة القدم. كان سنة 1948 حارساً لمرمى نادي الأولمبيك الرياضي ثم حارساً ومدرباً لفريق الجمعية الرياضية السلاوية. سبق له قبل ذلك (وربما يُعَيّد الحرب العالمية الثانية) أن كان حارساً لمرمى المنتخب المغربي الفرنسي، فخاض مباراة انتصر فيها فريقه على الفريق الفرنسي لنيل كأس شمال إفريقيا بثلاثة أهداف لواحد،

فكان لهذا الانتصار ولا سيما أثناء النضال الوطني صدى واسع في الأوساط الشعبية التي استقبلت المشاركين بالبطول على الرغم من قلة عدد المغاربة المسلمين المشاركين فيه.



أسس العربي زينبير فريق النجاح السلاوي ومنه تخرج لاعبون اكتسبوا صفة الدولية. عرف بديانته وحسن معاشرته للناس وتلاميذه حتى كان يدعى "أبَا عَرُوب".
توفي حوالي سنة 1412 / 1992.
معرفة شخصية.

مصطفى بوشعراء

زينبير، علي بن أحمد يعد من بين الشخصيات المغربية التي لم تحظ بالبحث والدراسة الكافيين بالرغم من كونه عاش في فترة زمنية قريبة ويرجع الأستاذ محمد زينبير سبب ذلك إلى كونه "... من الأشخاص الذين سبقوا زمانهم، فلم يصادف ما كان يستحقه من إنصات واهتمام، ولذلك فإن مواطنيه ومعاصريه أهملوا ترجمته" ويمكن اعتبار ما كتبه أبو بكر الصبيحي - حفيد المترجم - في مقدمة مخطوط منتخبات المشتاق من أرج روح الأشواق أهم مصدر لترجمته بالرغم من كونه لا يمدنا بالمعلومات والتفاصيل الدقيقة عن حياته وخصوصا ما يتعلق بدراسته وتكوينه العلمي.

ولد الحاج علي بن أحمد بن عبد القادر "اللطام" بمدينة سلا حوالي سنة 1290 / 1844، ورافق والده وعمه إلى الأراضي المقدسة قصد المجاورة وهو ابن سبع سنوات، وبعد أداء مناسك الحج مات والده فأرجعه عمه لسلا بعد أن أقاما في مصر مدة من الزمن.

كان الحاج علي زينبير يمتحن التجارة قبل أن يتوجه إلى مصر عام 1296 / 78 - 1879، التي عاش فيها نصف حياته، وقد عُرف بوكيل المغاربة نظرا لاهتمامه الكبير بأحوال المتوجهين منهم إلى الحجاز الأمر الذي تسبب في ضياع أمواله واضطراره للعودة إلى بلاده. بعد رجوع الحاج علي

زينبير إلى المغرب أقام مدة بطنجة تقدر بسنة أو أكثر قليلا. ثم انتقل إلى فاس حيث قضى عشرة أعوام. وفي سنة 1914 رجع إلى سلا مسقط رأسه حيث وافته المنية يوم 29 جمادى الثانية سنة 1332 / 25 ماي 1914.

إن طول إقامة المترجم في مصر جعلته من المغاربة الأوائل الذين تأثروا بالنهضة المصرية وبأفكارها الداعية إلى اليقظة والإصلاح والأخذ بأسباب الحضارة الحديثة، وقد عبر عن هذه الأفكار الجديدة في مذكرة تحمل اسم حفظ الاستقلال ولفظ سيطرة الاحتلال نشرها للمرة الأولى الفقيه محمد المنوني في مجلة دار النيابة (العدد الرابع). ويعتبرها أول مشروع دستوري اقترح فيه صاحبه مجموعة من الإصلاحات من ضمنها : النظام النيابي وشعارات الدولة وأنظمة الحكومة.

ويشكل التصوف بعداً بارزاً في شخصية الحاج علي زينبير الذي كان في أول أمره قادريا ثم صار درقاويا، وقد عرف بتمسكه الشديد بالشرعية قولاً وعملاً وبجرأته في الجهر بالحق وباجتهاده في الدعوى للإصلاح، ويؤكد ذلك حفيده اعتمادا على ما طالعه من تقييده وما سمعه من عاشروه.

ونظراً للأحوال المتردية التي كان عليها المغرب في بداية القرن الرابع عشر (20 م) فقد كان الحاج علي زينبير يتوقع احتلاله من طرف الفرنسيين.

ترك المترجم له أربعة تأليف وهي :

1 - تحفة القراء بنتيجة الجزيرة الخضراء

2 - حفظ الاستقلال ولفظ سيطرة الاحتلال

3 - درر عقد النصيحة بسلك الإبريز بنحو حور جنة حبور مولاي عبد العزيز

4 - منتخبات المشتاق من أرج روح المشتاق

هذه الكتب مازالت كلها مخطوطة ولم يعثر على أصولها تامة باستثناء ديوان منتخبات المشتاق من أرج روح المشتاق. وتجدد الإشارة إلى أن الحاج علي زينبير كانت له خزانة تتوفر على مصنفات سياسية واجتماعية هامة تركها بعد عودته من مصر في عهدة ابنته وحفدته بسلا.

أبو بكر الصبيحي، مقدمة ديوان، منتخبات المشتاق، خ. ص، رقم 93 / 627 : م. زينبير، مجلة دار النيابة، السنة الثانية، العدد السادس ربيع 1985 : م. المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، ج. 2.

خديجة الميلاحي

زينبير، قاسم (الحاج -) بن محمد بن الحاج قاسم من فرقة المحبس، كان فقيها انتصب أول أمره لتلقي

بثانوية مولاي يوسف بالرباط. وتقلد بعد استقلال البلاد عدة مناصب إدارية، في ديوان جلالة الملك محمد الخامس، ثم بوزارة الخارجية التي كان يرأس بها قسم أفريقيا، وقد اضطرت بعض مواقفه إلى ترك هذا المنصب سنة 1961، وتفرغ للتدريس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط التي ظل من أعمدها إلى أن وافاه أجله.



كانت رغبته عندما التحق بالجامعة تدريس الفلسفة لكن ظروفًا حالت بينه وبين ذلك، فاختار تدريس التاريخ. وقد حضر في منتصف الستينيات دبلوم الدراسات العليا في موضوع: "تحقيق جزء من الذخيرة لابن بسام الشنتريني".

كانت الاهتمامات العلمية لمحمد زينبير متنوعة، وقد انعكست على كتابته وتأليفه، فقد بدأ بالكتابات السياسية في أواخر الأربعينيات ثم انتقل إلى الكتابة في مواضيع تحليلية وفلسفية، وظهر عليه اهتمام بالأدب والمتابعة للقضايا الفكرية والقومية. ثم انشغل بالكتابة التاريخية، وترك تراثًا غنيا يتجاوز 300 عنوان. كما أسهم في تأليف عدد من المقررات الدراسية لمادة التاريخ في السبعينيات بعد أن كانت الكتب المقررة إما فرنسية وإما مشرقية. وكانت له إسهامات أدبية في القصة والرواية والمسرح، فازت منها بجائزة المغرب للكتاب رواية "الهواء الجديد" سنة 1972، ومسرحية عروس أغمات سنة 1991.

شارك محمد زينبير في تأسيس عدد من الجمعيات الوطنية مثل اتحاد كتاب المغرب، والجمعية المغربية للبحث التاريخي، والجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر،

الشهادات ثم أسند إليه القضاء في سلا وبها توفي سنة 1160.

م. بوشعراء، ذيل الإتحاف الوجيز، الطبعة الثانية، ص. 323 :
تقييد القضاة بسلا لجعفر الناصري : تقييد ابن علي في كناشة
الفقيه محمد التطواني الوراقفة 27 : رسوم الخزانة الصبيحية.

زينبير، محمد بن إبراهيم من الفقهاء السلويين
المشاركين في العلوم الفقهية والتاريخية، تقلب في نظارات الأحباس بمراكش وفاس وأسفي، وله تقييد في حرب الريف. توفي سنة 1348.

م. حجى، موسوعة أعلام المغرب، ج. 8، ص. 2997.

زينبير، محمد (الحاج -) بن أحمد من وجهاء سلا
وفقهاؤها، انتصب للعدالة بها، ثم عين سنة 1992 أميناً بالعرائش، وسنة 1298 أميناً بالصويرة ومات بعدها.
م. بوشعراء، ذيل الإتحاف الوجيز، الطبعة الثانية، ص. 225 :
وثائق بنسعيد.

زينبير، محمد (الحاج -) بن أحمد بن عبد القادر من
فرقة اللطام وشقيق الحاج علي زينبير سالف الذكر، وكان يعرف بالبباش (ببلاء مفخمة) لأنه كان ضابطاً في جيش المدفعية. تعلم مدة قصيرة بمصانع كروب بألمانيا الشؤون الحربية سنة 1307 / 1890 وتقلب في وظائف عديدة منها أنه كان حاضراً أثناء استخلاص طرفاية من الاحتلال الإنجليزي سنة 1313 / 1895.

توفي بمدينة سلا سنة 1320 / 1919.

م. بوشعراء، ذيل الإتحاف الوجيز، الطبعة الثانية، ص. 226 :
الاستيطان والحماية، ج. 4، ص. 1350 : عبد الرحمان ابن زيدان،
الإتحاف، ج. 1، ص. 380.

مصطفى بوشعراء

زينبير، محمد بن أبي بكر. ولد بسلا سنة 1341 / 1923. وتلقى تعليمه الابتدائي بمدرسة أبناء الأعيان بسلا، وتعليمه الثانوي بليسي كورو بالرباط (ثانوية الحسن الثاني حالياً)، حيث حصل على شهادة البكالوريا سنة 1946، ثم سافر في بعثة طلابية من 12 طالباً إلى باريس للدراسة بجامعة السربون، بمنحة كريمة من جلالة الملك محمد الخامس. وحصل في دراسته الجامعية على ثلاث إجازات، في الفلسفة والأدب والتاريخ سنة 1950. وتقدم للتبريز (Agrégation) في اللغة العربية، فنال الشهادة ضمن ثلثة قليلة من المغاربة. وكان ذا ثقافة مزدوجة متينة.

عاد الأستاذ محمد زينبير بعد تخرجه في نفس السنة إلى المغرب فانخرط في سلك التدريس بمدينة القنيطرة ثم

الميثاق الوطني، بتاريخ 5. 12. 1993. م. حجاج الطويل، الشمس
على أطراف النخيل، مجلة أمل، العدد 4، السنة 2: 1993، ص. 5
8.

محمد المغراوي

زنيبر، محمد بن حجي عالم أديب، ولي قضاء سلا
مرتين عامي 1162 / 48. 49. 17 و 1194 / 1780. تتلمذ على
يد علي العكاري (الشيخ)، وأحمد بن عاشر الحافي
السللاوي ومحمد ملاح وغيرهم. ألف شرحا على همزية
البوصيري نال به شهرة كبيرة نظراً لجودته وما جمع فيه من
الفوائد وهو المعروف باسم نيل البشري، والسعادة الكبرى
أو "الفوائد الزكية، والدرر البهية، والعوائد السنية على
ألفاظ الهمزية". وقد فرغ من تأليفه عشية الاثنين 24
جمادى الأولى عام 1165. قرص هذا الشرح شيخ المترجم
أحمد بن عبد الله الغربي نثراً ونظماً، كما قرصه علماء
آخرون أمثال عبد القادر بن العربي بوخرص الفلالي
الكامل، ومحمد ملاح - أنف الذكر. كتب محمد بن حجي
زنيبر قصائد في مدح إدريس الأكبر، وإدريس الأصغر
وشيخه أبي العباس الغربي. كان المترجم من الفارين إلى
الرباط خوفاً من بطش عبد الحق فنيش الشهير، عامل سلا
والقائم بها خلال هذه الفترة أي عام 1159 / 1746، وهي
السنة التي جرت فيها مراسلات بين المترجم وشيخه أحمد
ابن عاشر الحافي يتشرف فيها لإخوانه الطلبة والعلماء من
أهل سلا، كما تبرز المكانة المتميزة التي كان يحظى بها
محمد بن حجي زنيبر سواءً عند شيخه المذكور أو في
المجتمع السللاوي.

توفي المترجم عام 1194 / 1780.

محمد السعديين

زنيبر، محمد بن الطاهر، كان سنة 1260 / 1844
أحد عدول سلا، ثم في سنة 1267 عين أميناً بمرسى
العدوتين، وتوفي بعد السنة الأخيرة.

م. بوشعرا، ذيل، الإتحاف الوجيز، الطبعة الثانية، ص. 225 ؛
الوثائق الملكية ؛ وثائق بنسعيد.

زنيبر، محمد بن عبد الهادي الهاشمي أحد أعيان
سلا، كان أول أمره ناظراً لأحباس المدينة المذكورة ثم أسندت
إليه الولاية عليها سنة 1265 أو قبلها.

وفي وقته قصف الأسطول الفرنسي المدينة سنة 1268 /
1851 بسبب نهب السكان لعدد من أكياس القمح كانت
أنزلت بالشاطئ، فقامت قائمة الحكومة الفرنسية طالبت
بتعويض عن تلك الخسارة، فلما استمهلت ولم يفعل المخزن
شيئاً قدم أسطول مؤلف من خمس قطع بحرية تحت إمرة
الأميرال دوبرديو Dubourdiou وأخذ في قنبلة سلا التي

وظل إلى آخر حياته عضواً في لجنيتها العلميتين اللتين
تسهران على إصدار مجلة الكتاب المغربي ومعلمة المغرب.

أما في الجانب التربوي فقد ساهم مع زملائه بشعبة
التاريخ في تعريب الدراسة بها، واختاره زملاؤه بالشعبة
رئيساً لها مرات عديدة، وشارك في تأسيس سلك تكوين
المكونين، وكان مديراً للتكوين به، وأشرف على مجموعة
هامية من الرسائل الجامعية في التاريخ.

تفتح الأستاذ محمد زنيبر على العمل الوطني في بيت
أسرته، حيث كان والده من الوطنيين الذين كانت لهم
مواقف سياسية معارضة للسياسة الاستعمارية. وقد شب
وهو يواكب المواقف الوطنية المشهودة مما جعله ينخرط
تلقائياً في النضال الوطني في سن مبكرة، مما أدى به إلى
الاعتقال يوم 30 يناير 1944 رفقة والده وأخيه الطاهر زنيبر
على إثر المظاهرات التي تفجرت بمدينة سلا وسقط فيها
عدد من الشهداء على إثر تقديم عريضة المطالبة
بالاستقلال. وسبق رفقة مجموعة من الوطنيين إلى معسكر
كارنيي في الرباط (معسكر مولاي إسماعيل فيما بعد)
حيث خضعوا للتعذيب والإهانة، ثم نقلوا إلى سجن لعلو،
الذي انكب فيه المرحوم محمد زنيبر على تعليم المعتقلين
وتثقيفهم. وأثناء إقامته بباريس أصبح مراسلاً لجريدة
العلم. وفي نهاية الخمسينيات انضم إلى حزب الاتحاد
الوطني للقوات الشعبية، ثم صار بعد ذلك عضواً في حزب
الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، وتحمل المسؤولية في
جماعة حضرية بمدينة سلا في انتخابات 1983.

وكان لمحمد زنيبر حضور دائم في الساحة الوطنية
بمواكبه لمختلف الأحداث الثقافية والسياسية بتحليلاته
ومواقفه الوطنية المتميزة.

وكان إلى جانب ذلك مؤرخاً أديباً، متذوقاً للفن
والموسيقى، باحثاً فيها، مرح بالروح، ملماً بالتراث الشعبي
المغربي وأمثاله وحكاياته، مع نيل الأخلاق وحسن المعاملة.
توفي محمد زنيبر بمدينة قصر النبيرة الجبلية بنواحي
مالقة بإسبانيا، وهو يشارك في مهرجان للأمداح والموسيقى
الأندلسية، بمناسبة عيد المولد النبوي بدعوة من الجمعية
الإسلامية الأندلسية، ليلة السبت 5 جمادى الثانية عام
1414 / 20 نونبر 1993، في الساعة 9 ليلاً. ونقل إلى المغرب
فدفن بمسقط رأسه سلا.

أ. التوفيق، العضو الغائب، جريدة العلم، بتاريخ 24. 11. 1993 ؛
ن. المريني، الفقيه محمد زنيبر من رواد الجامعة المغربية، جريدة
العلم، بتاريخ 3. 12. 1993 ؛ ق. الزهيري، الثلاثة الذين قضا
نحبهم، جريدة العلم، بتاريخ 3. 12. 1993 ؛ ع. الرحيم، غ. محمد
زنيبر المناضل الوطني والديمقراطي، المثقف والأستاذ والإنسان،
(1923-1993)، جريدة الاتحاد الاشتراكي، بتاريخ 14. 12. 1993؛
ع. اللطيف الجعفري، محمد زنيبر الإنسان الذي أبدع من المهدي إلى
الحد، جريدة أنوال، بتاريخ 28. 11. 1993 ؛ بوشعيب البغدادي،
آخر لحظات في حياة الأستاذ محمد زنيبر، الملحق الثقافي لجريدة

وقعت بها أضرار جسيمة ومات عدد من السكان، كما فقد الهاجسون أرواحاً وحطمت بعض المراكب المعتدية. وبعد أن توترت العلاقات المغربية مع فرنسا، بذلت جهود للتصالح. وتوفي محمد بن عبد الهادي بالكوليرا سنة 1271 / 1855.

م. بوشعراء، ذيل، الإتحاف الوجيز، الطبعة الثانية، ص. 226؛ ما بعدها؛ أ. الناصري، الاستقصا، ج. 9، ص. 70؛ الوثائق الملكية؛ وثائق بنسعيد؛ وثائق الخزنة الصبغية.

زنيبر، محمد بن قاسم (الحاج -) بن الحاج أحمد أحد علماء سلا وفقهه ورع، ولي قضاء المدينة من سنة 1122 إلى سنة 1126، وهو المعروف بالمحبس وخلف أملاًكاً معقبة على ذريته التي كانت تتعاطى العلم أو تتصف بالصلاح والدين.

وكانت وفاته سنة 1134 ودفن بحومة البلدة. م. بوشعراء، ذيل، الإتحاف الوجيز، ط 2، ص. 223؛ وكذلك الذيل الثالث منه حيث رسوم الأوقاف المعقبة، ص. 272 وما بعدها؛ جعفر الناصري، تقييد القضاة، مخطوط؛ م. ابن علي الدكالي، إتحاف أشرف الملا، ص. 75؛ جعفر الناصري، سلا ورباط الفتح، ج. 1، ص. 131 (مرفون ومخطوط بالخزنة الصبغية).

زنيبر، محمد بن محمد، من شعبة اللطام، كان من عدول المدينة السلاوية وشعرائها سنة 1253، ذا حظ رائق نسخ به بعض التأليف. له ديوان شعر بالخزنة العامة بالرباط رقم 1019 ج.

م. بوشعراء، ذيل، الإتحاف الوجيز، الطبعة الثانية، ص. 223؛ م. المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ج. 2، ص. 87؛ م. حجي، فهرس الخزنة الصبغية، الجزء الأول، ص. 333؛ رسوم الخزنة الصبغية.

مصطفى بوشعراء

زنيبر، محمد بن محمد بن محمد بن حجي عالم، تولى القضاء والخطبة بالجامع الكبير بسلا بعد وفاة أبيه سابق الترجمة عام 1194 / 1780، وظل قاضياً إلى أن توفي عام 1205 / 1790.

م. حجي زنيبر، نيل البشري، والسعادة الكبرى بشرح همزية البوصيري، مخطوط خ. ص. رقم 29؛ علي العكاري الحفيد، الدور الضاوية، مخطوط خ. ع. 88 د، ص. 28؛ م. ابن علي الدكالي، الإتحاف الوجيز، تح م. بوشعراء، ط 1، ص. 118-119 والملاحق، ص. 162.

محمد السعديين

زنيبر، محمد بن محمد بن عبد الهادي نجل عامل سلا، ولي منذ 1303 الأمانة بالجديدة وأسفي

والعرائش، وكان أميناً بماكينة السلاح بمراكش سنة 1313. وصار محتسباً لمراكش سنة 1319. كانت وفاته سنة 1340. وسبق له أن كان عضواً بالوفد المغربي في مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 بوصفه أميناً.

م. بوشعراء، الاستيطان والحماية، ج. 2، ص. 681 و719 وج. 3، ص. 1031؛ التعريف ببني سعيد، ج. 2، ص. 129-173-176. 223؛ وكوستي وعشاش، بيوتات مدينة سلا، ص. 81؛ وثائق بنسعيد.

زنيبر، محمد بن محمد العربي بن عمر بن محمد بن محمد (مرتين) بن عبد الرحمان من فرع اللطام، كان من عدول سلا ثم ولي القضاء بها بين سنة 1254 وسنة 1259 حتى خلفه بنحسون عواد. وكان له حظ جميل نسخ به بعض الكتب في مطلع شبابه.

توفي قبل سنة 1294 بكثير. م. بوشعراء، ذيل، الإتحاف الوجيز، الطبعة الثانية، ص. 224؛ م. حجي، فهرس الخزنة الصبغية، الجزء الأول، ص. 333؛ تقييد جعفر الناصري حول القضاة؛ عبد الرحمان بن زيدان، الإتحاف، ج. 5، ص. 42؛ رسوم الخزنة الصبغية.

زنيبر، محمد بن محمد المدعو الفريخ، وهو من ذرية محمد بن حجي شارح الهمزية ولي خطة الحسبة بسلا من سنة 1326 إلى سنة 1329، وتوفي بعدها بقليل.

م. بوشعراء، ذيل الإتحاف الوجيز، الطبعة الثانية، ص. 226؛ رسوم الخزنة الصبغية.

زنيبر، محمد المدعو "مخبل العقول" أديب وشاعر، انخرط في شبابه بحزب الشورى والاستقلال فرع سلا. عين كاتباً بديوان الصدر الأعظم الحاج محمد المقرئ. وبعد الاستقلال انتظم في سلك القضاء، ثم أصبح عضواً بمجلس القضاء العسكري بالرباط. توفي وهو بهذه الصفة في متم رمضان عام 1420 / 6 يناير عام 2000. معرفة شخصية.

زهانة، بطن من فرقة أولاد يحيى، قبيلة بني حسن، دائرة سيدي سليمان، إقليم القنيطرة. كان في صدر القرن العشرين يشتمل على عدة أفخاذ هي: أولاد حامد وأولاد ميلود وأولاد عبو وأولاد الشايب والغلالطة والجوابر وأولاد البيته، وجميعهم يبلغ 199 خيمة. أما موطنهم فهو الجنوب الشرقي لمدينة سيدي سليمان، وقد انتشروا في مناطق بعيدة ومدن قريبة مثل سلا والقنيطرة ومكناس.

ويجب التمييز هنا بين زهانة الحسنوايين وبين بني زهنة المنتميين إلى قبيلة غزران المستوطنة بقيادة رباط الخير (أهرمومو سابقاً) وبالعشائر المجاورة لها من دائرة المنزل

إقليم صفرو ودائرة تاهلة إقليم تازة.

ولي بعض أعيان الزهانيين مناصب إدارية ومحلية كالعمال الذين سأذكر فيما يأتي البعض مما وقفت عليه من أخبارهم.

م. شعراء، علاقة المخزن بأحوال سلا، صفحات مختلفة ولا سيما، ص. 19. 203. 204 : التنظيم الجماعي والإداري لسنة 1992 ؛ وثائق بنسعيد ؛ الوثائق الملكية.

Villes et tribus du Maroc, Rabat, tome I et tome III, Beni Hsen.

الزهاني، إبراهيم بن الحسن بوكرين، من أشهر ولاية بني حسن، ولي على أولاد يحيى كافة أوائل عهد الحماية كان أول أمره حافظاً للقرآن حسن السيرة إلا أن مزاوله السلطة دعتة إلى مسابرة رجال الحماية والاندساس مع جماعة المتأمرين على العرش، فأقام خيمة كبيرة بالقصيبة دعا إليها المتعاونين واعتنى بهم في حفل كبير. ولذلك صودرت بعض أملاكه.

كان قائدا على صف المعابد والمحامد من أولاد يحيى الذين بلغ عدد خيامهم في أول القرن الماضي 2800 وحدة. وصف المعابد واقع في الجنوب في المنطقة المتاخمة لكل من زمور وگروان والشراردة. وهو يشتمل على البطون التالية : النعاسة (426 خيمة) وأولاد بوجنون (270) وأولاد بوثابت (120) وأولاد ملوك (198).

أما صف المحامد القاطن بالشمال من المنطقة المذكورة فيحتوي على البطون الآتية أولاد احميد (627) والخناشفة (449) والطيسان (175) وزهانة (حوالي 200) وأولاد ابن حمادي (92) وأولاد موسى حسين (173) وأولاد يسف (86).

لكن إذا أردنا تحيين إيالة إبراهيم قلنا على سبيل المثال تحتوي الآن في دائرة سيدي سليمان على قيادتين قيادة بومعيز وتحتها الجماعتان القرويتان لبومعيز وأولاد ابن حمادي وقيادة دار ابن العامري وتحت وصايتها الجماعتان القرويتان لدار ابن العامري وأزغار.

وهكذا كان الزهاني ذا قيادة فسيحة ولو أنه من بطن قليل العدد.

ومات سنة 1957/1376 عن نحو 80 سنة من العمر.

الزهاني، إدريس بن المكناسي، من أول ولاية زهانة في العهد الحسنيني، عين بعد وفاة القائد إدريس النعاسي اليحيوي سنة 1301 / 1884. كان رجلا مستقيما وصفته رسالة لأمينين من أولاد يحيى سنة 1309 / 1891 بأنه كان قبل ولايته مشهوراً بالمروءة والخيارة والديانة. وحيث تولى ازداد على عمله المذكور واشتغل بحكم الحق ومراقبته الله تعالى في ذلك ويجانب إذابة المسلمين و [يتولى] الرفق بهم إلى الآن، وأن له ولداً طالباً ذا علم وفهم ومروءة وخيارة

وديانة اسمه الطالب محمد".

استمر إدريس في منصبه إلى وفاته سنة 1313 / 1896 ولما أحصي متروكه لم يوجد فيه سوى 567 ريالاً.

الزهاني، الجيلالي بن علال بوكرين استعمل سنة 1327 / 1909 على زهانة وأولاد بوثابت والغلالطة وأولاد بورنجة، لكنه عزل وسجن في السنة الموالية ولم يفرج عنه إلا بوساطة ابن عمه القائد إبراهيم الزهاني المذكور سالفاً.

الزهاني، محمد بن إدريس خلف أباه سنة 1313 / 1896 واستمر كذلك إلى ما بعد سنة 1324 / 1906. وتقدمت بعض أوصافه في ترجمة والده.

الزهاني، الميلودي بن بوكرين كان أول أمره أميناً بالقبيلة من جملة سلك الأمتاء القرويين الذي أحدثه السلطان مولاي الحسن سنة 1301 / 1884، ويعد أن أسندت إليه شؤون زهانة عدة أشهر عزل وأرجع إلى سالف منصبه.

م. بوشعراء، علاقة المخزن بأحوال سلا، قبيلة بني أحسن، 1860. 1912، ص. 135. 138. 139. 203. 204 ؛ وثائق بني سعيد ؛

الوثائق الملكية ؛ وثائق الخزانة الصبحية بسلا.

Villes et tribus du Maroc, Rabat et sa région, tome I, Banlieue de Salé et Mehdia et tome III ; Tribu des Béni Hsen.

مصطفى بوشعراء

زهجوكة، قرية جبلية بقبيلة أهل سريف تقع على بعد حوالي 20 كلم شرق مدينة القصر الكبير، وهي حسب ابن خلدون من قبيلة أوربة. لكن البكري يذكر أنها لقبيلة رهونة. وكانت تقع وسط مجموعة من المداشر الجبلية التي عمرها الأدارسة بعد إجلائهم من فاس على يد موسى بن أبي العافية، كرهونة وأفتس والدمنة. وبها استقر كبير الأدارسة الأمير إبراهيم بن محمد بن القاسم المعروف بالرهوني أخي الحسن الحجام آخر أمير إدريسي بفاس. وتحولت بفضلها إلى مدينة صارت منطلقاً لعملياته قصد السيطرة على مدن الشمال، ومنها انطلق هذا الأمير وبنوه للسيطرة على سبتة وطنجة في حركة توجت ببناء مدينة حجر النسر سنة 317 / 929 التي أصبحت القاعدة الجديدة للإمارة الإدريسية بحكم موقعها المتقدم نحو الشمال، فعوضت زهجوكة.

أما اليوم فتعرف بزهجوكة الجبل أو زهجوكة الغياطين تمييزاً لها عن قرية أخرى تحمل نفس الاسم وهي زهجوكة العرب. تتميز زهجوكة بتقاليدها في الموسيقى الجبلية وهي معروفة بذلك عالمياً. ذكر ميشو بليير أن سكانها في أواخر

القرن الثالث عشر (19 م) وبداية القرن الذي يليه كانوا حوالي 850 نسمة كلهم من البواخر الذين كان أغلبهم طبالة وغيابة، وكان بها 150 منزلاً. ومن المعروف أن فرقاً متعددة من جيش البواخر قد استوطنت نواحي القصر الكبير منذ عهد السلطان إدريس الثاني. ولعل في عظمى، مختلفة ربما بعد أن يكون مستوطنو زهجوكة قد كانوا في الأصل من فرق العازفين في هذا الجيش. وقد صار عازفو زهجوكة خلال القرن التاسع عشر يكونون فرقتين موسيقيتين رسميتين كانتا تتناوبان العزف بدار المخزن بفاس شهراً لكل واحدة منهما. وكان لهؤلاء العازفين بزهجوكة دار عرفت بدار المعلمين كانت بمثابة مدرسة لتعليم الموسيقى الجبلية المعروفة. وقد توارث الأسر الزهجوكية هذه الموسيقى، الشيء الذي ضمن استمرارها عبر الأجيال، وتؤكد علاقة غياطي زهجوكة بالمخزن في القرن التاسع عشر مجموعة من الظواهر السلطانية التي لا تزال بأيدي عدد من أبناء أسر زهجوكة.

أما زهجوكة العرب فهي دوار صغير على ربوة مطلة على الضفة الجنوبية لنهر لكوس، ينتمي إلى قبائل الطليق، ويقع إلى الجنوب الشرقي للقصر الكبير على بعد حوالي 10 كلم، في حدود قبيلتي الطليق وأهل سريف. وقد ذكر ميشو بليز أن هذا الدوار كان في بداية القرن العشرين عزيزاً للشريف مولاي العربي الوزاني، وكان له مقدم يشرف على شؤونه. واحتفظ بوصف لتوزيع السكن وطريقة البناء بهذا الدوار، ولا حظ أنهما يختلفان عن باقي مداشر جباله والخلوط، فالبيوت ملتصقة ببعضها بطريقة دائرية، وتظهر من الخلف كأنها جدار واحد يحيط بالقرية، وفي الوسط ساحة تستخدم لإيواء ماشية السكان، ولا تشبه طريقة السكن في مجال الطليق والخلط. ولا شك أن الظروف الأمنية هي التي تحكمت في هذا الشكل إضافة إلى صغر مساحة الربوة التي يقع عليها المدشر، وتأثره بشكل المداشر الجبلية. وقد أثبت بليز أن عدد منازل المدشر لم يزد على 15 منزلاً، تضم 100 من السكان. وكان أسفل زهجوكة المكان التي تضرب به الشبكة الكبيرة لصيد الشابل الذي كان يشكل تجارة مهمة في الماضي، لأن عمق النهر هناك أقل من عمقه في المنطقة السهلية. ولا تزال زهجوكة العرب اليوم دواراً صغيراً على مقربة من سد وادي المخازن، ويعتمد سكانه على الفلاحة المعاشية أساساً.

أ. البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، باريس، 1911، ص. 114؛ ابن عذاري، البيان المغرب، تونس، تج. كولان وليفي بروفنصال، ط 3، 1983، ج. 1، ص. 210؛ ع. الرحمن ابن خلدون، العمر، بيروت، 1981، ج. 6، ص. 192.

Michaux-Bellaire, G. Salmon, *Les tribus arabes de la vallée de Lekkous*, A.M., T. 4, 1905, p. 1 - 151, (p. 86) ; *Quelques tribus arabes de montagnes de la région du Habr*, A.M., V. 17, 1911.

محمد المرغوي

الزهر، يطلق على نورات الرنج (انظر رنج) أي البرتقال المرّ أو النرنج وعلى ماء الزهر المستخلص من تقطير النورات. وما زال الأندلسيون والابيريون بصفة عامة يحتفظون بهذا اللفظ ومفهومه.

تمت عملية تقطير أزهار الرنج صناعياً في بعض المغاميل لإنتاج القدر الأكبر من الكمية المستهلكة على الصعيد الوطني، أو بالكيفية التقليدية للاستهلاك الذاتي من نساء عائلات المدن القديمة كفاس ومكناس ومراكش والرباط وسلا وتطوان ووجدة. كما كان الشأن بالمدن الأندلسية إبان وجود المسلمين بها.

تستعمل أزهار الرنج طازجة أو مجففة في تحضير الشاي أو القهوة أو مشروبات أخرى.

كما يدخل ماء الزهر في تحضير عدة مأكولات وحلويات ومواد أخرى للعطور والتجميل بالإضافة إلى استعماله في التطبيب التقليدي لأغراض شتى كتهدئة الصبيان لمساعدتهم على النوم.

أبحاث شخصية.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 764 p.

عبد المالك بنعبيد

ابن زهر، أبو بكر محمد بن عبد الملك بن أبي العلاء زهر، يعرف بالحفيد، ولد بإشبيلية سنة 507 / 1113 ونشأ وتعلم بها، ودرس الطب على والده وزاول المهنة تحت رعايته وإشرافه. حفظ القرآن الكريم وسمع الحديث ودرس علوم العربية ولم يكن في زمانه أعلم منه بمعرفة اللغة. أتقن صناعة الطب - علماً وعملاً - وبرز في الأدب وقرض الشعر وأجاد فنّ التوشيح؛ وبعبارة أخرى لم يكن متخصصاً في الطب مثل والده، بل كان "مشاركاً" متعدد المواهب.

خدم - مع والده - الدولتين المرابطية (أو اللمتونية) والموحدية؛ ولما توفي والده في عهد الخليفة عبد المومن بن علي حلّ محله طبيباً للقصر الخلفي؛ وخدم بعد ذلك الخليفة أبا يعقوب يوسف بن عبد المومن، ثم ابنه أبا يوسف يعقوب الملقب بالمنصور، كما خدم الخليفة محمد الناصر.

ألف الطبيب الوزير أبو بكر الحفيد لولي نعمته الخليفة يعقوب المنصور كتابه "الترياق الخمسيني". ومن المعلوم أن عمل الترياق كان الخلفاء لا يسمحون به، ولا يعهدون بإنجازه إلا لأرفع الأطباء مقاماً وأكثرهم كفاءة وأمتنهم ديناً وأجدرهم بالثقة وهذه صفات تخلقية كلها تتوافر في هذا الطبيب اللبيب.

يقول عنه ابن دحية: "كان شيخنا الوزير أبو بكر ابن زهر بمكان من اللغة مكين ومورد من الطب عذب معين. وكان يحفظ شعر ذي الرمة وهوثلت لغة العرب، مع

الإشراف على جميع أقوال أهل الطب والمنزلة العليا عند أصحاب المغرب مع سمو النسب وكثرة الأموال والنسب. صحبتُهُ زماناً طويلاً واستفدتُ منه أديباً جليلاً".

وقال في موضع آخر : "والذي انفرد به شيخنا وانقاد لطباعه وصارت النبهاء فيه من خوله وأتباعه : الموشحات، وهي زبدة الشعر ونخبته، وخلاصة جوهره وصفوته، وهي من الفنون التي أغرب بها أهل المغرب على أهل الشرق، وظهروا فيها كالشمس الطالعة، والضياء المشرق".

تشوق - وهو بمراكش - إلى طفل له خلفه وراءه في إشبيلية فقال قطعة شعرية مطلعها :

ولي واحد مثل فُرْحُ القطاة صغيرٌ تخلفتُ قلبي لديه
سمع الخليفة المنصور هذه الأبيات فقام بعمل يدل على تقديره للعلم وعلى المنزلة السامية التي كانت يحتلها الشاعر الوزير ابن زهر : أرسل المهندسين إلى إشبيلية وأمروهم بدراسة دار ابن زهر وما يحيط بها، وأن يبنوا مثل ذلك في مراكش، ففعلوا ذلك في أقرب وقت وأثثوها بمثل أثاثه وجعلوا فيها مثل آلاته، ثم أمر المنصور بنقل أسرة ابن زهر وحشمه إلى الدار الجديدة، وجيء بالوزير لزيارة الموقع فتعجب من الشبه واحترار وظن نفسه يحلم ! ثم قيل له : ادخل المنزل الذي يشبه منزلك، فدخله فإذا ولده الذي تشوق إليه يلعب داخله، فحصل له من الفرح والسرور ما لا مزيد عليه !!

ولثلا نطيل بذكر أشعار ابن زهر وموشحاته الجميلة نحيل القارئ الكريم إلى الكتب الأدب الأندلسي وتاريخه، ففيها ما يشبع النهم ويشفي الغليل ؛ وإنما يكفيننا هنا أن نرسم هنا هذه اللوحة الشعرية الجميلة التي قال في مطلعها :

إني نظرت إلى المرأة إذ جُلِيتْ فأنكرتُ مقلتاى كل ما رأتا
رأيتُ فيها شويخاً لست أعرفه وكنت أعرف فيها - قبل ذلك - فتى
ورغم هذه الصورة اللطيفة التي رسمها لنا الشاعر الوزير الحفيد أبو بكر عن شخوخته، فإن مترجميه يذكرون أنه "كان معتدل القامة، صحيح البنية، قوي الأعضاء" ؛ وأنه في سنٍ شيوخوته ظل "محتفظاً بنضارة لونه وقوة حركاته ؛ لم يتبين فيها تغير، وإنما عرض له في أواخر عمره ثقل في السمع".

توفي بمراكش إثر أكل بيض سمه فيه الوزير الموحدى الداهية أبو زيد عبد الرحمن ابن يَرْجَان حسداً منه لهذا الوزير الطبيب الأديب الأريب ! وكانت وفاته سنة 595 / 1199.

أبو الخطاب ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب ؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، جزء ثالث ؛ المقرئ، نفع الطيب، جزء ثالث، طبعة محيي الدين عبد الحميد ؛ فيديل فرنانديث، الطب العربي بالأندلس.

ابن زُهر، زهر بن عبد الملك بن محمد بن عبد

الملك أبو العلاء ... الإيادي، ولد في إشبيلية التي رحل إليها والده من (دانية) بعد وفاة أميرها مجاهد العامري سنة 436 / 1044. تتلمذ على والده أولاً، ثم على غيره من العلماء والأدباء وخاصة أولئك الذين قدموا إلى الأندلس من المشرق كأبي العيناء المصري. ومن درس على أبي العلاء زهر، الطبيب الشاعر أبو عامر بن ينق الشاطبي.

اشتهر أبو العلاء بعلمه وأدبه، كما امتاز بالحدق في الطب والاطلاع على دقائق الصنعة وبكثرة التجارب وتنوع الخبرات ؛ ومع ذلك يبدو أنه كان متخصصاً في دراسة الضغط الدموي والبول، إذ يحكى عنه أنه كان يعرف أدواء مجرد النظر إليهم، فكان لا يستخبرهم عن أهمهم، وإنما يشخص أمراضهم، ويعرف دواءهم عندما ينظر إلى قواربهم (أنية بولهم) أو عندما يجس نبضهم.

اشتغل بالطب منذ الصغر وذلك أيام المعتضد بالله أبي عمرو عباد بن محمد بن إسماعيل ابن عباد ملك إشبيلية، فقد خدمه وخدم الدولة المرابطية من بعد سقوط ملوك الطوائف، ونال المحظوة لدى الحكام المجدد، وبخاصة أمير المسلمين يوسف بن تاشيفين، فقد عالجه بعاصمة المرابطين الأولى (أغمات) كما عالج ولده من بعده أمير المسلمين علي بن يوسف، الأمر الذي أكسب أبا العلاء شهرة فائقة وأحله منزلة رفيعة وأكسبه ثقة بنفسه جعلته "يذم كتاب (القانون) لابن سينا، ويطرحه، ولا يدخله خزانة كتبه وجعل يقطع من طرره ما يكتب به نسخ الأدوية لمن يستقبله من المرضى !!"

ويحدثنا ابن اليسع في كتابه المغرب عن مجالس أهل المغرب عن نبوغ أبي العلاء زهر وخلقه فيقول : "كان مع صغر سنه تصرخ النجاية بذكره ويخطب المعارف بشكره. ولم يزل يطالع كتب الأوائل متفهماً، ويلقى الشيوخ مستعلماً، والسعد ينهج له مناهج التسيير، والقدر لا يرضى له من الوجاهة بالبيسر حتى برز في الطب إلى غاية عجز الطب عن مرامها وضعف الفهم عن إبرامها، وخرجت عن قانون الصناعة إلى ضروب من الشناعة، يخبر فيصيب ويضرب في كل ما ينتحل من التعاليم بأوفى نصيب ... لولا براءة لسان وعجلة إنسان، وأي الرجال تكمل خصاله وتتناسب أوصاله".

كان أبو العلاء زهر أديباً شاعراً، فذات مرة، مرض أبو العلاء فقال قاضي قضاة إشبيلية ابن منظور القيسي مستهزئاً متعجباً : أميرض ابن زهر ؟ ! فأجابه قائلاً :

قالوا : ابن منظور تعجب دائباً أي مرضتُ فقلت : يعثر من مشى قد كان (جالينوس) يَمْرُضُ دَهْرَهُ فمن الفقيه المرتضى أكل الرشا ومن شعره الرقيق في الغزل قوله الذي يشفّ عما وراءه من فلسفة ورمز :

يا راشقي بسهام ما لها غرضُ إلا الفوائد وما منه لها عيوضُ
ومرضي بجفون حشوها سقم صحت ومن طبعها التمريض والمرض
امنن ولو بخيال منك يَطْرُقني فقد بسد مسدّ الجوهري العرضُ !

أما (هند) التي طالما عشقها الوالهون وأملاها وصالها فيقول عنها أبو العلاء زهر :
سمعت بوصف الناس هنداً فلم أزل أخاصبها حتى نظرت إلى هند فلما أراني الله هنداً، وزيتها تمنت أن أزداد بُعداً على بعد !
إن أعمال هذا الطبيب النطاسي وممارسته الفعالة لمهنته، لم تفسح له المجال لقرض الشعر فحسب بل أتاحت له في الوقت ذاته الفرصة لتأليف كتب عديدة في الطب منها :
- النكت الطبية : ألفه لابنه أبي مروان عبد الملك - الأدوية المفردة.

- كتاب أمراض الكلي : ترجم إلى اللاتينية وطبع سنة 1497
- كتاب الخواص : وهو من مراجع العالم النباتي الشهير ابن البيطار :

- كتاب حل شكوك الرازي على كتب جالينوس
- مقالة في الرد على ابن سينا في مواضع من كتابه "الأدوية المفردة" : وقد ألفه كذلك لابنه أبي مروان عبد الملك.
- مقالة في بسطه لرسالة يعقوب بن إسحاق الكندي في تركيب الأدوية.

- كتاب الإيضاح بشواهد الافتضاح : ويرد فيه على ابن رضوان الذي انتقد كتاب حنين بن إسحاق المعروف باسم "المسائل" أو "المدخل إلى صناعة الطب".
- كتاب "المجربات" : وهو عبارة عن الملاحظات الطبية التي كان أبو العلاء زهر وضعها بمراكش، ولم يتمكن من جمعها، وأمر بجمعها أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين من بلاد المغرب والأندلس، فتم جمعها - بعد موت مؤلفها بسنة - في جمادى الآخرة سنة 526 / أبريل - مايو 1132. وتوجد بمكتبة الاسكوريال نسخة من هذا الكتاب تحمل عدد 839 (قديم)، وعدد 844 (حديث).
ويعد عمر طويل حافل، توفي أبو العلاء زهر ابن زهر بقرطبة ممتحناً من نغلة (خُرَاج) بين كتفيه. وكان ذلك سنة 525 (113) ودفن بإشبيلية خارج باب الفتح إلى جانب ضريح والده رحمهما الله.

عيون الأنباء، ج. 3، نفع الطبيب، ج. 3 : فيديل فرناديث، الطب العربي بإسبانيا.

ابن زهر، عيد الله بن أبي بكر الحفيد يكنى أبا محمد، ولد بمدينة إشبيلية سنة 577 / 1181، ولم يعيش إلا ربع قرن من الزمان، فكان عمره أشبه ما يكون بأعمار الزهور.

درس العلوم المختلفة بإشبيلية وتلمذ على جهايدة العلماء بها، وتخصص في الطب على والده، واشتغل معه فحذق المهنة ووقف على كثير من أسرارها وطالع الكثير من كتب الطب والنبات وأتقن معرفته، مما جعله يكتر الاعتناء

بصناعة الطب، ويجيد النظر فيها ويعمل على تحقيق معانيها ووضعها تحت محك التجربة والاختبار، يعينه على ذلك فكر ثاقب ورأي صائب وذكاء مفرط. يذكر بعض مترجميه أنه كان جيّد الفطرة، حسن الرأي جميل الصورة مفرط الذكاء محمود الطريقة محباً للبس الفاخر من الثياب.

ألقبه الخليفة المنصور - مع والده - بخدمته فكان طبيب القصر ؛ ولما تولى الخليفة أبو عبد الله محمد الناصر الملك، أحله نفس المنزلة التي كانت لأبيه، فكان يحترمه وأسرته ويقدر علمه حق قدره... قال له ذات يوم : "إني يا أمير المؤمنين - بحمد الله - بكل خير من إنعامكم وإحسانكم علي وعلى آبائي، وقد وصل إليّ بما كان بيد أبي من إحسانكم ما يغنيني مدة حياتي وأكثر، وإنما أتيت لأكون في الخدمة كما كان أبي وأن أجلس في الموضوع الذي كان يجلس فيه بين يدي أمير المؤمنين". فأكرمه الناصر إكراماً كثيراً وأطلق إليه من الأموال والنعم ما يفوق الوصف.

وهكذا كان الخليفة يجلس إلى جانبه الخطيب القاضي أبا عبد الله بن الحسن بن حجاج، والقاضي الشريف أبا عبد الله الحسيني، وأبا محمد عبد الله ابن زهر (هذا) وأبا موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي صاحب المقدمة المشهورة في النحو المعروفة بالجزولية. ومن الجدير بالذكر أن الجزولي كان أستاذاً ابن زهر في النحو إذ طالما جلس بين يديه وتعلم منه دقائق العلوم العربية.

ربما يكون أبو عبد الله محمد بن الحفيد أبي بكر ابن زهر اشتغل بالتأليف وربما غابت عنا الآن أسماء بعض كتبه، إذ لم نعرف من مؤلفاته غير كتاب له عن "أمراض العين" وربما لو قدر له أن عاش عمراً أطول لجاد علينا بأكثر من تأليف ! ولكن لكل أجل كتاب.

توفي مسموماً - مثل والده والطبيبة عمته - سنة 602 / 1205، وحدث ذلك بالرباط وهو في طريقه إلى عاصمة الموحدين مراكش. ودفن هناك بصفة مؤقتة في انتظار نقله جثمانه إلى إشبيلية، وقد نقل فعلاً فدفن خارج باب الفتح في مقبرة آبائه وأجداده.

ولما توفي هذا الطبيب وهو في ريعان الشباب ترك ولديه أبا مروان عيد الملك وأبا العلاء محمداً، وكلاهما فاضل في نفسه كريم في جنسه، وكان للأخير منهما اعتناء بالطب، واهتمام جيد بكتب جالينوس، فكان آخر طبيب في هذه الأسرة.

ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج. 3 : فيديل فرناديث، الطب العربي بإسبانيا.

ابن زهر، عيد الملك بن أبي العلاء زهر أبو مروان. ولد بإشبيلية في تاريخ غير معروف بالضبط، إلا أنه عاش عمراً طويلاً ربما فاق المائة سنة. وقد أخذ العلم عن علماء الأندلس مثل أبي محمد ابن عتّاب الذي أخذ عنه علوم

الحديث وأجازه - ووالده - من بغداد مؤلف المقامات الحريرية القاسم بن علي الحريري. أما الطب فأخذه عن والده وبرع فيه منذ الصغر حيث بدأ يزاول المهنة وهو ابن ست عشرة سنة. ويبدو أنه تخصص في الطب، إذ لم يكن "مشاركاً" مثل سائر أفراد أسرته ومعاصريه من الأطباء، يقول أحد مترجميه : "كان أول الطبيب محض تسجيله العصور لأنه اشتغل - فقط - بالطب متخلياً بذلك عن صفة "الموسوعي" التي كان يتحلى بها حكماء عصره ولأنه رأى من الواجب عليه أن يميز لأول مرة ويؤسس الفرق - الذي بقي منذئذ حتى اليوم - بين الطبيب والجراح والصيدلي وعالم النبات ... فكان بعمله هذا أول طبيب أندلسي يؤسس ضمن الإطار الطبي الشعب العظيمة الثلاث (الطب، والجراحة، والصيدلة) التي ألمعنا إليها منذ قليل والتي مازالت منذ ذلك الوقت محافظة على استقلالها التام وتميز بعضها عن بعض".

حظي الطبيب أبو مروان ابن زهر بتقدير الدولتين المرابطية والموحدية. فقد ألف للأمير المرابطي إبراهيم ابن يوسف بن تاشفين كتاباً عجيباً سماه "الاقتصاد في صلاح الأجساد" وهو مخطوط يتألف من 140 ورقة توجد منه نسخة في مكتبة باريس... ويبدو أن صفو علاقته بالمرابطين تكدر، فاعتقله أمير المسلمين علي ابن يوسف بن تاشفين بأحد سجون مراكش أواسط الثلاثينيات حيث لقيه في السجن تلميذه عبيد الله بن غلندو آخر صفر من سنة 535، ولكنه سرح فيما بعد ورجع إلى بلده إشبيلية.

ولم يلبث نجم الموحدين أن سطع، واستقل الخليفة عبد المومن بن علي بالملك، فأظهر العدل وقرّب العلماء وأكرمهم، واختصّ أبا مروان لنفسه، وجعل اعتماده في الطب عليه، وأناله من الحظوة والإنعام فوق ما كان يتمنى. وقد ألف هذا الطبيب المختص للخليفة عبد المومن كتاب "الترياق السبعيني" الذي اختصره فيما بعد عشائراً ثم سباعياً؛ كما ألف للخليفة أيضاً كتاب الأغذية. وله من الكتب الجيدة الأدوية المفردة وهو سفران.

ومن كتبه : كتاب الزينة، وكان ألفه لولده الحفيد أبي بكر (انظره) وهو يعالج أمر الدواء المسهل وكيفية أخذه وذلك في أول سفرة سافرها نيابة عن أبيه، وكان ما يزال صغير السن؛ وألف له كذلك كتاب "التذكرة" ويتعلق بعلاج الأمراض. ومن كتبه كذلك "مقالة في علل الكلى" و"رسالة في علتي البرص والبهاق".

ومن أهم كتبه "كتاب التيسير في المداواة والتدبير" ألفه وأهداه إلى ابنه الروحي وتلميذه أبي الوليد ابن رشد (الحفيد). وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية وفيه تتجلى بشكل واضح شخصية الطبيب أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر.

كان طبيبنا - كما يقول ابن أبي أصيبعة - حسن المعالجة، قد ذاع ذكره في الأندلس وفي غيرها من البلاد واشتغل

الأطباء بمصنفاته، ولم يكن في زمانه من يماثله في مزاولة أعمال صناعة الطب، وله حكايات كثيرة في تأتبه لمعرفة الأمراض ومداواتها، مما لم يسبقه أحد من الأطباء قبل ذلك".

ويشير العلامة الاسباني فيديل فرنانديث إلى إحدى الخصائص التي تطبع عمل هذا الطبيب الاشبيلي الشهير ويتجلى ذلك في الأهمية التي كان يوليها الخبرة أو الممارسة في مقابل النظريات التي أتى بها أسلافه وتمكنوا أو لم يتمكنوا من تجربتها أو التحقق من صدقها وثباتها. ومن ثم لم يكن يحترم أو يقدر أي عمل سابق وإيمانه بأنه دائماً على صواب، كان يتحدث كأحد أقطاب المهنة. كان يتبع أسلوباً تجريبياً تاماً عندما يصف الأمراض التي تعترى الأنسان من مفرق رأسه إلى أخمص قدميه. ولكنه كان دائماً يعتمد في ملاحظاته على الذي علمته الخبرة إياه.

كان أبو مروان ابن أبي العلاء يأنف من اجراء عمليات الفصد والجراحات الصغيرة لأنه كان يعتقد أنها عمليات دنيئة تليق فقط بالعبيد والمرء وسين والخدم؛ وكان يتحرج من عمليات استخراج الحصى من المثانة نظراً لما تتطلبه من الكشف على العورات، ولكنه مع ذلك قام بعلميات عديدة، وكان النجاح في معظمها حليفه. ويجدر بالملاحظة أن وظيفته كمدير للمستشفى وضعت تحت تصرفه جنثاً لموتى غاب عنهم أهلوه. على أن أية قراءة لكتبه تسمح لنا بالتأكد من أنه مارس تشريح الحيوانات الحية، وبحث الموتى من بني آدم كذلك، وأنه كان - ربما - أعظم جراح كلينيكي في عصره.

لقد تمكن أبو مروان من التفريق بين الالتهابات الحادة (أو المزمنة) لغشاء القلب، وبين العلل أو الأدواء التي تعترى تجايف القلب. وتمكن أيضاً من إبراز الفروق بين قرحة المعدة، وبين سلطانها، كما استطاع التمييز بين حمى المستنقعات (المالاريا) وبين سائر أنواع الحميات.

كان ابن زهر من المكتشفين، فقد اخترع القسطرة المرئية، وهي عبارة عن إدخال قسطر أو ماصة طبية في مريء المريض بالضيق بغية تغذيته؛ وكذلك اخترع الحقن الشرجية المغذية. وعلى العموم نجده أسهم بقسط وافر من الأعمال والأفكار والاكتشافات، الأمر الذي رفع مكانته إلى الصف الأول بين شخصيات مجلس الأطباء : Protomedicato الذي كان يُعقد لاختيار المرشحين لمزاولة مهنة الطب في الأندلس.

توفي رحمه الله في آخر سنة 557 / 1162 ودفن مع والده خارج باب الفتح.

ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء؛ فيديل فرنانديث، الطب العربي بإسبانيا.

عبد الله العمراني

الزهراوي البرادعي، العربي، ولد في بداية القرن

والقراءة إلى جانب القرآن الكريم الذي تلقاه ببعض مدارس الرحمانية، كما تشاء الأقدار أن تنتقل العائلة لأسباب اضطرارية إلى زاوية سيدي الزوين فقرأ القرآن على يد الفقيه السيد محمد المصلوحي الذي كان يحفظه بالقراءات السبع، كما تنقل بين مجموعة من المدارس ابتداءً بمدرسة مولاي الطاهر القاسمي بدكالة ومدرسة القائد عبد القادر بن العروسي بالغرب قبيلة بني حسن، ومدرسة تازورت بقبيلة بني عروس قرب ضريح الشيخ الشهير عبد السلام ابن مشيش.



بعد انتهائه من الدراسة القرآنية تشوف للدراسة العلمية فقرأ بقبيلة الشاوية. ثم شد الرحلة إلى مدينة فاس عام 1315 / 1932 فالتحق بجامعة القرويين ودرس على مجموعة من علمائها نذكر منهم : العلامة عمر بن سودة، العلامة الشريف عبد العزيز العراقي، العلامة محمد بن محمد بن سعيد المكناسي، العلامة عبد العزيز بن الخياط وغيرهم.

غادر مدينة فاس عام 1355 / 1936 قاصداً مدينة مستغانم بالجزائر، ثم رجع إلى فاس التي استقر بها إلى سنة 1356 / 1937، حيث ارتحل إلى الجديدة ودرس بها على الفقيه العلامة محمد (فتحا) بن أحمد الرافي. ثم انتقل إلى مدينة مراكش ودرس على الفقيه الحيسوبي الميقاتي أحمد بن محمد الجديدي الحوزي.

ثم صار يعطي دروساً تطوعية بجامعة ابن يوسف وبالزاوية الناصرية. وبعد نجاحه في المباراة التي تخول له التدريس بالجامعة اليوسيفية عين سنة 1362 / 1942 أستاذاً إلى سنة 1373 / 1953 حيث أبعده عن العمل لأفكاره الوطنية. ولما نال المغرب استقلاله، عين خليفة لرئيس المجلس العلمي بالجامعة اليوسيفية، وبعد مدة قدم استقالته من ذلك المنصب، ورجع إلى التدريس بالقسم النهائي الديني، إلى أن أسست كلية اللغة العربية، وأنشئ المجلس العلمي من جديد، وحينئذ عين عضواً كاتباً به، ومدرساً بالكلية الفتية إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1392 / 1972. ثم عين رئيساً لمصلحة النشر بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط، كما كان يعطي دروساً بدار الحديث الحسنية في مادة الأصول وفي الخلاف العالي. وبعد

العشرين، وهو من مشهوري شيوخ الملحن المعاصرين بمدينة مكناس. تحدث عنه الباحث الكبير الأستاذ محمد الفاسي فذكر أن أصله من الصحراء، وأنه لقب بالبرادعي لأنه كان يحترف صناعة البرادع.

تتلمذ الزهراوي على بعض أعلام الملحن ممن بقوا بمكناس في العقود الأولى من القرن العشرين، كالشيخ أحمد ولد ماما المتوفى حوالي عام 1932، والشيخ ابن عيسى الحداد المتوفى عام 1936.

وقد استرجع الزهراوي عادة سرد المعراج بإذن من قاضي مكناس يومئذ الشريف ابن أحمد العلوي في فترة قضائه الثانية عام 1361 / 1942، وكان قد أوقف العمل بها قبل ذلك حوالي 1927، فبدأ الزهراوي يسرد المعراج صبيحة يوم عيد المولد بزواية سيدي الحارثي بحومة براكمة. وما تم أن أصبح ضليعا في فن الملحن خبيراً به نظماً وحفظاً حتى عد خزانا لكلام الملحن على عهده بالمغرب، فضلا عن واسع اطلاعه ومعرفته بكل ما يتعلق بهذا الفن وتوفره على كناش كبير جمع فيه ما تفرق بين الأشياخ من قصائد وسرايات.

وقد أفاد منه الأستاذ محمد الفاسي فكتب له بنفسه مئات القصائد ووافاه بكثير من الأخبار التي تتعلق بشيوخ الملحن في الحاضرة الإسماعيلية وعلاقاتهم بمعاصريهم في بقية مدن المغرب.

تتلمذ على الزهراوي بعض شيوخ النظم والگریحة المتأخرين بمكناس، واستفادوا من محفوظاته. ومن هؤلاء محمد الإدريسي المربوح المتوفى يوم 9 مارس 2001، ومحمد الخياطي بوثابت والشاعر مولاي عبد العزيز العبدلاوي.

وقد نظم الزهراوي في كثير من أغراض شعر الملحن كالهجاء، والتصلية والتوسل والتشوق إلى المقام النبوي، كما نظم في مدح الأعيان ورجال السلطة، ومن ذلك مدحه للمقيمين العامين جوان، وكيوم، ولمحمد بن عرفة، الأمر الذي يفسر - في رأي البعض - ولاءه للسلطات الفرنسية.

وقد تصدى الشيخ نعيسى الدراز لمعارضته، فنظم في هجائه ست قصائد يتداولها بعض الحفاظ بمدينة مكناس.

توفي العربي الزهراوي في الستينيات من القرن العشرين، وله من العمر ما يربو على الخمسين عاما.

روايات شفهية للسادة، محمد الإدريسي المربوح ومحمد الخياطي وعبد العزيز العبدلاوي؛ م. الفاسي، مجلة المناهل، السنة 10، العدد 27، شوال 1403 / يوليوز 1983، ص. 29، 36.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الزهراوي، حسن بن عمر بن الحسن الرحماني. ولد بدوار أولاد بلة سلام بقبيلة الغيطة بالرحامنة عام 1326 / 1908. وبعد إدراك سن التمييز صار يتعلم مبادئ الكتابة

أوبته إلى مراكش صار يلقي دروساً في كلية اللغة بعقدة التزام.

له كتابات في جريدة الميثاق لرابطة علماء المغرب، والدروس الحسنية، ومحاضرات ألقاها على طلبة اللغة العربية وفي دار الحديث الحسنية. إلى جانب هذا كان يقرض الشعر.

توفي بمراكش ليلة السبت ثاني جمادى الأولى 1399 / 30 مارس 1978 وأقبر بروضة باب دكالة.

أ. متفكر، ذيل الإعلام، مخطوط.

أحمد متفكر

الزهرابي، محمد ولد بمكناس في أواخر القرن التاسع عشر. واشتهر كفقيه يدير كتاباً قرآنياً عرف باسمه بجامع سيدي زروق.

وكان إلى ذلك من رواد الزاوية العلمية، يواظب عليها ويعمرها بالسماع، وينشر في أوساطها الصناعات النادرة كتوشية غريبة الحسين التي عمد ألحانها الأديب سيدي حمدون بن الحاج، وصنعة "محج بالحمى" من بسيط رصد الذيل، وغيرهما مما كان يتفرد بحفظه في مكناس.

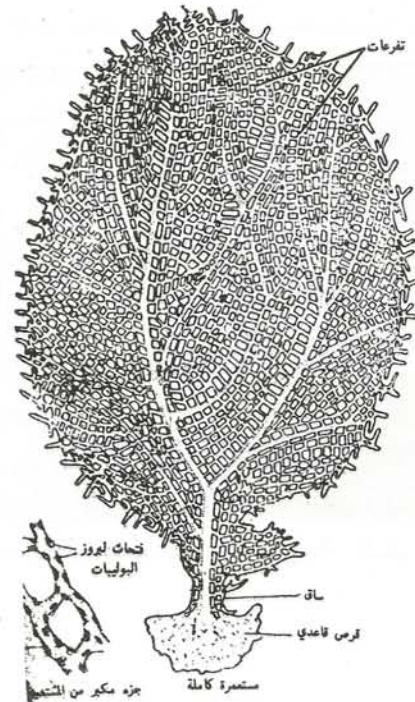
وقد اشتهر ذكره خارج مكناس، فأصبح مقصد المسمعين من فاس وسلا.

وكان حياً في أواسط القرن الرابع عشر (20 م).

معلومات خاصة.

عبد العزيز بن عبد الجليل

زهرة البحر يدعى هذا الحيوان كذلك بالمروحة البحرية وهي من اللاسعات وبالأخص من الزهريات ثمانية الجدران. تعيش في مستعمرات ملتصقة بالصخور واسطة صفيحة قاعدية ومتشعبة على شكل شجيرات منتصبة ومتبرعة على سطح ومستوى واحد كورقة الشجر. أما هاته



الفروع أو البراعم فهي مرتبطة بعضها ببعض بروابط مستعرضة مكونة بذلك صفيحة مسطحة منقبة ذات هيكل داخلي مكون بالأساس من مادة متفرقة لينتة نسبياً وهي بالتالي قابلة للانثناء تدعى كركونين Gorgonine.

تعيش زهرة البحر كما يدل اسمها على ذلك في البحار والمحيطات في أعماق منخفضة نسبياً على دعائم صلبة في غالب الأحيان صخرية، تمتاز كذلك بألوان زاهية مختلفة من أحمر أو بني أو وردي مروراً بالأصفر والبرتقالي. يجذب هذا الحيوان المياه غير الملونة، الصافية نسبياً من العوالق والدفئة كما أنه يفضل المواطن التي تقل فيها أشعة الضوء لذلك فهي حيوانات تكثر في المغارات تحت مائية المظلمة نسبياً والتي توجد على أعماق تفوق 80 متراً في غالب الأحيان، أعماق بعيدة عن أشعة الشمس.

من أهم مكونات هاته المجموعة في اللاسعات هناك المرجان الأحمر الذي يعيش في البحر الأبيض المتوسط وفي المناطق الإفريقية الشمالية للمحيط الأطلسي. فشجيرات المرجان التي قد تفوق 40 سنتم من الطول كانت هكذا أحقاب غابرة مادة تستعمل في صنع المجوهرات النفيسة بل وكانت تستعمل كعملة تشتري بها الأحجار الكريمة واللؤلؤ.

محمد منيوي

زهرة الفاسية، لقب فني اشتهرت به مطربة يهودية مغربية الأصل، ولدت بفاس عام 1905 ونشأت في أواسط فنية هيأت لها أن تصبح مغنية واسعة الشهرة، تستقدم لإحياء الحفلات العائلية، وخاصة في فترة ما بين العشرينيات والأربعينيات.

وقد تجاوزت شهرتها الأوساط الفنية في فاس بعدما انتقلت إلى الجزائر حيث تبنت الفن الجزائري المعروف بالشعبي ولحنت على نسقه أغاني كثيرة.

تتميز زهرة الفاسية من بين المطربات اليهوديات في المغرب برقة صوتها وامتداد مواويلها، كما تتميز بكونها أول فنانة كانت تجمع بين القدرة على النظم والتلحين والغناء، واستطاعت بفضل جوقها الخاص الذي شكلته من عناصر مسلمة ويهودية أن تسجل مجموعة من الأغاني الخفيفة التي تنوعها موضوعات عاطفية ووطنية ومن بينها أغنيتان شعبيتان: "ها هي جات" و"ياللي فيك الدموع ابكي امعايا"، سجلتا في شريط ضم أيضاً أغاني لمطربين يهود من معاصريها هم: إبراهيم الصوري، ولطيفة، وليلى الشرقية، وألبيرسوسان.

ومن بين أغانيها الأخرى أغنية يابلا دي "وأغنية ياناس ياناس". رحلت زهرة الفاسية إلى إسرائيل عام 1960، ومنذ توقفت إذاعة أغانيها بالإذاعات الوطنية والجهوية. وقد انتهى بها المطاف إلى الإقامة في إحدى مؤسسات العجزة، وقبل أن يدركها أجلها يوم 23 يونيو 1995 كانت

مكتسباً. وسببه دخول ميكروبات في جسم الإنسان تسمى اللوليبات *Treponema pallidum* وهو من الأمراض الجنسية ذات الخطورة الكبيرة على صحة الإنسان. حيث يؤثر بعد استفحاله على القلب والجهاز العصبي، وقد يتسبب للمبتلى به في تشويهاً لا تطاق كما قد يجعل صاحبه عقيباً. ويتفشى هذا الداء عن طريق الاتصالات المباشرة، جنسية كانت أو ما بين الأم ورضيعها.



تنتج عن مرض الزهري قروح ظاهرية على الجلد وفي الحلق، وحبث حمراء في البدن وآلام في الرأس ووجع في المفاصل وانتفاخ في الغدد والغشاء المخاطي وبثور عميقة وانسداد في الشريانات. وتتعطل حركة الأعضاء كلها أو بعضها وتفلج. وتنتج عنه كذلك أمراض القلب والسقط عند النساء وعوارض شتى عند الأطفال المولودين من المصابين بالزهري.

يصر الزهري بمراحل أولها يظهر قرحة صلبة غير مؤلمة على الأعضاء التناسلية ويصحب ذلك تورم في الغدد للمفاوية المجاورة، ولا يتألم المصاب خلال هذه المرحلة، وتختفي معالم القروح حتى ليظن المرء أنه شفي. ثم تأتي المرحلة الثانية بظهور زوائد صغيرة حول العضو التناسلي، وبعد سنتين تأتي المرحلة الثالثة بظهور أورام في مختلف جهات الجسم وتطفو معها مضاعفات خطيرة.



قد أعربت عن أملها في العودة إلى المغرب بلدها الأصلي لتقديم أغنية جديدة تمجد فيها المغرب وقائده.
أرشيف، إذاعة فاس الجهوية : جريدة العلم، ع 16494 في 25 - 6 . 1995

Izza Genini, *Civilisation du Maroc*, p. 241.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

الزهري، عيسى بن محمد بن عبد الله أصله من شنترين وسكن مدينة سلا. أخذ بالأندلس عن عدد كبير من العلماء منهم القاضي أبو الوليد الباجي وأبو عبد الله محمد بن فرج مولى ابن الطلاع، وأبو الحسن بن حمدان وأبو جعفر بن رزق وأبو مروان بن سراج وأبو علي الجباني وأبي الحجاج الأعمى وأبو عبد الله بن أبي جمرة وأبو العباس العذري وغيرهم.

ورحل إلى المشرق فسمع من كريمة بنت أحمد المروزية كتاب البخاري، ومن أبي الحسن ابن بابشاذ وأبي معشر الطبري وأبي محمد بن صباح الشافعي الحبال وغيرهم. سمع منه عدد من العلماء بالأندلس والمغرب، لأنه كان ينتقل بين العدوتين في التجارة. وروى عنه القاضي عياض بسببته عدة كتب في الحديث والأصول والقراءات. توفي نحو 530 / 1136 عن سن عالية.

القاضي عياض، *الغنية*، تج. ماهر زهير جزار، بيروت، ط 1، 1982، ص. 184-185 : ابن بشكوال، *الصلة في تاريخ أئمة الأندلس*، تج. السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، 1955، ج. 2، ص. 417.

محمد المغراوي

الزهري، محمد بن أحمد، درس الفقه والعلوم الشرعية الأخرى، وتولى القضاء بمدينة سلا. كما أخذ التصوف عن الشيخ أحمد بن عاشر الجزيري السلاوي، واقتفى أثره في الزهد والورع، وكان يخدمه حينما أثار الخلوة بداره. ذكر مترجمو الزهري أنه كان يقوم بنسخ كتب الفقه والتصوف التي يريدها شيخه المذكور ككتاب العمدة للمقدسي، والنصائح والرعاية للمحاسبي وإحياء الغزالي. ومن المعلوم أن ابن عاشر كان يحث مريديه على اطلاع هذه الكتب، والعمل بكتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام، وهو النهج الذي سار عليه محمد بن أحمد الزهري.

توفي المترجم أوائل عام 764 / 1363.

م. الحضرمي، *السلسل العذب*، تج. مصطفى النجار، سلا، ص. 57
58 : ابن القاضي، *درة الحجال*، تج. 2 : 269.

P. Marty, *La zaouia de Sidi Ben Achir à Salé, R.E.I.*, 1933, cahier 1.

محمد السعديين

الزهري، مرض خطير مُعدٍ ووراثي وقد يكون

يعود تاريخ مرض الزهري بالمغرب إلى بداية القرن السادس عشر حيث ذكره الحسن الوزان في وصف إفريقيا عند معرض حديثه عن أكثر الأمراض انتشارا لدى الأفارقة بقوله : "وداء الإفرنج (الزهري) الفظيع بأوجاعه وبثوره وقروحه منتشر كثيرا في بلاد البربر لا يكاد يسلم منه إلا القليل. حقا إن هذا الداء لا يكاد يعرف في البوادي وجبال الأطلس... وهذا الداء لم يشاهد قط ولم يذكر حتى اسمه، لكن عندما طرد الدون فيرديناند ملك إسبانيا اليهود من بلاده (أي في 1492) جاء كثير منهم إلى بلاد البربر، فظهر فيها هذا الداء الذي حمله عدد كبير من يهود إسبانيا. وكان لعدد من أشقيا المغاربة اتصال (جنسي) مع نساء هؤلاء اليهود، وهكذا انتشر قليلا في ظرف عشر سنوات حتى لم تعد تسلم منه أية أسرة".

ومن أول النصوص التي تمكنا من العثور عليها حول داء الزهري، بعد الذي ذكره الحسن الوزان، شرح أرجوزة في هذا الباب لعبد الكريم بن مومن بن يحيى العليج، يعود تاريخها إلى عهد الغالب بالله ما بين 1557 و1574. يقول صاحبها موضحا أسباب تأليفها : "... فإن الغرض في هذا التقيد المبارك بفضل الله لما كانت تكاثرت في زماننا هذا قروح خبيثة في الناس يستعاذ بالله منها يسمونها البيبش وبعض البرابر الحقمم وبعض النصارى يسمونها مرض فرانسية لأنهم يزعمون أن أول ظهوره بفرانسية (كذا) وأنه مرض حدث في هذا الزمان القريب وأطباء الوقت يقولون بذلك ويزعمون أنهم لم يقفوا له على صفة في كتاب (كذا) الأوائل... ونوع هذا المرض لا ينزو بل يؤلم مفاصل البدن كلها وتمنع من الركوع والسجود ويسمونه بمرض المفاصل وهو غير المرض الموصوف بهذا الاسم في كتب الطب... وصنف آخر خالطه خلط حاد متعفن يقطع الأعضاء ويأكل اللحم ويشوه الخلقة والعياذ بالله، ويسمى بالحفار وهو أشبه شيء بالجذام...".

ويفيد صاحب تاريخ الضعيف أن المولى سليمان خرج في يوم السبت 24 من ربيع الثاني 1211 (1796) من مكناسة الزيتون ويات بوادي النجا، وفي صبيحة يوم الأحد دخل فاس وهو مريض بالنوار (أي الزهري). وتشير دراسة محمد الناجي عن العبودية في مغرب القرن 19 إلى شيوع الزهري بكثرة بين الجوارى.

واندهش الرعيل الأول من الأطباء الفرنسيين الذين قدموا إلى المغرب في مهمات استكشافية وتمهيدية، عندما وجدوا أن الزهري كان يعيث بشكل خطير في كل فئات الأعمار من المغاربة. وفي هذا الصدد لاحظ لوسيان رينو Raynaud، الذي استقر بالمغرب ما بين 1900 و1902 "أن الزهري كان منتشرا بشكل كبير بين المغاربة الذين كانت بتوره تأكل منهم في الجلد وتاتر الأنف والحنك والعظام"، فسموه بأسماء تحمل دلالات لها وزنها بالنظر لخطورتها

مثل، "النوار"، و"السلطان"، و"البابوش".

وتحدث هرزن Herzen، وهو من الأطباء الذين كانوا يعملون بطنجة، في تصنيف الأمراض التي كانت منتشرة بالمغرب، وضعه سنة 1911، عن انتشار الزهري بين المغاربة سواء على شكله المكتسب أو الوراثي، حيث يصادف المارة في الأماكن العمومية أشخاصا يحملون تقرحات كبيرة على سيقانهم وتعلو وجوه بعضهم تشوهات أحدثها تآكل الخياشم بشكل يجعل من منظر صاحبها مخيفا. واعتبر صاحب هذا التصنيف الزهري من أسباب نقص السكان بالمغرب لأنه يتسبب في كثير من الإجهاض ويجرف العديد من الولدان ولما يقضوا الأسابيع الأولى من حياتهم. ولما تم توقيع الحماية على المغرب، انكب أطباؤها بحزم على دراسة الزهري واستقصاء حالاته وأنواعه تخوفا مما قد يهدد الجيوش الغازية والوافدين الأوربيين من خطره. فاستقدمت سلطات الحماية سنة 1915 طبيبين من نطاسيبي الأطباء في الأمراض التناسلية هما لاكابير La capère ولوريد Lerède، وقدمتهما على مستوصفين لمحاربة الزهري أولهما بفاس والثاني بالدار البيضاء.

وفي ما بين 1916 و1919 قام لاكابير بفاس، بفحص عينة من 2731 حالة من حالات الزهري من ضمنها 342 طفلا، وتبين أن حالات الزهري كثيرة الانتشار، وخاصة في الدور الثلاثي، كما يتضح ذلك من الجدول الآتي :

أدوار الزهري	عند الكبار	عند الأطفال
زهري الدور الأول	$\frac{52}{2389} = 2.2\%$	$\frac{7}{342} = 2.0\%$
زهري الدور الثاني	$\frac{527}{2389} = 22.0\%$	$\frac{151}{342} = 44.1\%$
زهري الدور الثالث	$\frac{1810}{2389} = 75.7\%$	$\frac{184}{342} = 53.8\%$
المجموع	$\frac{2389}{2731} = 87.5\%$	$\frac{342}{2731} = 12.5\%$

ولاحظ لاكابير في محاضرة ألقاها سنة 1918، أن الزهري كان يصيب حسب المناطق ما بين 75 و90% من المغاربة ويضر بالجنسين دون تمييز، وفي مازيغن والصورة وطنجة وصلت تقديرات الأطباء الذين سكنوا هذه المدن إلى 80%.

وعلى الرغم من خطورة الزهري، فلم يكن المغاربة يقيمون له أي وزن، ولا يأبهون به، بل يعتبرونه مرضا عاديا ما دامت تجلياته غير مؤلمة أو مزعجة، وهو ما يفسر تكاثر المصابين في مراحل متقدمة من الداء.

وتفيد تقارير إدارة الصحة العمومية خلال الثلاثينيات بتقديم بعض الأرقام التي تخص المدن البلديات وتهم المسجلين الجدد. وهو ما يظهر في الجدول التالي :

السنوات	عدد المسجلين من المصابين الجدد بالزهري
1930	14.107
1931	14.872
1932	12.772
1934	10.725
1935	11.068
1936	11.305
1937	12.633
1938	12.911

وجاءت الحرب العالمية الثانية فجرت معها من التحولات في سبل جلب المعاش ما جعل المغاربة يعانون من نقص مهول في المواد الأساسية والأدوية، وتقاطر المهاجرون على المدن وتقوت على إثر ذلك البطالة والعمالة، فعات الزهري بشكل فظيع، وارتفعت أعداد المصابين الجدد به كما هو في الجدول التالي الخاص بالمدن البلديات :

السنوات	عدد المسجلين من المصابين الجدد
1939	14.562
1940	12.060
1941	14.456
1942	18.751
1943	17.714
1944	15.382
1945	20.260
المجموع	113.185

وكان المغاربة قبل مجيء الطب الفرنسي مع الحماية يعالجون المبتلين منهم بالزهري بطريقتين : أولاها شد الرجال إلى حامة مولاي يعقوب لما يتميز به مأوها المكبرت الساخن من قدرة على حرق القروح وتجفيفها، ولو أن مفعولها يبقى سطحيا ومؤقتا إذ سرعان ما تنتقض تلك القروح على صاحبها بعد بضعة أيام. أما الطريقة الثانية فهي استعمال العشبة الرومية Salsepareille. إذ يكون على المصاب تناول نقيع هذه العشبة إما على امتداد عشرين يوما أو أربعين يوما مع التزام البيت والتوازي عن الأنتظار طيلة مدة العلاج واتباع نظام غذائي من الحبز والماء أو الحبز واللحم.

وحاول القائمون بشؤون الصحة بالمغرب في عهد الحماية، التصدي للزهري ابتغاء درء خطره والتوقى من عدواه، وحيث إنه لا سبيل إلى ذلك إلا بمكافحة العمارة كأصل لهذه العلة، فقد سعت سلطات الحماية إلى تنظيم العمارة، وتخصيص أحياء لذلك، وفحص العاهرات وما إلى ذلك مما يضمن سلامة من يرتادون من العساكر أو المدنيين دور البغاء، من خطر الزهري. وقد واكب عملية تنظيم العمارة هذه، توجه نحو علاج المصابين إذ تم تهييء مجموعة من المستوصفات المتخصصة في عدد من حواضر البلاد، واستعملت مواد كيميائية مركبة تسمى نوفاور سينوينزول Novarsenobenzol، تقتل مكروب الزهري بمجرد حقنها في دم الإنسان. كما استعملت مواد أخرى كالزنيخ وملح البيزموت Sel de Bismuth، والزئبق Mercure. وظلت هذه العلاجات متداولة إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث بدأ استعمال البنسلين ولو أن ثمنها المرتفع كان يحد من الإقبال عليها.

ورغم كل هذا لم تستطع سلطات الحماية تطويق الزهري، ولا تهييء الأسباب للقضاء المبرم عليه، بل إنها اضطرت أمام ضعف وسائلها في هذا الباب إلى طلب الإعانة من الهيئات الدولية كمنظمة الصحة العالمية، مما ساعدها على القيام بمجموعة من الحملات ضد الزهري امتدت ما بين سنوات 1954 و1956.

جلال الدين السيوطي، كتاب الرحمة : تاريخ الضعيف، ج. 2 : وصف إفريقيا، الترجمة العربية، ج. 1 : جريدة السعادة، 23 و24 يناير 1916 : عثمان الكاديكي، الأمراض المعدية

Bulletin de l'institut d'hygiène du Maroc ; Ennaji, Soldats, domestiques et concubines, l'esclavage au Maroc au XIXe Siècle ; Herzeni, Notes et réflexion sur la nosologie du Maroc ; La capère, Les Contagions vénériennes au Maroc ; Larousse médical ; Maroc Médical ; Raynaud, Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc ; Renaud et Colin, Documents marocains pour servir à l'histoire du "Mal franc".

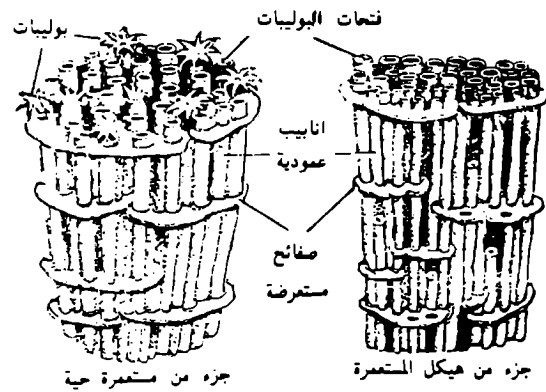
بوجمعة رويان

زهريات Anthozaires من منا لا يعرف المرجان ذلك

"الصخر" الأحمر النفيس الذي ذكر في القرآن الكريم والذي تغنى به الشعراء وعشقتة النساء. إنه في الأصل حيوانات بحرية تعيش في مجموعات متكاملة قد يتغير شكلها من نوع لآخر لكن زهريات نظراً لأنها تشبه الزهور في تفتحها وفي ألوانها. تنتمي الزهريات إلى اللواسع كقناديل البحر تلك الحيوانات التي تتميز عن الشعب الأخرى بتوفرها على خلايا لاسعة ذات مادة سامة تتمكن بواسطتها من إصابة طرائدها بالشلل قبل أن تلتهمها، فهي بالتالي حيوانات لاصمة تتغذى على أنواع صغيرة كالقشريات والرخويات والحلقيات وغيرها بل وقد "تعترض سبيل" حيوانات أكبر منها حجماً كالأسماك.

تعيش الزهريات في مجموعات يسمى كل فرد منها "بوليب" وهو على شكل زهرة منتصبة أو فرادي كشقائق البحر، مجوفة من الداخل بينما تفرز جدرانها عادة مادة كلسية تكون هيكل المجموعة.

حسب عدد جدران هاته "البوليبات" تقسم الزهريات إلى مجموعتين اثنتين ثمانيات الجدران هي حيوانات بحرية تعيش في مجموعات قارة على أعماق مختلفة. قد يصعب الغور في تصنيف هاته المجموعات من اللواسع أو اللاسعات نظراً للتشابه بين أفراد المجموعات ونظراً كذلك للاختلاف بين أفراد نفس المجموعة إلا أن القاسم المشترك بينها تبقى الجدران الثمانية التي تقسم تجويف البوليب إلى ثمانية حجرات. ومن أهم وأشهر المجموعات التي يمكن التأكيد عليها هي زهرات البحر تلك الشعب المرجانية الزاهية الألوان والتي خلافا للشعب الأخرى تتفرع على نمط ثنائي في اتجاه واحد والتي في تبرعها تشبه تبرعم أوراق الشجر.



أما المجموعة الثانية من الزهريات فهي سداسيات الجدران والتي كما يدل اسمها على ذلك ذات تجويف بولبي مقسم إلى ست حجيرات عن طريق ستة جدران اثني عشر ثمانية عشرة الخ وكالمجموعة السابقة هناك منها ما يتوفر على هيكل كلي ومنها من ليس له هيكل كشقائق البحر. وإذا كان المرجان الأحمر ينتمي إلى المجموعة الأولى فإن سداسيات الجدران تتوفر على مرجان نفيس آخر وهذا المرجان الأسود النفيس والناذر في نفس الوقت بالإضافة إلى المرجان الأبيض.

يوجد في المغرب أكثر من 430 نوعاً من اللوامع أكثر من ربعها يتكون من المرجانيات أي الزهريات.

محمد منبوي

الزُهَيْدُ، صنف من الأدب الشعبي الشفوي، وهو نظم عفوي خاص بالنساء البدويات أثناء طحن الحبوب بالرحى.

كانت النساء البدويات يستغلن الليل، فيقمن بطحن الحبوب عن طريق الرحى، قد تكون امرأة واحدة، وقد تكون اثنتان، واحدة تحمص الحبوب على النار إذا كان الفصل شتاء، والأخرى تقوم بعملية الطحن. وقد يكون العدد أكثر. وتقوم المرأة المستعملة للرحى بإلقاء زجل شفوي، بإيقاع بطيء يتماشى والطريقة الدائرية للطحن، وينسجم مع الحركات الجسدية للمرأة وهي تطحن. ويزيده صوت احتكاك طرفي الرحى رتة خاصة. ويتميز كذلك بأسلوبه البسيط والمباشر. ويتكون من مقاطع قصيرة، كل مقطع يتناول موضوعاً بعينه، وقد يتضمن المقطع أكثر من موضوع وبين شطر وآخر من نفس المقطع تتكرر كلمات أو مهممات إيقاعية تحافظ على سيرورة النظم وتعطي للمرأة فرصة التفكير في المقطع الموالي. وغالباً ما تستمر هذه العملية إلى ساعة متأخرة من الليل.

يكون هذا الفن الشعبي عفويا ولید لحظة إبداعية، فإعادة القطعة خارج هذه الظروف يصعب. فلا يمكن تذكر إلا مقاطع منه. وقد يطرأ على بعض الكلمات والمعاني تغييراً.

يعكس "الزهيد" تصور المرأة البدوية للكائنات والأشياء، ويفسر نظرتها لمختلف مناحي الحياة، من الذات إلى اليومي المعيش، من الأسرة إلى الدوار إلى القبيلة، من مدح الأحياء إلى رثاء الأموات ... أولئك الذين تربطهم بها علاقة دم أو قرابة أو علاقة حب وإعجاب. وعليه فإن "الزهيد" ترجمة لأحاسيسها وتعبير عن مشاعرها.

وقد تبدأ المرأة "زهدها" بنظم حول الرحى :

"رحاتي حيش حيش

كيف العودة أم الحشيش

رحاتي ع نقرة

تطحن ع الفقرا

رحاتي ع حديد

تطحن ع العبيد"

وقد تتناول الناظمة ذاتها وما تتأثر به من عوامل طبيعية أو بشرية :

"ومالي واش داني والوعد اللي لا حني.

وتنتقل الناظمة إلى التعبير عن مكانة الفقهاء (حفظة القرآن) والأولياء والصالحاء : "حس الطلبة جايه تگوليهها غانيم وارده

وإذا كانت الليلة مقمرة، فإن القمر يذكرها بأحبائها الأموات أو الغائبين :

"الگمره طلعت وضوات عليّ

وتفكرني ف حبابي العزاز عليّ"

ونظراً لما للخيل والفروسية من قيمة في المجتمع البدوي، قد تمدح الفرس الباقي وترثي الفارس الراحل :

"الدهم فين مولاك مولاك اللّي ربك

ونظراً لارتباط هذا الفن الشعبي النسوي بحياة البداوة

وما تعنيه من خيام وترحال، ومن فروسية وكرم... ونظراً لارتباطه بالليل والرحى، فإن تراجع هذه السمات لصالح المظاهر العصرية، جعل هذا الفن في طريقه إلى الانقراض. تحريات ميدانية.

صالح شكاك

زهير بن قيس البلوي، يكنى أبا شداد، ويقال له صحبة، كانت له عناية بالرواية، فقد روى عن علقمة بن رمثة البلوي وروى عنه سويد بن قيس.

شهد فتح مصر، وصحب عقبة بن نافع منذ سنة 43 / 663، حيث شارك في فتوح إفريقية منذ ذلك الحين، بل إنه كان أقرب رجاله إليه، فقد خلفه في قيادة الجيش العربي في عدة مناسبات، عندما كان ينطلق في فتوحه.

رشحه رجال الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ليخلف عقبة بن نافع، بعد مقتله، في ولاية بلاد المغرب، لتقواه وورعه وكذا لتجربته العسكرية الطويلة، وربما أيضاً لقربه من موقع الأحداث، فقد كان مرابطاً ببرقة قبيل تعيينه، خصوصاً وأن عقبة استخلفه - إلى جانب عمر بن علي القرشي - على القيروان، قبل خروجه في حملته الكبرى، وعندما وصلته أخبار مقتل عقبة تراجع إلى برقة.

يرتبط اسم زهير بن قيس البلوي في بلاد المغرب بحادثين اثنين، يضيفان على شخصيته طابع الرجل العسكري أكثر من طابع الرجل الإداري :

- الحادث الأول : نجاحه في استعادة القيروان من كسيلة ورجاله، وتمهيد الحكم العربي في إفريقية، وذلك في موقعة ممش / 69 / 688. ذلك أن كسيلة تخلى عن القيروان عندما سمع بتحرك قوات زهير من برقة، مدعماً بأموال الخلافة ورجالها، ورابط في مدينة ممش حتى يحمي ظهره. وأسفرت المواجهة بين الطرفين عن هزيمة كسيلة ومقتله في معركة شهيرة، تلتها عملية مطاردة وصلت حد وادي ملوية بالمغرب الأقصى، مع ما يعترض الأخذ بهذه الرواية من صعوبة.

ويعتبر نصر زهير في ممش ثأراً لمقتل عقبة بن نافع من جهة، وهو ما يؤيده تراجعهم إلى برقة عقب ذلك، معتبراً الأمر حملة تأديبية ؛ ومن جهة أخرى فهو قضاء على مقاومة البربر البرانس الذين وقفوا في وجه الفتح العربي الإسلامي، متحالفين مع البيزنطيين. وتصور بعض المراجع الآثار التي أحدثها هذا النصر تصوراً مبالغاً فيه، حيث تشير إلى انتقال المقاومة البربرية من الأوراس إلى المغرب الأقصى.

- الحادث الثاني : مواجهته للبيزنطيين في برقة. فإذا كانت المصادر تغفل مرحلة ما بعد هزم زهير لكسيلة ورجاله، فإنها تتوقف عند اصطدامه بالبيزنطيين، الذين استغلوا انشغاله بأمر إفريقية، ليعيشوا فساداً في ساحل برقة، الذي هاجموا بحراً، انطلاقاً من صقلية. هكذا دخل زهير بن قيس في مواجهة غير متكافئة مع الأسطول

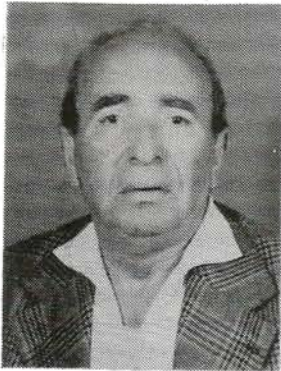
البيزنطي، انتهت بمقتله وهلاك جميع رجاله. مما أضفى طابعاً استشهادياً عليه. واليوم في مدينة درنة - القريبة من طبرقة - قبر ينسب إلى زهير، يخلد ذكرى استشهاد ورجاله.

ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية والأندلس، 1964 : الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، 1990 : ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج. 1، 1983 : النوري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 1985 : حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، د. ت : سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج. 1، 1979 : بطرس البستاني، دائرة المعارف، م. 9، د. ت.

عبد الإله بنمليح

الزهيري، أسرة سلوية شريفة تنتسب إلى الحسن المثنى بن الحسن السبط اختارت الأسرة الزهيرية بعد الهجرة إلى المغرب سكنها بتازروت وسط قبيلة بني عروس وقد "برز منها علماء وصلحاء ومجاهدون وكانت منطلقاً للجهاد البرتغاليين" (معلمة المغرب، ج. 6). خرج أحد الأجداد الأوائل للأسرة قاسم بن موسى الزهيري وكان عالماً زاهداً ورعاً من تازروت طلباً للجهاد واستقر بجبل حبيب بين العرائش وتطوان في مواجهة الأراضى التي كان يغير عليها البرتغاليون منذ 1471 واحتلوها لأمد طويل. فجاهد وحث الناس على الجهاد واتخذ من جبل حبيب مقراً لعائلته ومن انحدر من صلبه إلى يومنا هذا. وعندما هاجم الفرنسيون بعد ذلك مدينة سلا عام 1178. قرر محمد الزهيري أحد حفدة الجد الأعلى المذكور الخروج للجهاد ضد الغزاة. ومنذ أزيد من قرنين ونصف والأسرة المنحدرة من المجاهد محمد الزهيري تقطن بمدينة سلا ثم انتشرت بعد ذلك في الداخل والخارج لا سيما بمصر حيث استقر أحد أبنائها بعد فرض الحماية على المغرب.

الزهيري، الطاهر بن محمد ولد بسلا سنة 1914، درس بالمدارس العصرية في العدوتين. تقلد عدة مناصب في التعليم العمومي بعد ما تخرج من مدرسة المعلمين في أواخر الثلاثينيات فعمل في مدينة أبي الجعد ثم في



القنيطرة ومكناس وطنجة وغيرها. وارتقى إلى أن أصبح أستاذاً للغة والآداب العربية والترجمة في المدارس الثانوية، ثم اندرج في سلك الأساتذة بثانوية البعثة الفرنسية في مدينة طنجة حين كانت تحت الوضع الدولي. وبعد حصول المغرب على الاستقلال عاد من جديد إلى وزارة التهذيب الوطني فعين مفتشاً عاماً للتعليم الثانوي ثم في النهاية مندوباً للوزارة في مدينة مكناس. وتوفي بالرباط سنة 1414 / 1994.

الزهيري، محمد المهدي بن عبد القادر المعروف بالنسابة ولد بمدينة سلا سنة 1907. كان سلوباً نشأة وتعليماً وعملاً، حفظ القرآن ودرس المتون واللغة العربية على شيخ زمانه كالعلامة البارودي وابن احسان النجار، وأخذ علم الأنساب من المؤرخ الشيخ محمد بن علي الدكالي صاحب *الاحتاف الوجيز* أو تاريخ العدوتين وعن خاله إبراهيم امبريزيد الذي كان له اطلاع كبير في علم الأنساب بمدينة سلا. وكان على اتصال دائم ببعض زملائه بالرباط ينسق معهم في التعريف ببعض العائلات التي انتقلت بين العدوتين، فتضلع في هذا العلم حتى صار يقصده أرباب العائلات من سلا والرباط لضبط أنسابهم. وكان مشهوراً بالورع وعلو النفس وحسن السمات. عن ذلك أنه احترف النجارة كمصدر للرزق كفافاً وعفافاً وغنى عن الناس.

توفي بسلا سنة 1405 / 1985.

معلومات شفوية ووثائق عائلية.

قاسم الزهيري

زهيلة قبيلة من بطون نفاوة، اندرجت فرقة منها في غمارة ويقيم بنواحي بادس إلى العصر المريني. وإلى هذه القبيلة ينسب عدد من الأعلام من العلماء والصوفية، منهم أبو يعقوب يوسف البادسي الزهيلي أحد كبار صلحاء المغرب في وقته. وقد انقرض اسم هذه القبيلة، التي يبدو أنها انصهرت في إحدى قبائل الريف بالمنطقة المذكورة.

ع. الرحمن، ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1981، ج. 6، ص. 234 ؛
ع. الحق البادسي، *المقصد الشريف*، تح. سعيد أعراب، الرباط، 1982.

الزهيلي، المعز بن منصور يكنى أبا تميم. قاضي قصر كتامة في عهد الموحدين. ينتمي إلى قبيلة زهيلة بنواحي بادس في جبال غمارة. لم ترد له ترجمة في أي من كتب طيقات العلماء المعروفة. ويعود الفضل لمحمد العربي الفاسي الذي نقل في كتابه *مرآة المحاسن* نصامهما عن هذا القاضي من كتاب مفقود هو معجم شيوخ أبي الصبر أيوب الفهري أحد علماء وزهاد سبتة وشهيد العقاب سنة 609 /

1212، الذي كان كثير التردد على مدينة قصر كتامة لطلب العلم، ولزيارة شيخه العارف أبي الحسن علي ابن خلف بن غالب القرشي الشلبي نزليها، وفي زيارته لها أخذ أيضاً عن قاضيها أبي تميم الزهيلي الذي ذكره بين شيوخه وأثنى عليه وعلى ما أسداه لمدينة القصر.

من هذا النص الغني نستنتج أن الموحدين عينوا أبا تميم الزهيلي قاضياً بالقصر في بدايات دولتهم، وهو عداد القرى إذ كان قد تضرر من جراء الصراع بين المرابطين والموحدين، وأسندوا إليه صلاحيات واسعة. وإليه يعود الفضل في المساهمة في تعمير المدينة وتشجيع تجارها مزارعها حتى حسنت أحوال جميعهم. كما أسهم في دعم الحركة العلمية بقصر كتامة، الذي سرعان ما تحول إلى مركز علمي نشيط، بتشجيع طلبته واقتراحهم للوظائف والمخطوط. وتساعدنا هذه الشهادة على فهم الازدهار الملحوظ الذي عرفته المدينة خلال العصر الموحد خاصة في عهد يعقوب المنصور.

م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، فاس، طبعة حجرية 1324 / 1906، ص. 145.

محمد المغراوي

الزواج بالمغرب، يعتبر الزواج ظاهرة اجتماعية قديمة في الحضارات الإنسانية، بل هو أقدم الروابط الاجتماعية التي تربط الرجال بالنساء منذ فجر الوجود وبدء الخليقة كما يدل على ذلك ارتباط آدم بحواء، وهو أول ارتباط بين رجل وامرأة في تاريخ البشرية.

وعليه فإن رابطة الزواج عرفت أنماطاً من التحول في تاريخ المجتمعات، وتلونت أشكالها باختلاف التقاليد والأعراف والمؤسسات الاجتماعية. وفيما يأتي حديث عن الزواج في البيئة المغربية وهو زواج إسلامي يدخل ضمن أنواع الزواج الإسلامي المعروف بخصوصياته الدينية والاجتماعية والعرفية.

1 - يدخل الزواج في المغرب ضمن المؤسسات الدينية والقانونية التي يتم فيها تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس ديني شرعي وقانوني وضعي. ولا يعترف المجتمع المغربي بأي شكل آخر من أشكال الارتباط الجنسي بين الرجل والمرأة خارج مؤسسة الزواج وربطته المقدسة.

2 - إذا كانت الأبحاث الأنتروبولوجية تقرر أن الزواج مظهر للاستقرار في البنية الاجتماعية للأسرة ثم للقبيلة وأخيراً للمجتمع، فإن هذه الغاية قد قررها الدين الإسلامي في سائر تصوراتها لمفهوم العلاقة بين الرجل والمرأة في ظل ميثاق الزواج المقدس. فالمرأة سكن للرجل وهو الراعي لها والقيم على مصلحتها ومصلحة أبنائها مادياً ومعنوياً.

3 - من المعلوم أن المغاربة يشكلون مجتمعاً إسلامياً يقوم فيه الزواج على الأسس الشرعية المعلومة بالضرورة لدى كل من ينوي الإقدام على هذه الممارسة الدينية،

الاجتماعية وعقد وضعت شروط الزواج ومقتضياته المختلفة من عقد وصداق ونفقة... وما يرتبط بذلك في صورة قانونية ضمن بنود مدونة الأحوال الشخصية المغربية (انظر مادة مدونة الأحوال).

4 - إن الزواج المغربي كأني زواج إسلامي يتعقد بما يفيد اتفاق العاقدین على إجراء سنة النكاح على سنة الله ورسوله. ومن شروط عقد الزواج حضور شاهدين عدلين وتسمية مهر للزوجة فضلا عن شرط البلوغ والعقل والخلو من الموانع الشرعية في كلا الزوجين. وفيما يأتي صورة لمراسيم الزواج المغربي في الأعراف السائدة :

يأتي أهل العريس "بالدفوع" وهو مجموع الهدايا التي يقدمها الخطيب لخطيبته وتشمل الأتواب الجديدة والذهب والأحذية وحقائب اليد والخواتم وغير ذلك من الحلي حسب إمكانيات العريس المادية. ويأتي العريس وأهله أيضا بكيس من الدقيق الرفيع وكيس من السكر وصدوق من الزيت وذبيحة كالحروف أو الثور. وفي غمرة الزغاريد النسائية يدخل الموكب إلى دار العروس وتتقدمه أم العريس في بعض المناطق القروية رافعة علما من ثوب أخضر في الغالب علامة على السلم والخصب والرخاء. وتستقبل أم العروس الضيوف رافعة علما أو أعلاماً من ألوان مختلفة أغلبها الأبيض والأخضر والأصفر، مرجبة بأعلى صوتها بأهل زوج ابنتها أي أصهارها.

وعندما يخرج الفقهاء الذين قرؤوا القرآن والأذكار، يتعشى المدعون ثم تستمر الحفلة. وفي ليلة هذا اليوم بالذات تقع الدخلة وهي "الرواح" حيث يجتمع الأهالي حول العريسين وتقوم النكافة بإلباسهما أنواعا مختلفة من اللباس الوطني الذي يرمز إلى لباس فاس والشمال ومراكش والجنوب وأخيرا ينتهي الحفل الساهر باللباس الأوروبي العصري حيث يتم توزيع قطع الحلوى الكبيرة على الحاضرين كما يقع في المدن الكبرى، أما في البوادي، فإن طقوس الحفل الساهر تختلف من منطقة إلى أخرى، ففي الشمال (جبال) يسهر الجميع مع جوق الطقطوقة الجبلية في عروضها الفنية إلى الفجر، وقد يتخلل ذلك بعض فترات الاستراحة من حين لآخر. أما في مناطق الجنوب لا سيما (إيمن تانوت) فإن الرجال والفتيات يرقصن على إيقاع البنادير وأصوات الناي رقصة (أسراگ) المشهورة بينما الأطفال الصغار وباقي الحاضرين من النساء والرجال والفتيات يتفرجون من السطوح. وللتذكير فإن البنائيات في المنطقة مصممة في الغالب في هذه المناطق القروية تصميما يسمح بترك فضاء فسيح وسط المنزل في الأسفل لاستقبال الراقصين والموسيقيين، في حين تكون السطوح مشيدة بدقة لتكون قادرة على تحمل أفواج المتفرجين الذين يبلغون أحيانا المآت.

وفي أغلب المناطق الجنوبية تنتشر هذه التقاليد الرقصية كما هو الحال في منطقة (حاحا) التي يكون فيها الرجال

ساهرين في حفل راقص خارج البيت في ساحة "أنرار". وهي الساحة الخاصة بدرس الحبوب في القرية، أو الدوار. أو في فضاء بيت كبير وفي الفناء على وجه الخصوص. ويرقص الجميع على نغمات التصفيق باليدين والرقص بالأرجل - تبعا لإيقاع أحواش البنادير والنايات التي يتعالى صوتها في ظلام الليل خارج مسرح الرقص.

وفي المناطق الحضرية الكبرى يستدعى للحفل فرقة أو جوق أو أكثر من الفرق أو الأوجاق الموسيقية لإحياء الحفل إلى حدود الفجر، وفي منطقة الحميسات وخنيفرة وضواحي مكناس، قد نجد إلى جانب هذه الأوجاق، فرقة "الشيخات" التي لا يخلو حفل زفاف منها في أغلب المناطق سواء في الشمال والجنوب أم الشرق والغرب في ربوع البلاد المغربية. فهذا التقليد الغنائي تقليد متأصل وراسخ، في البيئة الاجتماعية منذ قرون نظرا لكونه وجها من وجوه الفنون الفلكلورية التي حافظ عليها المغاربة منذ زمن طويل.

وتقدم خلال الحفل الهدايا للعروس وتعطى "الغرامة" للنكافة طوال مراحل الإلباس، في نهاية هذا الحفل تجهز الدابة التي ستنقل عليها العروس إلى دار زوجها (أي دارها الجديدة)، وقد تكون الدابة في أغلب الأحوال في القرى النائية أنش حسان تدعى بالأمازيغية "تاگمارت"، وفي المناطق الجنوبية في هضاب حاحا وسهول سوس تلتحف العروس برداء من الصوف تضعه فوق لباس العرس، وتزين بخرقه ذات خيوط حمراء وسوداء وصفراء تدعى بـ"القضب"، ويعصب رأسها بخرقه بيضاء توضع على رأسها على شكل عمامة صغيرة يفرس على طرفها من جهة الجبهة والقفا أغصان رقيقة وناعمة من الورود الخضراء ذات الرائحة الطيبة والعطرة مثل "الحبائ" خاصة.

وتركب العروس الدابة ويركب معها أخوها الأصغر، ويتوجه الموكب في عاصفة من الزغاريد والبكاء إلى دار العروس ويغني الجميع أغاني يفهم منها، توديع أهل العروس لابنتهم نظرا لالتحاقها ببيت الزوجية ويحسن أهل العريس استقبال زوجة ابنهم، نظرا لوفودها عليهم.

فأم العروس تنشد أناشيد الوداع، وأم العريس تنشد أناشيد الاستقبال الكريم وتطمئن أم العروس وتقول لها إنها سوف تتخذ العروس بنتا لها لا مجرد زوجة لابنتها. ويستمر الموكب في المشي إلى أن يصل إلى دار العريس حيث يحط الجميع الرجال، وقبل الدخول إلى البيت يسرع أحد أفراد عائلة العروس بتفقد عتبة الباب ومدخل الدار حتى يتأكد من عدم وجود أشياء يمكن أن تعرقل مسيرة الموكب "كالسبوب" وهي الأحجبة التي يكتبها بعض السحرة لتنفيذ بعض ما يأمرهم به بعض الناس لإلحاق الضرر بالغير أو للتأثير فيه أو تطويعه وغير ذلك مما يشاع استعماله في الأوساط الشعبية المغربية وخاصة في القرى ونسبة أكبر.

وفي هذه الأثناء يكون العريس في السطح يرمي باللوز

وبعض الفواكه الجافة من أعلى البيت على المدعوين، فيهرع الجميع، لا سيما الشباب إلى جمع هذه الثمار تيمنا بها واستعجالاً لزواج يأملونه ويتمنون حدوثه في القريب. ويتبع موكب العروسة موكب يحمل الهدايا التي تحملها إلى بيت زوجها. ولا تختلف عادة البوادي عن المدن في هذه الطقوس إلا قليلاً.

يدخل الجميع فيشربون الشاي وما يقدم لهم من الحلوى أو الفطائر وبعد ذلك يتوجه الموكب إلى غرفة العروس حيث ستقع "الدخلة"، فيتفقدون المكان بدقة رقيقة أم العريس، ويرمون بالملح في جنبات الغرفة ثم يشعلون الشمع في سائر أرجاء الغرفة ويبخرون التباخير المختلفة خاصة التي تزيل الجن والرواحين كـ"الفاسوخ" و"الجاوي" و"الشانوج" وتجلس العروس فوق السرير، ثم يودعها الجميع بعد أن تكون أمها هي آخر من ينفرد بها، فتعلمها طقوس الليلة ونظام التعامل مع زوجها حتى تمر الأمور في أحسن الأحوال. ويتفرق الجميع بعد ذلك، ويعود الكل إلى مكانه ليغط في سبات عميق إلا أهل العروس والعريس فهم لا يغمض لهم جفن حتى تلوح تباشير الصباح و"تصبح" العروس بخير وعلى خير، وعندئذ يخرج العريس راضياً وأهله، ويتبادلون التهاني مع أهل العروسة لأنها استطاعت أن تشرف أهلها وتصون ماء وجوههم كما هو مطلوب وكما تقول الأغاني التي تُغنى في الصباحية.

هذا في البوادي أما في الحواضر، فإن الدخلة تتم عادة بعد الحفل الساهر، عندما يخرج العريس على متن سيارة للتجول في إحدى المناطق المشهورة في المدينة قبل الرجوع في موكب من السيارات التي لا تفتقر منبهاتها عن الصباح طوال الذهاب والإياب أثناء السير. وفي العادة يعود العريس إلى دار العريس، وقد صار بعض المتزوجين يفضلون كراء غرفة بإحدى الفنادق لقضاء ليلة الدخلة هناك.

وأياً كان المكان، فإن ليلة الدخلة تسفر عن صباح يبدأ فيه الزوجان (العروسان) حياتهما الزوجية، ويأتي أهل العروسة في الصباح بالفطور، وهذه عادة متأصلة في البوادي والحواضر المغربية على السواء. وبعد الفطور فإن الحياة ترجع إلى النظام العادي إلى اليوم السابع الذي تقام فيه مأدبة كبيرة يحضرها الأهالي مرة أخرى ويقضون يوماً من المرح والرقص والغناء بعده تدخل حياة الزوجين الجديدين إلى عالم العادة اليومية والرتابة المألوفة.

بحث ميداني وشهادات شفوية؛ إبراهيم الهلالي، مذكرات في الفقه الإسلامي، مراكش 1987.

R. Jamous, *La segmentarité et le mariage arabe*, *Annales Marocaines de Sociologie*, 1963 ; E. Laoust, *Le mariage chez les berbères du Maroc*, A.B. 1, 1915 ; *Mots et choses berbères, Note de linguistique et d'éthnographie, Dialectes du Maroc*, Paris, 1920 ; *Notes berbères : les cérémonies du mariage au Maroc*, 1993 ; P. G. Murdock, *Social structure*. New York, 1949 ; E. Westermarck, *Ritual and belief in Morocco*, New Hy de Park University Books, 1926.

محمد أدويان

الزواحف، حيوانات فقيرة تتكون من خمس مجموعات، وهي السلحفيات والثعبانيات والحرشفيات والتمساحيات ومسيخات الأنف أو العظائيات. يعد التغير الحراري من بين الخصائص المميزة لهذه الحيوانات ويعني ذلك أن الجسم يتوفر على حرارة مماثلة لحرارة البيئة الخارجية. تلجأ إلى الإسبات أو البيات الشتوي خلال الفصول الباردة التي تسبب انخفاضاً مهماً في حرارة الجسم وبالتالي تباطؤ جميع الوظائف الحيوية. يكثر نشاطها في الفصول الدافئة والحارة فتقبع تحت أشعة الشمس للتدفئة وفي الليل تبحث عن مخبأ يقيها من البرد.

تدفن الزواحف بيضها بعد وضعه تحت الرمل أو التراب لضمان حرارته وتمكينه من التفرخ، وهناك بعض الأنواع من الأفاعي تحتفظ ببيضها داخل الجسم إلى غاية فترة انفقاسه. تكون الصغار مستقلة تماماً مباشرة بعد التفقيس وقادرة على اللدغ وبث السم.

القوائم منعدمة لدى الثعابين والحيات بينما يختلف تركيبها عند الأنواع الأخرى. فهي قصيرة وسمينة تصلح كدعائم أثناء التنقل عند التمساح والسلاحف البرية والعظائية، وعلى شكل مجاذف سباحية عند السلاحف البحرية، هناك أيضاً قوائم تمكن من التثبيت بأغصان الأشجار لدى الحرباء وأخرى تمكن من الالتصاق بسطح أملس بواسطة معاجم لدى أنواع "أبو بريص".

جلد الزواحف مكسو بصفائح عظمية مغطاة بمادة مقرنة عند بعض الأنواع أو مغطى بقشور ملساء أو محززة تقي الجسم من زوال الماء لدى الأنواع التي تعيش في المناطق الجافة والمناطق الشديدة الحرارة. تتعرض الطبقة المقرنة للانسلاخ حيث تتمزق وتنقل شيئاً فشيئاً أو تنسل مثل غشاء كما يحدث لدى الثعابين. ينقسم الجسم عند الزواحف إلى رأس شديدة الحركة وصدر وذيل. العينان مغلقتان بغشائين يضاف إليهما غشاء مختلج والأذنان باطنيتان. الاسنان متوفرة عند سائر الزواحف باستثناء السلاحف. وتستعمل للقبض على الفريسة أكثر مما تستعمل للمضغ. تتبلع الفريسة كاملة ولو كانت ذات مقاييس كبيرة وذلك بفضل مرونة رباط العظم الذي يربط بين الفكين.

من بين المجموعات التي تعيش في المغرب :

1 - العظائيات وتتكون من حيوانات رباعية القوائم تتميز بالاستقلال يجعل الفرد قادراً على استعادة نمو ذيله بعد بتر جزء منه. والتخلص من الذيل وسيلة دفاعية لينجو من الخطر. يتغير الجلد دورياً عن طريق الاحتكاك بالصخور وجذوع الأشجار. من أهم أنواعها : الوزغة أو أبو بريص، الورل الذي يعيش جنوب المغرب، والدساسة والحرباء والعظائية أو زرزومية كما هي معروفة عند العامة.

2 - الثعبانيات وقد سبق ذكرها في مادة ثعبان.

3 - السلاحف ومنها البرية والبحرية، ذكرت بتفصيل في مادة السلاحف.

الموسوعة الحديثة، علم النباتات والحيوانات، جزء 7، سيلكا -
سوسرا، 1990.

محمد رمضان

الزواوي، إبراهيم بن أحمد بن محمد التونسي يكنى
أبا سلام. أخطأت بعض المصادر في اسمه فجعلته الزواوي،
وضبطه الكتاني في سلوة الأنفاس. شيخ من الزهاد أهل
الولاية والعرفان والاستقامة. صحب كبار صوفية زمانه
بتونس كالشيخ ابن عروس وتلميذه منصور الزواوي وابن
عرفة القيرواني، والشيخ أحمد بن عقبة الحضرمي والشيخ
أبا عبد الله الزيتوني وتلميذهما الشيخ أحمد زروق (ت.
899 / 1494) ولقي بمراكش الشيخ عبد العزيز التبايع (ت.
914 / 1508)، وشيوخه كثر في طريق التصوف.

استوطن الشيخ الزواوي القصر الكبير سنين، وبه لقيه
أبو المحاسن يوسف الفاسي مراراً وتبرك به. ثم رحل إلى
مدينة فاس وكان له مع صوفيتها صلات قوية، كالشيخ عبد
الرحمن المجذوب. وكانت سمعته بها طيبة وله بها أتباع،
وبها توفي حوالي سنة 961 / 1554، ودفن خارج باب الجيسة
وبنيت على قبره روضة. وقد عُمر حوالي مائة وثلاثين سنة،
وتنسب له كرامات.

ع. الرحمن الفاسي، *ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن
وشيخه المجذوب*، نج. حفيظة الداوي، د. د. ع. في التاريخ، كلية
الآداب، الرباط، 1992، 2 : 362؛ م. المهدي الفاسي، *مجمع الاسماع*،
نج. عبد الحى العمروي وعبد الكريم مراد، الدار البيضاء، 1994،
ص 78-166؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، فاس، طبعة
حجرية، 1334 / 1916، 3 : 124؛ م. بن عيشون الشراط، *الروض
العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس*، نج. زهراء النظام،
منشورات كلية الآداب، الرباط، 1997، ص. 276؛ ع. ابن إبراهيم
المراكشي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغصان من الإعلام*، الرباط،
1974، ج. 1 : 179-180.

محمد المغراوي

الزواغي، محند بوشة مقاوم ولد سنة 1922 ببني

بويحي إقليم الناظور.

انخرط في صفوف جيش التحرير بعد فرار من الجيش
الإسباني سنة 1955 وقد تجلّى عمله في تزويد أفراد المقاومة
وجيش التحرير بالسلاح الذي كان ينقله من التكنات
العسكرية لجيش الاحتلال.

وأفته المنية يوم 17 مارس 1995.

المنودية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء
الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 529141.

الزوان، لفظ يطلق على نباتات علفية تستعمل حبوبها
عادة في تغذية بعض أنواع العصافير الصغيرة مثل

الكناري. ومصدرها هي بعض أنواع جنس فالاريس
Phalaris الذي معناه النبات ذو البذور الفضية.

وجنس فالاريس من النجيليات Poaceae. يتميز
بعثكول مكس طویل وسنبلي الشكل.

يمثل الجنس بالمغرب سبعة أنواع، ثلاثة منها معمرة
تزرع لإنتاج الحشائش والأعلاف والحبوب الأنواع الأخرى
حولية بدون فائدة كبيرة.

- فالاريس شيرولسان Phalaris caerulescens : جذوره
غليظة، قصب ساقه يحمل انتفاخا في قاعدته.

يعيش طبيعيا في الأراضي الطينية وفي بيومناحات
شبه رطبة أو رطبة. يزرع في نفس الظروف البيئية.

يعتبر من أحسن النباتات الرعوية أو العلفية، إذ من
الممكن أن يعطي في مجاله الطبيعي مردودية سنوية تقدر
بـ 4000 وحدة علفية في الهكتار.

- فالاريس بولبوزا Phalaris bulbosa : لا يختلف كثيراً
في صفاته النباتية عن النوع الأول، ويعيش في نفس
الظروف البيئية، لكنه أكثر تحملاً للرفس من طرف
الحيوانات. ولهذا يستعمل في إنشاء المراعي الدائمة.

- فالاريس ترونكاتا Phalaris truncata : يختلف عن
النوعين السابقين بغياب الانتفاخ في قاعدة قصبه.

يعيش في أراضي ذات نسبة عالية جداً من الطين من
الممكن أن تغطي مؤقتاً بالمياه في فصل الشتاء.

يعطي في الأراضي الخصبة مردودية مرتفعة جداً قد
تتجاوز 6600 وحدة علفية في الهكتار الواحد.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc,
évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 1999.

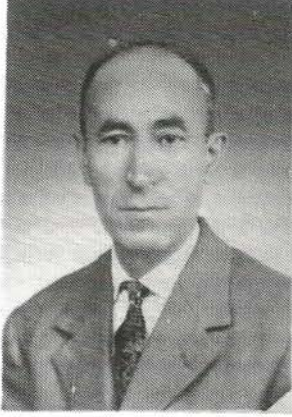
عبد الملك بنعبيد

الزواوي، أسرة سلوية أصلها من قبيلة زواوة القديمة

كانت منتشرة في بلدان الشمال الإفريقي وصل أفرادها
الأولون إلى ليبيا بعد أن منعوا من دخول مصر، وسكنوا
مدينة قرطاج التونسية، ومنهم عشائر نزلت بالقطر الجزائري
وبالمغرب الشرقي وتافيلالت دبذو ثم انتقلوا إلى الشمال
المغربي وهناك زواويون عسكريون كانوا في الجيش السعودي
في القرن العاشر (16 م)، ذكر الفشتالي منهم في *مناهل
الصفاء* أحمد وحدو كقائدين لجيش زواوة شاركوا في معركة
وادي المخازن إلى جانب عبد الملك المعتصم وأخيه أحمد
المنصور.

ويبدو أن الزواويين السلاويين من هؤلاء، وهم يتفرعون
بسلا إلى فرق، منهم فرقة الزواوي الموقت التي خص أحمد
المنصور السعودي أحد رجالها ببعض المناصب العليا، فكان
عاملاً على سلا في عهده، والوظائف الدينية كتوقيت
الصلاة بالمسجد الأعظم، واستمرت ذريته تقوم بهذا العمل.
ومنهم فرقة منقرضة اليوم بسلا هي أسرة محبوبة التي قيل
إنها من أبناء عمومة الموقت بل يروى أن الجد الأعلى

شبابه ابتداء من سنة 1935، كما أنه تجول بأوروبا فأقام بفرنسا وإيطاليا وبلجيكا والبوسنة، وأقام بمدينة سرايفو. وكان خلال هاته الجولة التي استغرقت عدة شهور يرافقه عمه الحاج عبد النبي والفقير محمد داود مؤرخ تطوان، واتصلوا بعدة رجال في البلدان التي زاروها.



ولما تأسس النادي الأدبي السلوي سنة 1941 كان من أول رؤسائه، وعين من سنة 1945 إلى سنة 1950 عضواً بالمجلس البلدي بسلا، كما كان عضواً بمجلس شوري الحكومة، وترأس الغرفة الفلاحية بالرباط إلى سنة 1950 وأصبح فيها رئيساً لجامعة الغرف الفلاحية. عمل إلى جانب الصدر الأعظم الحاج محمد المقري فكان نائبه في الفلاحة وذلك في السنوات الأخيرة من عهد الحماية الفرنسية. توفي بسلا يوم 15 رجب عام 1415 / 19 دجنبر 1994 بسلا وبها دفن.

الزواوي، محمد (الحاج -) بن المكي بن أحمد المعروف بالمقدم الزواوي وبالموقت، ولد بسلا سنة 1277 / 1866 كان فقيهاً عدلاً بنظارة أحباس سلا، مكلفاً بالتوقيف



المباشر للأسترتين واحد. وهناك زواويون آخرون بسلا كان منهم فقهاء وعدول، عبر الحقب.
كارباخال مارمول، إفريقيا، ج. 1، ص. 93، ترجمة م. حجي، الرباط 1988 : وثائق الزواوي المؤقت : رسوم الخزانة الصبيحية.

الزواوي، أحمد بن عمر كان عاملاً على سلا في عهد أحمد المنصور السعدي.

الزواوي، أحمد بن المكي كان مؤقناً للمسجد الأعظم بسلا حتى نقله مولاي سليمان سنة 1236 إلى خطة التوقيت بمراكش.
وثائق آل الزواوي : وثائق الخزانة الصبيحية : أ. الناصري، الاستقصا، 8 : 153 و 171 : م. بوشعراء، ذيل، الإتحاف الرجيز، الطبعة الثانية، ص. 227 : التعريف ببني سعيد، 2 : 103.
مصطفى بوشعراء

الزواوي، أبو سرحان مسعود السبتي، علم من أعلام العصر العربي الأخير. تختلف النسختان المعروفتان من بلغة الأمنية في ضبط اسمه فهو في النسخة التي حققها الأستاذ محمد ابن تاويت مذكور بكنيته "أبو سرحان الزواوي". وفي النسخة الثانية مذكور باسمه. قد يكون اسمه هو مسعود الزواوي بينما يلقب بأبي سرحان كما جرت العادة عن معظم الشخصيات الفكرية خلال هذه الفترة. لا نعرف شيئاً عن هذا الفقيه سوى أنه نزل بمدينة سبتة. نبغ في ميدان النحو، كما كان له باع في ميداني الفقه والفرائض. وكان يدرس في مسجد القفال منها، ولما عاد أبو العباس أحمد بن إبراهيم المريني المخلوع مجدداً إلى دار ملكه عام 789 / 1387 عينه قاضياً على سبتة ومدرسا في المدرسة الجديدة. لكن بعد مدة يصعب تحديدها، صرف أبو سرحان عن تلك الوظائف فرحل إلى الأندلس ونزل بغرناطة فتوى والتقى بالعلماء الغرناطيين، ثم بعد مدة كر راجعا إلى المغرب فاستوطن مدينة تازة إلى أن توفي بها حوالي سنة 803 / 1399.

بلغة الأمية ومقصد اللبيب، تج. محمد بن تاويت، مجلة تطوان، العدد التاسع، سنة 1984.

زليخة بنرمضان

الزواوي، عبد الله (الحاج -) بن محمد بن المكي آتي الترجمة أحد أعيان سلا ومثقفها الرواد، من أوائل المتخرجين في الهندسة الفلاحية من فرسنا، ولد في شهر شتنبر 1909.

كان معروفاً بأسفاره وجولاته بالخارج، فحج مراراً وساح بمصر والحجاز والشام والعراق وفلسطين وتركيا في أول

بالمسجد الأعظم بعد أبيه، ومقدماً للزاوية التيجانية القريبة من المسجد المذكور، موسعاً عليه في الرزق، سكن داراً فخمة بجوار المسجد الأعظم تعد من أجمل مدن المدينة سعة وهندسة وزخرفة.
توفي بسلا سنة 1383 / 1966.

مصطفى بوشعراء

الزوايا بتراب البيضان، تطلق هذه الكلمة بمجمل الصحراء الأطلسية على فئة الذين استقروا في أماكن خاصة بممارسة التعلم والعبادة. وهي أمكنة متميزة كثيراً ما اعتبرت ربطاً للمرابطة في سبيل الله عادة ما ارتبط المتصوفة وحملة الكتاب من فقهاء وعلماء بهذا الاشتقاق اللفظي الذي يربطهم بأسباب وبتاريخ معين. فمعلوم أن تاريخ هذه "الصيغة" يعود بالأساس إلى دور دولة المرابطين في خلق وتمتين ركائز سلطة الفقهاء ذوي العلم الظاهر وغيرهم من المتصوفة ذوي العلم الباطن. فما تزال هذه الدولة تعتبر في نظر الزوايا هي التي حركت المتصوفة والعلماء وجعلتهم يعتبرون أن عليهم مسؤوليات سياسية على جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية. كان مفهوم المرابطة والترابط من أجل الجهاد بقصد "دفع المظالم" هو الشعار المؤسس للدولة المرابطية. فكان أن وفرت لهم دولة أبو بكر ابن عمر اللمتوني مرتكزات فعلية جعلت من علمائهم "ورثة الأنبياء وتراجم الوحي وحفظة الكتاب وأمان الأرض وسور الإسلام الحصين". بسقوط دولة المرابطين واختلاف مبادئ وأسس ومرتكزات دولة الموحيين، اضطلع أهل الكتاب من فقهاء ومتصوفة وعلماء من صنهاجة الصحراء بأدوار تاريخية عملت على تحديد العلاقة بينهم وبين باقي فئات المجتمع الصحراوي. يمكن اعتبار أن الأجداد الإسميين لجل قبائل الزوايا الحاليين ينتمون إلى هذه الفترة بالذات. على أنه يكون من اللازم التأكيد هنا على دور السلاح في تفجير الصراع بين الغور السكاني الصنهاجي والفصائل العقلية الواردة. فقد تميز سلوك المعاقيل بالإعتماد المتزايد على دور السلاح في تدعيم مركزهم الاجتماعي. أما تثبيت شوكة أهل الكتاب الزوايا خلال هذه الفترة فقد ارتبطت بتطور الغور السكاني الصنهاجي بمختلف فصائله الكبرى والصغرى. ظل هذا الغور مكوناً من حاملي سلاح وحاملي كتاب إلى حدود القرن الحادي عشر / السابع عشر الميلادي. يومها فقط جسدت سياسة ناصر الدين آخر محاولة للغور السكاني لمواجهة المد العقلي المتزايد.

تعتبر فئة المعاقل المسلحين من الفئات الاجتماعية التي استطاعت التغلغل التدريجي خلال الفترة الفاصلة بين القرن الثامن (13 م) والقرن الحادي عشر (17 م). فقد قامت على أساس عصبية مغايرة ذات تطلعات حربية متأثرة بظرفيات مصارعة الغور الصنهاجي المتفرع إلى

كفدراليات وفصائل مختلفة الأصول والمصالح. ومع التقلبات السياسية وتناثر المصالح اضطلع المعاقلة بأدوار متخصصة في مراقبة المجال عن طريق السلاح وفرض الأتاوات على القوافل. من هنا فإن ما أكدت عليه النصوص المعاصرة يعد بمثابة المعطى العملي الذي تأسست عليه الحقائق التاريخية لنوعية الصراع المفتوح بين الغور السكاني والحضور العقلي. لقد مثلت الحروب المسماة "شربية التباري" خلال منتصف القرن السابع عشر الميلادي الحدث الحاسم الذي فصل في إشكالية العلاقة بين حملة الكتاب وحملة السلاح. تجسدت منذ ذلك الحين سلطة المعقلين في احتكار سلطة السلاح رغم احتفاظ بعض التجزؤات وفصائل الغور السكاني بطابعها المحارب.

أصبح شعار الزوايا من حيث هم كحجج الدين، "من حمل السلاح ترك الصلاح" معتبرين أنفسهم "فخر البلاد وعمارته ونورها علماً وصلاً وديناً وثروة. فيهم أهل المدارس العامرة والتأليف المفيدة والمشائخ أهل خلق الذكر والدين القويم والأموال الطائلة، أهل إنباط الآبار وتفجير العيون وحرث الحبوب وغرس الأشجار وأهل التجارة، وهم السفراء بين القبائل ومصلحو الثأر وأهل القضاة والفتوى والمحافظة على الدين والمروءة" (ابن البراء، الفقه، 47) تكون بذلك الزوايا قد تخصصت في الاستئثار بحمل الكتاب.

تولوا بتقنيات النصوص الدينية والعلمية ضامين بذلك حداً أقصى من المشروعية السياسية الحائثة على التسليم لأوامرهم. ليس هذا وحسب، ولكن دراسة إشكالية علاقة أهل الكتاب وأهل السلاح لا يمكن أن تتأتى إلا من خلال دراسة علاقتهم بالسلطة. ذلك أن سلطة الزوايا تتمثل في علاقتهم بالعامّة التي لا يستقيم أمرها إلا بمشروعية علاقتهم بالسلطة الحربية. وهنا تكشف المصادق بما لا يدع مجالاً للشك، تهيؤ الظروف الموضوعية الملائمة لتناغم وتفاعل بين السلطتين الدينية والحربية في بلاد تميزت بدواعي وأسباب السبية. تكشف كتب الفتاوى عن دور الزوايا أهل الكتاب في تشكيل العنصر الرابط ونقطة الالتقاء بين الفئات المجتمعية المختلفة والسلطة العقلية. والملاحظ أن الزوايا أهل الكتاب كانوا يشاركون أهل السلاح في أكبر تجليات النفوذ التي هي الطاعة والخضوع. فقد كانت لهم رقابة على السلطة السياسية باعتبارها حاملة للشريعة وللشرع والتصدي لأية انحرافات تقع من السلطة الحربية. في هذا الإطار كان تقديم النصح والمحاسبة من المقتضيات التي تستدعي التمسك بالمجال المعرفي وامتلاك المعرفة وتأييدها وتوجيهها. وهو ما كان يستدعي الابتعاد عن الأمراء بل ومقاطعتهم في بعض الأحيان. هذا ما تكشف عنه كتب السير والتراجم الفقهية وأدب الطبقات الصوفية مركزية دور العلماء والفقهاء المستقل سياسياً واجتماعياً مما أهلهم في كثير من الأحيان لتصدر الأحداث.

ومما يؤكد دورهم كقوة رقابية فاعلة كف أيديهم عن التدخل في أمور الدولة إلى أن سيطرت الإدارة الفرنسية وفرضت أمنها. تمتع الزوايا بمركز ومكانة اجتماعية لم تنحصر في المجالات التربوية والتعليمية ولكن دعمت قاعدتهم الاقتصادية. تطورت تدريجيا هذه القاعدة لتنتهي إلى متغيرات بنوية أصبحت تفرق اجتماعيا بين "الزوايا" المثبتة بقيم وممارسات الزوايا و"المرابط" الذي اقتصر على ممارسة الطقوس مبتعداً عن أخلاقيتها و"التلميذي" الذي فقد الدين والمروءة. (ابن البراء، الفقه والمجتمع والسلطة، 46).

كل الدراسات الميدانية تشهد على أهمية النسيج الاقتصادي الذي ميز الانتماء الاجتماعي لهذه الفئة بأعلى السلم الاجتماعي. تحدد حجم هذا الانتماء الاجتماعي في خضوع فئات من الغور السكاني الأقدم من صنهاجة وأكواش حراطين وغيرهم لسلطة الزوايا السياسية. وتتمظهر فعالية نفوذهم الاقتصادي في قدرتهم على إحكام صلاتهم الاقتصادية بمنتجات الارض وتربية المواشي. ولعل أهم ما ميز هذه العلاقة هي التعبئة السياسية التي قادوها في مقاومة التغلغل الأروبي على السواحل.

ابن البراء يحيى، الفقه والمجتمع والسلطة، دراسة في النظر الاجتماعي والسياسي للفقيه بين شمول أهل القبلة وآصرة أبناء القبيلة، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط، 1993، محمد المختار ولد السعد، حرب شريبه التباري أو أزمة القرن (17) في الجنوب الغربي الموريتاني، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، 1992.

مصطفى ناعمي

زويج (ابن -) أبو بكر محمد بن عيسى السبتي وأصله من بصره المغرب. من أهل العلم والفقه والأدب، متفنن في علمه، نظار، صاحب حجة وجدل، عالم بالحديث. له رحلة إلى الأندلس في طلب العلم، ورحلة أخرى إلى المشرق حج فيها ودخل العراق، ولقي العلماء بمختلف البلاد. ورجع إلى قرطبة مرة ثانية واختص بقاضي القضاة بها أبي العباس بن ذكوان (ت. 413) وكان من وجوه أصحابه، وبسببه صارت له منزلة عليا عند أمير الأندلس عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر، وتمكنت أسبابه لديه، بما كان عليه من علم واسع وقوة في الشخصية وصلابة في الرأي. وقلده هذا الأمير القضاة بسبته وعملها، بإرشاد القاضي أبي العباس بن ذكوان، فكانت السجلات القضائية تحليه بقاضي سبته ووطنجة وأصيلا والمغرب، وجمع إلى القضاة خطة الشرطة العليا. وقد حمدت سيرته في مهامه، لذلك اعتبر من أجل قضاة سبته. واتصلت ولايته بما تبقى من إمارة المظفر ورجوع الأمويين إلى أن قامت مطالبية الحموديين، فكان آخر قضاة بني أمية بسبته.

وعندما ظهرت بوادر انقلاب القاسم بن حمود والي

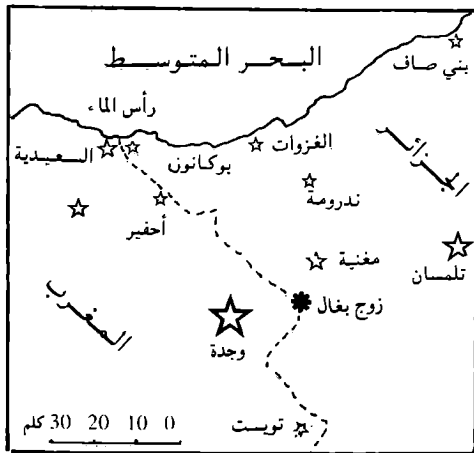
الجزيرة الخضراء ووطنجة على بني مروان، كان من قاضيهما هذا عنه بعض التأخر، ثم ظهر ولاؤه جليا للأمويين عندما اتصل هو وفقه سبتي آخر يدعى ابن يربوع بالخليفة سليمان المستعين الأموي يخبرانه باتصال أخيه هشام الثاني، المسجون بقرطبة، بحاكم سبته علي بن حمود أخي القاسم يطلب منه إطلاقه من سجن أخيه المستعين ويتآمر معه في شأن تدبير انقلاب ضده. فأغرى علي بن حمود رجاله بالفقيهين انتقاما منهما فقتلوهما حوالي سنة 404 / 1014. ورعب أهل سبته بقتل قاضيهما، ولم يختلفوا عليه لما عرف من استقامة وجزالة في أحكامه وصرامة في إنفاذ العدل، يؤكد ذلك قول القاضي عياض فيه: " وكان حسن السيرة في قضاته، وأيامه مشهورة لعلو مكانه وسعة علمه وبعد صيته".

القاضي عياض، ترتيب المدارك، تج. سعيد أعراب، الرباط، 1982، ج. 7، ص. 111. 113. 173. 281؛ ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تج. السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، ط 1955، ج. 2، ص. 562؛ ابن عذارى، البيان المغرب، تج. كولان وليفي بروفضال، بيروت، ط 1983، ج. 3، ص. 115؛ لويس سيكو دي لوثينا، الحموديون سادة مالقة والجزيرة الخضراء، تر. عدنان آل طعمة، دمشق، دار سعد الدين، ط 1، 1992، ص. 20.

محمد المغراوي

زوج بغال، - جغرافيا - يعتبر مركز زوج بغال حاليا

أهم منفذ للعبور الرسمي بين المغرب والجزائر. لا يبعد عن مدينة وجدة إلا بنحو 14 كلم في اتجاه الشرق. ويعتبر كذلك أحد البوابات الأساسية للاتصال مع الغرب الجزائري إلى جانب مركز أحفير إلى الشمال منه، ومركز فككيغ إلى الجنوب منه.



زوج بغال

يظل مركز زوج بغال أقدم وأهم مركز للعبور بين البلدين، بحيث جل تيارات البضائع والأشخاص كانت تمر

عبره لكونه يتوسط أهم مدينتين حدوديتين، وجدة على الجانب المغربي ومغنية على الجانب الجزائري. كما تقطعه شبكتان أرضيتان للربط بين البلدين؛ الطريق المعبدة التي تمت توسعتها بالإضافة إلى خط السكة الحديدية، الخط الوحيد الذي يربط التراب المغربي بالتراب الجزائري.

تحتل مراكز العبور مع الجزائر الصدارة أثناء فترات الفتح للحدود بالمقارنة مع الحدود الشمالية وذلك لكثافة تيارات العبور وخاصة خلال فترات العطل، حيث تجاوزت هذه المراكز سقف ثلاثة ملايين عابر في الاتجاهين خلال سنة 1991. ويعتبر مركز زوج بغال الحدودي أهم معبر للأشخاص، بحيث أن ما بين 30% و40% من الوافدين على المغرب خلال الفترة المتراوحة ما بين 1989 و1994 تنقلوا عبر مركز زوج بغال الحدودي. وتؤكد هذه النسب أهمية العلاقة مع الجوار المغربي لأنه من الخيارات الأساسية التي يراهن عليها.

إن أقدمية مراكز العبور الشمالية واستمرار رواجها الدائم لم يمنع المراكز الشرقية وخاصة مركز زوج بغال من احتلال المراتب الأولى في عدد العابرين بالمقارنة مع بقية المراكز المهمة الأخرى، باب سبتة وبنى أنصار - مليلية.

فالمقارنة بين أهم مراكز العبور الموجودة على الجهة الشمالية والشرقية، تجعل المنتبج والمهتم بحركة العبور عبر الحدود الأرضية يكتشف أهمية تيارات الأشخاص عبر نقط العبور المختلفة مع الجزائر وما تحدته من آثار في العديد من القطاعات الاقتصادية. فبالرغم من قصر مدة الفتح الأخيرة 1988 - 1994 تجاوزت نسب الوافدين على المغرب عبر الطريق الأرضي بين المغرب والجزائر نسب الوافدين عليه عبر الناظور وسبتة، فمجموع العابرين للحدود الأرضية المغربية سنة 1991 بلغ أزيد من 35 مليون عابراً 41.5% منهم استقبلهم مركز زوج بغال. وجل هؤلاء العابرين عبر هذا المركز الحدودي من جنسية جزائرية، على عكس الوافدين عبر بقية نقط العبور الأخرى من جنسية مغربية.

فالترباط الكبير بين طرفي الحدود المغربية - الجزائرية كان من وراء التدفق الكبير للسائح الجزائري الذي كان قبل ذلك يتوجه نحو فرنسا أو نحو تونس. ففتح الحدود المغربية - الجزائرية مكن بالخصوص سكان الغرب الجزائري القريب من المغرب الشرقي الذي ظل يشاركه العديد من القسامات والخصوصيات، من زيارة المغرب وتفضيله على غيره من الدول لربط الماضي بالحاضر واستشراف المستقبل.

الميلود زروقي

* * وعن تاريخ زوج بغال تروج روايات متباينة عن تسمية الموقع، حيث اعتبره البعض ملتقى للبريد المحمول على الدواب وبالخصوص البغال بين المغرب والجزائر، وتبعاً لهذه الفرضية صار يسمى بالاسم المعروف به الآن، غير أن هذا التفسير لا يصمد أمام المعطيات التاريخية التي تم الكشف

عنها من طرف الباحثين، حيث لم يكن هناك بريد منتظم بين المغرب والجزائر، رغم أن المغرب عرف بعض المحاولات لتنظيم البريد في بعض جهات البلاد في نهاية القرن الثالث عشر (19 م)، إلا أن هذا التنظيم لم يشمل شرق المغرب، كما أن الموقع كان مشهوراً باسم "زوج ابغال" قبل تنظيم البريد.

وقد أورد مؤرخ المملكة رواية أخرى، مفادها أن مركز "زوج ابغال" قد "دُعي بهذا الاسم في تاريخ غير معلوم قبل الاحتلال الفرنسي لأقطار المغرب، بعد وقوع خلاف بين قبيلة من أهل وجدة وقبيلة بني واسين على بقعة ادعت كلتاها أنها واقعة بأرضها، وكانت القبيلتان معا معدودتين يومئذ من قبائل المغرب الأقصى، وكاد الخلاف يفضي بهما إلى الاقتتال، فاتفق عقلاء القبيلتين على أن يطلقوا بغليين في ساعة واحدة يسير كلاهما في اتجاه الآخر، أولهما ينطلق مشرقاً من ضريح سيدي يحيى بن يونس بأرض أهل وجدة، وثانيهما ينطلق مغرباً من ضريح الحاجة مغنية بأرض بني واسين، فحيثما التقيا يكون الحد بين القبيلتين، فأطلقا وسار كل منهما في اتجاه الآخر حتى تلاقيا، فسمي مكان لقائهما "زوج ابغال" منذ ذلك الحين". إلا أن هذه الرواية لم تعتمد مصادر مكتوبة، بل هي مستمدة من رواية شفهية نقلها صاحبها عن بعض الأعيان المسنين من أهل تلمسان، ومن ثم فهي لن تصمد أمام الفحص الجاد، مما يدفع إلى استبعاد التفسير الذي تضمنته.

ومن المعروف أن وطنيي المغرب والجزائر قد تضايقوا من ذلك الاسم أيام النضال التحريري، لما يوحي به من المهانة والإذلال، فاستبدلوا به اسم "زوج فاقو"، وطالبوا بعد استرجاع الاستقلال تغيير الاسم القديم، وهو ما قامت به الحكومة الجزائرية، بينما أبقت الحكومة المغربية على الاسم القديم.

وسود الاعتقاد أن سلطات الاحتلال هي التي روجت تفسيراً مهيناً لاسم "زوج ابغال" بهدف النيل من سمعة البلدين بعد حصولهما على الاستقلال. ومن المرجح أن يكون ذلك من بين الأسباب التي دفعت الحكومة الجزائرية إلى استبدال اسم الموقع عقب استقلال البلاد سنة 1962، حيث صار يُنعت باسم العقيد لظفي، وهو أحد زعماء جبهة التحرير الجزائرية، بينما ظل الموقع نفسه من الجانب المغربي يُنعت باسم "زوج ابغال".

ومن الثابت أن تسمية "زوج ابغال" كانت متداولة بين قبائل شمال شرق المغرب قبل احتلال الجزائر، أي قبل سنة 1830، وُستخلص من ذلك أن السلطات الفرنسية لم تكن لها يد في تسمية الموقع بالاسم المشهور به حالياً. فقد نص اتفاق الحدود الموقع سنة 1845 على اسم موقع "زوج ابغال" أثناء سرد معالم الحدود بين المغرب والجزائر، التي وقع الاتفاق بشأنها بين المخزن وفرنسا من مصب وادي كيس

في البحر المتوسط إلى ثنية الساسي الواقعة شرق عين بني مطهر. حيث اعتبر اتفاق الحدود "زوج ابغال" معلمة حدودية بشرق سهل أنكاد، وقد جاء ذلك في البند الثالث بالصيغة التالية : "... وسرٌ كذلك إلى جُرف البارود الكائن بوادي بونعيم، ومنه إلى كركور سيدي حمزة، ومنه إلى زوج ابغال [كذا]..." (انظر اتفاق مغنية حول الحدود في دورية الوثائق، العدد 1، ص. 476).

لم تكن تسمية "زوج ابغال" في الأصل ترمز إلى موقع حدودي بين المغرب والجزائر قبل الغزو الفرنسي سنة 1830، وكما هو معلوم فإن خط الحدود بين البلدين أيام الحكم التركي بالجزائر كان بوادي تافنا شرق "زوج ابغال". وبعد توقيع اتفاق مغنية سنة 1845 نُقل الحد إلى جهة الغرب بحكم الغلبة التي كانت للجيش الفرنسي في معركة إسلي سنة 1844.

وقد أقرت السلطات الفرنسية في وثائق سرية خلال منتصف القرن التاسع عشر أن تسمية "زوج ابغال" تُطلق على سهل بشرق بسيط أنكاد، وهو ما تعكسه الرسوم والخرائط التي وضعت آنذاك ؛ وقد تم الاقتناع بهذا الأمر بعد مسح طوبوغرافي قام به ضباط فرنسيون بشرق أنكاد، كما اعترفت السلطات الفرنسية بالجزائر المحتلة آنذاك أن قبائل المنطقة من الطرفين المغربي والجزائري اتفقت على اعتبار نقطة واقعة بسهل "زوج ابغال" هي المعلمة الحدودية المشار إليها في اتفاق الحدود ؛ وبهذه الكيفية حلت مشكلة تحديد موقع "زوج ابغال" بخط الحدود، ولمزيد من الدقة تم وضع كومة من الأحجار في المكان المعلوم بهدف تمكين المهندسين الطوبوغرافيين من التعرف عليه لاحقا، رغم أن اتفاق مغنية ينص بشكل صريح على عدم تمييز الحدود بالحجارة أو إحداث بناء بها. (البند الأول من اتفاق مغنية).

وُستنتج من هذه المعطيات أن "زوج ابغال" كانت في الأصل تعد تسمية لمنبسط من الأرض، ثم صار الاسم يُطلق على موقع بعينه، في إطار إطلاق اسم الكل على الجزء. وقد حاول أحد الضباط الفرنسيين - أثناء البحث عن موقع "زوج ابغال" في منتصف القرن التاسع عشر - اعتبار كديتين صغيرتين بالأرض المشهورة بهذا الاسم أنهما الموقعان المقصودان باسم "زوج ابغال"، إلا أن السلطات الفرنسية نفسها لم تحمّل هذا التأويل على محمل الجد، ورغم ذلك فإن هذا التأويل كان وراء مغالطات، عمل الاستعمار على ترويجها بين سكان المنطقة.

ومن الجانب المغربي سجل كاتب البعثة المخزنية التي أرسلها السلطان الحسن الأول سنة 1884 لمعاينة خط الحدود، أن تسمية "زوج ابغال" يُراد بها المساحة التي تحرّتها بهيمتان (الزوجة)، وكان علي السوسي السملالي، وهو المقصود هنا، قد استفسر قبائل أنكاد وبني يزناسن عن مدلول اسم "زوج ابغال"، فقيل له ما أشير إليه أعلاه، وقد

جاء كلامه على الشكل التالي : "... وقيل فيه جوج بغال (كذا)، لأنه قدر ما تحرّته جوج بغال...." (مخطوط منتهى النقل ومشتهى العقول، ص. 139). ورغم أن الصيغة التي استعملها المؤلف تفيد الشك، فمن المرجح اعتبار ما ورد في المصدر المذكور هو التفسير السليم الذي يتماشى مع الواقع السائد آنذاك، وفي الوقت نفسه يؤكد ما جاء في المصادر الفرنسية السابقة التي اعتبرت أن "زوج بغال" تسمية كانت تطلق في الأصل على مساحة من الأراضي الفلاحية، ولم تكن تعني نقطة على خط الحدود بين المغرب والجزائر. ويجدر التذكير هنا أن المخزن كان يحدد الضرائب الفلاحية بقياس المساحات المزروعة بزوج الحرث، ويقصد بذلك المساحة التي يمكن حرثها بواسطة محراث يجره زوج من البهائم خلال موسم الحرث.

وفي نهاية القرن الثالث عشر (19 م) صار موقع "زوج بغال" أهم نقطة لمرور السلع بين المغرب والجزائر، فأقام به المخزن العسس من أجل استخلاص رسوم التعشير التي كانت تدفع بمركز الديوانة بوجدة، وازدادت أهمية "زوج ابغال" بعد أن شيدت السلطات الفرنسية بالجزائر المحتلة طريقا للعربات وأخرى للسكة الحديدية تربط بين مدينة مغنية والموقع المذكور، وكانت تخطط آنذاك لمد الطريق وخط السكة الحديدية إلى وجدة.

وهو ما تحقق فعلا في فترة الحماية حينما صارت فرنسا تتحكم في المغرب والجزائر معا، فتوطدت العلاقة بين مغنية ووجدة بواسطة الطريق الرابطة بينهما عبر مركز "زوج بغال" وظلت هذه الطريق هي المنفذ المؤدي إلى البحر بهدف تصدير المواد الفلاحية المنتجة بشرق المغرب عبر ميناء الغزوات الجزائري خلال فترة الحماية، ويعتبر مركز "زوج بغال" أهم معبر بين البلدين الجارين، حيث تمر به الطريق الرئيسية المؤدية إلى وهران ومنها إلى العاصمة الجزائرية.

دورية الوثائق، مديرية الوثائق الملكية، الرباط، 1978، العدد الأول ؛ على السوسي السملالي، منتهى النقل ومشتهى العقول، مخطوط ؛ عبد الوهاب بن منصور، مع جلالة الملك الحسن الثاني في فاس وتازة ووجدة وتلمسان (21 مايو 1970)، الرباط، 1970، ص. 116. 118 ؛ عكاشة برحاب، مفهوم الحدود في الوثائق المغربية منذ احتلال الجزائر ؛ ندوة أعمال المجالات الحدودية في تاريخ المغرب، كلية الآداب، المحمدية، 1998.

H.M.P. De La Martinière et N. Lacroix, *Documents pour servir à l'étude du nord-ouest africain*, Alger, 1894, tome 1.

عكاشة برحاب

الزوجة الفلاحية، يدل لفظها في معنى أول على

زوج من البهائم (حمير، بقر، خيول، بغال أو جمال) يستخدم في عملية الحرث. ويميز في هذا الصدد، بين الزوجة الصغيرة التي تتكون من حمارين، أو من حمار زائد

بقرة، أو فرس أو بغل) والزوجة الكبيرة (التي تتكون من فرسين أو بغلين أو جملين أو بقرتين، أو من فرس زائد بغل أو جمل أو بقرة).

أما إذا كان يجز المحراث حيوان واحد (فرس، بغل، جمل أو بقرة) فيُتحدث عن الفرد.

يعثر على الزوجة الصغيرة عند صغار الفلاحين، وتجرح محراثاً صغيراً نظراً لضعف قوتها على الجر مما يعطي منتوجاً قليلاً. أما الزوجة الكبيرة والتي تجرح محراثاً كبيراً، فنعثر عليها عند كبار الفلاحين.

وفي الأراضي الجماعية توزع الأرض على المستفيدين تبعاً لنوعية الزوجة التي يتوفر عليها الفلاح، مما يجعل التمايز الاجتماعي مقروناً بنوعية وعدد الزوجات لأنها هي التي تحدد المساحة الأرضية التي في ملك أو في حيازة الفلاح.

من ثم فالزوجة - في معنى ثان - تدل على وحدة زراعية لقياس الأراضي الزراعية، وهي المساحة التي يمكن حرثها بواسطة زوج من البهائم. وتختلف هذه المساحة تبعاً لطبيعة الأرض ونوعية الحيوانات المستخدمة في الحرث، إذ تتراوح ما بين 6 و8 هكتارات. إنها المساحة التي تستثمرها أسرة.

قبل الحرث، يحزى الفلاح أرضه إلى مجموعة مطاير (جمع مطيرة ويتعلق الأمر بمربع يساوي كل من أضلعه عشرين متراً) يحرثها ويزرعها الواحدة تلو الأخرى.

تكون المطاير المتواجدة الواحدة بجانب الأخرى.. "مرجع" وهي المساحة التي تحتجازها الزوجة ذهاباً وإياباً (رجوعاً) أثناء عملية الحرث. وتكون مجموعة من المراجع كرضة، بكعة أو كطعة وهي مساحة الفدان الذي يمتلكه فرد أو تمتلكه أسرة.

تعتبر الأرض من ثم ملكاً لصاحب الزوجة، ذلك أن التمييز بين من يملك ومن لا يملك يحيل لا على الأرض بل على الزوجة المستخدمة في الحرث. فالزوجة هي الوحدة المعتمدة في إحياء الأرض والتي تعبر عن القوة المادية الاقتصادية للفرد أو للمجموعة البشرية. فهي مقياس الضرائب وكذا الخدمة العسكرية، ومن ثم فإنها تترجم كذلك وتفسر السلطة التي يمكن للبعض أن يمارسها على الآخرين داخل المجتمع القروي.

للمزيد من التفاصيل، يمكن الرجوع إلى :

J. Berque, *Etudes d'histoire rurale maghrébine, les éditions internationales*, Tanger - Fès, 1938 ; P. Pascon, *La main d'œuvre et l'emploi dans le secteur traditionnel, Etudes sociologiques sur le Maroc*, Rabat, s.d.

عبد الجليل حليم

زورارا، دي، كومنس إيانس، (Gomes Eanes de

Zurar) من مشاهير الإخباريين البرتغاليين خلال القرن الخامس عشر ترك ما بين 1450 و1564 ثلاثة تآليف تهم التاريخ المغربي تغطي أحداث الفترة الممتدة بين 1415

و1564. استمد مادتها التاريخية من احتكاكه بالوجود البرتغالي بكل من سبتة والقصر الصغير، بفضل النشأة والرعاية التي أولاها إياها العاهل البرتغالي ألفونس الخامس، ومن اتصالاته برجال السياسة والحرب، ومن إشرافه على إدارة المركز الوثاقي المشهور "أرشيف طوري دي طومبو".

فبعد تعيينه مؤرخاً للبلاد البرتغالي شرع سنة 1449 في كتابة الأحرف الأولى من حولياته الخاصة باحتلال سبتة التي انتهى من كتابتها خلال سبعة أشهر، وذلك يوم 15 مارس 1450، وظهرت بعنوان تاريخ احتلال سبتة على يد الملك ضون جواو الأول *Cronica da Tomada de Ceuta por el Rei D. Joao I*، وقد تم نشرها بلشبونة سنة 1916 مؤلفة من مائة وأربعة فصول.

فبعد التطرق لموضوع الهدنة مع الجارة قشتالة بدأ زورارا الدخول إلى الموضوع ابتداءً من الفصل التاسع المخصص لبحث فكرة احتلال مدينة سبتة. ولم تظهر غزارة معلومات زورارا عن الحملة البرتغالية ضد سبتة فقط، بل إنه أدلى بمعلومات عن المدينة المحتلة نفسها وعن حاكمها المغربي الأخير صالح بن صالح الياباني المريني، وعن الحالة الحربية التي كانت عليها المدينة والبادية المجاورة لها.

بدأ زورارا في تحرير الحوليات الثانية سنة 1458 وانتهى منها يوم 23 يونيو 1463، وعنوانها : تاريخ الكونط ضون بيدرو دي منيسيس *Chronica do Conde D. Pedro de Meneses*. نشرت الحوليات بلشبونة سنة 1790، وهي ضمن مجموعة : *Colleçao de libros Inéditos de Historia Portuguesa*, vol. 2, pp. 205 - 624.

رأى زورارا في حولياته الثانية ربطها بالأولى، إذ أنه خصها لسرد أحداث مدة حكم قبطان سبتة الأول ضون بيدرو دي منيسيس ما بين 1415 و1437، وبها مادة تاريخية ثمينة تبدأ من الفصل الرابع، لحرصه على سرد الغارات البرتغالية على قرى، وعرفنا أثناء ذلك على رجال المقاومة ومراكز انطلاقتها وعلى غزواتهم. وأثنى ما تقدمه الحوليات هو إمكانية تركيب الخريطة السكانية للناحية.

يستغرق سرد الحوليات الثالثة المعنونة تاريخ الكونط ضون ضوارتي دي منيسيس *Cronica do D. Duarte de Meneses* من سنة 1429، وهي سنة بدء نياية ضون ضوارتي دي منيسيس عن والده ضون بيدرو في قيادة الغارات على حوز تطوان لتستمر الحوليات سردها بمناسبة احتلال البرتغال للقصر الصغير سنة 1458.

فابتداءً من الفصل الرابع شرع زورارا في استعراض أخبار المقاومة الموجهة ضد القصر الصغير. وقد سبق للمؤلف أن زار المدينة ومكث بها مدة سنة، أي ما بين 1467 و1468. ومن مشاهداته واتصالاته بالحاكم ورجال الحملات، وبعض المغاربة الداخلين إلى المدينة استقى معلوماته عن أمجرة ويني حزمارة وطنجة البالية.

تكثر في الرمل وهي المنخربات (Foraminifères) التي في تنقلها بين حبات الرمل بالمجسات الخيطية لزوقية الأرجل التي ما عليها إلا أن تحمل ما علق بهاته الخيوط إلى فمها.

رغم أن زورقيات الأرجل حيوانات مائية فهي لا تتوفر على خياشيم فالجبية (manteau) تلعب لديها دور الرئة والخياشيم حيث كما أدخل الفرد إلى جسمه الماء أثناء الشهيق يقع تبادل غازي بين الماء وجدار الجبية التي تمص الأوكسجين من الماء وتزوده بأوكسيد الكربون.

تكون الأجناس منفصلة عند زورقيات الأرجل ويتم التخلص في الماء خارج جسم الأنثى.

يوجد في المغرب حوالي 15 نوعاً من زورقيات الأرجل يتم جلبها من البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي. لكن إذا كانت زورقيات الأرجل التي تعيش في المياه غير العميقة معروفة نسبياً فلا يعرف التي الكثير عن الأنواع التي تعيش في المياه المغربية العميقة ما عدا بعض ما جلب من بعض الرحلات العلمية القديمة.

محمد منبوي

الزوركند، أحد طبوع الموسيقى الأندلسية المتفرعة عن طبع الزيدان ذكر الحايك أنه بارد رطب نغمته شجية، ونسب استخراجها لمحمد بن عبد الرزاق من جزيرة الأندلس.

يرتكز الزوركند على مطلق وتر المايمة (نغمة ري) مع اشتمال دليل المقام على درجة "فا" الصاعدة (فاديبز) عند صعود الجمل الموسيقية.

تقوم على هذا الطبع صناعات نادرة مدمجة في نوبة الاصبهان. وهي كل ما تبقى من نوبة الزوركند الضائعة. ومن نماذج هذه الصناعات صنعة من قائم ونصف الاصبهان أولها :

بالله يا زين الصغار كف الجفاسا
ومن نماذجها أيضاً "كرش صنعة" يا حبيب مه" من بطايحي الاصبهان.

محمد ابن الحسن الحايك، المقدمة : إبراهيم النادلي، أغاني السقا ومغاني الموسيقى الباب الخامس، ص. 31 : عبد العزيز ابن عبد الجليل، معجم مصطلحات الموسيقى الأندلسية المغربية، منشورات معهد الدراسات الأبحاث للتعريب، 1992، ص. 29.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

زُوزَان بن يعلى : شخصية تجهل عنها الكثير، بيد أن ما هو متداول في الروايات الشفوية، وما تتضمنه أنساب بعض الأسر الوسيطية، فإن نسبه شريف، يتصل بالفرع الإدريسي. وكان موطنه الأصلي هو "تامدولت واقا" المشهورة، نزح منها صحبة أولاده الثلاثة : حركيل، محمد أوتزليت، إدريس، بعد تهديهما، حسب ما هو متواتر في

ونعلم من جهة أخرى أن العاهل البرتغالي الفونس الخامس كلف كاتبه الإيطالي الأصل "ماتيوس دي بيزانو" Mateos de Pizano بترجمة جزء حوليات زورارالخاصة باحتلال سبتة إلى اللغة الإيطالية، وهو ما تم بالفعل سنة 1460، وظهرت الترجمة باسم "عن الحرب السبتية" (De Bello Septense) ثم أعيد النص إلى البرتغالية.

ح. الفكيكي، مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية الغربية، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

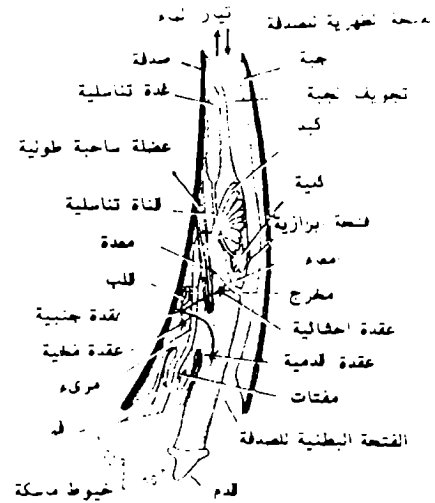
Gomes Eanes de Zurara ; *Cronica do Tomada de Ceuta ; Cronica do Conde D. Pedro de Meneses. Cronica do D. Duarte de Meneses.*

حسن الفكيكي

زورقية الأرجل، هي من الرخويات أو النواعم لا يوجد لها مثيل على اليابسة والمياه العذبة القارية. لا تعيش إلا في المياه البحرية في أعماق تتراوح ما بين بضعة أمتار حتى أكثر من ثلاثة آلاف متر.

شكل صدفتها الخارجي يجعلها متميزة على باقي الرخويات، فهي أنبوبية، أسطوانية، شبيهة بناب الفيل مفتوحة من نهايتها الأمامية والخلفية.

يتكون الجسم من ثلاثة أقسام : الرأس وهو غير واضح المعالم وبدون أعضاء حسية ظاهرة ماعدا بعض الخيوط أوالمجسات الخيطية التي تمكنه من التثبيت داخل الرمل، أما القسم الثاني فهو الرجل، وهي شبيهة باللسان تلعب دوراً رئيساً في الحفر وتمكين الصدفة من الدخول في الرمل. يبقى ثالث قسم وهي الكتلة الإحشائية فتتكون من الأعضاء الأساسية لهذا الحيوان من جهاز هضمي ودموي...



ونظراً لمنط عيشه داخل الرمال فهو لا يستطيع ملاحقة الطرائد السريعة، وبذلك فهو محكوم عليه بتطوير نمط تغذيته حتى يستطيع أن يؤمن ديمومة جنسه ونوعه لذلك فقد "اختارت" زورقيات الأرجل أن حيوانات جد دقيقة

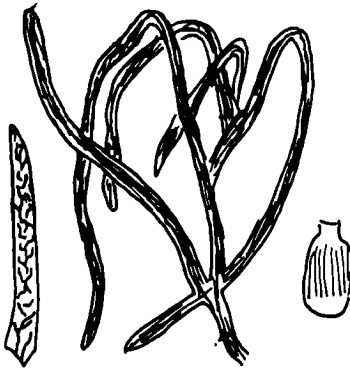
- الطبقة الكلسية : المكونة خلال الزمن الأول والتي تنعش عيون واحة فكيك بصيب مستقر تم تقديره بـ 170 إلى 200 ب / ث. وقد تم إحصاء 28 فكارا (خطارة) بهذا الحوض.

وتعتمد الحياة الاقتصادية لهذا الحوض على الفلاحة بصفة عامة وتربية المواشي في المراعي بصفة خاصة إلى جانب الزراعة بواحة فكيك التي تمتد على مساحة تناهز 600 هـ والتي تحتوي الحصري على المدار الوحيد لفكيك الذي يتمحور حول جل النشاط الاقتصادي بالحوض.

تقدر ساكنة مدينة فكيك بـ 14.542 نسمة (1994) تستمد مياهها بواسطة بئر وثقب عميق (39 ل / ث) ويبقى هذا الصيب كافيًا بالنسبة لهذا المركز حتى سنة 2020 نظرا للنقص المسجل في عدد سكانها. وللمحافظة على الحياة الاقتصادية بهذا الحوض يجب مراقبة حفر الآبار بكل صرامة ودراسة إمكانية تعبئة المياه العميقة لحوض زوزفانا.

موحا حدوش

زوستيرا أو عشبة الأتقليس كما هو في المعاجم، نبات معمر بحري من فصيلة بوتاموجيتوناسي Potamogetonaceae. أوراقه خضراء، ضيقة وطويلة جدا تشبه الحزام مما أدى إلى تسميتها بزوستيرا الذي يعني باللاتينية الحزام؛ يألف المداخل البحرية الضحلة كمصبات الأنهار والبحيرات الساحلية والسواحل البحرية الخليجية المحمية من اضطرابات الأمواج والقليلة العمق (بين متر و3 أمتار). نوعان من هذا العشب يعيشان في المياه المغربية: زوستيرا نانا وزوستيرا مارينا.



زوستيرا

يتميز نبات زوستيرانانا *Zostera nana* Roth بأوراق يتراوح طولها بين 40. 10 سم ولا يتعدى عرضها ميليمترين، غمدتها مشقوق ولها ثلاثة عروق رئيسية طولية، الجانبين منها غير واضحتين. الجذور متفرعة جدا، الوردة مخضرة عارية تتكون من أسديتين وخباء واحد فقط، الورود صغيرة وأحادية الشق ولا عنقية، موضوعة على صفين متوازيين والشمار ملساء. النوع شائع في البحيرات

الروايات، من قبل القائد محمد بن علي أمناحاك. انتهى به المطاف بجبال جزولة، وبالتحديد بمنطقة "تافراوت المولود"، بينما توزع أولاده في مجالات جغرافية بالأطلس الصغير الغربي مكونين وحدات قبائل إيداولتيت. وتسعفنا مشجرات أنساب بعض الأسر الوليتية بوضع خطاطة تقريبية لفروع آل زوزان والتشكيلات القبلية المنبثقة عنها :

زوزان

- 1 : أولاده
حريجل محمد أوتزلت إدريس أسلال
أبعقل أرسموك
- 2 : مجالات الاستقرار أفلا أنزي موزيت بومروان
- 3 : القبيلة
إيداو غارسنوكت إيداو وبعقل إيداو وسلال

نسب آل زوزان، وثيقة من خزنة العوفي، تيزنيت : م. المختار السوسي، المعسول، ج. 11 : 19، 203 : 241.

L. Justinard, Notes sur l'histoire du Sous au XVI siècle, A.M., vol. XXIX, Paris, 1933.

أحمد بومزكو

زوزفانا، حوض مائي يمتد على مساحة إجمالية تقدر بـ 3.000 كلم²، على طول الحدود المغربية الجزائرية. ويعتبر هذا الحوض المورد الأساسي للحياة الاقتصادية لواحة فكيك.

وبالرغم من قلة الموارد المائية السطحية بهذا الحوض، فإن البنية الجيولوجية ساعدت على توفير المياه الجوفية بكمية لصيانة واحات فكيك.

ويحكم ارتفاع درجة الحرارة في فصل الصيف (42.5 درجة مئوية) وانخفاض معدل الحرارة في فصل الشتاء (3.5 د م) عامل اميرجر (10.3) يجعل هذا الحوض في الطابق الصحراوي ذي فصل شتوي بارد إلى معتدل.

ويقدر معدل التساقطات خلال 41 سنة بـ 115 ملم بهذا الحوض يتم تسجيلها في مدة وجيزة (19 يوما) الشيء الذي يؤدي إلى فيضانات حملة أو ثلاث حملات في السنة. ويقدر معدل ارتفاع المياه السطحية بـ 10.8 ملم سنويا على مستوى الحوض كله مسجلة معدل 35 م³ كواردات.

أما المياه الجوفية، فيتم استخراجها من طبقتين :

- الطبقة الترسيبية : المكونة خلال الزمن الرابع على مساحة 35 كلم² بسمك 20 م يتم استغلالها بواسطة حوالي 60 بئرا وبمعدل صبيب 250 ل / ث. وبخصوص ملوحة مياهها فإنها تزداد حدة من الشمال الجنوبي حيث تم تسجيل مستويات تختلف من 1غ / ل إلى أكثر كم 7غ / ل.

المغربية الساحلية : بحيرة الناظور ومولاي بوسلهام وسيدي موسى والوليدية وخنفسيس وشرم الداخلة وكذلك في مصبات الأنهار : تاهدارت واللكوس وسبو وأبو رقرق وأم الربيع وماسة وغيرها. تفضل الأماكن الوحلية الرملية وتقتات منها عدة أنواع من الأسماك : حلامة، الأنقليس، البوري وغيرها من الأصناف اللاقارية العاشية. تشكل مراعي بحرية شاسعة تستعملها عدة أنواع من الحيوانات البحرية كملجاً لوضع البيض وللبحث عن المأكولات وللحماية (خاصة منها القشريات الصغيرة والسرطانات النهرية : *Carcinus maenas* و *Carcinus aestuaris*).

أوراق نبات زوستيرامارينا *Zostera marina* Linnaeus قصيرة وعريضة (بين 3-8 ميليمترات)، غمدها غير مشقوق ولها 3-9 عروق رئيسية طويلة واضحة. الجذور متفرعة، الوردة خضراء عارية تتكون من أسديتين ومدقة، الورود موضوعة على صفيين متوازيين والثمار محززة طويلاً. يقتصر توزيعه الجغرافي على البحيرات الساحلية وبعض مصبات الأنهار الأطلسية من شمال الدار البيضاء إلى طنجة وفي بحيرات الساحل المتوسطي. غالباً ما تكون مراعي شاسعة في الأماكن الوحلية والرملية العميقة (من متر إلى عشرة أمتار) تلتجئ إليها حيوانات بحرية مختلفة تشكل مصدراً غذائياً هاماً للطيور المائية المهاجرة في فصل الشتاء.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc : Evaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 2000; P. Fournier, *Les quatre flores de France*. I : Texte, Paris, 1977, 1105 p. ; M. Ibn Tattou, *La grande encyclopédie du Maroc*, Fl. e. 1987, p. 130 - 131.

نجاة الخياطي

ابن زوليط، أحمد قائد كان بجانب السلطان محمد المتوكل عند ما لجأ هذا الأخير إلى قصبة إسناده (الواقعة بقبيلة بني بطفة الريفية) في شهر رمضان 1985 نوفمبر 1577 ؛ كما كان بجانب السلطان المذكور في معركة واد المخازن.

San Roman, Fr. Antonio de, *Jornada y muerte del Rey Don Sebastian*, Valladolid 1603 ; Cruz (Fr. Bernardo da), *Chronica de El Rei don Sebastian*, Lisboa 1837 - y 1903.

محمد ابن عزوز حكيم

زومي، لكلمة زومي مدلولان، المدلول الأول أمازيغي ومعناه : المضيق، أو مكان يقع بين عدة هضاب وروابي ونجود وجبال وبالنظر في موقع زومي، فإن إطلاق الكلمة زومي على هذا الموقع بهذا اللفظ دلالة حقيقية... ومعنى الكلمة : زم أي ضيق، وهي تقيض واسع، وتشابهها كلمة زمزم القبطية، والسؤال الصعب الجواب هو متى أطلق هذا الاسم على هذه البقعة من بني مسارة ؟ ومن أطلقها ؟.

والمدلول الثاني للكلمة هو أن الظاهر من تاريخ منطقة زومي أنها كانت مسكونة باهالي السوس الأدنى الذين ظلوا بها عشرات القرون قبل الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا وقبل زمان الترحيل، وغالب الظن أن هؤلاء هم الذين أطلقوا عليها هذا الاسم "زومي" بناء على الموقع الجغرافي للمكان وعلى هذا الاحتمال فإن التسمية قد تكون قديمة قدم السكان الأوائل الذين سكنوا المنطقة وهذا هو الراجح لدى عامة السكان الحاليين، فالموقع الجغرافي "لزومي" يوجد بين عدة جبال ونجود وهضاب وروابي منها : جبل تراسة، والبابية، والوسعة، وعين أقطار، وهضبة بونيريز وربوة السوق القديمة.

وطبيعة هذا الموضع تدل على أنه كان ذا مياه جارية تنساب إليه من الجبال والمرتفعات المحيطة به من كل الجوانب، وأنه كان كذلك ذا أشجار وارفة الظلال ومختلفة الثمار، وهذا الموقع هو ما يعنيه الاسم باللهجة البربرية.

ولكلمة زومي ما يناسبها من الأسماء في الوطن العربي مثل قرية : زومة بالجزائر، وقد يكون أصلها أيضاً أمازيغياً، وما يشير الانتباه أن أكثرية الأسماء والمواقع بمنطقة زومي مازالت أمازيغية إلى يومنا هذا، وعلى سبيل المثال : مدشر ازاريف، وعين أغيبول وأسرودن...

وقعت زومي تحت الاحتلال الفرنسي سنة 1927، وبنيت بها أول مدرسة أهلية لتعليم أبناء الأعيان سنة 1930، وتحولت إلى جماعة قروية سنة 1962، وظلت تابعة للعاصمة الإدارية الرباط حتى سنة 1968 حيث أصبحت تابعة لإقليم الفينيطرة حتى سنة 1974 إذ أصبح الجزء الأعلى من قبيلة بني مسارة الذي يضم زومي تابعا لإقليم شفشاون، عدد سكان مركز زومي وحده : 2.175 نسمة وعدد الأسر بالمركز 472 أسرة.

أما عدد سكان الجزء الأعلى من قبيلة بني مسارة الذي يضم زومي فهو : 33.849 نسمة وعدد الأسر به هو : 5.517 أسرة...

عبد السلام البكاري

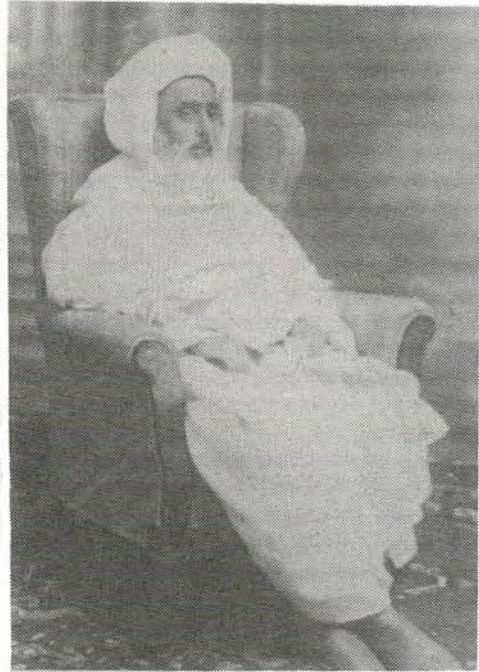
الزواقي أو الزواقي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Zuac و Zaguaque و Azaguaque

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 786.

محمد ابن عزوز حكيم

الزواقي أو الزواقي أحمد بن الطاهر الكونوني الحسني. قدم جده الرابع أو الخامس من مدشر الزواقي بقبيلة بني مسارة المذكور إلى تطوان.

شيخنا الفقيه العلامة المشارك المدرس المفتي القاضي
التزيه الورع القانت الخاشع، قال تلميذه الرهوني : سألته
بواسطة عن ولادته وقراءته فأجاب بقوله : إن ولادته كانت
عام 1277 (وما ورد في كتاب (الحركة العلمية الثقافية
بتطوان) لسبطه الأستاذ إدريس خليفة من أنها كانت سنة
1276 سبق قلم) وأن شيوخه اللذين قرأ القرآن عليهم :
والده المذكور والفقيه سيدي أحمد العروسي وسيدي محمد
البوزراتي، وأن طلوعه لفاس كان في أوائل عام 1297
ورجوعه منها في أواخر شعبان عام 1305 وأنه قرأ العلوم
الشرعية والآلية المعروفة على المشهورين يومئذ من علماء
فاس وتطوان المشايخ : أحمد بن الخياط وكان عمدته، وعبد
الملك العلوي الضرب، والكامل الأمراني، ومحمد بن
التهامي الوزاني وأحمد بن الجيلالي الأمغاري، والطبيب ابن
كيران وأحمد بناني ومحمد بن المدني گتون وأقرانهم،
ويتطوان : محمد البقالي، ومحمد النجار الأنصاري ومحمد
بوعزيز الجزائري وغيرهم. وأخذ عنه جل علماء تطوان بعده،
وحج بيت الله الحرام في حدود عام 1326 ثم حج ثانياً عام
1331 وجاور بالمدينة النبوية أشهراً عاد بعدها لبلده ولعمله
في الخطابة والتدريس وكان يستخدم كاتباً بدار النيابة
السعيدة بطنجة عام 1309 ولكنه ضاق درعاً بها فاستقال



وعاد إلى بلده ودروسه فحتم ما شاء الله من المتون العلمية
ومنها ما قرأه كله مراراً كمختصر خليل أقره مراراً على
طوله، وبعد وفاة القاضي السيد التهامي أفيلال عين
قاضياً بتطوان ولكنه استعفى منه وعين أستاذاً خاصاً
للخليفة السلطاني الحسن بن المهدي الذي كان يجله ويدافع
عنه اعتراض السلطة الإسبانية على شدته وصلابته في
الحق، ثم أسند إليه منصب مشيخة العلوم والمعارف

الإسلامية عام 1346 / 1927 ثم عين قاضياً بالقصر الكبير
وتعرض للاغتيال بسبب معارضته للقائد الماللي فسلمه الله
ورجع إلى تطوان فعين قاضياً للمرة الثانية، ثم قاضياً
لناحية الجبلية، وظل كذلك إلى وفاته.

وهو في جميع هذه الأطوار لم يتقاعد عن الإمامة
والخطابة والتدريس ولا نعلم في تطوان من كان في سنه
ووظيفه وهو مواظب على الإمامة بجامع السوق الفوقي
حتى في صلاة الفجر رغم تعرضه للسرقه ومحاوله الاعتداء
عليه ومازلت أذكر لزومه محله تجاه المحراب عقوداً من
السنين لتلاوة أذكاره وأوراده بين العشائين ولاشتغاله
بتحرير الأحكام ومطالعة الدروس وتصفح الفتاوى والرسوم
لم يترك مؤلفات الا مقيدات مسودات وطرراً كثيرة على
كتبه لو تصدى لجمعها وتصنيفها لجاء منها كثير من
الكتب والرسائل في مختلف الموضوعات.

ومن انصافه رحمه الله ما حدثني به الفقيه الأديب
السيد محمد غلال البختي وكان كثير المخالطة له أنه كان
يذاكره في مسائل فروعية وغيرها ويشير إلى ضعف مدرك
المالكية فيها، فكان يصغي باهتمام ويتأسف لفوات الوقت
عن تدارك هذا والاشتغال به، ويقول هو العلم الصحيح لا
مجرد الرأي ومثل هذا الموقف كان من تلميذه الفقيه محمد
المير الذي وقف على كتاب التمهيد لابن عبد البر لما أهدى
إليه واجال النظر فيه، فتحسر وقال أنه لم يبق مجال في
العمر للاشتغال به، ولم يلبث أن توفي الفقيهان نفعهما الله
بنيتهما.

توفي المترجم بتطوان في 17 جمدي الأولى 1371 / 13
فبراير 1952 ودفن بالزاوية القادرية ورثي بكلمات وقصائد
نشرت بمجلة الأنوار التطوانية عدد مارس - أبريل 1952.

أ. الرهوني، عمدة الراوين في تاريخ تطوان، 6 : 163، مخطوط ؛ 2
: 500 ؛ إ. خليفة، الحركة العلمية والثقافية بتطوان، طبع الأوقاف
المحمدية؛ ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب،
بيروت، 1996، 9 : 3273، ط. دار الغرب.

الزواقي أو الزواق **محمد بن الطاهر الكونوني الحسني**
المستاري الأصل، قدم أحد أجداده من مدشر الزواقين بقبيلة
بني مستارة إلى مجشر الكوف بقبيلة الحوز ومنها نزل
تطوان واستوطنها.

الفقيه العلامة المشارك القاضي الأديب الكاتب الشاعر
ولد بتطوان عام 1282 وحفظ القرآن على والده والفقيه
البوزراتي، ثم شرع في القراءة والأخذ عن علماء بلده فأخذ
عن سيدي المفضل أفيلال ومحمد البقالي وطبقتهما، ثم
لحق شقيقه الفقيه السيد أحمد بفاس فلازم معه سيدي
أحمد ابن الخياط وطبقته وشارك أخاه في جل شيوخه
منكباً بكامل الاجتهاد والجد على التحصيل يساعده في
ذلك ذهن سيال وحافظة قوية وعارضة أحوذى إلى أن

وقد اشتهر زويتن بإنجازة لنسخة من كناش الحايك، نسخها بخط يده، وهي التي مهد لها الحاج محمد ابن المليح دون أن يفصح عن ذكر اسمه والتي نشرت مكتبة الرشاد بالدار البيضاء نسخا مصورة منها في بحر عام 1392 / 1972.

وقد ظلت نسخة زويتن بمفردها عمدة الراغبين في حفظ أشعار الآلة الأندلسية إلى حين ظهور المجاميع التي أنجزها على التوالي عبد اللطيف بنمنصور عام 1397 / 1977 والمرحوم الحاج إدريس ابن جلون التومي عام 1401 / 1981، والمرحوم الحاج عبد الكريم الرايس عام 1402 / 1982.



وقد كان أحمد زويتن على رأس وفد المسمعين المادحين الذين يستقدمهم السلطان المغفور له محمد الخامس من فاس إلى الرباط ليلة المولد النبوي، وكانت تسند إليه مهمة تسيير المجموعات الفنية بهذه المناسبة، فإذا أشرف الحفل على النهاية تصدى لإنشاد قصيدتين في مدح السلطان من نظم الوزير المعمرى والنقيب عبد الرحمن بن زيدان، ينشدهما على طبع الموسيقى الأندلسية.

وقد كان زويتن إلى جانب براعته في السماع والانشاد غزير الحفظ لأشعار رجالات التصوف وموشحاتهم وأزجالهم.

توفي بفاس في تاسع ربيع الثاني عام 1380 / فاتح أكتوبر 1960، ودفن في القباب خارج باب الفتوح.

ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع : سل النصال / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج 9 : 3354. 1355 : عبد اللطيف بنمنصور، مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المعروف بالحايك، 1397 / 1977، ص. 459 : رواية شفوية للفنان المسمع المكتاسي مولاي إدريس الشبهي.

زويتن، العابد مطرب شهير، ولد بفاس عام 1350 / 1931. وقد التحق طفلا - بكتاب الفقيه فضول أگومي، فحفظ ما تيسر من القرآن الكريم، ثم تحول إلى مدرسة الفقيه التادلوي حيث حصل على الشهادة الابتدائية عام 1946.

حصلت له الملكة وتأهل للتدريس والفتوى فرجع إلى بلده عام 1309 وعكف على التدريس والعدالة إلى أن استخدم عدلا بدار أعدل بفاس عام 1314 ثم عدلا بمرسى الجديدة 1316 / 1898 ثم عدلا بمرسى العرائش 1318 / 1900 ثم عدلا بمرسى الرباط 1322 / 1904 ثم عدلا بمرسى طنجة 1324 / 1906 وفي تلك السنة حج حجة الفريضة ثم رجع إلى بلده، وعند تأسيس أول حكومة خليفية بتطوان برئاسة الصدر الفقيه محمد ابن عزوز المراكشي عين المترجم له كاتبيا للحكومة لما كان يعرف عنه من جودة إنشاء وبلاغة منطوق وحديث الناس عن البيعة الخليفية التي أنشأها بطلب من القاضي التهامي أفيلال فكتبها مجلسا بخط أنيق وإنشاء بديع. وبعد ما عين السيد أحمد الدكينة صدرا أعظم وغاب لموجب ناب المترجم له عنه خمسة أشهر حمدت فيها سيرته، واستجيدت سياسته وفي عام 1345 / 1926 عين قاضيا بمدينة القصر الكبير ومكث به إلى وفاته.

لا يعرف للمترجم له تأليف مستقل إلا أنه حرر كثيراً من التقارير والأحكام والرسائل ضاع أكثرها وهي لا تخرج عن مساره في الجودة لفظاً ومعنى، ويذكر عنه من اتفاق التعليم والتفهيم وابتكار الأساليب المفيدة في ذلك ما سبق به زمانه وتعاطى النظم إلا أنه كان يرضن به لأنه يراه دون ما يريد ورأيت مرة عند بعض الناس نسخة من كتاب زهر الأفتان من حديقة ابن الونان وهو شرح سيدي أحمد بن خالد الناصري على قافية ابن الونان الشهيرة طبع على الحجر بفاس في مجلدين، وقد كتب المترجم له على هامشها طراً متداخلة على طول الكتابة بخطه المتقن الدقيق اشتملت على فنون من التحقيقات والتدقيقات والفوائد البديعات ولا أدري مصير تلك النسخة، وإذا ضاعت ضاع بها علم غزير وفكر أثير ولله في خلقه شؤون.

توفي المترجم له بمدينة القصر الكبير عام 1374 / 1928 ودفن بضريح سيدي علي أبي غالب رحمه الله.

أ. الرهوني، عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، 6 : 166، مخطوط ؛ إدريس خليفة، الحركة العلمية والثقافية بتطوان، المحمدية، 1994، 2 : 516.

محمد بوخيزة

زويتن، أحمد بن الحسن من مواليد مدينة فاس عام 1313 / 1895. أخذ العلم عن شيوخ القرويين : أحمد بن الجليلي الأمغاري، وأحمد بن محمد ابن الخياط الزكاري الحسني، والمهدي الوزاني، وأحمد العمراني، ومحمد بن قاسم القادري وغيرهم. وأخذ التصوف عن الشيخ محمد بن المفضل ابن إبراهيم الأندلسي الفاسي (ت. 1326) وهو عمدته. كما أخذ الموسيقى عن حذاقها بفاس، كمحمد بوقاع، وأحمد بن الطاهر العلمي، وبرع في فن الموسيقى الأندلسية، كما برع في فني المديح والسماع.

وجد العابد زويتن في أجواء عائلته ما شجعه على أن ينخرط في ميدان الفن الموسيقي، فقد كان والده من حفاظ المديح النبوي ولم يتردد في أن يلقنه وهو في العقد الثاني من عمره. بعضاً من مستعملات السماع والمديح ومختارات في الستينيات والماويل، وبذلك نال استحسان ابن عمه شيخ المادحين بفاس أحمد بن الحسن زويتن سابق الترجمة.

في بداية الخمسينيات تعرف العابد زويتن على عازف القانون الفنان الغالي الحسني الذي كان يرأس جوق الشعاع الفني بفاس، فضمه إلى مجموعته، وبذلك دخل دنيا الموسيقى العصرية كعازف على آلة الكمان. وقد شجعه تعلقه بهذه الآلة على المشاركة في المباراة التي نظمتها الإذاعة الوطنية عام 1957 بهدف استقطاب عناصر شابة من المغنين والعازفين، وكانت لجنة التحكيم مشكلة من عبد الرحيم السقاط. والمعطي بلقاسم، ومحمد زنيبر، فحالفه النجاح، ودعي إلى الرباط يشتغل في جوق المنوعات برئاسة المرحوم أحمد الشجعي؛ ثم لم تمض غير ثلاث سنوات حتى عاد في رفقة الشجعي إلى فاس ليستغل معه في جوق الإذاعة الجهوية بها، وليشكل إلى جانبه ومعهما محمد المزكدي والمرحوم محمد فويتح. كوكبة من الفنانين أهلت جوق فاس ليصبح في مقدمة الأجواق العصرية التي أسهمت في تطوير الأغنية المغربية.

تميز العابد زويتن في العزف على الكمان، ويرع في أداء المقدمات والفواصل الفردية، كما تفرد في تلحين مقطوعاته الموسيقية على هذه الآلة، وبذلك شد عن غيره من الموسيقيين الذين كانوا يعتمدون آلة العود في تلحين الأغاني.

لحن العابد زويتن ما يزيد عن خمسين مقطوعة غنائية سجل أغلبها مع جوق إذاعة فاس. ومن بين هذه المقطوعات: كان يحن علي كان - فين غاب القمر - غير باللطافة - ضاعت لي نواره - أنا اللي ابغيتو - سيدي يا رسول الله - يا حجاج بيت الله - بلادي - أنا امسامحك - صباح الخير - الريح - الحب الكبير - أغنية رمضان - المشوم - هذي ثلث أيام.

وقد غنى للفنان زويتن مشاهير المطربين المغاربة في مقدمتهم المطرب عبد الحمي الصقلي الذي أدى جل أغانيه، ثم إسماعيل أحمد، والمعطي بلقاسم، ومحمد الإدريسي، ومحمد علي، ومحمد المزكدي، وعماد عبد الكبير، وعبد المنعم الجامعي، كما غنى له من المطربات سعاد محمد، وتحفة المذكوري، ولطيفة رأفت، وعتيقة المجدوبي.

توفي في ذي القعدة عام 1419/ مارس 1999 عن عمر يناهز ثمانية وستين عاماً بعد معاناته طويلة من المرض.

بطاقة شخصية ضمن أرشيف الإذاعة الوطنية بالرباط؛ جريدة العلم، 11 مارس 1999.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن الزويزي، عبد الله بن أيمن، فقيه من أهل أصيلا تولى القضاء بها. ويعتبر من الطبقة الثانية ممن نبغ من فقهاء المغرب، عاش في أواخر القرن الرابع الهجري. كان بعيد الصيت في الفتوى على المذهب المالكي، حتى صار مضرب المثل في ذلك، وقد قال عنه القاضي عياض: "وبه يضرب المثل إلى الآن بالمغرب، ويقولون: لا أفعل كذا ولو أفتاك به ابن الزويزي". وكانت له مشاركة في الجهاد بثغور الأندلس زمن الإمارة العامرية، على عادة كثير من فقهاء المغرب الأقصى. ورغم شهرة هذا الفقيه وذبوع صيته فإنه لا تعرف له ترجمة أو ذكر عند غير القاضي عياض، كما هو الشأن بالنسبة لعدد آخر من فقهاء المغرب في الفترات المتقدمة، كما لا يعرف تاريخ وفاته.

القاضي عياض، ترتيب المدارك، تج. سعيد أعراب، الرباط، 1982، ج. 7، ص. 110.

محمد المغراوي

الزوين ← سيدي الزوين

الزيات والزياتي، أسرطان تطوانيتان أصل الأولى من قبيلة غزاوة الجبلية وأصل الثانية من قبيلة بني زيات الغمارية وانقرضتا بتطوان سنة 1201 / 1787. وقد أنجبتا عدة علماء وفقهاء وأدباء منهم عبد السلام الزيات، كان يزاوّل خطة العدالة بتطوان من سنة 1148 إلى 1156. وعلي بن محمد الزياتي فقيه تولى خطة العدالة من سنة 1020 إلى 1058 / 1611 - 1648.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطوان 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1628.

محمد ابن عزوز حكيم

الزياتي، أحمد بن يوسف بن مهدي العبد الوادي. أصله من بني عبد الواد من قبائل زناتة التي كان لها الملك والسلطان بتلمسان، انتقل سلفه إلى بني زيات - إحدى قبائل غمارة، واستوطنوا مدينة تيجيساس، وبها ولد المترجم عام 1953 / 1546 ولما ولي عليها من قبل المرينيين فارج بن مهدي، جلا عنها أهلها لظلمه، ونزل بنو مهدي بمدشر بني جلا (جلدت)، ثم رحل هو وأخوه محمد إلى فاس لطلب العلم - حيث أخذ عن جماعة من الشيوخ كآبي العباس القدومي - ولازمه مجلسه مدة، وأحمد المنجور، وسواهما؛ ثم عاد إلى بلده فصحب أبا العباس أحمد الفلالي - دفين قبيلة بني بوزرة - بغمارة، وأخذ عنه طريق التصوف؛ ولما مات، عاد إلى فاس - ثانية - فصحب أبا المحاسن يوسف الفاسي، فتأثر بسلوكة، ومال إلى الزهد والخلوة، ولبس الخشن من الثياب؛ وقد ارتحل عن فاس

عندما اضطرب أمرها، فاستوطن تطوان، وتولى التدريس والخطابة بها، فانثال عليه طلبتها يحضرون مجالسه، ويأخذون عنه، فكان عالمها حقيقة.

ومن مؤلفاته :

1- أجوبة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط (571- ك).

2- تأليف في الأنساب بنفس الخزانة (654- ك).

3- حاشية على رسالة ابن أبي زيد القيرواني - مبتورة الأول - مخطوط الخزانة العامة - ضمن مجموع من ص. 40- 114 رقم (815- ك).

4- وله كتابات على طرر ابن عات.

5- وحواش على التنائي الصغير - ذكرهما ابن أخيه عبد العزيز الزياتي في الجواهر المختارة 179. 1 - ب، 2. 133. أ (مخطوطة خاصة). فأبو العباس الزياتي : عالم عامل، من أئمة النحو في عصره، حافظ للغة، قائم عليه.

توفي بتطوان عام 1594/ 1003 ودفن بجوار سيدي طلحة غربي المدينة.

ابن القاضي، درة المجال، دار النصر للطباعة، 1392 / 1970، 1 : 169 ع، العزيز الزياتي، الجواهر المختارة، مخطوطة : ع. الرحمن الفاسي، ابتهاج القلوب : م. العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص. 227، ط. حجرية بفاس، 1324 / 1906 : م. القادري، نشر المثاني، موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 3 : 1070 : م. داود، تاريخ تطوان، تطوان، 1379 1959، 1 : 315-317.

سعيد أعراب

الزيّاتي، الحسن بن يوسف بن مهدي أبو الطيب أحو أحد سابق الترجمة ولد في منتصف جمدي الثانية سنة أربع وستين وتسعمائة / منتصف أبريل 1557 ببلده، وبه أخذ مبادئ القراءة والعلوم ثم رحل إلى فاس وبعده لحق به أخواه فأخذ عنهما ولازم شيخ المقرئين أحمد بن قاسم القدومي إلى أن توفي فوجد عليه كثيراً. وأخذ عن عبد الواحد الحميدي مختصر خليل، وعن القصار الموطأ والصحيحين، وأجازة هذا إجازة عامة بخطه وأخذ عن غيرهم حتى تضلع من المعارف وشارك في أنواع علوم عصره مع الضبط والتحقيق والإتقان، وكان له ولأخويه اعتقاد في الشيخ محمد النيجي فسمعوا أنه قصد أبا المحاسن يوسف الفاسي واتخذة شيخاً فما كان من صاحب الترجمة إلا أن توجه إليه وأخذ عنه وختم عليه القرآن مراراً وعُني الشيخ أبو المحاسن به وأقبل عليه وقربه وازداد اختصاصه به إلى أن زوجه ابنته وأسكنه معه وكفاه مؤنته إلى أن توفي أبو المحاسن، وهو قبل ذلك وبعده منقطع للدرس والتدريس والتأليف فانتفع به خلق كثير وتدوالت مؤلفاته التي معظمها حواشٍ على كتب كحاشيته على شرح المكلاتي للامية الأفعال وعلى شرح الشريف للأجرومية وعلى شرح الصغرى للسوسني، وعلى شرح التنسي لضبط الخراز، وعلى شرح المكودي للالفية وعلى مختصر خليل كتبها على هامش نسخته وهي جد

مفيدة، وجمع أجوبة شيخه أبي المحاسن وشرح الصلاة المشيشية ولامية الجمل للمجراد، وتوضيح ابن هشام رد فيه كثيراً على الأزهري في التصريح. كتب منه نحو النصف في سفرين ولم يكمل، كتب تقييد وأجوبة وفوائد تركها في بطائق وأوراق متناثرة جمعها بعد وفاته ولده عبد العزيز.

ولما اختلّت الأحوال بفاس واضطرب الأمن وتفاقت الفتنة خرج المترجم فاراً بنفسه ودينه سنة 1022 / 1613 إلى جبل كُرت من بلاد عوف وأقام به متعيشاً من أرض له هناك وماشية إلى أن مرض وتوفي يوم الثلاثاء بين الظهرين رابع وعشري رمضان سنة 1023 / 28 أكتوبر 1614 ودفن بزاوية الهبط من الجبل المذكور.

م. القادري، الإكليل والتاج، تج. مارية داداي، د. د. ع، مرقون؛ نشر المثاني، موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996 : خ. الزركلي، الأعلام، 2 : 228، ط. رابعة بيروت.

الزيّاتي، عبد العزيز بن الحسن بن يوسف بن مهدي العبد الوادي، وأمه بنت الشيخ أبي المحاسن الفاسي، وبها شب ولد بفاس ونشأ وأخذ عن أبيه وخاله أبي حامد العربي الفاسي والعارف أبي زيد عبد الرحمن الفاسي وغيرهما من علماء فاس ورحل إلى مراكش فأخذ بها عن يوسف التاملي القراءات العشر له سلطان المزاحي الاجهوري وتضلع من العلوم والمعارف حتى صار إماماً في الفقه والقراءات والتجويد والنحو هذا إلى الزهد والورع.

ولما التحق أبوه بالهجرة من فاس لنشوب الفتنة والاضطرابات، نزل المترجم له بتطوان وسكنها وأم وخطب بجامع القصبه وأقرأ بها مدة إلى أن توفي بها. وكان له صيت ببلاد الهبط وغمارة وشفشاون وتطوان وشهرة بالفقه والعلم والصلاح على فتاء سنه، وقد وقفت على نسخة رسالة للمسمى سليمان نائب المجاهد الثائر الرئيس أبي عبد الله محمد فتحا العياشي السلوي يدعو فيها المترجم باسم رئيسه للدخول في طاعته ودعوة الناس إلى ذلك، وبعدها جواب المترجم يتضمن مدح المجاهد حركته الجهادية وبعده بالمطلوب، ومعلوم أن حركة العياشي فشلت باغتياله. وتعاطى في أول أمره علم الأوقاف وسر الحرف ثم وقع له ما أوجب الإقلاع عنه والزهد فيه.

للمترجم نشاط في التأليف، فقد شرح أرجوزة خاله العربي الفاسي في أحكام الزكاة في الفقه المالكي شرحاً حافلاً يعتبر أحسن شروحيها بما جلب فيه من نقول غريبة، وفروع عجيبة، وقد طبع على الحجر بفاس قديماً في مجلد وجمع مجموعاً في النوازل سماه النوازل المختارة، مما وقفت عليه من النوازل ببلاد غمارة في مجلد ضخّم حوى كثيراً من أجوبة خاله وغيره من الفاسيين لا توجد إلا به إضافة إلى عشرات الفتاوى لكثير من فقهاء تلك النواحي

المغمورين، وبه فتاوى تتعلق بحكم شرب الدخان والتجارة فيه لأول عهد المغاربة به إلى أحكام المخالطين للبرغال والأسبان وتسمية بعضهم وما قاموا به من أعمال، وهذا في غاية الأهمية لتاريخ هذه الحقبة وللكتاب نسخ كثيرة وما أجدره بالتحقيق والنشر، وقد نشرت في مجلة كلية الآداب بالرباط بعض هذه الفتاوى.

توفي المترجم له بمدينة تطوان في سنة خمسة وخمسين وألف / 1645. قال ابن عجيبة (وهو قريب العهد به) :
ودفن بالقرب من ضريح الولي الشهير طلحة، وقبره يزار.
قلت : وما ذكر في المصادر الأخرى من أنه دفن خارج باب المقابر وبنيت على قبره قبة، غير صحيح، والله أعلم.
ابن عجيبة، أزهار البستان في طبقات الأعيان، ص. 146،
مخطوط : م. القادري، الإكليل والتاج، مرقون : نشر الثاني،
موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 4 : 1421، بيروت، 1996 : م.
داود، تاريخ تطوان، 1 : 341، ط. تطوان : خ. الزرگلي، الأعلام، 4 : 16، ط. 4، بيروت.

محمد بوخبزة

الزيّاتي، عمر نسبة إلى قبيلة بني زيات إحدى قبائل غمارة الرجل الصالح، الولي الفالح، الخير الفاضل الصوفي الكامل الزاهد الورع من أصحاب الشيخ أبي محمد عبد الله الهبّطي.

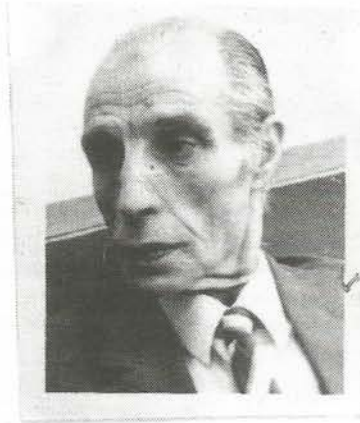
أخذ عن الشيخ الشهير أبي محمد عبد الله الغزواني دفين حومة القصور من مراكش.

توفي رحمة الله عليه في العقد السادس من المائة العاشرة، ودفن بزاويته من قبيلته، وقبره مزار.

م. ابن عسکر، دوحه الناشر، ص. 141، الرباط، 1976 : م.
القادري، الإكليل والتاج، مخطوط، ص. 155.

محمد بوخبزة

زيّاد، أحمد بن الحسن بن محمد الدمناتي ؛ يعدّ من روّاد المغرب في القرن العشرين في العمل الصحافي، والأدبي.



ولد في المدينة القديمة، بالدار البيضاء، سنة 1337 / 1919. ونشأ في حيّ ابن جدية، حيث حفظ القرآن الكريم، وبعض المتون. واجتهد في الاطلاع على عيون التراث العربي، شعراً ونثراً. ثم تابع دروساً ليلية للرفع من مستواه العلمي والمعرفي باللغة الفرنسية.

وحيث اكتملت فترة النضج في تكوينه العصامي، عين مدرساً في إحدى المدارس الحرة بالدار البيضاء. وكان ممّاً رشحه لهذه المهمة نشره لأول إنتاج أدبي له في صحيفة الأطلس. ثم طفق يرأسل صحيفة المغرب لسعيد حجي منذ بداية صدورها. وكان عمله في المدرسة الحرة، وممارسته للكتابة الصحافية في جريدتين وطنيتين، هما : المدخل الذي عبر من خلاله إلى العمل السياسي والوطني، حيث بدأ بالاتصال بأسرة تحرير صحيفة البصائر الجزائرية لصاحبها الشيخ البشير الإبراهيمي. وشارك سنة 1936، في أول مهرجان دعت إليه الكتلة في مدينة الدار البيضاء. وهو المهرجان الذي أعقبته اعتقالات دامت تسعة وعشرين يوماً من شهر رمضان، قضاها المعتقلون في سجن غبيلة.

وإثر الحوادث التي أعقبت عريضة المطالبة بالاستقلال، في 11 يناير من سنة 1944، أصدر محمد غازي مجلة رسالة المغرب، حيث عمل إلى جانبها أحمد زياد مصححاً ومحرراً مسؤولاً عن إخراج هذه المجلة في أبهى صورة لمواصلة الكفاح ضد النظام الاستعماري وبلورة النشاط الوطني.

وقد مثّل ميلاد جريدة العلم في 11 سبتمبر من سنة 1946، إضافة نوعية إلى النشاط الوطني المقاوم للاستعمار. وكان أحمد زياد في طليعة المنضمين إلى أسرة تحريرها حيث تميز بعمله كمشرف على قسم المراسلات الذي جعله يتعرض لمتاعب ومضايقات يومية مع السلطات الاستعمارية. وكانت زاويته "من النافذة" من أكثر أعمدة الجريدة شهرة وتأثيراً، وكانت من أكثرها عرضة لمصادرة الرقيب.

وصاحب عمله الصحافي، ونشاطه الأدبي كناقد معروف، عمله الوطني في تأسيس خلايا المقاومة التي عرفت عنفوان نشاطها عقب نفي السلطان محمد الخامس وعائلته في العشرين من غشت 1953. وقد كان أبرز أدوار أحمد زياد في المقاومة، هو إشرافه على تنظيم أعمالها في شمال المغرب، في تطوان وطنجة. كما أشرف على تأطير المقاومة في خارج المغرب.

وإثر حصول المغرب على الاستقلال، عاد أحمد زياد من القاهرة التي عاش فيها ظروف اعتقال غامضة لم يتقدّم منها سوى توسط الزعيم عبد الخالق الطريس، سفير المغرب آنذاك، لدى الرئيس المصري جمال عبد الناصر. واستأنف عمله الصحافي في جريدة العلم ليغادرها في أوائل الستينيات متقلّباً في عدة مسؤوليات إدارية كان آخرها العمل في ديوان وزير الشبيبة والرياضة.

وقد تعددت التوقعات التي عرفت بها كتابات زياد الصحافية، ومنها : هو، أبو طارق، المعطي، زياد، أبو صيحة... وهذا التوقيع الأخيرة هو الذي عرفت به زاويته "صيحة في واد" التي ظلّ مداوماً على كتابتها كل يوم خميس في جريدة العلم، إلى أن وافته المنية في ثاني وعشرين فبراير من سنة 2001، في منزله بالرباط، بعد معاناة طويلة لمرض في الصدر.

عرفت كتاباته الصحفية، بميلها إلى التحليل، والاستطراد المفيد، مع نزوع إلى السخرية التي ميزت معظم إنتاجه الغزير الذي فاق ألف مقالة مازال معظمها لم يصدر في كتاب، باستثناء زاوية "من النافذة" التي صدرت في كتاب سنة 1998 متضمنة مقالاته التي نشرها في فترة الاستعمار.

وصدرت له في سنة 1974، رواية "بامو" عن دار الكتاب، وهي عمل سردي رائد يسجل إحدى ملاحم المقاومة والكفاح المسلح. ومثّل تحويلها إلى فيلم سينمائي من إخراج إدريس المريني بداية لقاء الأدب والسينما في المغرب.

وفي سنة 1986، صدرت له قصة قال الراوي. كما صدر له كتاب دفتر أيام في الدار البيضاء (1990)، وكتاب عن عبد الخالق الطريس ومساره النضالي على شتى الأصعدة (1996).

وقد أقامت أسرة المقاومة وأعضاء جيش التحرير تأبيناً ضخماً في الذكرى الأربعين لرحيل أحمد زياد، ترأسه الوزير الأول عبد الرحمن اليوسفي الذي أشاد بمناقب زياد وشجاعته وأخلاقه النادرة وصادقته له أيام الشدائد. كما تميز هذا اللقاء الذي حضره حشد كبير من رواد الحركة الوطنية والمقاومين والوزراء والمثقفين بكلمات مؤرخ المملكة عبد الوهاب بنمنصور، والدكتور مصطفى الكثيري المندوب السامي للمقاومة وأعضاء جيش التحرير، وأحمد نصر الدين باسم المجلس الوطني المؤقت للمقاومة وأعضاء جيش التحرير، ومحمد التازي الصحافي السفير، ونجيب خداري باسم أسرة جريدة العلم، وأنور المرعجي باسم اتحاد كتاب المغرب.

ومازالت كثير من كتابات أحمد زياد، في حاجة إلى أن تجمع في كتب ستكون مفيدة للاطلاع على حقبة حافلة من تاريخ المغرب المعاصر عاشها زياد بوعي تحليلي لِمَاح، وروح من السخرية اللاذعة النادرة والعميقة.

توفي بالرباط يوم الخميس 28 ذي القعدة عام 1412 / 22 فبراير 2001

معرفة شخصية ! الحبيب الزلاطي، مقالات أحمد زياد الأدبية، جمع ودراسة، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية آداب وجدة، 1996 ؛ صفح، العلم، أحداث مغربية، الرأي.

نجيب خداري

زِيَار، بلدة جبلية تقع جنوب مريّرت بنحو 30 كلم وعلى مسافة 20 كلم إلى الشمال الغربي من خنيفرة وعلى مشارف الضفة الغربية لواد كُرو، وتقع كذلك على الطريق الثانوية الرابطة بين خنيفرة ومولاي بوعزة.

يحيط بزيار سلسلة من الجبال أهمها تيگرت (850 م). تركز اقتصادياتها على النشاط الرعوي وقليل من الزراعة ومن بينها الفواكه الموسمية، رغم أن المياه متواجدة بجوانبها، وعدد سكانها لم يدخل في الإحصاء الرسمي لعام 1994، مما يبعث على الظن أن النسيان داهمها بعدما لحقها الإهمال وسعى الخراب إلى قصبته التاريخية.

ومع ذلك فإن بلدة زيار خلقت بصمات في الكفاح المسلح ضد القوات الاستعمارية الغازية في مطلع القرن الماضي. فبعد ما استولى الجيش الفرنسي على خنيفرة عام 1918 بدأ يفكر في تأمين الطرق المؤدية إليها لضمان وصول الامدادات الحربية والمؤونة لوحده التي رابطت بعين المكان.

بينما كانت فيالق عسكرية فرنسية متجهة إلى خنيفرة يوم 12 أبريل 1919 تحت قيادة الضابط بوشون، إذا بجماعات من المجاهدين الزينانيين رجال محا أوحمو تفاجئ العدو بزيار ومشارفها فسقط من الفرنسيين خمسة قتلى وأصيب عدد منهم بجراح، كما استشهد بعض المقاومين.

إلا أن ضابطا فرنسيا آخر اسمه دوگا قرر ملاحقة المجاهدين في المرتفعات المجاورة، فوجد الزينانيين له بالمرصاد، فكانت معركة حامية وصلت بالمتحاربين إلى الاشتباك بالأيدي واستعمال السلاح الأبيض، وتدخل الطيران الفرنسي في القتال، مما جعل القوى غير متكافئة. ومع ذلك، فإن الفرنسيين تكبدوا قتلى من بينهم عناصر من الكوم المغربي، كما جرح منهم عدد آخر كان قائدهم دوگا من بينهم.

وعادت زيار مرة أخرى تقتسم الصدارة في أحداث المقاومة مع غيرها من المواقع، في عام 1920، عندما ظن الجنرال بوميرو Poemyrau قائد المنطقة العسكرية بمكناس أن الهدوء أخذ يسود جهة خنيفرة فأوفد إليها كتائب بقيادة العقيد تيفوني (Theveney). لكن هذا الضابط وجنوده فوجئوا بوابل من النار يوم 20 يناير، بزيار وضواحيها، فأصيب منهم عدد من الجرحى والقتلى.

تلك هي زيار التي أصبحت القيادة العامة العسكرية الفرنسية تعتبرها من المواقع ذات الخطورة فأخضعتها لتنفيذ العسكري وظلت تحت هذا النظام طيلة عهد الحماية.

L. Voinot, Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc, Paris, 1939 ; G. Bernier, Moha Ou Hammou, guerrier berbère, Casablanca, 1945 ; François Berger, Moha Ou Hammou le Zayani, Marrakech, 1929.

أحمد بنجلون

علما بأننا سنخصص تقديمًا مستقلاً لآيت سگوگو لاحقاً في مادة "س".

سيكون زيان على هذا الأساس هي القبائل التي تستوطن حالياً بالمجال الممتد من وادي سرو الأعلى بالأطلس المتوسط (على ارتفاع 2278 م) في الجنوب الشرقي إلى حدود أضيقة منطقة بينهية فاصلة بين واد بورقراق وواد كرو في الشمال الغربي بالهضبة الوسطى.

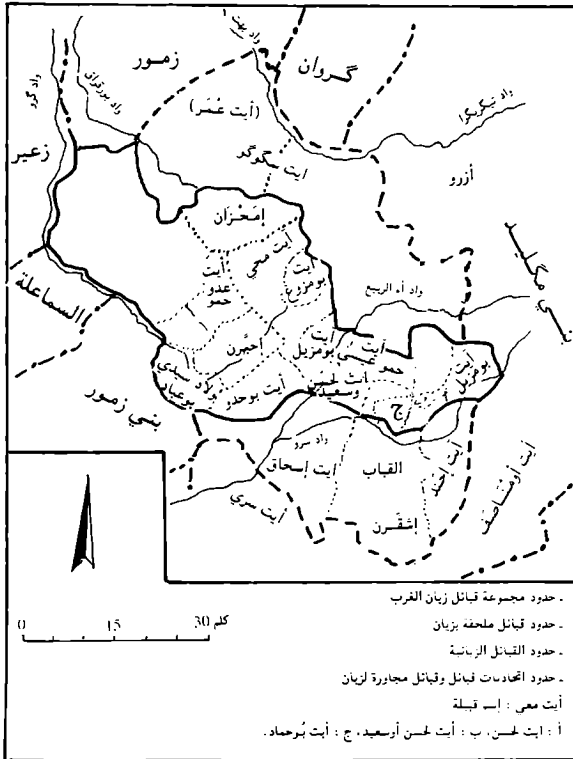
فما هي خصائص هذا المجال الزياتي ؟

تمتد أرض زيان في الحدود المذكورة على مسافة 120 كلم طولاً وبين 15 كلم إلى 55 كلم عرضاً وتقدر مساحتها بحوالي 4000 كلم².

يُصاحب الامتداد الشاسع لأرض زيان من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي تنوع طبيعي ساهم في تكون محاطات المجموعات البشرية وتنظيم حياتهم الرعيزراعية القائمة على الإنتاج إلى وقت قريب.

فأرض زيان تتكون من مجموعتين طبيعيتين متميزتين من حيث الارتفاع والأشكال التضاريسية والمناخ والموارد الرعيزراعية هما الأطلس المتوسط والهضبة الوسطى.

أما الأطلس المتوسط فلا يمثل سوى حيز جد ضيق بالنسبة للهضبة الوسطى في أرض زيان، يشغل أقصى جنوب شرق هذه الأرض، وتمثله النهاية الجنوبية الغربية للأطلس المنضدري وذلك في كل من كوس أغبال وكوس أجدير - حيث أكلمام أزكزا - وكوس سرو. وهي "أكواس" تتراوح ارتفاعاتها بين 1100م و1750م نحو الداخل وتبقى متماسكة ما عدا كوس سرو الذي قطعه هذا الواد ورافده واد شبوكة.



شكل رقم 1 زيان القبائل وموقعها

زِيَان، اسم أرض "Pays" ورسم إتحادية قبائل من أكبر الاتحاديات التي عُرِفَت في نهاية القرن XIX ومطلع القرن XX : ورد كذلك بصيغة إزيان "Izaïan" الأمازيغية عند بعض الذين كتبوا حول الاتحادية في بداية القرن الماضي. يرتبط تحديد أرض زيان "Le pays Zaïan" بتحديد العنصر البشري المنضوي تحت هذا الاسم. وهو أمر ليس بالهين بسبب غياب الإجماع عند الذين كتبوا في الموضوع.

فمن هؤلاء من أدخل تحت إسم زيان مجموعات بشرية مثل إشقرن وآيت إحد، وآيت سگوگو. ومنهم من حصر زيان في قبائل بو محسوسن وآيت حركات وآيت كرات التي تعمر المجال الممتد حول خنيفرة من منابع واد سرو في الجنوب الشرقي بالأطلس المتوسط إلى حدود زعير بالهضبة الوسطى في الشمال الغربي.

فالناصرى تحدث عن زيان (ظيان) كفخذ من ايت أو مالو الذين هم يطن من صنهاجة بفزاز. واعتبر إشقرن كفخذ مستقل (الاستقصا، ج. 4، ص. 274).

ويعتبر Pillant كزيان كلا من القبائل التالية : بوحسوسن وآيت حركات وآيت كرات Krat، وآيت عمر، وآيت سگوگو، وآيت إحد، وإشقرن، وآيت إسحاق مع شك واضح عنده في انتماء آيت إسحاق وإشقرن إلى زيان.

أما بنداود فيتفق مع Pillant ما عدا فيما يخص إشقرن وآيت إسحاق الذين أبقى عليهم خارج زيان : وقد ميز بين زيان الغرب الذين سماهم زيان موحا أو حمو وزيان الشرق. أما عباس Abès، فإذا كان واضحا في إلحاق قبيلة آيت عمر - وهي واحدة من ثلاث "قبائل" تشكل آيت سگوگو - بزيان فموقفه غير واضح بالنسبة للقبيلتين الأخريين اللتين تنتميان إلى آيت سگوگو.

يظهر من خلال كتابات هؤلاء الأشخاص الثلاثة أن قبائل بوحسوسن وآيت حركات وآيت كرات تنضوي تحت اسم زيان بدون ضبابية بينما تبقى قبائل إشقرن، وآيت إحد، وآيت إسحاق، وآيت سگوگو محط شك وغموض وفي 1929، أدمج سعيد كتون القبائل الثلاث الأولى في زيان وترك آيت سگوگو جانبا.

أما خريطة قبائل المغرب (أقاليم الشمال) الصادرة سنة 1977 بمقياس 1/ 500000 فقد اعتبرت آيت سگوگو كاتحادية مستقلة، وآيت إسحاق وآيت إحد كقبيلتين مستقلتين وإشقرن كشيبة اتحادية sous-confédération خارج حدود اتحادية زيان.

وبالنظر إلى غياب الإجماع فيما يخص المجموعات المكونة لهذه الاتحادية أو اتحاد اتحاديات وقبائل زيان، يبقى أمامنا خياران : إما أن نعتبر الحد الأقصى لمضمون الاسم ونعتبر أنذاك كل المجموعات التي ورد اسمها مرتبطا بزيان بأي شكل من الأشكال، وإما أن نعتبر الحد الأدنى المتفق عليه في الأدبيات المذكورة : وهو الخيار الذي نحتفظ به

والحديث عن الكوس يعني سيادة الصخور الكلسية التي تساهم في التخفيف من الجريان السطحي وفي تخزين المياه باطنيا خاصة وأن صخور الترياس غير المنفذة تأتي مباشرة تحت الكلس اللباسي.

ونظرا لارتفاع الأكواس وتعرضها لمباشرة للرياح الغربية الرطبة، فهي تتوصل سنويا بكمية كبيرة من التساقطات تفوق 700 مم، بعضها يأتي على شكل ثلوج خلال الشتاء والربيع عندما تكون الحرارة منخفضة. أما في الصيف فتبقى هذه الأخيرة ألطف مما هو عليه الحال في الأراضي السفلى (الهضبة الوسطى).

إن للارتفاع ولل مناخ الدور الكبير في الانتشار الكبير للغابة في شكل درجتين السفلى (دون 1500 م) للبلوط الأخضر والعليا للأرز.

وأما الهضبة الوسطى، فهي مجموعة تضاريسية كبيرة فاصلة بين الأطلس المتوسط شرقا والمحيط الأطلسي غربا، لا يشغل منها زيان سوى حيز ضيق جدا : يمتد من قدم الأطلس المتوسط إلى أضييق قطاع يفصل واد بورقراق ورافده واد غرو في الشمال الغربي وبين الوادين عموما.

يتوزع هذا المجال "الهضبة وسطى" الزباني على وحدتين : الوهدة الشرقية "La dépression orientale" والأراضي العليا "Le haut pays" حسب تقسيم Beaudet Gaston.

تنحصر الوهدة بين الأطلس المتوسط شرقا وبين الأراضي العليا غربا المفصولين بمسافة 40 كلم تقريبا. وهي مشكلة من منخفضات تتراوح ارتفاعاتها بين 700م و100م وغالبا بين 850 و950م وتتخذ إما شكل سهول عليا أو مناطق متن شيسية ومن أعراف مصففة أحيانا وذات اتجاه جنوب - غربي - شمال شرقي. تحد ارتفاعاتها إلى 1200 - 1300 م مثل جبل أزدوز (1334 م) وجبل تايثوت (1289 م) وجبل حديد (1203 م).

أما الأراضي العليا، فتمتد غرب الوهدة الشرقية التي تفصلها عنها منحدرات قوية (abrupts) وأجراف على عمق 50 - 60 كلم بين النهايتين الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية.

وأهم ما يميز هذه الوحدة هو ارتفاعاتها الكبيرة بالنسبة للوهدة مما يجعلها مشرفة عليها، وكون حيز كبير من أراضيها مشكلا من الهضاب بالإضافة إلى المنخفضات والأعراف.

تنتشر هذه الأخيرة بشكل واضح في الطرفين الجنوبي الشرقي والشمال الغربي تاركة السيادة للهضاب والمنخفضات في الوسط. وتبقى أعراف الجنوب الشرقي هي الأكثر ارتفاعا حيث توجد قمم بين 1300 م و1627 م. كما تحيط سهولاً مثل سهل أكلموس وأحواضا متينة مثل حوض بلاد إجرن وحوض بلاد الكعدة الملتصق به.

أما الحيز الهضبي بين مجالي التصفيين العرفيين

فامتداده كبير ويشمل هضبا مختلفة، بعضها مكتلة غرانيتية مثل هضبة امنت Ment (1280 م) وبعضها متقطعة مثل هضبة فوغال بشرق مولاي بوغزة وبعضها بركانية كما هو حال الهضبة الواقعة بين هضبة منت شمالا وشمال حوض بوحوسن المعلق. وتبقى سطوح هذه الهضاب عبارة عن متن (تشكيل).

تشكلت تضاريس الودعتين وهي تضاريس أبلاشية في صخور قديمة تعود للزمن الأول (شيسيت، كوارتزيت، غرانيت...) وهو وضع جيومورفولوجي وجيولوجي لا يسمح بتوفر مياه دائمة كثيرة بسبب ضعف إمكانية الخزن الباطني في الفصل المطير بالرغم من أن التساقطات تتعدى 500 مم وبسبب التبخر خلال فصل الصيف حيث ارتفاع الحرارة بالمنخفضات. ولا يسمح بتكوين تربات غنية ومنتصلة بل لا يسمح بتفاعل مع المناخ سوى بغطاء نباتي مطبوع بالفقر.

هذه الظروف الطبيعية المتباينة بين الأطلس المتوسط والهضبة الوسطى وداخل كل مجموعة منهما ساهمت في قيام نمط عيش واقتصاد مبني على التكامل والتنقل داخل إطار الاتحادية الذي كان يشكل المجال الأمني قبل الحماية.

السكان تنظيمهم وتطورهم :

ينتمي زيان إلى ما يعرف باتحادية أيت أو مالو التي على ما يبدو استقرت مجموعاتها بالمنطقة بعد القرن الحادي عشر (17 م). ومن ضمنهم زيان [الغرب حسب تمييز بنداودا]، اللذين لهم حدود مشتركة مع كل من بني مكليد الجنوبيين (بأيت أو مناصف)، وأيت إحد وإشقرن، وأيت إسحاق من الشرق والجنوب الشرقي، وبني زمور والسماعلة من الجنوب، وزعير وزمور من الغرب والشمال - الغربي وأخيراً أيت سگوگو من الشمال والشمال الغربي على مسافة كبيرة. (انظر خريطة القبائل بمقياس 500000 / 1. أقاليم الشمال (1977).

يتشكل هؤلاء الزبانيون من 3 مجموعات قبلية تضم 16 قبيلة تنضاف إليها قبيلة أولاد سيدي بوعباد والشرفاء. موزعين كما يلي :

مجموعة قبائل	أيت كرات	أيت حركات	بوحوسن
	أيت عمو عيسى	أيت شرط	حصار
	أيت بومزيل	أيت لحسن وسعيد	أيت رحو
القبائل	أيت بومزوغ	أيت بوحما	أيت فسكات
	أيت بوحودو	أيت معي	أيت بوخيو
	أيت لحسن	إحبرن	أيت شگ
		أيت حدو وحمو	
المجموع	5	6	5

وينتمون إدارياً إلى دائرة خنيفرة بإقليم خنيفرة التي لا يدخل في نفوذها بجانبهم سوى آيت سگوگو (جهة مكناس - تافيلالت) وقد سميت على عهد الحماية بدائرة زيان لمدة طويلة.

يتوزع زيان منذ 1992 على 11 جماعة قروية وبلدية (خنيفرة) و5 مراكز، بعد ما كان توزيعهم قبل ذلك يقتصر على 4 جماعات قروية من جهة قطعت على النحو التالي :

- جماعة أگلموس الأم التي قسمت إلى جماعتين :
جماعات :
* موحا أحمو الزباني

* الهري
* أگلام أزگزا
* البرج

- جماعة مولاي بوعزة الأم التي قسمت إلى 3 جماعات :

* مولاي بوعزة
* حد بوحوسون
* سبت آيت رحو

- جماعة سيدي عمرو الأم التي قسمت إلى جماعتين :
سيدي عمرو سيدي الأمين 2001، فالساكنة الحضرية تتميز بتركزها بخنيفرة وأملو إغريين حيث يعيش 81٪ من سكان المدن عند زيان.

أما كون نسبة ساكنة الريف في تراجع، فهذا لا يعني تراجعاً في العدد المطلق الذي يسجل ارتفاعاً متواصلاً من إحصاء لآخر. ويعني ذلك زيادة في الكثافة السكانية التي تطورت من 18 نسمة / كلم² في 1960 إلى 20 نسمة / كلم² في 1971 ثم 24 نسمة / كلم² في 1982 وأخيراً 28.3 نسمة / كلم² في 1994. وقد تكون 30 نسمة / كلم² الآن (2001).

ي صاحب التطور الحاصل في الساكنة من الناحية الكمية وكذلك على مستوى بنيتها وتوزيعها المجالي مشاكل تحتاج إلى حلول بهدف ضمان ظروف عيش مقبولة. وهي مشاكل ذات طابع اجتماعي واقتصادي ويثني نذكر منها الغذاء والشغل والخدمات والتدبير العقلاني للموارد الطبيعية.

قد يتسنى الحل إذا كان الاقتصاد يعرف تطوراً يتناغم وتطور السكان وحاجياتهم وإلا فلا مفر من سيناريو الهجرة والضغط على الموارد وهما وضعان لا يخدمان دائماً التنمية المستدامة. فهل يتحرك الاقتصاد الزباني بالسرعة المطلوبة ؟

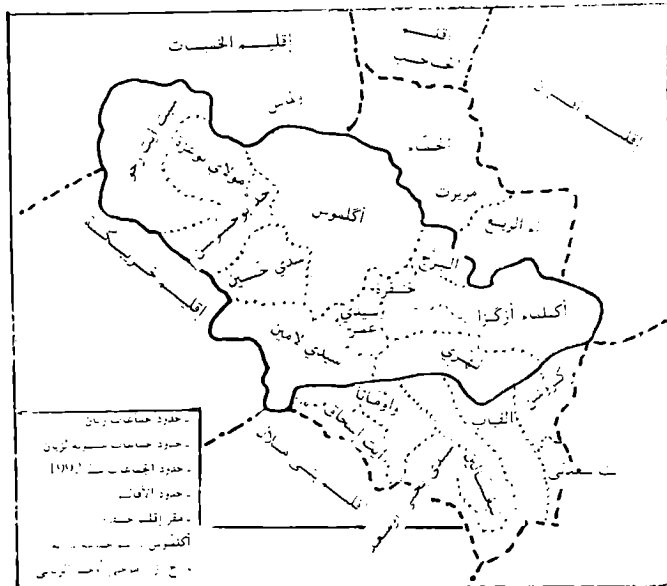
ارتكز اقتصاد زيان دائماً على القطاع الأول الممثل في تربية الماشية والزراعة واستغلال الغابة. ولا تأتي القطاعات الأخرى إلا في درجة ثانوية جداً. فيالي مطلع الثلاثينيات

كانت حياة الانتجاع هي السائدة وذلك ما تعكسه أدبيات تلك الفترة ومنها دراسة Suzanne Nouvel (1919، ص. 63. 65) ودراسة سعيد كنون (1929، ص. 18. 25) فالأولى تصف حياة الزبانيين كمعتادين للانتجاع لكنهم يملكون كذلك بعض الأراضي الزراعية الخصب كما هو الحال الصيف نحو أودية الأطلس المتوسط... حيث تروي الوديان النازلة من الجبل المراعي. لكن ابتداءً من أكتوبر يتم النزول نحو الأراضي المنخفضة ما بين واد گرو وواد بورقراق. ويجانب الكسب يزرع زيان الحبوب (شعير وقمح) بالأراضي المنخفضة أي بأزغار والذرة بالجبل وذلك بالأراضي.

ومن جهة ثانية على مركز حضري مستقل هو خنيفرة في 1960 قبل أن تظهر الخمس مراكز الأخرى تدريجياً، ففي 1971 أحصي كل من أگلموس ومولاي بوعزة وكهف النسور كمراكز وفي 1982 أملو إغريين وفي 1992 حد بوحوسون، وللإشارة كان وضع خنيفرة في إحصاء 1982 قد تحول من مركز مستقل إلى بلدية وذلك بارتباط مع دورها كعاصمة للإقليم منذ خلق الإقليم في 1973.

إن إعادة التقسيم الجماعي والإداري فرضته التحولات الاجتماعية والاقتصادية والمجالية التي عرفتها المنطقة خلال 3 عشريات شأنها شأن باقي المناطق بالبلاد وأنشغالات المسؤولين بإناعاش التنمية.

فمن ناحية الساكنة ارتفع عدد (الزبانيين - بما في ذلك سكان خنيفرة - بين 1960 و 1994 بـ 127.000 نسمة (أي بـ 142٪ وكان ذلك بمعدل 3.736 نسمة في السنة. إلا أن



شكل رقم 1: التقسيم الإداري عند زيان منذ 1992

اعتبار الفترات البيحصائية الثلاثة منفصلة عن بعضها بين أن وتيرة النمو تتزايد سرعتها من فترة إلى أخرى. فبعد ما كانت الزيادة المطلقة السنوية تقدر بـ 2.135 نسمة في الفترة الأولى، ارتفعت إلى 3.762 نسمة في الفترة الثانية ثم إلى 5.172 نسمة في الفترة الثالثة. إنها نزعة مثيرة للتساؤل حول أسباب التسارع. فما هو دور الزيادة الطبيعية ودور التوافد؟

أما التوافد، فلا يظهر أن الأرياف تجلب السكان مادامت ساكنتها تنمو ببطء كبير بسبب النزوح. ويبقى جلياً أن للتوافد على المركز وبالخصوص على خنيفرة مقر الإقليم والدائرة وعلى أملو إغريين (منامتها) الدور الأكبر في تفسير الظاهرة. وما نسبة نمو ساكنة المدن بين 1960 و1994 التي وصلت إلى 458,2٪ في الوقت الذي لم تصل فيه نسبة نمو الريفيين سوى إلى 59,4٪ إلا دليل أول على ذلك.

ساهمت حركية السكان وتدخل الدولة عن طريق التقسيم الإداري والتراخي في تغيير بنية الساكنة حسب مقر السكنى : فبعد ما كانت السيادة لساكنة الأرياف بـ 80٪ في 1960 لم تعد نسبتهم تمثل سوى 52,3٪ في 1994 نسبة أعلى بقليل من المعدل الوطني آنذاك. ويرجع أن تكون هذه النسبة قد نزلت اليوم (2001) إلى 48٪ فقط.

وإذا كانت نسبة التمدين قد ارتفعت إلى ما بين 50 و52٪ في المسقية.

أما الثاني الذي اعتمد في تقسيمه لأراضي زيان تقسيم السكان القائم على ثلاث مناطق وهي أزغار وأم الربيع وجبل زيان، فقد أكد ما ورد عند S. Nouvel بشيء من التفصيل.

فالزغار يمثل أرض المراعي بفضل وفرة الكلاً، ولطف الحرارة وتوفر المياه الكافية عن طريق الآبار. به يقضي السكان الشتاء والربيع عندما تسطح به الشمس الدافئة وتكسوا الثلوج الجبال. أرضه كانت جماعية ولا تنتفع منها الأسر إلا مؤقتاً باستثناء آيت بوحدة الذين كان لهم وضع خاص. كانت الرقعة المحروثة ضيقة.

أما الجبل الممتد من جبل تغات إلى بوكجدي وأفلكتور شرقاً فهو منطقة متوسطة الغنى نظراً لسيادة الصخر في الأجزاء المرتفعة التي تكسوها غابات الأرز الجميلة. لكن هذا لا يحول دون انتشار الأراضي المسقية بالأودية كما هو الحال عند آيت بومزوع وآيت شراط.

وعند الأجزاء السفلى القريبة من النهر تنتشر مجموعة من السهول الغنية بل وأودية مستغلة زراعياً.

والجبل هو كذلك منطقة قصور زيان ففيه يعيش "السكان الرحل" تحت الخيام بجوار الحقول التي تحرث وتحصد غلاتها وبجوار العيون لإرواء الماشية خلال الصيف والخريف.

وإذا كان الزبانيون كسابة بالدرجة الأولى، فكسبهم

اعتمد على الأغنام والماعز ومكانة الأبقار والخيليات ظلت ثانوية بحيث بموازات مع قطع أغنام وماعز من حجم 500 - 600 رأس في ملكية شخص واحد لم يكن عدد الأبقار يتجاوز 10 (S. Guennoun, 1929, p. 20).

أما ميلهم للكسب فلم يمنع من تنوع مزروعاتهم فهم تعاطوا لأنواع كثيرة من المزروعات مثل الحبوب التي كانت سائدة والقطاني والخضر والأشجار المثمرة (عدا الزيتون).

وبجوار النشاط الرعي استغل الزبانيون الغابة التي تاجروا بمنتجاتها مع الخارج كما تاجروا بالماشية. وقد اشتهر منهم باستغلال الغابة كل من أهل أسويل وشرفاء تاسكوت.

كانت هذه الصورة عن زيان وحياتهم واقتصادهم قائمة إلى مجيء الاستعمار الذي شكل منطلقاً للتحويلات التي قادتهم ومجالهم إلى الوضعية الراهنة.

فزعزعة أسس تنظيم الإنتاج التقليدية بدأت مع حرب الغزو التي مزقت وشتت السكان وأهلكت ماشيتهم وأحرقت زرعهم ودمرت قصورهم.

ولم تكن عودتهم بعد الهدنة لتوجد الظروف الاجتماعية والاقتصادية والتنظيمية لما قبل الحرب.

فاستقرار الأسر فرادى أو بمجموعات صغيرة جداً يعني التخلي عن حياة الانتجاع لصالح الزراعة وعن وضع الأرض الجماعية للملكية الخاصة ويعني تلاشي دور المؤسسات التقليدية.

وقد ساهم هذا التحول في زيادة رقعة الأراضي الزراعية عن طريق الاجتثاث وتوسيع أراضي الملك الخاص. ومما عجل بالتطور تخوف السكان من تسلط المعمرين على أرضهم إما مباشرة أو عن طريق إدخال الغابة في الملك العمومي وقد كان الأعيان هم السباقين للاجتثاث والتملك وبناء المنازل خاصة بالأزغار.

تواصلت هذه النزعة التطورية طيلة أيام الحماية ويعد الاستقلال بارتباط مع تطور عدد السكان والمنظور الجديد للجماعات المحلية وحركاتهم الأفقية وهاجس التنمية عند الدولة.

وكان من نتائجها تحول في تنظيم وبنية استعمال الأرض. ففيما يخص التنظيم يتلخص التحول في المرور من نظام المحطات المتدرجة والتراقص الفصلي الذي يمثل حياة الانتجاع إلى نظام الحلقات والتناوب السنوي الذي هو نظام الزراعة الفلاحية.

وأما فيما يخص البنية من حيث الاستعمال الرعي زراعي فالتطور قاد إلى تقسيم المساحة العامة على النحو التالي :

- الأراضي الغابوية 32٪

- الأراضي الزراعية (SAU) 30٪

- المراعي 27٪

- الأراضي الأخرى 11٪ Terres incultes.

M. Abès, *Les Izayan d'Oulmès*, A.B., 1915 ; G. Beaudet, *Types d'implantation humaine en pays Zaïan*, RGM, n° 8, 1965 ; *Le plateau central marocain et ses bordures. étude géomorphologique*, Rabat, 1969 ; J. Célerier, *La dépression du Serrou (Moyen Atlas Central)*, R.G.M., VI, 1928 - 1929, p. 110 - 121 ; G.S. Colin, *Origine arabe des grands mouvements de populations berbères dans le Moyen Atlas*, Hesp., tome XXV, 2è + 3è trim. consacré à la montagne marocaine, 1938 ; M. et E. Gouvion, *Kitab Aayane al-Maghrib al-Aksa*, Alger, 1939 ; S. Guennoun, *La montagne berbère : les Ait Oumalou et le pays Zaïan*, 1929 ; E. Laoust, *L'habitation chez les transhumants du Maroc central*, Paris, 1935 ; V. Loubignac, *Etude sur le dialecte berbère des Zaïan et Ait Sgougou*, Paris, 1924 ; D. Noin, *La population rurale du Maroc. Etude géographique*, Thèse d'Etat es-lettres, 2 vol., Paris, 1970 ; S. Nouvel, *Nomades et sédentaires au Maroc*, Paris, 1919 ; R. Peyronnet, *Tadla : pays Zaïan - Moyen Atlas*, Alger, 1923.

محمد كروب

زَيَان (وقعة -) تميزت علاقة المخزن العلوي بقبائل

الأطلس المتوسط بوجود تمايز بين ما يسمى ببرابرة الجبل ومن ضمنهم زيان، وبرابرة الوطاء كزمور وأيت إدراسن وغروان والذين اتخذ منهم السلاطين حلفاء لمواجهة حلف أيت أومالو ومن انضم إليهم من قبائل الجبل. وقد ظهر هذا التمايز بشكل جلي خلال عهد المولى إسماعيل الذي أراد احتواء القبائل الجبلية العاصية بالاعتماد على قبائل الدّير والسهول كأيت إدراسن وأيت يمور وزمور، مستغلاً في ذلك تنافس هذين الفريقين على مجالات الحرث والرعي. وهو تنافس كاد يصبح أكثر حدة مع حركة الانتجاع وتنقل القبائل من مكان إلى آخر بحسب وفرة أو ندرة الموارد الاقتصادية. وقد استطاع المولى إسماعيل ومن جاء بعده من السلاطين أن يرسخوا التحالف بين المخزن و"برابرة الوطاء" الذين أصبحوا يشكلون حسب الزباني "برابرة الدولة" في مواجهة برابرة الجبل.

هذا التحالف الذي أقامه العلويون مع برابرة الوطاء لم يكن تحالفاً قاراً ودائماً، بل كان مثل التحالفات القبلية يخضع لعدة اعتبارات مصلحية وظرفية، وكثيراً ما كان هذا التحالف يتعرض للانحلال بفعل التناقضات الموجودة بين قبائله، أو بفعل السياسة المخزنية التي كانت تقتضي توحيد كل برابرة الوطاء تحت قيادة واحدة قد لا تلقى القبول لدى طرف أو آخر، أو ظهور تناقضات بين قبائل هذا الحلف وجيرانهم من القبائل العربية. وكثيراً ما كان المخزن يتدخل في النزاعات التي تقوم بين القبائل فيناصر أيت إدراسن ضد غروان، أو أيت يمور ضد زمور، وقد تأخذ الأمور طابعاً أكثر حدة عندما يساند قبيلة عربية كبنو حسن ضد قبيلة أخرى بربرية. لذلك فإن التحكم في هذه السياسة القبلية لم يكن بالشئ السهل وكان يحتاج إلى الكثير من المرونة والحنكة السياسية والمعرفة الدقيقة بمصالح وحساسيات كل طرف من أطراف المعادلة.

وإلى تقسيم الأراضي الزراعية (ومساحتها 121.000 هكتارا) على النحو التالي :

- الحبوب : 49.4٪

- الأراضي المستريحة : 43.3٪

- المزروعات العلفية : 5.0٪

- الأشجار : 1.3٪

- الخضض والقطاني : 1.0٪

ولإشارة 3٪ فقط من الأراضي الزراعية (SAU) مسقية وهي نسبة ضعيفة. ويتم استغلال الأراضي الزراعية في إطار استغلاليات صغيرة وعائلية تشرك بين الزراعة وتربية الماشية في إطار تقليدي.

وبالرغم من توسع النشاط الزراعي فمكانة الكسب لازالت كبيرة وربما أهم نظراً لاستقرار موردها بخلاف تدبب الإنتاج الزراعي بارتباط مع التساقطات. فزيان يمولون في الوقت الراهن حوالي 320 ألف رأس غنم بمعدل 2.8 رأس لكل ريفي وحوالي 110 ألف رأس ماعز أي تقريبا رأس واحد لكل ريفي. وما يقرب 20.000 رأس من البقر.

يتضح من خلال هذه المعطيات أن القطاع الرعيزراعي الذي يشكل ركيزة الاقتصاد الزباني لازال تقليديا وغير مندمج وهو وضع لا يساهم في الإستجابة لحاجيات الساكنة المتزايدة مما يفرض عليها اتخاذ حلول قد تتنافى ومتطلبات التنمية المستديمة ومنها تدهور الغابة والمراعي... أما حل الهجرة فهو كذلك وارد وهو سبب تباطؤ نمو الساكنة الريفية.

يسجل المجال الزباني على غرار المجالات المجاورة له دينامية متواصلة تعكسها التحولات في مقوماته وفي تنظيمه وفي علاقاته بالخارج.

فسكانه تخلوا عن حياة الانتجاع ووسعوا النشاط انزراعي مما أدى إلى تشييب السكن.

أما ارتفاع عددهم وعجز الاقتصاد الفلاحي عن تلبية حاجياتهم فيشكلان عاملا على النزوح نحو المراكز وأساسا نحو خنيفرة (ونحو جهات أخرى) مما جعل نسبة التمدين تتراجع وطرح مشاكل من نوع آخر مادامت المراكز لا توفر التجهيزات والبنى التحتية الضرورية لإستقبالهم.

والملاحظ أن أهمية الدينامية غير متجانسة وهو ما يعني تفاوتاً في التنمية، كما أن هذه الدينامية لا تعني تحقيق التنمية المتسديمة مادام هناك خطر واضح على الموارد الطبيعية.

ورغبة في تفادي هذه الأخطار وتحقيق التنمية المرغوب فيها اهتمت الجهات المسؤولة منذ أزيد من عقدين وأحيانا بتعاون مع منظمات دولية بتنمية المنطقة عن طريق برامج مختلفة مثل برنامج تحسين المراعي (A. P. T. L) ومثل مشروع واد سُرُو حيث يتوخى إشراك السكان.

أ. الناصري، الاستقصاء، الدار البيضاء، 1956، الجزء 4.

وعند بداية القرن الثالث عشر (19 م) اجتمعت كل العوامل الكافية لنسف المخزن ببرابرة الوطاء من جهة، ولتسهيل التقارب بين هؤلاء وخصومهم التقليديين برابرة الجبل. فالمولى سليمان سلك سياسة متشددة جعلته يطمح إلى مركز الإدارة المخزنية ويسط سلطتها في أماكن لم يكن إخضاعها بالأمر المتيسر. كما أنه ساهم في إضعاف جبهة "برابرة الدولة" الذين كانوا يقفون حاجزاً بينها وبين برابرة الجبل عن طريق الحملات العقابية التي شنّها ضد البعض منهم (بني مطير في سنة 1802 وكروان في سنة 1807)، وعن طريق التخلي عن حلفاء الدولة التقليديين كإحجامه في سنة 1814 عن مناصرة أيت إدراسن أمام هجوم أيت أواملو، وهو ما جرّ الهزيمة على أيت إدراسن وفتح الباب أمام تزايد نفوذ أبي بكر أمهاوش ضمن برابرة الوطاء. ومن العوامل التي ساعدت على اتساع شعبية أمهاوش تسرب الطريقة الدرقاوية إلى جبال فزاز حيث أصبح لها أتباع ومتعاطفون في صفوف قبائل الجبل والدّير على السواء، وهو أمر ساهم بالتأكيد في التقارب بين برابرة الجبل وبرابرة الوطاء. وأخيراً نشير إلى أن تأزم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية (مجاعة 1817-1818، وباء 1818-1820) خلق المناخ المناسب لاتفاق القبائل البربرية حول شخص مثل أبي بكر أمهاوش اتخذ من التنسك ناموساً ومن المهدوية إيحاً بأنه هو الماسك بأسباب الخلاص.

وعندما حلت المجاعة في سنة 1817 اعتقد المولى سليمان أن أفضل وسيلة لاختراع القبائل الأطلسية العاصية هو إحكام حصار اقتصادي حولها ومنعها من التزود بالحبوب لدى قبائل السهول. وفي سنة 1818 أرسل أوامره إلى قواد القبائل بمنع أيت أواملو من شراء الحبوب في الأسواق، وأن أي قبيلة تتجاهل هذا الأمر ستصبح هدفاً للانتقام من طرف الدولة أو من طرف جيرانها.

وعلى خلفية هذا التوتر واشتداد المجاعة وانتشار الوباء قرر المولى سليمان في ربيع 1819 أن يشن حملة تأديبية ضد برابرة أيت أواملو، وهو قرار جاء حسب الزياني بناء على نصيحة قائد المخزن ورئيس زمر محمد بن الغازي. وكان هدف الحملة هو الهجوم على منطقة أدخسان ببلاد زيان، وإفساد الغلل هناك، علماً بأن هذه المنطقة كانت من أهم مصادر الحبوب بالنسبة للقبائل الجبلية. ويقول الزياني إن انشغال الناس بالوباء بالمنطقة الشمالية لم يكن يسمح باستنفار القبائل إذ "كان الناس في محنة وشدة من هذا الوباء الذي عم الحواضر والبادي"، ويلقي الزياني باللائمة على ولد السلطان وخليفته بفاس، مولاي إبراهيم، الذي لم يبلغ والده بمراكش بما كانت عليه الأوضاع بالغرب.

وعندما اجتمعت بتادلة قبائل الحوز بقبائل الغرب التي قدم بها مولاي إبراهيم، أرسل أيت أواملو وفداً إلى السلطان ملتجئين عفوه ومظهرين رغبتهم في أداء المال المفروض عليهم. لكن السلطان رفض أن يقلع عن حربهم،

وهنا يحمل الزياني المسؤولية لابن الغازي الزموري الذي نصح السلطان برفض الصلح، كما يتهمه بالغدر والتواطؤ مع أيت أواملو للإيقاع بمحلة السلطان وجيوشه. ويتراجع قبائل زمور عند بداية المواجهة دب الفشل في صفوف الجيوش المخزنية وهرب كل من استطاع ذلك، ولم يبق مع المولى سليمان إلا جيش العبيد والأودايا وقبائل الحوز، فانهالت عليهم أسراب أيت أواملو وكادوا أن يستأصلوهم. وعندما أظلم الليل بقي السلطان وحيداً، فلما تعرف عليه أيت أواملو حملوه إلى خيمة وأظهروا له كل إجلال، وأبقوا عليه عندهم بضعة أيام ثم رافقوه إلى مشارف عاصمة مكناس وأطلقوا سراحه. أما المولى إبراهيم، والمرشح لخلافة والده، فقد هلك في المواجهة فكان ذلك مما زاد من حسرة المولى سليمان الذي فقد كذلك ثلثة من كبار الدولة ورؤساء الجيش.

والواقع أن هذه الهزيمة القاسية سددت ضربة قاضية للمخزن السليمانى تمثلت في تفكك الجيش وسقوط هيبة الدولة، وتفشي الاضطرابات في جميع المناطق. وأصبح السلطان عاجزاً حتى عن إقرار الأمن حول عاصمته والمناطق القريبة منها. ومن أهم ما ترتب عن هذه الهزيمة قيام أهل فاس ضد عاملهم ثم مبايعتهم لسلطان بديل بعد أن صرّح المولى سليمان بالعجز.

م. أكنسوس، الجيش العرمرم، مخطوط، رقم د 339، خ.ع بالرباط؛
أبو القاسم الزياني، الروضة السليمانية، مخطوط، رقم د 1275،
خ.ع بالرباط؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1956،
الجزء 8.

محمد المنصور

الزَيَّانِي، أحمد بن قاسم المنصوري، دفين وادي زم.
أصله من قبيلة المناصرة بأزغار الغرب، وولد بمكناس لكن والده الذي كان قائداً حربياً في دولة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان وابنه الحسن الأول انتقل به قبل سبع الولادة إلى المعسكر الذي كان يترأسه في خنيفرة واستوطنها وفيها نشأ المترجم ونسب إلى زيان.
تكوّن أحمد بن قاسم تكويناً عربياً متيناً في اللغة وقواعدها وأدائها، والفقه وأصوله. وكان ذا موهبة في كتابة النثر الفني، طويل النفس في الشعر، طرق جميع أغراضه القديمة، ووصف طبيعة الأطلس الشامخ ومجتمعه الأبوي الباسل، وكان إلى جانب علمه وأدبه فارساً يسابق ويجلي. صحبته في بداية أعوام الستين إلى زاوية الدلاء لمعرفة بشعابها ودروبها ولسان أهلها، فكان مثال اللطف والنبل، وأنشأ قصيدة في تلك الربوع مطلعها :

ذكرت الصبا وعهده بمراجع مضت بين هاتيك الربوع الروائع
تولى القضاء في عدة مدن، وكان من بين المغاربة الذين يُدعون لإلقاء محاضرات في معهد الدراسات المغربية العليا بالرباط لسيولة قلمه وسعة اطلاعه. وكانت

موضوعاته المفضلة الحديث عن البادية المغربية وسكانها في الجبال والأودية وما أنجبت من رجال فكر وأدب. وربما وسع بعض محاضراته فجعله كتاباً مثل الأبحاث الرشيدة عن الأدب بين تاوريرت وجبل دبدو ورشيدة، يقول في مقدمته : "ضرب الله لهذه البقاع بسهم من الأدب والعلم وفير، ومرّ فيها فطاحلة متشبعون بعلم غزير، ولم يخل محل من هذا المغرب الشرقي من علماء أجلة، إن لم يكونوا أقماراً فهم أهلة". وتحدث فيه عن آل عبد الجبار بفيكيك وخزانتهم الغنية وآثارهم النثرية والشعرية، وعن الإمام محمد المختار ابن محمد أمزيان الدرماوي وقومه الرحل المستوطنين الآن بجوار دبدو، وأحمد ابن الونان الملوكي صاحب الشمقمقة. على أن أهم إنتاج أحمد الزباني هو كتابه تاريخ زيان، وهو إن لم ينشر بعد فقد استفاد منه كثير من الباحثين في تاريخ الأطلس ومنطقة الدير.

توفي بمدينة وادي زم عشية يوم الاثنين سادس عشر ربيع الثاني عام 1384 / 21 غشت 1964.

أ. الزباني نفسه، الأبحاث الرشيدة، مخطوط : تاريخ زيان، مخطوط : ع. ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 9 : م. حجي، الزاوية الدلائية، ط 2، الدار البيضاء، 1988.

محمد حجي

الزباني، الضرير الهاشمي بن أحمد الرباطي، أستاذ الشيخين إبراهيم التادلي والمكي البطاوري والقاضيين أحمد البناني ومحمد البربري والأخوين محمد والغازي ابن الحسني. قرأ العربية والرواية والفقه والقراءات ومبادئ العلوم. كان له مجلس حفيظ يحضره كثير من طلبة الرباط وخصوصاً في درس مختصر خليل وصحيح البخاري والشاطبية بالجعبري.

توفي في الساعة العاشرة من يوم الاثنين فاتح محرم 1300 / 12 نونبر 1882 ودفن بالعلو بروضة المجاهدين. م. بوجندار، الاعتباط، ص. 469.

الزباني، عبدالرحمن ولد بمكناس عام 1932، والتحق في طفولته بالكتاب، فحفظ القرآن الكريم وبعض المتون الفقهية واللغوية كالمرشد المعين وألفية ابن مالك.

لم تكن ظروفه المادية تساعده على الالتحاق بالتعليم المنتظم، فاحترف الخرازة، وكان دكانه الواقع بحومة التوتة ملتقى لثلة من الأصدقاء يتابعون دراستهم بالمعهد الديني، فكان يستعير منهم كتبهم الدراسية وخاصة منها ما كان له صلة باللغة والأدب، كما كان يحضر - أحياناً - مجلس الفقيه الأديب السيد محمد بن أحمد بن المفضل برادة بجامع الأنوار المعروف بجامع سوق السباط القريب من موقع دكانه، فيستمع إليه وهو يقرئ ألفية ابن مالك وشروحها.

وقد ظهر ولعه بالمطالعة، فأقبل على قراءة الكتب وبعض ما كان يصل إلى المدينة من المجلات والجرائد العربية. سواء منها المشرقية أو الصادرة في تطوان.

انخرط في الحركة الوطنية وكان من العناصر النشيطة في حزب الشورى والاستقلال بمكناس وقد لقي في سبيل عقيدته الوطنية مضايقات كثيرة. وأهله عصاميته للانخراط في سلك التعليم في بداية عهد الاستقلال، فاشتغل معلماً للغة العربية ثم أسندت إليه مهمة الإدارة، فعين على التوالي مديراً لمدرسة الريش الابتدائية، ثم المجموعة المدرسية بالحاجب، ثم مدرسة الإمام الغفاري بالدار البيضاء. وأحيل على التقاعد وعاد ليستقر بمسقط رأسه أواخر سنة 1993.

ارتاد الزباني مجال الكتابة في سن مبكر، وكان من بين القلة من شباب مكناس الذين ذهب بهم الطموح إلى الكتابة في المجلات الوطنية بالمغرب. وبدل على ذلك سبقه إلى مراسلة مجلة الأنييس التطوانية التي نشرت له - على امتداد ثلاثة عشر عدداً من سنتي 1949 و1951 - سلسلة من المقالات الأدبية.

ولم ينقطع عن الكتابة حتى بعد التحاقه بالوظيفة، فقد أسس بتعاون مع نخبة من شباب مدينة مكناس "جمعية اللواء الثقافي". وكان له فضل سبق إلى إصدار مجلة تحمل اسم هذه الجمعية عام 1957، وهي مجلة أريد لها أن تعكس النشاط الثقافي للجمعية بالمدينة.

وكان أعضاء الجمعية يتناوبون على رئاسة تحرير مجلة اللواء، فأسندت إليه هذه المهمة في تحرير مواد العدد الثالث منها.

وتعتبر اللواء الثقافي أول مجلة عربية تصدر بمدينة مكناس بعد الاستقلال. صدر عددها الأول في مستهل سنة 1957، وتلاه العدد الثاني في مارس من نفس السنة، وتأخر صدور العدد الثالث إلى شهر مايو 1959. وبعد توقف تجاوز ثلاث سنوات صدر العدد الرابع في يونيو 1962. وقد طبعت الأعداد بأكملها بواسطة الستانسيل.

وبالرغم من قلة أعداد مجلة اللواء الثقافي، فقد استطاعت أن تستقطب أقلام فئة من علماء المدينة ومثقفها من الشباب. ومن هؤلاء العلامة المؤرخ المرحوم محمد بن الهادي المنوني وهو - يومئذ - مفتش لمادة التاريخ في ثانويات التعليم الأصيل ومراقب للدروس بالمعهد الديني بمكناس. ومنهم أيضاً الأستاذ سيدي محمد بن عبد القادر العرائشي مدير المعهد المحمدي بمكناس. وكان من بين الذين كتبوا بانتظام في المجلة : عبد العزيز بن عبد الجليل، وعبد الهادي المراكشي، وعبد الحميد بن عداة، والعلمي بن حلام، وأحمد الغرميلي، والهاشمي التهامي الراجي. ومن شعراء المجلة : محمد بن أحمد الأجرابي، ومحمد بن عبد الله الرغني، وأحمد الصقلي، وعبد السلام الزيتوني.

المنودية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء / الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 504634.

الزَيَّانِي، أبو القاسم بن أحمد بن إبراهيم، المؤرخ الشهير، نسبته إلى قبائل زيان الأطلسية. استقر جده بمدينة مكناس بعد أن استقدمه المولى إسماعيل ليكون إماما خاصا به. لكن والده اضطر للتنقل إلى مدينة فاس بعد وفاة المولى إسماعيل في سنة 1727 واضطراب الأحوال بالعاصمة. وبمدينة فاس ولد أبو القاسم في سنة 1147 / 34 . 1735.

عاش أبو القاسم الزَيَّانِي مدة طويلة (أكثر من مائة سنة إذا اعتمدنا التقويم الهجري) وعاصر خمسة سلاطين. إلا أن هذه الحياة الطويلة اتسمت بعدم الاستقرار والمحن الكثيرة التي اعترضت المترجم منذ سن مبكرة. كانت أولى هذه المحن غرق السفينة التي أقلته هو ووالديه من مصر إلى أرض الحجاز، وكان في نيتهم أن يتركوا المغرب بالمرّة لما كان يعرفه من فتن واضطراب سياسي. لكن ضياع ممتلكاتهم بعد هذه الحادثة جعلهم يقلعون عن الفكرة ويرجعون إلى وطنهم.

وبعد عودته إلى فاس وجد الزَيَّانِي أن أمور الدولة آلت إلى أمير مقتدر هو سيدي محمد بن عبد الله وأن معظم رفاقه في الدراسة قد التحقوا بخدمة السلطان الجديد. عندئذ تأقت نفسه إلى الالتحاق بهم، وتعلقت همته بالخدمة المخزنية على الرغم من نهي والده وتحذيره له من خدمة الأمراء. "فلم ينفع عزمي نهيه، يقول أبو القاسم، ولا ردني إنذاره وهديه"، فتقلد الكتابة بديوان السلطان مدة عشرة أعوام قبل أن يصاب بنكبة ثانية عندما عزل من الخدمة المخزنية عام 1182 / 1769 م. إلا أنه ما لبث أن رجع إليها بعد صفح السلطان عنه. لكن الزَيَّانِي لم يبق هذه المرة محصورا في دائرة الكتابة بل نجده يتقلد مناصب سامية حيث كلفه سيدي محمد بعدة مهام تتعلق بإخضاع قبائل أيت أو مالو، أو ولاية العرائش أو الإشراف على تربية أبنائه بتافيلالت. وفي سنة 1200 / 1786 أرسله السلطان سفيرا إلى الدولة العثمانية، وهي السفارة التي تحدث عنها الزَيَّانِي بإسهاب في الترجمانة الكبرى في أخبار العمور. وبعد عودته من إسطنبول عينه السلطان عاملا بتازة والمناطق الشرقية؛ وفي سنة 1788 نقله إلى تافيلالت التي بقي بها إلى حين وفاة سيدي محمد بن عبد الله في سنة 1205 / 1790.

وكانت هذه الوفاة إيذانا بنكبات أخرى تمثلت في إدخاله السجن مرتين على يد المولى اليزيد (1205 . 1207 / 1790 . 1792). ولما بوبع المولى سليمان كلفه بولاية وجدة بقصد كبح جماح عرب أنغاد، لكن القبائل الثائرة اعترضت طريقه قبل أن يصل إلى مقر ولايته، فنهبه هو ومن معه. عندئذ سئم الخدمة المخزنية، كما يقول، ولعله

أما عبدالرحمن الزَيَّانِي فقد شارك بدراسة متسلسلة تحت عنوان "ركن المري" طرح فيها بعض إشكاليات العملية التعليمية بالمدرسة المغربية، كما شارك بدراسة أدبية ذيلها بتوقيع "أبو المطرف".

وإلى ذلك فقد كان الزَيَّانِي من بين كتاب مجلة دعوة الحق التي نشرت له عدة مقالات أدبية واجتماعية. أما في مجال التأليف فقد صدرت للمترجم خمسة كتب أربعة منها طبعت على الستانسيل وهي :

- من وحي الشباب، فصول في الأدب والاجتماع. وهو في نحو ثلاثمائة صفحة.

- صور من الأدب النسوي، أدبيات الأندلس. صدر الكتاب في طبعتين : الأولى عام 1396 / 1976 والثانية عام 1397 / 1977. وقد ضم الكتاب ما سبق أن نشره المؤلف منجما بمجلة الأنيس التطوانية خلال سنة 1949 ابتداء من العدد 27 إلى العدد 34، وقوام ذلك أربعون ترجمة في نحو مائتي صفحة.

- من جنى الفردوس المفقود، سوانح وخواطر، 1997، الريش. وهو في نحو مائة وثمانين صفحة.

- أعلام من المغرب والأندلس، يضم ترجمتي مالك ابن المرحل وابن عمار المهدي، وهو في نحو مائتين وستين صفحة.

وإلى هذه المؤلفات الأربعة يضاف كتاب خامس تم طبعه بشركة الطباعة - صوت مكناس عام 1995، وعنوانه : الكاتب الإسلامي الكبير مصطفى صادق الرافعي - نظرات في مواقفه تحت راية الإسلام.

تتسم كتابات الزَيَّانِي بغلبة الأسلوب الخطابى والاندفاع العاطفي في إصدار بعض الأحكام أو استخلاص بعض النتائج. وهو يبرر جموحه هذا بما كانت تمليه عليه فورة الشباب من حماس، ولطموحه في أن يرى الفضائل متجسدة في قومه والمحاسن وقفا على معشره.

وقد أقعده المرض الفراش أواخر حياته إلى أن وافاه الأجل المحتوم في 22 شعبان 1419 موافق 11 شتنبر 1998 بمكناس.

كتب المترجم ومقالاته المذكورة في الترجمة : معرفة شخصية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الزَيَّانِي، عبد القادر بن محمد مقاوم من مواليد سنة 1930 بدوار تيزي بودريس ملحقة دائرة أكنول إقليم تازة.

انخرط في صفوف جيش التحرير تحت قيادة الشهيد حسن الزكريتي وابنه عبد الله الزكريتي حيث خاض معارك مبررة ضد القوات الاستعمارية الفرنسية أبان خلالها عن روح نضالية عالية وشجاعة نادرة إلى أن بزغ فجر الاستقلال.

توفي يوم الأربعاء 10 رمضان 1416 / 31 يناير 1996.

1235 / 1819 بزعامة المرابط الكبير أبي بكر أمهاوش. وقد بذل هذا القائد وقبيلته تضحيات كبيرة من أجل نصرة السلطان وتخليصه من الأسر بعد وقوعه في أيدي البرابر أثناء أحداث معركة ضيان الشهيرة التي جرت وقائعها سنة 1235 / 1819 (الإتحاف، ج. 5، ص. 531). واعترافاً بهذا الجميل استمرت قيادة زيان في بيت حمو الزباني وأوقف الملوك العلويون، منذ ذلك التاريخ ولاية هذا المنصب على عقبه فتولاها أبناؤه تباعاً. ففي سنة 1294 / 1877 عين السلطان مولاي الحسن محا وحمو الزباني قائداً على إخوانه بعد مقتل أخيه سعيد في حروب مع جيرانه اشقيرين. وكان عمره يومئذ عشرين سنة (موحا وحمو الزباني، ص. 13).



موحا وحمو الزباني

وقد زود السلطان محا وحمو بجيش كثير العدد والعدة لإخضاع القبائل الثائرة في المنطقة وترسيخ النفوذ المخزني في الأطلس المتوسط بصفة عامة الذي لم تعد قبائله تعرف النظام والاستقرار منذ أحداث معركة ضيان الأتفة الذكر. (الإتحاف، ج. 5، ص. 531) وقد ظل موحا وحمو الزباني وفيماً لسلطانه الذي لم يبخل عليه بالدعم المادي والمعنوي من جهته. فحافظ على الأمن من في المنطقة، وعمل على تأمين السبل، تنشيط الحركة التجارية بين مدينة فاس وبلده خنيفرة، فجلب إلى عاصمته نحو مائتين من كبار تجار العاصمة الإدريسية. كما استقدم إليها أيضاً قاضياً ومجموعة من الحرفيين والفقهاء لتعميرها والعمل على نهضتها. ولتعزيز أواصر القرابة بينه وبين السلطان أهدى موحا وحمو الزباني بنته البكر عروساً لولي عهده الأمير مولاي عبد العزيز. وبذلك تعززت مكانته في البلاط الملكي (موحا وأوحمو الزباني، ص. 21). غير أن زواج المصلحة هذا لم يعمر طويلاً. فعندما توفي السلطان مولاي الحسن، تقلص نفوذ السلطة المركزية وبدأ القواد الكبار يتطلعون إلى الانفراد بالقرار والاستقلال بجهاتهم. وفي هذا الإطار. وبالرغم من مصاهرته لمولاي عبد العزيز الذي تقول الروايات إنه لم يمسس قط تلك الفتاة البربرية المهداة إليه أعلن موحا وحمو الزباني انفصاله التام عن المخزن وبدأ يكون جيشاً خاصاً به ضم عدداً وافراً من

خاف غضب السلطان، ففر إلى الجزائر ومنها قصد المشرق فزار الاستانة، قبل أن يسافر إلى الحجاز لأداء مناسك الحج. وبعد غياب دام سنتين قفل راجعاً إلى المغرب. لكنه لم يأمن على نفسه فأقام بتلمسان إلى أن وصله كتاب من المولى سليمان يطمنه ويدعوه إلى الالتحاق بأهله بفاس. وما لبث أن عرض السلطان عليه ولاية العرائش فقبلها بعد إلحاح. وفي سنة 1801 نقله إلى تادلا لكنه لم يوفق في كبح جماح قبائل المنطقة فكان ذلك آخر عهده بالخدمة المخزنية. إلا أن ابتعاده عن السياسة وفقر له الظروف الملائمة كي يتفرغ للتأليف، فانكب على تدوين التاريخ وتسجيل أخبار رحلاته. وقد خلف الزباني كمية هائلة من التأليف التاريخية، أهمها الترجمان المغرب الذي تمت مراجعته وتكميله فأصبح يحمل عنوان البستان الطريف ثم الروضة السليمانية. وإذا كان هذا المؤلف قد غطى تاريخ المغرب إلى أواخر عهد المولى سليمان فإن الزباني قد سجل ما عاشه من عهد المولى عبد الرحمن في مؤلف صغير مستقل سماه تكميل الترجمان في خلافة مولانا عبد الرحمن. وبالإضافة إلى هذه التواريخ ترك الزباني عدة مؤلفات في شتى الفنون منها :

- الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار العالم برا وبحرا.
- ألفية السلوك في وفيات الملوك.
- تحفة الحادي في رفع نسب شرقاء المغرب.
- رسالة السلوك فيما يجب على الملوك.
- التاج والإكليل في مآثر السلطان الجليل مولانا سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل.
- تحفة النبهاء في التفرقة بين الفقهاء والسفهاء.
- تكميل قضاة فاس على ما في جذوة الاقتباس.
- جوهرة من حكم بفاس.

وعلى الرغم من التكرار الذي يطبع مؤلفات الزباني الذي يبني على كتابات سابقة لينتج مؤلفاً جديداً لا يختلف كثيراً عن سابقه، فإن مؤلفاته لا تخلو من أصالة وتعتبر في مجملها مصدراً ثميناً لتاريخ المغرب في العهد العلوي اعتمده من جاء بعده من المؤرخين كمحمد أكنسوس في الجيش العرمرم وأحمد بن خالد الناصري في كتاب الاستقضا.

أبو القاسم الزباني نفسه، البستان الطريف في دولة أولاد مولاي الشريف، تح. رشيد الزاوية، الجزء الأول، الرباط، 1992؛ الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تح. ع. الكريم الفيلاي، الرباط، 1967؛ ليقي بروفنسال، مؤرخو الشرفاء، تعريب عبد القادر الخلاوي، الرباط، 1977.

محمد المنصور

الزباني، محا و حمو، بطل المقاومة في الأطلس المتوسط القائد ابن القائد حمو الزباني. كانت لأبيه سالف خدمة في رحاب الدولة العلوية. فقد كان حمو الزباني من أنصار السلطان مولاي سليمان أثناء الانتفاضات المتلاحقة التي شهدتها الأطلس المتوسط في سنة

الجنود النظاميين الفارين من محلات السلطان بالإضافة إلى أتباعه المقربين ومجموعة كبيرة من المستائين وقطاع الطرق. وعندما اكتملت نواة هذا الطابور أخذت فصائله تجوب البلاد الممتدة بين فاس وصفرو، وأزرو، ومكناس مرددة شعار الجهاد والتخلص من الأجنبي المسيطرين على السلطان وحاشيته (موحا أوحمو الزياتي، ص. 31) وقد تصدى المخزن العزيمي لهذه التحركات وعمل ما في وسعه لإخضاع هؤلاء الثائرين إلا أن محاولاته في هذا الاتجاه باءت بالفشل. وعندما أطاح مولاي عبد الحفيظ بأخيه عبد العزيز، فتح باب حرمة فوجد بنت موحا وحمو الزياتي المشار إليها أنفاً لازالت بكراً فتزوجها على الفور، ثم كتب في أعقاب ذلك إلى صهره يخبره بأنه على أهبة الدخول إلى فاس عبر طريق السلاطين المعتادة التي تمر ببلاد زيان، وحضه على تسهيل مأموريته وشد عضده. امتثل موحا وحمو الزياتي لطلب السلطان، ووضع رهن إشارته فرقة عسكرية هامة من إخوانه واتجه شخصياً لاستقبال العاهل الجديد مصحوباً بأبنائه، ثم أحاطه بحامية من الحراسة قوامها خمسمائة فارس ذهبت معه إلى فاس في شتمبر 1908. (موحا أوحمو الزياتي، ص. 33). لم تستمر علاقات الود والمؤازرة بين المخزن الحفيظي والقائد الزياتي طويلاً. فعند ما تزايد تغلغل النفوذ الفرنسي في الشاوية ووجده، واستولى ضباط البعثة العسكرية الفرنسية على المحلات السلطانية، وفي أعقاب تزايد الضغوط الجبائية على القبائل واستنزافها لمواردها، توترت العلاقة من جديد بين موحا وحمو والمخزن، وبدأ في الاستعداد لمواجهة الغزو الفرنسي للمغرب. عندما شرعت القوات الفرنسية في تهدة منطقة الشاوية في سنة 1908، تمكن موحا وحمو الزياتي بمساعدة المرابط علي امهاوش من تكوين حلف عسكري ضم على الخصوص مناطق نفوذ موحا أو سعيد بني ملال، ومحمد أقبلي خصمه بالأمس الذي كان يضم تحت نفوذه نواحي مريوت، وألماس وأزرو، بالإضافة إلى قبائل أعالي وسفوح الجبال التي كانت خاضعة من الناحية الروحية لآل أمهاوش منذ زمن بعيد. بدأ موحا وحمو حركة الجهاد بإرسال فرق صغيرة للقتال في الشاوية. وعند ما وصلت الجيوش الفرنسية إلى خنيفرة في 11 يونيو 1914. ناوشها، ثم شد رحاله نحو الجبال للاستعداد الجيد للمقاومة. وفي أحد أيام شهر نوفمبر من نفس السنة، نزلت قبائل زيان من كل حذب وصوب وهاجمت القوات المعادية في المكان المدعو بالهري، وألحقت بها هزائم كبيرة كلفت فرنسا 613 قتيلاً من بينهم 33 ضابطاً و163 جريحاً من بينهم 6 ضباط (موحا وحمو الزياتي، ص. 57). شجع هذا النصر موحا وحمو الزياتي على مواصلة الجهاد فاستمر في القتال وتحولت المواجهات الكبرى بينه وبين الغزاة إلى حرب عصابات أدت إلى إلحاق خسائر فادحة في أرواح وعتاد الجيش الفرنسي. إلا أن عدم تكافؤ القوة بين موحا وحمو المقدام والمجاهد الذي حارب باستماتة اعتماداً على أسلحة تقليدية وموارد محدودة، وبين دولة عظمى تتوفر على جيش جرار مزود بعتاد حربي متطور، أدى في النهاية إلى غلبة المستعمر،

وانهيار مقاومة الأهالي، في يوم الأحد 17 رجب 1339 الموافق 27 مارس 1921 استشهد موحا وحمو الزياتي على إثر رصاصة أصابته في عنقه، وبذلك أوشكت مقاومة الأطلس المتوسط على الانتهاء بعد اختفاء أحد زعمائها الكبار.

ع. الرحمن ابن زيدان، إنحاف، الرباط، 1933، الجزء 5؛ فرانسوا بيرجي، موحا وحمو الزياتي، 1877، 1921، تر. محمد بوسته، طبعة، أنفو برانت، فاس، 1999.

العربي اكنينح

الزَيَاتِي، محمد حمادي بن محمد المعروف عَمَامُو، مقاوم، أحد رجال منظمة الهلال الأسود للمقاومة، برز في صفوفها بفضل حضوره في العديد من عملياتها، ومنها وضع قبيلة قوية المفعول مساء الخميس 13 ماي 1954 في القبلة التي يقيم بها المهندس الفرنسي "جان شامبيونا" (76 سنة) بزينة الجنيرال "هومبيرت" (Humbert) قرب القصر السلطاني بالمدينة الجديدة في الدار البيضاء، وقد أدى انفجار القبيلة إلى سقوط المهندس المذكور قتيلاً.

تمكنت مصالح البوليس من اعتقاله عندما كان يمر رفقة عبد الله الحداوي ومحمد فتان الدكالي بمحج "بيرسيموني" (2 مارس حالياً) على متن سيارة في ملك منظمة الهلال الأسود، وذلك يوم الخميس 26 يناير 1956، وأثناء الاستنطاق اعترف الزياتي بتورطه في عملية تصفية أحد باعة التبغ يدعى "كازانوثا" وعمليات أخرى.

وقد راح الزياتي ضحية الاقتتال الذي نشب بين الهلال الأسود والمنظمة السرية التي حاولت الهيمنة على باقي منظمات المقاومة، إذ ترصد له أربعة من أعضائها فاغتالوه بإحدى دور درب البلدية بعد ظهر يوم السبت 21 ذي القعدة 1375 / 30 يونيو 1956.

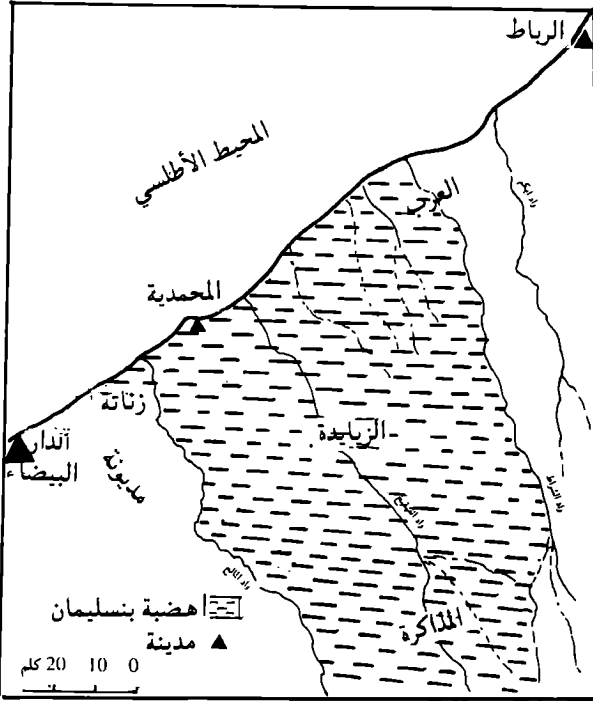
La vigie marocaine, n° 16136, 5 Juil. 1956, p. 5.

محمد وحيد

الزَيَاتِي، محمد حيضر من جبل الرواد المغاربة السينمائيين منهم والتلفزيونيين، يرجع إليه فضل كبير في تفعيل التلفزة المغربية إبان البث المباشر في الستينيات حين كان مديراً لها من 1964 إلى 1967، وشغل فيما بعد منصب مدير عام للمركز السينمائي المغربي من 1971 إلى 1974. ولد محمد الزياتي (شقيق المخرج التلفزيوني أحمد حيضر) سنة 1936 بالدار البيضاء. وبعد حصوله على شهادة الباكالوريا في شعبة الآداب العصرية، قام بدراسة مسرحية بالمعهد الوطني للمسرح بباريس سنة 1956، ودرس إلى جانبه آنذاك عدد من الممثلين الفرنسيين الذين اشتهروا فيما بعد أمثال : جون بول بيلموندو، جون كلود بريالي وميشال ميريال وغيرهم...

وفور تخرجه لعب دوراً بطولياً إلى جانب الممثل جيرار فيليب، في فيلم (أفضل حصاة) للمخرج الفرنسي إيف ألغري Yves Allegret. كما لعب في نفس المرحلة دوراً في

الآن بأن قبيلتهم استمدت اسمها من فعل "زاد" تعبيرا عن التزايد المستمر في عدد سكانها الأجناب. وفي نفس الرؤية والتوجه يحكي الكثير من أرباب الأسر الزيادية بأن لفظ "الزيادة" ارتبط بالحيرات الفلاحية لبلادهم، وأن كان من زارها منذ القديم كان يتعجب لهذه الحيرات فيأتي بأهله وتكرر العملية التي أدت إلى تزايد حجم القبيلة وتزايد خيرات أرضها أيضا. وهناك رواية أخرى تقول بأن القبيلة أخذت هذا الاسم "الزيادة" في غضون القرن الأول الهجري أيام الفتوحات الإسلامية حيث قدمت إلى المغرب وفود من المسلمين، واستقر بالمنطقة أحد هؤلاء الفاتحين الذي لعب دوراً هاماً في حياة القبيلة ويدعى "زياد" ومنذ ذلك الحين أصبحت القبيلة تحمل اسم "بني زياد"، ومع مر الزمان تغير هذا الاسم ليصبح : الزيادة التي كانت تشكل مع مديونة وأولاد زيان خلال القرن التاسع عشر مجموعة الشهاونة حسب التقطيع الترابي الذي وضعه المخزن من أجل التحصيل الضريبي.



الزيادة أهم قبيلة استوطنت هضبة بنسليمان منذ أواخر القرن الثامن عشر

وعلى العموم فإن أحدا لا يستطيع اليوم أن يجزم بمعرفة الأصول الحقيقية لقبيلة الزيادة الموسعة والمركبة لأنه داخل هذه القبيلة اختلطت الأصول البربرية بالأصول العربية، كما هو الشأن بالنسبة لمعظم قبائل الشاوية، إذ اندمجت عناصرها لتكون في النهاية قبيلة موسعة وحدتها الظروف التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، ثم زادت بها البيئة الجغرافية وطول المعاشرة والجوار ومتاعب تقلبات الدهر تماسكا وانصهارا. وقد عبر أحمد الناصري عن ذلك عندما قال متحدنا عن قبائل

فيلم (عين بعين) للمخرج الفرنسي أندري كايات André Cayatte.

مباشرة بعد ذلك توجه إلى الاتحاد السوفياتي للدراسة بالمعهد العالي للسينما بموسكو حيث تخرج بديبلوم في شعبة الإخراج بإنجازة لفيلم بعنوان (الحظ الأخير) تحت إشراف المخرج السوفياتي سيرغي بوندار تشوك Serguei Bondarhouk سنة 1960.

وحين عاد إلى المغرب ولج الميدان السينمائي كمساعد مخرج في فيلم (لورانس العرب) للمخرج البريطاني دافيد لين David Lean، كما أخرج للسينما المغربية فيلمين قصيرين : (البساط) سنة 1968، و(إيه بازمان) أو حديقة الحيوان) سنة 1972، وهو فيلم طريف يؤسس للنسق الكوميدي في السينما المغربية حيث يعلق محمد الزباني على عدد من سلوكات البشر المضحكة والغريبة على السنة مجموعة من الطيور والحيوانات الموجودة بالحديقة.

أما أعماله التلفزيونية فقد انحصرت أبرزها في إخراج فيلم روائي طويل تحت عنوان (المتقاعد) كما صور وأخرج مسرحيات شهيرة من ضمنها : (درهم الحلال) و (أمجاد محمد الثالث) لإدريس التادلي و(الشاهد الأخير) و (مولاي رشيد)...

كما مثل في فيلم (أفغانستان لماذا) لعبد الله المصباحي سنة 1982. ورغبة منه في خوص غمار الإنتاج المستقل أسس المرحوم الزباني شركة إنتاج سينمائية تحت اسم (الزباني فيلم) بهدف إنجاز أعمال وطنية أخرى بالاشتراك مع غيرها من المؤسسات والأفراد من داخل وخارج الوطن. غير أن يد المنون اختطفت محمد الزباني يوم الأحد 23 جمادى الأولى عام 1409 / فاتح يناير 1989 بمدينة مراكش ودفن في الرباط في الثالث من نفس الشهر والسنة.

خ. الحضري، دليل المخرجين السينمائيين المغربية، واتصال شخصي بشقيق المرحوم، المخرج أ. حيدر الزباني.

خالد الحضري

الزَيَايدة، أهم تجمع بشري اقترن اسمه بالجزء الشمالي الشرقي لبلاد الشاوية وذلك منذ أواخر القرن الثاني عشر (18 م) هو : قبيلة الزيادة التي زحفت آنذاك من بلاد المذاكرة في اتجاه الشمال والغرب لتستقر في الأجزاء الجنوبية والوسطى لهضبة بنسليمان بين وادي الشراط ووادي المالح مستغلة الفراغ السكاني النسبي الذي كانت تعرفه المنطقة. وتفيد بعض الروايات أن الزيادة في بداية استيطانها هذا المجال كانت محدودة الحجم، إذ كان عدد العائلات بها ينحصر في حوالي 20 عائلة أصلها أمازيغي من صنهاجة ؛ فكانت هذه العائلات ترحب بكل الوافدين عليها الفارين من القبائل المجاورة أو من مضايقات رجال المخزن من أنحاء مختلفة، وإما مغامر ينهبون عن مورد عيش أفضل، ومن ثم شاع استعمال فعل "زاد" بين أفراد القبيلة، إشارة إلى كل وافد جديد انضاف إلى القبيلة، مما جعل العديد من أفراد هذا التجمع البشري يعتقدون إلى

* * اسم الزئبق قديم، ينحدر من كلمة "إيدراجير" (Hydragyre)، وتنقسم هذه الأخيرة إلى "إيرور" وتعني الماء، و "أرجيروس" وتعني الفضة. ومن هنا أصبح رمزها الكميائي Hg. يبلغ الوزن الذري للزواق 80 إلى 200.51، أما كثافته فهي 13.6. الزئبق هو معدن أبيض، شديد النضاعة، يبقى سائلا من 39°C - إلى 357°C +. يمكن أن نجد الزئبق على حالته الطبيعية (أي سائلا) في بعض مناجم الزئبق، إلا أنه غالبا ما يوجد على شكل كبريتيات. ويبقى الزئبق أهم ركاز للزواق على الإطلاق. ونشير هنا إلى أن أصل كلمة الزئبق هندي، وتعني راتينج أحمر، وهو كبريت الزئبق (HgS)، نظامه البلوري معيني، ذات انقسامات بارزة، وشقق غير متساوية، لمعانه ماسي، صلابته 2 إلى 2.5، كثافته 8.09؛ غالبا ما يكون لونه أحمر قرمزي أو ضارب إلى السمرة، أشهب ضارب إلى الزرقة، وأصفر ليموني أو أصفر عند تفسخه. عند تسخين الزئبق، نحصل على مادة الزئبق على شكل قطرات سائلة. نجد الزئبق على شكل الزئبق في العروق الحرمانية، وعلى شكل تشبعات في الحجر الرملي والكوارزتيت، والصخر الكلسي، والنضيد الكاربوري أو الفحم.

A. Foucault et J.F. Raoul, *Dictionnaire de géologie*, 3ème éd. Paris, 1988 ; E. Saïdi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (français-arabe)*, Rabat, 1990 ; J. Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*, Paris, 1986 ; D. Rudolf et Lubos R., *La grande encyclopédie des minéraux*, Paris, 1989 ; *Goéologie des gîtes minéraux marocains (Substances métalliques et non métalliques)*, 2ème éd., t. 1, Rabat, 1980 ; *Goéologie des gîtes minéraux marocains (Phosphates)*, 2ème éd., t. 3 ; J. Agard, *Minerais et substances utiles de la carte géologique au 1/200.000 des environs de Casablanca, rapport SEGMA*, n° 151, 1950 ; A. Michard, *Éléments de géologie marocain, Notes et mémoires du service géologiques*, n° 252, 1976 ; *Éléments de la géologie du Maroc*, Mins, Géologie et Energie, n° 41, 1977 ; *Marbres et roches ornementales, Mines, Géologie et Energie*, n° 45, 1979 ; *Bulletins mensuels de la conjoncture minière*, Ministère de l'Energie et des Mines, Direction des Mines, Maroc ; D. Reig, *Dictionnaire Arabe-Français, Français-Arabe, As-Sabil*, Paris, 1986 ; P. Lapadu-Harques, *Précis de minéralogie*, Paris, 1954 ; B. Bariand, F. Cesbron et J. Geffroy, *Les minéraux, leurs gisements, leurs associations Paris*, 3 vol., 1978.

عبد الله بوصحابة

الزيت والزيتون، بالرجوع إلى المصادر العربية التي أشارت إلى المغرب منذ الفتح الإسلامي وإلى مصادر التاريخ القديم، وباستنتاج الآثار المتخلفة عن الفترة الرومانية وما قبلها، يظهر أن إنتاجهما واستهلاكهما محليا كان مقتصرًا على بعض المدن والمستعمرات الرومانية (فتوح BAM 248 م 5 و6) وقد استمر هذا النشاط الفلاحي إلى القرون الأولى التي أعقبت الفتح الإسلامي للمغرب،

الشاوية في أواخر القرن الماضي : "واعلم أن الشاوية... وقع فيهم اختلاط كبير نسوا أنسابهم وأصولهم الأولى إلا في النادر، وذلك بسبب تعاقب الأعصار، وتناسخ الأجيال، وتوالي المجاعات والانتجاجات، ووقعات الملوك بهم في كثير من الأحيان، وتفريق بعضهم من بعض ونقل بعضهم إلى بلاد بعض". كل هذا يجعلنا نخلص في الأخير إلى أنه من الأسلم التمييز بين "الزيادة" كتعبير عن تركيبة بشرية غير متجانسة على صعيد الأصول والنسب و "الزيادة" كوحدة سوسيو - مجالية، فاللفظ يحيل على إطار ترابي واجتماعي أكثر مما يحيل على وحدة بشرية، وذلك لغياب ما يثبت الأصل المشترك للقبيلة ولعظم التصنيفات المتفرقة عنها من فخذات ودواوير، وحضور ما يدعم ويزكي الاعتقاد بالأصول المختلفة والمتفرقة. ونشير في هذا السياق إلى أنه حتى إذا سلمنا بصحة الأصل الأمازيغي للعائلات الزيادية الأولى فإن هذه العائلات قد انصهرت وذابت وسط العائلات العربية الوافدة عليها خلال حقبة زمنية متتالية إلى أن أصبحت اللغة العربية الآن هي اللغة الوحيدة المتداولة بين مختلف المجموعات البشرية المكونة لقبيلة الزيادة.

تحريرات ميدانية : أ. الناصري، الاستقصا، تج. جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج. 1، الدار البيضاء، 1956، ص. 66. 67. Mission scientifique du Maroc, op. cit., . 52.

المختار الأكل

الزئبق، أو الزواق معدن أبيض، لامع، شديد الثقل. وهو الفلز الوحيد الذي يوجد سائلا تحت الحرارة العادية، فلا يتجمد إلا عند بلوغ 39 درجة تحت الصفر. رمزه الكيماوي Hg وعدده الذري 80 ووزنه الحجمي 13.6 غ / سم³.

عرف الزئبق منذ أقدم العصور. وقد جعلت منه كفاءته على إذابة الفلزات غير الحديدية، وعلى الخصوص منها قدرته على ملغمة الذهب، مادة مطلوبة جدا. وهو مستعمل في تجهيزات القياس (المحاررات، المضغاطات...) وفي صناعة سبائك معالجة الأسنان. إلا أن المضار المترتبة عن أبخرته تشكل إكراهات تحد من استعماله.

بالإمكان العثور على الزئبق في حالته العنصرية، غير أن مكانه الرئيسية توفره على الخصوص في وضعه المكبرت، المدعو بالزئبق.

هناك علام للزئبق وصفت بالمغرب في موقع جنان النيش، بالريف، وكذلك بالأطلس الصغير حيث يوجد مشتركا مع الفضة في منجم إمبضر الذي يمثل حاليا المنجم الوحيد المنتج للزئبق كمادة ثانوية لعذانة الفضة.

عدي عزى

وخاصة في المدن القديمة وليلي وليكسوس والمناطق المجاورة لها ؛ فالبيكري في كتابه أشار إلى وجود زيت الزيتون في فاس (المغرب، 117) وقال المقدسي عن فاس وناحيته : "بلد كثير الخيرات والتين والزيتون" (أحسن التقاسيم، 229).

هذه الشهادات تبين مدى المجهود الذي بذله الأدارسة لتشجيع إنتاج زيت الزيتون لتلبية حاجيات المدينة في التغذية والدهان والإنارة، لكن هذا التوسع في إنتاج الزيتون ومشتقاته تم على يد فلاحين كسبوا الخبرة في الميدان لطول استقرارهم بالمنطقة فمدينة فاس ليست بعيدة عن مدينة وليلي التي تزخر بالآثار المرتبطة بإنتاج الزيتون كمعاصر الزيت وأرحتها (BAM). ومن القبائل التي يمكن القول إنها ورثت هذه الفلاحة وصناعة الزيت قبيلة مكناسة الزناتية حتى أن اسمها ارتبط بالزيتون (مكناسة الزيتون) تمييزاً لها عن باقي مكناسة. فمناطق إنتاج الزيتون وزيته واستهلاكه بقيت محصورة خلال الفترة الأولى من العصر الوسيط في (الثلث الروماني) وامتداده في سايس، وشكلت مدن فاس ومكناسة وتازا أهم مراكز الإنتاج في المرحلة الموالية حتى إن صاحب الاستبصار قال عن مكناسة في زمنه (العهد الموحدى) : "زيت مكناسة أكثر زيت في المغرب... (الاستبصار، 187 و188 و210 ؛ نزهة المشتاق، 3 : 230 ؛ الروض المعطار، 541 و544 ؛ الحلل الموشية، 146؛ الروض الهتون، 6).

يرجع التوسع في إنتاج زيت الزيتون إلى تشجيع الموحدين (وهم أصلاً غراسون) فتوسع العمران وتعددت المدن وتزايد أعداد السكان المستقرين، وتحسن المستوى المعيشي أدى إلى ارتفاع الطلب على زيت الزيتون للتغذية والإدهان والإنارة في المؤسسات العمومية (مساجد، مدارس، حمامات، فنادق، أسواق، وحتى الأزقة...) على أن هذا الاستهلاك ظل محصوراً إضافة إلى ما ذكر بين الأعيان والخاصة، أما العامة فكان استهلاكهم له قليلاً بسبب ارتفاع ثمنه.

من خلال الأسعار التي ذكرتها المصادر عن زيت الزيتون يظهر أنه كان متوفراً فقط في بعض الفترات غير المرتبطة بالمعطيات الطبيعية كالكوارث والقحوط والأمراض والآفات التي تصيب الأشجار المثمرة، أو تقلبات المناخ؛ وقد ارتبطت مسألة الوفرة أو القلة كذلك بظروف الأمن والاستقرار؛ ففي الظروف السلبية يتم تخفيض الاستهلاك عن طريق تخفيض الإنارة في المحلات العمومية، ويتم التغلب على الخصاص في الزيت أحياناً باستيراده؛ فقد جاء في كتاب نزهة المشتاق ص. 239 عن مرسى سلا : "...مراكب أهل إشبيلية وسائر المدن الساحلية من الأندلس يقلعون عنها ويحطون بها بضروب من البضائع وأهل إشبيلية يقصدونها بالزيت الكثير وهو بضاعتهم..." (الحديث عن مدينة سلا).

ومن خلال هذا النص القصير يمكن أن نضيف إلى

الأسباب المشار إليها أن المنطقة الشمالية من المغرب كانت على اتصال أكثر بالأندلس عن طريق البحر، وأن الأندلس وخاصة إشبيلية كانت منتجاً رئيسياً لزيت الزيتون وأن ثمنه عند وصوله إلى المغرب كان أرخص من الزيت المصنوع محلياً، فالنقل البحري أرخص بكثير من النقل البري. ولم تكن مدينة سلا المستورد الوحيد لزيت الأندلس بل كانت مراسي البحر الرومي (المتوسط) نشيطة في هذا المجال، فالبادسي في المقصد الشريف تحدث عن تاجر كان محتكراً للزيت الإشبيلي في بادس.

وبالرجوع إلى التوزيع الجغرافي لشجرة الزيتون نلاحظ أن المناطق التقليدية لإنتاج الزيتون تبقى في المقدمة (مكناسة وفاس والناحية). وحتى التوسع الذي أشرنا إليه في العهد الموحدى الذي تزعمه الخلفاء والأمراء بأنفسهم قد توقف أواخر الدولة الموحدية؛ فكتاب التشوف الذي يعكس صورة المجتمع المغربي في هذه الفترة لم يشر إلى الزيت إلا عند ذكره "الفندق الزيت بسلا" (التشوف، 186). وفي نفس الفترة، فترة الناصر الموحدى، أورد ابن عبد الملك في الذيل والتكملة أخباراً عن احتكار أحد التجار للزيت في مراكش إلى درجة أن المخزن الموحدى الذي كان في حاجة إلى زيت الزيتون التجأ إلى هذا المحتكر (الذيل، ص 8 ج. 178/1).

لم تنتشر شجرة الزيتون جنوب جبل دَرَن وسوس بسبب سيطرة زيت أرگان الوفير ورخيص الثمن، وقد كانت مدينة مراكش قبل العهد الموحدى تستغني به عن غيره من الزيوت (المغرب، 162 و163، الاستبصار، 210، ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، 59 ؛ بسط الأرض، 125)؛ ورغم تغير الوضعية الاقتصادية والاجتماعية في مراكش وانتشار الزيتون في مراكش وأغمات وسفوح درن الشمالية وفي الأودية والمصببات، فإن الاستهلاك الغالب عند العامة ظل مرتكزاً على زيت الهرجان لغلاء زيت الزيتون من جهة ولتعود الناس على استهلاك زيت أرگان.

وإذا ما حاولنا البحث في كمية الإنتاج وتقديره، فإن النصوص القليلة المتوفرة تظهر أن الإنتاج كان كبيراً خاصة في فترات الحصب وسلامة المغروسات. فصاحب الاستبصار يقارن ما بين إنتاج المناطق التقليدية لشجرة الزيتون وهي مكناسة والمناطق الجديدة وهي مراكش فيقول "زيتون مراكش أكثر من زيتون مكناسة وزيتها أرخص وربما أطيب..." (الاستبصار، 210). فالأمر يتعلق بمفهوم ما زال سائداً حتى اليوم عن الجودة إذ يقال إن زيت المناطق الجنوبية أفضل من زيت المناطق الشمالية، بسبب الرطوبة والجفاف، إذ كلما كانت المنطقة مرتفعة الحرارة وقليلة المياه كلما أعطت زيتاً كثيفاً وجيداً. ويؤكد تفوق المناطق الجديدة أو الحديثة العهد بالزيتون على المناطق التقليدية لغراسته صاحب الحلل الموشية، ص. 146 وصاحب الروض الهتون، ص. 6) وترد عندهما تقديرات بالثمن الإجمالي للمبيعات.

وعن الاستهلاك : فقد أشرنا إلى ارتفاعه في العهد الموحدى وبيننا أسبابه ويمكن الاعتماد على بعض الإشارات لتقديره، فقد أورد صاحب كتاب الإعلام محاورة بين أبي العباس السبتي وأحد المتبركين به: "سأل الرجل الرجل عن حاله فأخبره أنه عليه سبعين قنطاراً من الزيت دينا أخذه وأطعمه للفقراء..." (الإعلام، 1: 271)، فالفقراء إذا كانوا يأكلون في بعض الأحيان مثل هذا القدر في مدينة واحدة فإن الفئات الأخرى الغنية والمتوسطة تستهلك أكثر من ذلك بكثير؛ أما عن الاستهلاك غير الغذائي فقد فصل القرطاس (ص. 66 و67) فصل الحديث عن إنارة جامع القرويين والكمية التي تستهلكها من زيت الزيتون فقال: "الثريا الكبرى قناديلها 509 ووزنها 17 قنطاراً ونصف و13 رطلا من النحاس وتحمل قنطاراً وسبع قنطير من الزيت؛ وعدد قناديل الجامع 1701 تسرح بـ3 قنطير ونصف".

هذان المثالان عن الاستهلاك في التغذية وفي الإنارة يظهران أن حاجيات البلاد من الزيت خلال العصر الوسيط كانت في تزايد خاصة أيام الموحدين؛ أما بعدهم فقد تراجع الاستهلاك وتدهور الإنتاج بشكل كبير خاصة منذ العهد المريني الثاني. ومنذ ذلك وإنتاج زيت الزيتون واستهلاكه متذبذب ما بين الانتعاش والتدهور؛ ففي عهد الاضطرابات السياسية وانعدام الأمن بهجر الناس أراضيهم الخصبية ويلتجئون إلى الجبال والمناطق الوعرة للاحتماؤها بها من هجمات المغيرين، ويعتمدون في مواطنهم الجديدة القليلة الخصوبة لضعف التربة وتضرس الأرض على المواد الفلاحية الملائمة كالشعير وبعض الأشجار المثمرة ومنها الزيتون وعلى الماعز؛ ولم يكن الإنتاج يتعدى الاستهلاك العائلي إلا في النادر. وقد يتحقق الفائض في بعض المواد فيتم تجميعه محلياً من قبل التجار وتسويقه خارج المنطقة؛ وأهم سلعة كانت مطلوبة "الزيت" خاصة في بعض المدن (وصف إفريقيا، 1: 92 و112 و113 و125 و126 و129 و132 و133 و134 و138 و146 و258 و260 و261 وما بعدها)، وفي بعض الفترات التي عز فيها الإنتاج وأصبح مطلوباً تخصصت بعض القبائل في إنتاج الزيت وترويجه محققه بذلك أرباحاً كبيرة مثل قبيلة هسكورة، وسكان السفوح الغربية لجبال فازاز وجبال غمارة (وصف إفريقيا، 1: ص. 92 و129 و132 و277 و282)، إلا أن ذلك لا يعني أن الإنتاج حقق فائضاً محلياً وجهوياً بقدر ما يعني ضعف الطلب الداخلي المحلي بسبب ضعف القوة الشرائية فيعمد المنتجون المحليون إلى توجيه الكميات المتجمعة إلى السوق الخارجي، إضافة إلى أن الطلب على زيت الزيتون عاد ليتركز في المدن الكبرى وفي المناطق الشمالية، أما المناطق الجنوبية (جنوب وادي تانسيفت فعادت للاعتماد كلية على زيت الهرجان (وصف إفريقيا، 1: ص. 185 و264 وكذلك ص. 75 و80 و83 و86 و109)، هذا الاستهلاك بجميع

أنواعه كان محصوراً أساساً في بعض القبائل فلم يكن زيت الزيتون قد دخل في نظامها الغذائي سواء منها الموجودة في السهول الداخلية والساحلية أو الموجودة في الصحاري، فاعتمادها بالدرجة الأولى كان على المنتجات الحيوانية (الزبد السمن والشحوم) (البیان، 4: 7 و8 و9، نفاضة الجراب، 88 و89 و90 و91) (وصف إفريقيا، م س).

ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تح. عبد المنعم عامر، مصر د. ت: BAM: مجلة الآثار المغربية، 6: Vol. 5 et 6: أ. البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، الجزائر، 1911: المقدسي، أحسن التقاسيم، ليدن، 1957: مجهول، كتاب الاستبصار، 1958: ش. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الطبعة الإيطالية نابولي، د. ت: الحميدي، الروض المعطار، بيروت، 1957: مجهول، الحلل الموشية، الدار البيضاء، 1979: م. ابن غازي، الروض الهتون، الرباط، 1964: البادسي، المقصد الشريف، الرباط، 1982: م. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، الرباط، 1984: ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، بيروت، د. ت. وكتاب بسط الأرض، تطوان، 1958: ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1974: ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972: الجزنائي، جني زهرة الآس، الرباط، 1967: ح. الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1980: ابن عذارى، البيان المغرب، بيروت، 1983: د. ابن الخطيب، نفاضة الجراب، الجزء الثالث، الدار البيضاء، 1989: ع. الرحمن ابن خلدون، العبر، بيروت، د. ت: أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954: م. حجاج الطويل، الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، كلية الآداب بالرباط، 1988.

Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Paris, Casablanca 1967 ; Martin [et al...], *Géographie du Maroc*, Paris - Casablanca 1967

محمد حجاج الطويل

الزيتون شجرة مثمرة انتخبت ضرورها من بعض ضروب الزيتون البري (انظر أزمور) الذي هو أوليا أوروبا *Olea europaea*. والمعروف أن أولى الضروب المنتخبة للزيتون المغروس هي بعض الضروب السورية للزيتون البري.

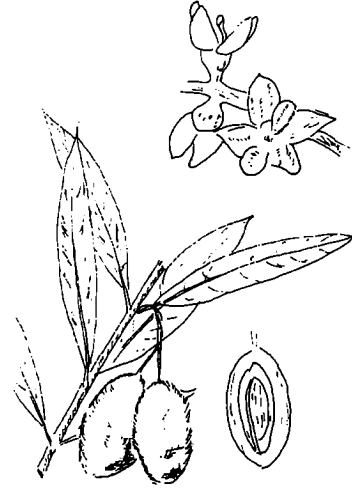
لا تختلف ضروب الزيتون المغروس في صفاتها النباتية عن الضروب البرية إلا في ما يخص الثمار التي تكون ذات حجم كبير بالنسبة للأصناف المنتخبة.

تطورت زراعة الزيتون المغروس وتنوعت ضروره لتعرف ازدهارا واسعاً شمل جميع مناطق البحر المتوسط الذي هو مهدها الأصلي الطبيعي قبل أن تنتشر في المناطق الأخرى الحارة وشبه الحارة من العالم ذات الظروف المناخية الشبيهة بمناخ منطقتها الأصلية.

وهكذا أدخل الزيتون إلى كاليفورنيا والمكسيك وأستراليا وجنوب إفريقيا والشيلي الأوسط.

زرع الزيتون منذ ما قبل التاريخ. وقد استخدمه

الفراعنة والإغريق والرومان وجاء ذكره في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم. ولهذا لا يعرف متى بدأت زراعته بالمغرب. يزرع الزيتون بالمغرب في كل المناطق الطبيعية لضروريه البرية حيث يجد الظروف البيئية المواتية (انظر أزمور). لا يمكن زراعته إلا في الطابقين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ، أي أن الشجرة لا تتحمل برودة الطوابق الأخرى. وإذا كانت الأمطار غير كافية فإنها تعوض بالري. كما هو الشأن في المناطق الجافة والصحراوية.



أهم مناطق الزيتون بالمغرب هي مقدمة الريف من وزان غرباً إلى وادي ملوية شرقاً، ودير الأطلس الكبير الشمالي، من بني ملال شرقاً إلى غرب إيمي نتانوت، ومنطقة تارودانت.

تطورت زراعة الزيتون في المغرب في العهود الأخيرة لكنها لم تبلغ لحد الآن المستوى الذي بلغته هذه الزراعة في إيطاليا والأندلس وتونس، وذلك بالرغم من أن الظروف البيئية في المغرب أكثر ملاءمة.

أهم منتجات الزيتون هي ثماره والزيت المستخلص منها. وكلا المنتجين يدخلان في تغذية الإنسان نظراً لقيمتهم الغذائية العالية. فالثمار تجنى إما قبل النضج النهائي لتؤكل نيئة بعد معالجتها بعدة طرق لإزالة مرارتها، أو تجنى ناضجة بعد ما تسود وذلك لتحضير أصناف أخرى من الثمار المصبرة أو المخللة، أو لعصرها لاستخراج الزيت. الاستعمالات الأخرى للزيتون تبقى ثانوية. فبالإضافة إلى استخدام أوراقه في التثبيت التقليدي وتغذية الماشية، يستعمل خشبه في صناعة بعض الأدوات كالعصي وأشياء أخرى للزينة.

أبحاث شخصية : ألبرت هيل، 1962، تر. عبد المجيد زاهر وآخرون، النبات الاقتصادي، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة - نيويورك.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 1993, 370 p. ; L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

* * كان لشجر الزيتون في المغرب القديم أهمية بالغة في الحياة اليومية عند الشعوب القديمة، إذ أصبحت الشجرة المقدسة في أرض كنعان، ورمزاً للسلام عند الإغريق والرومان. ففي أثينا وألمبيا كان الأبطال يضعون على رؤوسهم أكاليل من أغصان الزيتون، كما دأب المصريون على وضع أغصان صغيرة من شجرة الزيتون في مقابرهم. يوضح ما ذكر أهمية هذه الشجرة عند الإنسان القديم وقد سبقتها. أما بخصوص تاريخ انتشار غراسه هذه الشجرة على ضفاف حوض البحر المتوسط فتفيد بعض المعطيات أن ذلك ربما يعود للألف الرابع قبل الميلاد. وفي إفريقيا أكدت الدراسات وجودها منذ العصر الباليوليتي الأعلى وبالتحديد في المغرب القديم حيث توفرت شواهد تفيد معرفة السكان لهذه الشجرة. ففي تافوغالت أفادت المعطيات أن الإنسان الإيبروموروزي لمغارة الحمام كان يعرف شجرة الزيتون. كما كشفت حفريات الباحث م. بونسك في منطقة طنجة وضواحيها عن وجود حبات زيتون محروقة في عدة مقابر فينيقية. إن ما يؤكد الأهمية التي حظيت بها غراسه هذه الشجرة هو أنه على عهد الدولة القرطاجية تم خلق محور تجاري مزدهر. وسعيها لمواجهة المنافسة الخارجية قامت هذه الدولة بإتلاف أشجار الزيتون المغروسة في المراكز الفينيقية في سردينيا حفاظاً على الريادة القرطاجية في هذا المجال، الشيء الذي يعكس تفوق القرطاجيين في هذا المنتج.

لقد ازدهرت هذه الغراسه في منطقة الشمال الإفريقي بصفة عامة نظراً للظروف الطبيعية الملائمة من جهة وقلة المصاريف والعناية التي تتطلبها من جهة أخرى، علاوة على أن الأباطرة الرومان عملوا خلال فترة معينة على تنمية غراسه الزيتون لتلبية حاجيات روما المتزايدة من الزيت وكذا العمل على استقرار السكان، بهدف إكمال المشروع الروماني الاستعماري، وقد دلت الشواهد الأثرية في المغرب القديم على أن انتشار هذه الغراسه يعكس زمن السيطرة الرومانية.

وقد مثلت غراسه الزيتون إحدى الركائز الأساسية للاقتصاد المغربي القديم، حيث شكلت إلى جانب غراسه الكروم وزراعة الحبوب ثلاثاً فلاحياً. من العوامل المساعدة على نمو وتطور هذه الغراسه، إضافة إلى ملاءمة الظروف الطبيعية، عوامل مرتبطة بالسياسية التي نهجها بعض الأباطرة الرومان والذين عملوا على تقديم تشجيعات للسكان بهدف تنمية غراسه الزيتون لتلبية حاجيات روما من مادة الزيت. إن المعطيات المتوفرة تفيد أن غراسه الزيتون كانت سابقة عن مجيء الفينيقيين، ومع ذلك فإنه إذا استثنينا الأراضي التي كانت خاضعة مباشرة لقرطاج فإن مراحل انتشارها وتوسعها في هذه الجهة زامت مرحلة السيطرة الرومانية.

فيما يخص مناطق إنتاج الزيتون تم التأكيد على أن

الأرض الإفريقية تتلاءم أكثر مع زراعة الحبوب منها مع غراسة الزيتون، إذ (تشتهر تراكونيا بخمرها وإفريقيا بقمحها وقادس بأسماكها المملحة ونقيعها وبتيكا بزيتها). ويظهر أن هذا الاختيار مرتبط بسياسة الأباطرة الرومان الذين دأبوا خلال مراحل معينة على تشجيع هذا المنتج أو ذلك، فقد شجع الأيوليون - ألكلاويون سياسة القمح بينما سنّ الأنطونيون سياسة الزيت بتشجيع غراسة الزيتون. قبل تحديد أهمية الزيت من المفيد أن نعرف أولاً ببعض الأساليب التي استعملت قديماً في غراسة الزيتون. ونذكر منها :

- التطعيم وهي تقنية تمارس على الزيتون البري.
- الغرس وهي عملية نقل شجرة الزيتون لغرسها في مكان آخر ليكتمل نمواً.
- التشذيب وهي عملية تستهدف تقليم الشجرة في فترات معينة.

وقد حددت هذه المدة، حسب المصادر، في سنتين. ومن ضمن التقنيات الأكثر تداولاً تقنية التقضيب وهي عملية تحافظ على التجديد المستمر لشجرة الزيتون. وعلاوة على ذلك وجدت تقنية أخرى عرفت بالافتسال وقد كانت مفضلة عند الإغريق أكثر من التطعيم.

إذن ماذا عن أهمية الزيت في حياة الإنسان القديم ؟ استعملت زيت الزيتون في مجالات مختلفة، فقد وظفها القدماء في التطبيب، إذ اعتبرت إحدى المواد الأكثر تداولاً في تهيبه العديد من وصفات أبو قراط، كما استعملها غاليلان الذي عرف ما يناهز 473 دواء من أصل نباتي يوجد الزيت من ضمنها أحياناً كمادة أساسية وأحياناً أخرى كملح. ومن بين الفوائد التي عرفت بها كذلك أنها تدفئ الجسد وتحميه من البرودة وتنعش حرارة الرأس، كما استعملت في علاج آلام الأذن واسترخاء العضلات والوقاية من الصداع والآلام، وقد استعملت كدواء لمعالجة أمراض الجلد والحروق إضافة إلى أنها كانت مادة أساسية في التغذية. وكان المستحمون يدهنون أجسامهم بها، ولها منافع أخرى كالتجميل وإضاءة القناديل... تعكس الآثار المادية المرتبطة بإنتاج مادة الزيت أهميتها الحيوية. وإذا كانت النصوص القديمة لا تساعدنا على الإحاطة بأهمية إنتاج الزيتون والزيت، فإنه برصد المناطق التي كشفت فيها الحفريات عن وجود آثار مادية مرتبطة بإنتاج الزيت، وكذا المناطق التي انتشرت بها أشجار الزيتون، نستطيع أن نكون فكرة عن أهمية هذا المنتج.

مناطق إنتاج الزيتون.
كشفت الأبحاث الأثرية التي أجريت في عدد من مواقع موريطانيا الطنجية عن عدد مهم من بقايا معاصر الزيت. ففي منطقة طنجة أكدت تحريات بونسيك أنه إضافة إلى حبات الفول والقمح... التي وجدت محروقة في المقابر الفينيقية، وجدت كذلك حبات الزيتون. وقد أكدت الأبحاث

الحالية وجود ما يقارب 15 معصرة في منطقة طنجة بعضها تم التأريخ له حسب بونسيك بالفترة الممتدة بين القرن 3 ق م والقرن الثالث الميلادي خاصة منها معاصر جرف الحمراء والضيعة (Petit bois) في بوخالف عند قدم جبل كبير. أما بالنسبة لليكسوس فإن عدد المعصرات لا يتجاوز 16 معصرة.

- في بناسا : تم العثور على تسع معصرات، وهو عدد غير كاف لتلبية حاجيات الساكنة الشيء الذي يستدعي استيراد الزيوتين من خارج المنطقة خاصة وليلي التي لا تبعد عنها إلا بحوالي 60 كلم.

- سلا : وضعيتها الساحلية لم تمكنها من تطوير هذه الزراعة، وهو ما يفسر قلة المعاصر التي لا تتعدى أربع معاصر. الشيء الذي يعني الاستعاضة عن هذا النقص باستيراد هذه المادة، شيء أكده العدد المهم من قطع الامفورات المستعملة لنقل زيت "بتيكا".

- وليلي : تحتل مدينة وليلي وباديتها المكانة الأولى في عدد المعاصر، 60 معصرة داخل المدينة وحوالي 16 معصرة في باديتها، وهو ما يعني أن مدينة وليلي ومنطقتها الخلفية تعتبر من أهم المناطق إنتاجاً للزيتون موريطانيا الطنجية.

تطور إنتاج الزيت :

دلت المعطيات على أن منطقة وليلي اشتهرت بإنتاجها للزيتون والزيت وبرز هذا من خلال ما كشفت عنه الحفريات من معاصر وصل عددها حالياً إلى 72 معصرة. كما وجدت بمنطقة بناسا عدد من المعاصر، وبالنسبة لهذه المنطقة لا نعرف لحد الآن ما إذا كانت في إحدى مراحلها التاريخية منطقة إنتاج للزيتون أم أنها استوردته من جهات أخرى خاصة وليلي. ويبدو أن الميل إلى الرأي الثاني هو الأسلم.

يعتبر التغيير الذي طرأ على بعض الوسائل المستعملة في استخراج الزيت مؤشراً على الزيادة في مردودية هذا الإنتاج إذ جرى في استخلاص هذه المادة، اللجوء إلى مجموعة من الأدوات ومن بينها الثقالات التي كانت توظف في عصر الزيتون، إذ كانت في شكلها الأول عبارة عن ثقالات مقنطرة غير أنه تم الاستعاضة عنها بثقالات أسطوانية وهو تغيير يعكس الرغبة في الرفع من المردودية. وقد تم التأريخ لهذا التغيير بالقرن الثاني للميلاد.

وتجرب الإشارة إلى أنه في البداية احتوت معاصر الزيتون على ثقالات مقنطرة إلا أن هذا الشكل سيتم الاستعاضة عنه بنوع آخر أسطواني وقد عزا كل من موريس لونوار وعمر أكراس هذا التحول إلى الرغبة في الرفع من كميات الزيوت المستخرجة.

هذا التحول أرخ له بونسيك ببداية القرن الأول الميلادي في معصرة الضيعة في ناحية طنجة، في حين أن دراسة معاصر وليلي أرخت لذلك بالقرن الثاني للميلاد.

تسويق الزيت

التجارة الداخلية : لا تتوفر على أية معلومات حول هذه التجارة الداخلية، فالوسيلة التي كان يتم استعمالها لنقل هذه الزيتون المستخلصة غير معروفة ربما قد تكون من خشب أو أمفورات التي كانت تستعمل لنقل مواد أخرى، إذ عثر في ولبلي على أمفورات "دريسل 18" التي عرضت بنقلها للكاروم، وولبلي منطقة داخلية لم تكن متخصصة في هذا الإنتاج.

وقد أشار عمر أكرام وموريس لوناوار إلى أنه بالنسبة لهذه المدينة كان الفائض يسوق داخل الإقليم. يمكن القول بأن مناطق الإنتاج خلال الفترة الرومانية تطابق مناطق الإنتاج الحالية، ومن الأكيد أن مدن بناصا وشمسيدا وسلا وليكسوس قد اعتمدت على فائض ولبلي من هذا الإنتاج أو كمادة أولية يتم تحويلها محلياً.

التجارة الخارجية : ارتبطت موريطانيا الطنجية ببلدان البحر الأبيض المتوسط على المستوى التجاري، كما تدل على ذلك اللقى الأثرية التي تم الكشف عنها في عدد من المواقع، منذ مجيء الفنيقيين في أواخر الألف الثانية قبل الميلاد. وهناك شبه إجماع على أن المبادلات التجارية لموريطانيا الطنجية مع العالم الخارجي كانت تتم عبر وساطة بتيكا.

وإذا كانت واردات الزيت مؤكدة من خلال لقي الأمفورات خاصة "دريسل 20" المتخصصة في نقل زيت بتيكا، فإن معلوماتنا عن صادرات موريطانيا الطنجية من هذه المادة شبه منعدمة. فبعض الباحثين أشاروا إلى أن جزءاً من زيت موريطانيا الطنجية قد تم تصديره إلى بتيكا وروما.

ذلك ما تؤكده نقيشة هيسباليس (Hispalis) في إشبيلية التي تخص مراقبة نقل زيوت ومواد أخرى المارة عبر شبه الجزيرة الأيبيرية والقادمة من موريطانيا الطنجية مع الإشارة إلى أن هذه الزيوت البتيكية كانت تصل إلى موريطانيا الطنجية وذلك ما يؤكده العدد المهم من لقي الأمفورات المتخصصة في نقل هذه المادة إذ يتضح من البحث الذي قامت به مايي (Mayet) حول أمفورات موريطانيا الطنجية، أن بناصا تأتي في الأول، تليها ولبلي وشمسيدا. إلا أن العثور على قطع من نفس الصنف من الأمفورات بمنطقة ولبلي التي اشتهرت بزياتينها وإنتاجها للزيت، يجعلنا نطرح أسئلة حول مصدر استيراد هذه المادة. إن الجواب الذي يبدو مقنعاً في نظرنا يكمن في تلبية حاجيات جالية أجنبية فضلت استهلاك الزيت الإسباني التي اشتهرت بجودتها مقابل الزيت الإفريقية التي وصفت بالردیثة.

وإذا كان نعت هذه الأخيرة بالردیثة لا ينسحب على زيت موريطانيا الطنجية، فإن ذلك لا يعدو مجرد عملية دعائية لصالح زيت بتيكا التي كانت تجارتها منظمة تنظيمياً محكماً.

علي واحدي، الزيت والزيتون في المغرب القديم، نموذج ولبلي، أطروحة لنيل دكتوراة الدولة، فاس - ظهر المهرار، 1995، مرقونة : علي واحي، مكانة ولبلي الاقتصادية في عهد الرومان، د. د. ع. كلية الآداب، فاس - ظهر المهرار، 1985، 1986.

P. Fiorino, F. Nizzi, *L'oleiculture et développement, Olivae*, n° 44, 1997; A. Ichkhakh, *Une nouvelle huilerie à Volubilis, nouvelles archéologique et patrimoniales*, n° 1, avril, 1997 ; A. Jurada, *L'huile dans les remèdes populaires, Olivae*, n° 33, oct. 1990; *Les contraintes foncières au développement du secteur, Olivae*, n° 33, oct. 1988 ; A. Luquel, *Atlas du Gharb, BAM*, 6, 1966, p. 365 - 375 ; M.C. Mouretti, *Oleiculture dans la Grèce antique*, in *Agriculture in Ancient Grèce, proceeding of the seventh international symposium of swedish at Athens*, may 1990, Stockholm, 1992 ; F. Mayet, *Marques d'amphores de Maurétanie Tingitane, MEFRA*, 90, 1, 1978 ; A. Ouahidi, *Nouvelles recherches archéologiques sur les huileries de Volubilis, Africa Romana*, Atti del X convegno di studi oristano, Dicembre 1992 ; M. Ponsich, *Exploitations agricoles romaines de la région de Tanger, BAM*, 5, 1960 ; *Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région*, Paris, 1970 ; R. Thouvenot, *Volubilis*, Paris, 1949 ; *Éléments de pressoir à huile trouvés à Sala, PSAM*, 10, 1954 ; M. Akerraz, Lenoir, *Les huileries de Volubilis, BAM*, 14, 1981 - 82 ; *L'oleiculture dans le Maroc antique, Olivae*, n° 3, oct. 1984 ; R. Billiard, *L'Agriculture dans l'antiquité*, Paris, 1928 ; H. Camps Fabrer, *L'olivier et l'huile dans l'Afrique Romaine*, Alger, 1953 ; J. Boube, *Marques d'amphores découvertes à Sala, Volubilis et Banasa, BAM*, 9, 1973 - 1975 ; R. Etienne, *Le quartier Nord-Est de Volubilis*, Paris, 1960 ; Plin l'Ancien, *Histoire naturelle*, XV, texte établi et traduit par J. André, Paris, 1960.

محمد العيوض

الزيتون والزيوتوني أسرتان تطوانيان أصلهما من

الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Aceituno و Aceitono. وقد انقرضت هاتان الأسرتان بتطوان سنة 1088 / 1677.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، المرجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 793 و794.

محمد ابن عزوز حكيم

الزيتوني، محمد بن عبد الله الفاسي من مشاهير

مشايخ الشاذلية بالمغرب خلال النصف الثاني من القرن التاسع (15 م)، ومن ذوي المخطورة في الحياة الروحية بفاس خلال هذه الفترة المضطربة التي تداول فيها على حكم البلاد المرينيون والجوطيون والوطاسيون. أخذ عن شيوخ كثيرين، وذكر أحمد بن يوسف الفاسي (ت. 1021 / 1612) أنه قادري الطريقة لكنه لم يذكر له سنداً. ويجعله محمد بن عسكر (ت. 986 / 1578) من أهل الدائرة والعدد، ومن الأبدال. ويصفه بأنه كان أسود اللون أعمى، شديد القبض ممن تمكن في المقام النوحى، مجاب الدعوة، معروفاً عند

أهل التصريف من الصوفية بالحياة العمياء التي لا تعتق من لسعته لسرعة إجابة دعوته. ولم يسلم المغاربة وحدهم بسطوته الروحية، بل شاركهم في ذلك أعراب الزاب وافريقية وغيرها، الذين كان يرم بمسارحهم ركب الحجيج الفاسي الذي كان يحمله هذا الشيخ، فلا يتعرضون له على جرأتهم وقمردهم، لما رأوا من خرق العوائد على يده. بل كانوا يأتونه راجلين بأهلهم وأولادهم بين أيديهم يتبركون به ويستعطفونه ويدفعون إليه البقر والغنم.

وقد استقطبت زاوية الشيخ الزيتوني بفاس، المعروفة بزواية بوقطوط، عددا وافرا من مردي الطريق من الفاسيين وغيرهم، خلال الطور الأخير من أطوار الدولة المرينية، ومنهم أحمد زروق (ت. 899 / 1493)، ومحمد بن عبد الرحيم بن يجيش التازي (ت. 920 / 1515)، وعبد العزيز القسنطيني (ت. حوالي 932 / 1526)، وإبراهيم الزواوي (ت. 961 / 1554). وإذ تمتاز مشيخة الزيتوني بانتساب زروق إليه في شبابه، وخدمته له، وتوغله في محبته، وملازمته له في حضره وسفره، فإن أثر هذه النسبة بعيد الغور في سيرة "محتسب العلماء والأولياء"، وينشأ في حدث الانقلاب الحاسم الذي حصل له في حياته، وقد أثبتته زروق في كناشه الذي ترجم فيه لنفسه. ورغم أن أزيد من ربع قرن يباعد بين هذا الحدث الذي يعود في تاريخه إلى عام 870 / 1466 وتاريخ هذه السيرة الذاتية المصنفة بعد عام 895 / 89 - 1490، فإن زروق لم ينس البرحاء التي أدركته من جراء غضب شيخه الزيتوني عليه يومها، بعد أن استكتمه سراً ثم اتهمه بإفشائه، ولم يأنف من استحضار امتحانه وبلائه وقد أصبح إمام أهل الطريق بلا منازع في شرق بلاد الإسلام وغربها.

ويستشف من هذه الحادثة الاعتقاد الكبير الذي كان لزروق المرید الشاب في شيخه الزيتوني، فقد حلف له بكل يمين بأنه كتم سره، فلم يقبل منه، فلم يقدر على تكذيبه، ولم يصح له تصديقه لما يعلم من نفسه، فكان يجوز أن الله ابتلاه بشيطان أسعده ذلك. كما تصور التأثير الذي كان للشيخ الزيتوني على تلميذه زروق، والذي ضاقت عليه الأرض بما رحبت، فغادر فاس أخذاً السميت إلى تلمسان لزيارة ضريح أبي مدين التماسا للرحمة. وابتلي بشبهة اليهودية التي ألقبت عليه في سياحته المحمومة، عند خروجه من فاس وحين وصوله إلى بادس، بل إن يهود دار ابن مشعل ظنوه نجل شيخ اليهود بتازة. ووقعت له رؤيا في طريقه حيث ظهر له شيخه الزيتوني وقال له إنك مسجون أربعين يوماً، وظهر له صدقها لما وصل تلمسان يوم تاسع وثلاثين من تاريخ خروجه من فاس فلم يقدر على زيارة ضريح أبي مدين إلا في الغد بقية الأربعين يوماً المذكورة فيها !

ويورد ابن عسکر رواية مخالفة لامتحان الزيتوني لزروق، ويقول إن المرید سارع إلى الإنكار على شيخه لما

وجده جالساً وعن يمينه امرأة متزينة وعن يساره أخرى، وهو يلتفت إلى هذه مرة ويقبلها ويقبل عليها، ويرجع إلى الأخرى كذلك. وانه اتهمه بالزندقة وانصرف عنه، فناداه : يا أحمد الكذاب ارجع ! فرجع فلم يجد معه أحداً، فعلم أنه امتحن، فقال شيخه : أما التي رأيت عن يميني فهي الآخرة، وأما التي عن يساري فهي الدنيا، وأنت كذاب في دعوتك، ولكنك لا تبقى بالمغرب ساعة واحدة ! وقد اهتبل كل من ترجم لزروق بحادث فساد العلاقة بينه وبين شيخه الزيتوني، وذهبوا في تأويله وفهمه أبايد.

وغير خاف تزامن هذا الحدث مع الفتنة التي عصفت بفاس عام 869 / 1465، وانتهت بذيح السلطان عبد الحق المريني، واطلاق يد الثوار في دماء اليهود وأعراضهم وأموالهم، وايداء كل من خالف هذا الفساد والهلاك. ومعلوم أن زروق الطالب والمرید الشاب قد وقف في صف المعارضين لهذه الفتنة، وعلى رأسهم شيخه محمد بن قاسم القوري (ت. 872 / 1467) مفتي الحاضرة المريني، ولم ير فيها سوى محارم بطشية تورث تمكن الظلمة وزيادة الجراءة. وحمل مسؤولية ما وقع لمشايخ الفقه والتصوف الذين كان قيام عامة فاس على أيديهم، والذين دفعوا بهم إلى مخالفة الشرع بخلع البيعة ونقض الذمة، ودخلوا عليهم من جهة الدين، حباً في الرئاسة الدنيوية وحطام الدنيا.

فهل كان الشيخ الزيتوني من جملة المشايخ الفاسيين الذين أضرمو نار الفتنة على بني مرين ؟ وهل يتصل امتحانه لتلميذه زروق بالشور التي أصابت الذين لم يخلعوا بيعة بني مرين من أعناقهم ؟ وهل شبهة اليهودية التي ألقبت على زروق قد جاءت من قوله بعدم وجود موجب شرعي لنقض ذمة يهود فاس ؟

أسئلة نكتفي بطرحها لفرغ اليد مما يفيد في الإجابة عنها، ويعين على الوقوف على الدور الذي كان للشيخ الزيتوني وزاويته في الأحداث التي حملت الجوطيين إلى سدة الحكم بالمغرب. كما لا نتوفر على شيء يتصل بسيرة هذا الشيخ طوال العقود الثلاثة الممتدة من تاريخ هذه الفتنة إلى تاريخ وفاته التي حدثت في أول المائة العاشرة للهجرة، عدا أنه دفن بالمسيلة من بلاد الجريد.

ويتفرد محمد الحضيكي (ت. 1189 / 1775) بالإشارة إلى تأليف مفرد في الشيخ الزيتوني وضعه أحد تلامذته الفاسيين واسمه عبد الله بن أحمد بن محمد بردلة، وقد وقف عليه صاحب "الطبقات" ووسمه "بالمناقب". ونقل منه فقرة تفيد ظهور مخايل الصلاح على شيخ زاوية بوقطوط في طفولته المبكرة، حيث كان يتصدق بنصف قوته فصارت أمه لا تعطيه إلا نصف القوت فكان يتصدق بنفسه، فوهبته أمه لله وهو ابن خمس سنين أو ست. وجاء ببعض ما اشتهر من أقواله، ومنها : الولي له صورتان، صورة مع الحق على الدوام وأخرى مع الخلق. وقال مرة : بقي رجل غائباً عن أهله اثنتي عشرة سنة وما علموا بذلك لأنهم

زيدان بن أحمد الأعرج السعدي. أكبر أبناء أبيه وساعده الأمين في حركاته الجهادية وفي حروبه مع أخيه محمد المهدي الشيخ بعد أن أفسد الوشاة ما بينهما وأفضى الحال بهما إلى القتال. ولما تغلب محمد المهدي الشيخ على أخيه أحمد الأعرج سنة 946 / 1539 سجنه هو وأولاده بمراكش وأجرى عليهم جرايات سخية ويقوا هناك مثقفين (في إقامة إجبارية) إلى أن قُتل محمد المهدي الشيخ يوم 29 ذي الحجة عام 964 / 23 أكتوبر 1557 فأسرع نائبه علي بن أبي بكر أزابكي حاكم مراكش إلى قتل أحمد الأعرج وجميع بنيه ذكوراً وإناثاً وصبيّةً (بعد ثلاثة أيام من مقتل محمد المهدي الشيخ) هذه هي الرواية الشائعة. وذكر صاحب زهرة الشماريخ أن زيدان كان بسجلماسة ويبيع بعد مقتل أبيه فلم يتم له الأمر. وتوفي سنة ستين وتسعمائة.

هكذا تختصر المصادر العربية - في شيء من التناقص - دور زيدان بعد خلع أبيه أحمد الأعرج، فتذكر أنه سُجن مع والده إلى أن قتل معه، أو وُجد في سجلماسة ويبيع بها، غير أن ذلك لا ينسجم مع تاريخ وفاته المذكور في زهرة الشماريخ.

لكن الاسباني ديبغودي طريس مؤلف كتاب تاريخ الشرفاء الذي عاش في بلاط محمد المهدي الشيخ ثم عبد الله الغالب بمراكش زهاء ثلاثين سنة 953 - 984 / 1546 - 1576 ساق خبر الأسر والقتل عن حضور ومشاهدة في الغالب، بطريقة أخرى مع كثير من التفاصيل أغفلتها المصادر العربية. ذكر طريس أنه لما استفحل الخلاف بين الأخوين أحمد الأعرج ومحمد الشيخ تدخل الشيوخ لإصلاح ذات البين، وأبرم شبه اتفاق بينهما ورجع كل منهما إلى مقر حكمه، لكن الأعرج نقض السلم واستعد للحرب فتغلب عليه محمد الشيخ في معركة جرت في حذور الأطلس الشمالية على المحجة المؤدية من مراكش إلى تارودانت وأسر الأعرج وتراجع ابنه زيدان إلى مراكش ليجيش الجيوش ويحرر والده، لكن محمد الشيخ أبرم اتفاقاً مع أخيه الأسير وأطلق سراحه على أن يتعايشا بسلام : الأعرج في مراكش والشيخ في تارودانت. وبعد مدة وجيزة نقض الأعرج الصلح مرة أخرى بتأييد من ابنه زيدان الذي رأى في مبايعة الحمران ولياً لعهد محمد الشيخ إهانة شخصية له. والتقى الجمعان بسهل مراكش وجرت المعركة الحاسمة يوم 19 غشت 1543 (20 جمادى الأولى عام 950) طوال النهار. فكان النصر حليف محمد الشيخ واحتل ابنه عبد القادر مدينة مراكش. لكن الشيخ عفا عن أخيه الأعرج وأبنائه وأكبرهم زيدان وأمرهم بالإقامة في تاقيلالت.

ثم رجع دي طريس في الفصول 106 - 107 - 108 للحديث عن أحمد الأعرج وزيدان. فذكر أن محمداً الشيخ قبل خروجه من مراكش إلى جبل الأطلس الخروج الذي مات فيه.

يرونه معهم دائماً داخلاً خارجاً وأكلاً شارباً، يريد بذلك نفسه. ومنها : إذا ذكر الصالحون نزلت الرحمة، ويخلق الله تعالى من هذه الرحمة سحابة لا تمطر إلا في أرض الكفار، وكل من شرب من مائها أسلم. وقد صدر محمد الصغير الإفرائي (ت. ما بين عامي 1156 - 1157 / 1743 - 1744) بهذه العبارة في ديباچه كتابه "صفوة ما انتشر" للدلالة على ما في ذكر مناقب الصالحين من فوائد كثيرة، وما في جمع كراماتهم من أمور أثيرة، وأبهم عن اسم قائلها، وجعله من العارفين تسليمياً بدرجةه العالية في مضمار العلوم اللدنية. توفي بفاس عام 901 / 1496.

أ. زروق، الكناش، مخ خ ع 1385 ق، 68 - 69 - 82 : مجهول، التعريف بالشيخ أحمد زروق، مخ خ ع 2100 د، 283 : م. ابن عسكرو، دوحة الناشر، ضمن موسوعة أعلام المغرب، 2 : 800 - 809 : م. المهدي الفاسي، تمتع الأسماع، تح. ع. العمراوي وع. مراد، 61 : تحفة أهل الصديقية، مخ خ ع 76 ج، 95 : م. بن عيشون، الروض العطر، تح. ز. النظام، 80 - 109 - 276 : م. الصغير الإفرائي، صفوة من انتشر، ط. حجرية، 1 : م. الحضيكي، طبقات، تح. أ. بومزكو، 216 : ع. گنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والسياسة والأدب، أحمد زروق، 8 - 11 : ع. ف. خشم، أحمد زروق والزروقية، 30 - 37 - 44 : إ. العزوزي، الشيخ أحمد زروق، 47 - 50 - 53.

عبد الله نجمي

زيد (أولاد -) قبيلة عبديّة على الساحل شمال مدينة أسفي، أعطت عدداً من الأعلام من حكام وعلماء نذكر منهم على سبيل المثال عثمان الزيدي الذي كان من جملة حكام عبدة في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله والحاج محمد بن ملوك الزرهوني الزيدي وإخوانه، والفيقيه عبد الكريم بن العربي الزيدي الكدالي. اشتهرت هذه القبيلة في العصر الحديث ببساله رجالها ونسائها في مقاومة استبداد وبطش القائد عيسى بن عمر العبدي وطغيانه على سكان تلك المناطق في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) وبداية القرن العشرين، واستمرت مقاومة هؤلاء المحاربين المغاوير من أجل حياة حرة وعيش كريم مدة سنتين وقادها زعماءهم أولاد الزرهوني وعلى رأسهم شيخهم الحاج محمد بن ملوك الذي سُجن بعد الهزيمة مدة سبع سنوات في سجن دار السي عيسى ثم في سجن مدينة تطوان. وقد خُلد الأدب الشعبي في قصائد الحصبية من فن العيطة وخاصة في قصائد الفنانة الكبيرة الشبيخة حادة (حويذة) الزيدية بطولات أولاد زيد وأمجادهم.

أ. الصبيحي، عيسى بن عمر وفظائعه، مخطوط : تقايد ابن هيمه (كتايش مخطوطة).

A. Antona, *La région des Abda*, Rabat, 1931.

عبد الرحيم العطاوي

ترك ابنه عبد المومن عاملاً على مراكش، وعلي بن أبي بكر (أزايكي) خليفة له "وأوصاهما بشؤون المملكة وحراسة أخيه" (ص. 219) وهذا يقتضي أن محمداً الشيخ كان قد استقدم أخاه أحمد الأعرج وأبناءه من تافيلالت إلى مراكش ليكونوا تحت سمعه وبصره. كما ذكر طريس أن زيدان كان قد تزوج للامريم بنت عمه محمد الشيخ.

ولما اغتيل محمد الشيخ من قبل المحتالين الأتراك في حدود الأطلس، خرج ابنه عبد المومن في فرقة من الجند لملاحقة القتلة، فتوهم خليفته علي بن أبي بكر أن الأعرج قد يغتتم الفرصة ويشور لاسترجاع المدينة ومملكته القديمة "فأمر ذات ليلة بقطع رأسه ورؤس أبنائه وأبناء أخيه وعددهم سبعة" ولم يذكر اسم زيدان من بين من قُطعت رؤوسهم، بل ذكر بعد ذلك ما يفيد أنه لم يقتل، حيث إن للامريم بعد أن استقر الأمر لأخيها عبد الله الغالب احتالت للانتقام من علي بن أبي بكر الذي "كان قد قطع رأس أبنائهما والشريف الأكبر" (ص. 229) ولم تذكر زوجها زيدان، وهذا ما يتفق مع ما ذكره صاحب زهرة الشماريخ من أن زيدان كان آنذاك بسجلماسة ويبيع بها فلم يتم له الأمر. لكن يبقى اللبس أو الخطأ في السنة التي حددها مؤلف زهرة الشماريخ لوفدة زيدان.

وكانت وفاة زيدان - على الأرجح - بعد مقتل أبيه في ثاني محرم عام 965 / 25 أكتوبر 1557.

ديكودي طويس، تاريخ الشرفاء، تر. م. حجي وم. الأخضر، سلا، 1988؛ أ. ابن القاضي، درة المجال، تج. م الأحمدي أبو النور، القاهرة، 1970، ج. 1 : 278؛ ع. الرحمن الفاسي، زهرة الشماريخ في علم التاريخ، ط. حجر فاس، 1922؛ م. الإفرائي، نزهة الحادي، تج. ع. اللطيف الشاذلي، الدار البيضاء، 1998، ص 61؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1955، ج. 5 : 18.

زيدان بن أحمد المنصور السعدي، يكنى أبا المعالي، أمه من الشيبانات. نشأ بين أحضان والده ودرس على أعيان علماء فاس ومراكش وأدبائهما، فكان متضلعا في علوم القرآن والبلاغة والأدب، شاعراً رقيقاً حافظاً راوية. أجازه أحمد ابن القاضي إجازة عامة بجميع مروياته بفهرسه رائد الفلاح بعوالي الأسانيد الصحاح، وروى ابن القاضي المجيز عن زيدان المٌجاز أدبيات كثيرة أجازه بها زيدان فتدبجاً.

يتفق معظم مترجمي زيدان على أنه كان أعلم أبناء أحمد المنصور وأوفرهم عقلاً وذكاءً وكياسة وسياسة، ومع ذلك لم يرشحه والده لولاية العهد، لأن محمداً الشيخ المامون كان الولد البكر. لذلك أخذ المنصور البيعة للمامون من إخوته في شعبان سنة 987 / شتنبر 1579 وهم صغار دون بلوغ. ثم جدّد له البيعة في شوال عام 992 / أكتوبر 1584 بعد بلوغهم سن الرشد، وأحضر المصحف والصحيحين واستحلفهم إلا زيدان، قال المنصور : لا يحلف ولا يحتاج

إليه فما نأمر به يفعله. قال زيدان : وعظم ذلك على إخوتي وظهر في وجوههم الكراهة.

ويعد أن انتهى المنصور من تجديد البيعة، رشح أولاده لحكم الأقاليم، وعقد لزيدان على بلاد تادلا. ويعد مدة نقله لمكناسة. ولما كان زيدان عاملاً على بلاد تادلا أسس القصبية الزيدانية على ضفة نهر أم الربيع واتخذها حاضرة لإمارته، فكان يفد عليه فيها علماء تادلا وأدباؤها، ومنهم أبو القاسم الصومعي مؤلف كتاب المعزى في أخبار أبي يعزى. وقد أنكر عليه زيدان صيغة المعزى من عزا الثلاثي - والعربية معه .. تشبث الصومعي برأيه دوناً حجة، فاحتد زيدان ولطمه على وجهه بالنعل، فكان ذلك سبب النحس الذي لازم زيدان طوال حياته ولم تُنصر له بعدُ راية.

ولما مات المنصور مطعوناً ليلة الاثنين 16 ربيع الأول عام 1012 / 24 غشت 1603 بفاس. بعد أن عزل ولي عهده المامون وسجنه، بايع أهل الحل والعقد زيدان لأن أباه أنابه عنه ومات بين يديه، لكن خالف أهل مراكش وبايعوا أخاه أبا فارس، وكثرت الحروب بين الإخوة سنين عديدة "وكان ذلك سبب خلاء المغرب" (نزهة، 346) وأخيراً اقتصر زيدان على مراكش صارفاً نظره عن فاس وغيرها.

وفي سنة 1020 / 1611 ثار الفقيه أحمد بن أبي محلي السجلماسي من وادي الساورة على زيدان وطرده من مراكش إلى أن رده إليها يحيى الحاحي بعد ثلاث سنين. وقبل خروج زيدان من مراكش جمع كتب خزائنه وخزانة والده المنصور وأرسلها من مرسى أسفي إلى سوس في سفينة فرنسية، لكن ريان السفينة ظن أن الصناديق مملوءة ذهباً ففرّ بها إلى فرنسا فاعترضه قراصنة إسبان واستولوا على الحمولة، ولما وجدوها كتباً سلموها إلى الملك فأودعها دير الإسكوريال بضاحية مدريد حيث ما تزال حتى اليوم.

وكان من أثر هذا النحس والانهزامات المتوالية على زيدان أن اضطرت أعصابه، وصار يسفك الدماء دون توقف ولا تروء. قال الإفرائي "وأطلق زيدان السبيل في أهل فاس وحكم فيهم السيف... وخرجوا مرة يهنتونه على انتصاره على أخيه فظن أنهم يستهزئون به فأمر بهم فسلبوا رجالاً ونساء وبقي بعضهم ينظر إلى عورة بعض... لكن زيدان يبدو بعكس ذلك في جوابه الرزين المطول ليحيى الحاحي متشبهاً بالتعاليم الشرعية في كل تحركاته السلمية والحربية. وعلى أي حال فالرجل لا يخلو من تناقضات بسبب ما عرّف أيام ملكه من فتن وأهوال.

قال الإفرائي : "وكان زيدان فقيهاً مشاركاً متضلعا في العلوم وله تفسير على القرآن العظيم، اعتمد فيه على نقل ابن عطية والزمخشري" (نزهة، 349). وخصص ابن القاضي القسم الأخير من رائد الفلاح لما رواه هو عن زيدان المٌجاز من آداب وأشعار وأخبار أملاها عليه زيدان بلغة المقامات البليغة. وتجري أحداث إحداها بالزيدانية وقد

اشتد كلف زيدان وتشوقه إلى نوار إحدى حظاياها الأدبيات، فركب إليها بعد منتصف الليل، وذكره زئير الأسد في طريقه بما اتفق لأبي الطيب المتنبي... وقد تنبأت نوار في تلك الليلة بأن زيدان قادم إليها فأخذت في لباس الحلي والحلل حتى إذا وصل وجدها تنشد شطر بيت من قصيدة له حفظته عنه وهو :

باليلة وافي بها بدري

توفي زيدان بمراكش في التاسع من محرم عام 1037 / 20 شتنبر 1627، ودفن بجنب أبيه في قبور السعديين بظاهر قبلي جامع المنصور.

أ. ابن القاضي، رائد الفلاح بعوالي الأسانيد الصحاح، تح. م. البوعناني، د. د. ع. مرقون، كلية الآداب الرباط : المنتقى المقصور، تح. م. رزوق، الرباط 1986، ج. 1 : 416-417 والهامش 22 ؛ درة المجال، القاهرة، 1974، ج. 1 : 277-278 ؛ ع. العزيز الفشتالي، مناهل الصفا، تح. ع. الله كنون، تطوان، 1964 ؛ قاسم ابن القاضي، تنوير الزمان بقدم مولانا زيدان، مخطوط ؛ أ. المقري، نفع الطيب، تح. إ. عباس، بيروت، 1968، ج. 2 : 479 ؛ روضة الآس، الرباط، 1983، ت. 62، 63 ؛ م. الإفرائي، نزهة، تح. ع. اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1998، ص. 282-350. ومواضع أخرى ؛ مجهول، تاريخ الدولة السعيدية، نشر كولان، الرباط، ص. 78-83 ؛ ع. الرحمن الفاسي، زهرة الشماريخ، طبعة حجر فاس، د. ت. ص. 98 ؛ م. القادري، التقاط الدرر، تح. ه. العلوي، بيروت، 1983، ص. 9 ؛ نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 7 : 1283 ؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1955، ج. 6 : 69-72 ؛ ع. ابن زيدان إتحاف، ط. 2، الرباط، 1990، ج. 3 : 67-72 ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ط. 2، الرباط، 1975، ج. 3 : 253-258 ؛ أ. النميشي، تاريخ الشعر والشعراء، فاس، 1924 ؛ ص. 29 ؛ م. حججي، الحركة الفكرية، المحمدية، 1978، ج. 2 : 401-402 والهامش 88. وفي أماكن متعددة أخرى.

محمد حججي

زيدان بن إسماعيل العلوي أمير من أولاد السلطان المولى إسماعيل. وكان لهذا السلطان ولدان اسم كل منهما زيدان، فأحدهما يعرف بزيدان الصغير وأمه حليلة السفينانية العشوة، والثاني هو المشهور وأمه عائشة مباركة الرحمانية، وهي أميرة ذات نفوذ إلى حين وفاتها في جمادى الأولى من عام 1127 / ماي - يونيه 1715 ويعتبر ولدها من الأمراء الذين لمع نجمهم في عهد والدهم السلطان المولى إسماعيل، فتقلد عدة مهام من سنة 1103 / 1692 إلى سنة 1119 / 1707 فارتبط اسمه بجملة من الأحداث التي عرفها المغرب كانت له فيها مشاركة فعالة أو فصل حاسم. ولعل مؤهلاته التربوية جعلت منه قائدا عسكريا وفارسا مغوارا وخليفة لوالده في شرق البلاد من تازا إلى وجدة ونواحيها، ثم في فاس وتارودانت فاكتسب بذلك

الحنكة المخزنية والجمع بين الحزم والعزم.

وهكذا نراه في رمضان سنة 1103 / ماي - يونيه 1692 على رأس الجيش المتجه إلى شرق البلاد لصد غارات العثمانيين، فبدأت المعارك شرق تلمسان وانتهت على ضفاف نهر ملوية وتعرف بمعركة المشارع التي كان الدور الحاسم فيها للمدفعية التركية، وتم على إثرها التفاوض وعقد الصلح بين الجانبين. غير أن زيدان ظل محافظا على موقفه المناهض للتوغل العثماني شرق البلاد، فخرج في سنة 1106 لناحية تلمسان فاشتبك مع أتراك الجزائر. وفي سنة 1111 عهد إليه المولى إسماعيل بإمارة المنطقة الشرقية، فكانت مدة ولايته بها كرا وفرا تمكن خلالها من تشريد الأتراك عن ناحية تلمسان، وانتهى في بعض حملاته إلى مدينة معسكر التي اقتحمها في غياب عاملها عثمان باي. وتبعاً لمعاهدة السلام بين المغرب والعثمانيين فإن والده لم يقبل منه مثل هذه المغامرات المسلحة. فقرر نقله إلى فاس بصفته خليفة له، وعين معه حمدون بن عبد الله الروسي عاملاً على المدينة وذلك عام 1113. وظل في هذا المنصب إلى سنة 1114 حيث عهد إليه والده بقمع ترمذ خليفته على تارودانت ابنه محمد العالم الذي اكتسح إقليم سوس ومدينة مراكش، ونشبت المعارك بين الأخوين مدة ثلاث سنوات كلها مآسي، وتم فيها النصر لجيوش السلطان بقيادة الأمير زيدان وأسر محمد العالم وإرساله إلى والده ليلقى جزاءه الذي هو قطع أطرافه من خلاف، فأدى به هذا العقاب إلى الموت.

وبعد إخماد هذه الثورة ولاه والده على تارودانت. وحسب المؤرخ أبي القاسم الزباني في كتابه "البستان الظريف في دولة أولاد مولانا علي الشريف"، فإن الأمير زيدان أدركته الوفاة سنة 1119 وهو خليفة لأبيه بتارودانت وسوس، ونقل في تابوت إلى مكناس ودفن بجانب أخيه محمد العالم، وتبعه في هذا الزعم المؤرخ الأديب محمد كنسوس في الجيش العرمم وكذا المؤرخ أحمد الناصري في الاستقصا وعبد السلام بنسودة في دليل مؤرخ المغرب. غير أن المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان وهو حفيد أحفاد الأمير كشف عن وثيقة عدلية خاصة بالموالاتة بين زيدان وأخيه أحمد الذهبي بإشراف السلطان المولى إسماعيل، وجمع من الأعيان ونخبة من العلماء والقاضي أبي عثمان سعيد العميري في منتصف رمضان عام 1137. وهذه الوثيقة تشغل صفتين وبضعة سطور في كتاب المنزع اللطيف، ووصف محررها الأمير زيدان بقوله : "عين الأعيان، صفوة ساداتنا الشرفاء مولانا زيدان المنجح الله مقاصده وسرر للصالحات مصادره وموارده..." وأما موقف أخيه منها فهو تأييد لإرادة والده وعبرت عنه الوثيقة بما يلي :

"قتلنى سيدنا ومولانا أبو العباس ذلك بالفرح والسرور والتبشير والحبور... وأشهد اداام الله مجادته وحفظ سعاداته أنه والى أخاه سيدنا نخبة الزمان مولانا زيدان

في حوزته ذخيرة من الوثائق الرسمية المتمثلة في الظواهر والرسائل السلطانية وفي السجلات المخزنية.

قام ابن زيدان برحلة إلى الحجاز بقصد الحج ومر بمصر ولقي بها العلماء واستجازهم واقتنى الكتب، وكذلك فعل بمكة وتونس والقيروان.



توفرت للمترجم في منتصف عقده الرابع هذه التجربة المعرفة، وتوفرت له خزانة عامرة بالكتب كانت "أحب إليه من كل بستان" كانت فيها التحف ونفائس المخطوطات إلى جانب مطبوعات في مختلف المواضيع العصرية، وكان لها سجل به ما يقرب من أربعة آلاف عنوان، إلا أن عدداً من عناوينها ضاعت قبل أن يصل ما وصل منها إلى الخزانة الحسنية في أعوام الستين.

أعطت إدارة الحماية لابن زيدان صفة "المدير العربي" للأكاديمية العسكرية بمكناس وهي المسماة "مدرسة الدار البيضاء"، فكان بمثابة نائب لمديرها الفرنسي. ومن راتبه في هذا المنصب بالإضافة إلى عائدات محدودة من غلة أشجار زيتون وصلات من بعض المحبين كان يتعيش ابن زيدان ويقيم الولائم والضيافات المستمرة في داره التي كانت قبلة العلماء والشرفاء والباحثين الأجانب وأعيان الحماية منهم خاصة.

كان بمنزل ابن زيدان مجلس يلتقي فيه الأدباء والشعراء والعلماء، مجلس مطارحة ومذاكرة ودعابة في وقت كان فيه كيان الدولة المغربية مهدداً والحس بالتاريخ لدي الناشئة ضعيفا، والملكية كرمز للوحدة مستهدفة طمع ابن زيدان إلى سد هذه الثغرات بكتابة التاريخ. ومن أهم كتبه

بالغاية من المحبة والمودة والحنان وأصله محل الشقيق من أخوته، وحبابه بخالص وده ومحبتته".

وبناء على هذه الوثيقة فإن زيدان كان حيا عام 1137 وتوفي قبل والده، ومن خلال قراءتها الكاملة يظهر أن السلطان كان مهتما بولاية العهد، ويرى أن هذين الأميرين هما المؤهلان لها. وأدرك بفراسته مواقف رؤساء جيش عبيد البخاري من الأميرين المذكورين ومعرفة خصال كل منهما ومواطن القوة والضعف لديهما. فكانت رغبة السلطان أن يشد كل منهما أزر أخيه من خلال عقد الموالاتة المذكور، لكن زيدان وافاه أجله قبل والده وأراحه الله من ثورات العبيد والمتمردين ودسائس الظالمين، فهل يا ترى كانت وفاته طبيعية أم مات في ظروف غامضة؟ ولماذا انقطعت أخباره عن المؤرخين من سنة 1119 / 1707 إلى سنة 1137 / 1724 التي تم فيها عقد الموالاتة مع أخيه أحمد الذهبي؟ فهذا التساؤل قد تجيب عنه الأبحاث في الوثائق المخزنية في يوم ما.

ع. الله الزهوني، رحلة الوافد، ص. 223. 224. 225، تح. علي صدقي؛ م. القادري، نشر الثاني، 3: 145 و 167، تح. حجي والتوفيق؛ م. الضعيف، تاريخ الضعيف، تح. العماري؛ م. أكسوس، الجيش العرمم، تح. الكنوسوي، أ. الناصري، الاستقصا، ج. 7: ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف، 3: 77؛ المنزوع اللطيف، ص. 230. 232 و 392، تح. ع. الهادي التازي؛ ع. السلام ابن سوسي، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، 1: 104.

محمد ماكامان

ابن زيدان، عبد الرحمان بن محمد العلوي، والده من أحفاد السلطان مولاي إسماعيل من ولده زيدان، ووالدته حفيذة السلطان مولاي عبد الرحمان. كان المقربون منهم يسمونه "مولاي الكبير" نسبة إلى جده الأكبر من قبل الأم. ولد سنة 1295 / 1878، بمكناس فتربى بالقصر هناك وعرف نظامه. ذكر أنه طلب شهود ختمه للقرآن من السلطان مولاي الحسن. تلقى العلم عن ثلة من فقهاء مكناس ثم التحق بالقرويين بفاس. ومن أجازته بها أحمد بن الخياط الزكاري ومحمد بن جعفر الكتاني، كما أخذ عن الشاعر أحمد بن المامون البلغيثي.

أنهى دراسته بفاس عام 1325 / 1907، وبتصور ما يكون دخل في تكوين شخصيته الأدبية والسياسية بحكم محتده وبحكم مقامه بالعاصمة التي كانت تموج فيها تيارات بسبب وقائع الضغوط الأجنبية على المغرب وحوادث العهد العزيمي وتطلع العلماء إلى إصلاح مستحيل.

عاد ابن زيدان إلى مكناس وحمل هناك لقب نقيب الشرفاء بمكناس وزرهون. وقد استطاع بموقعه من العائلة السلطانية وبفضل اهتمامه الشخصي أن يجمع عدداً كبيراً من الكتب ولا سيما ما يتعلق بتاريخ المغرب، كما وقعت

في التاريخ السياسي والفكري :

(1) إتخاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس ؛

(2) الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزهرة ؛

(3) العز الصولة في معالم نظم الدولة ؛

(4) المنزح اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن

الشريف ؛

(5) النهضة العلمية في عهد الدولة العلوية.

وله في التاريخ مقالات منشورة في فصولات أو ضمن مسامرات معهد الدراسات العليا المغربي، وكان على ابن زيدان أن يعطي دليلاً على فقهه فاهتم ببعض المواضيع التي تتصل بنقد العوائد أو حل بعض القضايا الشرعية، ومن هذا الباب كتب :

(1) تبين وجوه الاختلال في مستند إعلان العدالة

لثبوت الهلال ؛

(2) قراصة العقبان في تحقيق استمرار أفراد من الكهانة

لآخر الزمان.

وقد عني ابن زيدان بالأدب كما هو ظاهر في الجوانب

الآتية :

الشعر : فله ديوان عنوانه قوت الأرواح في مديح زين

الملاح لا يجمع كل قصائده، وأصله في مخطوط بالخزانة

الحسنية يحمل رقم 12386، ويغلب عليه المديح، ويكمله

تأليف آخر عنوانه تأليف في المديح النبوي، أصله مخطوط

أيضاً في الخزانة الحسنية تحت رقم 12463. وله عدد من

القصائد بجريدة السعادة. كما أن لابن زيدان شعراً في

مؤلفات أخرى منها التأليف الذي يدل على موضوعه

عنوانه : تغيير الأسعار على من عاب الأشعار. ومنها

العقود الزبرجدية في الرحلة السلطانية المحمدية حيث سجل

رحلة محمد بن يوسف إلى جنوب المغرب عام 1360 / 1941.

وله من شعريات المولدية قصائد منها مطولتان عنوان الأولى

: كفاية المحتاج في مدح صاحب اللواء والتاج، والثانية

بغية المستهام في مدح خير الأنام وهما مطبوعتان. وبحكم

موقعه من السلطان واضطاعه بمهمة التأريخ لنشاطه أنجز

أعمالاً أدبية مثل جمعه للقصائد التي قيلت في السلطان

مولاي يوسف وذلك في ديوان سماه : اليمن الواقف الوفي

في امتداح الجناب اليوسفي.

- المسامرات، وإن كان معظمها في مواضيع تاريخية

فهي مفعمة بأسلوب النثر الأدبي الذي ينبئ على أسلوب

صاحبه في الكتابة وعدته في الثقافة العربية الإسلامية.

- الرسائل وتبادلها مع أصدقاء ومع بعض رجال الإدارة،

وفيها نفس الملامح الأدبية التي في كتابة المسامرات.

لابن زيدان سبعة وعشرون مؤلفاً، نصف عددها في

موضوع التاريخ بصراحة، ولكن عدد الصفحات التي يتكون

منها حيز هذا الجانب يتعدى ثمانية أعشار سعة مجموع

مؤلفاته.

تشكل ظروف كتابة التاريخ ودوافع هذه الكتابة

وموجهاته لدى ابن زيدان من ظروف المغرب الذي واجه تحدي الطمس الاستعماري ومن موقع المؤلف من العائلة المالكة وفي حضيرة الفقهاء ومن إرث الكتابة التاريخية عند المسلمين وعند المغاربة خاصة وفي مكناس على الأخص حيث بدأ ابن غازي وضع تاريخ لها منذ القرن العاشر الهجري، وكذا من احتكاكه بالأوربيين الذين تقبوا في مصادر تاريخ المغرب التوثيقية والأثرية.

اهتم ابن زيدان بفكرة التاريخ واقتبس في هذا الموضوع من ابن خلدون وغيره. أما عمله المنجز في التاريخ فاتخذ فضاءين أساسيين للانطلاق : هما مدينته مكناس ومدينة فاس، ولكن هذين الفضاءين الأساسيين هما وسيلتان لإبراز تاريخ الدولة العلوية السياسي والفكري والنظمي والعماري. ففي عمله الأضخم : إتخاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس تشكل هذه المدينة دائرته المركزية، والدولة العلوية دائرة ثانية. فمكناس كانت عاصمة الدولة في عهدها الإسماعيلي الزاهر، وفيها ضريح مؤسسها الفعلي المولى إسماعيل، والمؤرخ حفيده وكأنه يشعر بمسئوليته عن استنطاق كل الآثار التي ما تزال تفرض هيبتها في أركان القصبة الإسماعيلية. والمدينة تشمل نواحيها بإدخال مدينة زرهون مدفن مؤسس الدولة الشريفة الأولى بالمغرب المولى إدريس بن عبد الله (ت. 117 هـ). وفاس التي ورثت زرهون وكانت عاصمة للمرينيين إنما استحققت الالتفات في كتاب الدرر الفاخرة بما بفاس من مآثر العلويين الزاهرة بما فيها من آثار العلويين الذين يعتبرهم ابن زيدان ورثة تاريخ الشرفاء السياسي. ولكن مدينة مكناس تبدو في الأخير وكأنها مجرد تعلقة للتاريخ للملوك العلويين، تعلقة أملاها الجنس الأدبي جنس التراجم، فكتاب إتخاف أعلام الناس قاموس تراجم أعلام من الرؤساء والعلماء والأعيان من المكناسيين أو ممن زاروها يوماً من الأيام. أما المادة الموثقة في تنايا هذه التراجم فهي مادة تاريخ في جوانبه السياسة والدبلوماسية والعسكرية والنظامية والعلمية والعمرانية. فضمن 2.700 صفحة في الكتاب وردت 553 ترجمة منها اثنتا عشرة ترجمة لسلطين الدولة العلوية تَسَعُ نصف العدد المذكور من الصفحات على وجه التقريب. وهو تاريخ منظور إليه من زاوية إظهار الأمجاد والمفاخر، ولكنه مشروع في سياقه يتصل بالوعي بالذاكرة كوسيلة للدفاع عن الشخصية الثقافية.

وقد تميزت كتابة التاريخ عند ابن زيدان باستعمال وسائل إيضاح لم يسبق إليها في السياق المغربي ولا سيما صور الأشخاص والمآثر وصور الوثائق، كما أن كتيبه تميزت بإخراج تعزز بفهارس مفصلة للمادة التاريخية حرر ما يتعلق بالإتحاف المؤرخ المرحوم عبد الكريم بن المدني ابن الحسيني الرباطي.

توفي عبد الرحمان بن زيدان يوم السبت 21 ذي الحجة 1365 (16 نونبر 1946).

ع. الجاروي، س. بنسعيد : أ. التوفيق، عبد الرحمان بن زيدان، سلسلة أعلام المغرب، نشر مؤسسة أونا، مطبعة إيدبال، الدار البيضاء، 1998.

أحمد التوفيق

ابن زيدان، عبد القادر بن عبد الرحمن العلوي العلوي المكناسي، فقيه مقرئ خطاط. قال عنه ابن أخيه في *الإتحاف* "أستاذ مجود نحوي لبيب نبيل فاضل وجيه محاضر لطيف ظريف لسن كاتب له خط بارع نسخ عدة كتب فقهية وحديثية وتاريخية... وكان يؤدب الصبيان في أوليه أمره فتخرج على يديه عدد وافر من حملة القرآن، وكان يتعاطى خطة الشهادة بسماط العدول. توفي بمكناس أواخر جمادى الثانية عام 1321 / شتنبر 1903.

ع. الرحمان بن زيدان، *إتحاف*، ط 2، 1990، ج. 5 : 353 - 354 ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراق الغربية*، الدار البيضاء، 1991، ص. 250.

محمد حجي

الزيدانية، قصبة بسوس ما تزال أطلال أسوارها ماثلة في الجنوب الغربي لمدينة تارودانت على بعد حوالي 3 كلم، وسط أجنة الزيتون وحقول الزراعة، تنسب إلى الأمير محمد زيدان بن السلطان إسماعيل، قام ببنائها بعد أن بعثه والده لقتال أخيه محمد العالم الثائر بسوس عام 1114. وهي غير الزيدانية بتادلة المنسوبة لزيدان السعدي (المعسول، 12 : 144).

كانت هذه القصبة شديدة التحصين كما يظهر من سورها الذي تهدمت أجزاء كثيرة منه، بعد أن تحولت القصبة إلى تجمع سكني (زيارة لعين المكان). وقد تم تأسيس القصبة حين قدم الأمير زيدان لقتال أخيه محمد العالم المتحصن بتارودانت عقب عودته من مراكش التي استولى عليها واستباحها سنة 1015 (رحلة الوافد، ص. 222، 224). ولما ظهرت للأمير زيدان قوة الثوار المحتمين بأسوار تارودانت، واستماتتهم في القتال، مما يعني طول مدة الحرب، أمر ببناء القصبة وتحصينها ليتخذها الجيش المخزني منطلقاً لهجوماته على الثوار وقاعدة خلفية يلجأ إليها ويتحصن بها عند التعرض لضربات خاطفة من الخصوم. بنيت هذه القصبة في الجنوب الغربي لتارودانت لتركيز الهجمات على الجانب الغربي للمدينة الممتد من باب أولاد بونونة إلى باب الغزو المسمى الآن باب تارغونت. استمرت الحرب بين الفريقين ثلاث سنوات شهدت معارك ومناوشات عدة هلك فيها عدد كبير من القواد والأعيان والمقاتلين من كلا الطرفين. لم يفلح الثوار في تجاوز سور الزيدانية الحصين. كما لم

يستطع الجيش المخزني اختراق أسوار تارودانت إلا باتصال الباشا عبد الكريم بن منصور التكني أحد قادة عبيد البخاري بأعيان حي أولاد بونونة واتفاه معهم على فتح الأبواب للجيش المخزني مقابل حقن دمائهم، وهكذا تمكن محمد زيدان من الدخول لتارودانت ففر أخوه محمد العالم أمامه راجياً اللجوء إلى قبيلة ركيطة (إيركيطن) غير أن عبيد البخاري أدركوه، فألقي عليه القبض وبعث إلى مكناس حيث قتل يوم الأحد 16 ربيع الثاني 1118 (الأعلام، 6 : 12).

ولا تتوفر معلومات عن حال قصبة الزيدانية بعد القضاء على هذه الثورة، إلا ما كان من إشارة ترد بعد ذلك بزمان طويل في أوائل القرن الرابع عشر حينما اتخذها القائد الناجم الأخصاصي أحد رؤساء المجاهدين تحت إمرة الشيخ أحمد الهيبة قاعدة يشن منها الهجمات على حيدة بن ميس قائد الجيش المخزني بسوس المتحصن بتارودانت (المعسول، 20 : 112)، ولا يبعد أن تكون القصبة اتخذت بعد ثورة العالم قاعدة عسكرية قطنها فيلق من عبيد البخاري لمراقبة تارودانت والمناطق المحيطة وقمع الثائرين بها بعد ذلك مثل المولى أبي النصر بن المولى إسماعيل الذي ثار هناك سنة 1123 (الاستقصا، 7 : 96) ثم أصبحت في مراحل لاحقة تجمعا سكنياً على غرار كثير من القصبات الإسماعيلية في نواحي المغرب. ولا تزال على ذلك إلى اليوم.

م. المختار السوسي، *المعسول*، المحمدية؛ عبد الله التسافتي، *رحلة الوافد*، تح. أزيكو، القنطرة، 1992 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 6، الرباط، 1405، 1985 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 7، الرباط، الدار البيضاء، 1955.

المهدي السعدي

زيدوح (ولد -)، أحمد بن محمد التادلاوي، اشتهر بغناه المنبني أساساً على ملكه لأكبر قطع ضأن بتلك الجهة، وأوسع الحقول التي كان يخصصها لزراعة الحبوب. فضلاً عن أنه عرف بالكرم الزائد عن الحد. وهذا ما جعل ذكره تسير به الركبان. ومما يذكر أن سبب اتصاله بالمخزن يرجع إلى عهد السلطان عبد الرحمن بن هشام، حيث أخبر بعض الجباة أن ولد زيدوح من أكبر أغنياء تادلا، وأن له المعنية متميزة بين سكان تلك الجهة، بما أوتي من بسطة في المال والجاه، ومما توافر له من أتباع في القصبة التي حملت اسمه. هذه القصبة التي تقع على الضفة اليسرى لواد أم الربيع، غير بعيد عن القنطرة التي تربط اليوم، بين مدينتي سوق السبت والفقية بن صالح (انظر دار ولد زيدوح).

ولعل ذلك الغنى، فضلاً عن احتمال قوة عصبية ذلك القائد، قد كان سبباً في اتصاله بالمخزن، في سياق سياسة الاستقطاب التي كان ينهجها للتمكين لسريان أحكامه في

القبائل التي لم تكن سلطته فيها نافذة بما فيه الكفاية ؛ مثل قبيلة بني موسى التي تقع دار ولد زيدوح في ترابها . في هذا السياق أصبح أحمد ولد زيدوح موظفا مخزانيا . يذكر الناصر أن سيدي محمد بن عبد الرحمن، الذي كان خليفة لوالده بمدينة مراكش أوقع بقبيلة بني موسى، "وقطع منهم أربعة وستين رأسا وقبض على مائة وخمسين مسجوناً"، عقابا لهم على قتلهم لعاملهم أبي العباس أحمد ابن زيدوح" (الاستقصا، 9 : 65).

وإذا علمنا أن الإيقاع ببني موسى كان في سنة 1269 / 1853، فيمكن أن نؤرخ لوفاته بما يقارب هذا التاريخ . وفي سياق خروج القبيلة المذكورة على عاملها، يشير المصدر نفسه، ضمن أحداث عام 1289 / 1872، إلى الغزواني ابن زيدوح قائداً للمخزن في تلك الجهة (الاستقصا، م. س. ص. 123) وفي عهد هذا القائد استطاع السلطان ملاحقة الفارين من قبيلة بني موسى، حيث استنزلهم من الجبال "على الأمان ودخلوا في الطاعة والتزموا الخدمة" كان ذلك عام 1294 / 1877 . لذلك لم يتلكأوا في أداء فروض الطاعة حين اجتاز المولى الحسن أرض قبيلتهم، بعد حوالي سنتين من التاريخ المذكور. بل إن الحركة السلطانية أصبحت تقيم مخيمة بدار ولد زيدوح لينظر السلطان في بعض المظالم التي تعرض عليه من قبل الذين لم ينصفهم القاضي الجهوي (بوسلام، قبيلة بني ملال، ص. 153). كان هذا ما دأب عليه السلطان مولاي الحسن. وهذا دليل على التمكين الذي أصبحت سلطة المخزن تحظى به في قبيلة بني موسى، بسبب قوة القائد ولد زيدوح. ومن ثم ظلت زيارات السلطان لدار ولد زيدوح تترى، حتى كانت بها وفاته ليلة الخميس ثالث ذي الحجة، متم عام 1311 / 7 يونيو 1894.

أ. الناصري، الاستقصا، 9 : ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، 2 : م. حجي، الزاوية الدلالية : بوسلام، قبيلة بني ملال. Repertoire alphabétique, 8 mars 1936.

أحمد عمالك

زيدوح (دار -) ← دار ولد زيدوح

الزَيْدِي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة، وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Çaide - Çaydet - Çayde . وقد أنجبت هذه الأسرة عدة فقهاء لم نعرف عنهم شيئاً باستثناء : علي بن العربي الزيدي من سنة 1236 إلى سنة 1247 (1821. 1831). ومحمد بن أحمد الزيدي الذي كان عون القاضي سنة 929 (1523).

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 796.

محمد ابن عزوز حكيم

الزَيْدِي، أحمد مقاوم من مواليد سنة 1940 ببني بويحيى إقليم الناظور. التحق بصفوف جيش التحرير المرابط بتيزي ندرا، وقد أبلى البلاء الحسن في كل المعارك والهجومات التي شارك فيها إلى جانب وحدات جيش التحرير بجبال الريف إلى أن حصل المغرب على استقلاله. توفي يوم 23.9.1995.

المنودية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 524281.

الزَيْدِي الكُدَالِي، عبد الكريم بن العربي أحد فقهاء مدينة أسفي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر. تولى قضاء أسفي بالنيابة، وعنه يقول الفقيه الكانوني : "الفقيه العلامة النوازلي القوال بالحق المفتي البار... توفي رحمه الله في الكائنة بين القائد عيسى (بن عمر) وأولاد زيد، فكان في جانب أهله، ولما طولبوا بالصلح وحضر لإمضائه غدرهم القائد المذكور فقتل الأعيان. وكان صاحب الترجمة ممن قتله القائد بنفسه حيث ناوله كتاب السلطان، ففي أثناء القراءة أخرج السيف من غمده وضربه، وذلك عشية يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة 1313 / 8 أكتوبر 1895، ودفن بأغرور من القصبه العليا في جملة من مات في ذلك اليوم..."

م. الكانوني، جواهر الكمال في تراجم الرجال، ج. 2، مخطوط : أ. الصبيحي، باكورة الزيدة من تاريخ أسفي وعبيدة، تح. ع. الرحيم العطاوي، م. الطريف، الرباط، 1994.

عبد الرحيم العطاوي

الزَيْدِي، محمد بن داود، مقاوم ولد سنة 1932 بدوار الكفاف إقليم خريبكة. شارك في الانتفاضة الشعبية التي عرفتها مدينة وادي زم يوم 20 غشت 1955 مشاركة فعالة، وقد قام أثناء هذه الانتفاضة بعدة أعمال فدائية استهدفت إحراق وتخریب منشآت المستعمر.

وواصل كفاحه هذا بكل شجاعة وإقدام إلى أن استشهد في نفس يوم الانتفاضة بعد إصابته برصاص العدو. المنودية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 520853.

الزَيْدِيَّة، للافاطنة بنت محمد إحدى الوليات الصالحات بعيدة يبعد ضريحها ببضعة كيلو مترات عن شاطئ البحر شمال أسفي في المكان المعروف باسمها. يقول الفقيه الكانوني عنها : "أصلها من حاحة، وهي بنت الولي الشهير سيدي محمد وشان..." أما الفقيه الصبيحي السلاوي فيقول عنها : "هذه السيدة اشتهرت بقضاء الله تعالى حاجات زائريها، ويقصدها النساء خصوصاً ومن

عادتهن أن كل امرأة زارتها في يوم من الأيام يصير عندها ذلك اليوم يوماً موقراً تتزين فيه ولا تغزل فيه ولا تأخذ مكسرة بيدها، وبالجملة لا تعمل فيه عملاً دينياً قائلة أنه يوم زيارتها لآل فاطمة مَحمد".

يقام بضريحها موسم كبير كل سنة في 15 شعبان وتقصد جموع غفيرة من الناس وخاصة النساء اللواتي لهن فيها اعتقاد كبير.

م. الكانوني، جواهر الكمال في تراجم الرجال، ج.2، مخطوط؛ أ. الصبيحي، باكورة الزبدة من تاريخ أسفي وعبدة، تج. ع. الرحيم العطاوي، م. الظريف، الرباط، 1994.

عبد الرحيم العطاوي

الزيراي، محمد بن بوشعيب زكي، مقاوم وأحد وجوه حزب الاستقلال البارزة في مدينة الدار البيضاء خاصة في درب البلدية بالمدينة الجديدة حيث كان مسؤولاً في مكتب الدائرة الأولى للحزب الذي انضم إليه عام 1944 بعد قدومه إلى الدار البيضاء، إذ كانت ولادته بقبيلة أولاد بوزيري ناحية سطات.

تعرض لمحاولة أولى للاغتيال يوم الخميس 3 ماي 1956، وقد نجح بفضل تدخل أحد المارة، أما المحاولة الثانية التي قضت على حياته فقد جرت مساء الأربعاء 25 يوليوز 1956 بزنقة مولاي الحسن بدرب البلدية بالدار البيضاء، وقد نفذ الاغتيال ثلاثة أفراد من الهلال الأسود التي حاولت الانتقام من المنظمة السرية - الخاضعة حديثاً لحزب الاستقلال - لإقدامها على اختطاف واغتيال عدد هام من رجال الهلال الأسود، وكان الزيراي قد بذل مجهودات لاعتقال عبد الله الحدادي أحد قادة الهلال البارزين، فحاول إغراء أحد أخواله، لكن دون جدوى، ومن المرجح أن تكون هذه المحاولة السبب المباشر لإقدام ثلاثة من الهلال على اغتياله.

(العلم، ع. 2244، الجمعة 27 يوليوز 1956، ص. 1).

محمد وحيد

زيرم بنت باب بن الناجم مقاومة من مواليد سنة 1927 بالساقية الحمراء من والدها باب بن الناجم بن الرقيبي وأُمها غيلة بنت الفاضل بنا لعبيدي. ساهمت مساهمة فعالة في مقاومة المستعمر الإسباني والفرنسي في جنوب المغرب حيث كانت تساعد جيش التحرير في معالجة الجرحى والقيام بكل ما تحتاج إليه فرقتها التي كان يرأسها السيد عزاز محمد بن أذخيل إلى أن استشهدت سنة 1958.

المدنوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 514707.

زيري بن عطية بن عبد الله بن تبادلت بن محمد بن

خزر الزناتي المغراوي يكنى أبا يوسف ويلقب بالفطراس. كان أحد أمراء بني خزر في بادية المغرب الأوسط، ولما غلب بلكين بن زيري الصنهاجي صاحب إفريقية على بلاد المغرب الأوسط سنة 369 / 979 أجلى بني خزر إلى المغرب الأقصى وزعماءهم محمد بن الخير ومقاتل بن عطية وأخاه زيري بن عطية وخزرون بن فلفول فوصلوا إلى سبتة التي كانت حينذاك تحت نفوذ بني مروان في الأندلس. وعندما أبان أمراء مغراوة عن شجاعتهم وبسالتهم في رد هجومات بني زيري الصنهاجين الموالين للعبيديين في إفريقية انخرطوا في دعوة بني مروان وبايعوا الخليفة هشام المؤيد وحاجبه المنصور بن أبي عامر، وقد توافق هذا مع حاجة المروانيين لحليف قوي ومطواع المواجهة التهديدات الفاطمية. وأصبح الحاجب يعول أكثر من ذي قبل على أمراء زناتة في ضبط بلاد المغرب الأقصى بعد انقطاع أيام الأدراسة وبني أبي العافية المكناسيين وكان على زيري بن عطية أن يستغل هذه الوضعية لظهار ولأثه لبني مروان وبسالته في الدفاع على مصالحهم بالمغرب الأقصى. وقد عرفت سنة 377 / 987 ظهور شخصية أبي البهار بن زيري بن مناد الصنهاجي على مسرح الأحداث في غرب المغرب الأوسط. وكان أبو البهار هذا مناهضاً لأخيه منصور بن بلكين صاحب إفريقية وظهير العبيديين، فخلع دعوتهم ومال إلى دعوة الخليفة هشام وحاجبه ابن أبي عامر وتمكن من الاستيلاء على مناطق واسعة باسم المروانيين كتلمسان وتنس ووهران وشلف وشرشال وجبال ونشريس والمدية وجزء كبير من بلاد الزاب. لكن بيعته للمروانيين لم تدم أكثر من شهرين إذ سرعان ما عاد إلى دعوة العبيديين، فكان ذلك مناسبة ملائمة استغلها زيري بن عطية بعد أن أمره ابن أبي عامر بقتال أبي البهار وعينه على ما كان تحت نفوذه من مدن ومناطق. وتمكن زيري فعلاً من مطاردة أبي البهار والاستيلاء على بلاده. وقد عزز هذا الانتصار موقع زيري في البلاط المرواني بقرطبة وقوي سلطانه وارتفع شأنه بين أمراء المغرب، وأصبح المنافس القوي لأمير زناتي آخر هو يدو (أبو بدوي) بن يعلى اليفرنى الذي كان المنصور يحسب له ألف حساب بين أمراء زناتة إذ كان كثير التقلب في ولائه للمروانيين. واعتبر المنصور أن زيري بن عطية هو القائد الذي يمكن الاعتماد عليه في تقليص أظافر الأمير اليفرنى والحد من خطورته وتهديداته للوجود المرواني في الضفة الجنوبية للأندلس. في هذا الاتجاه استدعى الحاجب المنصور زيري بن عطية إلى حضرته قرطبة سنة 377 / 987 وأحسن وقادته ثم أمره بمآزرته وزيره ونائبه على المغرب الأقصى حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي في محاربة عدوهم المشترك يدو بن يعلى. وفي إحدى المواجهات العنيفة بين الطرفين سنة 381 / 991 جرح الوزير ثم هلك فيما بعد مما سمح لزيري بأن يظهر كرجل المروانية الأقوى والأنسب لخلافة حسن بن أحمد في هذه المرحلة التي شهدت من جهة

تزايد أطماع بني زيري الصنهاجيين في المغرب وتشددهم في مخالفة الدعوة المروانية ومساندة العبيديين ومن جهة أخرى تصاعد وتيرة المعارضة الداخلية بالمغرب الأقصى خاصة معارضة بني يفرن وهو الأمر الذي شجع الحاجب على مكاتبة زيري بالولاية على المغرب الأقصى لبني مروان. وقد عرفت الفترة الممتدة من سنة 381 / 991 إلى سنة 383 / 993 فصول خطيرة من الصراع الدموي بين الأميرين الزناتيين زيري بن عطية ويبدو بن يعلى وكانت الحرب بينهما سجلاً، وفي آخر جولاتها سنة 383 تمكن زيري من اقتحام مدينة فاس على يدو وقتله وبعث برأسه إلى الحاجب المنصور بقرطبة. ولم يكن مقتل الأمير اليفرنى نهاية الصراع بين القبيلتين مغراوة وبنو يفرن على الإمارة والرياسة بل استمر ذلك حتى بعد انسحاب خلفاء يدو بن يعلى إلى جهة شالة واستقرارهم بها. وتفيد المصادر بأن زيري استطاع بفضل حنكته العسكرية ودهائه السياسي توسيع مجال نفوذ الخلافة الأموية في العدة الجنوبية من السوس الأقصى إلى بلاد الزاب. وقلص من تهديدات الخطر الشيعي وأصبح الزعيم الزناتي الأقوى في المنطقة ولم يبق له بها منازع أو منافس وبدأ يمارس سلطات واسعة كأمير مستقل، فشيّد مدينة وجدة سنة 384 / 994 في موقع وسط متميز يقترب من موطنه وعصبته ويتعد عن المؤامرات التي كانت تحاك ضده بفاس. وقد جعل زيري من هذه المدينة عاصمة لإمارته المترامية الأطراف وإنزالها عسكره وحشمه، وبعث إلى الحاجب بقرطبة هدية عظيمة طار ذكرها بين الناس وتفان المؤرخون في وصفها واعتبروها رمزا واضحا لقوة الأمير المغراوي وغنى مملكته. وفي سنة 386 / 996 ساءت العلاقة بين الخليفة هشام المؤيد وحاجبه المنصور بن أبي عامر. ووصلت لهذا الأخير بعض الأخبار مفادها أن زيري بن عطية يساند الخليفة في نزاعه مع الحاجب المستبد عليه وتجراً على خلع طاعته للحاجب ومحا اسمه من الخطبة وطرده عماله من المغرب وأجلهم إلى سبتة واقتصر على الدعاء للخليفة هشام. وقد انعكس هذا الموقف على تطور العلاقة بين الحاجب وزيري في اتجاه الصراع والتصادم. والمنصور كان يعي جيداً أن زيري لم يقدم على هذه الخطوة الخطيرة إلا بعد أن أحس بنفوذه وقوته، ولذلك سعى الحاجب إلى محاوة قطع الطريق عليه وعدم السماح له بالوصول إلى أهدافه السياسية. فبدأ يناوشه ويبعث له بالحملة العسكرية لكسر شوكته. وكانت أولى تلك الحملات حملة كاتبه عيسى بن سعيد اليحصبي التي دارت رحاها حول قلعة حجر النسر جنوب طنجة، ثم حملة قائده الكبير واضح الفتى الصقلي سنة 387 / 997 حيث استقطب عدداً من أبرز أمراء وقواد زناتة المناوئين لزيري مثل إسماعيل بن البوري ومحمد بن عبد الله بن مرين ومحمد بن الحخير الخزري وابن عمه بكساس بن سيد الناس وخزرون بن محمد الأزداجي وزيري بن خزر وأبو بخيت بن عبد الله بن بكار

وغيرهم. وقد دامت هذه المواجهة حوالي ثلاثة أشهر في مجال واسع بين أصيلاً ونكور. ولما علم الحاجب المنصور باستماتة زيري وصده بقوة لهجمات قائده واضح بعث بحملة أخرى بقيادة ابنه عبد الملك المظفر وتحت إشرافه شخصياً، وزحف إلى طنجة حيث ضم جيوشه إلى جيوش القائد واضح وانطلق الجميع لمواجهة جيش زيري في معركة عنيفة بوادي منى (أبو دوادي رذات أو بجبل الحبيب حسب تعدد الروايات) من أحواز طنجة في شهر شوال من سنة 388 / 998. وقد استطاع الأمير المغراوي الصمود والثبات إلى أن غدر به أحد أتباعه وطعنه في غفلة منه وكان يريد نحره. لكنه أصيب بجراح وتمكن من النجاة والهرب إلى فاس ومن هناك إلى الصحراء. ويفضل هذه الهزيمة استبعاد الحاجب ابن أبي عامر نفوذه على المغرب الأقصى.

بعد استجماع زيري لقواه وحشد مؤيديه انتقل من الصحراء إلى المغرب الأوسط حيث كانت الأوضاع مضطربة والصراع حول الحكم بين فصائل صنهاجة محتداً، فاستغل زيري انشغال الأمراء ونازل بعض المدن خاصة تاهرت واستولى عليها بعد حروب شديدة مع بني زيري. وقد شجعه هذا الانتصار على متابعة تحركاته العسكرية في إطار خطة مرسوم بدقة لاستعادة ملكه في المغرب الأقصى من خلال بويته الشرقية. وهكذا استولى سنة 389 / 999 على تلمسان وشلف وتنس والمسيلة وغيرها وأقام الدعوة فيها للخليفة هشام المؤيد ولحاجبه ابن أبي عامر، كما كتب للحاجب بهذا الفتح يسترضيه ويشترط على نفسه الاستقامة والطاعة ويطلب منه إعادته إلى ولايته على المغرب الأقصى. وكان الحاجب يقوم بتسويفه وتماطل في السماح له بالعودة إلى أن وافق أخيراً بالقدوم إليه عندما كان محاصراً لمدينة أشير سنة 391 / 1001. وعند منصرفه اعتل زيري بن عطية وعادت عليه جراحاته وتوفي بعدها في شهر المحرم أو في شهر رمضان من نفس السنة 391 / دجنبر 1000 - غشت 1001 فخلفه ولده المعز بإجماع آل خزر وكافة مغراوة.

ديوان ابن دراج القسطلبي، تح. محمود علي مكلي، ط. 2، المكتب الإسلامي، 1389، ص. 1. 7 : ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، 1966، ج. 9، ص. 46، 68، 69، 152، 153، 155 : ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، بيروت، 1983، ط. 3، ج. 1، ص. 249، 253 : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، بيروت، 1983، ط. 3، ج. 2، ص. 281، 282 : مجهول، مفاخر البربر، نشره ليفي بروفنسال، المطبعة الجديدة، رباط الفتح، 1934، ص. 22، 39 : ابن أبي زرع، القرطاس، دار المنصور، الرباط، 1972، ص. 102، 107 : النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب (جزء منه حول تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط)، تح. مصطفى أبو ضيف أحمد، الدار البيضاء، 1985، ص. 318، 325، 328 : علي الجزائري، جنى زهرة الآس، الرباط، ط. 2، 1991، ص. 54 : ابن الخطيب، أعسال الأعلاء فيمن بويح

قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح. أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتان، الدار البيضاء، 1964، القسم الثالث، ص. 155 - 160؛ ابن خلدون، العبر، دار الفكر، بيروت، 1988، ج. 4، ص. 189. 190؛ نفسه، العبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968، ج. 6، ص. 320. 322؛ الفلقشندي، صحح الأعشى، القاهرة، د. ت.، ج. 5، ص. 185. 186؛ أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1974، ص. 198. 199؛ الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954، ج. 1، ص. 206. 224؛ أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت، 1978، ص. 236. 240؛ الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، نقله عن الفرنسية حمادي الساحلي، بيروت، 1992، ج. 1، ص. 98. 133؛ عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، بيروت، 1994، ج. 2، ص. 84؛ هاشم العلوي القاسمي، مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري / منتصف القرن العاشر الميلادي، الرباط، 1995، ج. 2، ص. 215. 375.

G. Marçais, *Oujda, E.I.*, 1936, T. 3 ; Levi - Provençal, *Maghrawa, E.I.*, 1936, t. 3 ; Ibid, *Histoire de l'Espagne musulmane*, Paris - Leiden, 1950; T. 2., pp. 259 - 268 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1950, T. 2, pp. 135 - 208 ; E.F. Gautier, *Le Passé de l'Afrique du Nord*, nouvelle édition, Paris, 1964, pp. 369 - 391 ; J. Brignon [et al...], *Histoire du Maroc*, Paris, Casablanca, 1967, pp. 73 - 83.

رشيد السلامي

زيز، حوض يتكون من ثلاث مجموعات متوالية من الشمال إلى الجنوب :

- المنطقة الجبلية التي تعتبر المورد الأساسي لسهل الریش،

- المنطقة السفحية التي تتعش واحات الرشيدية والتي عرفت تشييد سد الحسن الداخل في سنة 1971،

- المنطقة الجنوبية على الهضبات تغذي الواحات الشبية الصحراوية والصحراوية بما فيها سهل تافيلالت حيث يلتقي مع واردات حوض غريس.

تقدر التساقطات المطرية بـ 250 ملم في المناطق الجبلية و 130 ملم بينما لا تتعدى 75 ملم جنوب أرفود.

وتبلغ المياه السطحية معدل 68 ملم على مستوى فم تليشت و 39 ملم في فم زعبل سنويا. ويتم استعمال هذه المياه لسقي حوالي 6.150 هـ من الأراضي الزراعية بعالية زيز.

ويحكم أهمية هذه الواردات (138 م³) وكذلك لضرورة وقاية الواحات الجنوبية من الفيضانات تم بناء سد الحسن الداخل وتسخيرها منذ 1971.

وتعتمد الواحات الجنوبية في سقيها (20.960 هـ) أساسا على مياه هذا السد إضافة إلى بعض العيون، عين مسكي مثلا، مياه غريس التي يتم تحويلها بواسطة بعض السدود التحويلية كسد الحميدة، إضافة إلى عدد كبير من

الخطارات.

وقد لعب هذا السد دورا أساسيا في ري هذه الواحات حيث مكن من تسخير معدل 106 مليون م³ سنويا واستعمال 90.1 م³ للزراعة.

يرتكز استعمال المياه الجوفية خاصة بسهل تافيلالت حيث يتم سقي 6.000 هكتار سنويا بواسطة الخطارات والآبار (20 م³ سنويا).

وتعتبر الملوحة هاجسا مخيفا لاستدامة التنمية الفلاحية خاصة بسهل تافيلالت حيث تم تسجيل مستويات تفوق 8 غ/ل.

ويتميز هذا الحوض بوجود شبكة جهوية لتوزيع مياه الشرب على كل من الرشيدية، أرفود والريصاني والقصور الرابطة بينها والذي تم تشغيله منذ 1985.

ونظرا لضعف مستوى الواردات بهذا الحوض، فإن جل المقترحات في إطار المخطط المديرى لاستصلاح هذا الحوض تستهدف اقتصاد المياه المتاحة وحسن استعمالها إضافة إلى التحكم في ظاهرة الملوحة وتحويل المياه من سافلة حوض غريس إلى واحات زيز.

موحا حدوش

زيز، واد ينبع من جبل العياشي بالأطلس الكبير الشرقي، ويخترق إقليم تافيلالت من شماله إلى جنوبه مارا بالخنك ومضفرة والرتب وتيزيمي وتافيلالت بالمعنى المحلي للكلمة ثم يخرج إلى القفر (وصف إفريقيًا، 2: 254؛ إفريقيًا، 3: 152). يبلغ طوله من منابعه إلى الخلفية حيث يلتقي بوادي غريس ويشكل معه وادي الدورة 200 كلم. له ثلاثة روافد في عاليته هي: أوتريات ونوساين وتلاست، تأخذ كلها منابعها من أوتريات على ارتفاع يتراوح ما بين 2400 و 2700، وتجتمع هذه الروافد الثلاثة في واد يحمل اسم تاريبات، ثم يضاف إليها وادي تزارين في أمرگو، ثم وادي مزيزل، ثم وادي سيدي حمزة ورافده واد النزالة (Errachidia, p. 8 ; Les problèmes de l'eau, p. 99).

لم يرد ذكر اسم زيز في المصادر الجغرافية للعصر الوسيط سوى في كتابين هما: البلدان لليعقوبي والجغرافيا لابن سعيد في حين تردد ذكره في مصادر العصور الحديثة. ولا نعرف ما تعنيه هذه الكلمة، فالزيز بالتعريف هو بصل الفار وذوابة تطير وتفق طويلا على الشجرة ولها صوت كأنها تقول زيز فسميت به (محيط المحيط، 387) فهل سمي هذا الوادي بزيز لكثرة نبات الزيز فيه أو اشتق اسمه من خرب مياهه لأنه كان فيما مضى دائم الجريان؟ الحقيقة أننا نستبعد أن يكون لاسم هذا الوادي علاقة بالمعنيين المذكورين ونرجح أن تكون هذه الكلمة من أصل أمازيغي لكننا لم نتوصل إلى معرفة معناها في ضوء معلوماتنا الحالية.

ذكر ابن حوقل الذي زار سجلماسة سنة 340 / 951 أن هذه المدينة على نهر يزيد في الصيف كزيادة النيل، في كون الشمس في الجزاء والسرطان والأسد، فيزرع بمائه حسب زرع مصر في الفلاحة (صورة الأرض، 90). وذكر الوزان الذي أقام بقصر المامون مدة طويلة بعد أندراس مدينة سجلماسة أنه كثيراً ما يجف نهر سجلماسة في فصل الصيف ويقل الماء جداً بحيث لا يجد الناس غير الماء المالح المستخرج من الآبار (وصف إفريقيا، 2: 126). فيستنتج من ذلك أن تغيراً كبيراً طرأ على التصريف المائي لوادي زيز من زمان ابن حوقل إلى زمان الوزان.

ولأن سجلماسة منطقة شبه صحراوية، شديدة الحر. قليلة الأمطار (أحسن التقاسيم، 231 ومعايير الاختيار، 181 وصبح الأعشى، 5: 164) فإن وادي زيز لا يعتمد في جريانه على التساقطات المحلية وإنما يرتبط ارتفاع منسوب مياهه بتهاطل الأمطار وذوبان الثلوج في مناطق منابعه وهذا ما أكده ابن أبي زرع حيث قال: وفي سنة 381 / 991 كان قحط شديد ببلاد المغرب والأندلس وإفريقية، جفت من أجله المياه جفوا كثيراً، وجاء بهذه السنة بوادي سجلماسة سيل عظيم لم يعهد مثله، ولم ير بتلك الأرض كلها من السنة مطر، فعجب الناس من ذلك (القرطاس، 114).

وأورد البكري معلومات مهمة حول تغذية وادي زيز بمياه العيون قال: "وسجلماسة على نهرين عنصرهما من موضع يقال له الكلف تدمه عيون كثيرة، فإذا قرب من سجلماسة تشعب نهرين يسلك شرقيها وغربيها (المغرب، 148) ونقل هذه المعلومات دون إضافة كل من صاحب الاستبصار وابن عبد المنعم الحميري (الاستبصار، 201 والروض المعطار، 306).

حاول روجي فور R. Faure إيجاد تفسير الكلام البكري وقال بأن المناطق الواقعة في الشمال الغربي لمدينة سجلماسة كانت تتوفر على عدد كبير من العيون ذات صبيب قوي، خصوصاً في المجال الواقع بين قصر الجبيل وقصر الدار البيضاء، وقد جفت هذه العيون بسبب تراكم الطمي المنقول بواسطة مياه وادي زيز. وقال بأنه من غير المستبعد أن تكون هذه العيون هي المقصودة بأكلف عند البكري (Le Tafilalet, p. 12) وأكد مارغا J. Margat هذا الرأي بنوع من التفصيل وقال بأن الفرشة المائية في المناطق المذكورة أعلاه تتوفر على مخزون مهم من المياه بسبب وجود سد حجري طبيعي بها يمنع تسرب المياه الجوفية نحو الجنوب، وهو ما أهلها لأن تكون منطقة غنية بمنابع الماء، وأهلها لأن تكون كذلك المقصودة في كلام البكري بأكلف. وأعزى جفاف هذه العيون في وقتنا الحالي إلى ارتفاع مستوى سطح الأرض في ضواحي مدينة سجلماسة بتسعة أمتار عما كان عليه زمان البكري (Note sur la morphologie) ومعلوم أن فيضانات وادي زيز وغريس تسبب في تراكم الطمي بمناطق تافيلالت بنسبة تتراوح ما بين 0.5 و1 سنتم في العام

الواحد، أي ما يعادل حوالي متر في كل قرن (Note sur la morphologie). وكل فيض لهذا الوادي تتراوح كمية مياهه ما بين 4 و5 مليون م³ يحمل إلى تافيلالت حوالي 35.000 طن من الطمي (Les problèmes de l'eau, p. 117).

وبخصوص ما ذكره البكري حول تشعب نهر سجلماسة عند اقترابه من المدينة إلى نهرين يسلكان شرقيها وغربيها قال مارغا J. Margat بأن المقصود بهما وادي زيز والساقية المسماة بواد الشرفاء (Note sur la morphologie, p. 257). فيفهم من ذلك أن أهالي سجلماسة قد غيروا مجرى وادي زيز عبر ساقية كبيرة أصبحت مع الزمن تحمل اسم وادي، وإذا كان تاريخ استحداث هذه الساقية غير معروف، فإن نسبة تسميتها إلى الشرفاء يوحي بأنها وليدة فترة متأخرة عن زمان البكري، لأن الشرفاء العلويين دخلوا سجلماسة في أواخر القرن السابع (13 م). وقد كان الهدف من شق هذه الساقية هو تحويل مياه زيز لسقي الأراضي السهلية الواقعة إلى الشرق من مدينة سجلماسة (سجلماسة، 60) وهذه العملية لم تكن الوحيدة التي تدخل فيها الإنسان بتافيلالت لتغيير المجرى الطبيعي لوادي زيز، فإلى الجنوب من أرفود ينقسم هذا الوادي إلى فرعين هما: وادي أمربوح في الشرق وزيز الفيلاي في الغرب والأول هو المجرى الأصلي للوادي، أما الثاني فأحدث في تاريخ غير معروف لتقريب مجرى وادي زيز من مجرى وادي غريس بهدف الربط بينهما والاستفادة من مياه غريس في سقي الأراضي السهلية لسجلماسة (Le Maroc sah., p. 147).

لم يكن البكري هو الجغرافي الوحيد الذي أشار إلى تشعب وادي سجلماسة عند بلوغه المدينة إلى نهرين بل أكد ذلك كل من ابن سعيد والقلقشندي (الجغرافيا، 124 وصبح الأعشى، 5: 164) قال ابن سعيد: "ونهرها يأتي من الجنوب والشرق ومنبعه من جبل أزرو الكثير الحيات ومن عيون، وينقسم منها إلى قسمين، ثم يجتمع القسمان ويتصلان على غربيها وشرقيها... وينصب هذا النهر في نهر زيز الذي يمشي معه ومع نهر سجلماسة، وإليها خمسة أيام في العمائر والخيرات ثم ينصب نهر زيز في نهر ملوية الذي ينصب في بحر الرومان (كتاب الجغرافيا، 124).

يثير وصف ابن سعيد للمجاري المائية بسجلماسة مشاكل عديدة إذا ما قارناه بخريطة الشبكة المائية الحالية بتافيلالت. ويظهر أن هذا الجغرافي اشتبهت عليه أمور كثيرة في هذا الموضوع فهو يتحدث عن نهرين هما: زيز وسجلماسة ولايستبعد أن يكون المقصود بنهر سجلماسة في كلامه هو وادي غريس الذي يعتبر أحد الأنهار الرئيسية في حوض زيز، وجعل منابع زيز في الجنوب والشرق، وهو توطين خاطئ لا يصح القول به إلا إذا اعتبرنا أنه كان يحدد منابع هذا النهر انطلاقاً من موقعها بالنسبة للمناطق الشمالية للمغرب الأقصى. كما جعل مصب هذا الوادي في البحر الأبيض المتوسط على الرغم من أنه يضع في

ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، بيروت، 1970 : مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985 : ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، المحمدية، 1976 : ابن عبد المنعم الحمري، الروض العطار في خبر الأقطار، بيروت، 1984 : القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج. 5، القاهرة، 1915 : الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1982 : مارمول كاريخال، إفريقيا، ج. 3، الرباط، 1984.

R. Faune, *Le Tafilalet étude d'un secteur traditionnel d'irrigation*, Paris, 1969 ; F. Joly, *Etude sur le relief du sud-est*, Rabat, 1962 ; J. Margat, *Note sur la morphologie de site de Sigilmassa*, Hesp., 1959, p. 254 - 261 ; D.J. Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Paris, 1982 ; M. Jarir, *Errachidia et l'organisation régionale de la vallée du Ziz*, Thèse de Doctorat de 3ème cycle, Université François Rabelais. Tours, 1983 ; Brik El-Mansor, *Les problèmes de l'eau dans la vallée Moyenne du Ziz et la plaine du Tafilalet*, thèse de Doctorat (Nouveau régime), Université de Nancy II, 1988.

* * * وتعتبر مدينة زيز المدرسة من مدن إقليم سجلماسة. قال البكري : "ومدينة سجلماسة بنيت سنة أربعين ومائة، وبعمارتها خلت مدينة ترغة وبينهما يومان، وبعمارتها خلت زيز أيضاً" (المغرب، 148). وإذا كان من المحتمل أن يكون المقصود بترغة هو تدغة التي أجمعت الدراسات الحديثة على القول بأن موقعها قريب من منجم الفضة الذي تم اكتشافه مؤخراً في جبل صاغرو جنوبي المجرى الأعلى لوادي اميضر على بعد ثلاثين كيلومتراً جنوب غرب مدينة تغير (*Le Maroc saharien*, p. 220 ; *Corpus des mon.* Id., p. 95 ومادة تدغة، معلمة المغرب، 7 : 2306 - 2307). فإن موقع مدينة زيز مازال غير معروف بكيفية دقيقة لحد الآن، ومازال ما كتب عنه بالاعتماد على التحريات الميدانية والروايات المحلية مجرد افتراضات، وسيظل كذلك ما لم يحسم الموضوع بالتنقيبات الأثرية.

وظن دانيال اسطاس D. Eustache مدينة زيز في منطقة الغراس على الضفة اليمنى لوادي زيز بين جبل بوحميد في الغرب وجبل لوقنديل في الشرق. وقال بأنه من المحتمل أن تكون هي غرسولون التي ماتزال بقايا أسوارها المرينية ماثلة إلى اليوم، وتعرف عند المحليين باسم الدوار (*Corpus des mon.* Id., p. 142).

ومعلوم أن مدينة غرسولون قد ذكرها الوزان باسمين آخرين مختلفين عن هذا الذي أثبتناه هنا وهما : غارسولان وغرسولون (وصف إفريقيا، 1 : 288 : 2 : 122) وذكرها مارمول باسم غرس العيون (إفريقيا، 3 : 153 و 155) وذكرها ابن الخطيب قبلهما باسم أقر سلون (معيار الاختيار، 179) وذكر محقق معيار الاختيار أن أقر سلون يحتمل أن يكون المراد بها قصبه سلوان حيث تقطن قبائل بين يظفتي بالريف (هامش الصفحة، 179 من معيار

الصحراء كما سنذكره في حينه (سجلماسة، 58 - 59). أما تحديده لمنابع زيز بجبل أزرو الكثير الحياة فيعززه ما ذكره الوزان في معرض حديثه عن جبال زيز حيث قال بأن الأفاعي بها كثيرة، وهي في غاية الوداعة والألفة، تزحف في بيوت الزناكيين كصغار الكلاب والققط. وعندما يذهب أحدهم لتناول الطعام تتجمع حوله الثعابين الموجودة في البيت، وتآكل أكلا عادياً، قطع الخبز وغيره من المأكولات التي تقدم لها ولا تؤذي أحداً أبداً إذا لم يؤذيها (وصف إفريقيا، 1 : 287).

وعلى عكس ما يعرفه وادي زيز من جريان موسمي في الوقت الحالي فإن المياه كانت وفيرة به في العصر الوسيط. فقد أشار ابن حوقل إلى وجود غلات القطن بسجلماسة (صورة الأرض، 90) ومعلوم أن القطن يحتاج إلى كميات كبيرة من المياه بالإضافة إلى حاجته للحرارة المرتفعة، وأكد كل الجغرافيين الذين اتوا بعده على وفرة المياه بوادي سجلماسة (المغرب، 148 وكتاب الجغرافيا، 142 وصبح الأعشى، 5 : 164)، وحتى الوزان الذي قال بأن هذا الوادي يجف في فصل الصيف ذكر أنه بعد أن يخرج إلى القفر "يكون قرب قصر سغيلة بحيرة وسط الرمال، حيث لا يوجد أي سكن، غير أن الصيادين من الأعراب يختلفون إلى ضواحيها لأنهم يجدون فيها صيدا حسنا جدا" (وصف إفريقيا، 2 : 254) وهو ما أكدته مارمول أيضاً حيث أشار إلى أن هذه البحيرة تقع في صحراء الضهرة (إفريقيا، 3 : 152).

ولا يعرف مكان هذه البحيرة اليوم ولا مكان قصر سغيلة الذي ذكره الوزان لكن المناطق الملائمة لوجودها تنحصر في المكانين التاليين :

1- سبخة الدورة الواقعة إلى الجنوب من أوديكة 2 - المكان المسمى بالمحجز إلى الشمال من سبخة موراجتين وهما المكانان اللذان تتجمع فيهما مياه فيضانات وادي الدورة اليوم وترسوبهما توضعته (Etude sur le relief, p. 308 et 484).

ويعتبر وادي الدورة استمراراً لوادي زيز، وتطلق هذه التسمية على هذا الوادي بعد التقاء زيز بغريس جنوب الخملية. ويقطع وادي الدورة مسافة 200 كلم من الشمال إلى الجنوب، كما هو الحال بالنسبة لزيز، مخترقاً للحمادات الجنوبية وجامعا لمياه أودية كم خصوصاً واد آيت ترهلا. وعند تجاوزه لجبل عش الكطار ودخوله لعرك ابكيدي يحمل اسم وادي الأثل حتى إذا بلغ حاسي بن زهرة صعبت عملية تتبع آثاره بحيث لا يعلم ما إذا كان يتجه نحو وادي السورة أو نحو رحل الأمان (Etude sur le relief, 304). وبذلك يكون وادي زيز قد قطع ما يزيد على 400 كلم من منابعه إلى حاسي بن زهرة حيث ينتهي وادي الدورة.

ابن حوقل، صورة الأرض، بيروت، د. ت. : أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، شردوسلان، باريس، 1965 ;

الاختيار) غير أن وصف ابن الخطيب لهذه المدينة يؤكد أنها هي التي وردت عند الوزان ومارمول بالأسماء المذكورة أعلاه.

يستفاد من وصف الوزان لكرسولين أنها من بناء الزناتيين قال : "ولم بين الزناتيون في الحقيقة هذه المدينة إلا لتكون حصنا للسيطرة على ممر نومديا، إذ كانوا يخشون أن تتسرب قبيلة لتونة منه إلى بلادهم. ومع ذلك جاء اللمتونيون من طريق آخر وخرّبوا المدينة وحطموها" (وصف إفريقيا، 1 : 288). ويستنتج من ذلك أن زيز قد تغير اسمها منذ القرن (5 هـ / 11 م) على الأقل ليصبح كرسولين، وأنها تعرضت للتخريب على يد المرابطين.

وإذا كان الوزان قد أعزى السبب في تأسيس هذه المدينة إلى رغبة الزناتيين في مراقبة الممرات التي تسلكها صنهاجة الجنوب في رحلتها السنوية من مشاتها في القفر إلى مصابفها في المناطق الواقعة شمال جبال درن، فإن أسباب تأسيسها قد تتسع لتشمل عاملين إضافيين لا يقلان أهمية عن سابقهما وهما : مراقبة الطرق التجارية واستغلال المعادن.

بالنسبة للعامل الأول نسجل أن القوافل التجارية حين تخرج من سجلماسة في اتجاه فاس أو موانئ البحر الأبيض المتوسط، خاصة ميناء جراوة، كانت تتبع مجرى وادي زيز، وبعد خروجها من منطقة مدغرة تضطر إلى اختراق مضيق ضيق سماه مارمول بكنانة (إفريقيا، 3 : 152) وسماه الوزان الخنك (وصف إفريقيا، 2 : 254) ومازال يحمل هذا الاسم إلى اليوم، ولا يوجد مكان ملائم للاستراحة بعده إلا في منطقة الكرس، لذلك بنيت هذه المدينة هناك على مشارف الحدود الشمالية لإقليم سجلماسة بهدف توفير لوازم السفر للقوافل وضمان مرورها بسلام في مضائق الأطلس الكبير الشرقي وممره الأساسي تيزي ن تالغمت. (سجلماسة، 27).

أما السبب الثاني التي قامت على أساسه هذه المدينة فهو تعدد الفضة بالاعتماد على منجم كان يقع بالقرب منها، إما في تاكدوست أو بيززل، في المنطقة التي يخرج فيها وادي زيز من الأطلس الكبير الشرقي بين جبل بوحاميد وجبل بوقنديل (Corpus des mon. Idr., p. 95 - 96).

وقد احتفظت لنا الأيام بأربعة دراهم ضربت في زيز : المؤرخ منها بسنة 179 / 795 ليس ادريسيا وإنما يشبه الدراهم التي ضربت بأفريقية في عهد الولاة ويحمل في الدائرة المركزية النقوش التالية : محمد رسول، الله نبي، رحمته. أما الدراهم الثلاثة الأخرى فتحمل اسم عيسى بن إدريس صاحب أزقور، ويحمل واحد منها على الوجه في الدائرة المركزية اسم عبد الله ولقب المنتصر بالله، وقد ضربت في سنوات : 213 / 228 و 229 / 844 و 233 / 848 (Corpus des mon. Idr., p. 142 - 143 والأداسة، 157).

ويحتمل أن يكون عيسى بن إدريس قد بسط سيطرته

على زيز في نفس سيطرة يحيى بن إدريس على داي وتدغة. وارتبطت زيز بوازقور عاصمة عيسى بن إدريس بطريق كان يعبر بعد خروجه من الكرس ممر تيزي ن تالغمت وأعلى ملوية فأغبالون سردان فخنيفة (Corpus des mon. Idr., p. 142 - 143).

أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشر دوسلان، باريس، 1965؛ الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج. 1 و 2، ترجمة م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1982؛ مارمول كارخال، إفريقيا، ج. 3، ترجمة م. حجي وآخرين، الرباط، 1984؛ ل. ابن الخطيب، معيار الاختيار، المحمدية، 1976؛ الموسوي العجلوي، مادة تدغة، معلمة المغرب، ج. 7؛ حسن حافظي علوي، سجلماسة وإقليمها في القرن (8 د / 14 م)، المحمدية، 1997؛ محمد صدقي، الأدراسة من النشأة إلى التجزئة، دبلوم الدراسات العليا، ظهر المهرز - فاس، 1991.

D. Eustache, *Corpus des Dirhams Idrisites et contemporains*, Rabat, 1970 - 1971 ; D.J. Meunier, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Paris, 1982.

حسن حافظي علوي

زيزاوة أو زكزاوة، أسرة وزاوية بالريف الشرقي.

فالأسرة مستقرة بقبيلة بني سعيد، ترجع الوثائق نسبها إلى المرابط الشيخ عمر بن أحمد الراسي، الذي كان حيا في بداية العصر المريني بالشمال الشرقي المغربي، دفين قرية تاحيدوست بجماعة زيزاوة ببني سعيد، بالكعدة الحمراء برأس واد الذفلة، لذلك دعي بالراسي، وذلك قبل أن تعرف الجماعة المنتسبة بزيزاوة أو زكزاوة.

واللفظ الأمازيغي "أزيزا" أو "أزكزا"، بمعنى اللون الأخضر، وبه عرف أفراد الأسرة، بعد وقوع الاختيار على اللون الأخضر المفضل في لباسهم، تيمنا بالبرنوس الأخضر الذي كان يلبسه جدهم عمر بن أحمد الراسي، حسبما تلح عليه الرواية الشفوية.

وأقدم وثيقة نعتمد عليها لتسجيل ظهور الأسرة بالقبيلة هي المؤرخة بيوم 10 ذي القعدة عام 1015 / 9 مارس 1607، وهي وثيقة تجديد التوقير والاحترام الممنوحة للأسرة الزيزاوية المقيمة بالريف إثر وفاة أحمد المنصور السعدي. وهذا يتناقض مع ما قيل عن هجرتها حوالي منتصف القرن السابع الهجري إلى ناحية مستغانم من جهة ومع ما اعترف أفراد الأسرة من العودة إلى بني سعيد، حين أشاروا إلى هروبهم من الاحتلال الفرنسي للجزائر، مما يفهمنا أن الأمر لا يتعلق بمجموعة صغيرة سواء أثناء الهجرة أو العودة من جهة أولى، كما أنها من جهة ثانية كانت على اتصال بالبلاد المغربية منذ ما قبل ذلك. وقد عثرنا على وثائق تسلسلهم النسبي، يصلهم أولها العائدة إلى العهد السعدي بجدهم المرابط عمر بن أحمد، ثم على ثلاث وثائق تجديد التوقير والاحترام، بتاريخ 22 صفر 1118 / 5 يوتيو 1706، و 24 محرم عام 1289 / 3 أبريل

1872 / 6 رجب 1291 / 19 غشت 1874 و 14 جمادى الأولى
عام 1298 / 24 أبريل 1880.

فالمستخلص من كل هذا أن جماعة من أحفاد المرابط
عمر بن أحمد الراسي السعيد هاجرت من بني سعيد في
ظروف غامضة إلى ناحية غرب مستغانم الجزائرية واستقرت
بقرية بطيوة أزبو إلى جانب العديد من الفرق السعيدية
المهاجرة، بالشكل الجغرافي الذي نراه بقبيلة بني سعيد،
مثلما يشبه الاستيطان للأغراض الاستراتيجية الحربية.
وهناك من يقترح تاريخ الترحيل ويرده إلى الامتداد المريني
بالجزائر على عهد السلطان أبي الحسن المريني في منتصف
القرن الثامن (14 م).

وحوالي سنة 1854 أسس الفرنسيون بمستغانم قرية
"سانت لو" مكان قرية بطيوة أزبو، مما أدى إلى إجلاء
السكان بضع مئات من الأمتار جنوبا، وكان لزاما على
القريتين الرئيسيتين زواوة وبني تمایت أن تقتسما المجال
الجديد، مثلما هو عليه الحال بقبيلة بني سعيد بالريف. فمن
الجماعة الزواوية انفصلت الأسرة التي اختارت العودة إلى
موطنها الأصلي ببني سعيد، واستقرت بجوار قبة ضريح
المرابط عمر بن أحمد الراسي. ويمكن حصر عدد أسر زواوة
العائدة في بداية القرن الرابع عشر (آخر 20 م)، اعتمادا
على تصريح وثائقهم بخمس وثلاثين دارا، وهو ما يوازي
على الأقل 175 نفر.

وسرعان ما يادر فقهاء أسرة زواوة إلى إحياء مراسيم
زاويتهم القديمة الواقعة بجوار ضريح جدتهم المرابط عمر بن
أحمد الراسي. وأقبلوا على الاشتغال بتدريس العلوم الدينية
والقيام بالدور الاجتماعي التوفيقي في المنطقة. وقد بلغ
عدد علماء زواوة حسب المعلومات المقدمة لنا في متم رجب
1306 / 1 أبريل 1889 أحد عشر فقيها، وحدد عدد الطلبة
بنحو أربعة وخمسين طالبا.

وبرز من الأسرة الزواوية في النصف الثاني من القرن
الثالث عشر قضاة استحوذوا على القضاء في بني سعيد
دون منازع، أمثال: القاضي أحمد بن أحمد بن زرو ومحمد
بن أحمد أشمال وأحمد بن إبراهيم وعمر بن محمد (حمو).
وكان أجل علمائهم آنذاك هو الفقيه أحمد بن مزيان
الزواوي المقتول في خضم الصراع مع الحضريين سنة 1309
مسموما.

عاصرت زواوة زواوة كلا من زواوة الحضريين بنفس
القبيلة، بفرقة إزعومن، وزواوة كركر بناحية كرواو ببني
بريحيي. غير أن المنافسة الشديدة التي واجهتها زواوة
زواوة هي التي قابلتها زواوة الحضريين بزعامة محمد
أحزري الأول وخلفه محمد أحزري. وقد جر احتدام
المنافسة بين الزاويتين موجة من النزاعات التي أدت إلى
تخريب الزواوة الزواوية وتهجير الأسرة، بل وقتل رؤوسها،
مثلما يمكن الإشارة إلى أحداث ربيع الثاني من سنة 1308.
ففي الوقت الذي كان فيه قائد القبيلة عبد الصادق

الرفي وخلفه محمد أقشيش السعدي معترفين بالزواوة
ويشرف الأسرة، تصدى لهم محمد أحزري، مقدم الزواوة
والأمين ثم القائد الحاج بوزيان السعدي بالاصرار على عدم
اعتبار ما بأيدي الزواوين من ظواهر التوقير التي يعود
أول ما كان بأيديهم حسب اعترافهم إلى عهد المولى
سليمان. وانضاف إلى ذلك اتهام جماعاتها بالتحريض
على اغتيال المقدم محمد أحزري السعدي في جمادى
1301. ولم ينح الطرفان من اللقاء في ساحة المعركة، مثلما
أدت به أحداث 21 شعبان 1302 و 23 رجب عام 1308 من
الجرحي والقتلى.

وقد أدى رجحان كفة الزواوة الحضرية إلى إجلاء
الزواوين عن موطنهم وتخريب زاويتهم وديارهم ومصادرة
أموالهم وقتل رؤوسهم سنة 1309 في آخر عهد المولى
الحسن، دون أن تلقى صرخاتهم بالبلاط الحسني والتجاؤهم
مرات عديدة منذ 3 شوال سنة 1297 / 9 سبتمبر 1880 إلى
مقابلة السلطان أي رد فعل إيجابي، مثلما حدث يوم 13
رجب 1306، وفي آخر اللقاءات يوم 5 شوال 1307. وكان
المطلوب في كل مرة استرجاع مصادقية مستنداتهم والحث
على تعيين نقيب لزواويتهم.

ولكن الحملة القوية التي شنها خصومهم على ديار
الزواوين البالغة آنذاك خمسا وثلاثين دارا، قضت على
آمالهم، وذلك يوم 23 رجب 1308، وهذا هو الذي أدى إلى
انتهاء دور الأسرة خلال غارة جمادى الثانية سنة 1309،
مثلما سترد التوضيحات في تراجم أهم رجال الأسرة.
وعلمنا من جهة أخرى أن بعض فقهاء الزواوين استقر بهم
المقام بزواوة كركر المشار إليها.

وثائق زواوة التي بجوزة محمد الترابي؛ وثائق ح. ح. كنانيش خ.
ح.؛ وثائق مديرية الوثائق الملكية؛ عيسى البطوي، مطلب الفوز
والفلاح في آداب طريق أهل الفصل والصلاح، تح. ح. الفكيكي،
الرباط، 1999.

Revue Africaine, 1945

حسن الفكيكي

الزواوي، أحمد بن أحمد بن زرو، قاضي بني سعيد
عهد المولى الحسن. ثبتت مزاولته للمهمة منذ ما قبل سنة
1279 / 1880، مما يقودنا إلى تعيينه سنة 1291 أثناء زيارة
المولى الحسن لقلعية. اقتسم هذه المهمة مع القاضيين
الزواويين محمد بن أحمد أشمال وعمر بن محمد، حسبما
يأتي في ترجمتهما.

كان أحمد بن زرو من المناضلين لإثبات شرف الأسرة،
حريصا على عدم الرضوخ لما زعمه الحضريون ومساندهم
قائد قبيلة بني سعيد الحاج بوزيان السعدي حين اعتبر
جماعة زواوة من العامة. وبانستقراء مراسلاته الموجهة إلى
البلاط الحسني يتضح أنه:

- ترأس الوفود التي التحقت بالعاصمة فاس قصد

عرض الوثائق التي تثبت استحقاق الأسرة للتوقير والاحترام، بدءاً من سنة 1279 / 1880. وتابع ذلك خلال السنوات التالية، إلى أن اعتقد بحصوله على موافقة السلطان، بناء على ما بيده من ظواهر أسلافه.

. صادف معارضة قوية من مقدم زاوية الحضريين ومساندهم الأمين ثم القائد الحاج بوزيان السعيد، سواء بالظن في شرف الأسرة الزياوية، أو باتهامه بإثارة الفوضى والاضطرابات بالقبيلة والاستيلاء على أملاك محمد أحضري المقتول سنة 1301. وقد تلقى استدعاء الحضور إلى مشافهة السلطان بتاريخ فاتح عام 1305. وكانت المناسبة التي ترأس فيها وفد سنة 1306 وتاليه سنة 1307.

لم ينجح أحمد زرو من عواقب تصاعد حدة المنافسة والمترتب عنها من الأحداث الدامية فقرر الالتجاء إلى الفرقة المجاورة آيت تمايت، عند حلول الحركة ببني سعيد في 4 رجب 1306 برئاسة محمد الأمراني. وكانت رسالتا بداية وأواسط جمادى الثانية من سنة 1309 آخر ما كتبه للسلطان في مأساة زياوة، وقد دبرت إثر ذلك حيلة اغتياله مسموماً، حسبما أعلم عنه القاضي عمر بن محمد الزياوي في مراسلة أواسط جمادى الثانية 1309 / أواسط يناير 1892.

ومن المشاكل التي تدخل فيها القاضي أحمد زرو مسألة المراقبة والإشهاد على تعيين مليلة التي استدعى إليها عدد كبير من القواد والأمناء والأعيان والفقهاء والشرفاء. وقد وصلت الدعوة إلى مترجمنا بتاريخ 25 ربيع الثاني 1308، وتم حضوره الفعلي فأجاب السلطان بتاريخ 11 رجب 1308 معلنا عن أسباب إخفاق اجتماع تعيين الحدود، منها ما هو ناتج عن تحايل الإسبان للزيادة فيما سمح لهم بحيازته من أرض بني شكر بنحو مائتي متر شمالاً.

وتمكن أحمد زرو من جهة أخرى من الاطلاع على محضر اتفاق 28 مارس 1859 الذي عثر عليه في دار المخزن بفرخانة، أو دار الجنان كما سماها هو، وقدم لنا معلومات لم نجدها عند غيره. فمن الاطلاع على نص الاتفاق اكتشف الغش الذي عمد إليه الإسبان أثناء إطلاق مدفع تعيين الحدود بوسيلتين، مبيناً أولاً أن الإسبان استعملوا غياراً أعلى من المتفق عليه، كما أنهم من وجهة ثانية استغلوا علواً أكثر مما هو منصوص عليه في محضر الاتفاق بتعمد رفع فوهة المدفع وقت زناد القذيفة، وتلك الوسيلتين زيد في مساحة الحدود نحو الميل سرقة واغتصاباً. ثم حمل أحمد زرو المسؤولية للمخزنيين المشرفين على التعيين، وفي مقدمتهم حمان السعيد، قائد إدالة الحدود بجنادة فرخانة.

وثائق زياوة؛ وثائق خ. ح. وكنائشها؛ وثائق مديرية الوثائق الملكية.

الزياوي، عمر بن محمد قاضي بني سعيد ظهر أثناء نكبة زياوة إلى جانب محمد أشمال حسب مراسلة أواسط جمادى الثانية 1309 أواسط يناير 1892. وقد تابع الدفاع عن حق زياوة في الشرف، وشارك في الوفد المتوجه في شعبان 1309 / 13 مارس 1892 لتقديم الشكوى إلى البلاط الحسني، وربما لاقى نفس مصير الأسرة التي شملها الاعتقال على يد رئيس الحركة مولاي عثمان في ربيع الثاني 1310 / أكتوبر - نوفمبر 1892.

وثائق زياوة؛ وثائق خ. ح.؛ وثائق مديرية الوثائق الملكية.

الزياوي، محمد بن أحمد أشمال، قاضي ببني

سعيد، حسب المستنسخ من وثيقة 18 ربيع الثاني 1299، بمشاركة أحمد بن أحمد زرو وعمر بن محمد. ونعلم منه أنه عمل قاضياً ببني وليشك المجاورة لبني سعيد إلى جانب القائد العربي الوليشكي لمدة سبع سنوات، ولكنه كان ببني سعيد سنة 1299 / 1882. ويعني هذا أن تعيينه الأول كان ببني وليشك على الأقل سنة 1292 أو التي قبلها، مما يوافق زيارة الحسن الأول إلى قلعية سنة 1291 بقصد ترتيب أمورها الإدارية والقضائية أيضاً.

شارك محمد أشمال رفقاءه القضاة في معركة التصدي لأهل زاوية الحضريين وقائد بني سعيد الحاج بوزيان السعيد دفاعاً عن شرف زياوة بالكتابة المتوالية إلى السلطان. وكان ضمن الوفود الموجهة إلى الحسن الأول لعرض شكواهم ورفع تظلمهم، مما سبق بيانه في ترجمة أحمد بن زرو، قال في 24 شعبان 1307: «ستوجه للحضرة لشرح ما جرى بهم مع العامل بوزيان».

وأثناء أحداث القبيلة المحتدمة بين الحضريين والزياويين المشار إليها التجأ محمد أشمال سنة 1308 إلى قلعية، ثم توجه مع أربعة من المرابطين الزياويين لملاقاة السلطان مع أحد قضاة قلعية يوم 13 شعبان 1309 / 13 مارس 1892 بعد حضور حرب سيدي ورياش الجارية بين القلعين والإسبان. وكان من جملة الزياويين القاضي عمر بن محمد الزياوي سابق الترجمة.

بقي الوفد في انتظار ملاقاته مع السلطان نحو الشهرين حسب مراسلته المؤرخة بتم رمضان 1309. وأغلب الاعتقاد أنه عاد إلى قلعية ليتكهن مولاي عثمان من القبض عليه ضمن جماعة زياوة، حسب إفادة مراسلة 17 ربيع الثاني 1310.

وثائق زياوة؛ وثائق خ. ح.؛ وثائق مديرية الوثائق الملكية.

حسن الفكيكي

زيطان، محمد بن عبد الرحمن، مقاوم شاب ولد

سنة 1937 بشفشاون من أبويه عبد الرحمن وفاطمة بنت محمد التهامي. انخرط في صفوف جيش التحرير المؤسس

بشمال البلاد بمركز تيزي وسلي تحت قيادة محمد الغبوشي حيث استمر في الكفاح ضد المستعمر إلى أن استشهد



بتاريخ 7 ربيع الأول عام 1375 / 24 أكتوبر 1955 عن الشهامة والإقدام.

المنذوبة السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 506897.

زيطان، محمد بن عبد السلام الخمسي كان "طالباً"

متظاهراً بالزهد والصلاح، وتمكن في وقت وجيز من استمالة قبائل جباله والهبط مستغلاً في ذلك استياء الرعية من استبداد القائد الغنيمي عامل المولى سليمان. وأصبح لسكان قبيلة الأحماس وبعض القبائل الجبلية الأخرى اعتقاد راسخ في صلاح زيطان وبركته، واستمر هذا الاعتقاد لعدة أجيال. ويشبه المؤرخ الناصري مكانة آل زيطان لدى قبائل الجبل بمكانة آل أمهاوس لدى قبائل أيت أومالو الأطلسية، وهو ما يفيد بامتلاك محمد بن عبد السلام الخمسي لجاذبية دينية جعلت جموع العامة تتهافت عليه وتلتفت حوله، وترى فيه المنقذ لها من معاناتها.

وقد حاول المولى سليمان في البداية (1208 / 1793 - 1794) أن يستأصل داء هذا الثائر فأرسل له جيشاً تحت قيادة الغنيمي المذكور. إلا أن تهور هذا القائد جعله يتوغل في شعاب وأودية المنطقة، فلما توسط بلاد غزاوة انهال عليه الرماة من كل جانب وألقوا به هزيمة قاسية. ثم أوكل السلطان أمر زيطان إلى أخيه مولاي الطيب، نائبه بطنجة والمنطقة الشمالية، فعالج أمر هذا الثائر وحارب القبائل المساندة له، فأخضع قبيلة بني كرفط ثم قبيلتي بني بدر والأحماس، لكنه لم يظفر به إلا بعد أن أمضى له الأمان وتوسط له لدى أخيه، فعفا عنه وولاه على قبيلته، فصلحت سيرته وأصبح من مساندي الدولة وخدامها. وبعد مدة عزله المولى سليمان ونقله إلى مدينة تطوان حيث رتب له ما يكفيه من معاش. وعندما اختلت أمور الدولة وبايعت مدينتا فاس وتطوان إبراهيم بن اليزيد (انظره في ! سلطناً في سنة 1820 تمسك زيطان ببيعة المولى سليمان وحشد لها تأييد القبائل الجبلية. وبقي على قيد الحياة إلى أواخر الدولة السليمانية.

أ. الزياتي، الروضة السليمانية، مخطوط، خ. ع. د. 1275 : أ، الناصري، الاستقصا، الجزء الثامن، الدار البيضاء، 1956 : م. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، تج. أحمد العماري، الرباط، 1986.

محمد المنصور

زيمة، تقع وسط قبيلة احمر على مقربة من الشماعية التي تبعد بـ 87 كلم عن مدينة مراكش. وهي بحيرة كملح ببلاد عبدة، بنيت بالقرب منها قرية تحمل اسمها، وترتبط تاريخياً ببلاد احمر، وترد في النصوص المتعلقة بالرماة والرماية، ويسمى سكان المنطقة "لالة زيمة"، وبها الآن قرية باسمها.

وقد فرّ السلطان مولاي هشام بعد هزيمته عام 1206 أمام أخيه مولاي اليزيد إلى زيمة - كما ذكر الضعيف الرباطي - وفيها أصيب السلطان مولاي اليزيد برصاصة في ركبته من أحد الرماة الحمريين.

وكان مجموعة من كبار شيوخ الرماية يقطنون قرب زيمة، نذكر منهم سيدي سعيد بن محمد الناصري - نسبة إلى الناصريين الحمريين - القاطن فوق زيمة بموضع يقال له رأس عين عريض، وهو من أشياخ أبي القاسم الفزكاري شارح قصيدة "روضة السلوان" فرغ منه عام 1211 / 1797، ومنهم سيدي سعيد الحمري البهيسي نزيل حوز زيمة جوفاً منها، وهو أول من دخل من شيوخ الرماة الحمريين بلاد الغرب في عهده السلطان محمد بن عبد الله وأخذ عنه خلق كثير بالغرب وبني حسن وغيرهما.

وقد بنى السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام داراً قرب موضع زيمة، لتربية أبنائه وأحفاده، وجعل الانفاق عليهم من مستفاد الملح المستخرج من بحيرة زيمة، معتبراً أن ذلك لا شبهة فيه، فينشأ من أنفق عليه منها في أحسن حال، وبها نشأ السلطان مولاي الحسن وتعلم الرماية على يد مجموعة من شيوخها، وذكر ابن الحاج أن ملح زيمة كان يجلب للأفطار الحوزية. وبحيرة زيمة اليوم من البحيرات الشهيرة بالمغرب لكثرة ما يستخرج منها من الملح الطبيعي، تبلغ مساحتها 500 هكتار، وطولها 4 كلم، وعرضها كيلومتر ونصف، ويقدر ما يستخرج منها بمئات الآلاف من الأطنان.

الفزكاري، شرح روضة السلوان، مخطوط، خ. ع. 1598 د، ص. 10 : 27. م. الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة، تج. العماري، ص. 236 : أ. ابن الحاج، الدرر الجوهريّة، مخطوط، خ. ج. 512، ج. الأول، ص. 364 : ابن العربي، كتاب المغرب، ص. 162 : م. المنوني، قبس من عطاء المخطوط المغربي، ج. 3، ص. 1172. 1173.

أحمد إيشرخان

زين العابدين بن إسماعيل بن الشريف العلوي السلطان. عاش في كنف أبيه، وترى على مبادئ الإسلام وتعاليمه، فحج مرتين واشترى أثناء مقامه بالمدينة المنورة بستاناً حبسه على ضريح الرسول عليه السلام. هذه الصفات أهلت له ليكون من ضمن الأمراء المجديرين بالإمامة. عندما توفي السلطان مولاي إسماعيل سنة 1139 / 1727، كان زين العابدين مستقراً بسجلماسة، ولما قامت الفتنة بين جيش عبيد البخاري وإخوته الثلاثة : المولى عبد الله والمولى المستضيء وأبي عبد الله محمد بن عربية، حول خلافة أبيهم على الملك، توجه إلى مكناسة الزيتون واستقر بها. ولم تكن له في البداية حسب ابن زيدان، أطماع سياسية في تولي الرئاسة. (إتحاف أعلام الناس، ج. 3، ص. 74). ولما علم المولى المستضيء، وهو يومئذ سلطان على البلاد، بوجوده هناك ألقى عليه القبض وأودعه السجن مدة ثمانية أشهر، ثم أمر بعد ذلك بإخراجه منه وضربه فضرب وهو مقيد ضرباً مؤلماً حتى أشرف على الموت، ثم رده إلى السجن. وبعد مدة من الزمن، وحتى يتخلص من خطره المحتمل، أمر ببعثه مقيداً إلى سجلماسة كي يسجن مع باقي الأشراف المحتجزين هناك (الاستقصا، ج. 7، ص. 154). فلما بلغ الخبر إلى رؤساء العبيد وجهوا من اقتفى أثره ليرده. فلحق به بصفرو، وأزال قيده وتوجه به لبني يازغة، وأودعه عند القائد أحمد الكعبيدي، وأوصاه به خيراً. فأكرم هذا الأخير وفادته، وأنزله منزلاً رجا. وبقي عنده إلى أن عزل المستضيء وبويع محله السلطان مولاي عبد الله البيعة الثانية. ففرح مولاي زين العابدين، وابتهج بخلع الأول وبيعة الثاني. وفي أعقاب تلك الأحداث، رحل من بني يازغة إلى فاس، وبقي بها مدة، ثم في ثالث عشر ذي القعدة عام 1152 / 1740 ذهب لمكناس وبقي بها وقتاً من الزمن ثم انتقل إلى طنجة، واستقر عند الباشا أحمد الريفي. فناصره هذا الأخير، وعضد جنبه ضد أخيه مولاي عبد الله (إتحاف أعلام الناس، ج. 3، ص. 74). وفي خضم تلك الأحداث هباً أحمد الريفي كتيبة من الخيل من عبيد البخاري وغيرهم، وبعثهم معه إلى مكناسة، فدخلها في ربيع سنة 1154 / 1742 وبويع بها بيعة تامة، وقدمت عليه وفود القبائل والأمصار وفر أخوه مولاي عبد الله إلى رأس الماء، ثم رحل إلى بلاد البربر حيث توجد شيعته من أيت إدراسن وغيرهم. ولما استقر السلطان زين العابدين بحضرة مكناسة، وتم أمره أقام بها نحو الشهرين، ثم تهباً لغزو الأوداية وأهل فاس الذين تخلفوا عن بيعته، فنهض إليهم في جيش العبيد. ولما بات جيشهم بسيدي عميرة بقصد حصار فاس، اختلفت كلمة العبيد، ووقع بينهم التنازع فرجعوا بسلطانهم إلى مكناس، وبقي هذا الأخير رهينة بين أيديهم، يوجهونه كيف يشاؤون. ولما أتوا على ما كان بيده من المال بالخزان، اتفقوا على عزله، وعادوا إلى مبايعة أخيه مولاي عبد الله الذي كان يتوفر وقتئذ على

بقية من الذخيرة، فبارح مولاي زين العابدين البلاد ناجياً بنفسه. وكانت مدة دولته نحو خمسة أشهر (إتحاف أعلام الناس، ج. 3، ص. 76).

ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف، 5 أجزاء، الطبعة الأولى سنة 1349 / 1931، الرباط : أ. الناصري، الاستقصا، 9 أجزاء، الدار البيضاء، 1956.

العربي اكتبتح

زينب بنت تومرت هي زينب بنت عبد الله وتومرت الملقب بأمغار أي الشيخ. أمها تعرف بأم الحسين المسكالي من بني يوسف من أهل سوس. نسب أبيها في قبيلة هرغة المصمودية. أما نسبه إلى الحسن بن علي فقد شكك فيه ابن خلدون بينما أكده البيهقي والمراكشي وابن القطان. الراجح أن تاريخ ميلادها، كان قبل سنة 474 / 1081 على اعتبار أنها أكبر سناً من شقيقها محمد بن تومرت، المتوفى سنة 524 وعمره يناهز ما بين 50 إلى 55 سنة. وهي شقيقة أيضاً، لأحمد الكفيف وأخت من أبيها لأبي موسى عيسى وأبي محمد عبد العزيز، اللذين حاولا الثورة على عبد المومن بن علي بمراكش سنة 549 / 1154 فقتلا. كما كان لها أخت أخرى من أبيها كذلك لم تشر المصادر المتوفرة إلى اسمها.

يذكر ابن خلدون أن زينب تربت بين أحضان أسرة من أهل "النسك والرباط" فصارت من النساء اللواتي يملن إلى التقشف والزهد. فعاشت مع زوجها وأفراد أسرتها، عيشة بسيطة يسودها التماسك والخلق الإسلامي. وهو ما كان يظهر من علاقتها بشقيقها محمد بن تومرت. وكانت أيامها تتوزع بين الصلوات والاهتمام بشؤون الزوج والأولاد والأسرة إضافة إلى الاشتغال بالغزل والحياكة. وبما كان يدره هذا العمل المتواضع، من قدر بسيط من المال، كانت تساهم في توفير العيش لأسرتها ولأخيها محمد الذي كان يعيش تحت رعايتها. يقول ابن خلدون "كان قوته من غزل أخت له، رغيفا في كل يوم بقليل من سمن أو زيت ولم ينتقل عن هذا حين كثرت عليه الدنيا".

بدل هذا على أن زينب وأسرتها، بقيت بعيدة عن حياة الترف والغنى ؛ متمسكة بالزهد والتقشف، حتى بعد أن أصبح الحكم والملك في يد أفراد أسرتها وأقاربها ؛ وهو ما يمكن أن يفهم من قول ابن خلدون عند حديثه عن المهدي : "كان يلبس العباءة المرقعة وله قدم في التقشف والعبادة" ويبدو أن رعايتها لأخيها لم تنقطع حتى بعد رجوعه من رحلته من الشرق وطوافه ببلدان المغرب الكبير، وظهور دعوته وكثرة أنصاره. بل إنها بقيت وفية له ولعهده حتى بعد وفاته بكتمان سر موته حتى عن زوجها وأقرب الناس إليها حيث احتفظت بذلك الكتمان. فبقيت الأمور تدبر باسم شقيقها إلى حين بيعة عبد المومن بن علي خليفة. يقول ابن القطان :

".. لما توفي رضي الله تعالى عنه، كنتم أصحابه وفاته. وما كان يعلمها إلا أهل الدار المسمون قبل، وهم خدمته وأخته شقيقته. ولقد كنتم ذلك عن زوجها".

تاريخ وفاتها غير معروف لكن الراجح أنها لم تعش إلا سنوات قليلة، بعد بيعة عبد المومن التي شاركت فيها إلى جانب ثلة من أهل الجماعة.

ع. الرحمن ابن خلدون، العبر، ص. 441-465؛ ابن القطان، نظم الجمان، تح. علي مكّي، ص. 123؛ عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، 91، بيروت، 1982؛ ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 73؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح. إحسان عباس، ج. 5، ص. 45، بيروت؛ البيهقي، المهدي بن تومرت، ص. 42، الرباط.

عبد السلام السعيد

زينب العابدة السبئية ذكرها صاحب كتاب **اختصار الأخبار** ضمن الأعيان المدفونين في مقبرة المنارة من مدينة سبئية وأن قبرها مزار مشهور يصعد منه النور في بعض الأحيان (**اختصار**، 19) لا تعرف شيئاً آخر عن هذه السيدة العابدة لكن يمكن أن نستنتج أن حركة التصوف لن تعد تقتصر على صنف الرجال من السنن بل غزت أيضاً النساء. كما تدل على الانتشار الرابع لهذه الحركة بين العامية من المجتمع. وقد وجدت كاتر لها للترسخ والانتشار الزوايا والأربطة التي عجت بها مدينة سبئية منذ وقت مبكر من تاريخها.

ابن القاسم الأنصاري، **اختصار الأخبار** كما كان يفر سبئية من سني الآثار، الرباط، 1403 / 1983.

زليخة بنرمضان

زينب بنت المهدي ← ابن سودة زينب

زينب النفاوية هي زينب بنت إسحاق الهواري الشهيرة بالنفاوية. أصل أبيها من القيروان. انتقل إلى أغمات، لممارسة التجارة، فصار من كبار تجارها وأوفرهم حالا. الراجح أن تاريخ ميلادها، قد صادف الفترة التي أصبح المرابطون يهتمون فيها، بمدينة أغمات لأهميتها الاستراتيجية والاقتصادية ولا يستبعد أن تكون زينب النفاوية قد ولدت بهذه المدينة ما بين سنة 430 / 440 أي قبل استيلاء أبي بكر اللمتوني عليها.

وفي جو الحياة العلمية والثقافية التي كانت شائعة في أغمات بفضل العلماء والأدباء الذين كانوا يفدون على ذوي الجاه والسلطان بها، رأت زينب النور وترعرعت بين أحضان أسرته المسورة.

ولما وصلت إلى عنفوان أنوثتها أصبحت تنضح رقة وجمالا. وجمالها اشتهرت أول الأمر بين الناس وذاع صيتها في الأرجاء يقول ابن عذاري: "وكان بها أي

بأغمات" امرأة جميلة تعرف بزینب النفاوية. قد شاع ذكرها وأمرها بين قبائل المصامدة وغيرها". جمالها هو الذي أصبح يجذب العديد من الأمراء، قصد الزواج بها. وكانت لا تقبل الزواج إلا من يحكم المغرب" كان زواجها الأول بيوسف بن علي بن عبد الرحمان بن وطاس، شيخ أوربيكة سنة 449 / 1057. وعند ما تغلب بنو يفرن بزعامة رئيسهم لقوط على أوربيكة، وقتل زوجها، تزوجت بلقوط لكن زواجها الثاني هذا لم يدم طويلا فلم تمض عليه إلا سنوات قليلة حتى عرف نهايته، بسبب موت لقوط في معركة ضد المرابطين في تادلا.

وبعد مرور فترة الحزن والحداد على لقوط، تقدم لطلب يدها للزواج منها، أبو بكر بن عمر اللمتوني. فاستجابت لطلبه. ويبدو أن هذا الزواج قد بني على مصالح مشتركة بين الطرفين "فزینب كانت لا ترغب في بقائها أرملة وتريد أن تطمن على مصيرها. وبالمقابل كان أبو بكر بن عمر، يرى فيها عنصراً يمكن أن يقربه أكثر إلى أهل أغمات" ومع مرور الوقت، تبين لزينب أن زوجها الثالث هذا، لم يحسن كثيراً الاهتمام بها بالقدر الذي كانت تطمح إليه. فهي لم تكن ترغب في البقاء مهمشة في زوايا المنزل، دون مشاركة زوجها أمره وهمومه. ويبدو أن فكرها قد أصبح مشغولاً بالبحث عن فرصة، تمكنها من الانفصال عن أبي بكر. وكانت مستجدة الأوضاع في الصحراء، من أهم أسباب طلاقها منه. فأبو بكر كان مضطراً للرجوع إلى الصحراء لإخماد الفتن التي شبت فيها نتيجة "الخلاف بين لمتونة ومسوفة سنة 452. ويوضح صاحب البيان موافقة الطرفين على الطلاق قائلاً: "ولا يمكنني أن أمشي، وأنت في عصمتي. فإن أنامت كنت مسؤولاً عنك. والرأي أن أطلقك فقالت له: "الرأي السديد ما تراه، فطلقها" وذكر ابن عذاري كذلك، أن أبا بكر طلب من ابن عمه يوسف ابن تاشفين أن يتزوج بزینب "فتزوجها فإنها امرأة مسعودة" ولم يتردد يوسف في تنفيذ أمر بن عمه. ويبدو أنه لم يعجب بجمالها فقط؛ وإنما سعد وأعجب أكثر بنبوغها وسرعة فهمها وفطنتها. ووجدت هي في زوجها الجديد، الرجل الذي طالما انتظرت. لتحقيق المكانة التي ظلت تحلم بها. فأصبحت تقف وراء زوجها يوسف بكل ملكاتها، لتجعل منه أكبر وأعظم أمراء المرابطين. وكانت زينب نعم المستشارة والمساعدة، تزود يوسف بالأراء السديدة، التي تسهل عليه تخطي الصعوبات وتستتب له بها الأمور. قال ابن الخطيب: "واستشار يوسف بن تاشفين زوجته زينب التي اشترى بها سعادته واستقامت بأمرها أموره" وذلك ما حصل بالفعل. فقد استقام له الأمر خاصة بعد انتهاء الأزمة التي كادت أن تنشب وتبعثر التجربة المرابطية من أسسها. وذلك عندما رجع أبو بكر بن عمر من الصحراء إلى مراكش ليتسلم السلطة بها من جديد. فأصبح ابن تاشفين في ضيق وخرج من هذه العودة لأنه كان يتطلع إلى الانفراد بها كأمير".

وهنا برز دور زينب كصاحبة فكر ثاقب ورأي سياسي بعيد الأثر، للحسم في حل هذه الإشكالية. فكان من رأيها ألا يستقبل ابن تاشفين، أبا بكر بن عمر، كأحد أتباعه بل عليه أن يظهر له أنه صار أمير المغرب. ونقرأ في البيان ما يوضح ذلك : "قالت له : "إذا قدم عليك وبعث مقدمات رجاله إليك، فلا تخرج إليه، ولكن بادره بهدية جلييلة... فلا يقاتلك على الدنيا، فإن الرجل خير لا يستحل سفك دماء... وتفوز بملكك إن شاء الله". يتضح إذن أن الخطة التي اقترحتها زينب النفزاوية خطة سلام، تتجنب الحرب وإراقة الدماء. فقبلها يوسف ورد عليها بقوله : "والله لا أخالفك في أمر تشيرين به أبداً". فلما حان موعد اللقاء بين الأميرين، رأى أبو بكر قوة جيوش يوسف. ولا حظ استعداده بالانفراد بالإمارة. فسلم له الأمر وكان ذلك سنة 465.

يتبين أن تطبيق نصائح زينب قد غيرت من مجرى تاريخ الدولة المرابطية وجعلت من ابن تاشفين أحد أكبر ملوك المغرب، عبر تاريخه الإسلامي. وهكذا كانت زينب تجمع بين دور الزوجة الوفية ودور المستشار المحنك. وكانت تعمل في الخفاء، وتتمتع بالقوة الضاغطة من وراء الحجاب "فكانت بالفعل عنوان سعده والقائمة بملكه والمديرة لأمره والفاخرة عليه، بحسن سياستها لأكثر بلاد المغرب".

كل ذلك جعل منها سيدة قصر ابن تاشفين. ومع سكوت المصادر عن نهايتها وسنة وفاتها ؛ فإن زينب النفزاوية بما كان لها من خصال ومواقف، لا تقل شهرة عن مثل أفراد ذلك الفريق من النساء اللواتي كن يسيطنرن على أزواجهن، بما كان لهن من العقول الكبيرة ؛ لحل المعضلات والملمات التي كانت تعترضهم. كأم سلمى امرأة أبي العباس السفاح ؛ وزبيدة زوجة الرشيد ؛ وقطر الندى أم المقتدر في الدولة العباسية ؛ أو ست الملك أخت المعز لدين الله في الدولة الفاطمية.

ابن عذاري، البيان، ج. 4، ص. 14 - 15 - 18. م. زنيبر، زينب النفزاوية ضمن مذكرات التراث المغربي، ج. 2، ص. 138 - 139 ؛ ابن خلدون، العبر، ج. 6، ص. 376 ؛ ابن عذاري، البيان، ج. 4، ص. 21 - 22 ؛ ل. ابن الخطيب، المغرب العربي، ص. 232 ؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1956.

عبد السلام السعيد

زينب احامد هي إحدى الشاعرات اللواتي وصل إلينا شعرهن عن المقاومة المسلحة بالجنوب المغربي، وخصوصا مقاومة أيت عبد الله وأملن وتافراوت خلال الثلاثينيات من القرن العشرين.

يجهل تاريخ ولادتها، وإن كان المرجح حسب استقرار المعطيات الشفوية والمكتوبة المتوفرة، أن يكون ميلادها خلال العقد الأول من القرن العشرين، وذلك لكون شعرها في الثلاثينيات، صادراً عن إنسانة عاقلة وعارفة بكثير

من أمور الحياة. كما أن اختيارها للتأريخ من خلال الشعر للمقاومة المسلحة يعبر عن نضج ووعي متميزين عن ثقافة البادية المغربية في هذه المرحلة، وبين مدى اندماجها في الحياة الجديدة الناجمة عن وصول المستعمر الفرنسي إلى جبال سوس وأقاصيه.

قد تكون الشاعرة زينة احامد نظمت قصائد في أغراض شعرية أخرى، لكن الذي وصلنا من ذلك كله هي قصائد عن رفض للاحتلال وللإستعمار الدخيل، وهجاء لاذع ومؤثر ضد المستسلمين والمتخاذلين من أبناء منطقتها، الذين قبلوا الأمر الواقع واستكانوا للهزيمة.

وقد ورد في مطلع إحدى قصائدها التي نظمتها بعد سنة 1934.

أح عور ءاتوخ تين ءايت عبلاغ - تاسنو
تعريبها :

آء... لن تمنحي من قلبي أبدا

قضية ءايت عبد الله لن أنساها أبدا

هذه الأبيات الشعرية آية من آيات النظم، الشيء الذي جعلها تحتاز كل عراقل النسيان حتى وصلتنا اليوم دون أن تكون قد دوت. فقد اجتازت كل هذه المدة الزمنية بقوام مضمونها وجمال نظمها، وحقيقة وصدق تعابيرها. فهي حسب محمد الحبيب الفرقاني "قطعة مؤثرة، عميقة الدلالة، تصور عمق الانفعال النفسي الذي هز نفس السيدة الأبية العيوف، من جراء الاحتلال، واستيلاء النصارى على البلاد".

وحسب الراوية الذي نقل عنه الحبيب الفرقاني فإن هذه السيدة كانت ما تزال على قيد الحياة سنة 1986.

ص. العمراني، المقاومة ضد الاستعمار من خلال نصوص شعرية أمازيغية، ندوة المقاومة المسلحة ؛ م. الحبيب الفرقاني، الآداب والفنون الأمازيغية ؛ أصالة شعبية، تاريخ وحضور حي مستمر في معركة التحرير وقضايا الحياة، أعمال الدورة الثالثة لجمعية الجامعات الصيفية بأكادير، الرباط، 1990، ص. 174.

صافية العمراني

زينة الدار، بناية تقع داخل الأسوار القديمة لمدينة طنجة، قدمها السلطان مولاي سليمان سنة 1821 للقتلص الأمريكي جون مولوني John Mullowny كهدية للشعب الأمريكي. وهي أقدم هبة على الإطلاق للولايات المتحدة الأمريكية من هذا الحجم. وقد صارت هذه البناية بمثابة مقر لإقامة الممثل الرئيسي للدبلوماسية الأمريكية بالمغرب منذ ذلك الحين إلى غاية استقلال المغرب سنة 1956، حيث تم إنشاء السفارة الأمريكية بالرباط. وقد كانت هذه الهدية محاولة من السلطان المغربي لإحياء وتفعيل العلاقات المغربية الأمريكية. وحسب شهادة القنصل مولوني، فإن هذه الحادثة جعلت الولايات المتحدة الأمريكية - البلد الناشئ آنذاك - على قدم المساواة مع جميع الدول الأوروبية المثلثة بالمغرب.

أرشيف المجلس الاستشاري للحفاظ على التاريخ بواشنطن : Advi- sory Council on Historic Preservation, (Washington) ع. التازي، التاريخ الدبلوماسي...، المجلد التاسع، عهد العلويين، 1988/ 1408 م، بنهاشم، السياسة الخارجية المغربية في عهد السلطان المولى سليمان، د.د.ع.، جامعة محمد بن عبد الله، فاس، 1987.

الزيوت الغذائية أهم المنتجات الدهنية في العالم هي

زيوت الصوغة، القطن، الفستق، نوار الشمس، السلجم، الجلبان، الذرة، الزيتون، النخيل، جوز الهند، الكتان، الحروع، ثم الزبدة ودهن الخنزير، الودك والزيوت البحرية. أربعة منها تهيمن على الإنتاج العالمي مشكلة حوالي 70٪ من مجموع إنتاج الزيوت النباتية. وهي زيوت الصوغة (26٪)، النخيل (17٪)، السلجم (14٪) ونوار الشمس (13٪). ويتكون الباقي من الزيوت النباتية الأخرى، يغلب عليها زيت الزيتون.

توجد أهم المناطق الجغرافية لإنتاج المواد الدهنية بأوروبا والولايات المتحدة وروسيا والصين والهند وماليزيا وأندونيسيا والبرازيل والأرجنتين واليابان وكندا. يمثل التبادل العالمي للمواد الدهنية ثلث الإنتاج، أي أكثر من 25 مليون طن، يقوم بتصديرها أساسا بلدان المجموعة الأوربية، أمريكا وإفريقيا.

ينتج المغرب زيوتته النباتية بالأساس انطلاقاً من البزور الزيتية ومن الزيتون ومن لوز الأركان. يتم الحصول على زيوت المائدة للصوغة ونوار الشمس والسلجم (الكولزا) والفستق وغيرها بواسطة التكرير وباستعمال المواد الأولية التي ينتجها المغرب (بالنسبة لنوار الشمس والصوغة...) أو يستوردها خاما. أما بالنسبة لزيت الزيتون والأركان فهي زيوت تستهلك نيئة، بدون تكرير.

يحتل المغرب حالياً الصف السادس من بين البلدان المنتجة، والصف الثاني من ضمن مصدري زيتون المائدة (50.000 طن / سنة). وهو بالطبع البلد المنتج الوحيد لزيت أركان، لكن السلسلة الزيتية لهذا الأخير تعاني من الوجهة التكنولوجية وخاصة منها عملية دق الغلة. ومن أهم منافذ المنتج الزيتي الراهن الاستعمالات التجميلية. ومع ذلك فإن هذا الإنتاج من الزيوت الغذائية لا يغطي إلا 34٪ من الحاجيات، 14٪ منها تأتي من زيت الزيتون، أما 66٪ الباقية فهي مستوردة على شكل زيوت خام ومكررة (حوالي 200.000 طن من الزيت النباتية الغذائية السائلة).

تولي الدولة حالياً عناية خاصة لقطاع زيوت الزيتون بالاستثمار في إطار التصميم الوطني للزراعات الزيتية من أجل تغطية الخصائص المحصل في ميدان الزيوت الغذائية.

زيوت الزيتون : تشكل زراعة الزيتون قطاعاً بالغ الأهمية في الميدان الفلاحي المغربي، يحتل الزيتون بحوالي 550.000 هكتار، قرابة نصف المساحات الإجمالية المغروسة.

يسهم الإنتاج المحلي لزيت الزيتون بنسبة 14٪ (48.000 طن / سنة)، في تسديد حاجيات البلاد من الزيوت النباتية الغذائية السائلة (يبلغ الاستهلاك الحالي : 350.000 طن / سنة). كما يساعد تصدير زيتون المائدة في توازن الميزان التجاري بما قدره مليار واحد من الدراهم بالعملة الأجنبية. كذلك يوفر قطاع الزراعات الزيتية 11 مليوناً من أيام العمل في السنة، يخفف بها من ضغط هجرة الأرياف.

لهذه الأسباب الاجتماعية والاقتصادية، وضعت الدولة "التصميم الوطني للزراعات الزيتية"، الغرض منه رفع المساحات المغروسة بالزيتون إلى مليون هكتار مع متم 2010. وحرصاً منها على تحسين الجودة كذلك، فإنها قررت منع الاستهلاك المباشر لزيوت الزيتون الخالصة المعتبرة "للإنارة"، التي تزيد حموضتها على 33٪ (مرسوم برقم 93 . 97. 2 وتاريخ 20 مايو 1997).

يتحقق نصف الإنتاج الزيتي للبلاد بواسطة وحدات تقليدية تدعى "معصرات"، ويأتي النصف الآخر من الوحدات الصناعية. لذا فإن الرفع من جودة الإنتاج الإجمالي يمر عبر مجانسة مواصفات الإنتاج على مستوى شروط النظافة وأوضاع البنية التحتية وإعداد المجالات وعقلنة المسالك التكنولوجية للاستخلاص.

نذكر من ضمن العوامل المتحكم في جودة الزيوت :
- العوامل المرتبطة بالتقنيات الزراعية (التخصيب، السقي، معالجات التطهير النباتي...)
- العوامل المرتبطة بالمواد الأولية (الضروب، مناهج ومواقيت الجني، تخزين الزيتين).
- العوامل السابقة للتحويل (إزالة الأوراق والغسل).
- العوامل المرتبطة بالمسالك التكنولوجية (السحق، الصفق...).

العوامل المرتبطة بتوضيب وتخزين زيت الزيتون.
يكون احترام المواصفات بالاحتكام إلى دليل الممارسة المثلى في إنتاج زيت الزيتون، الذي يجب أن يكون ملزماً بنفس الطريقة في القطاع التقليدي والصناعي على السواء، من أجل توفير زيت زيتون صالح في عمومته للاستهلاك.

جودة زيوت الزيتون بالمغرب : جل المعاصر التقليدية قاصرة عن التحويل الأمثل، متسببة في كثير من الضياع سواء من حيث المقادير المعالجة أو من حيث الجودة. تعالج المعصرات ما بين 150 و200.000 طن من الزيتون في السنة، بمرادوية زيتية لا تزيد على 14٪ في أحسن الظروف. فبالنظر إلى مضمون زيتي إجمالي من فئة 22٪ (في ضرب البيشولين (Picholine) المغربية، السائدة في القطاع)، يصل الفاقد إلى 25٪ من الإنتاج الوطني لزيت الزيتون.

كذلك تعتبر جل هذه الزيوت من جودة "الإنارة" غير الصالحة للاستهلاك بالرجوع إلى المواصفات الوطنية والدولية. في بعض الحالات ترقى مواصفاتها التحليلية

إلى فئة "فوق العادية" تكن بعض العيوب المحسوسة فيها تعيدها إلى المراتب الأدنى.

يبقى استهلاك زيوت المعاصر التقليدية سائداً في العديد من الأرياف. وقد تعتبر بها، خطأً، الزيوت القديمة والعالية الحموضة من النوع الجيد. في حين أن ارتفاع حموضة الزيت مترتب عن الأكسدة الزائدة المؤدية إلى الغمّل. وتنتج ظاهرة الأكسدة، من جهة، عن تدهور الأحماض الدهنية غير المشبعة، أحماض الزيت والكتان التي تكون قرابة 90٪ من تركيبة الزيوت، ومن جهة أخرى، عن إنتاج مركبات ثانوية للأكسدة تؤكد أن بعضها ضار بالصحة، كالجذور الحرة مثلاً.

يعتبر زيت الزيتون المصنف "للإنارة"، من الناحية الاقتصادية، بأنه غير صالح للاستهلاك كما هو، وأنه بحاجة إلى التكرير حتى يدمج بعد ذلك مع زيت الزيتون المصنفة "عادية". أما من الناحية التغذوية، فإن التغير الحاد لزيت الزيتون يتجسد في إتلافات في الجودة منها التي تصيب الحمض الدهني الجوهري (حمص الكتان) ويطبع الفيتامين E والكاروتين، وكذا في بعض التحويرات التي تنال من قيمة الخاصيات المحسوسة للزيت.

كما يلزم أن تخلو زيت الزيتون من الملوثات السامة، وهي بالأساس مواد الأكسدة، والسميات الفطرية، ومخلفات المبيدات والمخلفات الفلزية.

استخلصت المعطيات التالية من دراسة أصيلة مقارنة بين جودة زيت الزيتون المستخلصة من وحدات تقليدية وأخرى صناعية، مع تقديم إمكانيات التحسين. وقد اختيرت الوحدات، وعددها يقارب المائتين، في مختلف مناطق الإنتاج على الصعيد الوطني.

تأثير المادة الأولية على جودة زيت الزيتون.

يكتسي مستوى نضج الزيتون أهمية بالغة في الحصول على زيت ذات جودة. هناك تقنين مختص في الموضوع، بموجب الظهير رقم 1.62.056 بتاريخ 30 يونيو 1962، يحدد سنويا وحسب الجهات تاريخ جني الزيتون. لكن صعوبة تطبيق هذا القانون أدت إلى التخلي عنه مؤخراً.

ومعلوم أن نمو الزيتون يمر عبر ثلاث مراحل: الأولى سريعة، والثانية بين غشت وشتمبر يكون فيها النمو بطيئاً، والثالثة خريفية سريعة تغير خلالها لونها. وعلى مدى مراحل اللون، من الأخضر إلى نصف الأسود فالأسود، يتم تعزيز المكونات الفولوية تبعاً لدرجة النضج وذلك إلى حدود مرحلة نصف السواد (نصف النضج) يأتي بعدها عكس للتطور. وعليه كانت الفترة المثلى لجني الزيتون هي مرحلة نصف السواد، بناء على أكبر تركيز لمتعددات الفول التي تتدخل كعامل طبيعي مقاوم للأكسدة، وتزود الزيت بخصوصياتها الحسية المتميزة. وقد أبان التحقيق الميداني أن 55٪ من الوحدات تعالج مجتنيات من مرحلة السواد، في حين 45٪ تستعمل خليطاً من الزيتون الأخضر والأسود، يتراوح بين 20 و60٪ من الزيتون الأسود.

على العموم، تبقى أساليب الجني تقليدية. في جل الأقاليم، يتم الجني بواسطة الخبط (90٪ من الجهات المدروسة)، والباقي يتأتى بالقطاف أو الالتقاط اليدوي للزيتون المتساقط. أما الخبط فيضر بالشجرة ومردوديتها ويسيء كثيراً لجودة زيت الزيتون. ويرجع ذلك أساساً للشدوخ التي يحدثها سقوط الغلة ووقع العصا المستعملة. ذلك أن القروح المترتبة تسهل تسرب وتطور الحبيبات، الأمر الذي يتسبب في تدهور الجودة وارتفاع حموضة الغلة. ظروف الإنتاج بالمعاصر التقليدية.

- التخزين غير المناسب يلحق الضرر بجودة زيت الزيتون، فيصيبها بنوعين من التلف. أولهما، حلمة ثلاثيات غليسريد الزيت، المعرفة بارتفاع مضمون الأحماض الدهنية الحرة الناتجة عن فعل الليبازات وعن الرطوبة والحرارة. من أجل معالجة الوضع، يلزم تخزين الزيتون والزيت في مواقع جافة ونظيفة. والصنف الثاني من التلف، يتمثل في الغمّل بواسطة الأكسدة الذي يصيب الغلة المشدوخة على الخصوص.

أظهر الاستطلاع أن 56٪ من المعاصر تعالج الزيتون بعد تخزين سائب، 38٪ بعد التخزين في الأكياس، و6٪ فقط بعد التخزين في الصناديق. أما أمد التخزين فيقل عن 7 أيام في 43٪ من الحالات، لكنه يزيد على الأسبوعين في كل الحالات الأخرى، حيث يمكن أن يصل إلى الثلاثة أشهر.

إذا كان أمد التخزين قصيراً، يقل عن الأسبوع، فلا داعي للتلميح من أجل الصيانة. والواقع أن 40٪ من المعاصر لا تلجأ أبداً لإضافة الملح. وواضح أن مضاعفات التخزين تقل كلما اجتنبتنا التجميع السائب للزيتون، وعوضناه مثلاً بصيغة التخزين على شكل تفرشات دقيقة لا يتعدى سمكها 20 إلى 25 سنتيمتراً، كما يجذب استعمال صناديق مثقبة تسمح بالتهوية.

- تجهيز الوحدات التقليدية يتلخص في معاصر معدنية أو خشبية، تستعمل الأرحاء لدعك معجون الزيتون معتمدة الطاقة البشرية أو الحيوانية. يجمع المنتج من الزيوت في صهاريج للتصفيق مصنوعة من الإسمنت أو الخزف أو الفخار.

معاصر الخشب قليلة (10٪ من قاعدة الإحصاء) وهي في طريق الانقراض، لا يوجد منها إلا في المناطق الجبلية، بنواحي أزيلال وشفشاون وتازا. يمتاز النظام المعدني بمردودية أعلى بسبب الضغوط التي يحققها والتي تصل إلى 150 كلف سم² مقارنة مع 50 كلف سم² التي يحدثها النظام الخشبي.

تمثل طريقة دعك الزيتون، برحى واحدة أو رحين اثنين، عملية حاسمة في توفير الجودة. تستعمل 80٪ من العينة المدروسة رحى واحدة، وتعتمد 84٪ التحريك الحيواني، بل ومازال بعض الوحدات البدائية تعتمد التحريك البشري

(9%)، في جهات جبلية)، بحيث 7% فقط تحظى بالتحريك الآلي. وهذه الأخيرة هي التي تستطيع أن تقلل بصفة محسوسة من وقت عطالة وانتظار الزيتون التي تُضرب به قبل العصر.

إزالة الأوراق والغسل، هي عمليات إلزامية لا تحظى بالعناية الكافية في الوحدات التقليدية.

تقوم 80% من العينة المدروسة بالعصر مع وجود نسبة من الأوراق تشوب الزيتون. يتسبب ذلك في تلويح الزيت باللون الأخضر الناتج عن اليخضور الذي يساعد على أكسدة الزيت ويعرقل بالتالي حظوظ الحفاظ على جودتها. كذلك تتأكسد حبات الزيتون الفاسدة أو المشدوخة، كما يمكن أن تتعفن بفعل الجراثيم فتسبب في إتلاف الزيوت. وقد أظهر التقصي أن 70% من الوحدات لا تقوم بفرز الزيتون الفاسد. تحدث الشوائب الترابية والغبار تلويح الغلة بفلات انتقال (حديد، نحاس) مسهلة أكسدة ثلاثيات الغليسريد والأحماض الدهنية غير المشبعة، وحادة من جودة الزيت. قرابة 60% من العينة لا تدخل الغسل في مراحل إعداد الزيتون.

تسهم إضافة الملح في الحفاظ على قيمة الغلة، بمقاومة العفونة على الخصوص. 42% من المعاصر تضيف 5 كغ من الملح للقنطار من الزيتون، و18% تضيف 10 إلى 30 كغ في القنطار، والأربعين الباقية لا تعالج بالملح.

الجرش وفصل الزيت، عمليتان متتابعتان. تجرش الزيتون بالأرجاء، ويوضع العجين الناتج على حصر التصفية فيضغط بالمعاصر الخشبية أو المعدنية، ثم يقع الفصل بالصق بين الزيت والماء المشعشع (المرجان).

يتفاوت الوقت المخصص للجرش ما بين 30 و240 دقيقة، على أن أكثر من نصف المعاصر تتعدى 90 دقيقة. وكلما طالت العملية، كما هو الشأن في المعاصر ذات الرحي الوحيدة، تراجعت نسبة متعددات الفنول بالتأكسد أو التكاثر، مما يضعف إمكانات المحافظة على الزيت ويقلل من جودتها. تتراوح طاقة الجرش في جل المعاصر ما بين 3 و10 قناطر من الزيتون في اليوم. ولأجل تسهيل العملية، تضيف حوالي نصف المعاصر من 5 إلى 50 لترا من الماء لكل قنطار من الزيتون. إضافة هذه المياه، بصفة مفرطة في الغالب، تفقر الزيوت المستخلصة من متعددات الفنول ومن الفيتامينات.

ترتبط المردودية بطريقة تحضير عجين الزيتون والضغط الأقصى المخول. والفارق فيها كبير جدا يتراوح بين 11 و40 لتراً من الزيت للقنطار من الزيتون.

في غالب الحالات (75%)، لا تقوم المعاصر بغسل حصائر التصفية، لأن الماء لا يوجد دائماً بالقدر الكافي ولأن البنيات التحتية كثيراً ما تكون متعذرة في الجوار. يسبب التهاون في عملية الغسل التلوث بالجراثيم والتخمر المضعف لجودة الزيت.

تتأثر جودة الزيت كذلك خلال عملية الفصل، من جراء المدة التي يستغرقها المكوث في صهاريج الصق ونوعية الماء للمضافة. ذلك أن الزيت العائمة أثناء الصق توجد في اتصال مباشر مع الهواء، فتتأكسد إذا ما طالت المدة.

أغلبية كبري من المعاصر تدع الزيت يصفق لما يزيد على 12 ساعة، وقد يصل الوقت إلى 100 ساعة.

ظروف الإنتاج بالوحدات الصناعية.

تجهيز الوحدات الصناعية.

يمكن تصنيف الوحدات التي اختبرها البحث، وعددها 64، إلى ثلاث فئات : الأولى شبه حديثة تستطيع تكوين ضغوط من قبيل 200 كغ سم²، والثانية حديثة مجهزة بمعاصر ممتازة من فذة 400 كغ سم²، والثالثة حديثة مجهزة بسلسلة متصلة.

تتشارك الفئة الأولى والثانية في نفس العمليات من جرش الزيتون بالأرجاء وضغطه ثم فصل الزيت في صهاريج مدفونة أو بواسطة الطرد المركزي. أما الفئة الثالثة فتستعمل مجارح مطرقية، وتذلك عجين الزيتون الناتج وتضيف له الماء الدافئ، ثم يتم فصل المرحلتين الصلبة والسائلة (المهروش / الزيت + المشعشع) ثم المرحلتين السائلتين (الزيت المشعشع) وكلاهما بالطرد المركزي. تخزين الزيتون.

في جل الوحدات شبه الصناعية، يحمل الزيتون سائبا، ويخزن مكوما ومعرضا للهواء. يدوم استيداع الزيتون، بإضافة الملح بنسبة 50 إلى 100 كغ / طن، من 20 إلى 30 يوما وقد يصل إلى الشهرين. ولا تنجز عمليات التحضير من فرز وإزالة الأوراق وغسل الزيتون.

أما في الوحدات الصناعية، فيكون النقل في الأكياس والتجميع مكوما مقسما ومعرضا للهواء مع إضافة 30 إلى 100 كغ من الملح للطن من الزيتون. يدوم التخزين ما بين 5 و20 يوما، وهي مدة تعتبر طويلة، مردها أن للوحدات تنتظر توفر النصاب الكافي (50 إلى 100 طن) قبل الشروع في المعالجة.

معالجة الزيتون.

في الوحدات شبه الحديثة، تبلغ أقصى المقادير المعالجة 10 أطنان في اليوم، مع مردودية نسبيا ضعيفة تقدر بـ 14 إلى 16 كغ زيت للقنطار من الزيتون. لا تجري عمليات التحضير الضرورية، وتبقى الظروف الصحية المحيطة بالإنتاج دون المستوى المطلوب.

يكون الإنتاج في الوحدات العصرية من قبيل 16 إلى 20 كغ زيت في القنطار من الزيتون، وهي مردودية دون ما تحققة عادة البيشولين المغربية (22%)، باستثناء قوة الدعك بالعصارات الممتازة، تكاد تكون كل العمليات الأخرى بمستوى إنجاز الوحدات الحديثة وفي نفس الظروف الصحية تقريبا.

يظهر نوع من التميز للوحدات المجهزة بالسلسلات

المتصلة حيث تكون مردودية إنتاج الزيت أعلى، مع إنجاز للعمليات التحضيرية في كل الوحدات المختبرة. تحصل إزالة أوراق الزيتون بواسطة جهاز سفت، وغسله في مغسل ما هوائي. مدة الجرش المطرق قصيرة، بمعدل 20 دقيقة، ومدة العجن الآلي من 15 إلى 40 دقيقة. يسخن العجين في حدود 25 إلى 50 درجة، وتكون مقادير الماء الشرب المضافة من فئة 10 إلى 50 لترا في المائة كيلو غرام زيتون. ثم يتم الفصل المتدرج بالترد المركزي.

مختصر التحليلات المختبرية في جودة الزيت.

أجرت الدراسة التحليلات المختبرية الفيزيوكيماوية الملانمة باستعمال الزيوت المستخلصة من مختلف المعاصر والوحدات المصنفة في هذا العمل. وقد أعطت بالنسبة لـ 80% من المعاصر التقليدية استداليات موافقة لزيت الزيتون الخالص من طراز "الإتارة". وبالفعل، فإن استدالي اختبار امتصاص النور في 271 نانومتر يزيد عن 0.3. وهو أمر، كما سبق، مرتبط بتأثير العوامل التكنولوجية لتحويل الزيت على جودة الزيوت الخالصة التي تنتجها المعصرات.

واعتمادا على نفس الاختبار، تعتبر الأغلبية العظمى من زيوت الوحدات الصناعية صالحة للاستهلاك على حالها، وتصنف من طراز "فوق العادية" و"الجيدة" و"العادية". لكن تجدر الإشارة إلى أن المعالجة في السلسلات المتصلة تستوجب العجن، الأمر الذي يضعف نسبة المواد الفولية والبنزينية التي تضيع مع السائل المشعشع. لذا كانت قدرة هذه الزيت على الانحفاظ أقل مما تخوله الوحدات الحديثة المجهزة بالمعصرات.

يلزم أن تحمل زيت الزيتون، كباقي المنتجات المغربية ذات الصلة، الإشارة إلى تاريخ الإنتاج وكذا المدى الأدنى للاحتفاظ بالمادة صالحة، بموجب ظهير 10 شتنبر 1993.

يقدر أمد الاحتفاظ بزيت الزيتون على أساس الاستقرار التأكسدي (بالأيام)، والذي يعني عدد أيام تخزين الزيت في ظروف الحرارة المحيطة وفي الظلام، الموافق لاستدالي فوق أكسيد يساوي أو يقل عن 20 مليمكافي 2 / كلغ زيت. ويبدو من تحريات التحليل الكيماوي للمنتج الزيتي أم مدة التخزين رهينة بالمسلك التكنولوجي المعتمد. ففي المعاصر التقليدية تبلغ مدة التخزين 99 يوما، وفي الوحدات المجهزة بالمعصرات الممتازة تصل إلى 171 يوما، أما في السلاسل المتواصلة فلا تتعدى 146 يوما. إذا ما حصل تجاوز هذه القيم، الموافقة للجودة حسب المعايير المغربية، تفقد الزيت من طراوتها وتعتبر غير صالحة للاستهلاك.

تعرف الزيوت المستخلصة من المعاصر التقليدية استقراراً ضعيفا متناسبا مع حموضة عالية ومع نسبة ضعيفة من متعددات الفنول المتدهورة (15.1%). تتميز زيوت الوحدات المجهزة بالمعصرات الكلاسيكية أو الممتازة باستقرار طويل الأمد، وهي مصوفاة بحموضة متوسطة الضعف ونسبة عالية من متعددات الفنول الإجمالية

المتدهورة (25.5%). أما زيوت النظام المتصل، فتوازنتها ضعيفة نسبيا توافق حموضة متوسطة ومضمونا نسبي الضعف من متعددات الفنول المتدهور (20.8%). والعلاقة وثيقة في كل الحالات بين نسبة تدهور متعددات الفنول وحموضة زيت الزيتون وتبعاً لذلك الاستقرار التأكسدي.

في نهاية الأمر، فإن قدرة الزيت على التمديد السليم لجودتها مرتبطة بتكنولوجيا المعالجة أكثر منها بطبيعة المادة الأولى المستعملة. وهي رهينة كذلك بالمواصفات الفيزيوكيماوية الأولية للمنتج الزيتي.

حمادي شيمي

زِيَوِيُوْ، محمد بن محمد بن عبد الرحمن التطواني

الملقب كوالده الدرقاوي، الباشا الفاضل الحازم الأمين. وعائلتهم من الأسر العريقة بتطوان، تولى باشوية تطوان بعد استعفاء سلفه الباشا السيد محمد بن محمد بن عبد السلام بريشة، وذلك في شوال عام 1349 / 1930 واستخلف عنه ولد عمه السيد عبد الخالق بن عبد السلام زيويزو وظلا على حالهما إلى أن اقتضت الظروف نقله لأمانة ديوانة التعشير بتطوان عام 1350 / 1931 ولزم المترجم ووالده لقب (الدرقاوي) لتمسك الوالد بالطريقة الدرقاوية ودخوله فيها على يد بعض أهل الفضل بالقصر الكبير، قال الرهوني : وكان له فتح في فهم كلام القوم مع عدم تقدم تعاطيه شيئاً من علوم اللسان وغيرها، وكان يتاجر أولاً في السلع البحرية ثم تخلى عن ذلك وأقبل على ذكر أوراده وعبادة ربه إلى أن توفي عن أولاد منهم المترجم له.

ولم أقف على تاريخ وفاته.

أ. الرهوني، عمدة الراويين، 2: 75، 114، مخطوط.

محمد بوخيزة

زَيَّان، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل

بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا - Zeyen - Zayan - Zaen - Çayan .

وقد هاجرت هذه الأسرة إلى الأندلس سنة 897 / 1492 حيث استقرت بناحية الريف ثم انتقلت إلى تطوان سنة 1200 / 1785 وتوجد خارج الباب السعيدة حومة تحمل اسم زيانة.

ومن رجالات هذه الأسرة : زيان محمد بن عبد الله كان يزاول الإفتاء سنة 1207 / 1793. زيان العربي بن عبد الله الذي كان هو الآخر يزاول الإفتاء في نفس السنة.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطوان 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 792.

محمد ابن عزوز حكيم

زَيَّان بن أبي عياد بن عبد الحق، أحد قواد بني مرين الذين ساهموا بشكل كبير في حملات السلطان يعقوب المريني إلى الأندلس. وقد عينه خلال حملته الثانية سنة 676 / 1277 قائد الحامية بين مرين بمالقة واستمر في هذا المنصب حتى سنة 677 / 1278 عندما تمكن ابن الأحمر من استرداد مالقة من يد قائدها الذي اعتقله بعد تأمره مع واليها عمر بن يحيى بن محلي.

ابن خلدون، العبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 408. 417؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954، ج. 3، ص. 48.

أبو زَيَّان، محمد بن أحمد بن أبي سالم المريني، لقبه المنتصر بالله، بويغ بعد خاله السلطان أبي فارس موسى ابن أبي عنان يوم الجمعة ثالث أيام رمضان من عام 788 / 1386 وهو لم يتجاوز سن الخامسة وخلع يوم الجمعة 15 شوال من نفس العام وبذلك يكون قد حكم حوالي 43 يوما.

كان أبو زيان في عهد والده السلطان أبي العباس أحمد (775 / 1373 - 786 / 1384) نائبا له على مدينة سلا ثم مراكش. وبعد وفاة خاله السلطان موسى بادر أحد وزرائه يعيش بن رحو بن ماساي إلى تنصيب أبي زيان ملكا. بعد ذلك عاد الوزراء وخاصة مسعود بن رحو أخو يعيش إلى ممارسة سياسة المساومات والدسائس، إذ تحالف مع أحد أمراء بني مرين المنفيين بالأندلس وهو أبو زيان محمد بن أبي الفضل واتفقا على عودته إلى فاس وتمكينه من الملك، وهو ما تم فعلا بعد خلع أبي زيان المنتصر بالله وإرساله إلى الأندلس منفيا مع والده.

ابن خلدون، العبر، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 735. 738. 744. 745؛ ابن الأحمر، روضة السنين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، 1962، ص. 37؛ نفسه، النفحة السرينية واللحة المرينية، تح. عدنان محمد آل طعمة، دار سعد الدين، دمشق، 1992، ص. 67؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1974، ص. 209. 210؛ الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، 4: 71. 72.

أبو زَيَّان، محمد بن أبي عبد الرحمن يعقوب بن أبي الحسن المريني لقبه المتوكل على الله، بويغ يوم الاثنين 21 صفر عام 763 / 1361 وقتل غرقا في يوم الأحد 22 ذي الحجة من عام 767 / 1366 ثم دفن بجامع قصره. كان قبل ولايته منفيا مع جملة من أمراء بني مرين بالأندلس عند صاحب قشتالة بيدرو الأول يستغلهم في الضغط على ملوك المغرب وابتزازهم كلما لاح الفرصة. ولما تفاقمت الأزمة السياسية بالمغرب واحتدم الصراع بين

الوزراء والأمراء حول الحكم، بادر الوزير المستبد عمر بن عبد الله الياباني إلى محاولة التحكم في جميع خيوط اللعبة والسيطرة على الموقف المتدهور. ولتحقيق ذلك قام بالاتصال بصاحب قشتالة عن طريق وساطة ابن الأحمر وطلب منه السماح للأمير المريني أبي زيان بالعودة إلى المغرب وتنصيبه ملكا عليه. وقد وافق بيدرو الأول على تسريح الأمير المريني مقابل شروط وعقود من أهمها تخلي الوزير عن مدينة رنדה الأندلسية لابن الأحمر وعدم التحالف مع عدوه صاحب أرغون. وبعد إتمام هذه الصفقة غادر أبو زيان إشبيلية في شهر المحرم من عام 763 / 1361 ونزل بسبته. وعندما علم الوزير عمر بوصول الأمير سارع إلى خلع السلطان أبو عمر تاشفين الموسوس تحت ذريعة عدم كفاءته وافتقاده للعقل وهما من شروط الخلافة، ثم بعث ببيعته وكتيبة من جنده وبعض العلماء كابن رضوان صاحب القلم الأعلى والشيخ محمد بن أبي القاسم بن أبي مدين صاحب الأشغال وديوان الجيش إلى السلطان الجديد وهو بطنجة. وبعد إتمام مراسيم البيعة الخاصة عاد الجميع إلى دار الملك بفاس الجديد وأخذ الوزير عمر على الناس البيعة العامة لسلطانه أبي زيان. ومنذ قيام هذا السلطان بالأمير تزايدت أعمال الفتن وكثر المعارضون ضد استبداد الوزير وانفراده بالحكم وحجره على السلطان، وكان بعض أمراء بني مرين خاصة أولاد أبي علي أكثر المعارضين والثائرين خطورة علي الوزير وسلطانه لذلك فرض علي السلطة الجديدة مواجهة ثورتين عنيفتين، الأولى بقيادة الأمير عبد الحليم بن أبي علي المتغلب على سجلماسة وأعمالها، والثانية بزعامة الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوس بن أبي علي المتحالف مع الوزير مسعود بن رحو بن ماساي، لكن مصير الثورتين كان هو الفشل وفرار كل من عبد الحليم إلى الشرق وعبد الرحمن ووزيره إلى الأندلس. إلا أن ذلك لم يعن القضاء النهائي على المشاكل والاضطرابات وتنامي العداء ضد الوزير المستبد وسلطانه، إذ سرعان ما انتفضت بعض الأطراف خاصة في الجنوب حيث اندلعت بمراكش ثورة الأمير أبي الفضل بن السلطان أبي سالم ووزيره عامر بن محمد الهنتاتي. وأمام عزيمة وتصميم الوزير عمر على وضع حد لثورة مراكش فضل الثوار الفرار إلى جبل درن في رجب سنة 767 / 1366.

يبدو من تفاصيل هذه الأحداث أن السلطان أبا زيان لم يكن يمارس مهامه بشكل طبيعي، بل كان مراقبا مراقبة شديدة من عيون وجواسيس الوزير، فقد صنع له حاشيته من خلصائه فأقام في رسم الوزارة صهره مسعود بن رحو بن ماساي وعين له على رسم المناذمة الشيخ عمر بن العجوز والشيخ إبراهيم بن أحمد البطروجي، وبذلك أصبح السلطان وكأنه بمنزلة الخليفة العباسي بمصر والوزير الذي حجبه بمنزلة السلطان الاسفصلار من الترك والوزير منتابه مسعود بمنزلة وزيره المعبر عندهم بالصاحب (نفاضة، 3: 75). وقد

حاول السلطان المغلوب على أمره التخلص من وزيره وقتله، لكن الجواسيس أسرعوا إلى الوزير عمر واطلعوه على نية السلطان وما يعزم عليه فقرر تنحيته وقتله برمييه في قعر بئر بروض الغزلان من فاس وذلك في شهر ذي الحجة من سنة 767 / 1366. أو في شهر المحرم من سنة 768 / 1366 حسب رواية أخرى. فاستدعى الوزير حينئذ الأمير عبد العزيز بن أبي الحسن وبايعه سلطاناً على المغرب.

ابن الخطيب، أعمال الأعمال، القسم الثاني (الأندلس)، نشره ليفي بروفسال، الرباط، 1934، ص. 333؛ نقاضة المجراب، تج. أحمد مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، ج. 2، ص. 303. 343. 354. 358؛ الدار البيضاء، 1989، ج. 3، ص. 67. 75؛ ريجانة الكتاب، ومجعة المتجيب، تج. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1980. 1981، ج. 1، ص. 92. 96. 304. 307. 478. 480. وج. 2، ص. 224. 225؛ اللوحة البيرية في الدولة النصرانية، بيروت، 1978، ص. 114. 118. 119؛ يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملك من بني عبد الواد، الجزائر، 1903، ج. 2، ص. 101. 102. 131؛ ابن الأخر، روضة السنين في دولة بني مرين، الرباط، 1962، ص. 32؛ النسخة النصرية واللمحة المرينية، تج. عدنان محمد آل طعمه، دمشق، 1992، ص. 60؛ مجهول، الخلل المشوية في ذكر الأخبار المراكشية، تج. سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، 1979، ص. 180؛ ابن خلدون، العمر، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 655. 658. 670؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1974، ص. 208؛ أ. المقري، أزهار الرياض، تج. مجموعة من الأساتذة، القاهرة، 1939، ج. 1، ص. 62؛ نفع الطيب، تج. احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج. 6، ص. 125؛ الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء، 1954، ج. 4، ص. 44. 52.

G. Soler, *La corona de Aragon y Granada*, *Boletin de la real academica de Buenas Letras*, Barcelona, 1907 - 1908, T. IV ; R. Arié, *L'Espagne musulmane au temps des Nasrides (1232 - 1492)*, Paris, 1973 ; Ch. E. Dufourcq, *Catalogue chronologique et analytique du registre 1389 de la chancellerie de la couronne d'Aragon intitulé "guerre sarracenorum 1367 - 1386"*, in "Miscelanea de textos medievales", Barcelona, 1974, T. 2 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986.

أبو زيان، محمد بن عبد العزيز بن أبي الحسن لقبه بالسعيد بالله وبوع تحت كفالة الوزير المستبد عليه أبي بكر بن غازي بن التماس بعد وفاة السلطان عبد العزيز والده وهو محاصر لتلمسان سنة 774 / 1372. وعندما بوع أبو زيان يوم الخميس 22 ربيع الثاني من نفس العام لم يكن عمره حينذاك قد تجاوز الخامسة فكان الوزير هو الحاكم الفعلي. ولتخطئه في استعمال السلطة واستبداده وحجوره على السلطان الشرعي قامت ثورات ضده في شتى أنحاء البلاد وتزعزعه بعض أمراء بني مرين الظالمين في الحكم والذين يعتبرون أنفسهم الأحق بالملك من الملك الصبي أبي

زيان الذي لا حول له ولا قوة. ومن أخطر هذه الثورات ثورة الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن بن أبي علي بناحية بطوية من بلاد الريف سنة 774 / 1372 وثورة أبي العباس أحمد بن أبي سالم. وقد شكل التحالف المكون من الأميرين المذكورين وصاحب غرناطة ابن الأحمر تهديداً خطيراً هز أركان دولة الوزير ابن غازي وسلطانه. القاصر اضطر معه هذا الأخير إلى التخلي عن سلطانه أبي زيان ومبايعة الأمير أبي العباس أحمد سلطاناً جديداً على المغرب واقتطاع سجلماسة وأعمالها لابن أبي يفلوسن. وعندما خلع السلطان أبي زيان يوم الأحد 5 محرم من سنة 776 / 1374 غرّب إلى الأندلس منفي كثير من أمراء بني مرين. ومن المعلوم أن ابن الخطيب قد أشارته ظاهرة توليه أمراء صغار حكم المغرب نهاية الدولة المرينية فألف كتاباً في السلطان أبي زيان هذا وأعطاه عنواناً معبراً هو: "أعمال الأعلام فيمن بوع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام".

ل. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، الدار البيضاء، 1964، القسم الثالث، مقدمة المحققين؛ ابن خلدون، العقب، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 698. 706؛ ابن الأخر، روضة السنين في دولة بني مرين، الرباط، 1962، ص. 33. 34؛ النسخة النصرية واللمحة المرينية، تج. عدنان محمد آل طعمه، دمشق، 1992، ص. 63؛ مجهول، الخلل المشوية في ذكر الأخبار المراكشية، تج. سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار النشر الحديثة، الدار البيضاء، 1979، ص. 181؛ أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1974، ص. 209؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954، ج. 4، ص. 60. 61.

أبو زيان، محمد بن أبي عنان، ثامن ملوك بني مرين وأقصرهم حكماً إذ لم يدم ملكه إلا ساعة من النهار. فقد بوع له يوم الأربعاء 24 ذي الحجة من عام 759 / 1358 وأبو السلطان أبو عنان لا يزال طريح الفراش ينازع الموت. وقام ببيعه وزير أبيه الحسن بن عمر الفودودي ثم خله وقتله خنقاً في نفس يوم بيعته وهو لم يتجاوز بعد سن السابعة عشرة؛ وبيع مكانه أخاه أبا بكر السعيد بعد تأمره مع خليفة مسعود بن رحو بن ماساي. وبهذا يكون الوزير عمر قد دشن مرحلة جديدة من سياسة حيك المؤامرات والدسائس وتعيين أمراء قاصرين والخنجر عليهم والاستبداد بالحنك، وهي السياسة التي ستطبع الفترة الأخيرة من تاريخ الدولة المرينية.

ع. الرحمن ابن خلدون، العمر، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 621. 622؛ يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، الجزائر، 1903، ج. 2، ص. 27. 30؛ ابن الأخر، روضة السنين في دولة بني مرين، الرباط، 1962، ص. 29؛ النسخة النصرية واللمحة المرينية، تج. عدنان محمد آل طعمه، دمشق، 1992، ص. 54؛ أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، دار المنصور، الرباط، 1974، ص. 207. 208؛ المقري،

نفع الطيب، تج. إحسان عباس، بيروت، 1968، 5: 534، 536 :
الناصري، الاستقصاء، الدار البيضاء، 1954، 3 : 205.

أبو زِيَان، محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن
المريني، لقبه الواثق بالله. تولى حكم المغرب يوم الجمعة 15
شوال من سنة 788 / 1386 وخلق يوم الخميس 5 رمضان عام
789 / 1387. قضى حوالي العام الواحد من حكمه تحت
استبداد وزيره مسعود بن رحو بن ماساي الذي زج به في
صراعات دموية شاركت فيها أطراف متعددة داخلية من
أمرء ورجالات المخزن وخارجية كصاحب غرناطة ابن الأحمر
وملك قشتالة وانتهت بقتل الوزير وأفراد عائلته وحاشيته
وذبح سلطانه الواثق بالله. وتمثل فترة حكم أبي زيان نموذجا
لاستبداد الوزراء وما جر ذلك على المغرب من ويلات
الحروب والفتن. فكان الوزراء يبايعون ضعاف الأمراء وجلهم
منفي بالأندلس إما بغرناطة أو بإشبيلية يستعملون للضغط
على المغرب وزعزعة استقراره. وفي هذا السياق تم استقدام
أبي زيان الواثق بالله المنفي عند ابن الأحمر إلى المغرب،
وقد اختاره الوزير مسعود دون غيره من أمرء بني مرين
المنفيين كأبي العباس أحمد وذلك لأن أبا زيان "أليق
بالاستبداد والحجر" (العبر، 7: 736) فبايعه البيعة الأولى.
وكان على الوزير بعد ذلك الدفاع عن موقفه واختياره
بمواجهة المعارضين ومحاربة المخالفين. وكان أول القائمين
عليه بعض حاشيته وهم يعيش بن علي بن فارس اليباني
وسبور بن يحياتن بن عمر الونكاسني وأحمد بن محمد
الصبيحي الذين انتقضا عليه ولحقوا بسبته والدعوة للواثق
بالله دون الوزير مسعود، ثم انتقلوا معه إلى جبل مغيلة
قرب فاس واستعدوا لمحاربة مسعود وانضم إليهم لفيق من
الغاضبين على الوزير من بعض وجهاء القبائل ورجالات
المخزن مثل طلحة بن الزبير الورتاجني ومحمد التونسي بن
أبي الطلاق وخارج بن مهدي. لكن الوزير مسعود استعد
لهؤلاء جميعا وقتلهم هنالك أياما ثم انتهت المواجهة
بتوصل الطرفين إلى الاتفاق على مسامحة المتمردين
وتنصيب أبي زيان ملكا على البلاد. وبعد دخول أبو زيان
البلد الجديد مع حاشيته بايعه الوزير مسعود البيعة الثانية
في شهر شوال من العام المذكور خلفا للسلطان المخلوع أبو
زيان محمد بن أبي العباس والذي نفاه نفس الوزير إلى
الأندلس. ومباشرة بعد هذه البيعة قام الوزير بالتخلص من
مناوئيه الذين حرضوا السلطان عليه إما بالحبس أو بالقتل،
كما تمكن من إفشال تمرد الأمير الحسن بن الناصر الثائر
بجبل الصفيحة من بلاد غمارة ونفاه هو الآخر إلى
الأندلس. وكان على الوزير بعد تهدئته للأوضاع بالمغرب
أن يعمل على استعادة بعض الجيوب التي خرجت عن طاعة
بني مرين خاصة مدينة سبتة الخاضعة لنفوذ بني الأحمر.
وقد حاول ربط الاتصال مع صاحب غرناطة والتفاوض معه
بهدف تسليمه المدينة. إلا أن المحاولة باءت بالفشل وكانت

سببا مباشرا في اندلاع أزمة سياسية بين الطرفين. فاستعد
الوزير وسلطانه لحصار المدينة واسترجاعها بالقوة واستغل
بعض المعارضين من أمرء بني الأحمر لضرب صاحب
غرناطة وشغله بحربهم لتسهيل دخول الجيش المريني إلى
سبتة في المقابل كان ابن الأحمر على وعي بأهداف سياسة
غريمه فرد عليه بنفس أسلوبه وذلك بأن حرض السلطان
المريني اللاجئ عنده وهو أبو العباس أحمد ابن أبي سالم
وشجعه على النهوض لاسترجاع ملكه ومحاربة الوزير
المستبد وسلطانه أبي زيان. وقد استطاع أبو العباس فك
الحصار عن سبتة والاستيلاء عليها واتخاذها قاعدة رئيسية
لهجوماته نحو العاصمة فاس. فاتجه في البداية إلى طنجة
فاستعصت عليه ثم أصيلا فملكها. وتحت ضغط الجيش
المريني بقيادة الوزير مسعود لجأ أبو العباس إلى جبل
الصفيحة معتصما به فحاضره الوزير هناك مدة شهرين ثم
تدخل بعدها زعيم عرب المعقل يوسف ابن علي بن غانم
مساندا لأبي العباس لصداقة قديمة بينهما وبدأ يشن
الغارات على المناطق المجاورة لفاس كتازة وصفرو ومكناسة
ثم يشرع في حصار فاس في غياب وزيرها. إلا أن أخاه
يعيش ونائبه على المدينة طير بالخبر إليه وهو محاصر لأبي
العباس بجبل الصفيحة فاضطر مسعود إلى العودة
ومحاربة المتمردين. لكن أبا العباس ظل يطارده إلى أن
لحقه بالبلد الجديد وحاصره بجند عظيم مألّف من غرب
المعقل والأندلسيين وبعض المعارضين وفي نفس الوقت
انتفضت بعض المدن بمراكش والسوس وتازة ومكناسة ضد
الوزير وسلطانه وأزرت حركة أبي العباس في مساعها.
ويعد مضي ثلاثة أشهر على هذا الحصار اتفق الطرفان على
تسلم أبي العباس مقاليد السلطة مقابل توفيره الأمان
للوزير ويطانته وتركه في منصبه وإرسال سلطانه أبي زيان
بن أبي الفضل إلى الأندلس. وبناء على ذلك دخل أبو
العباس مدينة فاس في 5 رمضان من عام 789 ويبيع بها
سلطانا ثم اعتقل السلطان المخلوع ونفاه إلى طنجة حيث
قتل ذبحا كما تنكر لوعوده السابقة فاعتقل الوزير مسعود
وامتحنه هو وأسرته ويطانته إلى أن توفي.

ابن الأحمر، روضة التوسرين، الرباط، 1962، ص. 37-38 : النفحة
التوسرينية واللحة المرينية، تج. عدنان محمد آل طعمة، دمشق،
1992، ص. 67 : ابن خلدون، العبر، بيروت، 1978، ج. 7، ص.
736-747 : أ. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1974، ص.
210-211 : الناصري، الاستقصاء، الفار البيضاء، 1954، ص. 72 .
73

رشيد السلامي

زِيَان الوطاسي، ابن عم السلطان محمد البرتغالي
وصهره. كان حسب شهادة الإخباريين (دوكويش)
و(بيرناردو رودويش) عاملا على مكناش وقسم كبير من
الشاوية. وذلك قبل أن يُنجيه أخو السلطان، الناصر

المعروف بالكديد سنة 1506 أو التي تلتها. وبعد عزله التجأ زيان إلى أزموور حيث كان له أقارب وأنصار كثيرون. وقد حاول زيان فرض نفسه على سكان المدينة. إلا أن هؤلاء رفضوا الانصياع له، وهو ما حتم عليه البحث عن سند خارجي لم يكن يتمثل آنذاك إلا في البرتغال الذي كان قد فرض الحماية على المدينة منذ سنة 1486، وأصبح بعد عصيانها يبحث عن سبيل لاحتلالها. وهكذا ربط زيان اتصالاً مع البلاط البرتغالي عن طريق صياد برتغالي كان كثير التردد على المدينة لصيد الشابل. وكان معروفاً بها. وذلك قبل أن ينتقل بنفسه إلى لشبونة لعرض خدماته على الملك أمنويل واقترح تجهيز حملة عسكرية ضدها.

وعول الملك على مساعدة الناصر وحلفائه لتسهيل مهمة الحملة التي جهزها في غشت 1508. إلا أن البرتغاليين فوجئوا بزيان وهو يترأس المقاومين.

ويبدو أن زيان الذي استقر بأزموور فيما بين 1508 و1510 غادرها في اتجاه مكناس أو فاس لاسترجاع المنطقة التي انتزعت منه إلا أنه فشل في مسعاه وعاد إلى أزموور مهزوماً ومسلوباً من كل شيء، ولم يمنعه ذلك من العودة إلى قيادة المدينة. وقد أعلن وفاءه للبرتغال ودخل في نفس السنة 1510 في مفاوضات جديدة معه بوساطة حاخام يهود أسفي، أبراهام ابن زميرو. كما أرسل كاتبه إلى لشبونة.

ونتج عن تلك المفاوضات التزامه بتطبيق بنود معاهدة الحماية الموقعة سنة 1486 لمدة عشرين سنة. ولم يستغل زيان الحصار الذي ضربته القبائل الدكالية في دجنبر 1510. وبقيت أزموور متمسكة بولاتها. وذكر (دو كويش) أن زيان تقلص من التزاماته مرة أخرى، وأرغم الوكلاء التجاريين على مغادرة المدينة، الأمر الذي حتم على الملك البرتغالي التدخل عسكرياً واحتلال أزموور يوم 3 شتنبر 1513. وكان زيان وأبناؤه على رأس المدافعين عن المدينة.

وقد التجأ زيان بعد احتلال المدينة إلى "مملكة فاس" وشوهد بسلا في منتصف ذي القعدة عام 920/ نهاية شهر دجنبر 1514.

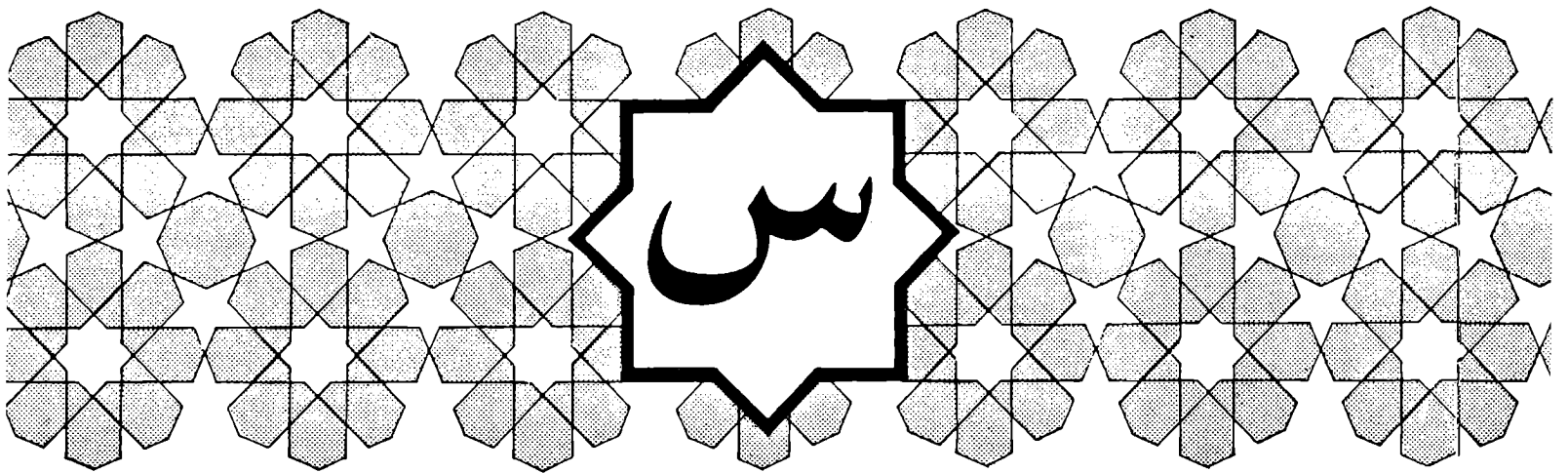
أ. بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي، الدار البيضاء، 1984.*

P. de Cenival [et al...], *Sources inédites de l'histoire du Matroc* ; R. Ricard, *Les portugais au Maroc de D. de Gois, Extraits de la chronique du Roi D. Manuel de Portugal*, Rabat ; B. Rodrigués, *Anais de Arsila*, Publ. D. Lopes, Coimbra, 1915, T. 1, p. 8 - 9.

أحمد بوشرب

الزَيَّانِيَّة طَرِيقَة صُوفِيَّة ← **بوزَيَّان، محمد بن**

عبد الرحمن



م. شفيق، المعجم العربي الأمازيغي، ج. 1، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، 1990.

Fagnan, *Additions aux dictionnaires arabes*, Bayrouth, s. d. ; J.C. Garcin [et al...], *L'habitat traditionnel dans les pays musulmans autour de la méditerranée*, I, l'héritage architectural, formes et fonctions, 1988 ; J. Hassar Benslimane, *Salé dans tous ses états* ; Revault [et al...], *Palais et demeures de Fès*, I, 1985 ; II et III, 1992 ; A. Touri et J. Hassan Benslimane, *Lexique des termes d'architecture traditionnelle du Maroc*, manusc., 1987.

عبد العزيز توري

ساتو، إرنست ماسون Ernest Mason Satow

دبلوماسي بريطاني، حصل على شهادة شرفية في 5 يوليوز 1861، فعين على إثرها ترجمانا متدرجاً في اليابان، ثم تقلد عدة مهام إدارية وقنصلية في المفوضيات البريطانية بجهات كثيرة من آسيا، إلى أن تمت ترقيته مبعوثاً ووزيراً مفوضاً كامل التفويض وقنصلاً عاماً لدى بلاط السلطان مولاي الحسن ابتداء من 1 غشت 1893. وجاء هذا التعيين في ظروف انتقالية خاصة؛ ففي المغرب كان المولى الحسن يعيش أشهره الأخيرة وهو يواجه مخلفات سفارة تشارلز ريوان - سميث (Ch. Euan Smith) الصاخبة في فاس، ومخلفات أزمة مليلية مع إسبانيا على إثر أحداث سيدي ورياش الدامية. كما حصل هذا التعيين في وقت كانت فيه بريطانيا مقبلة على انتخابات جديدة.

وعلى الرغم من أن ساتو لم يمض في مهامه الرسمية بالمغرب سوى سنتين تقريبا، فقد قاد مفاوضات ناجحة بين المخزن الحسني وإسبانيا انتهت بتسوية أزمة مليلية بإبرام اتفاقية مراكش بتاريخ 5 مارس 1894، ولو أن ذلك قد تحقق على حساب المغرب الذي استجاب لضغوط بريطانيا فوافق على تسديد غرامة مالية قدرها 4 ملايين ريال كتعويضات مقابل الخسائر البشرية والمالية التي تكبدتها

الساباط عموما هو المر أو الزقاق المغطى، وينطق بالدارج المغربي "صابة". اختلف تحديد مفهوم هذا المصطلح باختلاف الباحثين إذ نجده هو "المر المغطى" أو "المر أو الزقاق فوقه سقف مقبب" أو حتى "الطابق العلوي" (روفو وآخرون، 1985، ص. 224 - 1992، ص. 369)، ونجده "قسما من زقاق مغطى يمر يصل بين دارين" (كارسان وآخرون، 1988، ص. 240) أو "بناية فوق زقاق يمكنها أن تكون بيتا مستقلا أو معبراً نحو منزل آخر" (نفسه، ص. 269)، أو "سقيفة تحتها طريق" (شفيق، 1990، ص. 492).

ومهما يكن فالساباط أو الصابة عنصر مهم ودائم الحضور في نسيج المدينة المغربية القديمة، بل وحتى بالتجمعات السكنية المعروفة بالقصور والمنتشرة بالمناطق شبه الصحراوية، وذلك تحت اسم تساركت أو تازقات، أو تاسوكت - الأمازيغي.

وقد تطور مفهوم الصابة في بعض المدن كالرباط مثلاً من الاقتصار على الزقاق المغطى ليشمل الزقاق المكشوف غير النافذ، كما خرج من حدود المدن العتيقة وفيها بقي وفيها لمدلوله الأول - ليلتصق بالأحياء الحديثة المكونة من الدور والمنازل التي لا تتعدى طابقا علويا أو طابقين وفيها أطلق على المدلول الثاني.

الحامية الإسبانية في مليبية من جراء هجوم الريفيين عليها.

وحين توفي المولى الحسن يوم 7 يونيو 1894، أبلغ القائد ماكلين ساتو بالخبر سرا وعلى وجه السرعة يوم 11 يونيو، فتولى مهمة نقله إلى زملائه الدبلوماسيين في طنجة، ثم إلى حكومته في لندن، وكذا إلى بقية سفراء بريطانيا في باريز ومدريد وبرلين وينا وروما. ولما تبين بأن أهل الحل والعقد في البلاد قد أجمعوا على مبايعة عبد العزيز، أشار ساتو على حكمة بلاده بأن تتزعم اعتراف الدول الأوروبية الكبرى بسلطنة العاهل الشاب. وتفاعل ساتو بالهدوء والاستقرار النسبيين اللذين عرفهما المغرب في الأشهر الأولى من سلطنة عبد العزيز، فاقترح على وزير خارجيته كمبرلي Kimberley، أن يرخص له بالتوجه في زيارة رسمية أولى إلى بلاط عبد العزيز ليقدم إليه أوراق اعتماده، ويضع اللبنة الأولى لربط الجسور مع العناصر الفاعلة في التشكيلية المخزنية الجديدة.

وقد غادر ساتو طنجة إلى فاس يوم 11 أكتوبر 1894 يرافقه تراجمة المفوضية دويونتيو ومورانت والطبيب كريك ومادن بصفته كاتباً للبعثة، بينما تكلف القنصل وايت بالنيابة عنه على رأس المفوضية في طنجة. ودخلت البعثة السفارة البريطانية إلى فاس يوم 25 أكتوبر 1894، فوجدت في استقبالها عند مشارف المدينة-الباشا وقائد المشور إدريس بن العلام وسعيد بن موسى وزير الحرب. وبعد استراحة دامت أربعة أيام، استقبل عبد العزيز ضيفه ساتو وسط الأجواء البروتوكولية المعهودة

لم يكن ساتو يسعى في البداية من زيارة السلطان إلى تحقيق نتائج ذات أهمية خاصة، باستثناء محاولة إعادة الثقة بين الجانبين ومحو الآثار السيئة لسفارة سلفه إيوان سميت الفاشلة إلى فاس، بدليل أنه قد ذكر لوزير خارجيته بأن مهمته في فاس لن تستغرق أكثر من خمسة وثلاثين يوماً على أبعد تقدير. لكن تلك الزيارة دامت في الحقيقة أكثر من خمسة شهور، لأن ساتو لم يغادر فاساً إلا مع حلول يوم 18 أبريل 1895. ومن الطبيعي أن يكون لهذه الإقامة الطويلة ما يبررها، إذ وجد ساتو نفسه مضطراً لمعالجة ملفات لم تكن مسطرة في جدول أعماله الأصلي، لكنها شكلت في الوقت نفسه قضايا ذات أهمية ظلت معلقة بين الجانبين منذ عدة سنوات. ونذكر من أهمها قضية "شركة شمال غرب إفريقيا" القائمة في طرفاية منذ سبعينيات القرن التاسع عشر، ومطالب الرعايا البريطانيين المالية وديونهم القديمة، وقضية التمثيل القنصلي للأجانب في فاس. هذا فضلاً عن قضايا أخرى طرأت أثناء وجوده بفاس، منها ما تعلق بالمصالح البريطانية أساساً، ومنها ما تعلق بمشاكل عامة تمس الأوربيين من جنسيات أخرى، لكنها تهم بريطانيا أيضاً، كما هو شأن موضوع أمن الأجانب في المغرب بوجه عام، وعلاقته بقضايا التجارة وبحرية التنقل في مختلف

أرجاء البلاد.

ولاشك أن التوصل إلى حل قضية الوجود البريطاني في طرفاية، بعد مفاوضات طويلة وجادة بين ساتو وياحماد في فاس ابتداء من 16 فبراير 1895، قد شكلت أهم إنجاز حققه ساتو خلال مهامه الرسمية بالمغرب، وذلك بحكم الحساسية الشديدة لهذه القضية ذات الصلة بوحدة التراب الوطني، وتأثيرها الكبير على توتو العلاقات بين الجانبين منذ السبعينيات حين أسس مكنتزي شركته في طرفاية دون إذن مخزني.

وبعد مرور أقل من شهرين على عودة ساتو من مهمته في فاس إلى طنجة، كافأته وزارة الخارجية البريطانية على النجاح الذي حققه في زيارته لبلاط السلطان عبد العزيز بترقيته وتعيينه مبعوثاً خاصاً ووزيراً مفوضاً بكامل التفويض لدى إمبراطور اليابان (1 يونيو 1895) وعينت مكانه في طنجة آرثور نيكولسن (A. Nicolson)، الذي لن يغادر منصبه الجديد في المغرب إلا بعد إبرام الاتفاق الودي البريطاني الفرنسي سنة 1904.

خالد بن الصغير، المغرب وبريطانيا العظمى، 1886 - 1904،

أطروحة دكتوراه الدولة، مرقونة بكلية الآداب، الرباط، 2001.

Foreign Office List for the year 1895, p. 345.

خالد بن الصغير

ساتورنوس معبود قديم أثارت طبيعته المعقدة العديد من النظريات والتأويلات عند القدماء وعند المعاصرين، فقد اقترحت أصول متعددة له : سابينية، لاتينية، سيكولية، إغريقية وحتى إتروسكية. يعتقد الباحث لوگلي أن ساتورنوس هو ثمرة لقاء معبودين متقاربين عن طريق نوع من التوفيقية المزدوجة (Syncretisme)، من جهة الإله بعل حمون البوني الذي سماه الإغريق كرونوس (Kronos) نظراً ربما للقرابين الدموية التي كانت تميز طقوسهما، ومن جهة أخرى، الإله ساتورنوس، الإله الإيطالي الذي تمت مطابقتها أيضاً بكرونوسي أثناء هلينة الديانة الرومانية.

وقد حصل هذا الاندماج بين ساتورنوس - كرونوس وبين بعل - كرونوس ربما فوق أرض إفريقيا غداة سنة 146 ق م، والتي تزامن استيطان روما الرسمي بهذه الأرض.

وقد تساءل لوگلي عن إمكانية تعرض هذا المعبود لما يسمى بظاهرة التأويل الروماني Interpretatio "Romana"، والتي يتم بموجبها إعفاء أسماء لاتينية للالهة المحلية، إلا أن هذه الظاهرة لا تمكننا من معرفة هل الاسم اللاتيني الذي اضفي على الإله الإغريقي - الروماني يدل فعلاً على هذا المعبود أم يخفي وراءه معبود محلي.

يجسد ساتورنوس الطموحات الدينية عند الأفارقة الذين اشتهروا بالزراعة، وقد عثر على عدة اهداءات موجهة لساتورنوس كإله يضمن الغلات ويخصب القطيع، وقد

احتل مكانة متميزة ضمن الزون الافريقي (Panthéon).

ومن بين الرموز التي تصاحب تجسيدات، نجد المنجل و"Harpe"، ويعتبر ارنوبيوس والقديس أو غسطينوس، المنجل رمزاً للاله الحامي للزراعة (Custos Ruris).

وقد عرفت عبادته نجاحاً كبيراً على عهد السفيريين، ولم يكن وراء هذا النجاح الدعاية الرسمية بل ارتباطه العميق بالفئات السبغية المحلية، ويؤكد هذا الرأي الباحث بنعبو، الذي يعتقد بأنه إذا كان الاله قد ظل إلهاً بونيا - أمازيغياً فلان أتباعه هم بونيون - أمازيغيون فرضوا عليه متطلباتهم الدينية. فماذا عن عبادته في المغرب القديم ؟ لم تفرز هذه الولاية الرومانية إلا القليل من الاهداءات المقدمة للالهة المحلية (Dieu au chef cornu, Aulisva) ونفس الأمر ينطبق على ساتورنوس، إذ تبقى الشواهد الأثرية التي نشرها الباحث توفنو هي الوحيدة التي خلقتها الأبحاث الأثرية لحد الآن.

يتعلق الأمر بقطعة من قاعدة عثر عليها بوليلي وقد أعيد استعمالها في الباب الجنوبي الغربي، وهي مهداة ساتورنوس من طرف امرأة استقرائية تدعى Claudia Procula والتي قدمت تمثالاً له من الفضة. أما النقشية الثانية فهي عبارة عن مذبح الحشف يعين الشقور غير بعيد عن وليلي والذي تضمن تقدمه للاله فروجيفير المقدس (Frugifer sanctus) من طرف قائد كتبية الاشتوريين والغالين بعد الشفاء من مرضه. ويبدو أن لقب فروجيفير يلتصق في إفريقيا تارة بساتورنوس وتارة بالاله بلوتون. ونعتقد أن الأمر يتعلق في المثاليين بالإله ساتورنوس، اله السماء والخصوبة والاله الذي يمنح الخيرات بما فيها صحة الانسان. ويبقى هذان المثاليين منعزلين في إطار جغرافي واسع، ومن الصعب الإجابة عن نذرة المخلفات الأثرية المتعلقة بعبادته في موريطانيا الطنجية.

وللإشارة فقد اكتشف معبد بوليلي أطلق عليه في البداية معبد ساتورنوس من طرف الباحثين بونسيك وتوفنو وأعاد دراسته الباحث Morestin، دراسة شاملة إلا أنه لا يتفق مع الباحثين المذكورين، في إسناده لساتورنوس، ويرى بأن المعبد يتعلق بإله محلي أمازيغي ربما مبني محلي يمنح الخصوبة وقد بني له معبد من هذا الحجم نظراً لأهميته في المدينة.

G. Ch. Picard, *Les religions de l'Afrique antique*, Paris, 1954 ; h. Guitard, *Recherches sur saturne des origines à la réforme de 217 av.J.C.*, in *Recherches sur les religions de l'Italie antique*, Genève, 1976, p. 43 - 71 ; M. Le Glay, *Saturne africain - Histoire*, Paris, 1966 ; *Les dieux de l'Afrique romaine*, *Archeologia*, n° 40, mai-juin 1971, p. 67 ; H. Morestin, *Le temple "B" de Volubilis*, Paris, 1980 ; M. Ponsich, *Le temple "dit de saturne" à Volubilis*, *B.A.M.*, 10, 1976, p. 131 - 144 ; Toutain, *Les cultes païens dans l'empire romain*, T. III, Rome, 1967 ; R. Thouvenot, *Le culte de saturne en Maurétanie Tingitane*, *REA*, LVI, 1954, p.150- 153.

عبد العزيز بل الفايذة

الساحل أو السواحل، قبيلة هبطية وسوق ومقاومة، فهذا الاسم تعرف قبيلة واقعة بتضرسات سطح الساحل الأطلسي الممتد بين أصيلا شمالاً ومصب واد اللكوس بالعرائش جنوباً. وهو ينقسم إلى شمالي تلي وجنوبي متضرس غابوي. والمعروف أن لفظ الساحل كان دالاً على نفس الجهة منذ ما قبل الاحتلال البرتغالي لأصيلا سنة 1471/876، وبه عرفت التجمعات السكانية المستقرة بشعابه. ولا يزال اسم الساحل إلى اليوم يحمله مجرى واد صغير ينحدر من سوق خميس الساحل الجديد. وتتوزع التجمعات السكانية تبعاً لطبيعة السطح إلى مجموعتين شمالية وجنوبية.

تمتد أراضي الساحل الشمالي من ضاحية أصيلا الجنوبية إلى مجرى واد النخلة المناسب من سوق الخميس الجديد، حيث يظهر مدشر بني كيسان من الساحل الجنوبي. وعلى الرغم من صغر مساحة الساحل الشمالي فإننا سجلنا خلال الربع الأخير من القرن التاسع الهجري وجود عشرين قرية ما يزال أغلبها قائماً إلى اليوم، منتشرة بين أصيلا والحدود المنتهية إلى بداية مساحة الساحل الجنوبي. وأهم تلك التجمعات تمثلها مداشر تندافل وميجلا و الحمر والعقبة وبني مورير. ولا يظهر في التقسيم الإداري الحالي سوى فرقة واحدة متكونة من عشرة مداشر. وخلال فترة الحماية وصل عدد دور هذا القسم إلى 1204، أي ما يعادل نحو 6020 ساكن.

أما الساحل الجنوبي فقد سماه البرتغاليون بالغابة، في حين دعاه مصدر موليبيرا ساحل الكدية، إشارة إلى الكتلة المرتفعة الممتدة من مدينة لكسوس الأثرية جنوباً إلى بني كيسان شمالاً، وتألّف الساحل خلال فترة الحماية من ثلاث فرق هي : الرواض (8 مداشر) المدشر الجديد (7 مداشر) والركادة (6 مداشر). وكان عدد سكانها خلال نفس الفترة 1469 كانون. مما يوافق نحو 7345 ساكن.

وبالجملّة بين تلك التقديرات السكانية نصل إلى أن عدد دور قبيلة الساحل وصل في آخر فترة الحماية إلى 2673 وهو ما يعادل نحو 13.377 ساكن. وبالساحل الجنوبي يوجد سوق خميس الساحل.

وتعد قبيلة الساحل من الجهات التي تضررت بالغزو البرتغالي لمدينتي أصيلا وطنجة، سواء من جهة البر والبحر. ففي الوقت الذي كانت السفن البرتغالية تفرض الحراسة على طول الساحل الممتد من أصيلا إلى مصب واد اللكوس، كان نظام أصيلا الحربي يعد مساحة قبيلة الساحل الشمالي داخلة في حوز المدينة، ولذا هاجر معظم السكان إلى الجهات الجبلية الشرقية وحوز القصر الكبير، جنوب وادي المخازن، خاصة بعد سنة 1500 التي مثلت نهاية الهدنة بين الوطاسيين والبرتغاليين. وجرت العادة أن يقوم البرتغاليون على حراسة أهم مواقع القرى الخالية

بواسطة نصب الطلائع خلال النهار والانسحاب منها في آخره.

ودأب مجاهدو القصر الكبير من جهتهم، تحت قيادة آل عبد الحميد العروسيين، على السبق للتحصن بالمدامر المشرفة على أصيلا بقصد تنظيم الغارات على المدينة وأسر جنود الطلائع. وقد عانت مدامر الساحل الجنوبي بدورها من الغارات البرتغالية، لا سيما بني كيسان والبلاط طوال مدة الوجود البرتغالي بأصيلا إلى غاية الجلاء الأول عنها سنة 1550، مثلما تمت الإشارة إليه في هذه المعلمة.

وسوق خميس الساحل موقعان : قديم وحديث. فالسوق القديم كان بالموضع المعروف حاليا لقرية الركادة، على الضفة اليمنى من مجرى مصب واد اللكوس، وذلك قبل سنة 1489 / 895. وموضعه على الضفة اليمنى من مصب واد اللكوس، (33 م). وقرية من الساحل يعطي الانطباع بدوره في التجارة البحرية والبرية معا.

وما نعرف عنه متصل بالمعركة التي خاضها محمد الشيخ الوطاسي ضد جنود جواو الثاني بعد تسرب قواته إلى قناة واد اللكوس والتوغل بها مسافة لتأسيس القلعة المعروفة في تواريخهم باسم "كراسيوسا" وفي تواريخنا باسم حصن الجزيرة. وقد عرفنا بتفاصيل الغزوة في هذه المعلمة.

اختار محمد الشيخ الوطاسي موضع سوق الخميس القديم بفضل موقعه مركزا لحصار القوات المتسرية إلى الداخل ومنع الإمدادات عنها بطريقة سد قناة المصب المجاورة لسوق خميس الساحل الجنوبي بالعوارض الخشبية والسبل المثقلة بالأحجار والسلاسل الممتدة بين الضفتين.

وإذا كانت كافة المصادر متفقة على سنة غزو جزيرة لكوس، حينما حددتها بسنة 1489 / 895، فإن البعض منها ذكرت أن الغزو وقع في شهر يونيه، ليعرف نهايته بانسحاب الجيش البرتغالي يوم 21 شتنبر 1489 / 25 شوال 895، حسبما هو مبين في رسالة جواو الثاني وحوليات روي دي بينا. وإذا صدقنا محمد الكراسي فإن محمد الشيخ الوطاسي حل بمحلته بسوق الخميس في منتصف شهر غشت (شعبان رمضان)، بعد أن مضى شهران على تحصن البرتغاليين بحصن الجزيرة.

وليس لدينا أي دليل تاريخي يؤرخ لانتقال موقع سوق الخميس القديم إلى موضعه الحالي الكائن بأعلى كتلة الساحل المرتفع (185 م) المعروفة بكدية الخميس أو مدمر الخميس، على مقربة من العرائش شمالا على الطريق المتجهة إلى أصيلا بدائرة المدمر الجديد، بين مدمي قريمة والقيادة.

ونستمد المعلومات عن وجوده إلى ما ذكره مخبر مولييراس حوالي سنة 1309 / 1892، وأتذك أن مدمري الخميس مكانه، مشهوراً بمدرسه القرآنية والعلمية التي ترعاها الجماعة برواتب خاصة للمشارطين والطلبة الوافدين، حيث كان مدرس الفقه يتقاضى نحو 500 فرنك، ويصل

راتب معلم القرآن إلى 250 فرنك وولييه الإمام بنحو 75 فرنكا، ويقيض المعلم الطالب 50 فرنكا.

م. الكراسي، عروسة المسائل : الحسن الوزان، وصف إفريقيا : مارمول كاربخال، إفريقيا : أحمد بن القاضي، لقط الفرائد : محمد العربي الفاسي، مرآة المحاسن : حسن الفكيكي، مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية الغربية، معلمة المغرب، جزيرة اللكوس، بني كسان، البلاط، ضابط الأمور الوطنية الخليفية.

Barbardo Rodrigues, *Anais de Arçila, Geografia de Marruecos* ; A. Moulières, *Le Maroc inconnu*, 2 t. ; P. Cenival, S.I.H.M. Portugal, t. *Expedition de los portugueses al rio de Larache y fundacion de la fortaleza de la Graciosa, Mauritania*, Enero-Junio 1941 ; Rui de Pina, *C. de D. Joao 2* ; Garcia Resende, *C. de D. Joao 2* ; Damiao de Gois, *Cronica de Rei D. Manuel* ; Antonio Baiao, *Documentos do Corpo Chronologico relativos a Marruecos (1488-1514)* ; Fernando de Meneses, *Historia de Tanger*.

حسن الفكيكي

الساحلي، أحمد بن إبراهيم السملالي العباسي، نسبة إلى ثنية آيت عباس من سملالة بموضع يقال له بالأمازيغية "أزور أزرو" ومعناه "سطح الحجر"، وُلد في أواخر العشرينيات من القرن الثالث عشر الهجري بإيكرار، وتلقى دراسته الأولى بالساحل، كعادة أبناء بادية سوس مبتدئاً بحفظ القرآن الكريم وبعد إتمام الحفظ، شرع في حفظ بعض المتون الصغرى قبل أن يلتحق بمدرسة "أدوز" بآيت أحمد شرق مدينة تزنت، وهناك تلقى العلم على يد أحد كبار الشيوخ الأدوزيين وهو السيد العربي بن إبراهيم بن عبد الله اليعقوبي (ت. 1286)، وكان هذا الشيخ ذا فكر وقاد، وعلم راسخ، واستحضر واستذكار، تولى مدرسة أجداده فعمرها أربعين سنة متواصلة.

ولم تفتقر عزيمة المترجم، ولم تقنع همته بما حصله من علم بالمدارس السوسية، وإنما قرر شد الرحال إلى الديار القاسية فحل بالقرويين في مطالع النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م)، فوجدها طافحة بالعلم والعلماء والطلبة النجباء، فجلس إلى حلقات كبار العلماء المحققين، والمدرسين والنظار والأصوليين المدققين، من أمثال : محمد ابن الطالب ابن الحاج (ت. 1274)، وأحمد بونافع الفاسي (ت. 1260)، والفقيه ابن رحمون (ت. 1263)، والفقيه عبد الرحمن الشدادي (ت. 1268)، وغيرهم من كبار علماء القرويين.

عاد المترجم إلى مسقط رأسه فقيها عالما بيانيا منطقيا أصوليا نوازليا، ليتبوأ بهذا التكوين مكانة مرموقة جعلت المختار السوسي يصفه بياقوتة علماء أسرته بل ياقوتة العلماء كلهم بسوس، فتزوج قبل سنة 1260 وصار عالم زاويتهم المحترمة، وملاً بعلمه وسيرته الحسنة الجهة حتى لا يكاد يعلى عليه، ودخل مع زمرة من كبار علماء وقته في حلبة التعاطي للإفتاء في النوازل، وفض المنازعات، فكانت

بينهم صولات وجولات، تجاذبوا فيها أئنة البحث والنقاش والأخذ والرد، والإبرام والنقض.

وللمترجم ولع خاص بنسخ الكتب، إذ كان يوزع وقته في اليرم بين الكتابة والأحكام، يخصص للنسخ النصف الأول من اليوم، وأما النصف الثاني فيخرج فيه إلى الناس للفصل بينهم في النوازل، فيقدم له الموضوع، فيصلي بهم ثم يشرع في الأحكام، ومنهجه في ذلك أنه لا يطيل في الأخذ والرد، وإنما يستمع للطرفين ويصدر الحكم ليسمعه الجميع، حتى صارت هناك بعض الأحكام، لإيجازها واختصارها ووضوحها، محفوظة لدى العوام.

تعتبر الخزانة الساحلية السمالية من أشهر الخزائن السوسية الطافحة بالمخطوطات النوادر. وقد حظي المترجم بمكانة مرموقة عند أولي الأمر، فكان من بين كبار العلماء الذين كلفهم السلطان محمد الرابع بتعبئة المجاهدين واستنفارهم للدفاع عن مدينة تطوان التي دهمها الإسبان سنة 1276 (انظر رسالة موجهة في ذلك إلى أعيان علماء سوس، المعسول، 6 : 266-267).

كما حظي بالتوقير والاحترام من لدن السلطان الحسن الأول، وكان معه وفي ركبته لما أتى في رحلته الثانية إلى سوس، فصار معه إلى وادي نون ثم رجع الموكب السلطاني إلى تزنيت، فبات المترجم في القبة المخصصة لأمثاله من الوجهاء بعد أن صلى العشاء والتراويح، فنام نوما كان فيه موته. وذلك في رمضان عام 1303 / يونيه 1886، ودفن بمقبرتهم في تالمسيت عند ضريح يدعى سيدي أحمد أو أحمد.

وقد ترك المترجم مجموعة من الفتاوى في نوازل مختلفة تم عن جدارته العلمية وتمكنه، وانطباع كل ما وصف به عليه، وهذه الفتاوى منها ما هو منشور في المجموعة الفقهية الإلغية للمختار السوسي، والمدارس العلمية بسوس للأستاذ عمر الساحلي، وفقه النوازل في سوس للحسن العبادي، ومنها ما يزال مخطوطاً متناثراً بين ثنايا الأسفار التي تقاسمها الورثة.

أ. الساحلي نفسه، النوازل، مخطوطة : إدرس الساحلي، روايات شفوية، م. المختار السوسي، المعسول، المحمدية، ج. 6.

إبراهيم الوافي

(251) مقابل باب الكحل الذي "كان منه دخول الموحدين" (ورقات، 304).

السادة (باب -) بمراكش، يقع في الواجهة الغربية من سور حومة الصالحة التي شرع الخليفة الموحد المنصور في تشييدها عام 580 / 1184 م (الاستبصار، 210 : البيان، ق. م. 174) ولا يوجد حالياً في الواجهة المشار إليها. باب يحمل هذا الاسم. والباب الوحيد القديم الموجود بها يحمل اسم باب القصيبة. والإمكانات المرجعية المتداولة تسمح بقبول موقعه كمكان لباب السادة، لكنها غير كافية في غياب البحث الأثري لجعله باب السادة بالذات.

ساهم موقع باب السادة في خريطة المدينة في قيامه بجملته من الوظائف لصالح المخزن الموحد وحاشيته، منها أنه بوابة من بوابات خروجه إلى الجبل، وباب للتواصل مع المدينة المرابطية، ومنه خروجه إلى المصلى (البيان، ق. م. 320-322)، وخارجه جبانة الشيوخ وفيها : مقابر أكابره وجناز الأعيان في نهاية المباني والغراس (ورقات، 303).

يتلخص ما سجلته المصادر المتداولة من أحداث لها علاقة بباب السادة في أخبار ثلاثة : فمنه خرج العالم النحوي أبو موسى الجزولي، رفقة نقيب طلبة العلم عند الموحدين أبي القاسم المالقي، بعد لقائه بالخليفة المنصور (الذيل والتكملة، 8 : 1. 250-251) وعبره أخبر أهل مراكش بولاية الرشيد الخلافة عام 630 / 1233 في وقت كانوا فيه ضد منافسه عليها إدرس المامون (البيان، ق. م. 300). وأمامه أقبر المامون في حفير كبير الناكثين عليه من الموحدين ومن الهنتاتيين والتنمليين عام 626 / 1229 (البيان، ق. م. 285).

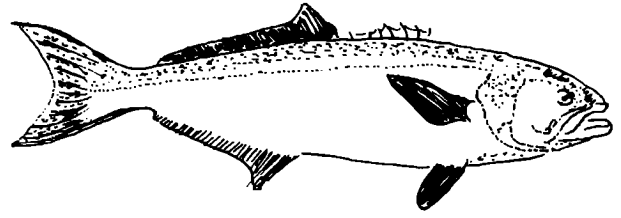
مجهول، كتاب الاستبصار، تح. سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، 1985 : ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، تح. ع. الهادي التازي، بيروت، 1987 : ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الثامن، الجزء الأول، تح. م. بنشريف، الرباط، 1984 : ابن عذاري، البيان، قسم الموحدين، تح. م. إبراهيم الكتاني، م. زنيبر م. بنتاويت ع. القادر زمامة، الدار البيضاء، 1985 : م. المنوني، ورقات عن الحضارة المغربية في عهد بني مرين، الرباط.

محمد رابطة الدين

سَارَكَنَة سمك بحري من الأسماك العظيمة ومن فصيلة بوماتوميدي Pomatomidae. اسمه العلمي السابق Pomatomus saltatrix ويسمى حالياً Temnodon saltator (L. 1766) : يدعى في جنوب المغرب وفي موريتانيا وبالחסانية أشكد وبالفرنسية Bar marocain وTassergal وبالانجليزية Bluefish وبالأسبانية anchova de banco وAnjova وlorcho وsirvia. سركانة هو اسمه الشائع في الأسواق السمكية المغربية، في المعاجم قنبر.

السادة (مصطلح موحد) مفردة السيد، وهو لقب مخزني موحد كان حكراً على أبناء الخلفاء من بني عبد المومن. وفيه مراتب منها : السيد والسيد الأعلى (المن بالامامة، 119-170)، تشير تسمية باب السادة بمراكش إلى إحدى مميزاته التي انفرد بها، وهو أنه كان مخصوصاً ببني عبد المومن إليه ينتهون على خيلهم، وعليه سلسلة أمامها ينزلون" (ورقات، 303) فهو أحد أبواب القصر المفضية إلى ظاهره وخارج مراكش (الذيل والتكملة، 8 : 1.

يعيش نوع واحد من الفصيلة في المياه المغربية وهو سمك بحري سطحي كبير القامة، ظهره رمادي مخضر والجانبان والبطن فضية لامعة، زعانفه الظهرية والشرجية والذيلية خضراء شاحبة مصفرة، تتميز صغاره ببقعة زرقاء واضحة جدا على قاعدة الصدريتين وتكاد تختفي عند الكبار. طوله الأقصى 120 سم وشائع بين 30 - 60 سم ويتراوح وزنه بين 2.5-8 كغم ويبلغ أحيانا 15 كغم. يألف المياه المعتدلة والمرفعة الحرارة ويقتصر توزيعه الجغرافي على السواحل الأطلسية الشرقية الممتدة من خليج قانس إلى إفريقيا الجنوبية والسواحل الأطلسية الغربية وحوض البحر المتوسط والمحيط الهندي.



جسمه ممدد ومضغوط جانبيا، رأسه ضخم وقوي واجهته الظهرية مقنزعة. الفم نهاية للجسم، الفك السفلي بارز؛ الأسنان حادة ومضغوطة مرتبة على صف واحد بالفكين وعلى القوس الفوهي. يحمل الظهر زعنفتين، الأولى قصيرة ومنحدرة، تتكون من 7-8 أشواك ضعيفة ومرتبطة بغشاء، الثانية طويلة، تتكون من شوكة و23-28 شعاعا لينا؛ الصدرتان قصيرتان لاتبلغان إلى مصدر الظهرية الرخرة؛ الشرجية أقصر بقليل من الظهرية الهشة وتتكون من شوكتين و23-27 شعاعا لينا. الذيلية متشعبة قليلا. الحراشف صغيرة، تغطي الرأس والجسم وقاعدة الزعانف؛ الخط الجانبي مستقيم تقريبا.

سمك قوي وسريع السباحة، نهاري النشاط بالخصوص. يعيش الكبار منعزلين أو في مجموعات قليلة الأفراد فوق الهضبة القارية وفي أعماق تنحصر بين 10 - 200 م. يقترب كثيراً من السواحل المغربية في فصل الصيف ويتوالد في الربيع والصيف. يبقى البيض سابحا في الكتلات المائية السطحية.

يتكون غذاؤه من الرخويات والقشريات والأسماك الصغيرة وتصيد الصغار وسط مجموعات وتفترس غالبا أنواع البوري والسردين والإسقمري والشرن والشابل والبيبتيت وغيرها من الأسماك السطحية كما أنها تخلف خسائر كبيرة في الثروات السمكية إذ تفتك بعدد كبير من الأفراد يفوق حاجيات أكلها.

صيده في المغرب شبه صناعي وتقليدي ورياضي. ومن أهم معدات الصيد المستعملة في صيده: الشباك الحلقية الساحلية، الشباك المزودة بالإتارة، الشباك المستقيمة العميقة والساحلية، شباك الجر العميقة، الصنابير اليدوية والمجرورة وشباك الحواجز. وجوده موسمي أو عن طريق الصدفة في الأسواق السمكية المغربية. يستهلك طريا ومبردا ومجمدا وتستعمل منه كمية كبيرة في صناعة التصبير (Conserve) يكثر الإقبال عليها من قبل المستهلكين للأسماك المعلبة.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988؛ المجلد أمين، معجم الحيوان، القاهرة، 1932؛ المنظمة العالمية للتغذية، دليل تعريف الموارد البحرية الحية في المغرب، روما، 1998.

محمد رمضان

ساسى، أسرة سلوية عريقة، أنجبت فقهاء وحرفيين ماهرين ورياساً في البحر. وقد أورد ابن زيدان في الإتحاف (3: 353) نص ظهير للسلطان محمد بن عبد الله بتوقيع أولاد ساسى السلويين وإسدال أودية الاحترام عليهم مؤرخ في ثاني شعبان عام 1172. وذكر المؤلف من بين نظار هذا السلطان بسلا العربي ساسى المتوفى في نفس السنة (1172 / 58 - 1759) وابن أخيه محمد بن محمد ساسى الذي وكى بعده نظارة أوقاف المسجد الأعظم، وأثبت أيضاً نص وثيقة شرائه الموطأ للمسجد من الفقيه الطاهر بن علي ابن عبد السلام، تاريخها ثاني عشر جمادى الثانية عام 1274.

واشتهر الساسيون السلويون في القرن الثالث عشر (19 م) كرياض وصناع ماهرين في إصلاح السفن، منهم مصطفى ساسى الذي كان في أواخر هذا القرن بحرياً وفي نفس الوقت صانعاً يصلح القوارب بمختلف المراسي. والحسن ابن محمد ساسى الذي كان بحرياً، ومولعاً بجمع الوثائق والصور التاريخية؛ ومحمد بن الحسن ساسى الذي ورث عن والده مجموعة الوثائق والصور، وأضاف إليها تحفاً متنوعة خاصة أنواعاً من الساعات الحائطية (المجانات) التي تستهوى المهتمين بمثل هذه الذخائر الفنية فيترددون على بيته يحي باب حسانين، ومن بينهم فرنسيون في أوائل عهد الحماية.

ع. ابن زيدان، الإتحاف، ط 2، الرباط، 1990، ج 3: 355.
356؛ م. بوشعراء، ذيل الإتحاف الوجيز، ط 2، الرباط، 1996.
ص. 262، 263؛ م. بن الحسن ساسى، تقييد، مخطوط، خ.
ص: رواية شفوية عن الحاج عبد الله الطنجي.

ابن ساسى، عبد الله البوسعي، صوفي كبير أخذ عن الشيخين عبد الله الغزواني وعلي بن إبراهيم

البوزيدي. وأكثرُ أخذَه عن الغزواني وإليه ينسب. قال عنه العربي الفاسي في *المرآة* : "كان من أكابر المشايخ الأعيان، وجلة المشاهير من أهل هذا الشأن".

أسره البرتغاليون بمدينة أزموور لما احتلوا وأفتكه المسلمون فخرج منها حاملاً على رأسه قفة مملوءة بالكتب العربية أعطته إياها أسرته النصرانية. وكان ابن ساسي - كسائر شيوخ الشاذلية الجزوليين في عصره - منصرفاً إلى الجهاد وتربية المريدين وتهذيب أخلاقهم وسلوكهم.

توفي ليلة الجمعة 26 شعبان عام 961 / 26 يوليو 1554 ودفن بزوايته على ضفة واد تنسيفت بمقربة من مراکش. وقبره مزارة شهيرة.

م. ابن عسكر، *دوحة*، تح. م. حجي، الرباط، 1976 : م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجر فاس، 1324 هـ : ع. الرحمن الفاسي، *أزاهر البستان*، مخطوط : م. الحضيكي، *طبقات الحضيكي*، تح. أبو مزكو، د. د. ع. مرقون بكلية الآداب، الرباط : ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977، ج. 8.

محمد حجي

ساعي، محمود، مقاوم من مواليد سنة 1935 بگلميم انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 كسائق بمركز القيادة العليا بگولمين تحت قيادة محمد البيضاوي وقد كان من الأعضاء النشطة في صفوف جيش التحرير حيث شارك إخوانه المجاهدين في جميع المعارك التي حاضتها وحدث الجيش بوادي الصفاء وأم العشار ومرگالة، وكذا معارك أيت باعمران.

توفي في 9 ذي الحجة عام 1415 / 9 ماي 1995.

المدنية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 514486.

الساقية الحمراء منطقة بالصحراء المغربية تستمد

اسمها من واد ينبع من زمور ويتجه من الشرق نحو الغرب الشمالي ليصب في المحيط الأطلسي. هذا الوادي جاف في معظم السنة نظراً لقلّة الأمطار، ولكن هذا لم يمنع من وجود آبار كثيرة ومراع خضبة، كما تعرف ضفاف الوادي زراعة حبوب ولو بشكل ضعيف وهو ما جعل منه منطقة استقطاب بالنسبة للرحل. وفي الذاكرة المحلية : كانت الساقية الحمراء في عهود سابقة مكاناً خصبا وكانت تسمى بالساقية الخضراء (Tâlib al-Hiyâr, p. 74).

أمّا عن موقع المنطقة فهي تقع في الجزء الشمالي من الصحراء، وكتب أحمد الأمين الشنقيطي في "باب الكلام على الساقية الحمراء" : "أنها أرض مشهورة، وهي آخر شنقيط من جهة واد نون، وتبعد عن شنقيط عشرين يوماً بالسير الحثيث"، (الوسيط، ص. 438). فمنطقة الساقية الحمراء كما حددتها الاتفاقيات الموقعة بين القوتين

الاستعماريّتين فرنسا وإسبانيا، وآخرها كان سنة 1912، تقع بين خطي عرض 26 و27.40. وتبلغ مساحتها حوالي 82000 كلم². وقد تغيرت هذه الحدود حسب التقسيمات الإدارية اللاحقة منذ عودة الإقليم إلى حظيرة الوطن سنة 1975.

تعدّى صيت اسم الساقية الحمراء حدود المناطق المجاورة لينتشر في أرجاء شمال إفريقيا حتى تونس. فقد أشار دولاشبيل في الثلاثينيات من القرن العشرين إلى هذا الحضور القوي في ذاكرة سكان المغرب والجزائر للساقية الحمراء كأصل لأولياء تملأ أضرحتهم هذا المجال (P. de La Chapelle, F. p. 47 ; Dakhli, J., 183). كما كتبت جوسلين دخيلة في دراستها لمنطقة الجريد بتونس : "تعتبر الروايات الشفوية الساقية الحمراء كمكان لإعادة بناء حقيقية للإسلام". وقد لاحظنا بأنفسنا هذا الحضور للساقية الحمراء في ذاكرة العديد من المغاربة من تونس والجزائر الذين ما أن تذكر لهم اسم هذه المنطقة حتى يقاطعوك بحماس إن أصولهم من الساقية الحمراء حسبما تناقلته الرواية الشفوية المحلية لديهم، فأغلب هؤلاء ينتمون لعائلات متدينة.

ولمّا رجع أبو بكر بن عمر اللمتوني إلى الصحراء بعد أن ترك يوسف ابن تاشفين في أغمات، صحب معه جيشاً وبعض الفقهاء" فلما وصل الجيش إلى جبل الأحامديات ولأماء معه ضرب الولي عبد الرحمان - حسب الرواية الشفوية - موضع حافر فرسه بقوسه فتفجر الماء من ذلك الموضع وسمي الركاز، وهو الذي يشكل منبع الساقية الحمراء، ويذكر الطالب اخيار ابن الشيخ ماء العينين أن الأهالي كانوا يعتقدون أنه دفن في الساقية الحمراء ثلاثة أنبياء ناهيك عن العدد الكبير من أولياء الله الصالحين الذين مازالت أضرحتهم تزار (Tâlib al-Hiyâr) إلى هذه الروايات المحلية الخصبية تضاف تحاليل بعض الباحثين مثل ما قام به جاك بيرك الذي اعتبر في إطار تحليله لظاهرة القداسة وانتشار الحركات الصوفية والطرقية في شمال إفريقيا أن الساقية الحمراء مصدر هذه الظاهرة، ويؤرخ لبداية أسطورة الساقية الحمراء بأواسط القرن الخامس (11م) والنصف الثاني من القرن السادس (12 م). فهو يعتبر أن المد الصوفي والطريقي بمثابة رد فعل القبائل المحلية ضد البدو الهلاليين القادمين من الشرق. فالساقية الحمراء كانت أقصى منطقة في المغرب وصلها الإسلام - في نظره - (Berque, J., p. 54).

لم يتوقف البعد الديني عند هذه الحقبة التاريخية. فالساقية الحمراء ظلت نواة القداسة بكل تجلياتها. فالعديد من القبائل الزوايا تعتبر الساقية الحمراء موطنها الأصلي وانطلاقاً أجدادها المؤسسين مثل تشمشة الموجودة حالياً بغرب موريتانيا وكننة المنتشرين عبر غرب الصحراء وأهل الطالب مختار دون أن ننسى الروايات التأسيسية لكل من

أبي سالم والاهتمام بدعوته فاضطر إلى مغادرة مازيغن في اتجاه أصيلا ليجد هناك تأييداً كبيراً بين قبائل غمارة. ويفضل تكتل هذه القبائل وراء دعوة أبي سالم انطلقت حركة هذا الأخير في اتجاه مدينة فاس وتمكن خلال ذلك من استقطاب قبائل أخرى والاستيلاء على مدينة أصيلا. كما انضمت إلى دعوته مدن أخرى كطنجة وسبتة وجبل الفتح. وحتى يعطي الانطباع لمؤيديه ومعارضيه على السواء بأن المناطق الشمالية أصبحت خاضعة له وبأنه الأحق من غيره بالحكم، انشأ حكومة مصغرة استوزر فيها الحسن بن يوسف واستكتب لعلامته أبا الحسن علي بن السعود واختص الشريف أبا القاسم التلمساني بالمجالسة والمواكبة. وقد دفعت هذه التحولات الوزير المستبد بفاس الحسن بن عمر إلى إدراك مدى خطورة حركة أبي سالم وأن إمكانية السيطرة على الوضع أصبحت مستحيلة، كما أن تشبته بالسلطان الطفل أبي بكر السعيد لن يحول دون استمرار زحف الأمير الثائر، ولذلك اضطر إلى فتح قنوات الاتصال مع أبي سالم وتأييد دعوته ووعده بمبايعته وعزيمه على خلع سلطانه السعيد.

لم يعد لأبي سالم أي منافس قوي يمكن أن يقف دون تحقيق أهدافه السياسية، فحتى المعارض الآخر الأمير منصور بن سليمان انفض الناس من حوله وتخلي عنه مؤيدوه ونزعوا إلى أبي سالم ودخلوا في طاعته، وعندما خلا له الجو وانعدم المنافسون أسرع بحجوده نحو مدينة فاس التي استقبله بها الوزير الفودودي وبايعه بعد أن خلع سلطانه أبا بكر لتسعة أشهر من ولايته وأسلمه إلى عمه أسيراً، ودخل أبو سالم البلد الجديد يوم الجمعة منتصف شعبان من سنة 760 / 12 يوليوز 1359 واستولى على ملك المغرب وهو في عنفوان شبابه لم يتجاوز بعد سن السادسة والعشرين. دشن السلطان أبو سالم حكمه بنهج سياسة متشددة تجاه خصومه ومعارضيه، فبادر بإبعاد الوزير الحسن بن عمر إلى مراکش وتعيينه والياً عليها ثم قتله بعد ذلك، كما سعى جاهداً إلى مطاردة ما تبقى من منافسيه الأمراء مثل منصور بن سليمان الذي تم القبض عليه ببإداس واقتيد إلى فاس مع ولده علي وأعدما معا آخر شهر شعبان من سنة 760 / 27 يوليوز 1359. ولكي لا يترك أية فرصة لأي منافس محتمل لم يتورع في قتل حتى القاصرين من الأمراء كما فعل مع الأمير محمد بن أبي يفلوسن ابن أخته تاحضرت الذي قتله وهو في حجرها. وفي نفس الاتجاه جمع الأبناء والقرابة من ولد أبيه وعمه وهم حوالي عشرين أميراً من بينهم السلطان المخلوع أبو بكر السعيد ونفاهم إلى رندة بالأندلس تحت حراسة مشددة غير إن اثنين من هؤلاء أفلتا من الحجز ولحقا بأعمامهما بغرناطة وهما عبد الرحمن بن علي أبي يفلوسن ومحمد بن أبي عبد الرحمن ثم توجهها بعد ذلك إلى إشبيلية واستقرا بها تحت حماية ملكها بيدرو الأول، أما

أبو سالم المريني، إبراهيم بن أبي الحسن علي بن أبي سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني. تولى حكم دولة بني مرين في فترة حرجة اتسمت بالاضطرابات السياسية نتيجة الصراع على الحكم بين الأمراء وذلك مباشرة بعد وفاة السلطان أبي عنان سنة 1358/759. وكان أبو سالم هذا قد نفي في عهد أخيه السلطان أبي عنان إلى غرناطة مع بعض إخوته حيث استقر الجميع هناك تحت مراقبة أبي الحجاج يوسف بن الأحمر وذلك تفادياً لخوجهم عليه واتقاء قمردهم عليه. وبعد ما تمكن أبو عنان من زمام الأمور في المغرب حاول إعادة أخيه إلى المغرب ليكون تحت نظره إلا أن صاحب غرناطة رفض دعوة أبي عنان مخافة استعمال هذا الأخير لأبي سالم ضده. وعند وفاة أبي عنان طغت من جديد مشكلة الخلافة خاصة وأن أغلب أولاده كانوا قاصرين مما شجع وزيره وقاتله الحسن بن عمر الفودودي على الاستبداد بالسلطة وتعيين أحد الأطفال من أولاد أبي عنان وهو الأمير السعيد بالله أبو بكر، سلطاناً على البلاد. وقد ساهم هذا الحدث في بروز معارضة قوية للوزير ولسياسته الاستبدادية تزعمها بعض أمراء بني مرين كمنصور بن سليمان، وتمكن بعض هؤلاء من مراسلة الأمير أبي سالم ودعوته إلى المغرب.

اعتبر أبو سالم المنفي بغرناطة أحد أبرز المرشحين في الصراع حول الحكم، وبدأ حملته بالاتصال بالحاجب رضوان مدير دولة ابن الأحمر وطلب منه مساعدته في مسعاه. وبعد رفض الحاجب تمكن أبو سالم من الفرار ليلاً واللجوء إلى إشبيلية عند ملك قشتالة بيدرو الأول المعروف بيدرو القاسي Pedro El Cruel وأطلعه على رسالة استدعائه من المغرب وطلب منه مساعدته في الجواز إلى بلاده. لم يضيع صاحب قشتالة هذه المناسبة بل اعتبرها فرصة ذهبية للتدخل من جديد في شؤون المغرب وتأجيج الصراع بين أمراء بني مرين أعدائه، لذلك وافق على مساعدته وجهز له أسطولاً حربياً مقابل شروط.

تركز الأخبار في رحلة عودة أبي سالم إلى المغرب على المطابع البطولي الذي طبع محاولاته لحشد المساندين والمؤيدين لحركته، فحط في أول الأمر بمنطقة مازيغن من أحواز أزموور حيث أقام مدة يدعو لنفسه، إلا أن انشغال الناس هناك بتطورات الصراع بين السلطان أبي بكر السعيد والغالب على أمره وزيره الحسن بن عمر من جهة والأمير الثائر منصور بن سليمان المدعوم من صاحب تلمسان من جهة أخرى، ساهم إلى حد كبير في عدم الاضغاء لتطلعات

الباقون فقد أغرقوا في عرض البحر على يد قائد الأسطول المريني أبي القاسم بن أبي بكر بن بنج بإيعاز من السلطان أبي سالم نفسه وذلك عندما كانوا متوجهين إلى المشرق. وبالرغم من هذه الصورة القاتمة عن شخصية أبي سالم فإن بعض المؤرخين كلسان الدين بن الخطيب المقرب جدا من السلطان ذكر ما يخالف ذلك ووصف خادمه بأنه "كان بقية البيت وآخر القوم دماثة وحياء، ويُعدّ عن الشر وركونا للعبودية" (الإحاطة، 1 : 310). وبالموازاة مع هذه السياسة اهتم أبو سالم بتقوية حاشيته وإسناد أمور الدولة إلى مقريه ومساندي حركته، وهكذا استوزر مسعود بن رحو بن ماساي والحسن بن يوسف البورتاجني. وولى الحجابة لأحد خواص أبيه الفقيه والخطيب أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق وجعل للمؤرخ الكبير عبد الرحمن بن خلدون التوقيع وكتابة السر. ولتدعيم موقعه السياسي في مواجهة المعارضين والخصوم تابع أبو سالم سياسة أسلافه الهادفة إلى الاهتمام بالفعاليات الاجتماعية والفكرية التي كان لها تأثير واضح على العلاقة بين السلطان والمجتمع، ومن ذلك اعتناؤه الكبير بالشرف والأشراف فمنحهم الامتيازات والإكرامات ونفى جرايتهم وأجرى لهم الأرزاق تقريبا منهم ووعيا منه بأهمية دورهم المعنوي في تلميح صورته وإضفاء الشرعية على حكمه. وفي نفس الاتجاه اهتم كذلك بتنشيط المجالسة العلمية واستطاع أن يجمع حوله كبار علماء عصره وخيرة مثقفيه من أمثال ابن الخطيب وابن مرزوق وابن خلدون وابن رضوان وابن الأحمر الذين طبعوا بقوة مسار الثقافة المغربية بإبداعاتهم الأدبية والتاريخية. ويكفي أن نشير هنا إلى أن كثيراً من هذه الإبداعات ألفت باسم هذا السلطان ويطلب منه ومن ذلك : كتاب الشهب اللامعة في السياسة النافعة لابن رضوان وعمل من طب لمن حبّ وهو كتاب ضخّم في الطب لابن الخطيب، وكتاب رقم الحلل في نظم الدول لابن الخطيب أيضاً، ثم رسائل وأشعار كثيرة نظمت في شخص أبي سالم وأعماله. أما على المستوى الخارجي فقد حاول أبو سالم التكيف مع الظرفية السياسية التي كانت تحيط بالمغرب والتعامل معها بنوع من الحيطة والحذر من خلال تنشيط علاقاته بالدول المجاورة وتجنّب بلاهه المواجهات العسكرية مع أي طرف منها.

فعلى الواجهة الأندلسية لعب أبو سالم على التناقضات السياسية الداخلية المتفاقمة بين أمراء غرناطة حيث استقبل بحفاوة الأمير المخلوع الغني بالله محمد بن يوسف بن الأحمر واستضافه ثلاث سنوات من سنة 760 / 1359 إلى سنة 763 / 1362 مستعملاً إياه كورقة ضغط في نزاعه مع بني الأحمر. ونظراً لدور ملك قشالة بيدرو الأول في مساعدة أبي سالم في الاستيلاء على عرش المغرب، حاول هذا الأخير عدم الدخول في أي نزاع سياسي أو مواجهة عسكرية مع قشتالة أو حتى مع منافستها أراغون،

وتوضح بعض الوثائق الدبلوماسية المتوفرة حتى نـ ... العلاقات بين المغرب والممالك المسيحية الإسبانية كانت على العموم هادئة ولم تشبها توترات أو نزاعات يمكن أن تؤدي إلى اصطدام عسكري بين الطرفين خاصة بعد أن رفع المغرب يده منذ زمن عن الأندلس ولم يعد يتدخل في مشاكلها. كما نشطت البعثات والسفارات الدبلوماسية وأكدت على ضرورة التقيد بما يتم الاتفاق عليه من شروط المهادنة والسلم.

أما في الجبهة الشرقية فقد شهدت العلاقات بين تلمسان وفاس منذ البداية نوعاً من التوتر نتيجة استفزازات بني عبد الواد المتكررة ضد المغرب الشيء الذي جرّ أباً سالم إلى القيام بغزو تلمسان في منتصف سنة 1360/761 ودفع أميرها أبي حمو بن يوسف الزياني إلى الكف عن التدخل في شؤون المغرب، وبعد ذلك اضطر الطرفان إلى عقد معاهدة سلم بينهما. وقد ساهم هذا المعطى الجديد في تهدئة منطقة إفريقية وسمح لأبي سالم بإعادة كل من الأميرين اللاجئين بالمغرب إلى ملكهما، الأمير أبو العباس إلى قسنطينة والأمير أبو عبد الله إلى بجاية.

وفي إطار العلاقات بين المغرب وبلاد السودان فقد أشارت المصادر إلى أهميتها وتميزها، وتوقفت كثيراً عند طابعها السلمي وتبادل الهدايا بين الطرفين خاصة تلك الهدية الثمينة التي بعثها ملك مالي ماري جاطة إلى أبي سالم سنة 762 / 1361 والتي أثارت إعجاب المؤرخين بما تحتويه من تحف ونوادير على رأسها حيوان الزرافة الذي لم يشهد له المغاربة حتى ذلك الوقت مثيلاً وأججت قريحة الشعراء فنظموا فيها قصائد مشهورة.

عرف عن أبي سالم ميله الشديد إلى علم القضاء بالأحكام النجومية واشتغاله بألة الاسطرلاب تحت تأثير ونظر أستاذه وطبيب قصره أبي الحسن المراكشي المشهور بإجاداته لعلم التنجيم. ولعل انصراف السلطان الشاب إلى الاهتمام بهذا العلم واشغاله به وقلة خبرته وتجربته في الحكم ودسائسه جعلته يهمل أمور السياسة ويترك شؤون دولته لحاشيته خاصة لحاجبه ابن مرزوق الذي أصبح مستبداً بالسلطة متمكناً من هوى السلطان، فجلب ذلك عليه عداوة كبار الدولة واستاءوا من حظوته لدى السلطان وتصيير زمام الدولة إليه. وكان من أبرز الساخطين على هذا الوضع الوزير عمر بن عبد الله بن علي بن سعيد الياباني الذي انقلب على سلطانه أبي سالم واستولى على دار الملك بمساعدة حليفه غرسية بن أنطون غرسية قائد الميليشيا المسيحية الإسبانية في شهر ذي القعدة من عام 762 / سبتمبر - أكتوبر 1361. وقد دعا الشوار لأخ السلطان أبو عمر تاشفين بن أبي الحسن المعتوه وبايعوا له وخلصوا عليه مكان أبي سالم، فاندلعت بذلك الفتنة وعمت الفوضى مدينة فاس وكثر فيها النهب والقتل، وازدادت عزلة السلطان المخلوع وفشلت كل محاولاته في استعادة ملكه

خاصة بعد فرار الناس من حوله وتخلي المؤيدين والمقربين عن نصرته. فترى المتمردون به وتمكنوا من اعتقاله بضواحي فاس، وذبحه أحد جند النصارى بإيعاز من الوزير المتمرد وذلك يوم الخميس 21 من ذي القعدة سنة 762 / 22 شتنبر 1361 ومثل برأس السلطان ودفنت جثته بعد ذلك بالقلعة خارج باب الجيسة بأعلى جبل العرض المعروف بجبل الزعفران.

ملعبة الكفيف الزرهوني، تح. محمد بن شريفة، المطبعة الملكية، الرباط، 1987، ص. 193؛ الجزائري، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، المطبعة الملكية، الرباط، 1991، ص. 29-30؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح. محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975، ج. 1، ص. 303-310؛ ج. 2، ص. 21-22-27-29-39-41-306؛ ج. 3، ص. 117-499؛ ج. 4، ص. 452-455؛ نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تح. أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ج. 2، ص. 81-101-121-130-162-163-172-177-184-185-215-220-230-237-240-278؛ اللوحة البدرية في الدولة النصرانية، دار الافاق الجديدة، بيروت، 1978، ص. 114-117-118؛ ربحانة الكتاب ونجوة المتاب، تح. محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980-1981، ج. 1، ص. 10-37-101-289-294؛ ج. 2، ص. 89-92؛ ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح. ماريا جيسوس بيغرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص. 154؛ ابن الأحمر، روضة النسر في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، 1962، ص. 30-31؛ النفحة النصرية واللمحة المرينية، تح. عدنان محمد آل طعمة، دار سعد الدين، دمشق، 1992، ص. 56-58؛ ابن رضوان، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تح. علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1984؛ ابن خلدون، العبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968، ج. 6، ص. 417-565-566-570-851-852؛ ط. 1978، ج. 7، ص. 259-261-306-632-397؛ التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، (ذيل الجزء السابع من كتاب العبر) دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، ص. 862-871-894-895؛ يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزائر، 1903، ج. 2، ص. 62-82-89-92-123؛ التنسي، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان، تح. محمود بوعباد، الجزائر، 1985، ص. 135؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1974، ص. 83؛ المقري، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج. 5، ص. 31-40-84-89-95-99-100-404؛ ج. 6، ص. 13-24-173؛ ج. 7، ص. 151-154؛ أزهار الرياض في أخبار عياض، صندوق إحياء التراث الإسلامي، الرباط، 1978، ج. 1، ص. 65-66-193-196-203-207-270-271-275-286؛ ج. 2، ص. 170-173؛ الناصري، الاستقصا لأخبار دول

المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955، ج. 3، ص. 186-187؛ ج. 4، ص. 7-40؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام بين حل مراكش وأغصان من الأعلام، الرباط، ط 2، 1993، ج. 1، ص. 176-177؛ محمد القبلي، مساهمة في تاريخ التمهيدي لظهور دولة السعديين، مجلة كلية الآداب، الرباط، العدد 3، 4، عدد مزدوج، 1978، ص. 15-17-30-32؛ عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مطبعة فضالة، المحمدية، 1988، ج. 7، ص. 99-102-147-149؛ رشيد السلامي، وثائق مرينية، دراسة وتحقيق، رسالة جامعية مرقونة نوقشت بكلية الآداب، الرباط، 1989، ص. 290-318.

Mas-Latrie, *Traité de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale du moyen âge*, Paris, 1866, pp. 329 - 330 ; S.M. Alarcón y R. Garica Linares, *Los documentos arabes diplomaticos del archivo de la Corona de Aragón*, Madrid - Grenade, 1940, pp. 224 - 225, 231 ; Ch. E. Dufourcq, *Catalogue chronologique et analytique du registre 1389 de la chancellerie de la couronne d'Aragon, intitulé "Guerre sarracénorum 1367 - 1386"*, (1360 - 1386), in *Miscelanea de Textos Medievales*, Barcelona, 1974, Tome 2, pp. 68, 71 - 72 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986, pp. 168, 173 - 174, 209 - 213, 167, 302.

رشيد السلامي

سالم، محمد بن عبد الفتاح العلوي

الصحراوي. ولد حوالي سنة 1322 / 1904 بالساقية الحمراء، بعد ورود والده على الشيخ ماء العينين. أخذ العلم على يد مجموعة من أساتذة أسماطة من بينهم محمد بابا والشيخ النعمة ومحمد محمود البيضاوي خال الباشا الشهير بتارودانت. والحضرمي بن الشيخ أحمد، حفيد الشيخ محمد فاضل بن مامين، والد المحفوظ، ومحمد بن عبد العزيز بن حاتم وماء العينين بن العتيق والشيخ سيديا بن حمادو بن سليمان وأب بن عبد الله من قبيلة آل بوحيين وغيرهم.

هاجر مع الشيخ ماء العينين إلى تزنيت. وظل ينتقل عبر عدد من المناطق السوسية في كردوس ووجان وآيت الرخا ومراكش إلى أن توفيت زوجته نحو سنة 1358 / 1939. فرجع إلى الصحراء. وبقي بها إلى أن توفي في نواحي طانطان نحو سنة 1364 / 1944.

خلف أشعاراً غزيرة في أغراض متنوعة، وخاصة في المديح النبوي ومن أشهر أمداحه النبوية ميميه مشهورة طبعت بسلا سنة 1358 / 1939 تحت إشراف الأديب عبد الرحمن حجي مطلعها :

وقفت أبكي ودمع العين ينسجم ونار شوقي في الأحشاء تضطرم
عنوانها مجمع العرفان في مدح نبي عدنان في مائه وعشرين بيتاً.

كما له أشعار متنوعة في مدح الشيخ ماء العينين وبعض أدياء وعلماء سوس. ومطارحات ومراسلات شعرية مع كثير من شعراء إلخ. أوردتها المختار السوسي في كتابه للمعسر (ج 3، ص 36).

م. المختار السوسي، المعسول، ج. 3، ص. 36؛ م. الظريف، الحياة الأدبية في الزاوية المعينية، د. ع. ع. مرقونة بالرباط، 1986. محمد الظريف

سالم (محمد -) ولد محمد ولد عبد الله. مقاوم وكُد بقبيلة أولاد دليم فخدة لوديكات بوادي الذهب سنة 1920 / 1338، وعُرف بإخلاصه وتفانيه من أجل الوحدة الترابية حيث ساعد بكل ما لديه من مال وزاد، وجعل منزله ملجأً لأفراد جيش التحرير ونقطة لانطلاق الهجومات على معسكرات العدو الإسباني بل إنه انضم إلى أفراد جيش التحرير سنة 1956. شارك في عدة معارك كمعركة العركوب ووادي الشيايف إلى أن استشهد برصاص العدو الإسباني بمعركة لكالات سنة 1957 / 1377. المنووية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 506912.

ابن سالم، الوالي بن محمد لين. مقاوم من مواليد سنة 1922 / 1340 بالساقية الحمراء انخرط في صفوف جيش التحرير بالمقاطعة الثالثة عشر بمركز آيت باعمران تحت قيادة بن المختار سنة 1956. وبقي يعمل في صفوفه بكل نزاهة وإخلاص حيث شارك في عدة معارك أبان فيها عن شجاعة نادرة كمعركة تاكراكة ومعركة تالوين وأخيراً معركة آيت باعمران التي استشهد فيها سنة 1957 / 1377. المنووية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 505367.

السالمي، أسرة تطوانية تنسب إلى ريع بني سالم من قبيلة الحوز (مجنّسة قديماً). وعلى تراب هذه القبيلة بنيت مدينة تطوان. ومازال السالميون في تطوان حتى اليوم. وهناك أسرة السالمي الفاسية، وتعد من أقدم بيوتات فاس، لكن لم يتعرف مؤلف إزالة الالتباس على أصلها، وذكر أنهم أهل معاش وحرفة، أطلع على ذكرهم في حوالة فاسية مؤرخة في عام 956 هـ، وكانت لهم عرصة بحومة اللرنج أسفل الزيات.

ع. السلام ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون، 2 : 173؛ م. داود، عائلات تطوان، مخطوط، المؤلف.

السالمي، أحمد بن محمد بن علي الفاسي

المراكشي، ابن فقيه مراكش ومفتيها محمد بن علي آبي الترجمة. كان مثله متضلعا في فروع المالكي وأصوله. متوليا كذلك خطة الفتوى في مراكش سنين عديدة موسعا عليه في الرزق، له معارضات ومحاورات فقهية مع قاضي مراكش عيسى السكتاني صاحب الفتاوي الشهيرة.

وصف الإفراني أحمد السالمي في الصفوة بقوله : "من أهل الرسوخ في العلوم، ومن أهل البراعة في المعقول والمنقول" ومن تلاميذه الأمير يحيى بن عبد الله بن سعيد الحاحي الذي أنجد زيدان بن أحمد المنصور في مراكش وحكم السوس الأقصى سنين عديدة.

توفي أحمد السالمي في منتصف ذي العقدة عام 1040 / منتصف يونيه 1631.

ع. التمارتي، الفوائد الجمّة، مخطوط؛ م. الإفراني، صفوة، ط. حجر فاس د. ت. ص. 110؛ م. الحضيكي، طبقات، تح. أ. بومزكو، مرقون؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1974، ج. 2: 307-308؛ م. حجي، الحركة الفكرية، المحمدية، 1978، ج. 2: 390.

السالمي، محمد بن علي من الفقهاء الفاسيين الذين انتقلوا إلى مراكش حاضرة السعديين في منتصف القرن العاشر (16 م) واستوطنوها حتى الوفاة. رفيق الشيخ أحمد المنجور في الأخذ عن الامامين محمد اليبسنيثي وعبد الواحد الونشريسي وغيرهما من كبار شيوخ الحاضرة الادريسية، وذكره المنجور في فهرسه من الشيوخ الذين ذكروهم واستفاد كل من صاحبه، ووصفه بالفقيه النحوي العددي الفرضي.

وقد سبق قلم أحمد ابن القاضي في الجذوة فسمى المترجم محمد بن أحمد السالمي، وتبعه في هذا الإفراني والقادري وابن إبراهيم (انظر ملاحظتنا في الحركة الفكرية، 2 : 379).

ولي خطة القضاء والفتوى في مراكش إلى أن توفي بها عام 1002 / 93-1594 على الأرجح.

أ. المنجور، فهرس، تح. م. حجي، الرباط، 1976، ص. 79؛ أ. ابن القاضي، جذوة، ط. حجر فاس، 207-208؛ م. الإفراني، صفوة، ط. حجر فاس، د. ت. ص. 100؛ م. القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 3: 1069؛ م. الحضيكي، طبقات، تح. أ. بومزكو، مرقون؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1974، ج. 5: 187؛ م. حجي، الحركة الفكرية، المحمدية، 1978، ج. 2: 379.

السالمي، محمد، لم يذكر القادري في النشر اسم والده، وإنما وصفه بالأستاذ الناصح القاطن بالمدة المصباحية بفاس، وذكره ابن إبراهيم في الإعلام ووصفه بالأستاذ المقرئ الصالح الناصح.

توفي بفاس عام 1123 / 1712.

م. القادري، نشر الثاني / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996،
ج 5، 1944؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1974، ج 5؛
187.

محمد حجي

والمشروبات كالشاي والقهوة تستعمل السالمية في عدة مجالات من التطبيب التقليدي. فهي عشبة مطهرة ومسخنة للجسم، ومفيدة لتزايد حليب الأم. ومعالجة لأمراض الفم ولهذا سميت بسواك النبي. كما يعتقد البعض أنها تزيل الخجل فسميت بالمفصحة.

- من أهم الأنواع المغربية من هذا الجنس نذكر :

- سالفيا أو شيري *Salvia aucheri* وهي جنبة قيسية فضية اللون تصادف في فرجات الغابات التي تكسو الجبال المتوسطة الارتفاع من الجزء الشرقي للأطلسين المتوسط والكبير.

- سالفيا إنتربتا *Salvia interrupta* وهي جنبة قيسية جد نادرة تتميز بأوراقها المفصصة. لا توجد إلا في الجزء الغربي من الريف الكلسي وفي منطقة هضاب حاحا وإداوتانان من الأطلس الكبير الغربي.

أبحاث شخصية.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Paris, 2000, 360 p. ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997, 764 p.

زينب بنرحمون وعبد المالك بنعبيد

السَّامِي، العربي مقاوم وُلد في المدينة القديمة

بالدار البيضاء سنة 1905/1323. مرَّ من مرحلة الكتاب. اشتغل سائقاً بالقصر السلطاني. ثم أدار مؤسسة لتعليم سباق السيارات. انتمى لحزب الاستقلال وانخرط في العمل المسلم بعد انضمامه لمنظمة الهلال الأسود للمقاومة، فكان أحد قادتها الأربعة الذين ترصد لهم أفراد من "البوليس" بالتراب من حديشة الحيوانات بعين السبع في الدار البيضاء وقتلوهم مساء السبت 8 ذي الحجة عام 1374 / 28 يوليوز 1956.

من شهادة حسن ثابت الحداوي ابن أخت صاحب الترجمة، انظر كذلك لافيحي ماروكين ليوم فاتح غشت 1956.

م. وحيد، مساهمة في دراسة الحركة الوطنية، مقاومة الدار البيضاء، 1952. 1956، أطروحة دكتوراه، مرقونة بكلية الآداب، الرباط، 2001.

السَّامِي، المختار، مقاوم كان يعرف بـ

"بوصبيعات" وأحياناً بـ "گندوز". وُلد في المدينة القديمة بالدار البيضاء سنة 1907 / 1325 كان أمياً واشتغل ميكانيكياً بسفن الصيد. انتمى لحزب الشورى والاستقلال.

يعدُّ من الوجوه الوطنية البارزة في المدينة القديمة. اعتقلته السلطات الفرنسية بسبب مواقفه، ومنها إقدامه

- السَّالْمِيَّةُ أو الناعمة أو السالمة أو المريمية أو القويصة أو المفصحة أو سواك النبي بالعربية، وبالأمازيغية تمجوت، أسماء لنوع نباتي من فصيلة الشفويات دخيل في المغرب، واشتهر بزراعته في الحدائق منذ القدم. وهو ينتمي إلى جنس الناعمة أو سالفيا *Salvia* الذي يشمل بالمغرب 14 نوعاً طبيعياً من بينهم 5 أنواع قيسية خاصة بالمغرب. وتجدد الإشارة إلى أن لهذه الأنواع مزايا هامة. إذ تعتبر من أحسن النباتات العطرية والطبية والمنتجة للعسل. أما في ما يخص الاستعمالات كنبات للزينة فإن



الأمر يقتصر على الأنواع الدخيلة كالسالمية المعروفة أو السالمية ذات الأزهار الحمراء أو غيرها. لكن النباتات المغربية وخاصة القيسية منها فإنها من الممكن أن تكون من أجمل جنبيات وجنبيات الحدائق.

- السالمية أو الناعمية الطبية أو سالفيا أو فيسيناليس *Salvia officinalis*، جنبة يتراوح علوها ما بين 50 و60سم جد متفرعة. أوراقها معنقة، بيضوية الشكل، ذات لون أخضر فضي ضارب إلى الزرقة. أزهاراتها سنبلية الشكل مكونة من 5 إلى 10 أزهار. كأس الزهرة جرسية الشكل وأرجواني اللون. تاج الزهرة ثنائي الشفتين وذو لون بنفسجي ضارب إلى الوردي لكل زهرة سداتان اثنتان.

الموطن الأصلي لهذا النوع هو الجزء الشرقي الشمالي من المنطقة المتوسطية. لكن مزاياه كنبات طبي وعطري وذو جمال خلاب جعلت الإنسان يزرعه في كل الحدائق والبساتين في المناطق المتوسطية المناخ. ففي المغرب يصادف في كل الحدائق ممثلاً ببعض الأفراد للزينة أو للاستعمال العائلي. كما يزرع على مساحات واسعة في بعض المناطق المغربية كما هو الشأن في نواحي مراكش وأكادير حيث ينتج بكميات كبيرة لأجل تصديره كمادة مجففة.

بالإضافة إلى كونها نبات زينة وتابل معطر للأطعمة

على جلد المتعاطيات للدعارة بدرج الجران في المدينة التي كان يتردد عليها الجنود "السنغاليون"، وأفراد البحرية الفرنسية، فحكم عليه بسبب ذلك بشهرين نافدين سنة 1937. ولم يشته ذلك عن متابعة نشاطه الوطني فكانت له مشاركة مهمة في تأطير المظاهرات التي كانت تنطلق من المدينة القديمة إبان كل مناسبة يحتد فيها الصراع بين سلطان الحماية والحركة الوطنية.

اشتغل في وقت ما سائقاً لوزير العدلية عبد الكريم بن جلون لكنه فضل الانفصال عنه.

توفي سنة 1412 / 1991.

من شهادة حسن ثابت الحداوي ابن أخت صاحب الترجمة : م. وحيد، مساهمة في دراسة الحركة الوطنية، مقاومة الدار البيضاء، 1952 - 1956، أطروحة دكتوراه، مرقونة بكلية الآداب، الرباط، 2001.

السّامي، الميلودي، مقاوم ولد في المدينة

بالدار البيضاء سنة 1328 / 1910. نال حظاً من التعليم، فحصل على شهادة الدروس الفرنسية، كان له محل لإصلاح الدرجات بزئقة الطيران الفرنسي (مصطفى المعاني حالياً)، وتعرض لمضايقات السلطات الفرنسية التي كانت تتهمه بتزويد ابن أخته محمد وعبد الله الحداوي بقطع الحديد التي تدخل من إعداد المتفجرات، وقد بعثت إحدى منظمات الإرهاب الأوروبي بشابة فرنسية قصد "إصلاح" دراجتها فيما كان أفراداً يترصدون له فأطلقوا عليه عبارات نارية قضت على حياته في الحين، وذلك يوم الجمعة 26 صفر عام 1375 / 14 أكتوبر 1955. لذلك قرّرت منظمة الهلال الأسود للمقاومة تصفية أحد أبرز أعضاء "البريزانس فرانسيز" المدعو "كازانوقا" (Casanova)، وكذا تصفية مهندس فرنسي بزئقة "سواسون" فتجدد للعملية اعمامو الزباني وأحمد رزقي ورشيد عبد السلام المعروف بـ "بوعزة".

من شهادة حسن ثابت الحداوي ابن أخت صاحب الترجمة : م. وحيد، مساهمة في دراسة الحركة الوطنية، مقاومة الدار البيضاء، 1952 - 1956، أطروحة دكتوراه، مرقونة بكلية الآداب، الرباط، 2001.

محمد وحيد

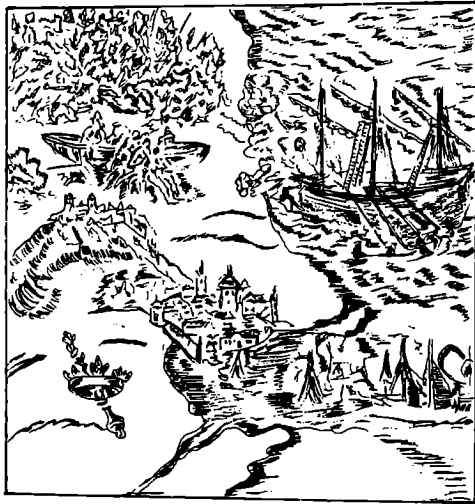
سان لوسيان Saint Lucien (1867 - 1938) هو

ثالث المقيمين العاملين الفرنسيين في المغرب، تخرج محامياً، ثم التحق بسلك الإدارة الداخلية ليمارس وظائف البريفيات Préfet، وهم ولاة المقاطعات وهناك عبر التراب الفرنسي، إلى أن أسندت إليه سنة 1921 وظائف الإقامة العامة في تونس حيث قضى أزيد من ثمان سنوات، تميزت بتصديه للحركة الوطنية التونسية وهي في طور النشأة الأولى

بزعامه حزب الدستور القديم. وكان من ذلك أن ألزم زعيمى الحزب وهما عبد العزيز الثغالي وأحمد توفيق المدني بمهاجرة تونس. وتصدى لما كان يرومه الباي محمد الناصر في أبريل 1922 من فتح باب التفاوض مع الدولة الحامية لإشراك النخبة التونسية في تسيير شؤون بلادها. ولما توفي الباي المذكور بعد ذلك ببضعة أسابيع (يوليو 1922)، سعى لوسيان سان سعياً حثيثاً في مبايعة الباي محمد الحبيب الذي كان أداة طيعة في قبضته. وتمكن من خلال من حكم القطر التونسي بشكل مطلق فمكن المعمرين من مزيد من الأراضي التونسية الجيدة. ولذلك أضحى مذكوراً بلسان التنويه في الأوساط الاستعمارية إذ كان النجاح حليفه في كل ما رام في الحماية التونسية، وبخاصة بعد سنة 1926، عندما وقعت الحركة الوطنية التونسية في فترة الانتقال من نضالات حزب الدستور الأقدم في طليعة العشرينات إلى نضالات حزب الدستور الجديد برئاسة الحبيب بورقيبة في طليعة الثلاثينيات. ونشطت الحركة الاقتصادية في البلاد، فظن المسؤولون الفرنسيون أن لوسيان سان يستطيع أن يقوم في المغرب الأقصى بما قام به في المغرب الأدنى، فوقع الاختيار عليه في مطلع سنة 1929 ليخلف تيودر ستيك في الإقامة العامة في المغرب.

وحل لوسيان سان بالرباط، وفي مقدمة ما يحمل من التعليمات أن ينهي أعمال الباسفيكاسيون فيقضي على ما ظل حياً نشيطاً من المقاومة المغربية في ثنايا الأطلس الكبير وفي فيافي التخوم الصحراوية سواء منها تلك المتاخمة للجزائر أم الأخرى الجنوبية لموريطانيا، وذلك لأن العلاقات الدولية غدت لا تنذر بخير بعد فشل المباحثات الفرنسية الألمانية. ويات من مصلحة فرنسا أن تتمكن جيوشها من كل شبر شبر من التراب المغربي وتجعل حدا للضربات الموجعة التي ظلت المقاومة المغربية تلحقها بها، مثل الكمين الذي قتل فيه الجنرال كلافري Claverie جنوب فجيج في خريف سنة 1928، أو معركة آيت عقوب، قرية على بعد أربعين كيلومتر غربى مدينة الرش، في يونيو 1929، وذلك شهوراً معدودات بعد احتلال لوسيان سان لمنصب المقيم العام. وقد تصدى لقمع كل ذلك والانتقام منه وإتمام أعمال الباسفيكاسيون بكل ما كان لديه من الجيوش. واستصحب معه لتنفيذ تعليمات حكومته الكولونيل نويس، وذلك بإشارة من المارشال ليوطي، وجعله رئيس ديوانه العسكري ومدير الشؤون الأهلية في آن واحد، مكلفاً بأمر تنسيق عمليات الباسفيكاسيون. والتف من حول نويس مجموعة من الضباط السامين ممن كان من فريق ليوطي مثل هوري Huré وكاترو Catroux وجيرو Giraud ولوسطال Loustal. ووضعت خطة محكمة لتطويق المجاهدين ومطاردتهم، انطلاقاً من التخوم المغربية الجزائرية وحملهم على اللواذ بأوعار الأطلس الكبير وجبل صغرو، ثم محاضرتهم بين الأطلس الصغير والساقية الحمراء

سانت اكروز دي كابو دي جي Santa Cruz de Cabo de Gué أي الصليب المقدس الذي يقرب راس غير، قلعة شيدت من طرف الدولة البرتغالية في إطار التنافس القائم بين هذه الدولة وجارتها الإسبانية على الجزء الجنوبي من الساحل الأطلنطي المغربي. وفي إطار ذلك، استغل البرتغال العرف السائد في العلاقات الدولية آنذاك والذي ينص على أن كل من وطئ أرضاً قبل الآخر، له الحق في احتلالها، ليربط علاقات تجارية مع أهل ماسة منذ سنة 850 / 1447، وتبع ذلك فتحه وكالة تجارية (Factorerie) سنة 902 / 1497 بموضع منحته قبيلة أهل ماسة للملك البرتغالي دون منويل (900 / 1495 - 1521) مقابل حمايته للقبيلة وفتحها للموانئ المغربية الخاضعة له في وجه



تجارتها. وتقع الوكالة التجارية السالفة الذكر عند قدم تل يتراوح ارتفاعه ما بين 250 و300 متراً وبالموضع ذاته، عيون ثرة يفوق عددها الخمسة، واجدير وسوق أسبوعي ينعقد كل يوم أربعاء، فعرف المكان من أجل ذلك أيضاً بأجدير الأربع.

وفي سنة 910 / 1505 قرر النبيل البرتغالي Joao Lopes de Sequeira إنشاء قلعة خشبية أطلق عليها اسم: سانت اكروز دي كابو دي جي مكان الوكالة التجارية، لوضع حد لهجمات حاكم جزر كناريا الإسبانية، وهو هجوم كانت تتصدى له قبيلة أهل ماسة المرتبطة بالولاء مع السلطة البرتغالية وكذا لحماية قوارب الصيد الرابضة بالساحل وسانت كروز هذه عرفت عند المغاربة باسم: دار البرتغال أو دار الرومية أو اجدير لربع. وتطابق الدار ذاتها الموضع المعروف أيضاً باسم فونتي Fonte أي العين. وأخذت هذه الدار شكل قلعة كانت بمثابة وكالة تجارية ومركز إداري وعسكري يكون منطلقاً للتوسع وشن الغارات ضد القبائل المجاورة لإرغامها على الخضوع وأداء الإتاوات. وفي يوم 25 يناير 918 / 1513، اشترى الملك البرتغالي دون منويل قلعة سانت كروز وأصبح يحكمها

ليستسلموا. وتطلب ذلك ما لا يقل عن أربع سنوات. وكان للوسيان سان أن يفخر بأن نيران الجهاد كانت على الانطفاء التام يوم انتهت مهمته في الرباط في يوليوز 1933.

بيد أنه لم يفلح في ذلك إلا بعد إشعال فتيل الحركة الوطنية التي كان لا ذكر لها قبل تعيين لوسيان سان في الرباط. حتى إذا تقلد منصب المقيم العام وانكب يشتغل بإتمام عمليات الباسفيكاسيون، فرأى أنه قد يغري المجاهدين المغاربة الذين كان جلهم من القبائل الأمازيغية باستصدار ظهير يعرف في تاريخ المغرب المعاصر بالظهير البربري (16 ماي 1930)، ومن مقتضياته إقرار الأعراف القانونية والعمل بها، وفصل القبائل الأمازيغية عن سلطان الشريعة الإسلامية وحكم الإمام، وإحالتها على القضاء الفرنسي في الاستئناف، والسعي في التفرقة بين العرب والأمازيغ في المغرب، وضرب هؤلاء بؤولائك حفاظاً على مصالح الاستعمار. ولكن الحركة الوطنية المغربية الناشئة تصدت لتلك المؤامرة بكل ما يكون في الكائن الناشئ من الإقدام والقوة والحماس. وعرفت كيف تفضح سياسة لوسيان سان في الداخل وفي الخارج مستغلة كل وسائل التشهير والتكبير، سيما وأن وجود سان على رأس الإقامة العامة جاء مواكبا لحملة التنصير والتبشير بالمسيحية التي تزعمتها أسقفية الرباط. ووجد لوسيان سان نفسه مضطراً للتنديد بها، دون جدوى. كما حاول أن يشغل الرأي العام المغربي بالزيارة الرسمية التي قام بها للمغرب رئيس الجمهورية الفرنسية كاستون دومرك Gaston Doumergue. ولم يكن ذلك ليغطي على ما أصبح المغاربة يعانون منه من جيروت الاستعمار واستحواذ المعمرين على خيرات البلاد في الوقت الذي صارت آثار الأزمة الاقتصادية العالمية تعمل عملها في الأسواق المغربية، فلم يستطع لوسيان سان لا أن يسعف المعمرين الذين وقعوا في الضائقة ولا أن يسكت صوت الحركة الوطنية المغربية الناطقة بما أصبح للجماهير المغربية من الوعي بمصالحها. ولذلك انتهى عمل لوسيان سان في المغرب بالفشل الذريع فأحيل على المعاش وحل محله هانري بونصو (ينظر في مكانه من هذه المعلمة).

ع. الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، طنجة، د. ت؛ م. حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، بيروت، 1982، 6 مجلدات.

R. Letourneau, *Evolution politique de l'Afrique du Nord musulmane, 1920 - 1961*, Paris, 1962 ; J. Berque, *Le Maghreb entre deux guerres*, Paris, 1962 ; L. Cerych, *Européens et Marocains 1930 - 1956 : sociologie d'une décolonisation*, Bruges, 1964 ; A. Mahjoubi, *Les origines du mouvement national tunisien, 1904 - 1934*, Tunis, 1982 ; C.R Ageron, *Politiques coloniales au Maghreb*, Paris, 1973 ; G. Lufuente, *Le Dahir Berbère* ; D. Rivet, *De Lyautey à Mohammed V*.

إبراهيم بوطالب

باسمه الدون فرانسيسكو دي كاسترو Dom Francisco De Castro الذي تحالف مع قبيلة هكسيمة فاستقرت حول أسوار القلعة لتكون درعا خلفيا واقياً لها. واستمر تعاقب الحكام على سانت كروز بعد ذلك إلى أن سقط البرج في يد المغاربة.

عرفت قلعة سانت كروز حركة تجارية هامة إذ روجت عبرها سلع مختلفة شملت التوابل والأقمشة والقبعات والصبغ، إضافة إلى الذهب والفضة والجواهر والرقيق والنحاس والقمح والجوز والتمر وجلود الماعز. وكان للعمل النقدي أهمية كبرى بالمركز إذ أن مقايضة الفضة بالذهب جعلت الدولة البرتغالية تحقق ربحاً ناتجاً عن تباين قيمة المعدنين الثمينين بالمرافق. ولمنافسة مركز سانت كروز أنشأ السلاطنة السعديون مراكز تجارية بتامراخت وتافتنا وتاكوكو وخفضوا الضرائب الجمركية بها قصد جلب التجار المتضررين من الاحتكار التجاري الممارس من طرف البرتغال. وأهم ما كان يتبادل به السعديون بمراكزهم التجارية هي الأسلحة.

هذا الوجود المسيحي بالجنوب المغربي وما خلفه من اضمحلال لتجارة القوافل تأزمت على إثرها الأوضاع بالعالم الإسلامي ككل، حرك الهمم لشحن حركات جهادية مستمرة شاركت فيها نساء المنطقة اللواتي عملن على تسهيل عملية اغتيال الحكام المتعاقبين على الحصن فيما بين سنوات 939 . 959 / 1524 و 1533. وللغرض ذاته أنشأ الأمير السعدي محمد الحران قرية محصنة لمحاصرة القلعة البرتغالية (14 جمادى الأولى 946 / 16 شتنبر 1540) في قمة المرتفع المسمى : البكو O Pico (القمة) المقابل للحصن البرتغالي. وزود المغاربة القرية المحصنة بالمدافع الثقيلة خاصة تلك المسماة بالميمونة. وبعد حصار استغرق سبعة أشهر سقط الحصن في يد المغاربة يوم 15 قعدة عام 947 / 12 مارس 1541. فأسس محمد المهدي الشيخ مكانه مدينة أكادير، ومن ثم ظلت الحركة التجارية دون منافس بأكادير إلى أن أسس السلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله سنة 1186 / 1773 ميناء الصويرة.

أ. ابن القاضي، المنتقى المقصور، تح. م. رزوق، الرباط، 1986 ؛
العنصر العربي والمجال في مغرب، 1459 . 1541، بادية الواجهة
الأطلنطية نموذجاً، ص. 219 . 220 . 235 . 246 . 247.

Chronique de Santa Cruz du Cap de Gué, Texte portugais du XVI siècle traduit et annoté par Pierre de Cenivel, Paris, 1934, p. 38, 105 ; *Encyclopédie de l'Islam*, nouvelle édition, S.I.H.M., Portugal 1, p. 234... 239 + troisième impression, p. 252 et 253.

حليمة بنكرعي

سان - روني طايانديه جورج Saint-René
Tailandier Georges موظف من موظفي السلك
الدبلوماسي الفرنسي، التحق بالإدارة السياسية في وزارة

الخارجية سنة 1876 بعد الحصول على الإجازة في حقوق والآداب. تقلب على عدة مناصب فألحق بسفارة فرنسا في روما سنة 1877، ثم بسفارة لندن سنة 1881 ليعود إلى الإدارة المركزية سنة 1882، قبل أن يلحق بالتمنيقية الفرنسية في مصر سنة 1884. ومن هنالك عاد إلى باريس ليترأس مكتب الحمایات الفرنسية في آسيا سنة 1887 قبل أن يعين قنصلاً في مونشين أو مونيخ في ألمانيا سنة 1887، ومنها انتقل إلى بيروت سنة 1891 ليعود إلى باريس للعمل في الإدارة السياسية ابتداء من سنة 1895. وفي يونيو 1901 أسند ديلاكاسي إليه مفوضية فرنسا في المغرب خلفاً لرفوال Révoil الذي عين والياً عاماً على الجزائر ليعمل معه على وتيرة واحدة لإحكام النفوذ الفرنسي في المغرب بناء على خطة التسرب السلمي.

قضى سان - روني طايانديه أزيد من خمس سنوات في المغرب، كانت حاسمة لوضع اللبنة الأولى للحماية الفرنسية. وإن ما كان يرفع من التقادير لحكومته ليعتبر من الوثائق التي لا غنى عنها لمن يريد أن يقف على مراحل التسرب الفرنسي وعلى أحوال المغرب في عهد المولى عبد العزيز وجهوده للتخلص من الحصار الفرنسي، منها مالم ينشر، ومنها ما نشر في سلسلة الوثائق الدبلوماسية، هذا فضلاً عن الكتاب الذي وضعه سان - روني طايانديه نفسه سنة 1930 تحت عنوان : "أسس المغرب الفرنسي، أو قصة بعثة ديبلوماسية"، الذي يتتبع القارئ فيه مساعي هذا الدبلوماسي لفرض النفوذ الفرنسي على سلطان المغرب، في الوقت الذي كان رئيسه الوزير ديلاكاسي يمهّد لإبرام الاتفاق الودي مع إنجلترا لاقتسام المغرب مع إسبانيا.

وقد استقبل سان - روني طايانديه من لدن المولى عبد العزيز أول مرة في الرباط في مطلع سنة 1902، ليحتج لديه على ما صار يبدو من النفوذ لإنجلترا في مشاريع الإصلاحات المغربية على يد بعض وكلائها في المغرب أو بعض أعضاء المخزن المتحازين لجانبها مثل وزير الحرب المهدي المنبهي. ومما قال له على ما جاء في مذكراته : "بأننا نحترم استقلاله (يعني السلطان) تمام الاحترام، ولكننا لا يمكن أن نغض الطرف عن تنازله عن أدنى جزء منه لفائدة قوة أجنبية أخرى". وكان المولى عبد العزيز يومئذ في طريقه إلى فاس. وما أن استقر بها حتى تفاقمت أحوال البلاد الداخلية بما كثر من النكير على تصرفات السلطان المستفزة لمشاعير رعية قلقة نائرة متمتمة، وبما نتج عن تلك الأجواء من فتنة الجيلالي الزهروني المدعو بوحمارة. وكان من نتائج ذلك، إقدام الحكومة الإنجليزية على التحلي لفرنسا عن المغرب، شريطة أن تتنازل فرنسا عن شواطئه الشمالية المتوسطية والجنوبية الصحراوية لإسبانيا، وذلك في أبريل 1904. وما أن تم هذا الاتفاق حتى أوفد سان - روني طايانديه الكاتب الأول للمفوضية سانتولير

Saint-Aulaire إلى فاس رفقة مبعوث بنك باريس والأراضي المنخفضة، للتفاوض مع المولى عبد العزيز بشأن القرض المالي الأجنبي الذي كانت الخزينة المغربية في أشد الحاجة إليه، علما بأن الحكومة الفرنسية كانت توافقة إلى قلب فرضه على المغرب بشروط كلها دروب مفضية إلى قلب السيادة المغربية. وانعقدت صفقة القرض في شهر يونيو 1904. وبات الطريق مفتوحا أمام سلتريني طايانديه ليرحل من طنجة إلى فاس لإملاء شروط الإصلاح الاستعماري على السلطان. واستطاع المولى عبد العزيز من أن يرجئ موعد رحلة المبعوث الفرنسي، متذعرا بما جرى من احتلال عين بني مطهر على الحدود الشرقية في يوليو من نفس السنة ظلما وعدوانا، وإبرام الوفاق السري الفرنسي الإسباني لاقتسام النفوذ في المغرب (أكتوبر 1904). وقد استنكر سلتريني طايانديه هذا الوفاق بمرارة، لأنه أجمع من نفور السلطان من كل تعامل مع الفرنسيين، فقال: "كان من سوء حظنا أننا أبرمنا اتفاقية مع إسبانيا من شأنها أن تنفره فينا سواء أقررنا بها أم سكتنا عنها لدى المخزن". وذلك ما حصل بالفعل يوم حل سلتريني طايانديه مدينة فاس لحمل المولى عبد العزيز على الإذعان للحماية الفرنسية، مفاوضة على الطريقة التي أملت بها الحماية الفرنسية على تونس قبل ذلك بربع قرن. وكان سلتريني طايانديه ينوي أن لا يقضي في فاس سوى بضعة أسابيع لإمضاء الأمر. لكنه أقام ضيفا على المخزن تسعة أشهر، انتهت بفشل مهمته وإبراجاء موعد الحماية سبع سنوات أخرى. ذلك بأن المولى عبد العزيز عامل البعثة الفرنسية يمثل ما ظلت تعامله بها من المراوغات والمناورات داخل المغرب وخارجه. ففي الداخل، استدعى السلطان نخبة من وجوه الأمة من كل الجهات لاستشارتهم في مقترحات السفير الفرنسي. وكانت تدور حول قضايا الإصلاح العسكري ليتمكن الضباط الفرنسيون من الإمساك بناصية الجيش المغربي، وحول بعض الإصلاحات الاقتصادية المرتبطة بتيسير أسباب التصدير والاستيراد في الموانئ المغربية، وحول إصلاح الشؤون المالية بقصد ضبط المداخيل الجبائية والجمركية وإقامة بنك مخزني يتصرف بكل ذلك ويراقب دخل الدولة ونفقاتها. وقد استمرت الجلسات بين سلتريني طايانديه والمستشارين المغاربة المصحوبين بالوزراء منذ أواخر يناير إلى بداية شهر مارس سنة 1905 فيما كان يشبه حوار الصم. حتى إذا كان 31 مارس من نفس السنة، ونزل الإمبراطور الألماني بطنجة، وصرح بأن المغرب دولة مستقلة موحدة السيادة والتراب تحت قيادة سلطانها المولى عبد العزيز، عندئذ انتهت بعثة سلتريني طايانديه إلى الدرب المسدود بما كان من تأزم العلاقات بين فرنسا وألمانيا، وضرورة الاحتكام إلى مؤتمر دولي لفك النزاع بينهما بشأن المغرب.

وقد امتعض المبعوث الفرنسي من فشل مهمته أيما

امتعض. وأبى إلا أن ينتقم من المخزن باحتجاج صارم، جاء فيه: "لا سبيل إلى أن يتوسط بين الحكومة الفرنسية والحكومة المغربية أي قوة ثالثة، مثلما أنه لا سبيل إلى أن يقوم بين فرنسا الجزائرية والمغرب أي بلد، ذلك بأن فرنسا تصاقب المغرب بمفردها [...] والمخزن على بينة مما يلزمه من هذا الجوار من الواجبات التي لم يمتثل إليها [...] فهو من الآن فصاعدا على بينة مما قد يتعرض إليه إذا ما رام كل ما من شأنه أن يمس بحقوق فرنسا بشكل من الأشكال". لهجة الوعد والوعيد الدالة على خيبة أمل سفير فشل في مهمته، فقضى الشهور الأخيرة من مقامه في فاس يبحث عن كيفية إهانة المخزن المغربي وإبداء قوة فرنسا ونفوذها أمام أنظار الشعب المغربي.

تجلى ذلك في قضية المدعو بوزيان الملياني، وهو من أصل جزائري، قبض عليه بعض قياد المخزن لجناية جناها، وأراد أن يطبق عليه مقتضيات الشريعة الإسلامية بحكم أنه من عامة المسلمين. لكن سان - روني طايانديه أبى إلا أن يهول القضية، ويلزم المخزن بإطلاق سراح الجاني، على اعتبار أن الرعايا الجزائريين في المغرب لا ينظر في جنابهم إلا الفنصليات الفرنسية، بل ألزم المخزن بعزل القائد المغربي الذي أمر بسجن الملياني المذكور وتقديم رسالة اعتذار للمبعوث الفرنسي الذي أراد بذلك أن يغطي على فشل مهمته الأصلية وأن يبدي قدرته على استعراض عضلات دولته حيال دولة مستضعفة تتلاطمها أمواج الأطماع الأمبريالية. ولم يغادر سان - روني طايانديه فاس إلا يوم 26 أكتوبر 1905 وقد تقرر تعويضه في طنجة بأوجين رينيو.

أما هو فقد أسندت إليه سفارة في البرتغال فاشتغل بها إلى أن أحيل على المعاش سنة 1912. وما يذكر من أمره أنه تطوع جنديا من عموم الجنود للقتال على الجبهة عندما اندلعت الحرب العالمية سنة 1914. كما يذكر أن زوجته التي رافقته إلى فاس كانت هي أخت الكاتب أندري شفريون André Chevillon فاستدعته للحاق بها إلى العاصمة المغربية، وترتب على تلك الزيارة السياحية كتابه الشهير بعنوان: "فاس أو صورة من غسق الإسلام"، الذي يعتبر نموذجا من الكتابات المشوهة لبعض أحوال المجتمع المغربي لإثبات حاجته إلى النظام الفرنسي، ولزوجة طايانديه من جهتها مذكرات عن طنجة فيما بين 1901 و1906، تصور حياة المدينة يومئذ وللصالونات الدبلوماسية فيها، ولاشك أن كليهما ورثا سيولة القلم من خالهما الفيلسوف الفرنسي الذائع الصيت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر هيبوليت طين.

ع. الحديمي، التدخل الأجنبي والمقاومات بالمغرب، 1894 - 1910،

حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية، إفريقيا الشرق، 1990.

Annuaire diplomatique de France, 1912 ; Documents diplomatiques français, Affaires du Maroc, 1901 - 1912, Paris, 1905 - 1913 ; Saint-René

Taillandier George. *Les origines du Maroc français. Récit d'une mission*, Paris, Plon, 1930 ; Charles-Roux François et Caillé Jacques, *Missions diplomatiques françaises à Fès*, Paris, 1955.

إبراهيم بوطالب

سانشو الرابع Sancho IV ملك قشتالة، ويسمى

في المصادر العربية بأسماء عدة منها : سانحة، سانحة، سانشو، سانجوور دون جانحة، أما المصادر الإسبانية فتشير إليه باسم Sancho IV يعد سانشو هذا أحد أبناء الامبراطور القشتالي الفونسو العاشر الملقب بالحكيم Alfonso El Sabio (651 / 1252 - 683 / 1284) والمعروف عنه مؤرخي الغرب الإسلامي باسم الفونش بن هرانده.

ظهرت شخصية الأمير سانشو على مسرح الأحداث السياسية بقشتالة إثر تزعمه الثورة ضد والده سنة 681 / 1282، وهي الثورة التي نتجت عن الأزمة السياسية الخطيرة التي هزت البلاط القشتالي بعد احتدام الصراع بين الأمير سانشو وأخيه الأمير الفونسو المعروف بذي العرف Alfonso de la Cerda حول خلافة والدهما الفونسو العاشر العجوز. غير أن الثقة والافضلية اللتين حظي بهما الأمير الفونسو من طرف والده أثارت حفيظة سانشو واجبت الحقد في قلبه الشيء الذي دفعه إلى استقطاب مناصريه وتكوين حلف يضم معظم النبلاء بالإضافة إلى صاحب غرناطة محمد الفقيه ابن الأحمر (671 / 1270 - 701 / 1300). وأمام استفحال تمرد سانشو وتزايد مؤيدي حركته لم يعد للفونسو العاشر الذي ضاق الحناق حوله إلا طلب مساعدة قوة خارجية، ولم يجد أمامه إلا الاستنجاد بملك المغرب أبي يوسف يعقوب المريني الذي كان يتزعم آنذاك أكبر قوة عسكرية في غرب البحر المتوسط. وقد أشارت وثيقة مغربية وهي عبارة عن رسالة موجهة من يعقوب المريني (656 / 1258 - 685 / 1286) إلى ملك فرنسا فيليب الثالث الملقب بالجنسور Philippe III le Hardi (671 / 1270 - 684 / 1258) والمؤرخة بـ 20 رجب 681 / 24 أكتوبر 1282، أشارت إلى موافقة السلطان المغربي وكذلك إلى طبيعة المساعدات العسكرية التي قدمها لملك قشتالة بهدف استرجاع ملكه وإعانتة على قمع عصيان ولده دون سانشو. وقد حرص يعقوب المريني في رسالته على توضيح طبيعة تدخله الذي يندرج حسب رأيه في إطار ما يراه واجبا تمليه عليه مبادئه الاخلاقية كسلطان وكأب لا يسمح بمثل هذا العقوق. كما بين أن تلك المساعدات ليست لأغراض ضد فرنسا وأن على فيليب الثالث المساهمة بدوره في إنهاء المحنة التي حلت بالفونسو العاشر بحكم القرابة التي تجمع بينهما والمتتمثلة في زواج ابن هذا الأخير، الأمير دون فيردناند Don Ferdinand من الأميرة Blanche أخت الملك الفرنسي فيليب الثالث.

وبناء على دعوة الملك القشتالي تحرك يعقوب في حملة

عسكرية إلى الأندلس سنة 681 / 1282 والتقى الفونسو العاشر بصخرة عباد وطلب هذا الأخير من السلطان المغربي أن يقرضه مبلغا من المال يستعين به على حرب ولده. وقد وافق السلطان على ذلك وأعطاه مائة ألف دينار رهنه ملك قشتالة فيها تاجه الموروث عن سلفه، وهو نفس التاج الذي بقي في حوزة بني مرين حتى نهاية القرن الثامن (14 م) وبالضبط حتى عهد ابن خلدون الذي شهد بذلك، إلا أن مصيره بعد هذا التاريخ بقي مجهولا. وقد تمكن الحلف المغربي القشتالي من دحر خطر ثورة سانشو واستعادة الهدوء والاستقرار إلى الكثير من المناطق الأندلسية.

وفي سنة 683 / 1284 توصل السلطان يعقوب أثناء تمهيدته لأحوال مراكش، بخبر وفاة الفونسو العاشر واجتماع النبلاء والخاصة على ابنه سانشو وإعلانهم إياه الوريث الشرعي وملك مملكة قشتالة وزعيم النصرانية والمدافع عن المسيحية ضد السلطان المريني. وبالرغم من النوايا السلبية التي أبان عنها تعيين سانشو على عرش قشتالة فإن يعقوب المريني لم تمنعه مع ذلك لباقتة الدبلوماسية وحكمتة السياسية من أن يتربت وأن يبعث بسفارة عنه إلى إشبيلية لتهنئة الملك الجديد وتعزيتة في وفاة والده. وبالرغم من محاولات السلطان في تلطيف الأجواء السياسية بين الطرفين وإشاعة السلم في المنطقة فإن أطماع سانشو كانت كبيرة ونيته في الاستحواذ على بلاد الإسلام بالأندلس كانت واضحة منذ البداية خاصة بعد إعلانه شن حروب الاسترداد Reconquista بإعزاز ومباركة الكنيسة. وهذا المنحى الخطير في سياسة سانشو لم يترك الخيار ليعقوب بأن يستنفر جيوشه ويعلن الجهاد ضد قشتالة. وفعلا تمكنت الجيوش المرينية من العبور إلى الأندلس في شهر صفر من سنة 684 / أبريل - ماي 1285 وتكشيف حملاتها العسكرية والسيطرة على الموقف العسكري في جزء كبير من المواقع والمدن الرئيسية التي تفصل بين مملكة غرناطة ومملكة قشتالة خاصة طريف ووادي لك وشريش وركش ولبله وقرمونة واستجة وجبال الشرف وغيرها، بل واستطاعت هذه الجيوش تهديد العاصمة إشبيلية ومحاصرتها إلى حلول فصل الشتاء. وقد اضطر سانشو أمام قوة وهيمنة الجيش المغربي على الميدان إلى تغيير سياسته الحربية والاعتماد على خلق ثغرات وراء التحصينات المغربية وذلك بقطع الامدادات والمؤن عن الجيش المغربي والتي كانت تصله من السواحل المتوسطية المغربية والأندلسية وأرسال اسطوله الحربي لاحتلال مضيق جبل طارق (الزقاق) واعتراض السفن المغربية. وقد أدت هذه السياسة إلى نشوب مواجهة بحرية عنيفة بين الأسطولين المغربي والقشتالي انتهت باندحار النصارى.

بعد هذه المواجهات أدرك سانشو وكبار قومه مدى قوة وصلابة الجيش المغربي وأنه لا جدوى في محاربة السلطان يعقوب وبالتالي فإن اللجوء إلى السلم والمهادنة يبقى

السبيل الوحيد في هذه الظرفية للتقليل من الخطر الذي أصبح يهدد قشتالة خاصة بعد التحاق كثير من معارضي سانشو كالفونسو ذي قرمان Alfonso de Guzmán بالمغرب وانضمامهم إلى صف يعقوب في مواجهة عدوهم المشترك. وفي هذا الاتجاه بعث سانشو الرابع وفدامهما يتكون من النبلاء والبطارقة والرهبان وكبار النصارية إلى أمير المسلمين يعقوب المرابط بالجزيرة الخضراء يطلبون السلم وانتهاء الحرب وعقد الهدنة. وبعد أخذ ورد قبل السلطان عقد مهادنة بينه وبين ملك قشتالة على أساس مجموعة من الشروط أبرزها : مسالمة المسلمين كافة والوقوف عند مرضاته في ولاية جيرانه من الملك أو عداوته، رفع الضريبة عن تجار المسلمين بدار الحرب من بلاده، ترك التضريب بين ملوك المسلمين والدخول بينهم في فتنة. وبعدما عرضت هذه الشروط على سانشو وافق عليها مباشرة وتم التوقيع على المهادنة بالقرب من وادي لك بحضور الملكين يوم الأحد 20 من شعبان عام 684 الموافق 21 أكتوبر 1285. وقد استغل يعقوب هذه المناسبة ليطلب من سانشو أن يسلمه عدداً من المخطوطات العربية التي استولى عليها النصارى قبل هذا التاريخ من بلاد المسلمين بالأندلس، وبذلك تمكن المغرب من استعادة حوالي 13 حملاً من الذخائر والنفائس العلمية والأدبية والدينية على رأسها مصاحف القرآن وتفسيره كتفسير ابن عطية وتفسير الثعالبي، وكتب الحديث وشروحها كالتهديب والاستذكار، وكتب الأصول والفروع واللغة العربية والأدب وغيرها. فأمر السلطان بحملها إلى عاصمة ملكه مدينة فاس حيث حبسها على المدرسة التي أسسها لطلبة العلم هناك بساحة الصفارين.

بعد حوالي خمس سنوات من الهدنة والسلم بين المغرب وقشتالة عرفت المنطقة خلالها وفاة ثلاثة من كبار محركي الأحداث فيها، الفونسو العاشر ملك قشتالة وبيدرو الثالث ملك أراغون ثم يعقوب المريني ملك المغرب، وقد سمح هذا الغياب ببروز قيادات جديدة لعبت أدواراً أساسية فيما ستشهده منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط من تطورات جديدة على المستوى السياسي والعسكري. فالسلطان الجديد أبو يعقوب يوسف الذي خلف والده يعقوب سنة 685 / 1286 اشتغل كثيراً بالجبهة الشرقية وركز كل جهده على صد التهديدات المتواصلة لبني عبد الواد أصحاب تلمسان على المغرب، وفي الجانب الآخر عاد سانشو الرابع من جديد إلى سياسته القديمة المعتمدة على تصيد الفرص واستغلال انهماك السلطان المغربي بمشاكله الداخلية والمغربية على السواء ليعلن عن أطماعه ورغبته في توسيع مجال نفوذ مملكته على حساب بلاد الإسلام وليبادر سنة 689 / 1290 إلى تنظيم حملته عسكرية كاسحة على المناطق الإسلامية المحاذية لقشتالة. وهذا التحول الجديد فرض على يوسف المريني أن يحارب على عدة جبهات، فدخل في مواجهتين بحريتين مع الأسطول القشتالي سنة

690 / 1291، فشل في الأولى وتمكن في الثانية من السيطرة على المضيق والعبور إلى أرض العدو ومحاربة جيوش سانشو بمناطق طريف وشريش وإشبيلية إلى أن داهمه مرة أخرى فصل الشتاء وقلت المؤن والذخائر وعاقه ذلك عن متابعة حملته فاضطر للعودة إلى المغرب فاتح سنة 691 / 1292 تاركا وراءه الأندلس لتلقى مصيرها في مواجهة الخطر المسيحي. على إثر هذا التراجع المغربي أحس سانشو بأن موازين القوى الآن اختلفت عن السابق وأن الظروف مهيأة أكثر لتنفيذ مشروعه القديم، فعزم على تكوين حلف مناوئ للمغرب جمعه بحليفه القديم محمد الفقيه صاحب غرناطة وضمن دعم القوى الأخرى كتلمسان والبرتغال وحياد فرنسا وأراغون، وذلك من أجل منع الجيوش المغربية من الجواز مرة أخرى إلى الأندلس. وكانت الخطوة الأولى تركيز سانشو لهجوماته العسكرية على مدينة طريف في الوقت الذي يضطلع فيه حليفه ابن الأحمر بمدد بالمدة والميرة مدة حصاره لها وذلك مقابل أن يسلمها إياه عند استيلائه عليها. وبعد طول محاصرتها براً وبحراً عزلها عن الامدادات المغربية مدة أربعة أشهر دب الوهن والجهد في نفوس وأجساد الحامية المرينية في داخل المدينة، وأصاب أهلها الفناء فأجبروا على مراسلة ملك قشتالة وطلبوا منه فك الحصار عنهم والنزوع إلى الصلح مقابل تنازلهم له عن البلد. فكان ذلك بداية استسلام المدينة وتملك سانشو لها نهاية شهر شوال من سنة 691، وقد خلد النصارى هذا الحدث إذ لازالت هناك لوحة مثبتة بأحد أبواب مدينة طريف المعروف بباب شريش. وهو آخر ما تبقى من آثار عربية في هذه المدينة، وقد كتب على هذه اللوحة ما ترجمته : "مدينة طريف عظيمة الشرف، ذات ولاء وبسالة وافرين، استولى عليها من يد العرب سانشو الرابع الشجاع في 21 شتنبر عام 1292". لا يمكن فهم حدث استيلاء سانشو على طريف إلا إذا وُضع في إطار ظرفية ساهمت إلى حد كبير في سقوط المدينة الإسلامية. ففي هذا التاريخ تزايدت أطماع دول المنطقة خاصة المسيحية وأبانت عن رغبتها في الهيمنة على مضيق جبل طارق، وكان من أبرز انعكاسات هذه الظرفية الاتفاق السري الذي أبرم بين مملكة أراغون في شخص خايمي الثاني ومملكة قشتالة في شخص سانشو الرابع سنة 690 / 1291 بمباركة من البابا وهو المعروف باتفاق مونتيغودو Pacto de Monteagudo الذي ينص على اقتسام النفوذ بينهما على بلاد المغرب، فتكون المنطقة الممتدة من المحيط إلى وادي ملوية تحت نفوذ قشتالة، وتعود المنطقة الممتدة من وادي ملوية إلى إفريقية إلى نفوذ مملكة أراغون. ومن البنود التي تم الاتفاق عليها أيضاً التزام خايمي الثاني بتقديم مساعدات عسكرية لسانشو في حربه ضد السلطان المغربي في الوقت الذي كان فيه ملك أراغون يظهر للعيان بمظهر الوسيط المسالم الذي يرغب في تقديم خدماته لحل الخلافات

مجلة تطوان، العدد 8، السنة 1963، ص. 192 : عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مطبعة فضالة، المحمدية، 1988، ج. 7، ص. 12. 63. 67. 71. 73. 190. 192 : رشيد السلامي، وثائق مرينية، دراسة وتحقيق، رسالة جامعية مرقونة نوقشت بكلية الآداب، الرباط، 1989، ص. 25. 31.

Silvestre de Sacy, *Mémoire sur une correspondance de l'empereur de Maroc Yacoub avec Philippe - le - Hardi*, in *Mémoires de l'académie des inscriptions et Belles Lettres*, nouvelle série, tome IX, 1826, p. 484 - 496 ; Mas-Latrie, *Traité de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale du moyen âge*, Paris, 1866, Introduction, pp. 142 - 143, *traités*, pp. 96 - 97 ; Morel - Fatio, *La lettre du roy Sanche IV à Alfonso Peres de Guzmán sur la défense de Tarifa*, Bulletin Hispanique, Paris, 1900, T. 2 ; Jiménez Soler, *La Corona de Aragon y Granada*, Barcelona, 1908 ; Ballesteros y Baretta (A.), *Historia de España*, Barcelona, 1922, t. 3, pp. 25, 27, 132 ; M. Gaibrois de Ballesteros, *Historia del reinado de Don Sancho IV*, 3 v., Madrid, 1922 - 1928 ; *Ibid.*, *Tarifa y la política de Sancho IV*, in *Bolotin de la real academica de la Historia*, Tome 74, 75, 76 et 77, 1919 - 1920, pp. 418 - 436, 521 - 529 ; pp. 349 - 355 ; pp. 53 - 77, 123 - 161 ; pp. 420 - 449 ; *Crónica de Don Sancho IV*, éd. Rosell, Madrid, 1955 ; Gisèle Chovin, *Aperçu sur les relations de la France avec le Maroc, des origines à la fin du moyen âge*, in *Hesp.*, T. XLIX, 1957, pp. 283 - 289 ; Ch. E. Dufourcq, *Un projet castillan du XIII^e siècle : la croisade d'Afrique*, R.H.C.M., Alger, 1966, n° 1, pp. 30 - 51 ; *Ibid.*, *L'Espagne catalane et le maghreb aux XIII^e et XIV^e siècles*, PUF, Paris, 1966, pp. 202 - 237, 298, 328 - 332, 342 - 346 ; R. Arié, *L'Espagne musulmane au temps des nasrides*, Paris, 1973, pp. 71 - 80 ; Charles Julian Bish Ko, *The Spanish and Portuguese reconquest, 1095 - 1492*, in *Studies in medieval Spanish Frontier History*, Variorum Reprints, London, 1980 ; M. Gonzalez Jimenez, Guzmán El Bueno y su tiempo, in *Les espagnes médiévales, aspects économiques et sociaux*, Annales de la Faculté des Lettres et Sciences Humaines de Nice, n° 46, 1983 ; F. García Fitz, *Andalucía en época de Sancho IV*, Sevilla, 1985 ; *Ibid.*, *La defensa de la frontera del Gajo Guadalquivir ante las invasiones benimerines del siglo XIII*, in *Actas del coloquio : Relaciones de la Peninsula ibérica con el magreb siglos XIII - XVI*, Madrid, 1988 ; *Ibid.*, *La frontera cadellana - Granadina a fines del siglo XIII*, in *IV coloquio de historia medieval andaluza, relaciones exteriores del reino de Granada*, Almeria, 1988 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986 ; A. Khaneboubi, *Histoire politique et sociale*, Paris, 1987 ; Angels Masiá i de Ros, *Jaime II : Aragón, Granada i Marroc, Aportació documental*, Barcelona, 1989 ; *La expansión Peninsular y mediterránea (1212 - 1350)*, vol. I, *La corona de Castilla*, Madrid, 1990 ; M.A. Manzano Rodríguez, *La intervencón de los Benimerines en la Péninsula ibérica*, Madrid, 1992 ; Philippe Gourdin, *Le "Partage" du Maghreb entre l'Aragon et la Castille au traité de Monteagudo (1291)*, in *Le partage du monde, échanges et colonisation dans la méditerranée médiévale*, Paris, 1998.

رشيد السلامي

بين ملك المغرب وملك قشتالة بنية الحفاظ على مصالح بلاده التجارية في المنطقة. إلا أن تنكر سانشو للوعد الذي أعطاه لابن الأحمر بتسليمه مدينة طريف قد دفع هذا الأخير إلى تغيير موقفه السابق والانسحاب من تحالفه مع قشتالة والعودة إلى صف المغرب لعقد تحالف سياسي جديد سنة 1293 / 692 قادراً على مواجهة الحلف المسيحي واسترجاع مدينة طريف إلى حظيرة الإسلام. وقد كان لهذا التحول في التحالفات دور كبير في انهيار اتفاق مونتياغودو أو على الأقل تأخير مفعوله إلى وقت آخر. وبعد فشل المحاولات الأراغونية في التوسط بين فاس وإشبيلية اندلعت الحرب من جديد سنة 1295 / 694 استمات فيها الجيش القشتالي وسجل حضوره بقوة بينما ظهر الخلل عميقاً في حصار الجيش المغربي لمدينة طريف، أدرك السلطان يوسف حينها صعوبة الموقف وأحس بقرب الهزيمة واستحالة استرجاع هذا الموقع الاستراتيجي، ففضل الانسحاب ورفع يده كلياً عن الأندلس ومشاكلها وترك لابن الأحمر مراقبة مجموعة من الحصون المرينية. وقد انتهز سانشو مرة أخرى هذا التراجع المغربي ليستمر في احتلال الثغور الإسلامية المطلّة على الزقاق، فكانت الخطوة التالية بعد طريف السيطرة على الجزيرة الخضراء لإحكام قبضته على المنافذ الرئيسية لعبور الجيوش المغربية إلى الأندلس، إلا أن المرض لم يمهل سانشو الرابع في الذهاب بعيداً بخطته، فمات يوم 25 أبريل 1295 بعد أن قضى حوالي إحدى عشرة سنة في محاولة توسيع مجال النفوذ القشتالي بشبه الجزيرة الإيبيرية على حساب الوجود الإسلامي.

عبد العزيز المزوزي، نظم السلوك في الانبياء والخلفاء والملوك، المطبعة الملكية، الرباط، 1963، ص. 131. 147 : ابن أبي زرع، القرطاس، دار المنصور، الرباط، 1973، ص. 337. 340. 356. 384 : ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تج. محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973، ج. 1، ص. 561. 564 : اللمعة البدرية في الدولة النصرية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1978، ص. 56 : أعمال الاعلام فيمن بوع قبل الاحتلام، القسم الأندلسي، تج. ليثي بروفنصال، المطبعة الجديدة، الرباط، 1934، ص. 332. 334 : ابن خلدون، العبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، ج. 7، ص. 423. 424. 445. 449. 454 : القلقشندي، صبح الاعشا، القاهرة، د. ت.، ج. 5، ص. 197. 265 : الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تج. محمد ماضور، تونس، ط. 2، 1966، ص. 99. 101 : المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، الرباط، 1978، ج. 1، ص. 61. 62 : أ. الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء، 1955، ج. 3، ص. 55. 66. 70. 72 : ماريانو أريباس بالاو، بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة،

سانطولير شارل Saint-Aulaire, Charles موظف

من موظفي السلك الدبلوماسي المغربي أدلى بدلوه في إحكام القبضة الفرنسية على المغرب قبل انعقاد معاهدة الحماية وبعدها. ولذلك فتقاريره ورسائله عن المغرب قبل 1912 وعن السنوات الأولى من نظام الحماية تعتبر من الوثائق التي لا غنى عنها لمن يريد التأريخ لتلك المرحلة. وقد كشف هو نفسه النقاب عن شيء منها في المذكرات التي أصدرها قبل وفاته ببضع سنوات، أورد فيها بعض ما علق بذهنه من عمله في المفوضية الفرنسية في طنجة طيلة سبع سنوات، وفي الإقامة في الرباط إلى جانب ليوطي مدة أربع سنوات، وذلك بأسلوب المتمكن من ناصية اللغة الفرنسية.

وقد وُلد الكونت شارل بويوال دي سانطولير يوم 13 غشت 1866 من أسرة عريقة في النبيل، ومنها جاء ما كان معروفا به من الأنفة والاعتداد بالنفس والنقمة على النظام الجمهوري، شأنه في ذلك شأن العديد من أضرابه من أبناء الطبقة النبيلة الفرنسية التي وجدت فيهم الجمهورية الفرنسية خير من يتحمل عبء العمل في المستعمرات إما في صفوف الجيش وإما في السلك الإداري. وقد التحق سانطولير بوزارة الخارجية سنة 1892، فور حصوله على الإجازة في الحقوق وتخرجه من مدرسة العلوم السياسية. وكان أول منصب أسند إليه خارج التراب الفرنسي تونس، حيث اشتغل في إدارة الحماية هناك سنة 1893. ثم إنه نقل إلى العمل في قنصليات الشيلي والبيرو والبرازيل فيما بين 1894 و1901. ولما عاد إلى الإدارة المركزية في باريس، لم يمض فيها إلا بضعة أشهر قبل أن يسند له منصب الكاتب الثاني في مفوضية فرنسا في طنجة في غشت 1902. وقد أقام في هذه المفوضية سبع سنوات، تحت إمرة سان - روني طايانديه إلى صيف 1905، وقيادة أوجين رينيو إلى سنة 1909. وتلك مرحلة حاسمة من تاريخ التمهيد لنظام الحماية والتناور على سيادة المغرب وإجبار الدولة المغربية على الدخول في مؤامرة ما كان موسوما عندهم بخطة التسرب السلمي. وقد قام سانطولير بالدور الطلائعي في ذلك، إذ هو الذي جاء في ماي 1904 مبعوثا لدى السلطان المولى عبد العزيز لمدة بالقرض الدولي الذي ضمنته الحكومة الفرنسية، وذلك غداة تحررها من المنافسة الإنجليزية بمقتضى الوفاق الودي (أبريل 1904). وكان هذا القرض خطوة حاسمة أولى للتنفيذ إلى قلب السيادة المغربية. وقد أبدى سانطولير لحمل السلطان وحمل مبعوث بنك باريس والأراضي المنخفضة المدعو زانكاروسيانو Zangarussiano على إمضائه يوم 18 يونيو 1904 منتهى اللين في منتهى الشدة، بما مارس من أشكال الضغط الدبلوماسي على الهيئة المخزنية المغربية، وكان من ذلك أنه هدد بالانسحاب من فاس رفقة أعضاء القنصلية والبعثة العسكرية الفرنسية إن لم ينزل بدار بنيس الفاخرة عوض الدار

المتواضعة التي أنزل بها أول الأمر. وكان قد نزل بدار بنيس مبعوث أمريكي يدعى لانكرمان Langermann جاء إلى فاس يدعي التمثيل الرسمي، وإن لم يكن في الحقيقة سوى مغامر ينتهز الفرصة، وجد فيه المخزن وسيلة للتخفيف من ضغوط سانطولير الذي لم يكن لينظلي الأمر عليه ولا ليتردد في إلحاق الهزيمة بالدولة المغربية، إذ طرد لانكرمان طردا من دار بنيس ليحل بها سانطولير حلول القاهر المنتصر. وقد قال في التقرير الذي رفعه إلى رئيسه بالمناسبة: "لامراء في أن الطريقة السلمية المقترحة في المغرب لن تؤتي أكلها إلا بالقدر الذي يترسخ في ذهن المغاربة أننا عازمون على سلوك النهج الآخر عند الاقتضاء".

أما من جهة ممثل الأبتناك زانكاروسيانو المذكور، فإنه كان من أصدقاء سانطولير، تعرف عليه في البرازيل، وجاء كلاهما إلى فاس وهما على يقين بأن الكلام بلسان واحد هو خير ما يحول بين المخزن المغربي وبين التملص من الجبال المفتولة لإيقاعه في ورطة الدين الدولي. ولذلك اعتبر القرض المبرم يوم 18 يونيو 1904 من منجزات سانطولير. وكان جزاؤه أن ترقى في السلم الدبلوماسي حتى أصبح هو المساعد الأول للمفوض الفرنسي، فقام بالنيابة عن رينيو في الشهور التي قضاها رينيو في مؤتمر الخزيرات (يناير - أبريل 1906)، كما ناب عنه فيما بعد كلما كان رينيو يسافر إلى باريس أو إلى الرباط أو فاس لمقابلة السلطان. فعلا كعبه في ممارسة الوظائف الدبلوماسية، وكان لا يبد من ترقبته في السلك الدبلوماسي. ولذلك عين مفوضا ساميا لفرنسا في فيينا عاصمة النمسا سنة 1909. وظل يعمل هنالك إلى أن أبرمت معاهدة الحماية، واقتضى نظر الحكومة الفرنسية تعيين الجنرال ليوطي أول مقيم عام في الرباط، فحرصت وزارة الخارجية على أن يسند منصب المندوب العام للحماية وهو كاهية المقيم، إلى أحد موظفيها فاختارت لذلك سانطولير ليكون عينها لها على ليوطي ويسهر على أن تسير الحماية في نهج مراقبة الجهاز المخزني المغربي وليس في نهج الإدارة المباشرة. ولكن ليوطي وسانطولير كان من طينة واحدة، من البيوتات النبيلة الفرنسية المتقرزة من الحكم الجمهوري، الراغبة مع ذلك في توسيع نفوذ فرنسا حيث ما أمكن، هذا بسيفه والآخر بقلمه. وكان من حسن تعاملهما ما أبهر رؤساءهما، فحصل بينهما كامل التلاقح، إذ أخذ ليوطي عن سانطولير أساليب المخاتلة والمراوغة الدبلوماسية مثلما أخذ سانطولير عن ليوطي كيفية القصف والمناورة العسكرية.

وقد ظل سانطولير يقيم صرح الحماية إلى جانب ليوطي أربع سنوات، إلى أن احتاجت وزارته إلى خبرته بشؤون أوربا الوسطى فأسندت إليه مفوضية فرنسا في رومانيا سنة 1916، وظل يعمل فيها إلى أن حل وقت ترقبته

سفيرا، فتم تعيينه سفيراً لفرنسا في مدريد. لكن لم يقض في مدريد سوى بضعة أشهر من سنة 1920، لأسباب يذكرها من وجهة نظره في كتابه. وقد عرض عن مدريد بسفارة لندن التي قضى فيها أربع سنوات من 1920 إلى 1924، حتى إذا كانت الانتخابات العامة تلك السنة وأسفرت عن فوز اليسار، كان من قرارات وزير الخارجية في حكومة الكارطيل عزل سانطولير وإحالة على الإدارة المركزية في انتظار سن التقاعد. وكان ذلك أقل ما يمكن أن يتخذ في حق موظف لم يخف أبداً استخفافه بالنظام الجمهوري. وفي طي مذكراته التي أصدرها سنة 1952 أكثر من دليل على ذلك.

Annuaire diplomatique de France, 1924 ; C. Saint-Aulaire, Confession d'un vieux diplomate, Paris, 1953 ; Charles-Roux François et Caillé Jacques, Missions diplomatiques françaises à Fès, Paris, 1955 ; P. Guillen, Les emprunts marocains 1902 - 1904, Paris, 1972.

إبراهيم بوطالب

السَّانِيَّةُ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Azenia و Sania و Aceña وهي كلمة مشتقة من كلمة السانية (الناعورة) ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان حيث لم يبق منها إلا اسم حومة السانية التي أحدثها المهاجرون الأندلسيون الذين أتوا إلى تطوان سنة 1019 / 1610 حيث كانت الحومة المذكورة تعرف برباط الأندلس.

م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية في الرقم 1371.

محمد ابن عزوز حكيم

السَّانِيَّةُ والناعورة اسمان لآلة تستعمل في استخراج المياه ورفعها من الأسفل إلى الأعلى مع بعض الاختلافات الدقيقة، وتجدر الإشارة إلى أنها لم يرد لها ذكر في المصادر المغربية قبل العهد المريني يقول صاحب القرباس (407) : "عملت الناعورة الكبرى بوادي فاس، بدئ بالعمل فيها في شهر رجب من سنة 685 / (1286) ودارت في شهر صفر 686".

ورد عن الناعورة بتعلق بالعهد المريني خاصة فترة حكم السلطانين أبي الحسن وأبي عنان، مما يعني أن هذه الآلة التي أعجبت الناس (خاصة وعمامة) كانت حديثة العهد في المغرب ولم يسبق استعمالها فيه، وقد كانت معروفة في المشرق وفي الحضارات القديمة ومنها حضارات بلاد الرافدين؛ ما تزال مستعملة إلى يومنا هذا لرفع الماء من دجلة والفرات لسقي الحقول والبساتين. ولاشك أن هذه الوسيلة انتقلت

إلى المغرب عبر الأندلس وركبت أو بنيت كما جاء في المصادر على وادي فاس واستغرق تركيبها قرابة السنة، وقد استعملها سلاطين بني مرين لسقي حديقة (المسارة) (فيض العباب، ص. 20 . 47 . 50) ثم انتشر استعمالها بعد ذلك في باقي أرجاء البلاد (المعيار، 1 : 296).

هذا النوع من آلات استخراج المياه (الناعورة) ذاتي الحركة ولايقام إلا على ضفاف الأنهار ويشترط لإقامتها وبنائها وجود مساقط مائية أو مجرى مائي ذي تيار سريع حتى يتمكن من إدارة العجلة العملاقة (أو أصغر أو أكبر بحسب صبيب مياه النهر وعلو ضفافه) وبدورانها تملأ الاكواب المثبتة على محيطها تلقائياً وبشكل يجعلها تفرغ المياه على جفنة أو صهريج مبني على الضفة ومنه تؤخذ المياه في الاتجاه المرغوب فيه (فيض العباب، 1 : 61 - 61 . 51) ونفهم من إشارات وردت عند ابن الحاج (فيض العباب، 47 و50) إن هذا النوع من النواعير حديث وجاء ليخلف نواعير تقليدية قديمة تدار بواسطة الدواب هي التي كانت تعرف بالسانية : "... ولما رأى مولانا أيده الله أن هذه السانية قد لا تبالغ في العطية ولا يسرع بعمل فريضة دورانها الحمارية وأنه قد يحتاج إلى أكثر من مائها وأعظم من نائلها وحيائها أمران تعمل على نهرا ناعورة توفي بالمقصود..."

فالسانية حسب هذا النص وما تلاه من نصوص وإشارات في مصادر أخرى تختلف عن الناعورة، وأوجه الاختلاف متعددة أهمها اثنان :

- 1) الناعورة ذاتية الحركة.
- 2) الناعورة تقام على ضفاف الأنهار والمجاري لمائية.
- 3) كبيرة الحجم يتراوح قطرها ما بين 6 أمتار إلى 26م.

أما السانية فهي أصغر حجماً وتديرها الدواب، وقد تقام على ضفاف النهر أو على الآبار، على أن مصطلح السانية الذي ظهر في العهد المريني (فيض ؛ مسالك، 294 وHT) جاء ليميز ما بين تلك التي ترفع الماء من الآبار وتديرها الطاقة الحيوانية، فالسانية بحسب ما رأينا هي تلك الآلة التي ترفع المياه من الآبار المستطيلة الشكل وغير عميقة المياه وتلقي بها في جفنة أو صهريج معد لذلك ومنه تؤخذ للسقي أو لأغراض أخرى، وهذه الآلة لا تختلف في شكلها عن الناعورة، لكنها أكثر انتشاراً منها وقد عمت المغرب منذ ذلك العهد وانتشرت في مدنه وبياديه وتجاوز المصطلح الآلة ليشمل البئر وما تسقيه مياهه من بساتين وحقول، فأصبحت السانية هي تلك الاستغلال المتوفرة على البئر وآلة استخراج المياه، والحقول والبساتين المعدة لانتاج البقول والفواكه والخضر ؛ وقد ساهمت هذه الآلات (السانية) في تطور الفلاحة وازدهارها فكانت المدن العتيقة مليئة بالسواني وتحيط بأسوارها وتمتد إلى مسافات بعيدة بحسب وفرة المياه، وساعد على ذلك تزايد الطلب من قبل ساكنة المدن على المنتجات الفلاحية الطريقة، وشكلت السواني منتزهات داخل تلك المدن

وخارجها تغنى بها الشعراء والمغنون مثل سواني مدينة سلا والرباط وغيرها.

ابن الحاج، فيض العباب، تح. م. ابن شقرون، الرباط، د. ت. : ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972 : العمري، سنالك الأبيصار، الجزائر، 1924، الرباط، 1979 : الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1980 : أ. الونشريسي، المعيار، الطبعة الحجرية، أحمد الفيومي، المصباح المنير، مصر : عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، بيروت، 1983 : محمد الطويل، الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، د. د. ع. مرقونة كلية الآداب بالرباط، 1988.

محمد حجاج الطويل

الساوري محمد بن محمد الفاسي، نشأ بفاس في أحضان والده الذي كان من كبار حفظة الطرب الأندلسي بهذه المدينة، ومن أحقهم السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن (1270 - 1290) بقصره من أجل تعليم الإماء صناعة الموسيقى.

وقد تأثر الفتى بوالده، وأخذ عنه مبادئ الموسيقى الأندلسية وحفظ بعض مستعملاتها.

أحقه والده بإحدى ورشات النجارة، فكان يلتقي ببعض شيوخ وهواة طرب الآلة الذين يجتمعون فيها بين الفينة والأخرى على عادة الناس في ذلك العهد، ومن بينهم إدريس اسميرس، وبناصر الصقلي، وأبو بكر العلوي وغيرهم وقد استفاد الفتى من مجالس هؤلاء فزاد ولعه بالموسيقى الأندلسية واتسع نطاق معرفته بمبازينها : وماعتم أن أصبح من الماهرين في حفظ النوبات والعزف على آلة الرباب.

وقد ألهته مهارته في الموسيقى وخبرته في النجارة للالتحاق بالقصر الملكي على عهد العاهلين المولى عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ على التوالي، فكان يراوح بين تعليم طرب الآلة للإماء وبين تجميل القصر بالنقش والزخرفة على الخشب.

تلمذ عليه بفاس سيدي محمد الوكيل والى الفنان مولاي أحمد الوكيل، فأخذ عنه الفنين معا : النجارة وطرب الآلة، وتعلم على يده العزف على آلة البيانو. ومن المتأخرين الذين أخذوا عنه أيضاً الفنان الفاسي محمد بن إدريس المطيري.

توفي المعلم محمد الساوري بفاس يوم 25 شوال 1345 / 28 أبريل 1927.

ع. الرحمن ابن زيدان، الإتحاف، 3 : 368 : حاتم الوكيل، الموسيقى الأندلسية من خلال مسيرة الفنان مولاي أحمد الوكيل، سلسلة المعرفة للجمع، عدد خاص مارس 1999، ص. 48.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الساويح، أحمد (سيدي -) عبارة عن قبة تُزار على ساحل البحر المحيط الأطلسي في قبيلة إداوسارن الحاحية جنوب مدينة الصويرة، وقد كان المكان رباطاً للمجاهدين، وممن رابط فيه بقصد الجهاد ومحاربة العدو الوارد من البحر دفينه سيدي أحمد السائح المتوفي عام 1589/997، كما رابط فيه قبله العلامة الصوفي الكبير محمد بن سليمان الجزولي صاحب دلائل الخيرات، ولا يزال موضع رباط الجزولي مقدساً هناك عند الأهالي يسمونه (مرقع سيدي محند أو سليمان) ويقع عند أسفل الضريح إلى جهة الشمال الغربي على بعد مآت من الامتار. يقال إن أصل سيدي أحمد السائح من فرقة إسماعيلين الموجودين بقبيلة متوكة، فلهذا يطلق إسماعيلي على القرية التي بجوار ضريحه.

تتركب هذه المزاراة الشاطئية من ضريح، وكتّاب، وبيوت لنزول الزوار ودكاكين صغيرة للبيع والشراء، وهو شاطئ سياحي جميل لكنه يفتقر إلى التجهيزات الحديثة.

م. الصوري، الكتاب المتنقل : تحريات ميدانية.

مهند أيت الحاج

الساويح، محمد بن عبد السلام، أصل أجداده من الأندلس وبعد شخصية بارزة من كبار العلماء والمثقفين بالرباط في النصف الأول من القرن العشرين. سامي التفكير عميقة، اشتهر في غير الرباط مثل فاس ومكناس، درس بالمدرسة اليوسفية بالرباط ولقطة المصادر والتأليف التعليمية آنذاك كتب مؤلفاً للتلاميذ سماه المنتخبات العبقريّة لطلاب المدارس الثانوية في تاريخ المغرب والممالك الإسلامية وتراجم علمائه وأدبائه وأبطاله. وفي سنة 1921 رشح للعمل بالمحكمة العليا للجنايات ثم بمجلس الاستئناف الشرعي، وتولى القضاء بالجديدة وبوادي زم وشراكة بأحواز فاس ثم بفاس نفسها وختم وظائفه القضائية بمكناس. كان يكره متقمصي التصرف الكاذب فألف رسالة سماها المنهل الوارد في تفضيل الوارد، حمل فيه حملة شعواء على المضللين ورؤساء الطرق الغاوين،



انتقاله من مكناس حسبما يقال ما شاهدته في أهلها من سماجة طباعهم وقبح معاشرتهم وخصوصاً العلماء، كما وقع للإمام ابن غازي فإن سبب انتقاله إلى فاس هو أنه أتاه صاحب الوادي في حالة إقرائه بمجلس درسه وطلب منه بوقاحة كبيرة أن يؤدي ما وجب عليه في إصلاح الوادي، ولم يمهله إلى الفراغ من الدرس، فقام الشيخ وقال هذا البلد يستحق الهجران". وأنشأ يقول :

طلقت مكناسة ثلاثاً والشرع يابى الرجوع فيه
ليست بدار سوى لقاضٍ أو عامل الجور أو سفيه
لولا حلول الإمام فيها لم يُجرها فاضلٌ بفيها
ولعل لسيدى العربي بن السايح أعداراً أخرى كانت
السبب في هجرته إلى رباط الفتح، وهي هجرة تعد مفخرة للرباط.

قال في حقه مؤلف إتحاف أعلام الناس : "علامة مشارك نبيه، مدرس نفاع ناظر بارع فاضل ماجد ليين هين مهذب صالح، مرشد ناصح، له إشراف على التاريخ مستحضر لتراجم المتأخرين، معتن بقراءة صحيح البخاري، إذا تكلم في حديث أتى بما يبهز العقول، مما لا يُظفر به في ديوان منقول. من أهل الرسوخ في السنة والتمكين، عازف بره دال عليه مرشد إليه قدوة..." (5 : 429).

أخذ عن الشيخ عبد القادر الكوهن الفاسي دفين المدينة المنورة، والشيخ عبد القادر العلمي المكناسي (سيدي قدور العلمي)، ومحمد الهاشمي السرعيني دفين عين ماضي أخذ عنه الطريقة التجانية التي كان ابن السائح من كبار رجالها. ومن أشهر تلاميذ ابن السايح الرباطيين الأديب أحمد جوسوس (ت. 1331) والفقيه بلامينو (ت. 1333) والقاضي أحمد بناني (ت. 1340)، ومن السلويين المحدث أحمد ابن موسى، (ت. 1328)، والأديب الحاج الطيب عواد (ت. 1336) وغيرهم كثير.

مصنفاته :

- بغية المستفيد لشرح منية المرید (ط. القاهرة 1886/1304).

- ختم صحيح البخاري، قيده تلميذه أحمد بن محمد ابن موسى السلوي (مخطوط 1746د).

- جواب على سؤال أحد أهل سوس التجانيين في موضوع تخفيف المكث بين السجدين وبين الركوع والسجود (مخطوط خ. ع 2462د).

- كناية (مخطوط خ. ع 133 ج).

- إفاذات وإنشادات (مخطوط خ. ع).

- ديوان شعر في الأمداح النبوية. كان بيد تلميذه العلامة عبد القادر لبريس الرباطي.

- ديوان صغير في المناجاة والتوسلات، وفيه إخوانيات وسلطانيات وغزليات وفكاهات.

ومن غير شعره قصيدة مطلعها :

بارحة للعالمين وخير من تجلى به عنا المصائب والكره

وأخرى مرتبة على حروف الصلحابي عمران بن حصين، مطلعها :

عودتني منك إحسانا وثقت به ونحاشا فضلك أن أراه ممنوعا
وأخرى مطلعها :

الله أكبر لا كبير سواه جلدك محامده وعز ثناه

وهي قصيدة أنشدها توسلاً عند شوب الحرب بين روسيا وتركيا بين سنتي 1294 / 1295 - 1877 / 1878 . فانجلي الهم الذي أصاب المسلمين آنذاك بانتصار الأتراك، وكان قد انعزل في خلوته أسبوعين يدعو الله حتى استجيب له.

توفي أبو المواهب محمد العربي ابن السائح بالرباط منسلخ رجب عام 1309 / 29 فبراير 1992. وضحيه مزاره شهيرة بباب العلو. وكان ضريحه مسرحاً لدروس دينية عالية حيث كان يلقي الشيخ أحمد بن المامون البلغيني 1309 / 1891 دروساً في صحيح مسلم ؛ كما درس الشيخ محمد المدني ابن الحسين القواني الفقهية لابن جزي بين العشائين.

أ. ابن موسى السلاوي، ختم صحيح البخاري، مخطوط ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، إتحاف، ط 2، الرباط، 1990، ج. 5 ؛ أ. سكيرج، كشف الحجاب، ط 3، عام 1381 / 1961، ت ؛ ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996، ج. 8.

عبد العزيز بن عبد الله

ابن السايح، محمد بن محمد مقاوم، ولد سنة 1326 / 1908 بالسماعلة دوار أولاد الديك فخذة أولاد منصور جماعة البراكسة. كان يشتغل بالفلاحة وتربية المواشي يتنقل بين أسواق المنطقة مما جعله يطلع على القضية بجميع أبعادها، فدفعه شعوره هذا إلى الانخراط في تشكيلة منظمة اليد السوداء بوادي زم حيث قام بتنفيذ عدة أعمال تخريبية ضد المنشآت الفرنسية بالمنطقة.

وفي فاتح محرم عام 1375 / 20 غشت 1955 شارك مشاركة فعالة في مظاهرة وادي زم الخالدة التي أصيب خلالها برصاص الجنود الفرنسيين وسقط شهيداً في عين المكان.

المنودية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 508840.

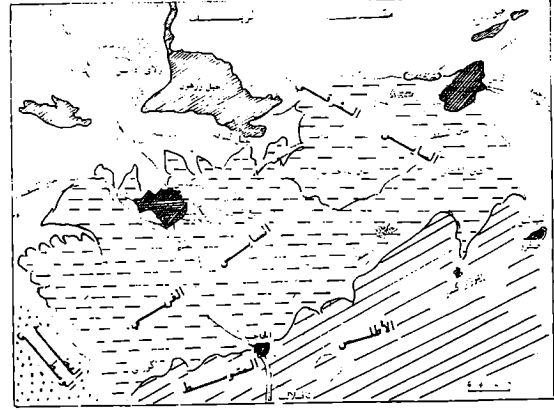
السايس، هضبة (التوازن البيئي للإقليم) أهم ما يميز السايس، في وضع الخصائص البيومناخي الغالب في بلادنا، هو تمتعه بالطبيعة الأكثر توازناً، مقارنة مع باقي الأقاليم المغربية. وهو أمر يستحق التحليل ومحاولة رصد المؤهلات الطبيعية واستنباط مؤشرات القوة النسبية فيها.

يُمثل السايس مجموعة هضاب وسهول، يبلغ معدل ارتفاعها 600 م، لكنها تبدو على شكل منخفض بنيوي، يسع لحوالي 2700 كلم²، بين مقدمة الريف، شمالاً، وكتلة

الأطلس المتوسط، جنوباً. كما أنه يبسط نظام انحدارات، تقل عموماً عن 1٪، في ظروف مناخ متوسطي خال من مظاهر الإفراط.

تتألف قاعدته الصخرية البسيطة من مستويات رسوبية ثلاثة: كلس بحيري من فوق رمال وصلصال بحري عميق. يسمح ممال الطبقات الصخرية الضعيف، بصفة متجانسة مع الانحدار، بالتشكيل المضبوط المناسب للتصريف الكافي للمياه دون أن يؤدي الأمر إلى مخاطر نوعية كبيرة من حيث التعرية.

تكون بذلك قد اجتمعت أحسن الظروف من أجل إعداد وصون عطاء ترابي غني ومستقر، لا يتعرض بصفة تذكر لأي نوع من أنواع التحديث السطحي المناوئ للخصوبة، لأن التربة توجد، على العموم وفي آن واحد، في مأمّن من التراكمات المطرمة لها، وكذا من الأزاحة المخربة.



أما مستويات القاعدة الأقدم، من تحت الصلصال، فهي نفس طبقة الدولومي السميكة ومعها تفرشة الطين الترياسي، المكونة لهضاب الأطلس المتوسط المشرف جنوباً، والمؤلفة في عمق السواحل وفي جل اتساعه لأحد أهم الخزانات المائية الجوفية الوطنية.

لاشك أن الرخاء الطبيعي النسبي قد أسهم في تسهيل التمرکزات البشرية بأشكال مبتكرة ومفرقة في القدم، بقي منها بعض الآثار المنتشرة في السهول وعلى سفوح الكتل الجبلية المحيطة. كما يتوفر الإقليم، من خلال مدينتي فاس ومكناس، على حاضرتين هامتين، عرفتا، بمدى مختلف، الاضطلاع بمسؤولية قاعدة الحكم المركزي والإشعاع الحضاري المناسب.

يعرف استعمال التربة الحالي، في جل الأراضي، الزراعة الآلية الكبيرة، التي جاءت بعد البستنة الدقيقة والمتفنتة التي كان يمارسها نخبة من المتأصلين من واحات الجنوب الصحراوي أو من مزارعي البساتين الأندلسية، والتي مازالت بعض مظاهرها قائمة في بطون الأودية من حول المدينتين.

السمة المعبرة التي أعطت لهضاب السواحل شخصيتها المتميزة هي الظلفاء السطحية المكونة من الكلس البحيري، الذي تراكم في قرار البحيرة الشاملة التي عمت المنطقة خلال البليوسين الأوسط. وهي مرحلة حاسمة، ترجع إلى ثلاثة ملايين ونصف من السنين قبل الآن، عرفت انطلاق أهم الأحداث الفاعلة في الجهة، وتعدتها إلى جزء كبير من العالم.

جدير بالذكر قبل كل شيء، أن البحيرة التي استمدت أكبر قسط من تعبئتها من مياه الخزانات الدولوميتية للعالية الأطلسية، لم ترث من ضمن موادها تلك الخاصيات السلبية الملازمة لهذا الصنف من الصخور، والتي منها امتناعها عن الاستعمالات كأن تكون مادة أولية لصناعة الإسمنت مثلاً، وضعف جودة الأتربة المغنيزية من فوقها على العموم. بل حصل نوع من التصفية فرز كاربونات الكالسيوم صافية وكون منها الكلس البحيري الخالص. أما المغنيزيوم فقد تبين توظيفه على حدة في الأطنان السطحية التي تطورت في الأوساط الكيماوية الأكثر انحباساً، وخاصة منها الكلوريت والبالغورسيكيت في المراحل المتقدمة من تكوين القشرة الكلسية والرصاصية.

كما أنه بالإضافة إلى نفس الظاهرة الرسوبية البحرية المتميزة، ومواكبة لها، حدث المنعطف المناخي الأساسي، المتجلي في الانتقال النهائي من المناخات الحارة ذات النزعة المدارية التي كانت سائدة من قبل، إلى ظروف توازن حيوي أكثر اعتدالاً، والمفضية إلى المناخات المتوسطة المتفاوتة الرطوبة التي طبعت البلاد حتى الآن.

وقد عرف السواحل، كباقي البلاد المتوسطية الجنوبية، التناوب المتكرر وغير المتكافئ لفترات رطوبة وجفاف، تتلخص في ثنائيات من مطير وبمطير، يحمل كل منها اسم دور بذاته، يعمر بمعدل مائة سنة. وقد استغرق التطور كل المدى الزمني اللاحق للبحيرة، مع تسارع خلال الرباعي (الرباعي المغربي، الجزء 13).

ومن الملاحظ أن التقلبات البيومناخية قد جاءت مدعومة بتدخل قوي للبنائية. لعب التحكم البنائي أدواراً رائدة. إذ منذ بداية الرباعي، انقسم السواحل إلى إقليمين اثنين، واحد غربي، يوافق هضبة مكناش الحالية، وقد تميز بالتصريف الخارجي للأودية، والآخر شرقي، هو سهل فاس الحالي، وقد عرف إلى حدود الرباعي الحديث ظروف انحباس تام. نتج عن ذلك أن أودية الغرب أكثر تعمقا وأجدر بالتزويد بالمواد الخشنة، مع بيانها هضبية أتربتها حمراء (الحمري، الجزء 11، ص. 3584) يعلوها بعض الاسمرار. في حين تنزع الأتربة في الشرق إلى مواصفات السمرة والتيرس (التيرس، الجزء 8، ص. 2663) والميهبة. استمر التحكم البنائي طيلة الرباعي، مع ظهور فترات أوجية منها الاهتياجات البركانية في الأطلس المتوسط

المجاور وتأثيراتها المباشرة خلال الرباعي القديم والأوسط (الدور الملوياتي : 500 000 سنة قبل الحالي والعميري : 500 000 ق. ح) ومنها الأزمة الانتهاضية لبداية السلطاني (70 000 ق. ح).

أمد الثوران البركاني بطفوحات بازلتية، تسلمت إلى المنطقة من خلال الأودية، وأعطت محاطات خصبة من الأتربة المتحدسلة السمراء المستعملة في البستنة والزراعة التجارية، خاصة في المنخفضات الجنوبية عند خط العيون في قدم السفوح الرابطة بين الحاجب وإيموزار.

على العموم، تقوم البنائية بتنشيط ملحوظ للتطورات السطحية، كما تتولى تغليب نزعة تفضيلية على غيرها. لكن تبقى معالم كل دور من أدوار الرباعي رهينة بالوضع البيومناخي السائد خلاله، الأمر الذي سمح بوجود مظاهر موحدة للسطح، من أهمها : التلييد، والقرنة، والرصرة، والنزكلة، وأساليب ومظاهر تحريك الفتات على السطح.

التلييد تسمية مبتكرة لظاهرة فريدة لازالت مرجعية تفسيرها العلمي محدودة، رغم أن الأمر يتعلق بأداة تفسيح أساسي للصحور، لعبت الأدوار الأولى إقليمياً، فضلاً عن أنها أثبتت علاقات عضوية، وتفسيرية، مع ظاهرة القشرنة. ومعلوم أن الاهتمام بالقشرات الكلسية استحوذ على القسط الأوفر من دراسات جيوكيمياء السطوح، وربما كان مسؤولاً بذلك عما أصاب آليات التلييد من تعميم.

تعرض أوسع المجالات السايسية لمفعول التلييد، في الملوياتي، الدور الأول من الرباعي، حول جزءاً هاماً من ظلفاء الكلس البحيري الشديدة الصلابة إلى سحنة هشّة، مبيضة، لبديّة أي قريبة الشبه بالطباشير شكلاً ومقاومة. ولقد تبين أن وقعه هو أكبر وأكثر تعقيداً، حيث أنه قضى بتهشيش الظهورات السطحية للأكلاس الصلبة، والعسف المتفاوت التعمق في المواد الفتاتية الدقيقة، بما فيها الأطيان وحببات الرمل السليسي. وقد استطاع بذلك تلييم ومجانسة السطح بالخلق الكامل لطبقة كاربوناتية سطحية منشأة، على أساس تفسخي صرف.

وعلى العموم، فإن الظلفاء الكلسية الصلبة التي تعرف اعتياداً التمليس الكيماوي المشخرب، المنتج لأتربة حمراء قوامها الأطيان الرملية المتوسطة الغنى بالسليسي المندمج، قد تعرضت في الملوياتي إلى تفسيح التلييد، القوي الكفاءة، الذي حقق التهشيش بفعل تخفيف كثافة الكلس الصلب والإنتاج الثانوي لطين حديد - مغنيزية سوداء، شديدة الغنى بالسليسي.

ومن غريب التطورات في الساييس، أن للتلييد يداً في رسم وإعداد شبكة الأودية. ذلك أن عمليات الانتشال الكيماوي المرافقة، خلفت ضمورات في هيئة مقعرات تفسخية، ركبتها شبكة الأودية، فأعطت التشكيل المتموج النوعي لهضبة مكنتاس على الخصوص.

كما أن للتلييد مسؤولية مباشرة في تكوين القشرات اللبديّة المتكتلة التي عرفها الرباعي الإقليمي القديم على أوسع مدى.

لقد ثبت أن القشرات الكلسية تنتظم داخل متواليات طبوغرافية طويلة الأبعاد، جاءت حلقاتها المعبرة كالتالي : - في العاليات، مباشرة من فوق الركائز الكلسية، توافق القشرات اللبديّة، بكل بساطة، التلييد التفسخي الآنف الذكر المشكل على حساب الكلس المقاوم.

- في السافلات المقابلة، يتلقى كل حوض استقبال فتاتي دقيق، تريبياً كان أم رسوبياً، الإمداد الجانبي للبيد التفسخ الفائض بفعل تخفيف الكثافات الكلسية في العاليات. يتجلى أوضح نموذج للوضع في منخفض الضويات، في جل المجال بين مدينة فاس ووادي مكس.

لبيدة السافلات إذن مادة منقولة، توجد في مواقع الاستقبال. لا يمكن تعريفها في هذا الحيز إلا بوصفها قشرة مصحوبة بمظاهر العسف الكلسي. وقد حطمت فيها التطعيمات العدائية فئة المتطبقات الطينية لفائدة الكلوريت وخاصة لفائدة الأطيان النفوخة.

وهكذا، فإن سلسلة التلييد، بين تفسخية في العاليات ومقشرنة في السافلات، تسهم في موجة توزيع وتعميم للمواد الجيرية الهشة المصحوبة بمضمون طيني غني. قاعدة صخرية هذا شأنها، في ظل المناخ الإقليمي السائد، قد عمدت إلى حد بعيد الأتربة السمراء الكلسية، التي يزيد من دكنتها وغناها طين السمكيت، والتي تصير قابلة للتحويل إلى أتربة تيرسية كلما غلبت بنائية التهديل.

أما القشرة المتورقة الصلبة، فهي تبدو كسحنة تدهور بيومناخي لاحق، تكونت خلال أقصى التجفيف البيمطبري. يجعلها تابعها المستقل والسطحي لا مبالية بالقواعد الصخرية. معالم تنافرها متعددة يؤكدتها تكاثر عناصر التحريك الحديثة فيها.

لم تكن القشرة الكلسية الملوياتية ظاهرة عادية في الساييس، بل افترض تحققها اقتحام عتبات بيومناخية في اتجاه الترطيب تارة، حيث اللبيد التفسخي، والتجفيف أخرى، بتشكيل التوريقات الصلبة. فلم تتكرر الظاهرة بعد ذلك إلا في الدور التانسفتي (الرباعي الأوسط)، معطية السحنات المتورقة وحدها. في الفترة البينية، الفاصلة بين القشرتين الملوياتية والتانسفتية، أدخلت الرطوبة الزائدة، خلال العميري، مرحلة تفسح عميق، شخرت القواعد الكلسية الصلبة التي أدركها في الجهات الجيدة التصريف، وأنتج رصيذاً معتبراً من الأتربة الحمراء.

تعتبر الرصاصة شكلاً آخر من أشكال إعادة نشر الأكلاس التفسخية. لكنها، خلافاً للقشرة، قد اكتست في المنطقة صبغة الشيوخ في الزمان، فواكبت بصفة متفاوتة مجموع البليو - رباعي القاري، بتخصيص ثلاث نويات أوجية كبيرة في البليوسين العلوي - الملوياتي وفي

العميري وفي السلطاني والغربي القديم (راجع الرصاصة).

أهمية الرصاصة هنا شاهد على تمتع الإقليم بتردد ملحوظ لفترات الرطوبة النسبية خلال الرباعي. فمعلوم أنها تشيد على أساس هياكل أحيائية، قوامها بسط طحلبية خفيفة، حلقاتها مهملة، يتم نسجها في أوضاع نسبيا رطبة وباردة. تتحول هذه الهياكل العضوية الكثيرة المسامية إلى مواقع للتسرب الكاربوناتي الدقيق والنشيط الذي يخول التكثيف والتلون المتغير. تنتج الرصاصة الصخر الكلسي بإيقاع أسرع بكثير من أي أسلوب آخر.

ومن أهم الأدوار التي قامت بها على وجه الاستعجال، بالمقياس الطبيعي، التحصين الجيومرفولوجي لحافات الهضاب العظوية، المهدة بوقع التعرية. وقد تؤكد ذلك بزخم خاص في الفترات الرطبة للعميري والتانسفتي، حيث تشيع المحاليل بسهولة من المادة الهشة للبناء الهضبية، التفسخية والقشرية معا، وتعيد استعمالها في تشييد تغليف رصاصي كثيف وصلب قادر على حماية الهوامش الشمالية المعرضة، خاصة منها هضبة مكناس.

وأخيراً، انكشف أن الأثرية في المنطقة ليست فقط نتاج تقابل الثنائية المكونة من الصخر الأم والبيومناخ، ولكنها كذلك حصيلة تحريك للحبيبات على السطح، زادت حدته في الرباعي الحديث.

ففي ظروف زائد الرطوبة الذي غلب خلال الرباعي الأوسط، ساد تعميق التفسخ واستخلاص المواد الفتاتية من اللحام الكاربوناتي، وتكرر بصفة معتدلة في مطير الدور السلطاني، فتجمعت على الإثر أرصدة هائلة من المواد غير الذوية. ثم طغى التحريك في البيمطير السلطاني التابع، طامسا جل البنيات السابقة. عقبه الغربي القديم، البادي الاستقرار، الذي أعطى، خلال آخر مطير كبير، ظروف الاستقرار الحيوي المواتية لإنتاج الأثرية السيدبالية والتيرسية.

وجاء الوضع الحالي للسطح بعد تطور غربي اختلافي، غير بعض معالم هذه الأثرية وكون الدرجات الطبيعية الرمادية التي تعين قيعان الأودية.

يعني التغيير هنا، في البيأنهار، معاودة تحريك سطحي خفيف، لكنه عميم الفائدة. حصل من جرائه تجنيس للمسكات السطحية، مانحا إياها التوازن النسيجي والعدائي بفرز وتوزيع الكلس والرمل والطين والحديد، أفاد في التخصيب وخاصة في ترقية القطاع المائي للتربة.

على غرار جل المناطق جنوب البحر المتوسط، يبدو الساس على هيئة سيفساء ليس فقط بالنسبة لأنواع الأثرية والتكوينات السطحية ولكن كذلك بالرجوع إلى انتسابها الزمني والتطوري. من ذلك الطابع النفيس لهذا التراث، مضاف إليه الرصيد المائي، وكذا صعوبة تدارك التدهورات الحاصلة.

خلال القرن العشرين، تزايد الضغط على الموارد الطبيعية بصفة غير مسبوق، حيث ترامت الزراعات التجارية على الأراضي واستنزفت المياه، وتضاعفت المساحات المبنية في مدينة مثل فاس مثلا بحوالي ست مرات، وتغير تشكيلها ونماذج الاستهلاك في هياكلها. وبدا واضحا أن مرد التدهور بشري، وأن من جملة المسارات التي أدت إليه : تهميش وإبعاد سكان الأرياف المدشن في فترة الاسعمار، وتهميش وإفقار المدن الأصلية بسبب مصادرة أزمة القيادة الاجتماعية والاقتصادية، وضعف تكيف المدن العصرية التي تحولت إلى هاوية إتلاف للموارد الطبيعية.

D. Fasi, *Les formations superficielles du Saïs de Fès et du Meknès du temps géologique à l'utilisation des sols*, Rabat, 1999.

إدريس الفاسي

سائيس (زاوية -) تقع بأولاد مسعود، فخذة من أولاد بوعزيز الجنوبية. وكانت من أهم حصون دكالة في القرن الثامن (14 م) تحمل اسم "حصن أسائيس" كما سماها لسان الدين بن الخطيب عندما زارها في عهد الدولة المرينية. وصيغة هذا الاسم لاتدع مجالا للشك في أصله الأمازيغي وفي كون هذا الحصن قد تم تشييده، حسب تعبير الحسن الوزان على يد الإفاقة الأقدمين.

ولقد بات بن الخطيب في حصن أسائيس أثناء رجوعه سنة 761 من مدينة أسفي، وكان ذلك في وقت انهيار الدولة المرينية، عندما استحوذ بعض الشيوخ على السلطة في الناحية واحتكروا الجبايات لأنفسهم، فشهد النكية التي حلت بأحد هؤلاء الشيوخ، فقال عن هذا الحصن : "دار عادية ملوكية تُنسب لأحد أسياد الوطن ممن غمَسَ يديه في الجباية في الدم الفرت تدل على انسحاب دنيا كانت سحابة صيف..."

ثم كانت هذه القرية التي تقع على مقربة من قرية تارتير تابعة في القرن العاشر (16 م) إلى قبيلة مشنزاية. وفي عهد السلطان مولاي إسماعيل العلوي، ورد علي هذه القرية أحد الأمغاريين من تاملوحت بجنوب مراكش يُدعى مولاي إسماعيل بن عبد السلام بن سعيد. يقول الكانوني إنه قدم مع والده لشبان وقع بينهم وبين أهلهم فنزلوا على مقربة من حصن سائيس حيث الآن زاويتهم المشهورة بالسائيسية، نسبة إلى الحصن الذي هو أحد الحصون القديمة بدكالة والذي كان أصحابه يتحصنون به عند الحروب. وتوجد الآن آثاره وبعضها ما يزال ماثلا للعيان حوله آبار عديدة، ويقام عنده سوق تجاري في كل يوم سبت من الأسبوع إلى الآن، يحمل اسم سبت سائيس. وكان مولاي إسماعيل بن عبد السلام الأمغاري السائيسي فقيها فاضلا شريفاً سرياً هماماً له رحلة إلى

فاس أخذ فيها عن شيوخ القرويين وكانت له منزلة عند السلطان المولى إسماعيل وله منه ظهور بالتوقير والاحترام والتنويه والإعظام، مؤرخ بأوائل ربيع النبوي سنة 1138. وآخر من ولده المولى عبد الله يمثل ذلك بتاريخ نَيْف وأربعين، توفي تقريباً أواسط القرن الثاني عشر، وبنيت عليه قبة بزواية سايس.

وهذه الزاوية المعروفة اليوم باسم زاوية سايس كانت تشتمل على ثلاث زوايا هي :

1) الزاوية الفوقانية المسماة بزواية أولاد سيدي سعيد أبي عثمان.

2) الزاوية الوسطانية المسماة بزواية سيدي محمد بن احسين التي أسسها خمسة من أولاد مولاي إسماعيل. والتي كانت تشتمل على مدرسة يُدرّس فيها القرآن والتفسير.

3) الزاوية التحتانية المسماة بزواية أولاد إسماعيل والتي تأسست على يد ستة آخرين من أولاد مولاي إسماعيل.

وكان نقيب زاوية سايس هو القائد مولاي الطاهر السياسي، كما كان لهذه الزاوية اجناس مسجلة في حوليات نظارة الجديدة.

وليس لهذه الزاوية وردٌ خاص بها، وإنما هي تابعة للطريقة المصلوحية التي يرجع أصلها إلى الطريقة الشاذلية.

ل. ابن الخطيب، نفاضة الجراب ؛ م. الكانوني، جواهر الكمال ؛ أ. بوشرب، دكالة ؛ ناحية دكالة، سلسلة مدن وقبائل المغرب تر. م. الشباطي، مخطوطة.

محمد الشباطي

السبَاب، تعاويزٌ يُحتمى بها ممّا يتهدد الإنسان ويقلقه. وقد عرف الإنسان التعاويز منذ القديم، ومنذ ظهور العرافة في العشرات الأولى، على الخصوص، حيث كان لكل عشيرة أو قبيلة أو تجمع مسكني عرافه وساجره، وكان هذا الأخير يصنع التعاويز لبني قومه، وهي تائم ورقبات تعلق أو تحفظ في أماكن معينة، أو تثبت على جسد طالبها، كما كانت تقتصر أحياناً على كلمات يتفوه بها العراف أو الساحر أو الكاهن أو تائم يلغظ بها غير مفهومة لدى غيره، أو جمل أو أشعار يتعنى بها مصحوبة بطقوس تختلف بين المجتمع والآخر منها البخور، ومنها الحركات الجسدية (الرقص والجذبة) ومنها تقديم القرابين من الذبائح أو الهبات والعطايا العينية أو النقدية المختلفة. وأكثر ما يعبر المغاربة عن التعاويز بالسبَاب.

من السبَاب أو التعاويز المعروفة في نفس السياق المذكور تعليق بعض أنواع النباتات عند بوابة المنازل أو بداخلها كالثوم الذي يقال إنه يطرد الأرواح، الشريرة، أو

تعلق الصفائح الحديدية المستعملة لحواجر الخيول. أو تعليق رسم راحة السيد أو الأصابع الخمسة (الخميسة)، أو تعليق رسم العين أو نحو ذلك مما جرت الأساطير والخرافات والحكايا الشعبية بذكره ضمن الأسلحة التي حارب الإنسان بها على مر الحقب السحيقة أعداءه غير المرتين !!

وقد عرف الإسلام ظاهرة التعاويز من خلال الاستعاذة من الشيطان الرجيم نطقاً، وتلاوة المعوذتين، ومن خلال تلاوة آيات كثيرة، وردت في السنة أو في الأخبار والآثار ما تحققه من النفع النفسي والاستقرار العقلي والعاطفي لما تحمله من قوى نورانية كان أساسها وسيظل دائماً وأبداً إلهي المنشأ مادام الأمر يتعلق بكلام الله عز وجل القوي العزيز والقاهر فوق عباده بلا استثناء، ومادام ذلك من قبيل ذكر الحق عز وجل مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى : (ألا بذكر الله تطمئن القلوب...).

والتعاويز أو السبَاب لا تختلف عن الرقيات، ومفردتها "رقية" (بضم الراء وسكون القاف) إلا أن الرقية أطلقت عند العرب على الكلام المنطوق، وعند المسلمين منهم على الذكر الحكيم، باعتباره يشتمل على آيات تتم بها ترقية المستفيد من الرقية إن كان به مفسد أو ألم أو قلق أو وسوسة من فعل الشياطين ونحوهم، وغالباً ما تكون لهذه الأفعال الشيطانية مضاعفات جسدية سرعان ماتخفي أعراضها بذهاب مسبباتها الخفية، الشيء الذي جعل البعض يعتقد بأن الرقية تنفع في دفع الأمراض والآفات الجسدية حتى ذات المنشأ الفيزيقي الملموس. وقد وقع في هذا الخلط جمهور غفير من السذج ولذلك لانزال نرى بين ظهراي. العالم الإسلامي من يسعى إلى الرقى والتعاويز لدفع بعض الأمراض الجسدية ذات المنشأ الفيروسي أو المكروبي أو العضوي الذي لا تنفع فيه سوى الأدوية الملموسة المصنوعة لهذا الغرض.

ويطلق السبَاب عادةً على نوع معين من التعاويز، هو النوع الذي تمت الإشارة إليه آنفاً والذي يقتضي قيام الكاهن أو الساحر أو العراف بفعل من الأفعال أو حركة من الحركات مصحوبة بتلاوة تائم أو كلمات موضوعة لهذا الغرض على الشخص المستفيد من العملية، ويمارس بعض المسلمين هذا الفن بواسطة التلاوة والرش بالبصاق أو بمحلول يعد خصيصاً لهذا الاستعمال.

وقد يتم في "السبَاب" المسح على العضو المصاب بالمرض بواسطة قطعة من صوف الغنم ملبدة (ليكة الصوف) أو مغمسة في القطران أو في أي سائل يتم إعداده لنفس الغرض، أو المسح بالرماد أو بـ "الحوم" وهو المسحوق المأخوذ من قيعان القردور المحترقة أو من بقايا أي عنصر يتم إحراقه لهذا الغرض.

م. الوكيل، المدارس الباطنية بين العلم والفلسفة والعقيدة والدين، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، مرقونة، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1998 ؛ ع. الرحمن سعيد وآخر، الجانِب الخفي

في عقل الإنسان، مراكش، 1993 ؛ شفيق مقار، لندن، 1990،
السحرفي التوراة والعهد القديم.

محمد عزيز الوكيل

السباعي (أسرة) ← بو السباع (أولاد -)

السباعي، إبراهيم بن علي بن محمد الأسماني
الأصل، التامگروت، الدار، أبو إسحاق. وعلى الرغم من
شهرة بالسباعي، فإننا لم نستطع إثبات صلته بالسباعيين.
ولد سنة 1034 أو 1037 بإفران من بلاد سوس ؛ ومنها قدم
إلى تامگروت سنة 1052 / 1642، فاستوطنها (الدررة
الجليلة، ص. 223). وبها أخذ عن الشيخ محمد بن ناصر
علوم الشريعة، وحضر مجالس درسه في مختلف الفنون
كالفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة. كما أخذ عن
مشاهير من عجت بهم الزاوية الناصرية من العلماء، كمحمد
بن سعيد الميرغثي وأبي سالم العياشي وغيرهما.

ثم ارتحل إلى فاس فأخذ بها عن عبد الرحمن بن
القاضي، وعبد القادر الفاسي. كما شد الرحال إلى المشرق
لأداء فريضة الحج، فلقى هناك جماعة من الأعلام، أخذ
عنهم. منهم بالخرميين الشريفين، أبو مهدي الثعالبي،
وإبراهيم بن حسين الكردي، ومحمد بن سليمان الروداني ؛
وبدمشق عبد القادر الصفوري وعبد الباقي الحنبلي. وأخذ
بمصر، عن عبد الباقي الزرقاني، ومحمد البابلي، ومحمد
البقري، وعلي الطرابلسي، ومحمد الخرشبي. وبعد تلك
الرحلات، لازم شيخه محمد بن ناصر حتى صار عنده من
المختصين ؛ فكلفه بتأديب ابنه أحمد الخليفة، وإقرائه
القرآن وغيره من العلوم (م. س. ص. 220). وقد برز
السباعي في علم القراءات على وجه الخصوص، فكان "له
فيه أوفر نصيب". ويذكر محمد المكي الناصري أن المترجم
أجاز والده الشيخ موسى بن محمد الكبير، وأدرجه في آخر
الإجازة، وهو صغير لم يتعد عمره أربعاً (الدرر المرصعة..
حرف الألف، فصل من اسمه إبراهيم).

وبعد أن جاور بالمدينة المنورة مدة، رجع إلى تامگروت،
فتزوج بها وعكف على تدريس القراءات، حتى كان أشهر
أساتيدها بالزاوية الناصرية. فانتفع به خلق كثير منهم،
موسى الناصري وأخوه عبد الله، وأحمد بن عبد الرحمن
السجلماسي.

توفي سنة 1135 / 1723، بعد أن عمر حوالي مائة
سنة. وتشير المصادر إلى أن له تذييلاً حسناً على الوسيلة
الناصرية، وفهرسة بعنوان الشمس المشرقة بأسانيد المغاربة
والمشاركة لم نعتز عليها (م. س. ص. 220-222).

م. المكي الناصري، الدرر المرصعة، مخطوط ؛ الخليفتي، الدررة
الجليلة، مخطوط ؛ ع. المحي الكتاني، فهرس الفهارس، بيروت، 2؛
416. 419 ؛ ابن سودة، دليل، 2 ؛ 332 ؛ الزركلي، الأعلام، 1 ؛

54، كحالة، معجم، 1 ؛ 67، وغيرهم.

السباعي، أحمد بن إبراهيم بن علي ؛ ابن
السابق. وإذا كنا لا نعرف شيئاً عن سني حياته الأولى،
فإننا نعلم أن والده كان من بين أسانيد الزاوية الناصرية
الأوائل، إذ كان ممن أخذوا عن الشيخ محمد ابن ناصر،
الذي أنس منه سعة العلم، فاخصه بالإشراف على تأديب
ابنه أحمد الخليفة وإقرائه، وذلك ما تمت الإشارة إليه. وبناء
على ذلك نرجح أن يكون المترجم قد نال موفور حظه من
العلم بتامگروت، التي كانت تعج آنئذ بالعلماء والطلبة،
بجانب ابن الشيخ المذكور (الدررة الجليلة، م. س. ص.
221).

أخذ السباعي الورد عن الشيخ أحمد بن محمد ابن
ناصر (م. س. ن. ص. 202). ولذلك ليس من الغريب أن
نجد السباعي، كدأب والده، من بين أساتيد الزاوية
الناصرية ؛ سيما وأن الخليفتي يذكر أنه "تمهر في العلوم،
وكان متفنناً فيها" ؛ بل لم يكن يجارى في علم التفسير،
على الخصوص. ومما يذكر هاهنا، أن كثيراً من الناصريين
تتلمذوا عليه، منهم محمد المكي الناصري، مؤلف الدرر
المرصعة ؛ الذي أثبت الإجازة التي نالها منه (فتح الملك
الناصر، ص. 74-76). تؤكد هذه الإجازة ما قاله الخليفتي
إذ يبدو من خلالها أن السباعي كان متضلعا في علوم
كثيرة، منها علم الحديث ؛ سيما صحيح البخاري ومسلم،
وجامع الترمذي وشماله، وموطأ مالك، وسنن أبي داود،
وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، وشفا عياض، والأربعين
النووية، ومنتقى الباجي ؛ ومنها القراءات، كالشاطبية،
والتشر. هذا فضلا عن تبحره في التفسير، والتصوف
والرقائق والفقه (الدررة الجليلة، ص. 176-178).

ومن جانب آخر كان المترجم ممن يغلب عليهم الجذب،
فإذا غشبه ذلك يأوي إلى زاوية سيد الناس القريبة من
تامگروت ؛ فيمكث بها أياما ثم يعود إلى داره بالزاوية
الناصرية. وكان ذلك دأبه حتى وفاته بتامگروت، بعد عام
1141 / 1729. ويشير المصدر نفسه إلى أنه مدفون بمقبرة
أبي القاسم الشيخ (م. س. ن).

الخليفتي، الدررة الجليلة، مخطوط ؛ م. المكي الناصري، فتح
الناصر في إجازات مرويات بني ناصر، مخطوط.

أحمد عمالك

السباعي، بوبكر (سيدي -) ابن الولي سيدي
محمد بن المداح دفين الجرمان بقبيلة عبدة. ينتسب إلى
فرقة أولاد الغازي السباعية المنتمية إلى فخذ أولاد عمرو.
وقد اشتهر هو وأبوه بالخير والصلاح. ولهما زاوية في قبيلة
عبدة تحظى بتقدير واحترام السكان ويؤمها الزوار من
مختلف القبائل المجاورة لها.

وسيدي بوبكر هذا هو ابن عم سيدي العروسي دفين

وادي تانسيفت ببلاد الشياظمة. (عقود النسب، د. د. ع : 449-450).

ج. كفناي، قبيلة أولاد السباع أبي في القرن التاسع عشر، د. د. ع مرقونة، بكلية الآداب بالرباط، 1988.

حسن كفناي

توفي بصعيد مصر بقرية تدعى أحغاز عام 1213 / 1799-98.

ع. الرحمان المجهتي، الحضيكيون، تر. رقم 62، مخطوط : م. المختار السوسي، المعسول، ج. 11، ص. 316 : عبد المحي الكتاني، فهرس الفهارس، بيروت، ط 2، 1982، ج. 1، 296 - 298.

أحمد بومزكو

السباعي، عبد الله بن المعطي بن أحمد

الصحراوي ولد عام 1310 / 1892 بمكان يقال له (ترس). حيث حفظ القرآن واتقن رواياته، ثم أخذ العلم عن والده بأحواز مراكش بقرية أولاد عبد المولى، ثم بمراكش عام 1338 / 1919 وتلمذ على علمائها.

وفي سنة 1374 / 1954 أسس مدرسة تقليدية بأولاد عبد المولى بقبيلة أبناء أبي السباع يدرس فيها العلوم الإسلامية، كما تعاطى الإفتاء لدى المحاكم الشرعية. وقضى الشعر في المناسبات الدينية والوطنية، وله في ذلك قصائد كثيرة. ومن مؤلفاته، الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع. طبع عام 1406 / 1986. يرد فيه على الطاعنين في نسب الشرفاء أبناء أبي السباع : والارتفاق في الرد على من يقول بزكاة الأوراق (مخطوط) : والأجوبة السباعية عن الأسئلة المراكشية.

توفي عام 1390 / 1970. م. المختار السوسي، المعسول، 18 : 266، 278 : أ. متفكر، ذيل الاعلام، مخطوط.

أحمد متفكر

السباعي، عبد المعطي بن أحمد بن محمد

يندرج نسبه تحت عمود "الغازي" الذي هو أكبر أولاد عمرو ابن عامر الهامل، ويعرفون بأولاد "الغازي" وهم "مشهورون داخل قبيلة السباعيين بمكائهم المرموقة في ميادين العلم والأدب بالإضافة إلى تحليهم بالخصال الحميدة من كرم وجود وشجاعة".

وفروع الغازي بن عمرو هم : أولاد عبد المولى، والعباسية، وأولاد شنان، وأولاد حمودة، والهلالات، والكوايات والمترجم من أولاد عبد المولى، وقد تبين أن لهذا الفرع ميزة تلقيح باقي الفروع الأخرى بالعلم وفضيلة الاعتكاف على خدمته ونشره في الناس، وإنشاء المدارس العلمية الخاصة بذلك، ويشهد لما ذكرناه اقتداء العديد من المتخرجين من مدرسة أولاد عبد المولى من السباعيين بشيخهم عبد المعطي وأبجاله في إنشاء مدارس علمية خاصة بهم يقومون بها من مالهم الخاص.

ولد عبد المعطي السباعي أول عشرة السبعين ومائتين وألف هجرية في بوجمادة، وهو محل معروف بأولاد أبي

السباعي، الجيلالي بن أحمد بن المختار، العالم

الحافظ المشهور من قبيلة أولاد بوسباع بأحواز مراكش. إن الإشارات والمعلومات القليلة التي تسمح بها المصادر لا ترقى إلى مستوى تتبع مراحل حياته، غير أن ما تسجله بشكل عام أنه نشأ وترعرع ببلده قبل أن يقوم برحلة لطلب العلم، قاده إلى سوس حيث مكث مدة أخذ عن الشيخين الحضيكي بزاوية أفيلال، وأحمد الهوزيوي بتارودانت. استطاع السباعي بعد استقراره ببلده أن يستقطب عدداً لا يستهان به من الطلبة وأن ينمي فيهم حب العلم وإتقانه، وأقبل على تعليم الناس وإرشادهم إقبالاً كبيراً. ويبدو من كلام المجهتي عنه أنه، نظراً لمكانته العلمية، تصدر للتدريس فترة بمراكش وغيره دون أن يستقر في مكان واحد. فأخذ عنه كثير من الطلبة، وكان يقرئ بالخصوص تفسير القرآن، وكانت له منزلة كبيرة عند العمال يوقرونه ويحترمونه. وقد أجاه كثرة الإقبال عليه إلى الانقطاع عن المجلس، وقضى مدة منقبضاً عن الناس منعزلاً عنهم، فقرر أن يحج وتزامن مروره بمصر مع تعرض هذه الأخيرة إلى هجومات الفرنسيين، لذا سارع المترجم بالدعوة إلى الجهاد، وساهم بشكل فعال في التصدي للمحتل الأجنبي.

ومن أهم ما يسجل عن حياته العلمية أثناء وجوده بالمدينة المنورة، أنه كان مشاركاً في كثير من العلوم لاسيما التفسير والحديث، اللذين برع في تدريسهما بالمسجد النبوي. وقد حلاه تلميذه أبو الفضل التهامي الاويري (ت. 1246 / 1830 - 1831) في كتابه إتحاف الخل الموطني... بالحافظ الحجية وأن له من الحفظ ما تحار فيه الأفكار وكونه يتوفر على عدة مؤهلات من ذكاء ونباهة وسرعة الحفظ. وهذا ما حدا بمحمد بن عمر البيوركي إلى اعتباره من جملة الحفاظ الكبار حتى قيل إنه "المجدد على رأس المائة لكثرة ما جمع من العلوم، مع اتساع الباع في الحفظ والفهم، قيل إنه استظهر القاموس حفظاً وإتقاناً".

ويبدو أن صدى نشاطه العلمي في البقاع المقدسة وصل إلى المغرب فأولاه السلطان مولاي سليمان عطقاً خاصاً، بأن أرسل إليه إعانات مادية. بيد أن ما يستشف من كلام صاحب "إتحاف الخل..." أن المترجم تجرد عن كل ما وصله من السلطان، وقد نبهه في مناسبة أخرى على توليته العمال الجائرين على الرعية عوض العلماء الاتقياء. ويظهر من هذا أن السباعي كان يتهرب وينفر من بط أية علاقة بالسلطة ورموزها. ويفضل الزهد والانزواء.

له قصائد في المدح والتصوف تدل على أنه أديب فصيح، كما كانت له مساهمات فقهية.

السباع، ير عليه الذهاب من مراكش إلى أكادير بعد الخروج من شيشاوة.

أخذ العلم عن جلة من علماء عصره بموطنه بأولاد أبي السباع ومراكش وسوس، كما التقى بالعديد من كبار أهل العلم بالمغرب والمشرق واستجاز وأجاز إجازات علمية عامة وخاصة...

ولمّا حجّ لقي السيد إبراهيم السنوسي بثغر الإسكندرية فأجازه بكل ما يرويه، ورأى الشيخ عليش بمصر، وأخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ مبارك الدميسي السباعي وعن سيدي الزوين والشيخ إبراهيم السوسي اليحيوي.

والتقى في الصحراء بآل محمد سالم المجلسي والشيخ محمد المقري والشيخ إبراهيم بن حامل المستقل بقراءة العلم من عام 1274 إلى 1280 على يد الشيخ سعيد الشريف الكثيري (الإعلام، 8: 386).

وقد أسس الشيخ عبد المعطي السباعي مدرسة بمسقط رأسه عام 1318 / 1901 فانقطع فيها لإقراء العلوم ودراسة الفنون والتنقيب والتدقيق والنخل والتحقيق، فقصده فيها الطلبة الغريباء من كل فج عميق، فتكفل لهم بالإيواء والإطعام، وشغل أوقاته معهم في التعليم والإفهام. واشتهرت مدرسته في عهده بالجد والعطاء والعمل الدؤوب واستمرت بعده على ذلك بفضل أولاده العلماء الذين تخرجوا على يديه، خصوصاً عبد الله الذي خدم العلم بكافة مظاهره مع تمكن واعتداد بالنفس، ورفع شأوه في ذلك من مستوى مدرستهم العلمي وقصدها الطلبة النجباء من كل مكان، وهي مدرسة جمعت بين اللغة والبيان، والفقه والإفتاء والمشاركة في كافة الميادين العلمية، وتخرج منها نخب متضلعة متتالية، وما زالت فيها أثاره من علم حتى الآن.

توفي عبد المعطي ظهر يوم الجمعة خامس شعبان عام ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة وألف / 18 يونيو 1915.

إبراهيم الوافي

الصغير، ثم على ولده الثاني عبد الله، أخذ عنهما رسالة ابن أبي زيد القيرواني، والمرشد المعين بشرح ميارة، ثم الألفية بشرح السيوطي، وإضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة بشرح عليش. وفي سنة 1333 / 1914 رحل إلى مراكش ليطم دراسته العلمية بجامعة ابن يوسف، حيث درس على السادة العلماء : محمد بن التاودي السرغيني ومولاي أحمد العلمي والحاج عبد السلام بن محمد بن المعطي السرغيني عمر بن التاودي الصنهاجي عبد الرحمن المدني العمراني وشيخ الجماعة العربي الرحماني البربوشي وغيرهم. وقد أجازه جل الشيوخ إجازة تقر له بالتحصيل والفهم والادراك. وفي سنة 1343 / 1924 شرع في تدريس ماله من رواية ودراية وتدرج في سلك العلماء من الفئة الثالثة إلى الثانية إلى الأولى. ولم يقتصر نشاطه على التعليم بالجامعة اليوسفية، بل تجاوزه إلى منابر مساجد مراكش : كجامع الكتبية، وجامع المواسين، وجامع القصبه وغيرها. حيث حاضر في التفسير والحديث، والألفية، والشيخ خليل، بمنهج يجمع بين خصائص الوعظ والإرشاد، وبين روح البحث العلمي الرصين.

وتشاء الأقدار أن يرحل إلى مدينة الدار البيضاء ليعمل بمدرسة السلام مدة خمس سنوات، ويتولى الخطبة بجامع الحمراء نيابة عن المفضل الحريزي. بعدها عاد للجامعة اليوسفية.

وفي سنة 1365 / 1945 تولى قضاء شيشاوة وإيمنتانوت مدة إحدى عشرة سنة. ثم استعفى وانصرف للتدريس بمراكش وتولى خطبة الجمعة في جامع القنارية نيابة عن الفقيه السيد عمر بن التاودي، ثم جامع الكتبية نيابة عن الفقيه السيد بوشعيب الشاوي.

ولما أنشئ المجلس العلمي لمدينة مراكش سنة 1402 / 1981 عين عضواً فيه باقتراح من رئيسه الرحالي الفاروق. توفي عشية الاثنين 23 رمضان 1419 الموافق 11 يناير 1999 وأقبر يوم الثلاثاء بمقبرة باب دكالة. روايات شفهية : أ. متفكر، ذيل الاعلام، مخطوط.

أحمد متفكر

السباعي، محمد بن إبراهيم بن محمد بن الحفيد الحاحي المراكشي من فخذ يعرفون بالعبيدات من أولاد أبي السباع، القبيلة المشهورة غربي مدينة مراكش. ولد في أواسط العشرة الخامسة من القرن الثالث عشر (19 م) بمدينة مراكش. انقسمت مرحلة دراسته الأولى بين مسقط رأسه وبين قبيلة دمسيرة، حيث حفظ القرآن الكريم وشدا بعض المتون المتداولة، وعمدته آنثذ الشيخ سعيد بولواح الدمسيري. ويعد أن أخذ بمراكش، انتقل إلى فاس حيث مكث ما ينيف عن خمسة أعوام. وقد أخذ بالمدينتين عن فحول علمائهما، كمولاي الصادق العلوي، وشيخ

السباعي، علي بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله السباعي نجاراً، المراكشي وجاراً، ولد عام 1312 / 1894 بدوار الروافع من قبيلة أولاد أبي السباع. وبمسقط رأسه حفظ القرآن الكريم على يد الفقيه السيد محمد بن سالم السباعي إلى أن استظهر عليه كتاب الله، مع تلقي المبادئ الأولية للعلوم الإسلامية واللغوية. وفي سن الثالثة عشرة من عمره التحق بمدرسة أولاد عبد المومن بنفس القبيلة ليقرأ بها على الفقيه عبد المعطي بن الحاج أحمد السباعي، ثم على يد الفقيه محمد

الجماعة أحمد المرينسي، ومحمد بن المدني گنون، ومحمد بن عبد الرحمن الفلالي، وعمر ابن سوادة ومولاي عبد المالك الضير وغيرهم. وأجازته كل هؤلاء، كما هو مثبت في إظهار الكمال.

وكانت نتيجة تحصيله أن أصبح صدرًا من صدور العلم في زمانه. فبرز في علوم شتى، سيما التفسير والحديث والأصول والفقه المالكي، إذ كان حامل لوائه، وفي الأدب واللغة والعروض والتاريخ.

وانتهت إليه فضلًا عن ذلك، رئاسة الفتوى في مراكش؛ بل كانت ترد عليه الأسئلة من كافة أنحاء المغرب. ويذهب تلميذه العباس بن إبراهيم المراكشي إلى أن أجوبته لو جمعت لأريت على نوازل المعيار (الإعلام، 7 : 193). وبالرغم من عدم شهرته باتباع طريقة صوفية معينة، فإنه كان يثني ثناء جميلًا على الناصريين. وكان على خلاف مع الشيخ محمد بن أحمد أكسسوس، التجاني الطريقة؛ حيث رد عليه تلميحا وتصريحا، وخاصة فيما يتصل بأولاد أبي السباع، الذين كان هذا قد بالغ في الإنكار عليهم، في نظر السباعي (البيستان الجامع.. نسخة خزنة آل سعود البيضاء، ص. 147 - 152). وكما اشتهر بأدبه وشعره، اشتهر بشدة شكيمته على مبتدعة عصره، وحسه النقدي ولسانه الحاد؛ حتى إنه لم يقتصر على الإنكار على مخالفي الشرع في زمانه فحسب، بل تصدى لبعض رجال المخزن كذلك.

من ذلك أنه أُلّف رسالة كشف الستور عن حقيقة كفر أهل بصير للتنديد بالملبس بالحماية القنصلية، التي استشرت بين كثير من المغاربة، في زمانه. ولم يكن يني عن تبيان أحوال حاشية السلطان، بما كانوا عليه من سوء السيرة ونهب أموال الرعية، وغير ذلك من الأفعال الذميمة. وهذا ما دفع بعضهم إلى السعاية به إلى السلطان، فامتحن بالسجن ثلاث مرات؛ مرة في عهد السلطان سيدي محمد ابن عبد الرحمن، ومرتين في عهد ابنه مولاي الحسن. وبالإضافة إلى هذا السبب، يفصل المترجم سبب اعتقاله الأول بأن من تعرض لإذيته اتهمه بالتقاعد عما وضع عنده بعض العمال من مال. ويرجع سبب الاعتقال الثاني، والذي نقل على إثره إلى مدينة فاس، إلى تردده على الأمير مولاي علي بن عبد الرحمن. وأما الاعتقال الثالث، فلا تفصح عن سببه المصادر. وإنما ترجعه إلى أنه ألح في طلب "حق وجب له شرعاً".

"إلا أن كل ذلك لم يفل من غريه، ولم يوهن من صرامته ولا حده". بل استمر مهيب الجانب، محترما عند الجميع، بما في ذلك المخزن نفسه. في هذا السياق، يذكر أنه تشفع ذات يوم لدى السلطان المولى الحسن، في بعض أقاربه الذين كانوا مسجونين، فقبل شفاعته وأجزل صلته.

وبالجمله فإن الصرامة المزوجة بالدين المتين والنزاهة والهمة العالية والنفس الكريمة والأخلاق الزكية، قد جعلت

مترجمنا كثير الحاشية، واسع الناد، عظيم الثروة.

واشتغل المترجم بتلقين العلم، نحو نصف قرن، بمدينة مراكش التي استقر بها في نهاية الثمانين، بعد أن رجع إليها من فاس؛ فلاقى قبولا كبيرا، حتى أخذ عنه جل معاصريه. وقد علل ذلك فقال: "ومال المتعلمون كلهم لي عن غيري غالبا لأمرين: عدم الاشتغال عنهم بلا بطالة، ويأتون بظن حسن، ونية خالصة" (الإعلام، م. س. ن. ص. 204).

ترك السباعي آثاراً ذكرتها المصادر، منها شرح الأربعين النووية، وشرح خطبة الخرشني لمختصر خليل، أمه في 22 جمادى الأولى عام 1311، ومنها تقييد في أسباب خلع المولى عبد العزيز (مخطوط خ. ع رقم 3937 / 1).

ورسالة كشف النور عن حقيقة كفر أهل بصير، وختمة المختصر الخليلي، وسيف النصر لدفع الإيهام مع ذكر خصائص مؤكدة لوجوب محبة ذرية مولانا هشام؛ ألفه في أسباب نفيه معتذراً عن نفسه وعن السلطان بكونه لا تبلغه الأشياء على حقيقتها، وأن حاشيته تلبس عليه توصلاً لأغراضها. فرغ من تقييده يوم 10 ربيع النبوي 1309؛ منه نسختان خطيتان في كل من الخزنة الحسنية، تحت رقم 309 والخزنة العامة بالرباط، تحت رقم 2942 د (المصادر العربية، 2197). وله عدة أشعار منها رائية من الطويل في ختم على أن أجل مؤلفاته هو كتاب البيستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عد بعض مآثر السلطان مولانا الحسن، الذي ألفه بإشارة من الوزير علي المسفيوي، بناء على اقتراح من السلطان نفسه؛ كما ثبت ذلك في رسالة وجهها الوزير المذكور إلى السباعي، مؤرخة في 9 جمادى الثانية 1306، جاء فيها: "وأمر أن تسرع في تأليف مصنف يكون محتويا على جميع سيرته، وتتع فيه الوقائع الصادرة في ظعنه وإقامته من أول خلافته، ولا تتعرض فيه لوضع أحد ولا تنقيصه بما ليس فيه، وتقتصر على ما هو الأليق بالمقام، وتجتنب ما كان خارجاً على سياق الانسجام". وهذا الكتاب بالرغم من كونه يندرج في سياق الكتابة الرسمية، فإنه جاء حافلاً بالمعلومات الموضوعية، لأن صاحبه عرف بالصدع بالحق وإنكار ما يستلزم الإنكار، سيما حين يتطرق إلى حركات السلطان، وسيرة رجال مخزنه. وقد وصفه الأستاذ المنوني بأنه مفيد جداً في تاريخ حركات العاهل المنوه به. ولا يزال هذا الكتاب مخطوطاً، نعرف منه أربع نسخ: اثنتان بالخزنة العامة بالرباط، تحت قمي 1346 د و1823 (مصورة على الشريط)، ونسخة بالخزنة الحسنية، تحت رقم 12432، ونسخة بخزنة آل سعود، بالدار البيضاء.

توفي محمد بن إبراهيم السباعي في الساعة الواحدة من ليلة الاثنين سادس رجب عام 1332 / فاتح يونيه 1914، عن سن تناهز سبعة وثمانين، ودفن بضريح عبد الله الغزواني، عند رجليه، على يمين الداخل إلى القبة.

م. بن إبراهيم السباعي نفسه، البستان الجامع، مخطوط، خزانة آل سعود، الدار البيضاء؛ ع. الحفيظ الفاسي، معجم الشيخ، 1 : 55. 61؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 7 : 190 - 210؛ ع. السلا، بن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، 1 : 131؛ الزركلي، لأعلام، 5 : 305؛ ع. المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، 1 : 323؛ مصدر تعريبية، 2 : 215-216.

أحمد عسائت

سبّاطة ويكتب أيضاً **سبّاطة** أسرة تزنونية أصحب من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Sabata Zapata. وكان سكنهاهم يحي العيون. ومازالت أسرة سبّاطة بمدينة الرباط، ولا يعرف إن كانوا جاؤوها مباشرة من الأندلس أو بعد أن استقروا مدة بتطوان.

م. داود، عائلات تطوان، مخطوط؛ م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1372.

محمد ابن عزوز حكيم

سبّاطة، بناصر الرباطي فقيه حافظ للقراءات السبع، اشتغل بتأديب الصبيان في كتاب مجاور لمسجد النخلة. وكان متمسكا بالطريقة الدرقاوية. ومن تلاميذه الذين قرؤوا عليه القرآن العالم المهدي متجينوش. توفي سنة 1294 / 1780. وترك ابنه محمداً الذي ورث عنه مهنة تأديب الصبيان. وكان يحضر مجالس الشيخ المكي البيضاوري. وطريقته درقاوية حراقية. وتوفي محمد ابن بناصر سبّاطة عام 1324 / 6 - 1907. دينية، مجالس الانبساط، ص. 196 و269.

سبّاطة، الغازي الرباطي، من العلماء الذين كرسوا حياتهم لقراءة الحديث، وسرد كتب السنة على الشيخ السلفي أبي شعيب الدكالي إذ أوتي صوتاً رخيماً يستحليه السامع، ويغرب لرقته. وكان كل رمضان يسرد صحيح البخاري بالزاوية الناصرية.

حج سنة 1330 / 1912 وحضر دروس الشيخ محمد بن جعفر الكتاني بالمدينة المنورة في صحيح البخاري وموطأ مالك، وسرد عليه جملة من الصحيح، كما حضر مجلسه في همزية المديح للإمام البوصيري. وأجازته الكتاني إجازة بخط يده أمام الحجر الشريف. وله ختمة لصحيح البخاري حررها في الثالث من محرم عام 1351. وقد روى الصحيح على عدة شيوخ كالمكي البيضاوري والقاضي أحمد بناني ورواه أيضاً على بعض كبار علماء الشرق كالشيخ يوسف النبهاني البيروتي الذي أجازته به وبجميع مروياته ومؤلفاته بالمسجد النبوي، والشيخ توفيق الأنصاري الشامي كما أجازته علماء آخرون.

تولى الكتابة مدة طويلة بوزارة العدلية، ثم القضاء بالرحامنة، وأخيراً ببني ملال، وعرف بزاهته وعدالته أيام القضاء، حتى كان أحياناً لا يجد ما ينفق، وقد استعفى من خطة القضاء، غير أن الباشا بوجمعة كان يؤخر مكاتبه ويساعده على العيش من ماله الخاص إلى أن أعفي. ودرس أيضاً على الشيخ فتح الله بناني وأخذ عنه الطريقة الفتحية وكان يتولى السرد بين يديه.

ويذكر الجازي أن الغازي سبّاطة مدارس إلا عن كبير به فع نونوع العلمي والشغف بالمعرفة، فقد كان في شبابه الأول يحترف صناعة الدباغة وأثناءها استظهر القرآن الكريم، إذ أخذ عن المعلم قاسم بريش بدار الدباغة ويعد استعفائه من القضاء، لزم داره إلى أن وافاه الأجل ليلة الأربعاء 6 رمضان عام 1356 / 10 نونبر 1937 ودفن بمقبرة سيدي محمد الضاوي.

عبد الله الجازي، من أعلام لفكر بالعدوتين، الرباط، ص. 375 و376.

سبّاطة، محمد بن أحمد، من الفقهاء والأدباء الرباطيين، عرف بسمو الأخلاق والنجابة، وهو شاعر يميل إلى التصوف. تتلمذ على الشيخ المكي البيضاوري ثم على الصوفي فتح الله بناني. وله فيه قصائد عديدة. وترجمة أسماها : **الفتح الرباني في التعريف بالشيخ فتح الله بناني**. ومن شعره قوله من قصيدة أسماها : **تحفة الأحباب في الحض على سلوك الصواب**، مطلعها :

ياهانما في الوري قد زج في العلل قد خامت عقله الأوهام بالأمس
توفي بالدار البيضاء وهو أعزب في جمادى الثانية من سنة 1325 / يوليو - غشت 1907 ودفن بالزاوية الفتحية هناك.

دينية، مجالس الانبساط، ص. 271؛ عبد الله الجازي، من أعلام لفكر بالعدوتين، ص. 90 و91.

عبد الإله الفاسي

سبّاطة، إحدى المدن التاريخية المغربية العتيقة. كانت قديماً تدعى سبتيم (انظر سبتيم) تقع في أقصى الشمال الغربي المغربي، وتحتل منطقة تضاريسية مرتفعة تمتد في البحر من الغرب في اتجاه الشرق، وهي تحتل بذلك موقعا جغرافيا استراتيجيا يمكنها من التحكم في مدخل مضيق جبل طارق مما أهلها لتقوم بأدوار تاريخية مهمة على مستوى أحداث الحوض الغربي للبحر المتوسط منذ أقدم العصور. فالتطور الذي شهدته المدينة لا يرتبط بالإمكانيات الاقتصادية المحلية المحدودة لباديتها بليونش وما وراء ظهرها عموما، وإنما ارتبط بالبحر على الخصوص. (Ceuta, 21).

شكلت قبيلة غمارة الساكنة الأولى لمدينة سبتة، ومنها ظلت تستمد طاقتها البشرية خلال مختلف مراحلها التاريخية. كما أن معظم الحركات التمردية التي كان يرأسها أمراء الأسر الحاكمة، والتي كانت تنطلق من سبتة، كانت تستمد قوتها من غمارة، الشيء الذي يفسر الحملات الزجرية التي كان يقوم بها الجيش الامبراطوري ضد هذه القبيلة، كما يفسر من جانب آخر صعوبة تحديد مجال تحركات هذه القبيلة بحيث كان يضيق أحيانا ويتسع أحيانا أخرى. مع بداية حركات الاسترداد المسيحي في الأندلس، والدور الثقافي الذي أخذت تلعبه المدينة منذ القرن السادس (16 م) على الأقل اتسعت القاعدة السكنية وتنوعت بحيث أصبحنا نجد بها الإشبيلي والمالقي والجزيري والتلمساني والصقلي والصنهاجي وغيره (Ceuta, 30, etc.).



اختلف الكتاب حول أصل التسمية بين التفسير الديني للكلمة والذي يربطها بسبت ابن سام ابن نوح (البيان المغرب، 1 : 202 ؛ أزهار الرياض، 2 : 256)، والتفسير اللغوي الذي يرى أن الاسم جاء من التعبير "سبت النعل" (نزهة المشتاق، 2 : 528)، والتفسير التاريخي الذي يرى في اسم سبتة اشتقاقاً من الاسم الروماني "Septem Fractres" الذي كانت تنعت به مجموع المرتفعات التي يتكون منها جبل موسى والتلال المجاورة الممتدة على طول المضيق (Le Maroc, 142).

اختلف الباحثون حول الجذور التاريخية للمدينة. تؤكد البحوث الأثرية على أن سبتة عرفت استقراراً بشرياً يعود إلى العصر البليوليتيكي (Paléolithique). وقد أكدت الأدوات المكتشفة المتشابهة في الضفتين الغربيتين للبحر المتوسط على أن الثقافة الكبسية (Capsienne) ذات الأصول الأفريقية تمثل قاسماً مشتركاً بين جميع هذه المناطق (Geografia, 155). إلا أنه صعب على الباحثين وضع إطار

زمني وتاريخي لظهور هذه النواة والتي بموقعها المتميز تكون قد جذبت أنظار البحارة القدامى وهم في طريقهم للبحث عن العبيد والمعادن وغيرها. ويبدو أن الكرتيين أول شعب جاب البحر الأبيض المتوسط باحثاً عن النحاس وربما البرونز الضروري لصناعة الأسلحة، إلا أنه لم يتم العثور على دليل مادي أو غيره يفيد نزولهم بالمنطقة. ويميل الباحثون إلى اعتبار الاغريقين أول شعب وطأ المنطقة معتمدين في ذلك على التراث الأدبي الذي تجسده قصة أديسا الشهيرة التي يتفق الباحثون على أن أحداثها وقعت في التلال المحيطة بسبتة وجزيرة البنقدوس (Ile de Préjil). القريبة منها، إضافة إلى أسطورة هرقل المعروفة. كما أنه لا توجد أدلة تاريخية مادية للحديث عن بناء فينيقي لسبتة، في حين تم العثور على نقود قرطاجنية بجبل الميناء الشيء الذي دفع البعض إلى القول بالأصل القرطاجني للمدينة (Monedas punicas). ولعل أهم حدث يؤكد وجود المدينة منذ هذا التاريخ هي الحروب القرطاجنية الرومانية الثانية في مضيق جبل طارق. لقد تضمنت المصادر إشارة إلى سبتة التي استقبلت السفن القرطاجنية المنهزمة (Historia de la ciudad..., 26 ; Geografia, 158).

لا نعلم شيئاً عن ظروف انتقال سبتة من الحكم القرطاجني إلى السيطرة الرومانية. من المحتمل جداً أن الملوك الموريطانيين لم يظلوا في معزل عن الأحداث بل دخلوا في صراع ضد روما من أجل الحفاظ على استقلالهم. تجلّى تفوق روما من خلال التحصينات الجديدة التي أقامتها حول سبتة، بل وفي إطار الإصلاحات الإدارية الرومانية اتخذت سبتة لقب "عاصمة موريطانيا" برمتها (Historia de la ciudad..., 31). لقد أكدت البحوث الأثرية الأهمية التي كانت لسبتة سواء في علاقتها مع روما (نقود) أو في علاقتها مع باقي أقاليم الامبراطورية (أدوات فخارية وغيرها) (Monedas romanas..., 310 ; Monedas punicas..., 120).

تتميز الفترة الممتدة من القرن الثالث إلى القرن السادس الميلاديين بكونها فترة مظلمة في تاريخ سبتة. تتفق هذه الفترة مع أحداث النهب والسلب التي تعرضت لها الامبراطورية الرومانية من جراء الغزو الوندالي، ولم تنج سبتة كباقي الممتلكات الرومانية في شمال إفريقيا كاللكسوس وتمودا من آثار هذا التخريب (Geografia, 160). إلا أن أهم الغزوات البربرية على الممتلكات الرومانية الإفريقية تلك التي تعود إلى سنة 426 أو 427 الميلاديين والتي تكبدت سبتة من جرائها كغيرها من الممتلكات الرومانية خسائر كبيرة بحيث خرجت المدينة كلها (Les Vandales, 160 ; Historia de la muy noble, 21).

وفي سنة 534 م استطاع الامبراطور البيزنطي جستنيان Justinien من الاستلاء على موريطانيا الطنجية

وطرد الوندال منها. وفي إطار التنظيمات الإقليمية الجديدة للإمبراطورية البيزنطية والتي جاءت بعد خروج موريطانيا الطرابلسية عن سيطرة روما، أصبحت سبتة عاصمة لإقليم كبير أطلق عليه اسم "موريطانيا الثانية" يشمل كل من جزر البليار والامتلاكات البيزنطية في إسبانيا (L'Espagne) (L'Afrique byzantine, 127, 73). عرفت سبتة خلال هذه الفترة منشآت عمرانية وإجراءات أمنية مهمة بحيث أعيد بناء المدينة المخربة وحصنت بأسوار متينة وأنزلت بها حامية عسكرية وأسطول حربي، كما أنشئت بها كنيسة (L'Afrique byzantine, 420).

تميزت مرحلة الاحتلال البيزنطي لسبتة بالتحركات الفزقراطية على المدينة. وقد اختلف الباحثون حول عدد هذه المحاولات ومصيرها بحيث يرى البعض أنها انتهت باحتلال القوطيين لسبتة مستغلين في ذلك انتفاضة البربر والضعف العسكري البيزنطي. يؤرخون الحدث ما بين 626 و636 للميلاد أي خلال فترة حكم الإمبراطور البيزنطي (Ceuta) Heraclius Septem (341, byzantine). أما البعض الآخر فيرى أن سبتة ظلت تحت السيطرة البيزنطية حتى بعد سقوط قرطاج في يد العرب سنة 698 والتي فقدت بيزنطة على أثرها وبسبب الفتوحات الإسلامية جميع ممتلكاتها الإفريقية باستثناء سبتة التي كان يحكمها آنذاك الكونت يوليان (L'Afrique byzantine, 58).

اختلف الباحثون حول هذه الشخصية بين من يعتبره بيزنطياً (Recherches sur l'histoire, 65) وبين من يعتبره قوطياً (Ceuta byzantine, 342) وبين من يعتبره بربرياً (Ceuta, 52). يجزم الباحثون أن يوليان كان مع بداية القرن (8 م) مستقلاً بحكم سبتة. وتؤكد المصادر العربية على أنها الشخصية التي يسرت مهمة الفاتحين المسلمين ليس فقط في دخول سبتة وإنما في اقتحام إسبانيا القوطية (كتاب المغرب، 104؛ البيان المغرب، 2: 6).

ابتداء من سنة 89 / 708 أصبحت سبتة مقاطعة أموية تحت حكم يوليان أولاً، ثم بعد ذلك تحت حكم الولاة المعينين من قبل الخلفاء الأمويين. إلا أن وصول التأثير الخارجي إلى المنطقة والسياسة المالية الجاحفة للأمويين فجرت ثورات محلية من أهمها ثورتا 116 / 734 و123 / 740 كان نتائجها طرد الحكام العرب والتخلص من السيطرة العربية وخلاء سبتة التي ظلت مهجورة إلى حين وفود أسرة بني عصام الغمارية (المعلمة، 5: 1545) عملت هذه الأسرة على ازدهار المدينة التي أخذت تتوسع باستقبال المهاجرين الأندلسيين (كتاب المغرب، 104؛ العبر، 6: 435). إلا أن فترة الاستقرار التي شهدتها المدينة تحت حكم بني عصام مستقلة أو في إطار التبعية لدولة الأدارسة لم تدم طويلاً نتيجة الأزمات السياسية التي شهدتها الغرب الإسلامي برمتها والذي أصبح موزعاً بين المطامح الفاطمية والأموية والإدرسية (Ceuta, 58 etc.).

في سنة 319 / 931 سقطت سبتة في يد الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر كجزء من مشروع كبير يهدف إلى ضم الممتلكات الأموية القديمة على حساب الخلافة العباسية المشرقية، وكسياسة حمائية أمنية من التأثيرات الشيعية التي اقتحمت الغرب الإسلامي ووصلت إلى أبواب سبتة مكونة الأتحاف. لم يستطع الفاطميون والأدارسة اقتحام سبتة بالرغم من الانتصارات التي حققوها على الجيش الأموي في بوادي طنجة وسبتة وذلك بسبب التحصينات التي أقيمت حول المدينة في عهد الخليفة الناصر واستكملت خلال العهد العامري. ومع بداية القرن عندما اندلعت الثورة البربرية في الأندلس ضد سلطة بني أمية، استفاد القاسم وعلي ابنا حمود الإدريسي من الوضع بدءاً في تنفيذ مشروعهما السياسي أولاً في سبتة بمساعدة غمارة أحلافهم التقليديين. ثم بعد ذلك في الأندلس (المعجب، 67). ولم تمكث سبتة طويلاً في يد بني حمود بعد أن استقل بحكمها سقوط البرغواطي أحد مواليتهم الذي اتخذ لنفسه لقب "المنصور المعان" وصك عملاته باسم الخليفة العباسي (الذخيرة، 1: 41).

ساهمت التطورات التي شاهدها الغرب الإسلامي في نهاية الإمارة البرغواطية المستقلة، ذلك أن ظهور المرابطين والدفع بفتوحاتهم شمالاً واصطدامهم بالمغراويين أدى بالضرورة إلى إقحام البرغواطيين في حوض الصراع. فكان رفض سقوط البرغواطي لعرض التحالف الذي تقدم به يوسف بن تاشفين ضد المغراويين مدعاة للمرابطين لإعلان الحرب عليهم ومن ثم القضاء على حكمهم أولاً في أحواز طنجة حيث قتل سقوط البرغواطي حوالي سنة 471 / 78. 1079 ثم في سبتة حيث تمكن المرابطون - بعد محاولاتهم البرية العديدة - من اقتحام المدينة بحراً على متن سفن ابن عباد حاكم إشبيلية الذي قدم المغرب مستنجداً بالمرابطين من جراء الضغط المسيحي. وقد تم ذلك سنة 476 / 1083 (القرطاس، 143؛ الاستقصا، 2: 39).

تميزت الفترة المرابطية بالتوالي السريع للولاة، وإقحام مجلس الشيوخ في تدبير شؤون المدينة. ويعتبر هذا الشكل من الحرية أحد الأسباب التي ساهمت في رضوخ ساكنة سبتة للحكم المرابطي. كما أن غياب هذا العنصر في العصر الموحدوي الموالي هو الذي تفسر به ثورات السبتيين ضد سلطة بني عبد المؤمن أهمها ثورة 543 / 1148 التي كان من أسوأ نتائجها تدمير أسوار المدينة بأمر من سلطان مراكش وتهجير ونفي القاضي عياض زعيم الثورة والمعرض عليها من بلده الأصلي (القرطاس، 191؛ الاستقصا، 2: 115).

لعبت سبتة دوراً مهماً في المجال العسكري الحربي خلال العهدين المرابطي والموحدي كجبهة قتالية متقدمة لتجميع المقاتلين ونقلهم بحراً عبر جبل طارق، إما لمواجهة الاعتداء المسيحي في الأندلس على الثغور الإسلامية، أو لتأكيد

السياسة التوسعية للملك المغرب على حساب الممالك الإسلامية المحلية. ومن المؤكد أن سبتة أدت الثمن غالبا عن ذلك سواء من الجانب المسيحي أو من الجانب الأندلسي نفسه (72 - Ceuta, 70).

تؤرخ أولى الحملات المرابطية التي تمت عن طريق سبتة في سنة 479 / 1086، وهي الحملة التي أسفرت عن الانتصار التاريخي للمرابطين في معركة الزلاقة، وأصبحت في ما بعد المحطة الرئيسية لإقلاع جميع الحملات المرابطية في اتجاه الأندلس. وقد ظلت محتفظة بأهميتها العسكرية خلال العهد الموحد بالمرغم من منافسة طنجة والقصر الكبير (القرطاس، 145). والملاحظ أن جنوم الأسطول الامبراطوري بمينا سبتة جعلها عرضة لمحاولات عدائية عدة أهمها اثنتان: الأولى في سنة 538 / 1144 وتشير المصادر إلى تنفيذها باسم "المجوس" (كتاب البيان المغرب، 4 : 103). أما الثانية فحدثت في سنة 576 / 1180 وقد انطلقت من البرتغال (تاريخ سبتة، 72).

إلا أن الاندحار الكبير للموحدين في الأندلس بعد هزيمة العقاب أو Las Navas de Tolosa سنة 608 / 1212، وهزيمة القصر في البرتغال بعد ذلك حوالي سنة 614 / 1217، كان مؤشرا بأقول نجم الموحدين وبداية أزمة سياسية طويلة. فبعد الاستقرار النسبي الذي شهدته الحكم الموحد سرعان ما ستفجر الأزمة من جديد عقب موت المستنصر، وستتحول سبتة على أثر ذلك إلى محطة نزول لجميع المتمردين والمطالبين بالسلطة من أمراء بني عبد المؤمن اللاجئين بالأندلس: ففي سنة 621 / 1224 استقبلت العادل ولي مرسيا السابق والذي رفض تولية عمه عبد الواحد، فأعلن نفسه ملكا بعد أن ترك أخاه أبا العلاء حاكما على الأقاليم الأندلسية، ودخل مراكش. إلا أن سبتة - وتحت تأثير ثورة أبي العلاء في الأندلس وإعلان تمرد عن السلطة المركزية - ستنجرف هي الأخرى مع التيار الجديد وستعترف متبوعة بطنجة وفاس وتلمسان وبجاية بالحاكم الجديد الذي أعطى لنفسه لقب "المأمون". وفي سنة 626 / 1229 دخل الخليفة المأمون سبتة ومنها توجه إلى مراكش بعد أن عين على رأسها أخاه أبا موسى عمران. إلا أن التطورات التي شهدتها منطقة الغرب الإسلامي، ظهور ابن هود في الأندلس كقوة منافسة للسلطة الموحدية وسيطرته على إسبانيا المسلمة بما في ذلك مركزي التأثير الموحدية الجزيرة تمثل الفترة الأخيرة من تاريخ سبتة الإسلامي المغربي والممتدة ما بين 759 / 1358 إلى حدود سنة 818 / 1415 مرحلة الاضطرابات، وهي تناسب فترة التدهور التدريجي الذي طبع المرحلة الأخيرة من الحكم المريني. أهم ما ميز هذه الفترة عودة المدينة من جديد إلى مركز لاستقبال المتمردين القادمين من الأندلس والمطالبين بالسلطة من أمراء بني عبد الحق، وتحول المدينة إلى نقطة صراع مريني - نصري حقيقي. وفي سنة 785 / 1384 قدم الأمير

الثائر موسى ابن أبي عنان سبتة هدية إلى ملك غرناطة كتمن لمساعدته له في تمكينه من السلطة في المغرب. انتهى الاحتلال سنة 788 / 1386 بثورة أهالي سبتة الحكم النصري وتسليمهم للمدينة إلى الجند المريني (الاستقصا، 4 : 73 ; Le voyage, 163). عادت سبتة إلى حظيرة الدولة المرينية، إلا أن تدهور مؤسسات الدولة وعدم القدرة على حماية حدودها أصبح يندرج بانفجار هذا الوضع في الوقت الذي أخذت فيه حركات الاسترداد المسيحي تستعيد نشاطها وتكثف جهودها من جديد. فكان تخريب تطوان سنة 801 / 1399 على يد قشتالة (الاستقصا، 4 : 90) مشجعا للمشروع البرتغالي الذي انتهى باحتلال سبتة سنة 818 / 1415 (الاستقصا، 4 : 92).

ساهمت الظروف الجغرافية والتاريخية لتجعل من سبتة فضاء سياسيا وتجاريا وثقافيا له ما يميزه على مستوى مدن البحر المتوسط. لقد شكلت نقطة استقطاب ليس فقط للتجار الأوربيين من جنوئين ومرسليين وقطنيين وغيرهم حيث وجدوا سوقا دولية عالمية لاستثمار أموالهم (Traité de paix, 75 - 95 ; Documents inédits, 1 : 261, 2 : 22)، وإنما أيضا نقطة جذب للعلماء مغربيين وأندلسيين. فتكون جبل من العلماء تشبع من تيارات ثقافية مغربية ومشرقية أثر في المسار الثقافي المغربي الأندلسي، وأثرى بانتاجاته الفكرية المتنوعة الخزانة العربية. فاتخذت صورة المدينة العلمية برعاية من حكامها أنفسهم وقد ارتبط اسمها بمنظرات علمية كبرى كالمنظرة المعروفة بالمسائل الفلسفية الصقلية التي كانت بطلب من الامبراطور فريديريك الثاني ملك صقلية وقد انتدب للإجابة عنها الفيلسوف الصوفي ابن سبعين أخطر وأبرز ممثل لمذهب الوحدة الوجودية المطلقة في الإسلام والذي كان مقيما آنذاك بسبتة (المقصد الشريف، 32). كما نذكر المناظرة اللغوية التي كانت بين أبي عبد الله ابن خميس التلمساني الشاعر والنحوي اللغوي الشهير وبين طلبة سبتة (أزهار الرياض، 2 : 297). كما كان من السبتيين ممن مثلوا بلادهم في الديار المشرقية حيث أوجدوا لأنفسهم موضعا محترما بين زمرة المثقفين المشاركة كأبي الخطاب وعمرو ابني دحية (المعلمة، 12 : 3977 - 3978). ومن الأسماء السبتية الشهيرة التي عرفت أيضا بالمغرب خارج حدوده الاقليمية والعقائدية نذكر الشريف الإدريسي، والقاضي عياض، وأبا العباس الخزرجي، وأحمد العزفي، وابن رشيد الفهري، وأبا القاسم التجيبي، وعبد المهيمن الحضرمي وغيرهم كثير (الحركة العلمية، 11 الخ ; Ceuta, 291).

ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1973 : الذخيرة السنوية، الرباط، 1972 : ابن بسام، الذخيرة، ط. إحسان عباس، 1975 : ابن الأحمر الفرناطي، نشر الجمعان، بيروت، 1976 : الإدريسي، نزهة المشتاق، بيروت، 1409 / 1989، ج. 2 : البادسي، المقصد الشريف، تج. سعيد أعراب، الرباط، 1402 : البكري، كتاب

هذا الإنقاذ هي الكشف عن مكانتها في تاريخ ركب الوعي الوطني المناهض للوجود الأجنبي. تأتي بداية البدايات من أن اختيار الأجنبي لمواقع محددة من سواحلنا المتوسطية لم يكن عبثا حينما توجهت أسلحته لامتلاك سبتة، أم مدن الشمال الغربي المغربي. لقد كان الموقع الجغرافي ضمن الاختيارات الاستراتيجية الحربية والسياسية. فسبتة المدينة المغربية المعتصبة في حدودها الأصلية العائدة إلى سنة الاحتلال البرتغالي، شبه جزيرة صغيرة ممتدة بأقصى شرق الشمال الغربي المغربي، عند خط عرض 4.44 شمالا وخط الطول 25.61 غربا، بامتداد طولي متوغل داخل البحر شرقا بنحو 2.50 كيلومتر.

وهناك عدة عوامل جعلت المدينة متميزة عن غيرها من المدن الساحلية المغربية. فالموقع البحري البارز بشكله الطبيعي بأقصى الشمال الغربي منفرد بانفتاحه على قناة مضيق جبل طارق. كل هذا يجعل من سبتة المدينة المتمتعة بمجال بحري متفرع نحو الغرب والشرق من جهة، وإقليم داخلي متسع الأرجاء من جهة أخرى. ويمكن التمييز بسطح شبه جزيرة سبتة زمن احتلالها في العقد الثاني من القرن التاسع الهجري بين ثلاثة محاور عمرانية، اثنان منها بقيا خارج نطاق المقاومة في أغلب الأوقات، وهما الموقع الحربي الذي يعلو شرق شبه الجزيرة المعروف بجبل المينا، والمدينة الممتدة بين جبل المينا وحفير السهاج. أما القسم الأخير المسمى بالجزيرة فهو الذي أصبح بحكم موقعه خارج الأسوار مما يلي الغرب مسرح المقاومة الغربية طوال الفترة الزمنية السابقة لمنتصف القرن الثالث عشر (19 م). وهو يضم مساحة مباني كل من الرض البراني القديم وقصر أفراك المريني. ومساحة الجزيرة وما عرفته من حراسة الحدود ومحاولات تحرير المدينة التي يهتم أمرها هذا العرض المخصص لتاريخ مقاومة الوجود الأجنبي بين سنة 818 / 1415 وسنة 1276 / 1860.

المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ط. دو سلان، باريس، 1965؛ ابن تاويت، تاريخ سبتة، الدار البيضاء، 1402 / 1982؛ إسماعيل الخطيب، الحركة العلمية في سبتة خلال القرن السابع، تطوان، 1406 / 1986؛ ع. الرحمن ابن خلدون، العبر، بيروت، المجلدان، 7 و6؛ ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، تح. محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، بيروت، 1406 / 1985؛ ابن عذاري، البيان المغرب، تح. ج. س. كولان وليفي بروئنسال، بيروت، الجزائر، 1 و2؛ القبتوري، رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي، تح. م. الحبيب الهيلة، الرباط، 1399 / 1979؛ المراكشي، المعجب، الدار البيضاء، 1979؛ أ. المقرئ، أزهار الرياض، الرباط، 1978، ج. 1 و2؛ أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954، الأجزاء 2، 3 و4.

Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIème et XIVème siècle*, Th. 3ème cycle, Aix-Marseille 1, 1987 ; L. Blancard, *Documents inédits sur le commerce de Marseille au Moyen Age*, Marseille, 1884, 2 tomes ; A. Correa de Franca, *Historia de la muy noble y fidelísima ciudad de Ceuta*, éd. T. Vargas Machuca García, in *Transfretana*, n° 3, 1983 ; C. Courtois, *Les Vandales et l'Afrique*, Paris, 1955 ; C. Diehl, *L'Afrique byzantine*, Paris, 1896 ; R. Dozy, *Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen-Age*, 3ème éd., Paris, 1881, T. 1 ; Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et la Maghrib aux XIIIe et XIVème siècle*, Paris, 1966 ; *La question de Ceuta au XIIIème siècle*, Hesp., T. XLII, 1955, 1e et 2e trim. ; Ibn Khaldun, *Le voyage d'Occident et d'Orient*, A Cheddadi, Paris, 1980 ; M. Gordillo Osuna, *Geografía urbana de Ceuta*, Madrid, 1972 ; P. Goubert, *Ceuta byzantine ou wicigotique ?* in *Miscellanea Puig I Cadalalch*, Institut d'Etudes Catalanes, Barcelone, 1947 - 1951 ; *L'Espagne byzantine*, in *Revue des Etudes Byzantines*, T. IV, 1946 ; D. J. de Mascarenhas, *Historia de la ciudad de Ceuta*, Coimbra, 1918 ; M. L. de Mas-Latrie, *Traité de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen Age*, Paris, 1866 ; C. Posac Mon, *Monedas punicas e hispano-romanas halladas en Ceuta*, Tamuda, T. VI, 1958 ; *Monedas romanas imperialas halladas en Ceuta*, Tamuda, T. V, 1957 ; P. Schmitt, *Le Maroc d'après la géographie de Claude Ptolémée*, Th. 3ème cycle, Tours, 1973

زليخة بنرمضان

* * * بعد احتلال سبتة من طرف البرتغاليين سنة 818 / 1415 مباشرة بدأت المقاومة الشعبية، وظهر وعي وطني عام كَوْن فصلاً ضخماً آخر من فصول تاريخ المدينة المغربية بعد أن حولها الغزو الأجنبي من بيئتها الإسلامية السالفة إلى مناقضتها المسيحية. وإذا كان من الواضح أن رصيدها التاريخي المتراكم بعد الاحتلال قد ابتلى بالنسيان، على عكس تاريخها الإسلامي المديد، فإن الحاجة أصبحت ملحة إلى إنقاذ ذلك الرصيد من الاندثار الذي تعرض له بسبب تقادم الوجود البرتغالي ثم الإسباني بسبتة إلى يومنا هذا على مدى ستمائة وست وثمانين سنة. وأولى خطواتنا نحو

والنتيجة الظاهرة من اختبار موقع مدينة سبتة تظهر أنه ثغر محصن، له نظام دفاعي بري وبحري متكامل. فالحصانة البرية المتمثلة في عقبة فخير السهاج العملاق من العناصر الدفاعية التي ارتاحت لها المدينة مع توالي العصور. فالحمية الوحيدة التي يمكن للمدينة الاستناد إليها في أمنها هي الاعتناء بالبحرية الحربية. لذا فقد كانت سبتة سيدة الموقف بالمنطقة إلى غاية العصر المريني الثاني، على عهد السلطان أبي الحسن علي المريني، حينما كانت معتدة بأسطول وطني متفوق في بحر المضيق. وباختفاء الأسطول منذ منتصف القرن الثامن (14 م). في معركة طريف سنة 741 / 1341 أصبحت المدينة بالنسبة للبحرية البرتغالية بعد أقل من القرن لقمة سائغة ومعركة فاصلة.

- فالثابت لدينا عن تحري طرفيات الاحتلال أن فكرة غزو مياه المضيق كانت موطدة على عهد الدولة البرتغالية، القائمة منذ سنة 787 / 1385 على يد أسرة أفيس وملكها "جواو الأول" (Joao I). وإلى جانب التطلع الخارجي للسياسة البرتغالية الذي كان أهم عناصر الغزو، انضاف عامل الهدنة المبرمة مع قشتالة سنة 814 / 1411، لتدخل فكرة غزو سبتة في مسارها الرسمي حوالي سنة 815 / 1412، بحجة القضاء على القرصنة المغربية التي لم يعن بها اليبيريون سوى أدوار سبتة الجهادية بالأندلس الإسلامية، إذ أن بحرية سبتة كان قد انتهى أمرها قبل الاحتلال، مثلما تم الإشارة إليه.

والواقع أن المتتبع لتاريخ الصراع على مضيق جبل طارق، سيدرك أن الوضع العام أصبح في بداية القرن الخامس عشر بالنسبة للبرتغال مغربا على الغزو، بعد تخلي المغرب وانسحاب غرناطة من الميدان وتراجع أطماع قشتالة، مما أتاح لأسرة أفيس البرتغالية أخذ زمام المبادرة لأول مرة في تاريخها. ويمكن اعتبار سنة 1400 بحق بداية التنافس بين قشتالة والبرتغال حول مراكز مضيق جبل طارق. ولاشك أن الحملة القشتالية في تلك السنة على منشآت تطوان البحرية قربت هذا المعنى إلى السياسة البرتغالية.

ومن حسن حظ لشبونة أن وفاة هنركي الثالث، وانشغال القشتاليين بالحرب الأهلية قد أصابا حركة التوسع القشتالية بالجمود، مما أثار حماس لشبونة للسبق إلى جني ثمار السياسة القشتالية للفوز بموقع استراتيجي بالمضيق، مثلما هو موقع سبتة، مستغلة الظروف السيئة التي كان المغرب المريني يجتازها منذ أزيد من نصف القرن.

ولا نتصور الظروف المغربية المناسبة للشبونة، المساعدة لها للانقضاض على سبتة، إلا في تأزم العلاقات الأندلسية المغربية وما رافق ذلك من تدخلات القرابة المرينية، في وقت تزامن فيه مع تفكير البلاط البرتغالي في غزو سبتة، ما بين 1409 و1415. وليس من الصدفة أن يبعث جواو الأول في السنة التي بلغت فيها الحرب بين أبي سعيد عثمان

وأخيه محمد السعيد أوجها لجنة استطلاع خاصة لأحوال سبتة، وهذا كان سنة 816 / 1413. وفي صدد البحث عن علات سقوط مدينة سبتة، نرى أن البرتغاليين، حينما قرروا الزحف على المدينة، ركزوا حساباتهم بالنسبة لأمرين : تدهور الوضع العام الداخلي، وضعف إمكانات سبتة الحربية المتمثلة في ضعف تحصينات المدينة. وإذا أضفنا إلى ذلك انطواءها على تطورات الأزمة الداخلية المترتبة عن التنافس على الملك بين الأمراء المرينيين أدركنا دواعي حلول كارثة الغزو بمدينة سبتة يوم الأربعاء 14 جمادى الثانية من عام 818. كما حدده محمد الأنصاري، صاحب مؤلف اختصار الأخبار، وكان على ما يبدو من جملة الناجين. وهذا التاريخ موافق لما عينه زورارا بيوم 21 غشت 1415.

من الصعب إيجاد التعابير المناسبة للدلالة على ما أصيبت به البلاد المغربية من جراء الاغتصاب، إذ أن فقدان المدينة بالنسبة لمغرب القرن التاسع (15 م) لا يقل في شيء عن وضع حاجز سميح حجب عن أنظاره حضارة مغربية تطلب تشييدها أزيد من ثمانية قرون متوالية. لقد كان بريق تلك الحضارة هو الذي جر دولة البرتغال إلى تنظيم حملة الاغتصاب، وهو نفسه الذي حث الجانب المغربي طوال القرون المتوالية ويصمود مشرف منقطع النظر على بذل قصارى الجهود لاسترجاع الإرث الحضاري المغربي الضائع.

لا ريب أن حدث اغتصاب سبتة قد وضع المغرب المريني أمام مسؤوليات جسام، نتيجة ما ترتب عنه من العواقب الوخيمة والنتائج المتشعبة الجوانب، بدءاً على الإقليم ثم على البلاد برمتها. وإذا كان البحث عن تلك النتائج وإبرازها من عمل المؤرخين، لما تطرحه مكانة سبتة من القضايا في جغرافية وتاريخ البلاد، فلن يكون من قبيل الأحكام العامة، إذا قلنا إن مرحلة جديدة من تاريخنا كانت قد أعلنت عن ميلادها. ومن أجل ذلك سنعد سنة 818 / 1415 بداية تاريخ المقاومة المغربية، وميلاد الوعي الوطني المناهض للغزو الأجنبي في هذا التاريخ المبكر، السابق بوقت غير وجيز لما سبق طرحه وتحديد في غير هذا المكان من طرف الكتابات الاستعمارية الناكرة لتلك الحقيقة.

لقد كان عزل المدينة عن السيطرة المغربية المباشرة صدمة قوية، إن استسلمت لها أقلام المؤرخين فإن الدعوة الشعبية إلى الجهاد والصدود بالميدان المشرف لم تتوقف بحال من الأحوال.

ولا بد من التريث هنا لرسم الخطوط التاريخية العريضة لاستجلاء مكانة سبتة في سلم الوعي الوطني. ومن أجل ذلك نقسم العمل الجهادي إلى محورين اثنين رئيسيين من حيث الأهداف المرسومة لكل محور، وهما في نفس الوقت متكافئان مع فترتين زمنييتين. نسمي الأولى مقاومة الوجود الإيبيري، ونخصص لها سنة 1188 / 1775، سنة فشل محاولة تحرير ملبيلية. ونطلق على الثانية مرحلة

مقاومة الحدود، وهي تبدأ من السنة الأخيرة وتنتهي بسنة احتلال مدينة تطوان عام 1276 / 1860 . وسنيسط الموضوع وفق هذين التقسيمين.

- وبدءاً من فترة مقاومة الوجود البرتغالي الإسباني بمدينة سبتة لآبد من الإشارة إلى وجود نوعين من مظاهر المقاومة، من حيث الحضور إلى الميدان، أو لهما متمثل في حراسة الحدود الدائمة بمواقعها قبالة أسوار المدينة المحتلة. وثانيهما هو الذي خصصناه لمحاولات تحرير المدينة من الوجود الأجنبي. وسنعالج الموضوع وفق التسلسل الزمني. فمن حسن الحظ أن البحث الحديث قد وضع بأيدينا عدداً من الأمثلة التي نستشهد بها على مكانة سبتة في سجل التاريخ الوطني. تتعلق الأمثلة الأولى برود الفعل المبكرة على النطاقات المحلية والإقليمية والوطنية، إلى أن تأتي إيجاد تنظيم ذي حدود وأبعاد قارة، متواصل الحلقات إلى غاية منتصف القرن الثالث عشر (19 م).

ونشير في البداية إلى دور المؤسسات الدينية الهبطية والغمارية وإلى مساهمات النطاق الوطني التي قصدت ميدان سبتة من الجنوب الغربي المغربي والنواحي الداخلية الوسطى، وجهات الناحية الريفية، بالصورة التي تبين أن أبعد المناطق المغربية وأكثرها عزلة عن الشمال الغربي لم تتوان عن تلبية دعوة الجهاد المنطلقة من حوز تطوان خلال السنوات الثلاث التالية للاحتلال بزعامة أول رؤساء الجهاد عب (عبد الله) بن محمد المريني.

ويمكن ملاحظة أن الهدف من العمليات الجهادية خلال تلك المدة كان مركزاً حول إرغام الجنود الإسبان المتحصنين بالجزيرة في برج من قصر أفراد المريني على الانسحاب من ذلك الموقع الهام، في انتظار التعبئة الوطنية الشاملة، الرسمية منها والشعبية، التي ستظهر خلال سنتي (821 / 1418-1419).

وهذا الحصار هو أول المحاولات التي نعرفها من هذا النوع، بعد ثلاث سنوات من التأمل والتدبير والاستعداد على النطاقين الوطني والأندلسي. وكل متتبع لأطوار الحصار يتبين له أنه مر في مرحلتين، أولاهما متمثلة في الحصار البري المغربي، وسرعان ما تلاه الحصار المشترك المغربي والغرناطي براً وبحراً، مما لم يكتب له النجاح.

من الطبيعي أن يطرأ على وتيرة الجهاد نوع من التوقف خلال مدة ما بعد الحصارين الأول والثاني وإلى غاية ظهور الحصار الثالث، باستثناء جهاد أبي الحسن علي المعروف بأبي جمعة العلمي القائم إلى جانب المجاهدين الجزوليين. فلا يعود علمنا باستئناف المقاومة إلا سنة 830 / 1426، حين قبل العاهل الحفصي التونسي عبد العزيز التدخل لصالح المقاومة ضد سبتة المحتلة.

وكيفما كان الأمر فإن ما تتعلق به هو ما خلفه الحصار المريني الحفصي من الآثار الحميدة بالإقليم، إذ أنه حرك حماس سكان ناحية سبتة وتطوان للعودة إلى الميدان خلال

السنوات التالية. والإشارة موجّهة إلى غزوات شيخ بني عروس (821 . 831 / 1418 . 1427) وغزوات المرابط التطواني طلحة الدريح (821 / 1427 . 833 / 1429) وغزوة أحمد بن مرزوق المجكسي (833 / 1430) وانتصار جبل الدرفة على جيش الفونص الخامس البرتغالي (868 / 1464) والحصار المريني الرابع لسبتة سنة 879 / 1475 وما قام به المنظريون انطلاقاً من تطوان في سبيل المحافظة على المستوى المعهود (1485 . 1567) من المقاومة، إلى أن عاد تألق الجهاد خلال المرحلة النقسيسية التي تستحق كل الاهتمام (986 . 1078 / 1667).

والواقع أن تحرير كل من أصيلا والقصر الصغير قد وضع في أيدي مجاهدي الشمال الغربي لمقاومة سبتة فسحة من العمل موسعة أكثر من ذي قبل. فهذه قبيلة أنجزة، انطلاقاً من مركز القصر الصغير، عملت على تنظيم شؤونها الجهادية وبقيت بالميدان صامدة متكفلة بالحراسة الشعبية وحماية الحدود من كل تسرب جديد.

والملاحظ من جهة أخرى أن لمعركة وادي المخازن ونتائجها الإيجابية انعكاسات على الحركة الجهادية من حيث الزعامة، فهي التي أتاحت الفرصة لظهور أسرة آل النقسيس بصفتهم مقدمي الجهاد. وهناك من جهة أخرى انعكاسات تراجع مكانة دولة البرتغال إثر معركة وادي المخازن مثلما نعلم من الوجهة الإدارية والعسكرية، إذ أن سبتة أصبحت على عهد فيليب الثاني تحت الإدارة الإسبانية، ثم أضافت إلى ذلك الهيمنة العسكرية ابتداء من سنة 1050 / 1640 لتصبح سبتة تحت الهيمنة الإسبانية الكاملة.

وما وقفنا عليه إلى الآن من شؤون المقاومة أن جهاد النقسيسيين بميدان سبتة مر بمرحلتين : طور أول بدأ من سنة 997 / 1588 إلى 1041 / 1631، إلى أن توقف بسبب دخول العياشيين إلى تطوان ويقائهم بها إلى سنة 1050 / 1640 . وطور ثاني استغرق من 1050 / 1640 إلى 1078 / 1667 . وقد تخللت الفترة انضواء النقسيسيين تحت رايتي الدلاتيين مرة والخضر غيلان مرة أخرى.

والخلاصة أن القائمين بالجهاد في ميدان سبتة بعد انتهاء الفترة المنظرية هم من الأسرة النقسيسية الهبطية اضطلع أفرادها بالمهمة، الواحد بعد الآخر منذ أن انحدروا من قبيلة بني بدر المجاورة لأنجزة، وأشرفوا على الحركة الجهادية بحماس وتنظيم كبيرين، وسيستمر أمرهم إلى العهد العلوي. دون أن ننسى أمثلة الجهاد العياشي (1629 . 1640)، التي باركت ميدان سبتة، مثلما فعلت في غيره، لنصل في النهاية إلى النموذج العلوي الإسماعيلي البارز في تاريخ الغزوات التحريرية.

فمن المعلوم أن المغرب الحديث، السعودي والعلوي إذا كان قد ضمد بعض الجراح باسترجاع جل المراكز التي كانت

بيد البرتغال، المركز بعد الآخر، فإن الحظ السعيد لم يكن يجانبه لاستعادة الثغور التي كانت بيد الإسبان، وبذلك أصبحت مدينة سبتة في صدارة المطلب الوطني على عهد المولى إسماعيل العلوي. وجدنا هذا المشروع في ذهن المولى الرشيد، وتأكد بالمجهودات التي شمر لها السلطان العلوي، بدءاً من تأسيس الجيش الجهادي الريفي.

ومحاولة للكشف عن باكورة المجهودات الإسماعيلية تبين لنا أن هناك وقائع الحصار الأولى التي قام الجيش المغربي بضرب الحصار على سبتة قبل موعد الحصار الأكبر المعروف في التواريخ، امتد بين فاتح جمادى الثانية من سنة 1084 / 13 شتنبر 1673 إلى نهاية سنة 1100 / 12 أكتوبر 1689، كان ذلك بمثابة تجربة الدخول في مرحلة الحصار الأكبر المنتظر.

ظهر مشروع حصار سبتة الأكبر أول الأمر على حيز الوجود أثناء حصار العرائش سنة 1101 / 1689، إلى جانب الرائج حول ثغري مليلة ومازيغان. ولكن الإعلان الرسمي بالنسبة لسبتة لم يظهر إلا إثر الإنذار الذي وجهه المولى إسماعيل إلى حاكم المدينة يأمره بالجلء عن المدينة أو انتظار شن حرب شاملة.

كانت سبتة المحتلة خلال السنوات التالية على موعد مع أطول حصار عرفه الوجود الأجنبي بترابنا، إذ أنه ابتداء من 3 ربيع الأول 1106 / 22 أكتوبر 1694 بقيادة علي بن عبد الله الريفي وابنه الباشا أحمد بعده، ولم ينته إلا سنة 1139 / 1727 بوفاة المولى إسماعيل. ويحتاج هذا الحدث الرطني إلى تقديم أبرز التفاصيل مختصرة.

لم تبدأ اللحظة الحاسمة لتنفيذ المشروع إلا يوم 9 بيع الأول عام 1106 / 28 أكتوبر 1694. وربما كان الأقرب إلى الدقة في تاريخنا ما جاء به محمد الضعيف الرباطي الذي أشار إلى يوم الأحد 26 من صفر عام 1106 / 16 أكتوبر 1694 والنزول بالميدان يوم 29 منه.

ويمكن الاطلاع على الترتيبات الحربية من خلال النصوص المتوفرة والخرائط المنجزة بتلك المناسبة التي أبرزت مواقع البطاريات الموضوعة بساحل بحر أبي بسول الجنوبي وبشعات الرض البراني وقصر أفراك وتلك التي تم نصبها على ساحل بحر الرمل الشمالي، مما شكل نصف دائرة هجومية ودفاعية مقابلة للمدينة والتحصينات الخارجية.

اعتمد التاكتيك الحربي المزدوج لقصف المدينة التي كانت الهدف الأول، على ما توفر لديه من المهاريس والقطع المدفعية وعلى تنظيم الهجوم على التحصينات الخارجية المنشأة للزحف تدريجياً نحو الرض البراني والقصر المريني. واستعمل المغاربة طريقة أخرى كانت قد أعطت ثمارها في استرجاع مدينة العرائش خاصة، وهو ما نسميه بحرب الأنفاق المعتمدة على فعالية زرع الألقام.

لا شك أن المحاولة الإسماعيلية كانت نموذجاً بارزاً في تاريخ الوعي الوطني، سواء من حيث المدة الزمنية أو

الوسائل الحربية المستعملة والحشود العسكرية، ولكنه كان أيضاً مثالا لقصور الإمكانيات المغربية مجتمعة عن تحقيق الهدف الوطني السامي، وهذا سيكون له التأثير على عدم العودة إلى ميدان سبتة رسمياً، باستثناء محاولة المولى اليزيد بن محمد بن عبد الله، والاكتفاء بدور حراسة الحدود على يد القائمين به من الجانبين الشعبي والمخزني.

ونتساءل عن سبتة ما بعد المولى إسماعيل، وهي فترة تستحق الإثارة والتأمل فيما هو شائع عن الميدان من خلو ساحة سبتة من المجاهدين. ويمكن لنا أن ننساق إلى ترديد أن السلطة المركزية كان قد اعترها ما اعترها من التفكك والاضطراب والوهن، ولكن الذي لا يقبله أن يقال إن ميدان سبتة كان قاعاً صفصفاً خالياً من الحراسة المخزنية والمجاهدين. لقد كان المولى عبد الله بن إسماعيل من أكثر المتنازعين على العرش اهتماماً بميدان سبتة، وهذا نابع من دوره وحضوره أثناء الحصار المشهور. هذا ما تدل عليه قراءة الوثائق المنتمجة إلى هذه الفترة.

ومن المعروف أن الضمير المغربي كان لا يميل من البحث عن أوجه استرجاع الثغور المحتلة دون أن يكون هناك تمييز، ولكن الحكمة كانت تتجه تارة إلى التركيز على هذا الثغر أو ذاك حسب الآمال المعلقة على التدخل الحربي. وهذا هو الذي وجه المولى إسماعيل نحو سبتة، وهو السبب نفسه الذي صرف نظر السلطان محمد بن عبد الله عنها والتوجه نحو حصار مليلة، وهو عينه الذي أعاد المولى اليزيد إلى الإدلاء بدلوه في ميدان سبتة (1790 - 1792).

فالمعروف عما وصل إلينا عن محاولة المولى اليزيد في ميدان سبتة أنها مندرجة في عمليات محاولة تحرير ثغورها، ذلك أن هدف المحاولة تعبر عنه المطالبة الرسمية لاسترجاع المدينة، إن بالوسائل السلمية أو الحربية، اقتداءً بجده المولى إسماعيل. ولا ريب أن ما كان يفكر فيه المولى اليزيد والمحيطون به من رجال الشمال الغربي المغربي كخطوة أولى هو كبح جماح حامية سبتة عن التهام المزيد من التراب الوطني، ورد حاكمها عن المطالبة مجدداً بالامتيازات الحدودية المنتزعة في أواخر أيام السلطان محمد بن عبد الله. كانت تلك المطالب التي لم تعرف التوقف والنهية من أكبر محن البلاد التي عانى منها الجهاز الرسمي وأهل الشمال الغربي على السواء. هذا هو ما يفسر السرعة التي توجهت بها عناية المولى اليزيد نحو ميدان سبتة.

تستلزم النظرة الشاملة في مسألة سبتة على عهد المولى اليزيد إثارة الخطوات التي مرت بها، ذلك أنها اتجهت أولاً إلى استعادة الجانب المغربي الإشراف على الحدود المغتصبة على عهد والده. وكل شيء بدأ بالنسبة للمولى اليزيد يوم 9 شعبان 1204 / 24 أبريل 1790. غير أن الموقف الرسمي المعتمد في تحديد الوضعية التي كان عليها ميدان سبتة هو الذي أوضحتها مراسلة المولى اليزيد إلى

كارلوس الرابع، في منتصف شعبان 1204 / 30 أبريل 1790. ومنذ ذلك لاج للجانب المغربي أمل استرجاع المدينة عن طريق التظاهر الحربي.

وأهم ما يميز الحصار هو الاستعدادات الميدانية التي شكلت المرحلة الرئيسية الوحيدة المميزة للحصار. وفي وسعنا الاستعانة للتعريف بالمواقع الحربية بما سبق أن اتضح لنا أثناء الحديث عن حصار قوات المولى إسماعيل لسبتة، خاصة تلك التي تمثلت بمحيط قصر أفراك على امتداد واد فاس أو واد العرائش إلى الجهة المقابلة من ساحل بحر أبي بسول. ومن ضمنها أشبارات فنانشة سلا التي أشار إليها الناصري نقلا عن أكنسوس.

ومن المدافع والمهاريس التي بلغ عددها اثنين وعشرين قطعة، توالى قصف المدينة منذ يوم 10 محرم 1205 / 19 شتنبر 1790، وكانت يوم 4 صفر / 13 أكتوبر لا تزال مستمرة على وتيرته السابقة إلى أن تقرر رفع الحصار يوم 5 صفر 1206 / 4 أكتوبر 1791. كانت محاولة المولى اليزيد آخر محاولات مقاومة الوجود الإسباني بسبتة. وقبل ذلك كانت مرحلة مقاومة الحدود المشار إليها قد عرفت انطلاقتها، مما سنراه في الفقرة التالية :

إذا كانت ساحة سبتة قد عرفت محاولات ضد الأجنبي ومبادرات التحرير، فإن هناك مرحلة أخرى من الكفاح الوطني ندعوها بمرحلة مقاومة الحدود، وهي تبين درجات معاناة المغرب من جراء الضغوط الحربية والدبلوماسية للسطو على المساحة الحدودية المتصلة بالمدينة. وهذا هو ما وفق فيها الإسبان بميادين الثغور، ومدينة سبتة خاصة.

ويمكن تحديد الشروع في هذا الاتجاه بسنة 1181 / 1767 على عهد محمد بن عبد الله، غير أن مظاهره لم تكتمل إلا سنة 1188 / 1775. شكلت هذه المرحلة بالنسبة إلينا هجمة أخرى موجهة لاغتصاب المزيد من التراب الوطني بالادعاء المتلبس بالإنسانية والود والصدقة الرابطة بين البلاطين المغربي والإسباني.

بدأت الهجمة باتفاق 29 ذي الحجة عام 1180 / 28 مايو 1767، وبه انتزع الإسبان الشرط التاسع عشر المقر بتوسعة حدود الثغور عامة، ومنها بالدرجة الأولى حدود سبتة. وبناء على ذلك ظهرت أولى المطالب لاغتصاب الحدود بحجة توفير مساحة للرعي وجلب المياه للمدينة والتخلص من مضايقات الحراسة المغربية. ويعني هذا العمل على ربح مساحة ترابية تصبح ملكا لسبتة وحاميتها من جهة، وتخصيصها لفك الحصار الاقتصادي عن المدينة، بعيداً عن أنظار المراقبة. وهذا هو الذي تمكن منه الإسبان على عهد محمد بن عبد الله جزئياً سنة 1179 / 1782 بالحصول على الواجهة الشرقية من مساحة الجزيرة، وهو ما اضطر المولى اليزيد إلى المصادقة عليه إثر فشل حصار سبتة.

وأمام معارضة أهل قبيلة أنجرة التي تقع مدينة سبتة

ضمن ترابها وتشدد الحراسة المغربية، انتزع الإسبان باسم الود والصدقة وحسن الجوار الشرط الخامس عشر الوارد في اتفاق 13 شوال 1231 / 20 مارس 1799، على عهد المولى سليمان. يسمح هذا الشرط للإسبان بحرية استخدام القوة العسكرية تجاه رجال أنجرة المعارضين لتوسيع الحدود متى أرادوا ذلك.

وهناك محاولة المولى عبد الرحمن الجريئة التي نعرف من خلال مصادرها، عملاً بخطة إعلان الجهاد إثر الاحتلال الفرنسي للجزائر، أنه لم يتردد لاسترجاع الحدود المغتصبة فيما سبق، متحدياً التهديدات الإسبانية، لتبقى في حوزة المغرب ما بين 1253 / 1837 و1260 / 1844. وتبعاً لذلك بدأ للسلطان مشروع إعادة بناء القلعة الحدودية المعروفة بالدار البيضاء ضرورياً، فبناؤها حسب تعبيره "إرغام للعدو الكافر وزيادة في الاحتراس وأخذ الأبهة والاستعداد، لأنها شجى في حلق الكفار وقذى في أعينهم".

ومن المعلوم أن الوعي الوطني بخطورة الوجود الإسباني لم يكن بمستوى الإمكانيات الحربية المتوفرة، إذ أنه لم يستطع مواجهة ضغوط ومناورات الحكومة الإسبانية في وقت جد مناسب كان فيه السلطان تحت تأثير سلبيات معركة إسلي.

وتبعاً لذلك تقدمت الحكومة بالإنذار الحربي الذي لم يترك للمولى عبد الرحمن مجالاً للتأمل والإحجام عن تلبية ما عرف بالمطالب الإسبانية السبعة التي لا محيد عن تنفيذها، وكانت النتيجة هي التي أقرها اتفاق 9 شعبان 1260 / 24 غشت 1844، وبها تم اغتصاب المساحة الممتدة إلى حدود قصر أفراك.

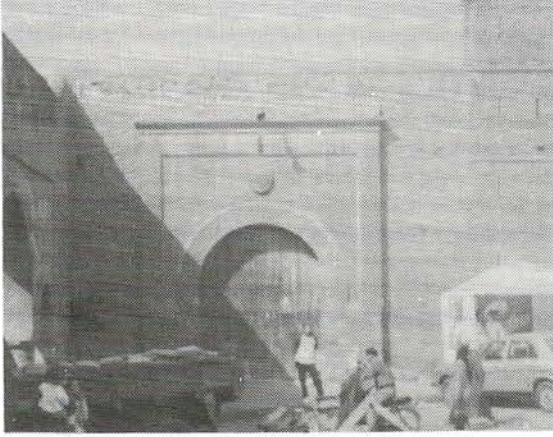
غير أن هذا الفوز لم يحظ بقبول الأطماع الإسبانية التي كانت تتشوف لتوسيع الحدود إلى مشارف السفح الشرقي من جبل بنيونش، وإدخال مركز حراسة الدار البيضاء ضمن تلك الحدود. وهذا هو ما تمكنت منه حامية سبتة يوم 23 ربيع الثاني 1276 / 19 نوفمبر 1859 أثناء افتعال حرب تطوان.

شكل احتلال الإسبان بقلعة الدار البيضاء قاعدة للتوسع الأخيرة التي كانت الهدف الأول لتقدم جيش سبتة يوم 16 جمادى الأولى 1276 / 11 ديسمبر 1859 إلى قرية الفينيدق، ومن هناك بدأ الزحف نحو المدينة الضحية.

وباحتلال تطوان استكمل الإسبان السيطرة على حدود سبتة على الصورة التي مازالت قائمة إلى وقتنا المعاصر، بعدما ما أغرقت البلاد في محيط من المشاكل وبحر من الديون التي لم تتخلص منها إلا بعد عشرين سنة! وأخيراً تم تنفيذ الحيازة النهائية في صلح تطوان وتأكيد ذلك في اتفاق 15 شوال 1277 / 26 أبريل 1860.

ولا نجد من التعابير الدقيقة عن الأطماع التوسعية الإسبانية بميدان سبتة فيما يخص معضلة الحدود أكثر. صدقاً مما أشار إليه المرحوم محمد داود حين قال : "فهب

وفي سنة 1151 / 1738 بنى عامل سلا عبد الحق فنيش برجاً ضخماً متصلاً بباب سبتة اتخذه مقراً للنظر في شؤون المدينة والقضايا المعروضة عليه. بناه من أنقاض القصبية الإسماعيلية (قصبية گناوة) بجوار ضريح أبي موسى الدكالي. هدمها بسبب طغيان العبيد المقيمين فيها



حينما ضففت السلطة المركزية أيام فتنة أولاد المولى إسماعيل، وصار عبيد القصبية يتعرضون لنساء المدينة ويهتكون أعراضهن. هذا البرج مغلق من خارج تعلوه نوافذ عالية نصف دائرية وينفتح بابه داخل الأسطوان. وقد استصلحت وزارة الثقافة أخيراً هذا البرج لتجعل منه خزانة علمية خاصة بحى باب سبتة.

أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1966 : م. ابن علي الدكالي، الإنحاف الوجيز، ط 2، الرباط، 1996، ص. 53.

محمد حجي

السبتي، أسرة تطوانية - فاسية، نسبة إلى مدينة سبتة. كان السبتيون بتطوان في القرن الثاني عشر (18م) يسكنون في حي النيارين، وقد انقرضوا الآن من تطوان، وما زالوا في فاس، وفي إزالة الالتباس أنهم أهل تجارة ومال وثروة وحرقة وشهرة، ولعل الجنان الواقع بالمرج المعروف بالسبتية خارج باب الخوخة ينسب إليهم، ومنهم أسر انتقلوا إلى الدار البيضاء والعرائش وغيرها. ومن الطائرين على تطوان مؤخراً من يدعون السبتاوي، نسبة إلى سبتة على غير قياس.

أ. الرهوني، عمدة الراوين، مخطوط : م. داود، عائلات تطوان، مخطوط : ع. السلام ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون.

محمد بوخيرة

السبتي، **الطاهر** بن محمد الفاسي. وهو ابن الثري الشهير الحاج محمد السبتي من أكبر تجار شارع مديونة بالدار البيضاء، كان يساعد الحركة الوطنية ويؤازرها.

وقد اغتالت الحركة الإرهابية الفرنسية الطاهر السبتي في وضح النهار، وهو يغادر سيارته ليلتحق بمتجر والده، فأطلقت عليه خمس رصاصات أردته قتيلاً في الحين.

البارحة في تلك الأكمة، واليوم في سفح الجبل وغدا في قمته، وبعد الغد في واديه ثم في سهله، وهكذا. وهذا المخفر الصغير يتحول في الوقت المناسب إلى بناء متين ثم إلى حصن حصين ثم إلى مركز عظيم. وهكذا يبدأ السير حبوا ثم يسير قفزاً ثم يكون عدواً".

والناظر اليوم إلى الساحة الحدودية المغتصبة التي كانت فيما سبق ميدان شرف الصمود لمقاومة الوجود الأجنبي لا يأخذه العجب والاستغراب بانطماس معالمها بسبب انتشار العمران بأرجائها بقدر ما تملكه الحيرة والتأمل في الظرف والوسيلة اللذين ستسترد بهما الحقوق الجغرافية والتاريخية والسيادة الكاملة على مدينة سبتة المحتلة.

أبو عبيد الله البكري، المغرب : ابن حيان الأندلسي، المقتبس : عبد الواحد المراكشي، المعجب : ابن عسكر، دوحه الناشر : ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب : مجهول، الذخيرة السنية : ابن خلدون، العبر : محمد الأنصاري، اختصار الأخبار : الحسن الوزان، وصف إفريقيا : مارمول كاربخال، إفريقيا : محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة : محمد بن أحمد الشراط، تقييد : محمد داود، تاريخ تطوان، المجلة التاريخية المغربية، 1987 : وثائق الخزنة الحسنية : وثائق مديرية الوثائق الملكية : حسن الفكيكي، مقاومة الوجود الإيبيري بالنغور الشمالية الغربية، أطروحة مرقونة : سبتة المغربية، الدار البيضاء، 2000 : رباط المجموع، معلمة المغرب.

Zurara, Chronica de D. Pedro ; J. Mascarenhas, Historia de la ciudad de Ceuta ; F. Fernandes, Description ; M. Gordillo Osunca, Geografia urbana de Ceuta ; A.G.S., Mapas, Planos y dibujos ; F. S. Montoya, Apuntes para la fotohistoria de Ceuta ; Mohamed Cherif, Contribution à l'histoire de Ceuta aux époques Almohade et Merinides ; Surede Blanes, Historia de Ceuta ; Damiao Peres, Ceuta Cercada, un problema cronologico ; Ignacio Bauer Landauer, Papeles de mi archivo ; José Antonio Marques de Prado, Historia de la Plaza de Ceuta ; Guillermo Gustavino Gallent, Los comienzos del sitio de Ceuta ; J. A. Marques, Historia de la Plaza de Ceuta ; Gazette de France, Mariano arribas Palau, Cartas arabes de Marruecos ; Tratados y convenios referentes a Marruecos ; Ramon Lourido Diaz, En torno al ensanche de los limites de Ceuta, Hespéris, 1982 ; S.I.H.M. Hollande ; Angleterre, France ; A.H.N. Madrid ; A.G.S. Valladolid, Espagne.

حسن الفكيكي

سبتة (باب -) أحد البابين الكبيرين القديمين لمدينة سلا في السور المرابطي الذي هدمه الخليفة الموحد عبد المومن - في جملة ما هدم من أسوار المدن - ثم جدد بناءه حفيده يعقوب المنصور. يقع باب سبتة في الجانب الشمالي الغربي لهذا السور، ويتكون من أسطوان (ساباط) فتح بابه الخارجي على الطريق الساحلي المتجه شمالاً نحو سبتة وطنجة، وبابه الداخلي في الحي المسمى كذلك حي باب سبتة.

إثر ذلك أقفلت جميع المتاجر بالدار البيضاء، وعم الحزن سائر المغاربة، وشيعت جنازته في صباح الغد في موكب جنازتي رهيب، وصفه عن مشاهدة عبد السلام ابن سودة في كتابه *إتحاف المطالع* : "فقد مرت الجنازة في سيارة وبعدها سيارات أقاربه وأصدقائه وعائلته، وبعد ذلك صفوف من النساء ماشيات على الأقدام خمسة خمسة في الصف دام ذلك أكثر من ساعة زمانية، ثم الرجال خمسة خمسة في الصف كذلك وبقي مرورهم أكثر من ساعة ونصف، ثم أصحاب الدراجات وبقي مرورهم ما يقرب من نصف ساعة ثم أصحاب الدراجات النارية، ثم أصحاب السيارات ثم أصحاب الكاميونات، وفي كل نوع مروره أكثر من نصف ساعة وكان الموقف رهيباً، مما يدل على أن المغرب قد استرجع وعيه وقوته واجتمعت كلمته وردخل في طور العمل. وما انتهى الاستعراض ذلك اليوم إلا بعد الساعة الثالثة ونحن نقضي لذلك العجب".

قُتل - رحمه الله - يوم الأحد ثامن جمادى الأولى عام 1374 / ثاني يناير 1955 على الساعة التاسعة صباحاً. ووري جثمانه مساء يوم الاثنين الموالي بمقبرة الدار البيضاء. ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، 9: 3297 . 3298.

محمد حجي

السبتي أبو العباس صاحب الضريح الشهير بمراكش. يستفاد من إشارة لابن الزيات أن مناقب أبي العباس السبتي كانت موضوعاً لتأليف صنفها بعض مرديه والشيخ مايزال على قيد الحياة، وأخباره كثيرة عجيبة، وقد جمعها أصحابه وكتبوا من كلامه كثيراً (أخبار، 470) وفي غياب هذه التأليف يبقى كتاب أخبار أبي العباس السبتي الذي وضعه معاصره ابن الزيات أصلاً لمعظم المؤلفات المتداولة عنه في حياته ومرجعاً لما جاء بعد من كتابات في الموضوع.

ويسمح تأمل نص هذا التأليف الصغير برصد بعض عناصر الخلل والتشويش في مادته يبدو أنها تركت أثرها على المحتوى المقدم من خلاله. ويمكن اختزال هذه العناصر في ملاحظات ثلاث هي :

عدم التوازن : يتجلى في عدم تغطية الأخبار بشكل متوازن للمسار الصوفي للرجل الذي بدأت بوادره الأولى وهو في سن مبكرة من حياته، ولعل التوزيع المجالي والزمني لمادة الكتاب يعكس ذلك بكل بوضوح.

المكان	مدة الإقامة	عدد الأخبار
سبتة	بين 16 و20 عاماً	01
جبل كليز	حوالي أربعين عاماً	01
مدينة مراكش	حوالي عشرين عاماً	38

الانتقاء : بيد أن ابن الزيات استشعر خصوصية موضوع مؤلفه وحساسيته لما وقع فيه من الاختلاف (أخبار، 451) وأهل مراكش إلى زمننا هذا مختلفون، فمنهم من يراه ولياً... ومنهم من يكفره، ومنهم في بدعه، ومنهم من يراه ساحراً إلى غير ذلك من الأقوال التي تقال فيه، والله أعلم بحقيقة أمره (أخبار، 452 - 453) من الجلي أن الإقدام على تناول موضوع أصبح قضية عند الناس كان الدافع المعبر عنه إلى تخصيص الشيخ بمؤلف منفرد، ساهم حجم الأخبار المتداولة عنه كتابة ورواية في التحفيز على إنجازها. ودون شك أن تمهيد المؤلف باستحضار الوضع الاعتباري الخاص للرجل، وبعد شقة الخلاف حوله، يقدم تصويره طبيعة الموضوع وإطار للاشتغال عليه. ومن الجائز أن الرؤيا المتولدة من هذا وذاك. كانت تقتضي من ابن الزيات اليقظة والحذر من الميل إلى طرف من الأطراف المختلفة وهو الذي ظل آخذاً بمسلك الاعتدال في أمره (التشوف، 23)، وسير أغوار مناقب أهل الولاية والصلاح ولم يخف وعيه بنوعية مرجعياته (التشوف، 12).

ورغم ذلك اختار ابن الزيات الانتقاء من رصيد الأخبار الذي توفر له عن أبي العباس السبتي معترفاً بقيمته الكمية على الأقل (أخبار، 470 - 454)، وقاعدة الانتقاء الأخذ بمادة على حساب مادة أو مواد أخرى شرط الحفاظ على المعنى العام، والمؤلف نبه إلى أخذه بهذه القاعدة في صيغة تقويم ذاتي لمادة أخبار أبي العباس السبتي، كمادة تقدم مجموع عيون أخباره ومن أخباره ما ينوب عن العيان (أخبار، 451) وأخباره كثيرة عجيبة... وفي هذا القدر الذي ذكرته كفاية لمن أراد أن يستشرفها (أخبار، 470).

لكن في الانتقاء أيضاً أولوية في اختيار وترتيب المادة المنتقاة وفق معايير متعددة في ذهن المؤلف لم يكشف عنها. وكذلك اختصار يبقى غير مفهوم إذا استحضرننا من جهة مسألة عدم التوازن المشار إليها وشيكاً، ومن جهة ثانية كون عدد أخبار أبي يعزى بلغ في التشوف أربعة وخمسين خبراً، في حين لم يتعد مجموع أخبار أبي العباس في مؤلفي ابن الزيات معاً ستة وأربعين خبراً.

في هذا السياق إذن تبدو بعض العناصر التي من شأنها أن تسهم في فهم دخول أبي العباس السبتي إلى مراكش وتقرب المخزن الموحد منه.

في مراكش تحددت الهوية الصوفية للرجل فأبو العباس السبتي دخلها فيما يبدو دون لون صوفي مميز. أما محتوى هذه الهوية فيمكن إجماله في الصدقة يقول ابن الزيات : مذهبه يدور على الصدقة وكان يرد سائر أصول الشرع إليها... وكان إذا أتاه أحد بأي أمراته، يأمره بالصدقة ويقول له : تصدق ويتفق لك كل ما تريده (أخبار، 453 - 454). وعلى هذه القاعدة وضع خطأ تصاعدياً لمراتبها التي حددها في ثلاث محطات، وأولها : المشاطرة،

ثانيها: الإحسان، ثالثها شكر النعمة (أخبار، 459 - 461)، ومعيار التفاوت بينها هو قيمة البذل والعتاء، فالأولى تساوي التصدق بالنصف من الرزق، والثانية الثلثين، وتعادل الأخيرة خمسة أسباع منه.

يتضح من هذا المحتوى اذن أن الصدقة عند أبي العباس السبتي شكلت قاعدة اختيار صوفي بعينه في حين تبدو حاضرة كجزء من أعمال البر والإحسان ضمن الخدمات ذات الطابع الاجتماعي التي أداها متصوفة مراكش خلال نفس الفترة (Halima Ferhat, *Abil L-'Abbas*, 191).

من جانب آخر يلاحظ أن الصدقة كانت حاضرة في الواجهة الاجتماعية لأعمال المخزن الموحي، يحرضه على القيام بها، وأهمية قيمة الغلاف الذي كان يصرف فيها، واتساع قاعدة المستفيدين منها (المعجب، 278 - 287 : القرطاس، 217)، وشموليتها لكامل الخريطة التي امتدت إليها السيادة (Halima Ferhat, *Le Maghreb*, 95)، وتنوعها بين الصدقات المنتظمة والظرفية.

وليس بمستبعد حضور البعد السياسي ضمن ما كان يستهدفه الإحسان المخزني من مرام وغايات جلياً للعطف، وحداً للعداء، ولعل الغاية من إقحام المخزن للمتصوفة في إنجاز هذا العمل. هي هؤلاء المتصوفة بالذات كطرف مستهدف من أجل تكسير شوكة المعادين منهم، والتخفيف من قوة مكانتهم عند العامة، مما يرجع ذلك طبيعة وحجم مشاركتهم في تنفيذ الإحسان المخزني، إما كعناصر مستفيدة (المعجب، 278 : القرطاس، 217) أو كطراف وسيط في توزيعها (الذيل، 1 : 48 - 49)، أو كإطار للتحسيس بها والتحفيز على القيام بها. وحسبما يبدو فإن هذه المهمة الأخيرة تصدر للقيام بها في مراكش أبو العباس السبتي ومن غير المستبعد أن تكون الباعث الرئيسي من تشكيل تجربته الصوفية الخاصة.

توفي أبو العباس السبتي بمراكش عام 601 / 1205، ودفن خارج باب تاغزوت منها (أخبار)، وموته بدأ تاريخ آخر له أحله موقع القطب الأول في خريطة المقدس بمراكش وجعل منه محطة بارزة في تاريخ الذهنيات بمجالها، يتمتع بوزن اعتباري خاص، وقيمة رمزية فاعلة، وسلطة ولاية محترمة، مكنته من أن يكون واحداً من الرجال السبعة الذين تشد الرحلة إلى مزاراتهم في مراكش (*Les sept Patrons de Marrakech*) وجسدت من جهة ثانية الاعتقاد بامتداد وظائفه النفعية حتى بعد مماته (أنس الفقير، 7 - 9؛ أزهار الرياض، 1 : 272 - 273 : نزهة الحادي، 290)، وعند السكان المسلمين منهم وأهل الذمة (أنس الفقير، 8 - 9)، ضرب صيته بجراجه فجاز إلى خارج المغرب الأقصى (نفع الطيب، 7 : 267 - 277) هكذا أضحي الرجل في التخييل الجماعي، مسلماً من مسالك جلب المنافع ودفع المضار فهو ترياق مجرب (نفع، 7 : 267) ومرجع للإنصاف وقوة ضمان للعهود والمواثيق، وملاد لدفع الضيم وتخفيف الكربات،

وأمل لتحقيق الرجاء، وقضاء الحوائج (أنس الفقير، 7 - 9)، وكان له أثره على التغييرات المجالية التي عرفها القسم المجاور من المدينة لمدفن أبي العباس السبتي، بحكم وظيفته الدينية التي حولته إلى مركز جذب بشري في خريطة المدينة (نفع، 7 : 267)، ترتبت عنه نتائج همت التعمير يمكن اختزالها في زيادات ثلاث، أولها : إعطاء اسم ثان لباب تاغزوت هو باب الشيخ أبي العباس السبتي (نزهة الحادي، 56)، ثانيها امتداد مساحة المدينة إلى خارج الباب المذكور، ثالثها تحول روضة الشيخ إلى ضريح سرعان ما أصبح نواة لحومة دينية جديدة (نزهة الحادي، 290).

ي. ابن الزيات التادلي، التشوف، ومع أخبار أبي العباس السبتي، تح. أحمد التوفيق، الدار البيضاء، 1984 : عبد الواحد المراكشي، المعجب، تح. محمد سعيد العريان ومحمد العربي العامي، القاهرة، 1949 : ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، القسم الأول، تح. م. بنشريف، بيروت، د. ت. السفر الثامن، الرباط، 1984 : ابن أبي زرع الفاسي، القرطاس، الرباط، 1973 : مجهول، الحلل الموشية، تح. عبد القادر زمامة وسهيل زكار، الدار البيضاء، 1976 : أ. ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير، تح. محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط، 1973 : أ. المقرئ، نفع الطيب، تح. إحسان عباس، الجزء السابع، بيوت، 1988 : أزهار الرياض، تح. مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، ع. الحفيظ شلبي، القاهرة، 1939 : م. الصغير الإفراني، نزهة الحادي، تح. ع. اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1998.

Halima Ferhat, *Ab'Al-'Abbas : contestation et sainteté, Al-Qantara*, vol. XIII, Fasc. I, Madrid, 1992 ; Henri de Castries, *Les sept Patrons de Marrakech*, Hesp., tome IV, 1924.

مركز الأبحاث والبحوث

السبتي، عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد العزيز بن أحمد الهواري الجزيري، يكنى بأبي فارس. أصله من جزيرة شقر إحدى جزر شرق الأندلس. يعتبر أبوه الشيخ إبراهيم من أبرز صدورها وأعيانها. نزع عنها التي تلمسان حيث ولد الابن عبد العزيز في رمضان سنة 617 / 1220 وعندما اشتد عوده رحل إلى سبتة وبها استقر إلى أن وافته المنية بها.

من أبرز شيوخه أبوه الذي رغبه في السماع منذ نعومة أظفاره. كما حَبَّبَ إليه كتابة الحديث وضبطه وتقييده. (إفادة النصيح، ص. 8). ومن جملة الكتب التي سمع على والده الموطأ. كما سمع كتاب صحيح البخاري على أبي مروان الباجي عن الحافظ أبي بكر ابن الجدد بسماعه عليه، وسنن الترمذي على أبي عمرو العبدري. كما أجازته أعلام من المشرق من بينهم ابن الحاجب وابن المنير وابن الصلاح وغيرهم (درة الحجال، ص. 134). جلس عبد العزيز للاقراء بجامع سبتة الأعظم. فاعتبر

بغداد، ومن أهل أربيل ومن أهل واسط (ص. 304 - 306) ثم ذكر أسماء من أخذوا عن الأزدي، ومنهم الرعيني المذكور. ووصف ابن عبد الملك صاحب الترجمة بقوله : وكان شيخاً جليلاً، مسناً، راوية، مكثراً، عدلاً، ثقة ... وكان فقيهاً عاقداً للشروط ... ولي خطة القضاء بسبته، وعُرف بالنزاهة في أحواله واستقامة الطريقة في متصرفاته... " (ص. 307).

ومما ذكره ابن الزبير في صلة الصلة أن الأزدي روى على ابن عبيد الله فسمع عليه الموطأ والكتب السنة وسير أبي إسحاق بتهديب ابن هشام وغير ذلك، وذكر مجيزه بن أهل الأندلس والمغرب وأن عدد من أجاز له من أهل المشرق واحد وستون رجلاً سماهم في برنامجه ثم قال "كان عدلاً، سنياً، راوية، ثقة، فاضلاً ... وكان له مال ورثه عن أبيه أنفقه في رحلته على الفقراء والمنتمين إلى التصوف حتى نفذ، وتحرف ببلده [سبته] بالتوثيق، واشتهر بالعدالة والقضاء... لقيته أنا سنة خمس وأربعين [وستمائة] وبعد ذلك، وقرأت عليه كثيراً، وأجاز لي مراراً، وهو ممن اعتمده".

أما تاريخ وفاته فيحدده بليلة الاثنين 26 رمضان سنة 660 / 28 يوليو 1262.

م. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، القاهرة، 1955، ضمن الترجمة رقم 1716، ص. 679 : علي الرعيني الإشبيلي، برنامج شيخ الرعيني، طبعة دمشق، ص. 168 - 169 : م. ابن عبد الملك المراكشي الأنصاري : الذيل والتكملة لكتابي الوصول والصلة، الرباط، 1984، السفر 8 الترجمة 99 : ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم الثقفي الجباني : صلة الصلة، قسم الغراء الملحق بآخر كتاب الذيل المذكور، ص. 518 - 519.

أحمد عزراوي

سبتيم (Septem) هو اسم سبته في العصور القديمة. من خلال الأدبيات الكلاسيكية ارتبطت سبتيم (سبته الحالية) وموقعها بأسطورة البطل هرقل (Hercule le Thébain). حدد الكتاب القدماء محطاتهم أو رحلاتهم وراء الأعمدة المنسوبة لهذا البطل الأسطوري. وهي المعروفة باسم أعمدة هرقل ((Les colonnes d'Hercule) / المعملة، 2، ص. 523).

فكان هيكتاتي الملبتي (Hécate de Milet) (VI ق م ونعرفه اعتماداً على الكاتب المتأخر إيتيان البيزنطي (Etienne de Byzance) أول من أشار إلى أعمدة هرقل إذ أنه حدد قريباً منها مدنه.

أما المؤرخ الإغريقي هيروودوت (Herodote) (V ق. م) فأشار إلى الأعمدة في ثلاث فقرات من كتابه الرابع المتعلق بالمغرب القديم. فتحدث عن سطاسبيس (Setaspès) الذي قام برحلته برفقة بحارة مصريين وراء الأعمدة. وحدد أيضاً أطلس والأطلنت (Atlantes) وراء الأعمدة. ثم إنه موضع تجارة المقايضة التي جمعت القرطاجيين والسكان المحليين وراء نفس النقطة.

من أشهر محدثي عصره، وأكثرهم ثقة وعدالة. كما اعتبر من أسند شيوخ سبته خلال القرن السابع (13 م) لاعتنائه في الحصول على السند الصحيح خاصة السند العالي. فقد كان سماعه لصحيح البخاري - يقول ابن رشيد - بـ "إسناد لا نظير له في بلاد المغرب، جلاله رجال، واتصال سماع، وعلو صفة" (إفادة النصيح، ص. 7). بل يعتبره "أقرب إسناد يُمكن في الدنيا شرقاً وغرباً، فقد أنضينا في المطي في طلب أعلى منه فما وجدنا" (إفادة النصيح، ص. 114). يبدو أن ابن رشيد وضع مؤلفه إفادة النصيح خصيصاً للتعريف بسند شيخه أبي فارس عبد العزيز ولترغيب ابنه محمد في سماعه. كما وصفه أبو القاسم التجيبي بـ "الشيخ العدل المبرز مقدم الموثقين المجيدين بسبته ورئيس جماعتهم" (برنامج التجيبي، ص. 74).

يعد ابن رشيد الفهري، وأبو القاسم التجيبي، ولب بن عمر ابن جراح الأنصاري الإشبيلي (بغية الوعاة، ص. 301). وأبو بكر محمد بن أحمد بن شيرين (الإحاطة، 2 : 242) من أبرز تلامذته. كما أجاز لابن جابر (درة الحجال، ص. 134) ولأبي عبد الله ابن أبي بكر بن سعد الأشعري المالقي (الإحاطة، 2 : 179).

توفي بسبته ليلة الثامن من ذي الحجة سنة 701 / 1302 / 4 غشت 1302.

التجيبي، برنامج التجيبي، تح. ع. الحفيظ منصور، ليبيا / تونس، 1981 : ابن الخطيب، الإحاطة، تح. ع. الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزء الثاني : ابن رشيد، إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح، تح. محمد الحبيب ابن الخوجة، تونس، د. ت : أ. ابن القاضي، درة الحجال، تح. م. الأحمدي أبو النور، تونس، القاهرة، الجزء الثالث، ع. الرحمن السيوطي، بغية الوعاة، بيروت.

زليخة بنرمضان

السبتي، محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن سليمان الأزدي. ولد بسبته سنة 567 أو 568 / 1171 - 1173 فلم يترجم له تلميذه ابن الأبار لأنه لم يدرك وفاته، ولكنه ذكره من بين شيوخه باسم "شيخنا الأزدي". كما تتلمذ عليه الرعيني، وترجم له في برنامجه هكذا "أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأزدي أبقاه الله، سمعت عليه جميع كتاب الشفا للقاضي عياض رحمه الله إلا يسيراً، قرأته بلفظي. حدثني به عن أبي عبد الله بن غاز سماعاً عليه عن مؤلفه سماعاً. وسمعت عليه رسالة عياض إلى رسول الله (ص). ووقفت على برنامجه وأجازه لي مع جميع ما يحمله. وقد أكثر عن ابن عبيد الله وعن غيره. وهو عدل ثقة" وقد ذكر ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة أسماء شيوخه الذين لقيهم وأخذ عنهم، وأسماء شيوخ مشاركة وغيرهم أجازوه دون أن يلقاهم، منهم من أهل مصر والأسكندرية، ومن أهل دمشق، ومن أهل

إذن فالأعمدة بالنسبة لهيرودوث وغيره من الكتّاب القدماء شكلت دوما نقطة الانطلاق نحو آفاق جديدة أو الحد الأقصى للعالم المأهول أي المعروف.

ويعتبر الرحالة سيلاكس المزعوم (Pseudoscylax) (القرن IV ق. م) أول من أعطانا أحد أسماء هذين العمودين إذ ذكر في الفقرة 111 من رحلته بأنه عمود بليبيا ويعرف باسم أبيلا (Abila). ثم إنه قدم معلومات حول المسافة التي تفصل قرطاج عن الأعمدة وتصل إلى 7 أيام و7 ليال في حالة إذا كانت ظروف الإبحار جيدة. وفي الفقرة الموالية (112) عرف بالمعطيات التضاريسية والمواقع والشبكة المائية بل وذكر بعض القبائل الموجودة وراء الأعمدة عند البحر الخارجي (المحيط الأطلسي).

وحوالي سنة 350 ق. م تحدث إفور (Ephore) عن مدينة كاريكون تيكوس ذكر بأنها مدينة ليبية ووطنها يسار الأعمدة. ومعلوم أن الرحالة القرطاجي حنون (Hanon) (القرن V ق. م) ذكر بدوره هذه المدينة التي أدرجت ضمن المستوطنات التي أنشأها وراء الأعمدة.

وقدم الجغرافي المشهور سطرابون (Strabon) (ق الأول ق. م) معطيات إضافية وهامة حول الأعمدة إذ قال بأن كاليب (Calpé) وأبيلا هما أعمدة هرقل وبأن أبليكا (Abylica) يوجد بليبيا في مقابل كاليب وأنه يرتفع فوق أرض الميتاكونيت (Metagonites) وهي حسب عناصر نوميدية. ثم إنه سمى المضيق الذي يفصل موروزيا عن إسبانيا بمضيق أعمدة هرقل. وذكر بأننا عندما نعبه ونترك على يسارنا ليبيا نجد جبل أطلس المعروف كذلك الإغريق، فهو دريس (Dyris) حسب التسمية المحلية.

وخلال سرد عكسي لمعلوماته ذكر بأنه عندما نخرج من لونكس (Lynx) نجد مجموعة مواقع ثم مقابر الإخوة السبعة (AD septem fratres) وبعدها جبل أبيلا (Abila). وهكذا لا يعد استحضارنا للمعلومات حول الأعمدة أمراً اعتباطياً. فكما سنرى الصلة وثيقة بين المدينة وهذه المعالم الطبيعية أي الأعمدة وبالأساس الإخوة السبعة أي التلال السبعة.

ذكر سطرابون بأن جبل أبيلا تشغله الحيوانات الضارية، كما أنه يتميز بأشجاره الطويلة. وحسب نفس المؤلف دائما لا تتعدى مساحة المضيق 125 غلوة طولا و60 غلوة عرضا في نقطته الضيقة القريبة من موقع إلفاس (Elephas). وللإشارة فالغلوة أو السمد تقدر بـ157 متراً. ولا يعد هذا التقدير هو الوحيد الذي يتعلق بالمضيق بل تعددت الآراء في هذا العدد وتباينت.

ذكر المؤلف الإسباني بومبنيوس ميلا (Pomponius Mela) بأن العمودين متقابلان وهما معا يعرفان باسم أعمدة هرقل وربط سبب تسميتهما كذلك بالأسطورة التي تقول بأن هرقل فصل بين التلال التي كانت تربط بينهما بسلسلة جبلية مستمرة، وبذلك سمح للمحيط الذي كان

راسياً بسبب متلة الجبال بأن يتسرب حتى السواحل التي يغمرها حالياً. فهل هذا كل ما بقي عالقا في الذاكرة حول قارة "گندوانا"؟ وهل عملية الفصل الأسطورية هي التي يعبر عنها الجغرافيون بزحزحة القارات؟

قبل بومبنيوس ميلا أورد ديودور الصقلي (Diodore de sicile) (المكتبة التاريخية، 1، ص. 285 - 286 من خلال مادة أعمدة بالمعلمة العدد 2، ص. 523) رأيين في هذا الشأن: أولهما أن هرقل أقام هذه الأعمدة لتخليد حملته على غرب البحر المتوسط وذلك بتقريب طرفي القارتين المتباعدتين (إفريقيا وأوربا). وثانيهما أن القارتين كانتا في الأصل قارة واحدة ففصل هرقل بينهما مكوناً بذلك المضيق.

أما بلين القديم (Plin l'Ancien) (القرن الأول الميلادي) فقال بأنه توجد فوق جبل أبيلا الفيلة، وكذلك الأمر بالنسبة للجبال المعروفة باسم الإخوة السبعة، وبأن هذه الجبال الأخيرة ومعها جبل أبيلا تسيطر على المضيق.

تحدث الجغرافي الإسكندري بطوليمي (Ptolemée) بدوره عن جبل الإخوة السبعة، وكذلك ذكر عمود أبيلا ووطنه عند خط طول 7°50' وخط عرض 35°40'.

وجاء الحديث عن آد أبليم (Ad Abilem) من خلال مسلك أنطونان (Itinéraire d'Antonin) (القرن الثالث الميلادي) وجعلها في نقطة وسط بين آد أكيلام مايوريم (Ad Aquilam majorem) واد سبتيم فراتريس (Ad Septem Fratres).

إذ هي على بعد 14 ميلا من كلتا النقطتين الأنفتي الذكر. وتبعد عن طنجيس بستين ميلا (90 كلم).

أما الشاعر أفينوس (Avienus) فذكر بأن جبل أبيلا هو جبل موريطانيا الذي يقابل في موقعه عند مضيق أعمدة هرقل الجبل الأوربي كاليب (جبل طارق).

وأشار مؤرخ الوندال بروكوب (Procopé) (القرن الرابع الميلادي) لسبتيم (Septem). ونجد بأن جغرافي راقينا (Le Géographe de Ravenne) (القرن السابع الميلادي) يطلق على المضيق الذي كان معروفاً عند سطرابون باسم مضيق أعمدة هرقل، تسمية جديدة وهي فريتوم سبتيم كاديتانوم (Fretum Septem Gaditanum) لأنه قريب من قادم من جهة ومن سبتيم من جهة ثانية.

وذكر جغرافي راقينا فقرة أخرى بأنه توجد بجوار طنجة مدن أخرى، عدد ضمنها مدينة سبتيم فينام (Septem-venam). وأورد في فقرة ثالثة معلومات ضافية قال بأنه توجد بموريطانية الكاديتانية مدن ذكر بعضها. واحتلت سبتيم فراتريس (Septem Fratres) المقام الحادي عشر ضمن تعداده.

ومعلوم أن موريطانيا الكاديتانية توافق أبريدا (Abrida). وهذا التسمية الأخيرة محلية. وهي موازية للمضيق المعروف. كما أسلفنا قوله. باسم سبتيم كاديتانوم

الذي يفصل موريطانيا عن إسبانيا، وبعبارة أخرى إفريقية عن أوربا.

وإذا استرجعنا مجموع المصطلحات التي أوردها الكتاب القدماء وتتبعناها مصطلحا نجد أن كل واحد منها يوافق نقطة مختلفة، ولكن جميعها تقع عند المضيق الذي عُرف بدوره على الأقل في هذه المرحلة موضوع الدراسة بأسماء عديدة تهمننا منها تسميته بمضيق الأعمدة وسبتيم غاديثانوم. فهذه النقطة الهامة اتخذت مرتكزاً من طرف القدماء لوصف الكرة الأرضية وللغوص بين العوامل المأهولة والمجهولة.

وعند هذا المضيق نجد نقاطا عديدة تستحق أن نقف عندها. سنذكر منها النقط التالية :

- اد أبليم (Ad Abilem) : توافق عند بعض الكتاب المعاصرين مدينة سبتة: وهي التي سمت في العهد البيزنطي باسم (Septem) و(Septow). وبما أنها كانت عند التلال (الجبال) السبعة وجبل أبيلا فلاشك أنها استمدت اسمها من وضعيتها الطبوغرافية. وزصبح المصطلح المختزل (Septem) هو الأكثر انتشاراً خلال العصر الروماني المتأخر، بل وإلى غاية الفتح الإسلامي لأن ما هو مؤكد هو استمرارها تحت النفوذ البيزنطي إلى غاية القرن السابع الميلادي بل اعتبرت عاصمة لهذه الجهة بدل طنجة. وجميعنا يعرف دو الكونت يوليان في تسخيل مهمة فتح إسبانيا.

- عمود أبيلا : ذكره العديد من الكتاب القدماء - كما أسلفنا قوله - منهم : سيلاكس المزعوم وسطرابون وغيرهما ويوافق عند المحدثين جبل أكو (Acho). النقطة المرتفعة من سلسلة الميناء (Sieva d'Almina). التي تقع إلى الشرق من جزيرته سبتة. وهو عند آخرين جبل موسى أو جبل القرون المعروف عند البرتغاليين باسم (Sera de Ximeira) حيث يرتفع رأس أليينا (La pointe d'Almina).

وبهذه النقطة يوضعون مدينة سبتة التي يعتبرونها من أنبل وأغنى مدن موريطانيا الطنجية.

- سبتيم فراتريس (Septem Fratres) : وقد ذكرها كل من سطرابون وميلا وبلين القديم وبطليمي. وتوافق حسب بعض الكتاب المعاصرين جبل بليونش الذي تشكل النقطة الجنوبية منه المدخل إلى المضيق.

- أد سبتيم فراتريس (Ad Septem Fratres) : وهي محطة تقع عند قدم جبل بليونش ومرسى دانيال وتبعد عن موقع آد أبليم (Ad Abilem) بـ 14 ميلا. ولكن حسب الباحث بزنيي (Besnier) لا تتجاوز المسافة أربعة أميال فقط.

إليفا (Elephas) : موقع قريب من المضيق لاشك أنه استمد اسمه من نوعيته الوحيش الذي كان يرتع في مجاله ونعني بذلك الفيلة هذا النوع الذي اشتهر في نقط عديدة من موريطانيا الطنجية ومن ذلك جنوب موقع سالا (Sala) إذ شكل تهديداً لساكنتها هذا قبل أن تستنزفه الحروب والمسارح المدرجة.

وهكذا فقد احتلت سبتيم موقعا متميزاً عرفت ولاشك - قبل القرن IV ق. م. تحت اسم اد أبليم (Ad Abilem). وحملت من خلال مصادر القن الأول قبل الميلاد وكذلك المصادر المتأخرة ومنها المسيحية اسم اد سبتيم فراتريس (Ad Septem Fratres) ولكنه اختصر إلى مصطلح سبتيم (Septem) سبتون (Septon) وبعد ذلك سبتة (Sebta). وقد سمتني جميع الأحوال نسبة إلى التلال (الجبال) التي وجدت عليها. وهي بموقعها هذا تذكرنا بعاصمتين كبيرتين أنشئنا بدورها فوق التلال السبعة ونعني بهما روما ثم العاصمة البيزنطية بزنتة (Byzance). فهل محض الصدفة! احتفظت المصادر الإسلامية بالتسمية المتأخرة سبتيم وحورت إلى سبتة. ولكن لم يعد الكتاب المسلمون يعرفون دلالات الاسم القديم.

ومن خلال تتبع الشذرات باعتماد مصادر ما قبل الإسلام يظهر أن المجال الذي أنشئت به سبتة كان مغطياً بنبات كثيف وبأشجار باسقة شكلت مرتعا للحوانات ومنها الفيلة. واستوطنت المجال عناصر نوميديية مثلة في الميتاگونين (Metagonites) كما أن المدينة كانت محطة ضرورية لانطلاق ورجوع السفن من البحر الداخلي في اتجاه البحر الخارجي أو في اتجاه الضفة المائية للبحر المتوسط كما تفيد في ذلك قصة "كونت" سبتة يوليان. ولما لا فقرب العمودين زيلا وغالبي سهل الاتصال بين الحارتين إسبانيا والمغرب القديمين وبين القارتين أوربا وليبيا ولعبت أد أبليم منذ عصورها القديمة دوراً رائداً في هذا الاتصال. ألم تكن غنية بمواردها الفلاحية، بوحشها وأيضاً بشرواتها البحرية؟ على كل فالكونت يوليان حاكم سبتة اشتهر كمصدر للخيل، فهو الاسم الوحيد الذي احتفظ به التاريخ إلى جانب الميتاگونيت "كقبيلة".

البيضاوية بل كامل، مظاهر اقتصادية من خلال نسيفا - الشمال الإفريقي، أطروحة دكتور الدولة مرقونة في كلية الآداب، الرباط، 2000 ؛ م. اللبار، مضيق جبل طارق عبر التاريخ، مقال قيد النشر، المصطفى مولاي الرشيد، مضيق الأعمدة والجوار الموري - البيضاء، ص. 267 - 273، 2001 ؛ علي واحدي ومحمد مقدون، أعمدة هرقل، معلمة المغرب، 2، ص. 523 - 524 ، 1401 / 1989.

M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc, (Maurétanie Tingitane)*, A. M. I, 1904 ; J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; Id. *Recherches sur les activités des méditerranéens aux confins de l'Afrique occidentale (VI^e siècle av.J.C - IV siècle ap. J.C)*, Rome, 1978 ; Id, Pline l'Ancien, *Histoire naturelle V*, Paris, 1980 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; A. Siraj, *L'image de la Tingitane, l'historiographie arabe médiévale et l'antiquité nord-africain*, Rome, 1995, (Sabta, pp. 475 - 480) ; R. Ricard, *La côte atlantique du Maroc au début du XVI^e siècle, d'après les*

instructions nautiques portugaises, Hesp. 7, 1927, sp. pp. 231 - 232.
البيضاوية بلكامل

السبحة، أطلقت هذه الكلمة في بداية الإسلام على ما زاد عن الفرض من الصلوات، ثم اختصت هذه بتسمية النوافل، وظلت السبحة تدل على المعقبات من تكبير وتحميد وتسبيح. فقد أثرت عن الرسول صلى الله عليه وسلم صيغ لتعظيم الله وتسبيحه وتقديسه وتنزيهه وتوجيهه تذكير بكيفيات وأعداد وترتيب، مع ذكر فوائدها وفضائلها.



ولما كان لعدد تكرار هذه الصيغ أهمية، فقد بدت أول وسيلة للعد أصابع الذكور. كان بعضهم يستعمل الحصى في العد ونوى التمر. وقد ذكر ابن الحاج في المدخل (3) : 205-207) أن إحدى زوجات النبي كانت لها سبحة كانت تضعها في طاق وأن عمر بن الخطاب عاتب تيمما الداري على الظهور بسبحة في عنقه. وكانت السبحة في بعض أشكالها الأولى خيوطاً أو حبيبات رقيقة فيها عقد، ثلاث وثلاثون أو تسع وتسعون، وأصلها عبارة المعقبات "سبحان الله والحمد لله والله أكبر"، حيث تذكّر ثلاثاً وثلاثين مرة لكل جزء من أجزائها الثلاثة فتأتي تسعا وتسعين على عدد الأسماء والصفات. ثم وضعت لموضع الذكر سبحة مكونة من حبات الوحدة منها بحجم حبة الحمص، معظمها من خشب منجور، وبعضها من صدف أحمر أو إبنوس أو من قرن الكركدن المرصع بالفضة أو من خشب الصبر أو الصندل.

اشتهر في المغرب صنع السبحة من خشب العنّاب والزيتون وشجر أركان ومن أخشاب صلبة أخرى، وربما اتخذ بعضهم سبحة من الفول اليابس.

تستعمل السبحة في الذكر بالعدد وتحيط بها معان تكريمية باعتبارها وسيلة شيء يظهر ويشفي وهو الذكر، فينتقل ذلك الاعتبار إلى السبحة بذاتها حيث تستعمل في التبرك والاستشفاء أو التأهيل والحفظ كالحرز، كما تستعمل كهديّة ولا سيما من قبل القادمين من الحج. ومن شدة التعلق بالسبحة أن بعض الجبابرة كان يصادها للضغط

على صاحبها حتى يؤدي ما عليه من الجباية فيسترد تلك الرهينة القسرية من الجبابرة.

يرتبط استعمال السبحة بالكتمان حيث يستعملها لعد الأذكار بعض الذاكرين تحت جليابه، ولكن بعض المنتمين للمشيخات الصوفية يجهرون بإظهارها لتأكيد انتمائهم وتحمل تبعاته وإشهار الدعوة إلى طريق الأذكار. وهكذا نجد الطرق تتفاوت في هذا الصدد، وبعض الدرقاويين على سبيل المثال يحملون في العنق سبحة غليظة الحبات للتأكيد على إعلان الانتماء والغياب الشعوري عن كل انتقاد. وهكذا تكون السبحة رمزاً له معناه داخل الجماعة، وله معنى في حياة مستعملها الفرد الذي قد تصبح عنده بقيمة التزامه بالأذكار أي أعلى من كل قيمة مادية، وقد تورث وتعلق زينة على الجدران.

صارت السبحة في المغرب عنوان الانتماء إلى طريقة التصوف أكثر من المرقعة وغيرها من العلامات الأخرى المعتمدة في المشرق. ولكنها عند أصحابها لم يعد لها معناها الأصلي كوسيلة للعد وإنما التبس جسدها بروح المعداد، فصارت قيمة للتذكير بعد أن كانت مجرد آلة للذكر.

M. S. Belguedy, *Le chapelet islamique et ses aspects nord-africains, R.E.I., 1969/2, p. 191 - 322.*
أحمد التوفيق

السَّبَخَاتُ أو السبّاخ جمع سَبْخَة أو سَبْخَة

مصطلح عربي يعرف بأوساط بيئية خاصة جداً لها ارتباط وطيد بملوحة مياهها وترتيبها. وحسب بعض الباحثين في علوم الجغرافيا والبيئة وخاصة الفرنسيين منهم، تعتبر كلمة سبحة مصطلحاً عربياً ذا أصول مرتبطة بالمواقع لافريقيا الشمالية وصحاريها (المغرب، الجزائر، تونس).

ولقد ترجم مصطلح سبحة حرفياً إلى اللغة الفرنسية ويكتب حسب الباحثين والمصادر العلمية بكيفيات مختلفة على النحو التالي : Sebka, Sebkra, Sebkra, sebkra. ويبقى المفهوم الفرنسي الأخير هو الأكثر تعبيراً عن المصطلح العربي الأصلي للسبحة والسبّاخ. أما المرادفات الأخرى للسبحة والسبّاخ باللغات الأجنبية غير الفرنسية فهي Salina و Salar (اصطلاح إسباني)، Alkali flat (s)، Salt flat (s) أو Salt pans (اصطلاح انجليزي - أمريكي).

وإذا كانت السبحة ساحلية فيطلق عليها اسم Maremma (مصطلح فرنسي).

في المجال العلمي وخاصة في علوم المياه، تعرف السبحة كقاع حفرة مغلقة خالية من النبات، تتميز بظهور تكونات ملحية على السطح خلال فترات الجفاف، ومعرضة للفيضان بمياه الفيض أو بارتفاع مستوى المياه الجوفية

المالحة خلال الفترة المطيرة. أما أطرافها أو جوانبها فهي مغطاة بأعشاب قصيرة متأقلمة مع الملح (سهب أليف الملح) مشكلة منطقة مراغ تسمى الشطوط (Chotts) وهي جمع شط (Chott). وكلمتا Chotts و Chott هما ترجمة حرفية للمصطلحين العربي الأصل شطوط و شط. واصطلاحاً شط (Chott) و شطوط (Chotts) لم يعمما إلا حديثاً وبالخطأ على السبخة والسبخ أو السبخات.

وتعتبر السبخ كذلك كأراض ذات ملح ونز لا تكاد تُثبت أو كمسطحات ملحية (Salt flats) تتركز فوق تكوينات من الصلصال والغرين والطين ويتحكم مستوى الماء الجوفي في منسوبها، ويحتوي هذا الماء على نسبة مرتفعة من الأملاح الذائبة. ونتيجة لعوامل التبخر أو التبخر النتج بالسبخ، تتراكم المتبخرات (Evaporites) على شكل أملاح بما فيها تلك التي تكون القشرة الملحية (Salt crust (s), Efflorescence (s)).

وحسب عدة باحثين متخصصين في العلوم البيئية أو ميادين أخرى (هيدروولوجيا الأراضي المالحة، جيولوجيا، جيومورفولوجيا، رسابة...) وخاصة منهم الذين اهتموا وعملوا بشمال إفريقيا، تعتبر السبخ كمخفضات تحتوي على طبقة مائية قليلة العمق. إن تغذية السبخ بالماء تنتج عبر السيلان والذي يكون مصدره هي الأراضي المالحة. ويمكن للسبخ أن تجف بأكملها خلال الفصل الجاف أو الفترات الجافة، وعندئذ تتغطي مساحتها بقشرة من كلوريد الصوديوم (NaCl) والتي تحتوي كذلك وغالبا على الجبس وفي بعض الحالات على متبخرات أخرى.

وتصنف السبخ كذلك ضمن البحيرات المالحة والتي تكون في مجملها بحيرات منجسة (Lacs endoréiques) والتي تكون ملوحتها ذات تركيب متغير جداً، الشيء الذي يتعاكس مع ملوحة البحار والتي لا تتغير إلا من ناحية درجات الملوحة وليس في ما يخص نسبة المواد الذائبة.

فالسبخ توجد جنوب النجود العليا والأطلس الكبير والأطلس الصغير وتحديداً جنوب الخط الذي يربط بوعرفة - الراشدية - ورزازات - طاطا - كلميم. وفي هذه المناطق الشاسعة، تتميز السبخات بعددها المحدود وصغر حجمها (مساحة صغيرة أو محدودة جداً عموماً).

أما المنطقة الجغرافية التي تعتبر ذات أهمية كبرى، بل وقصوى للسبخات، فهي تلك التي تمتد من جنوب وادي درعة الأسفل إلى الحدود مع موريطانيا شرقاً وغرباً (طرفية وعمقها في اتجاه العيون والسمارة، الساقية الحمراء، كل وادي الذهب...).

فالمنطقة البيوجغرافية الممتدة جنوب غرب درعة بما فيها أقاليم الساقية الحمراء ووادي الذهب، تعتبر أكبر مكان توجد فيه السبخ المختلفة الأنواع والأشكال والأحجام، كانت ساحلية أو قارية، وتبقى السبخات القارية هي الأكثر عدداً وتواجداً في تلك الأقاليم المغربية الجنوبية.

أما بالنسبة للسبخات الساحلية المحاذية جداً للبحر المتوسط هناك بعض الدراسات التي أدمجت فيها ما يسمى بسبخة بوعارك (Sebkha Bou Areg) قرب مدينة الناظور والتي تسمى أيضاً Mar Chica أي البحر الصغير.

وفي الحقيقة، هذه البحيرة المائية المهمة التي تدخل في شبكة المواقع ذات الأهمية البيولوجية والأيكولوجية (Site d'Intérêt Biologique et Ecologique) حسب المخطط المديرى للمناطق المحمية (المحميات) بالمغرب تكون هوراً ساحلياً (Lagune littorale) لظروفها الهيدرولوجية والجيومورفولوجية والبيولوجية والبيئية. وهذه البحيرة المالحة تغطي مساحة 115 كيلو متر مربع تقريباً، وعمقها الأقصى يعادل 8 أمتار ويحميها من البحر شريط ساحلي طوله 22 كلم وعرضه يتغير من 160 إلى 1300. أما التربة التي تمكن الهور من الاتصال بالبحر، فعمقها يساوي 3 أو 4 م.

وبالمنطقة الجافة توجد سبخة زيم (Sebkha Zima) التي تتموقع غرب الشماعية وتحديداً جنوب الطريق الرابطة بين مراكش وأسفي وكذلك سبخة سد المسجون (Sedd El-Messjoun) الذي يتموقع بدوره بوهدة البحيرة (Cuvette de la Bahira) التي تمتد ما بين الجبيلات وتشكيلات الرحامنة.

كما توجد أيضاً سبخ أخرى بمناطق مختلفة بالأراضي الجافة بالمفهوم الواسع.

2.3 - أهم السبخات المغربية :

إن الدراسات العلمية المختلفة العامة منها والمتخصصة نادرة جداً وحتى إن وجدت، فهي لا تتعدى التطرق إلى بعض الإشكاليات الخاصة وفي مناطق خاصة أيضاً ومحدودة جغرافياً.

انطلاقاً من هذه المعطيات وارتكازاً على الدراسات الأيكولوجية والبيئية التي قمنا بها في مجال المناطق الرطبة والأراضي المالحة الساحلية والقارية للمصاب والأنهار والأهوار والدلتات والسبخات، يمكن أن نعطي لمحة موجزة عن بعض أهم السبخ بالمغرب.

ففي المنطقة البيوجغرافية الممتدة على طول الساحل الأطلسي من درعة الأسفل وخاصة من جهة طرفية ونواحيها إلى الكورة مروراً بالداخلية وبيئتها المجاورة وكذلك في عمق الصحراء المغربية بأكملها (المنطقة الجغرافية الحيوية القارية فيها الحمادات، هناك كثافة مهمة للسبخات المتعددة الأشكال والمساحات والأعماق والظروف البيئية والبيولوجية والتطور (الديناميكية) والأعمار (تاريخ ظهورها ودوامها).

فمن أهم السبخات بمنطقة طرفية مثلاً نجد سبخة الطاح (Sebkha Tah). فهذه السبخة تمتد على طول 30 كيلو متر، وعرضها يوازي 11 إلى 12 كيلو متر. ويجوار هذه السبخة، هناك عدة سبخ على شكل شبكة مهمة وخاصة بشمالها الغربي مثل سبخة تيسفورين (Sebkha

(Tisfourine) وسبخة الخميرة (Sebkha Khemira). وفي الجنوب، هناك عدة سبخات : سبخة أم الضيع (S. Oum Dbaa)، سبخة ياهيفة (Sebkha Yehaifa)، سبخة أمسكير (S. Amsiquir). وبالجهة الشرقية والشمالية الشرقية، يوجد تجمع معقد للسبخ : سبخة ربولا (S. Rboula) وسبخة هوسلكا (S. Houselga) وسبخة العزيز (S. El Azaiz) وسبخة تازرة (S. Tazra).

وهذا التراكم الملحي للمختبرات الذي يظهر كقشرة من الأملاح على سطح الأرض يمكن أن يتكون تحت السطح كذلك على شكل كتلة ملحية صلبة يتعدى سمكها متراً أو مترين كما هو حاصل ببعض أطراف سبخة الطاح (Sebkha Tah) مثلاً.

وارتفاع الملوحة بالسبخات يعبر عنه زيادة عن استعمال عامل الناقلية الكهربائية (C.E.) بكميات الغرامات في اللتر (gr/l) أو بالميليمكافى في اللتر (meq/l).

انطلاقاً من هذه العوامل، فملوحة السبخات بالمغرب تتغير حسب الظروف البيئية والمناخية من بعض الغرامات في اللتر (2 إلى 5 غرام بالتر) إلى مئات الغرامات بالتر (100 إلى 200 غ / ل أو أكثر) وذلك حسب نوعية الأملاح والظروف البيئية وخاصة منها المناخية والبيومناخية حتى الوصول إلى التشبع وتكون الإبخاريات الملحية.

أما استعمال عامل الميليمكافيات في اللتر (meq/l) والتي يعبر عنها بمجموع الأنيونات والكاتيونات، فيبين أن الملوحة مرتفعة بالسبخ إذ يفوق العشرات، بل المئات وكذا الآلاف أو عشرات الآلاف وذلك حسب الظروف والعوامل البيومناخية وتركيز الأملاح وتكون الإبخاريات الملحية والطبقات الملحية.

والتعبير عن الملوحة بالناقلية الكهربائية يؤكد كل ما تم تناوله إذ يتغير هذا العامل من 2 - 10 (mmhos/cm) إلى أكثر من 50 - 100 (mmhos/cm) وهو ما يبين أن الملوحة تكون إما منخفضة أو متوسطة أو قوية جداً حسب ظروف الأوساط البيئية. وفي معظم الأحوال تبقى ملوحة السبخ جد مرتفعة.

3.4.2 - رطوبة التربة

زيادة على عامل الملوحة، فرطوبة التربة بالسبخ لها دور أساسي في تحديد ظروفها البيئية والبيولوجية وكذا تطورها عبر الأحقاب المتتالية. فالسبخات يمكن أن تمتلئ كلياً أو جزئياً بالماء الناتج عن التساقطات المطرية أو المتسرب عبر العيون والرشح (منايع مرتبطة بالتشكيلات الصخرية أو الأجراف على العموم). وترتبط كذلك بمياه البحر التي تتكدس في السبخات عبر الشغرات الصخرية الساحلية أو عبر الأهوار التي تلتحم بالسبخ كما يحدث بسبخة تازرة (S. Tazra) عبر هور الخنيفيس (Lagune de Khniffiss) المرتبطة بالمحيط الأطلسي بقم اكويطير (Foum Agouitir).

فعامل الماء على العموم (كتل سطحية، سديمية متوحة، ماء جوفي، ماء باطني...) يؤثر على الظروف البيئية للسبخات حسب درجة رطوبة التربة ومستوى عمق السديمية المتوحة بالنسبة لسطح السبخ.

وهذا التأثير يلعب دوراً أساسياً في تغيرات تركيز الأملاح أي في درجات الملوحة وبالتالي في الظروف الأيكولوجية والبيئية والبيولوجية للسبخ (تأثير على الفلورا والفرا والنظم البيئية).

وعلى العموم، فرطوبة التربة ترتفع مع التساقطات المطرية وكذا اثر ارتفاع مستوى السديمية المتوحة وإثر المد وخاصة المد القوي للبحر والمحيط، وتنخفض تدريجياً في فترات الجزر وبقوة في الفترات الجافة والحارة.

3.4.3 - العوامل الجيولوجية والجيومورفولوجية والتربة :

إن للصخور الأم والتشكيلات الجيولوجية المألحة تأثير مباشر على ملوحة البيئة المحيطة بها وخاصة منها السبخات. وهذه الصخور الأصلية تنتمي إلى عصور جيولوجية مختلفة من الزمن الأول إلى الزمن الرابع.

وهذه الصخور الأم تتكون من الصلصال الملحي الترياسي (Argile salifère triasique) أو من الطفل (مارن) الملحي (Marne salée) أو الجبسي (Marne gypseuse) أو الملحي - الجبسي (Marne salée et gypseuse) وكذا من صخور أصلية أخرى. فتفسخ الصخور المألحة تحت عدة عوامل وخاصة منها الفيزيائية والكيميائية يؤدي إلى تغذية السبخ بأملح مختلفة.

4.2.4 - الفلورا والنظم البيئية

إن الفلورا أو النباتات التي تنمو بالسبخات المغربية تتميز ببيولوجي جد مهم نظراً للتكيف القوي للنباتات أليفة الملح (Halophiles) والإللملحية (Halophytes) مع الظروف الأيكولوجية للأوساط البيئية الطبيعية للسبخ. والتنوع البيولوجي النباتي للسبخات يختلف من سبخة إلى أخرى على الرغم من تواجد عدة أنواع وأصناف بل وحتى طرز بيئية مشتركة بين هذه الأشكال من الأوساط البيئية المتخصصة.

إن الجهد الأزموري القوي للنباتات المرتبطة ببيولوجيا وأيكولوجيا بملوحة الماء والتربة يمكنها من النمو والتجدد في الظروف البيئية للسبخ وذلك حسب مستوى عمق المياه التي تغمر السبخات أو مستوى السديمية المتوحة أو درجة رطوبة التربة.

وكما أن العوامل الأيكولوجية الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية والجيومورفولوجية تلعب دوراً أساسياً في تنطق التربة حول قعر السبخات حتى المحيط البعيد عنه، فنفس الشيء يحدث بالنسبة لتسلسل الفلورا في أشكال وحلقات دائرية ومتراكزة انطلاقاً من وسط السبخ.

وهذه الوضعية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتغيرات في

تغير درجات الرطوبة التي تنخفض تدريجياً أو بقوة حسب الظروف الموقعية (ارتفاع في الانحدار مثلاً) كلما تم الابتعاد عن قعر السبخ.

أما درجة الملوحة، فهي ترتفع عادة كلما كان الابتعاد عن القعر السبخي أقوى وذلك لارتفاع عوامل التبخر والتبخر والنتج الشيء الذي يؤدي إلى تركيز الأملاح في الماء والتربة وتراكم المتبخرات على سطح الأرض المالحة. وعندما تتبخر مياه السبخات كلية، يحدث نفس الشيء في كل أرجاءها بما في ذلك القعر نفسه.

ومن الفصائل أو العائلات النباتية التي لها تنوع بيولوجي نباتي مرتفع جداً بالسبخ هناك السرمقيات أو ما يسمى أيضاً الرماميات (Chénopodiaceés) والرصاصيات (Plombaginacées) والظرفيات (Tamaricacées) والقديسيات (Zygophyllacées) والنجيليات (Graminées) والبطباطيات (Polygonacées) والبادنجانيات (Solanacées) وعائلات أخرى دون الحصر مثل Frankéniacées و Spergulariacées و Aizoacées.

والتنوع البيولوجي النباتي الذي ينتمي إلى فصيلة السرمقيات يتكون من عدة أنواع دالة على ملوحة مرتفعة جداً تصل وتتعدى في عدة حالات 100 غ / ل.

والأنواع النباتية السرمقية الإفلمحية التي تنتمي إلى هذه الفئة هي : التليث (Halcnemum strobilaceum) والهالوبوليس (Halopeplis amplexicaule)، الأرتروكنيموم (Arthrocnemum macrostachyum)، وأنواع الأشنان أو الحرض (Salicornes) مثل الحزيري الجنببي (Salicornia fruticosa) والحزيري العشبي (Salicornia herbacea) والسوادة الجنببية (Suaeda fruticosa) والروتا (Salsola vermiculata) والقطف أو السرمق (Atriplex halimus) إلخ..

وإذا كانت درجة الملوحة مرتفعة نسبياً أو معتدلة على العموم بالنسبة لبيولوجيا وأيكولوجيا النباتية الإفلمحية (10 إلى 40 أو 50 غ / ل) فتظهر أنواع أخرى مثل الطريع أو الحمرة (Frankenia hirsuta) أو (Frankenia corymbosa) والشنان (Anabasis aphylla) ونوع من الباذنجانيات مثل العوسج (Lycium intricatum) والعردق (Nitraria retusa) أو (Nitraria schoberi) وأنواع من القديسيات مثل (Zygophyllum album) و (Zygophyllum gaetulum) أو الطرفاويات مثل (Tamarix aphylla) و (Tamarix speciosa) و (Tamarix boveana) و (Zygophyllum gaetulum) إلخ...

أما الأنواع والأصناف النباتية الأخرى، فهي تنتمي إلى الرصاصيات مثل Limonium delicatulum أو النجيليات مثل Phragmites isiacus أو إلى فصائل أخرى متنوعة جداً من Spergulariacées و Aizoacées و Polygonacées و Composées إلخ... وفي الأطراف السبخية المحدودة

الملوحة (2 إلى 5 أو 10 غ / ل)، فهناك عدة أنواع تنتمي إلى السعديات مثل (Scirpus maritimus) والأسليات مثل (Juncus maritimus) أو البريكيات مثل (Typha angustifolia) وكذا أنواع أخرى مختلفة ومتعددة تنتمي إلى فصائل أخرى جد متنوعة.

ومن مميزات التنوع البيولوجي للفلورا التي تساهم في تكوين نظم بيئية متعددة تتوزع بالسبخ حسب الظروف الأيكولوجية في تمازج مع الفونا، يجب التأكيد على أن السبخات تزخر بعدة أنواع وأصناف وطرز بيئية قيسية (Endémiques) بالنسبة للفلورا وكذا الفونا. وهذه المعطيات التي تهم الفلورا (النبات) والفونا (الحيوانات) والنظم البيئية تبين بوضوح أن السبخات المغربية تكون هزانا هائلا للموارد الجينية باختلاف أنواعها.

3.4 - الفونا :

التنوع البيولوجي الحيواني (الفونا) باختلاف أنواعه له ارتباط وثيق بالظروف البيئية والعوامل الأيكولوجية للأوساط الحياتية بالسبخات المغربية كانت حالية أو موروثية من الأزمنة السابقة.

والأنواع المختلفة للفونا لها صلة قوية بالظروف الموقعية للسبخ وخاصة تلك المرتبطة بدرجة الرطوبة وخاصة الملوحة. ويتميز هذا التنوع البيولوجي بوفرة وسيادة الأنواع والأصناف الموشرة للأوساط المالحة والمفرطة الملوحة.

فالمعطيات العلمية المحدودة والمساهمات المتوفرة التي تناولت موضوع هور الخنيفيس ومحيطه بينت بأن التنوع البيولوجي الحيواني مرتفع جداً بسبخة تازرة التي تم التطرق إليها في بعض الحالات.

والمساهمات التي لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بالموضوع لعدة باحثين دونت في عدد خاص من أعمال المعهد العلمي.

فبالنسبة للجنوب الغربي المغربي وخاصة هور الخنيفيس وسبخة تازرة ومحيطهما تتواجد عدة أنواع من الطيور المهاجرة والمائية منها على وجه التحديد.

ففي فصل التوالد تم جرد 56 نوعاً بالمنطقة منها 24 متاولدة و23 محتملة للتوالد و9 يمكن أن تعشش. والمنطقة تعتبر محطة للعبور أو التشتية بالنسبة للطيور العابرة. والطيور المهاجرة التي يمكن أن تحصى في هذه المناطق متنوعة مثل النحام الوردي (Flamant rose) وأبو ملعقة (Spatule) والملك الحزين (Héron) وأبو طاق (Cormoran) وأنواع أخرى من البطيات (Anatidés) والردغيات (Limicoles) والنورسيات (Laridés).

وبالنسبة للبرمائيات والزواحف بالمنطقة، تم جرد 21 نوعاً. أما الثدييات فيبلغ عددها 27 نوعاً. وفي مجال الدراسات الهيدرولوجية تحتوي المنطقة بتنوع أوساطها الأيكولوجية على عدة أنواع من القشريات (Copepoda. Cladocera. Ostracoda).

والتنوع البيولوجي للفونا بهم كذلك عدة أنواع حيوانية من معديات الأرجل والعنكبوتيات والحشرات (مجموعة من الحلزونيات والعناكب والعقارب والحشرات) وحتى بعض الأسماك التي يمكن أن تتواجد في الأوساط التي تربط هور الخنيفيس بسبخة تازرة.

وهذه المعطيات الموجزة والتي تهتم خاصة مناطق طرفاية - الخنيفيس - عيون الساقية الحمراء والأوساط البيئية الساحلية تعطي فكرة مقتضبة على هذه المنطقة البيوجغرافية بما فيها السبخات المتواجدة بها.

5 - استغلال السبخ وتدهورها وضرورة حمايتها :

الاستغلال التي تخضع لها السبخ من طرف الإنسان ومنذ زمن بعيد مختلفة ومتنوعة الشيء الذي يؤدي بها إلى أن تلعب دوراً رئيسياً في بعض المناطق في المجالات السوسيواقتصادية والاقتصادية بل والثقافية أيضاً.

فالسبخ تستعمل في عدة مجالات من أهمها :

* الرعي وتربية الماشية (إبل، أبقار، ماعز، أغنام، حافريات مختلفة الخ ..)

* القنص والصيد البري

* صيد الأسماك في الأوساط المتصلة بين السبخ والأهوار

* الزراعة في الأوساط ذات الملوحة المنخفضة أو الضعيفة جداً وكذا بمحيط السبخ

استخراج واستغلال عدة أنواع نباتية وأعشاب تستعمل في مجال الطب التقليدي مثلاً ولأغراض أخرى (Ethnobotanique) وكذا الأنواع الجنيبية والشجرية والتي تستعمل كحطب الوقود والتدفئة (الطرفاء، الأشنان ...).

وتستعمل أنواع أخرى مثل قصب الماء (Phragmites) كسباح للحقول ومزروعات الخضراوات والأسل أو السمار والحلال في البوريات (حصير منسوج).

* استخراج واستغلال الأملاح وخاصة ملح المائدة (NaCl)

* الترفيه والسياحة بمفهومها الواسع والسياحة البيئية الطبيعية (Ecotourisme)

* استغلال المياه العذبة المحيطة بالسبخ (عيون، رشح، آبار ...) واستعمالها في مجالات الزراعات المختلفة وخاصة الخضروات وإرواء الماشية الذي يمكن أن يستغل المياه السطحية للسبخ نفسها عندما تكون الملوحة ضعيفة جداً (مياه السطح المتجمعة بعد التساقطات المطرية خاصة).

وعلى الرغم من هذه المهام التي تقوم بها السبخ المغربية وزيادة على وظائفها البيولوجية والإيكولوجية والبيئية والبيوجغرافية، وكذلك كأصقاع بيئية، فهي تتعرض لتدهور مستمر وإتلاف مكوناتها المختلفة (فلورا، فونا، أوساط حيوية، نظم بيئية) والأضرار التي تلحق بالسبخات مرتبطة بالاستغلال المفرط لمواردها الطبيعية المختلفة (ثورة نباتية وحيوانية، تربة، مياه، أملاح...).

وهذا الاستغلال المفرط للموارد الطبيعية بالسبخات أدى في حالات عديدة بالمناطق الجافة وشبه الصحراوية والصحراوية إلى تصحرها وترملها بكثافة عالية (سبخة تازرة مثلا ...) الشيء الذي سيؤدي إلى الاندثار النهائي إلى السبخ التي تتعرض لهذه الآثار السلبية. وللأسود أيضاً آثار وتأثيرات سلبية مختلفة على الظروف البيئية والإيكولوجية لسبخ.

ونظراً لأهمية السبخ المغربية والوظائف المتعددة التي تقوم بها فإنه من الضروري حمايتها والمحافظة عليها. وصون السبخ من التدهور يجب أن يتعدى النظرة التي لا تتجاوز المحافظة والحماية للمناطق الرطبة التي تدخل في إطار شبكة مسار المنتهقة عن اتفاقية مسار بايران سنة 1971 أو Convention de Ramsar (Iran 1971) (مثل هور الخنيفيس التي تتصل به سبخة تازرة ناحية طرفاية بإقليم الساقية الحمراء والذي أدمج في الشبكة في 1980)، بل يجب أن يتعداه إلى كل السبخ المغربية.

وهذا التوجه تملبه الأهمية القصوى للمناطق الرطبة بصفة عامة والسبخ بصفة خاصة في المجالات البيولوجية والإيكولوجية والسوسيو اقتصادية وغيرها.

فالسبخات التي طالها التدهور المستمر (استغلالات مفرطة، تحفيف، تلوث، تعميم إلخ ...) لها عدة أدوار إيجابية بالنسبة للبيئة والإنسان والتي يمكن أن تلخص فيما يلي :

- ضبط الفيضانات

- تغذية المياه الباطنية

- تثبيت السواحل

- الحماية من العواصف

- حجز وتصدير الرواسب والمواد المغذية

- تلطيف التغيرات المناخية

- تصفية المياه

- مدخر للتنوع البيولوجي

- مد الإنسان بمواد مختلفة

- ترفيه وسياحة بما فيها السياحة البيئية

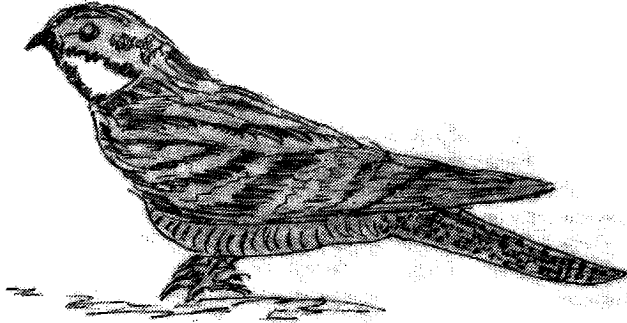
- قيمة ثقافية

فكل هذه الأدوار المتعددة للسبخ تحتم أن تولي لها أهمية بالغة في مجالات الحفظ والصون، الحماية والمحافظة، التدبير العقلاني والمستديم لمواردها الطبيعية في إطار استراتيجيات ومخططات وبرامج علمية تضمن هذا الاختيار.

ويجب كذلك ترميم السبخ التي طالها التدهور في إطار برامج شاملة ومتكاملة تهدف إلى تنمية مستدامة للمناطق الجغرافية التي تتواجد فيها تلك السبخ.

M. Bendaanoun, *Etude synécologique et syndynamique de la végétation halophile et hygro-halophile de l'estuaire du Bou Regreg (Littoral atlantique du Maroc). Applications et perspectives d'aménagement.* Thèse de Docteur-Ingénieur. Univ.

الغابوية والمراعي. العش عبارة عن حفرة غير مفروشة تتخذها الأنثى عادة بين الأعشاب. لا يتعدى عدد البيض اثنين لونهما أبيض رمادي مبقع بالأصفر والبني ومنظرهما رخامي. يبلغ طول قطرها 22.5 × 32 ملم. يحضن البيض من طرف الأنثى حوالي 18 يوما ويقوم الزوج بالحراسة. تغادر الفراخ العش مباشرة بعد التفطيش تأخذ حريتها تدريجيا وتحسن الطيران بعد أسبوعين.



يعيش السُّبْد في مختلف المناطق المغربية. ويعيش أيضاً في أوروبا بخلاف الدول الاسكندنافية وفي شمال إفريقيا والشرق العربي وآسيا الغربية ومنه عدة مجموعات تشتو في ليبيا ومصر وبعض الدول الإفريقية.

- السبد أشقر العنق *Caprimulgus ruficollis* وبالفرنسية Engoulevent à collier roux وبالإنجليزية Chotacabras pardo وإسبانية Red-necked Nightjar وإيطالية Succiapre collarosso. يبلغ طوله 31 سم ويختلف عن السبد الأوروبي ببقعة من الريش الأبيض المصفر على العنق. الذكور والإناث متشابهة اللون وينتهي ذيلها ببقعة بيضاء واضحة. يبيض مرتين في السنة ويحضن بيضتين في كل مرة. يتوالد في المغرب والجزائر وتونس وإسبانيا وتشتو في جنوب المغرب وفي عدة دول إفريقية.

- السُّبْد المصري *Caprimulgus aegyptius* وبالفرنسية Engoulevent d'Egypte وبالإنجليزية Egyptian Nightjar وإيطالية Succiapre isabellino. طائر يعيش في الهضاب العليا بالمغرب الشرقي والمناطق الجافة وشبه الجافة المغربية والجزائرية والتونسية وفي مصر والعراق وسوريا وإيران والجزيرة العربية. لونه شبيه بالرمال ويحمل الذيل والجناحان خطوطاً بنية متقطعة. البطن أبيض ناصع. يشاهد أحيانا خلال النهار بعد ارتفاع الحرارة التي ترغمه على البحث عن مكان أقل حرارة. يصيده البؤبؤ أحيانا. يتشاءم بهذه الطيور في عدة مناطق بالمغرب وينسب إليها أنها تأتي لتبلغ بخبر الموت.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان - الطبعة الثالثة، 1988 : أمين المعلوف،

Aix-Marseille III, Fac. Sci. St Jérôme, Marseille, 1981; *Etude écologique de la végétation halophile, halohydrophile et hygrophile des estuaires, lagunes, deltas et sebkhas du littoral atlantique et méditerranéen et du domaine continental du Maroc*. Thèse de Doctorat d'Etat Es-Sciences Naturelles. Univ. Aix-Marseille III, Fac. Sci. St Jérôme, Marseille, 1991 ; G. Choubert, A. Faure-Muret & L. Hottinger, *Le bassin côtier de Tarfaya (Maroc méridional)*. Notes et Mémoires du Serv. Géol., n° 175, Rabat, 1966 ; M. Dakki and W. Ligny (de.), *The khnifiss Laggon and its surrounding environment (Province of La'youne, Morocco)*. Trav. Inst. Sci., M.H.S., I.S., Rabat, 1988 ; G. Gaucher et S. Burdin, *Géologie, géomorphologie et hydrologie des terrains salés*, Paris, 1974 ; A. Guilcher, *Précis d'hydrologie marine et continentale*, 1979 ; F. Joly, *Etudes sur le relief du Sud-Est marocain*, Rabat, 1962.

محمد بندعون

السُّبْد يجمع على سُبْدان كما هو في المعاجم وكما ينطق به في معظم الدول العربية، طائر من القواطع يصنف إلى رتبة الجواثم مشقوقات المناقير وفصيلة السيديات Caprimulgidae. يسمى أيضا الضوع في بعض المعاجم ويطلق عليه طائر الموت في بعض المناطق بالمغرب وأبو عمى في الشام وأبو النوم في مصر والقرّة في السودان. اختلف العلماء في تحريم وتحليل صيده لشدة مشابهته باليوم في بعض أحواله وبالخطاف في نحالة وقصر القوائم وطول الجناحين.

تعيش ثلاثة أنواع في المغرب مسرولة الساقين وتتميز بشعيرات كالهلب حول المنقار. يكثر نشاطها في غسق الليل وتحدث صوتا عند الطيران بتردد اهتزاز سريع للجناحين :

- السُّبْد الأوروبي *Caprimulgus europaeus* وبالفرنسية Engoulevent d'Europe وبالإنجليزية Nightjar وإسبانية Chotacabras gris وإيطالية Succiapre. طائر ريشه لين سريع الانتزاع لونه إلى الأسمر الرمادي ومبقع بخطوط ونقط بنية وصفراء على الظهر والصدر. المنقار واسع مفلطح رمادي مسود، الرأس كبير ومسطح، القوائم شقراء، الجناحان والذيل طويلة. تتميز الذكور ببقع بيضاء على مؤخرة الجناحين والذيل. يبلغ طول الجسم 26. 27 سم وتزن الكبار 70. 140 غرام. يعيش مزدوجا ونادرا وسط مجموعات قليلة الأفراد. عدة مجموعات تغادر المغرب لتشتو في إفريقيا الوسطى ثم يعود إلى المغرب وأوروبا خلال فترة التوالد. يتغذى من الحشرات يصطادها ليلا وهي طائرة. يأخذ مكانه نهارا بين الأعشاب أو على غصون الأشجار دون أن يتحرك وتصعب مشاهدته لشدة مشابهته بالمكان الموجود فيه.

يتوالد غالبا مرتين بين مايو وغشت في المناطق

معجم الحيوان، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979 ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe*, Paris, 1977.

محمد رمضان

السبع، أحمد بن محمد بن الحسن

السغروشنى، نسبة إلى "دويرة السبع" بناحية ميسور في المغرب الشرقي. فقيه نسابة، له كتاب في نسب شرفاء أيت سغروشن تعرض فيه لفرقهم وموقع كل فريق منهم بالقبيلة، وترجم لجدهم أبي عبد الحسن بن عمرو السبع السغروشنى دفين غزوان قرب وادي غير المتوفى سنة 559 / 63 - 1164 في نحو ثلاثة كراريس، وقف عليه عبد السلام ابن سوذة في إحدى الخزائن الخاصة بفاس. (دليل، 83) وله أيضاً تقييد في نسب أبي الحسن علي بن عمر السغروشنى وهو اختصار للكتاب السابق، وقف عليه عبد السلام ابن سوذة وعرف به في الدليل (ص. 89).

توفي عام 1340 / 21 - 1922.

ع. السلام ابن سوذة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ط 2، الدار البيضاء، 1960؛ *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1966، 8 : 2927.*

محمد حجي

ابن سبع، سليمان العجيسي السبتي يلقب

بالخطيب : من علماء سبتة في العصر المرابطي، عاش إلى أوائل القرن السادس. لم ترد له ترجمة في المصادر المعروفة خاصة ترتيب المدارك لمعاصره وبلديه القاضي عياض.

كان ابن سبع خطيباً جامع سبتة، ولذلك غلب عليه لقب الخطيب. ووصف في بعض المصادر بالفقيه الخطيب المحدث الحافظ، وتؤكد هذه الأوصاف مؤلفاته التي تدل على علو كعبه في العلم.

لم يذكر من تلاميذه سوى حفيده ولد بنته أبو عبد الله محمد بن حسين بن عطية الأنصاري المعروف بابن الغازي (508 - 591).

تعتبر كتب ابن سبع أقدم تراث علمي مغربي وصل إلينا. فقد ألف عدة مؤلفات وصلت منها ثلاثة، وهي :

1 - *شفاء الصدور في إيضاح البيان*، عن كشف حقائق البرهان، في أعلام نبوة الرسول محمد بن عبد الله وخصائصه، وهو موسوعة في الحديث والسير، وكان يقع في 15 مجلداً، قضى مؤلفه في جمعه زهاء 30 عاماً. بقيت منه أجزاء منها ج 1، مخطوط، خ. ع. رقم ك 1383، مبتور الأول، في 334 ص. وقطعة ثانية بالخرزانة الملكية، وهي النصف 2 منه، رقم 5733.

2 - *الخصائص*، أدرجه في كتاب شفاء الصدور، ثم

أفرده بالتأليف فاخصره في مجلد لطيف، توجد نسخة منه بمكتبة الأوقاف ببغداد تحت رقم 2842.

3 - *الحجة في إثبات كرامات الأولياء، وإيضاح البراهين* عن صحة وقوعها من الكتاب والسنة وإجماع الأمة، (مخطوط، خ. ع. الرباط، رقم ق 35، في 200 ص)، ولعله أوسع كتاب في الموضوع، عاد فيه إلى عشرات الكتب في التفسير والحديث والأصول والتصوف والكلام. لا تُعرف وفاة ابن سبع، وقد تكون في العقد الثالث من القرن السادس، وعُمر نفيًا وثمانين سنة. ودفن بسبتة في الرض الأسفل منها، بصحن جامع التبانين.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، تح. عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، دار المعرفة، د. ت. ج. 2، ص. 160؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، تح. عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، الرباط، مطبوعات وزارة الأوقاف، 1413 / 1993، ج. 3، ص. 23 - 24؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الدليل والتكملة*، تح. محمد بنشريف، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1984، 8 : 1، ص. 287 - 288؛ سعيد أعراب، *أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه*، أبو الربيع سليمان بن سبع السبتي، 3 حلقات، مجلة دعوة الحق، س 20، ع 8، 1399 غشت 17، 22، ع 9، شوال 1399 شتنبر 1979، 19، 26، ع 10، محرم 1400 دجنبر 1979، 39 - 42.

سبع بن منغفاد بن حيان الصنهاجي، ثائر قام ولم

تكن قد مرت على القضاء على ثورة مرزدغ الغصاري إلا سنتان حتى اشتعلت الثورة من جديد في جبال غمارة، وتحديدًا بين قبيلة صنهاجة التي كانت كبرى قبائل المنطقة. وقد تزعم العصيان الجديد سبع بن منغفاد الذي لم تقدم كتب التاريخ أي معلومات عنه. وقد تمكن من بسط نفوذ حركته على المنطقة الممتدة من وسط غمارة إلى سبتة، وأخذ يعيث فيها فساداً ويقطع الطرق للحصول على دعم مادي لحركته، كما أمعن في قتل وسبي من لم يخضع له. ووصل تهديده غرباً إلى منطقة الهبط فزرع الرعب في سكان قصر كتامة.

كان نشوب هذه الثورة سنة 562 / 1166 في منطقة حساسة وفي ظرف حرج يعتبر تحدياً كبيراً للخليفة الجديد أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن (558 - 580)، وتهديداً حقيقياً للدولة الموحدية ينذر بفصلها عن الأندلس، خاصة بعدما اختار الثوار التوجه غرباً بدل التوجه جنوباً نحو فاس كما فعل مرزدغ من قبل. فبدأ إعداد الموحدين لحملة عسكرية قصد معالجة التطورات المتسارعة التي أصبحت هذه الثورة المتأججة تفرضها. ونظراً لاتساع رقعة العصيان اقتضت خطة الموحدين الالتفاف عليه من جهتين، حيث أرسل الخليفة جيشاً بقيادة أبي سعيد يخلف بن الحسين إلى بلاد صنهاجة من جهة قلعة علردان (الجهة الغربية) في حين توجه جيش آخر بقيادة الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي من ناحية أخرى. ودارت بين الجيشين والثوار

- وتحدث دوتي عن سبعة رجال لئلا تتركوكست من بلاد وزغيتة (En tribu 222)

وكانت منطقة الحوز تعج بالأولياء قبل بناء مراكش : فأغامت كانت ملتقى الصوفية من القيروان والأندلس والمغرب، ونفيس كانت مجمع الصوفية المصامدة، ومواسم رباط شاعر كانت مجمع مئات النساء الصوفيات فضلا عن الرجال ... ويعد بناء المدينة وتعميرها أخذت مكانة أغمات الاقتصادية والسياسية والدينية فانتقلت إليها مختلف الأنشطة من بينها التصوف.

ومع مرور الزمن تصاعدت أهميتها الصوفية وتكاثر أوليائها سواء المقيمون بها أو المدفونون بأحيائها وأزقتها، فصارت بحق وكما يقول العامة "كل قدم بولي". وقد تم اختيار سبعة أولياء من هذا العدد الكبير مرتين هكذا :

- 1 - يوسف بن علي الصنهاجي، المتوفى سنة 593 / 1196.
- 2 - القاضي عياض اليحصبي السبتي المتوفى سنة 544 / 1149.
- 3 - أبو العباس السبتي المتوفى سنة 601 / 1204.
- 4 - محمد بن سليمان الجزولي المتوفى حوالي سنة 870 / 1465.
- 5 - عبد العزيز بن عبد الحق التباع الحرار المتوفى سنة 914 / 1508.
- 6 - عبد الله بن عجال الغزواني المتوفى سنة 935 / 1528.
- 7 - أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي المتوفى سنة 581 / 1185.

- تنظيم الزيارة : الأسباب الظروف والأهداف

نظمت في ترتيب سبعة رجال مراكش ومدحهم والحث على زيارتهم قصائد عديدة، إلا أن القصيدة العينية المنسوبة لأبي علي الحسن اليوسي حازت شهرة كبيرة وكانت تذكر كلما أثير الموضوع. وهي في أحد عشر بيتا مطلعها :

بمراكش لاحت نجوم طوالع جبال رواس بل سيوف قواطع
(إظهار الكمال 24).

إن ترتيب سبعة رجال لا يراعي العامل الزمني، ولا أفضلية الولي وعمله وإنما له اعتبار جغرافي محض كما سنرى. وقبل ذلك نتساءل لماذا تم تنظيم الزيارة في هذا الزمان والمكان بالذات ؟

يرتبط هذا التنظيم بالأحداث التي عرفتها منطقة الجنوب (الشياطمة، حاحا، سوس) منذ أواخر العصر المريني عندما ضعفت السلطة المركزية بها، وظهرت طلائع الغزاة الأجانب - وخاصة البرتغال - في الشواطئ مما جعل السكان يتطلعون إلى زعماء القبائل وشيوخ الزوايا والريباطات لإنقاذ البلاد ودفع الأجنبي الدخيل عنها.

معارك طاحنة فرضت على الموحدين تعزيز قواتهم، فتدخل الخليفة على رأس جيش آخر بمساعدة أخويه الأميرين عمر وعثمان ابني عبد المومن. وزاد من صعوبة مهام الجيوش الموحدية طبيعة المنطقة الجبلية، خاصة عندما اعتصم ابن منغفاد بجبل الكواكب (جبل تيزران)، ولكن تقدير الموحدين لخطر هذه الثورة وإصدارهم في القضاء عليها جعلهم يستميتون في محاربتها مستغلين ظروف فصل الصيف وشهر رمضان. وفعلاً تمكنوا من إلحاق الهزيمة بالثوار وقتل سبع بن منغفاد الذي القت عليه القبض بعض القبائل الغمارية وسلمته للموحدين، ثم طلبت القبائل الغمارية والصنهاجية الصفح منهم وكان المفاوضات عنها عمران بن منغفاد ابن أخ زعيم الثورة المقتول، فأجيببت إلى ما طلبت. وتم الفراغ من قمع الثورة في أوائل شوال 562 / غشت 1167.

تؤكد المصادر أن الموحدين غنموا في هذه الحملة غنائم هائلة من الدواب والماشية، مما كان سيع بن منغفاد قد جمعه من القبائل المعارضة له. كما أسروا حوالي 4000 شخص. ولطبيعة الانتصار على ثورة غمارة عسكريا وسياسيا، فقد بادر الخليفة يوسف بن عبد المومن بإرسال رسالة مطولة من إنشاء الكاتب أبي الحسن بن عياش مؤرخة بالربيع من شوال 562 إلى سائر الموحدين والأشياخ والطلبية بالمغرب والأندلس يخبر فيها بالنصر والقضاء على "الفتنة". ثم اقتضى نظر الخليفة أن يعين أحد مقربيه عاملا على سبتة وغمارة وبلاد الهبط لضبط أمورها، فوقع اختياره على أخيه السيد أبي علي الحسن.

البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، تح. عبد الحميد حاجيات، الجزائر، ص. 126، 1986، ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، تح. ع. الهادي التازي، بيروت، 307 - 323، 1964؛ ع. الواحد المراكشي، المعجب، تح. م. سعيد العربي، م. العربي العلمي، القاهرة، ص. 251، 1949؛ ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، ص. 210؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، تح. جماعة من الأساتذة، الدار البيضاء، ص. 94، 1985؛ ع. الرحمن، ابن خلدون، العبر، بيروت، 6؛ 320، 1981.

محمد المغراوي

سبعة رجال مراكش، صلحاء أقبروا في هذه المدينة
في تواريخ متباينة وتوجد مزارات أخرى لسبعة رجال في عدد من المدن والقرى منهم :

- سبعة رجال تلمسان

- سبعة رجال بني عروس (Le Maroc inconnu)

- سبعة رجال فاس بحي المصلى (Une ville de l'Islam: Fès)

Fès)

- سبعة رجال الفيندق قرب تطوان (خلاصة تاريخ

سبتة)

وانطلقت الدولة السعودية من هذه المنطقة معتمدة على شيوخ الطرق والزوايا، واستمرت هذه الحركة الدينية خلال العصر السعودي بكامله، وعندما بلغت الدولة مرحلة الضعف بسبب الصراع الذي احتدم بين أبناء المنصور الثلاثة حول الملك، فكون الطرقيون إمارات محلية سعت كل واحدة إلى تمديد مناطق نفوذها. ومن هؤلاء : ابن أبي محلي، أبو زكرياء الحاحي، أبو حسون السملالي، من آل احمد وموسى بتزروالت، رجال رجاجة بجبل الحديد، وأتباع الجزولي بالشيظمة...

وقد حدثت مواجهات بينهم وبين ملوك السعوديين ومنهم من اقتحم العاصمة مراكش بجيوشه (الاستقصا، 6 : 30 - 50).

وكان هم الدولة العلوية الناشئة معالجة هذه الأوضاع الفاسدة بمحاربة المتمردين والثوار، وإعادة الأمن والوحدة إلى البلاد. وفي هذا الإطار كانت مواجهة المولى الرشيد للزاوية الدلائية بالأطلس المتوسط، والشبانان بمراكش، وثوار سوس (إليغ، تزروالت...) وتمكن فعلا من قطع أشواط كبيرة في هذا السبيل، إلا أن وفاته المفاجئة بمراكش جعلت مسؤولية إتمام هذا العمل على عاتق أخيه المولى إسماعيل الذي لم يجد صعوبة تذكر في توطيد الأمن بالبلاد.

إلا أنه كان يدرك رسوخ إيمان سكان سوس بأوليائهم وتعلقهم بهم إلى أبعد الحدود، مما جعل الثوار والخارجين يلجؤون دائما إلى سوس، ويعتمدون في تأليب العامة وجلبهم إثارة مشاعرهم الدينية وترويج أمور الزيارة والأولياء. (كان ابن محرز الثائر على عمه إسماعيل دائم اللجوء إلى سوس).

فكان أول عمل قام به المولى إسماعيل هو تجريد سوس من القداسة بأن طلب من العلماء الإفتاء في أمر صحبتهم. فأفتت جماعة منهم وعلى رأسهم محمد بن عبد القادر الفاسي بعد صحة ما قيل بزيارتهم للرسول، بدليل أن الصحابي الوحيد الذي دخل المغرب هو أبو زمعة البلوي دفين القيروان. إلا أن علماء آخرين دافعوا - فيما بعد - عن صحة صحبتهم متعمدين في ذلك على أحاديث واجتهادات. ويأتي على رأسهم محمد بن سعيد المرغيشي (العيون المرضية، 14 - 19).

والخطوة الثانية التي خطاها هي تنظيم زيارة مضادة لسبعة رجال مراكش "العرب" مقابل الزيارة السابقة لسبعة رجال رجاجة "البربر". ووفر للزيارة الجديدة كافة وسائل النجاح لتجلب إليها الأنظار وتأخذ مكانة الزيارة السابقة وصيتها. ويعتقد أن الإمام اليوسي هو الذي أشرف على التنظيم.

بقي لنا أن نعرف لماذا اختيرت مدينة مراكش لاحتضان هذه الزيارة دون غيرها من المدن؟ ويمكن أن نحمل الجواب فيما يلي :

أ) اعتبرت مراكش منذ القديم تربة الأولياء، وسماها أبو العباس السبتي "مدينة العلم والخير والصلاح"، وسماها ابن الخطيب "تربة الولي، وحضرة الملك الأولى" (معيار الاختيار، 161).

ب) وهي تحتضن جثمان الجزولي الذي كان الشياظمة وحاحا يقدسونه ويتحاربون لامتلاكه، فهم سيقبلون على طواف يكون وليهم أحد أعلامه.

ج) وكانت ذكريات أهل مراكش مع المولى إسماعيل سيئة، فأزاد السلطان تحسينها : إذ سبق له أن حاصر المدينة زهاء سنتين بعدما احتسى الثائر ابن محرز بأسوارها وساعده سكانها. وعندما دخلها السلطان في ربيع الثاني من سنة 1088 يونيه - يوليوز / 1677 قتل سبعة من رؤسائها وابعدها لجنده (الاستقصا، 7 : 50). فرغب - وقد تم له توحيد البلاد - استرضاء السكان، فأحى هذا التقليد المحبب إلى نفوس الناس، والذي يخدم في نفس الوقت مصالح الدولة : فتنظيم زيارة سبعة رجال عرب في مواجهة سبعة رجال بربر، سيثير من الحساسيات والجدال ما يشغل الناس عما هو أخطر، كالانتساب للزوايا والتعلق بأوامر الشيوخ وخاصة أولئك الذين خرجوا على السلطان (كأمهاوش، وبعض الناصريين) بعد حركة أحمد ابن عبد الله الدلائية التي ناصرها البرابرة (84 - 81 Esquisse...).

وقد مهد المولى إسماعيل لذلك ببناء بعض الأضرحة والمزارات، وتحديد أخرى وتوسيعها (كمسجد الجزولي وقبته، وقبة أبي العباس السبتي، وضريح يوسف بن علي...).

أما المعايير التي أخذت بعين الاعتبار عند تنظيم الزيارة واختيار اعلامها فهي :

1) تقليد الطواف حول الكعبة، فزريح يوسف بن علي يقع قبلي مراكش فأشبهه الركن اليماني في كونه قبلي البيت لأنه ناظر إلى جهة الشرق والانطلاق منه إلى باقي الأضرحة (بادرة الاستعجال، 20 : واطهار الكمال، 31 - 32). ولا اعتبار لما قيل بأنه بديء به لأنه يماني لقوله ص (الإيمان يمان والحكمة يمانية)، ولسبق اليمانيين إلى نصرة الإسلام، ذلك لأنه لم يكن اليماني الوحيد من بين الرجال السبعة (السعادة الأبدية، 1 : 24 - 25).

2) وبالإضافة إلى موقع هذا الضريح شرق مراكش، فهو قريب كذلك من القصر السلطاني بالقصبة منطلق السلاطين ورجال الدولة للزيارة : فهم يخرجون منه يمينا لبدء الطواف الذي ينتهي بالسهيلي (أي باب الرب) القريب من القصر مرة أخرى.

3. وعندما تم توضيح الانطلاقة يبقى العامل الأساسي المتحكم في الطواف هو العامل الجغرافي، مع السعي إلى تحقيق غايتين :

- الأولى. زيارة أكبر عدد ممكن من الأولياء فيكون السبعة مجرد أعلاء يهتدى بهم.

- الثانية، ملازمة لها، وهي المرور بأكبر عدد ممكن من الأحياء المهمة في المدينة دون تنكيس أو إرهاق للطائف بأن يزور نفس المكان مرتين أو يتقهقر إلى الوراء (إظهار الكمال، 34-35).

هذا مع عدم إغفال الاعتبار السابق الذي هو الانتهاء إلى مكان قريب من القصر :

بعد الانطلاق من ضريح يوسف تتم زيارة مقبرة باب أغمات وهي من أقدم مقابر المدينة، ثم الدخول إلى المدينة صوب حي باب ايلان حيث رابطة أبي إسحاق وزاوية الفلاح، وعدد من صلحاء وصالحات المدينة وعلى رأسهم عميدهم سيدي ايوب.

المحطة الثانية (عياض) ويمر الطواف جهة باب الدباغ ليخرج من المدينة قصد زيارة مقبرة باب الدباغ أو الجانب الشرقي لمراكش، كما كان يدعو ابن الزيت، ويتم الدخول من جديد إلى المدينة عبر باب الخميس لزيارة أولياء الزاوية العباسية : سيدي غانم، أبو العباس الجباب...

فالوصول إلى المحطة الثالثة (السبتي). ونظراً لدخول الطواف في منطقة كثيرة المباني والسكان والأولياء فإن المراحل تصبح أقل طولاً. فمن ضريح أبي العباس إلى باب تغزوت، فعنق الجمل.

فالمحطة الرابعة (الجزولي) مسافة ليست طويلة ومن حي الجزولي إلى حي سيدي عبد العزيز التباع.

المحطة الخامسة (سيدي عبد العزيز) يتم المرور بضريح أبي عمرو القسطلبي وصلحاء روض العروس والجزا. وهذه مهمة جدا لقرنها من أسواق المدينة ومن الأحياء القديمة بمراكش زاوية الحضرة، حارة الصورة، اسول، امصفح، قاعة بناهض، مسجد ابن يوسف، وصلحاء هذه الأحياء. ويتجه الموكب بعد ذلك إلى حي القصور مروراً بحي الموسين وفي محاذة الأسواق دائماً للانتهاء :

إلى المحطة السادسة (الغزواني)، ومنها إلى المحطة الأخيرة (السهيلي) ندخل في مرحلة طويلة وقليلة السكان لزيارة مسجد الكتبية ومقبرة علي بن أبي القاسم وزهرة بنت الكوش ويوسف بن تاشفين مؤسس المدينة، وسيدي ميمون الصحراوي، وأخيراً الإمام السهيلي ومقبرته الكبيرة. فينتهي الطواف بدخول الموكب (السلطاني) إلى القصب.

4) وقد تساءل بعض القدماء عن أسباب إقصاء أولياء أعلام أمثال ابن العريف وابن البناء وأبي عمرو وغيرهم، فأثاروا ما يمكن تسميته بالاختيار الخاص المكمل للاختيار العام الذي طرحناه (أي الترتيب).

وإذا كان ابن البناء يستوي مع عياض في موقع الدفن وفي الأصل العربي، والمستوى العلمي، فإن تفضيل عياض راجع إلى مواقفه السياسية والدينية، وتأليفه لكتاب الشفا الذي كان له صدى في الأوساط الدينية في العالم الإسلامي، ومادامت إحدى الغايات من تنظيم الزيارة ضمان

التفاف الناس حولها، فإن شهرة عياض أوسع من شهرة ابن البناء (فلو لا عياض لما ذكر المغرب). وهي نفس الأسباب التي جعلت عياضاً يفضل كذلك على ضجيعه عبد الكريم الفلاح (يفضل أبو عمرو القسطلبي عياضاً على الفلاح / شمس المعرفة، 63-64).

أما أبو العباس السبتي فليس له منافس ليس فقط في منطقته، ولكن بين أولياء المدينة فهو حاميها الأول، ووليها الذي يفضلها الجميع.

وتطرح المحطة الرابعة منافسة بين الجزولي وأبي عمرو القسطلبي، إلا أن رأس الطريقة الجزولية، ومؤلف دلائل الخيرات، وخصوصاً رمز الصمود والاستشهاد بالنسبة لقبائل الشياظمة وحاحا، لا يمكن أن يبقى بعيداً عن الاختيار، فاختياره كليل بأن يثير انتباه هذه القبائل ويكرمها ويعوض لها بالتالي طوافها المهمل (طواف رجاجة).

ولأهداف مماثلة تم اختيار كل من التباع والغزواني فهما يمثلان فرعين مهمين من فروع الطريقة الجزولية.

وأما السهيلي فتم اختياره لمكانته العلمية التي لم يدركها الولي القريب منه سيدي ميمون الصحراوي.

5) خلافاً لطواف رجاجة السنوي، تتم زيارة سبعة رجال مراكش بالترتيب المسطر أعلاه كل أسبوع وتراعي في ذلك ظروف الزائر. فإن كان له متسع من الوقت ورجب في أداء الزيارة على وجهها الاكمل يخصص يوماً لكل ولي، حتى يتمكن من الاستراحة قليلاً بضريحه، وزيارة الأولياء المدفونين حوله، وتكون الانطلاقة يوم الثلاثاء بأبي يعقوب يوسف، والأربعاء لعياض، والخميس للسبتي، والجمعة للجزولي، والسبت للتباع، والاحد للغزواني، والاثنين للسهيلي (رحلة الغسال، 6) فإن لم يكن لديه متسع من الوقت (يذكرنا هذا بالمتعجل في رمي الجمار) زارهم في أي يوم شاء الواحد تلو الآخر إلى النهاية مع المحافظة على الترتيب.

ويذكر الحضيكي أن أهل مراكش كانوا يخرجون صبيحة الجمعة رجالاً ونساءً وصبياناً لزيارة مشاهد سبعة رجال ويطوفون بهم جميعاً في ذلك اليوم (الرحلة، 11).

ومع تعاقب الأعوام تسربت إلى الزيارة التي وضعت أساساً للاعتبار وتذكر الموت والدعاء لهؤلاء الأولياء عادات وتقاليد أبعدتها عن هدفها الأصلي : قال الإفرائي في (درر الحجال، ص. 31) : "رأيت كثيراً من ضعفة النساء وجهلة الرجال يزورون هؤلاء السادات السبعة ماشين حفاة ويرون ذلك من كمال الزيارة".

ومنها عكس الترتيب عندما لا يتحقق الهدف المتوخى من الزيارة بالبدء بالسابع والانتهاء بالأول. ولم يعد الهدف من الزيارة الاعتبار... وإنما صارت تحركه أغراض أخرى كالتماس فرج عند نزول شدة، والاستسقاء عند القحط، والاستشفاء من المرض، وطلب الفتح والفهم...

وتسجل المصادر مداومة كثير من علماء المدينة والوافدين عليها زيارة هؤلاء الرجال (الارتجال، 142، ورحلة الحضيكي، 11 ظ 12 و) ومن السلاطين الذين قاموا بهذا الطواف : المولى محمد بن عبد الله والمولى الحسن، والمولى عبد العزيز، والمولى عبد الحفيظ (الاعلام، 1 : 361-362).

ونظراً لاهتبال الناس بهذه الزيارة ولمواجهة الطريقين وشيوخ الزوايا للمولى سليمان دعا في رسالته الشهيرة إلى الأمة إلى الالتزام بالسنة في زيارة القبور، وحذر من تغالي العوام في ذلك، وكان تركيزه على طواف سبعة رجال، إذ قال (من الغلو البعيد ابتهاج أهل مراكش بهذه الكلمة "سبعة رجال" فهل كان لسبعة رجال شعبة يطوفون عليهم. إلى أن قال : فعلياً أن نفتدي بسبعة رجال ولانتخذهم آلهة لثلاً يؤول الحال فيهم إلى ما آل إليه في يغوث ويعوق ونسراً...)

وعلق صاحب (الاستقصا، 8 : 123) على ذلك بقوله (وصدق رحمه الله فكم من ضلالة وكفر أصلها الغلو في التعظيم، وما ضلت النصارى إلا من غلوهم في عيسى وأمه عليهما السلام، قال الله تعالى : "يا أهل الكتاب لاتغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق").

ولم تفلح هذه الدعوى الوهابية ولا غيرها في التأثير على العامة الذين دأبوا على تقديس رجالهم السبعة، والتماس بركتهم والالتجاء إليهم في حالات الخوف من المرض وقسوة الطبيعة وظلم السلطان، وطلب الذرية أو العلم أو المال.

- الادوار التي نهض بها سبعة رجال مراكش: لا يسمخ المقام لتفصيل الأدوار التي نهض بها سبعة رجال مراكش على رأس صوفية المدينة والمنطقة، وكل ما يمكن ذكره أنهم جميعاً سعوا إلى خدمة مجتمعهم وحمايته ومساعدته في كل الميادين :

- سياسياً : مواجهة السلطة عند تعسفها، ومواجهة الاستعمار الأجنبي وخاصة الاسبان والبرتغال (الجزولي والغزواني) عند احتلالهم لبعض الشواطئ المغربية.

- تربوياً : تعليم المريدين وتأطيرهم خدمة للدين والمجتمع، وذلك في زوايا فتحت في كل أنحاء المدينة.

اجتماعياً : مساعدة الفقراء والمحتاجين في سائر الأيام، وعلى الخصوص خلال فترة الجفاف والايئة لتوفير الاطعمة، وشق السواقي وحفر الآبار (الغزواني). وقد أصبح الأمر مذهباً خاصاً نشره أبو العباس السبتي ومازال قائماً إلى الآن إذ كان من الأوائل الذين اهتموا بدوي العاهات وساعدوهم على العيش الكريم.

وبذلك يتميز صوفية مراكش باندماجهم الكلي في المجتمع وخدمته لذلك حظوا بمكانة كبيرة في الأوساط الشعبية، واستمرت إلى ما بعد وفاتهم.

أ. الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954 - 1956 : ع. ابن

إبراهيم، إظهار الكمال في تنميم مناقب أولياء مراكش سبعة رجال، مخطوط، خ. ح، رقم 232 : الاعلام، الرباط، 1974 / 1983 : بادرة الاستعجال في مناقب السبعة رجال، م. الغالي بن المكي الأندلسي، مخطوطة : ي. ابن الزيات، التشوف، تح. أ. التوفيق، 1984 : ح. جلاب، الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب، مراكش، 1994 : م. الإفراني، درر المجال في سبعة رجال، مخطوطة : صفوة، ط. حجر فاس، رحلة الغسال، مخطوط، رقم 896 د : ح. اليوسي، رسائل اليوسي، تح. فاطمة خليل القبلي، الدار البيضاء، 1981 : الرمز الشعري عند الصوفية، بيروت، 1978 : م. الموقت، السعادة الأبدية، ط. حجرية، 1335 : قاسم الحلفاوي، شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة : مصطفى محمود، الشيطان يحكم، المكتب المصري الحديث : محمد الأمين الصراوي، الكواكب السيارة في البحث والحث على الزيارة، ح. ع. رقم 5479.

E. Doutté, *En tribu*, Paris, 1914 ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951 ; H. de Castries, *Les sept patrons de Marrakech*, Hesp., 1924, T. IV ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1959 ; Fagnan, *Un chant algérien du XVIIIè S. à l'occasion du bombardement d'Alger par les danois*. R. A., T. 38 ; Gaillard, *Une ville de l'Islam : Fès*, Paris, 1905.

حسن جلاب

السبعي، أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد السغروشنى (نسبة إلى آيت سغروشن)، عالم صوفي، ينسب نفسه في تأليف له إلى النسب الحسنى.

برز اسمه في ميدان المقاومة المسلحة عندما بدأ الجيش الفرنسي يتناول من الناحية الشرقية إلى بوذنيب في بداية القرن العشرين. وهنا قام بصرخ في القبائل الأمازيغية من إخوانه آيت سغروشن، وفي القبائل التي كانت تصيح له وتعتقد في بركته، كأيت يزديك، وأيت مرغاد، وأيت خباش، وأيت عطية، وأيت يوسي، وبعض قبائل تافيلالت كأولاد جرير وأولاد الناصر، حتى التأمت عليه جموع غفيرة، قصد بها بوذنيب، ومنها إلى المتكوب الذي يبعد عن هذه المدينة بحوالي 130 كلم شرقاً. ويقول صاحب كباء العنبر إن "جل المجاهدين كانوا رجالة، وفيهم قليل من الخيل، وكان رئيسهم مولاي أحمد السبعي". (ج 2 ص. 26).

وقبل طلوع فجر يوم 16 أبريل من سنة 1908، قرر أحمد السبعي مباغته الفرنسيين المتمركزين في منطقة المنايية. وهكذا ضرب المغاربة الحصار على معسكر الكوثونيل Pierron، وتسلل البعض منهم إلى داخل الثكنة بعدما قضاوا بالخنجر على مراكز العسس الأمام، وجرت بين الطرفين معركة ضاحكة استمرت من الرابعة صباحاً إلى السادسة صباحاً من اليوم الموالي، وكان أحمد السبعي أثناء المعركة يحرض على الثبات، ويرغب المقاتلين في الشهادة.

مستقبلا مستقبلا، والقذائف تتساقط أمامه وخلفه، ورؤساء القبائل يلحون عليه بأخذ الحذر وعدم المغامرة، فيأبى إلا الامام، وهو يصيح : "دونكم وأبواب الجنة مفتوحة"، وعندما يسمع هدير المدفعية تقعقع بنادي : "هذه زكاريمة أبواب الجنة تفتح لكم". وحسب المصادر التي نستقي منها هذه المعلومات، فإن المغاربة استرجعوا مكز "المنكوب" وطردها منه الجيش الفرنسي، غير أن الجنرال Allix، قائد القوات الفرنسية نظم جيشه بعدما جاءت الإمدادات من بشار، ونصب المدافع على المرتفعات والمنعرجات، وصب على المغاربة وابلا من القذائف التي كانت تحصد حصد الهشيم، فانسحبوا إلى التلال المجاورة، واستمر التراشق بالرصاص طيلة يوم 17 أبريل. ورغم أن المجاهدين تراجعوا ناكسين على أعقابهم، فإن معركة المنكوب، ألهمت الشعور في نفوس ذوي الغيرة الدينية والوطنية وأسهمت في شحذ الهمم، وإذكاء الحماس، ونفض الغبار عن عناصر الأصالة في هذه الأمة، وزاد التفاف القبائل الأطلسية والصحراوية بشيخهم مولاي أحمد السبعي الذي استمر هو وتلاميذه في طوافهم وتجوالمهم، عبر الأطلس والصحراء لشرح مضمون الجهاد كحل حاسم ضد المد الاستعماري.

وعندما دخل السلطان عبد الحفيظ فاساً سنة 1326 / 1908 أمر المتحمسين للمقاومة، وخاصة شيوخهم، بالكف عن محاربة الغزاة باعتبار أن السلطان هو الوحيد الذي له الحق شرعاً في الإعلان عن الجهاد (كباء العنبر، ج 2، ص. 33). فوجب الامتثال لأوامر السلطان الجديد، الذي ظهر بمبدأ الجهاد والذب عن كيان الأمة ودينها وحدودها. فخفت صوت أولئك المجاهدين المخلصين أمثال مولاي أحمد السبعي. وقد يعزى هذا الموقف إلى الضغوطات التي كانت تمارسها فرنسا على المخزن، وتطالب بتعويضات كلما تعرض جيشها أو قوافلها أو مراكزها العسكرية لهجمات المقاومة. ولما اشتدت الأزمة على مولاي عبد الحفيظ، وانفلت الزمام من يده ورضي بالحماية الفرنسية على المغرب، عاد مولاي أحمد السبعي إلى استنهاض الناس، وتحريضهم على الجهاد ومواجهة العدو.

ظل يجاهد في الصحراء حتى وصل العدو إلى قبيلته آيت سغروشن (1915) فعاد إليها، وبقي في تلك الربوع قدوة للمجاهدين وقبيلتهم حتى وافته منيته سنة 1336 - 1917.

وكما سخر سيفه لله، فكذلك سخر قلمه للدفاع عن الإسلام وتخليصه من الشعوذة والمشعوذين، ومن رواهب الأفكار الجامدة. فبينما كان يستنهض الناس في تافيلات، إذا بأحد المتصوفة الكاذبين، الذين ألفوا التخاذل والتواكل، يجمع الناس، رجالاً ونساءً في حفلات راقصة، باسم الطريقة الدرقاوية، فيلتهمون المأكول والمشرب يوماً في هذه القبيلة ويوماً بالأخرى (كباء العنبر، ج 2، ص. 34).

ولم يكن هذا الدعوي (اسمه عبد الله مراح المغلي من مغل وهو قصر في نواحي بشار) يكتفي بهذا التصوف الكاذب، بل كان يصرح في القبائل بأن وقت الجهاد لم يصل بعد. فكتب له مولاي أحمد السبعي كتاباً مطولاً، كله مواعظ، تستند إلى أحكام الشريعة الإسلامية، وشاء القدر أن يجتمع به بأحد قصور آيت عظه، ويمكنه من الكتاب بنفسه وسط جموع غفيرة، وأن يجري معه مناظرة لعله يزكى أو يذكر فتتفعه الذكرى.

وقد شهد الدعوي مع غيره من الحجج القاطعات والدلائل البينات على يد الشيخ السبعي ما هو أظهر وأجلى وأقطع من أن الجهاد صار فرض عين على كل مسلم بعدما عرفته البلاد من غزو استعماري صليبي. وللشيخ أحمد السبعي بعض التأليف منها واحد في نسب بيته مطبوع ومنها النصيحة...

أ. المنصوري الزياتي، كباء العنبر من عطاء زيان وأطلس البربر، مخطوطة الخزانة العامة، قم 946 : م. المنوني، مظاهر بقطة المغرب، بيروت، 1985 ج 2 : م. المعزوي وهاشم العلوي، الكفاح المغربي المسلح في حلقات، (1900 - 1935)، الرباط، 1987.

A. Bernard, *Le Maroc*, Paris, 1932

محمد بن الحسن

ابن سبعين، أبو محمد عبد الحق بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن سبعين العكي الغافقي، ولد برقوطة من أعمال مرسية عام 613 / 1216. تفرغ في صباه وشبابه لطلب العلم، وقرأ دواوين في مختلف المعارف. ودرس علوم القرآن والحديث بإشبيلية، وأخذ عن عدد وافر من العلماء. تعمق بالفلسفة وعلوم الأوائل. وعكف على كتب أبي إسحاق إبراهيم بن دهاق الأوسي المعروف بابن المرأة (ت. 611)، في الفلسفة والكلام والتصوف، ولاشك أنه أخذ عن بعض تلاميذه وتشبع منهم بالخصوص بمبادئ الطريقة الشاذلية، حتى برع فيها وصار من أعلامها. انتقل إلى سبتة وأظهر تصوفه بها فالتف حوله أتباع كثير، ثم "كلفته به امرأة موسرة فتزوجها، وأنفقت عليه مالا وينت له زاوية في داخل دارها" (المقصد) وتعتبر زاويته أول زاوية بالمغرب، إذ لم يكن هذا المصطلح معروفاً قبل ذلك. وكون بسبتة طائفته التي عرفت بالسبعينية، تميز أتباعها بملابس وهيآت خاصة، وكان الكثير من مرديبه وأتباعه يقومون بخدمته ويحيطون به أثناء سيره في الطرق.

قضى ابن سبعين أخصب سني حياته بمدينة سبتة حيث ألف معظم كتبه. وبسبب تبنيه لفكرة الوحدة المطلقة ونمو تأثير طائفته، وخلافه الدائم مع الفقهاء ومناظراته لهم فإنهم نابذوه العدا، واتهمه بعضهم بالإلحاد، وألبوا عليه أبا علي بن خلاص صاحب سبتة فنفاه منها في حدود سنة 642، فغادرها إلى المشرق وترك بعض أبنائه بها. وحيثما حل كان الفقهاء يجتمعون لمناظرته والإنكار عليه.

تقل في البداية بين عدة مدن ثم التحق ببجاية التي أخذ عنه بها عدد كثير، لكن تشنيع فقهاها عليه اضطره لمغادرتها، فرحل إلى قابس وظل فيها إلى سنة 652، وتركها بعد أن قام ضده شيخ فقهاها أبو بكر ابن خليل السكوني واتهمه بالزندقة. وعند حلوله بمصر وجد تحذير الفقهاء منه قد سبقه إليها واتهامه بأنه "ملحد قاتل بوحدة الخالق والمخلوق"، فغادرها إلى مكة المكرمة التي قضى بها بقية حياته منها به لدى صاحبها الشريف أبي نفي محمد، وتوطدت العلاقة بين الرجلين بتلمذ أبي نفي على ابن سبعين في التصوف. ولا ندري أي دور لعبه ابن سبعين في بيعة أهل مكة للسultan المستنصر بالله أبي عبد الله محمد ابن زكريا الحفصي التي كانت من إنشائه.

شاع ذكر ابن سبعين وقوي تأثيره بمكة وكثر أتباع طريقته، وكان حاكم مكة وصاحب اليمن يعتقدان فيه الولاية أيضاً. ومع ذلك فقد كان أعداؤه كثيرا كذلك، خاصة من الفقهاء والمحدثين الذين وجدوا في كتبه ورسائله وأفكاره كثيرا من الشطط.

- فلسفته : ركب ابن سبعين قواعد مذهبه من عناصر متعددة، وتأثر كثيرا بتراث مدرسة ابن مسرة الصوفية بالأندلس، التي نهلت من الاعتزال والحكمة الإشراقية والأفلاطونية المحدثة، وقالت بوحدة الوجود ؛ وأيضاً من صيغتها الجديدة المتمثلة في الشوذية التي تعود إلى أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي دفين تلمسان، والتي أخذها ابن سبعين من كتب ابن دهاق ومن تلاميذه. ورغم أن أيا من كتب شيوخ الشوذية لم يصل إلينا، فإن عناوين بعض الكتب التي وضعت في الرد عليها تؤكد حجم المعارضة التي واجهها بها الفقهاء والمحدثون بكل من الأندلس وسبتة في أواخر القرن السابع الهجري (13 م)، ومن هذه الردود كتاب ردع الجاهل عن اعتساف المجاهل في الرد على الشوذية وإبداء غوائلها الخفية لأبي جعفر أحمد بن الزبير الغرناطي، وكتاب إمطة الأذية الناشئة من سباطة تاشوذية للمحدث أبي عبد الله محمد بن عمر المعروف بابن رشيد السبتي. ورغم ضياع هذين الكتابين فإن بعض الإشارات القليلة في تراجم بعض شيوخ الشوذية توضح جانباً من أفكارها، خاصة أبي إسحاق بن دهاق الذي اتهم بادعاء النبوة وبالقوة بسقوط التكاليف الشرعية عن بلغ درجة العلماء ؛ وعلي بن محمد بن مطرف الجذامي الضرير الذي قال بإباحة الخمر، وإباحة زواج المتعة والزواج بأكثر من أربع.

لم يكتب ابن سبعين بتبني فكرة وحدة الوجود كما هي في تراث ابن مسرة والشوذي وابن عربي، وإنما عمل على تطويرها إلى فكرة الوحدة المطلقة، وبذلك اكتملت على يديه صورة التصوف الفلسفي، لأنه أراد أن يجمع بين الفلسفة والتصوف في صيغة جديدة، فوجه سهام نقده لمناهج الفلاسفة والمتكلمين والصوفية والفقهاء على حد

سواء في كتابه *بد العارف*، فهاجم ابن سينا والفارابي وابن باجة وابن رشد والإمام الغزالي وإمام الحرمين الجويني. واعتبر جميع الفلاسفة المشائين من المسلمين مجرد مقلدين. وكان نقده للفقهاء لا ذعاً أيضاً فقال في نفس الكتاب : "الفقيه صالح الأصل فاسد الفرع، صادق الجنس كاذب النوع".

أبطل ابن سبعين جميع المناهج سواء الفلسفية أو المنطقية أو الكلامية أو الصوفية واعتبرها قاصرة عن الوصول إلى معرفة حقيقة الوجود، واقترح بدلها علماً سماه بعلم التحقيق، لكنه اشترط في متعاطيه أن يتحقق بالوحدة المطلقة وإلا عجز عن الوصول إلى غايته. واعتبر أن موضوع هذا العلم ومنهجه وغايته هو الحق. زاعماً أنه جاء بما لم يأت به أحد من قبل "وهذا الذي نريد أن ننبه عليه هو مما لم يسمع في محضر، ولا قيل أنه ظهر في دهر، ولا مما دون أو علم في فلاة أو مصر" (شفاء السائل). يبدو ابن سبعين في كتبه ورسائله واسع الخيال ميالاً إلى التجريد المطلق والتلاعب باللغة، محاولاً بذلك إجراء بعض التعديلات على المناهج المختلفة ليصل إلى إثبات الوحدة المطلقة التي تحيل كل ما هو مادي إلى أصل إلهي غير مادي.

تؤكد رسائله أن الطابع الفلسفي غلب على فكره أكثر من الطابع الصوفي، ولم يفته أن ينتقد التصوف حينما اعتبر أن التصوف لم يدركه أحد ممن سبق. فقال في وصيته لأتباعه : "واكفروا بالحقيقة التي في زمانكم هذا وقولوا عليها وعلى أهلها لعنة الله، لأنها حقيقة كما سمي اللديغ سليماً، وأهلها مهملون حد الحلال والحرام، مستخفون بشهر الصوم والحج وعاشورا والإحرام، قاتلهم الله أنى يؤفكون" *الإحاطة*. وقال عن تصوف أهل المغرب : "كل شيوخ الغرب نسبتهم عملية يشملها أول وجه من التصوف. وما نحن بسبيله لا يقدر بذلك كله" (رسائل ابن سبعين). لهذا نعتقد أن مغادرة ابن سبعين لسبتة لم تكن فقط بإيعاز من الفقهاء، بل يظهر أن التصوف المغربي ذي التوجه السني أيضاً لم يتقبل أفكاره، وبخروجه انحسر تأثير طريقته من الناحية الفكرية رغم بقاء عدد من أتباعه. إضافة إلى أن تعاليمه استندت إلى لغة شديدة التعقيد ومفاهيم مركبة تحتاج إلى قدر كبير من التركيز لاستيعابها، فقل عدد المتعاطين معها بالتدريج بعد رحيله وانتهت طريقته إلى زوال.

- تلاميذه : أخذ عن ابن سبعين العدد الهائل من التلاميذ والمريدين بالمغرب والمشرق، اشتهر منهم أبو الحسن علي الششتري (ت. بدمياط بمصر 668) أخذ عنه ببجاية وخدمه مدة، وسمى نفسه عبد ابن سبعين، وابنه محمد بن عبد الحق بن سبعين (ت. 666)، ويحيى بن أحمد البلنسي، والطبيب أبو الحسن يحيى المعافري ابن الحاج (ت. 718).

تأليفه : ألف تأليف عديدة ضمنها فلسفته وتعاليمه وأهمها بد العارف. أما رسائله فقد نشرت مجموعة منها (الرسائل، تحقيق عبد الرحمن بدوي، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، 1965. تضم 20 رسالة ؛ ورسائل أخرى نشرها التفتازاني في كتابه ابن سبعين وفلسفته الصوفية). ولا تزال مجموعة أخرى منها موزعة بين خزائن المخطوطات، وعددها 7 ؛ بينما فقدت مجموعة ثالثة وعددها 18 رسالة، ونعرف عنايتها فقط من خلال المصادر. ومن أهم رسائله جوابه على أسئلة صاحب صقلية الملك فردريك الثاني التي أرسلها إلى علماء سبتة ووجهوها إلى ابن سبعين للإجابة عليها (طبعت بعنوان الكلام على المسائل الصقلية، تحقيق شرف الدين بالتقيا، بيروت، 1941).

اختلفت المواقف من ابن سبعين اختلافاً كبيراً في حياته وبعد موته، فمن العلماء من اعتقد فيه النبوغ والولاية، ومنهم من كفره ونسبه إلى الزندقة وانحراف العقيدة. وحتى وفاته تعددت بشأنها الآراء بين قائل بأنه انتحر، وقائل بأنه قتل مسموماً على يد بعض منافسيه من المقرين إلى أمير مكة، وقائل بأن موته كانت طبيعية.

توفي بمكة المكرمة يوم 9 شوال 669 / 21 ماي 1271 عن 56 سنة.

عبد الحق البادسي، المقصد الشريف والمتزح اللطيف في التعريف بصحاء الريف، تج. عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، 1982، ص. 35. 69 ؛ أبو الوفا التفتازاني، ابن سبعين وفلسفته الصوفية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1973 ؛ لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تج. محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1977، ج. 1، ص. 36 ؛ عبد الرحمن ابن خلدون، شفاء السائل لتهديب المسائل، نشر أبو يعرب المرزوقي، تونس، الدار الاعربية للكتاب، 1991، ص. 214 .

215؛ عبد الحق ابن سبعين، رسائل ابن سبعين، تج. عبد الرحمن بدوي، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، 1965 ؛ عبد الحق ابن سبعين، بد العارف، تج. جورج كتورة، بيروت، 1978 ؛ محمد ابن شاعر الكتبي، قوات الوفيات، تج. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1973. 1975، ج. 1، ص. 247 ؛ ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، بيروت، المكتب التجاري للطباعة، د. ت. ج. 5، ص. 329 ؛ أحمد أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية، تج. عادل نويهض، بيروت، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط 1، 1969، ص. 237 - 238 ؛ بدر الدين القرافي، توشيح الديباج وحملة الابتهاج، تج. أحمد الشتيوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1983، ص. 154 ؛ محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، بيروت، دار الفكر، د. ت. ص. 196 ؛ أحمد بن محمد المقرئ، نفع الطيب، تج. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1986، ج. 2، ص. 196-205.

محمد المغراوي

سبليزوري Splisbury ضابط إنجليزي قضي

مدة بطنجة تاجراً بوصفه نائباً عن بعض المقاولات ومنها شركة غلوف فينتشر سينديكيت Glove ventun syndicate التي كان مقرها بلندن.

والحقيقة أن هذا الضابط الذي كانت له رتبة مييجور لم يكن إلا مغامراً ومهرباً للسلاح. ففي أواخر سنة 1897 استأذن المخزن في التجارة بالجنوب وانتظر الجواب ولما لم يخول الرخصة، اكترى السفينة البريطانية "تورميلان Tourmaline" وشحن على متنها ميرة وأقواتاً، ودس فيها أسلحة وأعددة عددها 5000 بندقية وقرابة مليون خرطوشة وألقت الباخرة مرساتها بنواحي وادي نون (أصاكة في رواية أولى أو أركسيس في رواية أخرى) وذلك يوم 17 يناير 1838، ثم نزل إلى البر مخاطباً الرؤساء المحليين على أنه تاجر وعميل لشركة غلوف.

وكان مصحوباً بالألماني وإنجليزي ويرتغالي زيادة على مغامر نمساوي هو غايلينغ (Gayling) وهو الذي سمى نفسه سنة 1879 الحاج عبد الكريم باي عندما كان بالصورة قنصلاً مزعوماً) وكان مع الرفقة أيضاً يهودي مغربي اتخذه ترجماناً لهم.

ولما بلغ الخبر للمخزن وجه إلى المكان عينه السفينة المغربية "الحسني" وعلى ظهرها مائة جندي. فلما وصلت استولت على البضائع المهربة فأطلق قبطان السفينة الإنجليزية عدة عبارات نارية ثم لاذت بالفرار.

أما المترجم فسقط بعد مقاومة شديدة رهن الاعتقال وأقتيد مع البحارة، وحملوا جميعاً إلى مرسى الصورة وأودعوا السجن.

وقامت قائمة الصحف الإنجليزية والطارقية لأجل الإفراج عنهم، وظلت جريدة "جبل الطار كرونكل" ولا سيما في عددها الصادر في يوليو 1898 تنادي بإخلاء سبيل سبليزوري، بل إن أعضاء من مجلس العموم البريطاني استجوبوا الحكومة عن أسباب هذا الاعتقال مطالبين بأن تحال المسألة على محكمة بجبل طارق.

قضية هذا الإنجليزي استمرار لمحاولات دونالد ماكينزي الذي استوطن طرفاية حتى خرج منها سنة 1895.

هذا ما ورد في هاته المسألة من مصادر أوروبية على وجه الاختصار. أما الوثائق المغربية فقد خصصت لذلك مجموعة من النصوص. ففي رسالة عامل الصورة إلى الطريس أن هذا المغامر كان وصل إلى الصورة وتلاقى مع أحد تجار جبل طارق المنجلزين اسمه راطو Ratto وأخذ منه مبلغاً من المال ليدفعه لرعا صبويه (15 ربيع الأول 1315 / 14 غشت 1897، مكتبة تطوان 81 - 37). وكان سعيد الكيلولي أحد قواد سوس قد كلف بجعل الأرصاء والعيون على سبليزوري (رسالة السلطان إليه في 6 شعبان / 31 دجنبر) ويتوجه المساجين وما نزل معهم من السلعة إلى الصورة قصد محاكمتهم بطنجة حيث عهد لعبد الله بن سعيد السلاوي بمفاوضة النائب الإنجليزي في

سنويا. وهو مجال مطر، صخوره متوسطة الصلابة إلى هشّة، أوديته عميقة وذات سفوح وعرة، وغطاؤه النباتي شديد التدهور بفعل كثافة الاستيطان والاستعمال. وهذا ما يفسر ارتفاع مقادير صبيب المنقولات (13 مليون طن من الأوحال المنقولة سنويا) بسبب عنف عمليات انجراف التربة. المجال الأطلسي جنوبا، يغطي الحوض الأعلى لنهر سبو، والذي يحمل داخل هذه الوحدة الجغرافية ثلاثة أسماء متتالية، اسم كيكو، من المنبع وحتى حوض سكورة، اسم مداز بعد ذلك وحتى مقربة من حدود المجال الجبلي، ثم اسم سبو، ابتداء من العيون التي تزود النهر وتعطيه القسط الأوفر من صبيبه في العالية. ويتميز هذا المجال المكون من جبال وهضاب عليا، برطوبة مناخه، وبرودته شتاء، وأهمية التهاطلات الثلجية. كما يتميز بغلبة الصخور الكربوناتيّة المنفذة، ما عدا في أحواض جزئية مثل حوض زلول. وارتباطا بتواضع الكثافة البشرية، فإن الغطاء النباتي حافظ على نوع من الاستقرار، الشيء الذي يفسر الضعف النسبي للحمولة الصلبة خاصة باعتبار غلبة الظهورات الصخرية الصلبة.

تلال مقدمة الريف، ذات السفوح المتوسطة والصخور الصلصالية الهشة وغير المنفذة، هي مجال سيل هام، تتكاثف فيه المجاري لتصب في تلال محاور نهريّة متقاربة، أهمها محور سبو بعد خروجه من الأطلس المتوسط واجتيازه للنهاية الشرقية لسائس على مقربة من مدينة فاس، يليه من حيث الأهمية رافده إيناون الذي يصرف مقدمة الريف كما يصرف النهاية الشمالية لأطلس تازة. وثالث هذه المحاور. واد اللين الذي يعتبر رافدا لإيناون. في هذا المجال التلي الصلصالي، يتميز سبو وروافده بتقلب الصبيب، فصليا ومن سنة لأخرى.

عند النهاية الغربية لتلال مقدمة الريف، يلتقي سبو برافده الأساسي ورغة، على مشارف سهل الغرب فيكونان سبو الأسفل الذي يتميز بأهمية صبيبه وبمجره المنعطف على مسافة هامة من مصبه البحري، ويتسبب مجرى سبو في السمات المنقعة للسهل، بسبب الفيضانات الكبرى التي كانت تغطي جل السهل، تاركة بعد تراجعها مرجات وضايات واسعة. وهذا الفيض المتردد والممتد هو الأصل في التربة الغرينية لسهل الغرب. قبيل المصب، يتلقى سبو آخر روافده الأساسية، وهو نهر بهت الذي يصرف الحاشية الشمالية للهضبة الوسطى، قادما من هضاب أزرو، كما يصرف هضبة السائس المكناسي وجبال زرهون.

هذا التنوع الكبير، هو ما جعل سبو يحتل مركزاً خاصاً بين الأنهار المغربية، وما جعل حوضه يتميز بالأهمية الكبرى اعتباراً لموارده. فالحوض التصرفي يغطي أقل من 6% من مساحة البلاد. لكنه يمنح ما مقداره ربع الموارد المائية. وهذا ما يفسر كونه أهلاً بالسكان (حوالي خمس ساكنة المغرب). وإنتاجه الفلاحي يقرب من ربع الانتاج

هاته المسألة لحلها (رسالة السلطان إلى الطريس في 10 قعدة / 2 أبريل، تطوان 16. 60)، وعين المخزن وكيلا عنه في هاته الدعوى بمساعدة عبد الحكيم التونسي المعروف بعبد الحكيم المزوغي المغربي (رسالة السلطان إلى الطريس في 21 حجة / 13 ماي، تطوان 16 : 65).

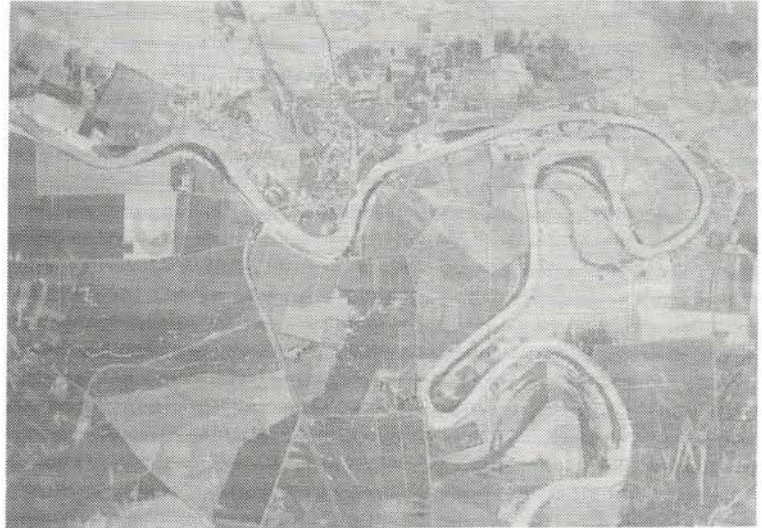
وتكميلاً للحجة المخزنية أرسل الشهود من الصويرة بحراً إلى طنجة، كما بعث عامل الصويرة عينه من المكاحل والقرطوس على ظهر المركب الفرنسي لاموز :

ب ج روجرز P. G. Rogers، تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى سنة 1900، تعريب يونان لبيب رزق، الدار البيضاء، 1989، ص. 300 : م. بوشعراء، الاستيطان، 4 : 1541 - 1516 : وثائق مغربية من مكتبة تطوان، الوثائق الملكية.

Jacques Caillé, *La petite histoire du Maroc, 3ème série, 1820 - 1894*, Casablanca et Rabat, 1954, p. 109 et suiv. ; F. D. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, Rabat, 1947, p. 89.

مصطفى بوشعراء

سبو، نهر يعتبر أهم أنهار المغرب من حيث الموارد المائية التي يستقبلها من حوض نهري تناهز مساحته 40000 كم² في الشمال الغربي، ويصرف مناطق الريف والأطلس المتوسط والهضبة الوسطى وسهول سائس والغرب. وتقدر الموارد المائية بسبو بما معدله 5600 مليون متر مكعب، الشيء الذي يجعل سبو يغطي مقداراً يزيد عن ربع الموارد المائية السطحية للمغرب، ويتميز هذا الوارد المائي بالتغاير الهام داخل السنة ومن سنة لأخرى.



يتكون حوض نهر سبو من عدة مجالات جبلية وتلية وسهلية، تتميز بظروف جيولوجية ومناخية متنوعة، ويمكن إجمالها في خمس مجالات :

في المجال الريفي شمالا، يمتد حوض ورغة، الرافد الأكثر وفرة بمقدار صبيب يناهز 3000 مليون متر مكعب

الوطني. يصل سكان الحوض إلى ما يفوق 5 مليون نسمة، ويضم مدنا هامة، منها فاس ومكناس والقنيطرة وتازة. كما يضم مناطق فلاحية هي من أهم المجالات الزراعية في المغرب (الغرب والسايس).

وفي الحوض تجهيزات هيدرولوجية كبرى، من أهمها سد علال الفاسي على نهر سبو نفسه، وسد الوحدة على رافده ورغة، وسد إدريس الأول على إيناون، وسد القنطرة على بهت. ولكل هذه السدود أدوار اقتصادية وبيئية متعددة. دورها الأول تنظيم الجريان ومنع حدوث الفيضانات المهولة التي كانت تهدد المجرى الأسفل لسبو في سهل الغرب. دورها الثاني حجز المياه من أجل استعمالها في الري، خاصة في سهل الغرب. والدور الثالث توفير الماء للشرب لعدد من المدن، وخاصة مدينة فاس.

إلا أن الموارد المائية لحوض سبو مهددة بالتلوث بسبب التنمية التي تعرفها الأنشطة الاقتصادية والتعمير. وينتج التلوث عن المصبات الحضرية والصناعية التي تقذف مياهها في المجاري النهرية بدون معالجة مسبقة. وتتسبب الأنشطة الفلاحية بدورها في تلوث المياه السطحية والباطنية، بالمخضبات وادوية النباتات. وتعتبر المدن الكبرى، خاصة منها المدن الصناعية، ذات أثر بالغ على جودة مياه سبو. وللمدينة فاس خاصة، المسؤولية الكبرى في هذه الوضعية المتأزمة، ذات النتائج الوخيمة على البيئة وصحة السكان في اتجاه السافلة. أما في سهل الغرب، فإن المعامل المصنعة للموارد الفلاحية تتسبب في ارتفاع التلوث الكيماوي والعضوي. هذا ما حتم اتخاذ الاجراءات الضرورية من أجل الحد من هذا التلوث، وذلك باعتماد سياسة تعميم قنوات التطهير، إضافة إلى مشاريع معالجة مياه المدن والمصانع.

وينتهي نهر سبو، سافلة القنيطرة في المحيط الاطلنطي، من خلال مصب المهديّة، الذي يعتبر أهم المصبات النهرية في المغرب، إلى درجة أنه كان موقعا لأكبر ميناء نهري في المغرب، عند مدينة القنيطرة.

تجربات ميدانية.

عبد الله العوينة

* * وهناك مشروع سبو لإصلاح الوضعية التي ورثها المغرب عن الحماية، والتي كانت تتجلى أساساً، بالنسبة لمنطقة الغرب في التوزيع غير العادل للأرض مع "شركة سبو" وما يصحبه من لا مساواة على الصعيد الاجتماعي، طرح على المسؤولين المغاربة مسؤولية العمل على تحسين أوضاع الفلاحين. ولم يكن يتعلق الأمر بمجرد مسألة تقنية، بل ولاحتي أخلاقية، وإنما كذلك بمشكل سياسي يهم استرجاع أراضي المعمرين، وإعادة النظر في وضعية الأراضي الجماعية، وفي توزيع جديد للأرض يأخذ بعين الاعتبار كلا من المعايير التقنية والاقتصادية وكذلك الاجتماعية.

في هذا الإطار أنشئ مشروع سبو بتاريخ 18 أبريل

1963، نتيجة اتفاقية بين الحكومة المغربية والصندوق الخاص للأمم المتحدة، قصد دراسة المشاكل التي يطرحها سهل سبو وإيجاد حلول لها.

هكذا، أجريت ما بين 1963 و1968 عدة دراسات حول التربة والمياه، وكذلك حول الجوانب الزراعية والاقتصادية والسوسولوجية للمنطقة، لتحديد الطرق التي ينبغي اتباعها لاستغلال أراضي حوض سبو ومياهه بصفة عقلانية، سواء في ما يتعلق بتصريف المياه ووسائل السقي، أو بالمشاكل الزراعية والنظام السوسيو اقتصادي. حث المشروع، إذن، على إيجاد حلول لمختلف الاختلالات التي تعرفها المنطقة خاصة في الميدان العقاري (تمركز جل الأراضي بين أيدي المعمرين وكبار الملاكين التقليديين، انظر : شركة سبو)، وفي مجال نمط الاستغلال غير المباشر الذي كان يشتمل ثلث الملكيات التقليدية، 35٪ من الملاكين الصغار الذين تقدر مساحتهم بـ 35.000 هكتار، هذا علاوة على ارتفاع نسبة النمو الديموغرافي التي تتعدى نسبة النمو الفلاحي.

يقترح المشروع في هذا الصدد، القيام بإصلاح عقاري لاسترجاع أراضي المعمرين التي سيضاف إليها الفائض من ملكيات المغاربة التي تتجاوز سقفا سيتم تحديده. وستوزع هذه الأراضي على صغار الفلاحين ومتوسطيهم، بحيث يتم توفير حصص أرضية تتيح استخدام التقنيات الحديثة. هذا إضافة إلى الاستفادة من برنامج الري ومن التحديث القروي.

سيشتمل هذا الإصلاح العقاري في مرحلة أولى 80٪ من المساحة الفلاحية، و90٪ إثر تحديد الملكيات الكبرى المسقية، حيث سيستفيد منه 75٪ من أرباب الأسر بالغرب.

تحقيق هذا المشروع الذي يستلزم عدة إجراءات تمس كلا من الجانب القانوني والاجتماعي والديمقراطي والإداري، يفترض تحديث الدوار الذي ستعاد تهيئته، فيتحول إلى جمعية قروية للتنمية (SDV : Société de Développement Villageois). ستحصل هذه القرية.

بمقتضى هذا الإصلاح على رقعة تشمل ما يقابل الأراضي التي كانت تملكها سابقا في الدوار أو خارجه، زيادة على مقابل الأرض الجماعية التي كانت في حوزة الدوار، إضافة إلى قطعة من الأراضي الحكومية. هكذا، ستستطيع القرية / الدوار تحقيق المخططات التي يحددها المشروع، خاصة وأن المعنيين بالأمر سيطلبون باتخاذ قرارات تحمل مسؤوليات في إطارهم الاجتماعي المعتاد. سيصبح الدوار، من ثم عبارة عن مؤسسة تحاور الإدارة وتحمل مسؤولية في المخطط التنموي.

إلا أن هذا التصور الذي قدمه مشروع سبو كان يفترض وجود إرادة سياسية، لم تكن متوفرة وقته، فأراضي المعمرين لم تكن الدولة قد استرجعتها بعد ! بل

إن جزءاً منها كان قد فوّت إلى بعض المغاربة بطرق غير قانونية. كما أن فكرة الإصلاح العقاري لم تكن لتروق كبار الملاكين. هذا علاوة على أن الإدارة لم تكن آنذاك لتقبل وجود نظام قروي مستقل عنها.

هكذا، أفرغ مشروع سبو من محتواه الاجتماعي وتحول سنة 1968، إلى مجرد مشروع تقني.

للمزيد من المعلومات، يمكن الرجوع إلى :

N. Bouderbala, *Quelques données élémentaires sur l'évolution des structures agraires dans la plaine du Gharb*, RGM, n° 20, 1971 ; De Mas Paolo, *Marges marocaines*, La Haye, 1978 ; J. Le Coz, *Le Gharb, fellahs et colons*, Rabat, 1964 ; G. Pallix et A. Tabet, *Drainage d'une plaine basse côtière sur sols lourds*, H.T.E., n° 7, 2e tri., 1973 ; *Projet de Sebou : Rapport intérimaire*, [s.l.], janvier, 1967.

* * أما شركة سبو فتأسست سنة 1919، بإيعاز من ليوطي، وذلك نتيجة انصهار مجموعتين متنافستين : اتحاد الأبنك والمقاولات الصناعية التابعة لبنك الهند الصينية التي كان يمثلها الماركيز دي سوغونزاك من جهة، وشركة دراسات الري بسهل سبو التي كانت مرتبطة ببنك باريز والبلدان المنخفضة من جهة أخرى.

كان على الشركة أن تنكب على دراسة مشكلين : أحدهما تقني يتعلق بتجفيف المستنقعات والتحكم في مجرى وادي سبو والقيام بالأشغال الهيدروليكية اللازمة : والثاني قانوني، يتوخى من ورائه إنشاء مستوطنات للمعمرين. ذلك أن منطقة الغرب كانت عبارة عن شبه مستنقع يعيش سكانه تحت الشوالات ويعانون من مرض حمى المستنقعات، ولم تكن ملائمة للزراعة نظراً لفيضانات سبو المتكررة والتي كانت تصل أحياناً إلى مستوى مشروع بلقصورى وسيدي غلال التازي لهذا كان الغرابويون يتعاطون لتربية الماشية أكثر من الفلاحة، ويتملكون الأرض في إطار جماعي.

هكذا، كانت خصوبة المنطقة وخلوها وراء اهتمام الأروبيين بها، مما أدى إلى إنشاء شركة سبو.

ذلك أن مكتب الشؤون الأهلية لمشروع بلقصورى قام بإيجاز دراسات حول مرجة مرقطان ومرجة بوخرجة اللتين كانتا تغطيان حوالي عشرة آلاف هكتار. وتقرر، نظراً للوضع الجماعي للملكية العقارية، تأجير أربعة أخماس هذا الملك إلى شركة سبو، شريطة العمل على تحقيق المستنقعات، وتحقيق أشغال هيدروليكية لصالح الجماعات المحلية التي ستحتفظ بالخمس الباقي من الأرض. وبما أن الشركة أوفت بما تعهدت به في العقد المبرم سنة 1919، فإن الدولة تنازلت لها، بتاريخ 8 شتنبر 1924، عن ملكية الأراضي المعنية بالأمر، أي 9.800 هكتار، سيضاف لها 1.700 هكتار، مما أعطى ملكاً يتكون من 11.500 هـ

عبارة عن قطعة واحدة. اشترت الشركة، بعد ذلك، 5.500 هكتار، من قبائل زمور وأنشأت فوق هذه المساحة ست ضيعات. أما الخمس الذي احتفظ به للسكان المحليين، فقد وزّع إلى اثنتي عشر قسمة تحيط بملك شركة سبو، تتراوح مساحتها ما بين ثلاثين وخمسمائة هكتار.

هكذا، اذن، أدى تدخل شركة سبو إلى مصادرة ملكية السكان، الذين لم يستفيدوا بالنسبة لما تبقى لهم من الأرض من أي تجهيز، بل صارت قطعانهم لا تستطيع اللوج إلى المراعي التي اعتادت الرعي بها في فصل الصيف.

هذا الوضع دفع بالسكان إلى الهجرة، بشكل مكثف، إلى القنيطرة التي ستصبح عاصمة الغرب.

إلا أن الشركة لم تحقق الأرباح التي كانت تتوقعها، فاقترحت على الدولة استرجاع أراضيها. وهكذا، تمت تصفية الشركة ما بين 1929 و1931، ووزعت ممتلكاتها بين عدة شركات أخرى، أهمها La Société du Domaine de Koudiat Sbaâ التي تسلمت 3.000 هكتار، وLa Société des Fermes du Segmet التي تسلمت 4.000 هكتار، وLa Société Marocaine de Culture et d'Entreprise التي تسلمت 1.000 هكتار. بينما احتفظت شركة سبو بضيعتين.

إن تحفيف المستنقعات أتاح إنشاء ضيعات كبرى للحبوب، واعتماد المكننة في العمل الزراعي، وإدخال البرتقال والرز.

إلا أن هذه الزراعة الحديثة كانت تنتج أساساً من أجل السوق، ولم يستفد منها السكان المحليون الذين ظلوا ينتجون بطرق تقليدية. هكذا، ورث المغرب، عند حصوله على الاستقلال، وضعية يمكن نعتها بالازدواجية، الشيء الذي لا يتجلى فقط في وجود فلاحة عصرية وأخرى تقليدية، وإنما كذلك في اللامساواة التي تطبع توزيع الأراضي، إذ أن 60.000 هكتار أي 20٪ من أراضي الغرب كانت في ملك الأجانب، و68.000 هكتار أي 22,5٪ كانت بين أيدي كبار الملاكين وملاكين مغاربة عصريين لا يمثلون إلا 1,4٪ من أرباب الأسر، بينما لم يكن يملك باقي الفلاحين إلا 44٪ من الأرض، وكان 16٪ منهم فلاحين بدون أرض.

N. Bouderbala, *Quelques données sur l'évolution des structures agraires dans la plaine du Gharb*, RGM, n° 20, 1971 ; M. Bazin, *Un problème de modernisation rurale au Maroc : L'intégration des terres collectives dans les associations syndicales privilégiées du bassin inférieur du Sebou*, CHEAM, n° 1639, 20 mai 1949 ; J. Le Coz, *Le Rharb, fellahs et colons*, Rabat, 1964 ; *Projet Sebou : Rapport intérimaire*, janvier 1967 ; A. Halim, *Le capitalisme agraire au Maroc*, Université Paris VII, 1986 - 87.

عبد الجليل حليم

السبتي ← الأسر

السببیت (مدينة) كانت تقع على الضفة الجنوبية لنهر أمّ الربيع، وهي من مدن دكالة القديمة تبعد عن مدينة الغربية بنحو خمسة وستين علم. ولقد ورد ذكر هذه المدينة الصغيرة في كتاب وصف إفريقيا للحسن بن محمد الوزان، وضبط اسمها مترجم هذا الكتاب من الإيطالية إلى الفرنسية بضم السين وفتح الباء، بينما كتبه مترجماً النص المذكور إلى اللغة العربية بفتح السين وكسر الباء وتشديد الياء وفتحها، وواضح أن كلا القراءتين تصغير ليوم السبت، سواء تعلق الأمر بالنطق الفصحح أو الدارج. لكن يبدو أن اسم هذه المدينة لم يكن تصغيراً للفظ عربي وإنما هو لفظ أمازيغي هو السبت، لأن اللغة الأمازيغية، كما هو الذي يعني يوم السبت، لأن اللغة الأمازيغية، كما هو معلوم وكما تدل على ذلك جميع القرائن وجميع أقوال الرحالة الذين زاروا هذه المنطقة، كانت لاتزال في القرن السادس عشر مستعملة في بعض أنحاء دكالة.

وكانت مدينة السبت، حسب قول الحسن الوزان، تخضع لأعراب دكالة، إذ أن غارات هؤلاء الأعراب كانت تعاني منها قرى دكالة وقرى الحوز في ذلك العصر، بما يحمله ذلك من تعسف وفرض إتاوات.

أما سكانها البربر، فكانوا يحيون حياة استقرار، ويتعاطون الفلاحة فيزرعون القمح ويربون النحل، وينتجون كثيراً من القمح والعسل. ومن المعلوم أن إنتاج القمح بكثرة يقتضي وجود تربة خصبة وأمطار غزيرة، ودراية بفن الفلاحة، كما أن تربية النحل، وبالتالي إنتاج كميات كبيرة من العسل والشمع، يتطلب وجود أشجار وأزهار كثيرة في تلك الناحية ودراية كذلك بفن تربية النحل. ويعيب الوزان على أهل السبت كونهم لا يهتمون بالبستنة وزراعة الكروم ويرميهم من أجل ذلك بالجهل. ويظهر أن الوزان قد تسرع في حكمه لأنه لم يدرك الفرق الموجود بين زراعة القمح زراعة كثيفة. وهي فلاحة "بورية"، وبين البستنة وهي زراعة "سقية" وأن كلاهما يتطلب نوعاً من التخصص، وهذا ما كان يفعله أهل السبت الذين كانوا ينتجون كميات مهمة من القمح.

ولاشك أن اسم هذه المدينة مشتق من اسم السوق الذي كان يُقام فيها والذي كانت تُعرض فيه على الخصوص منتجات هذه الناحية كما هي العادة ببلادنا.

ويخبرنا الوزان أنه لما خربت بولعوان سنة 1514، قام ملك فاس بنقل سكان مدينة السبت إلى مملكته وأعطاهم مدينة صغيرة كانت مهجورة في إقليم فاس. وما لاشك فيه أن الذي تولى نقل سكان السبت إلى إقليم فاس هو الناصر لعلو، حاكم مكناس وخليفة السلطان فيها وفي بلاد الشاوية. ولم يرد ذكر هذه البلدة إلا مرة واحدة في رسالة

ليحيى بن تاعفوفت محررة في أواخر مارس 1514 عبر فيها عن عزمه على المرور من خلف القرى الواقعة فوق السبت على طول نهر أم الربيع. ولم يتم إلى حد الساعة التعرف بالضبط على موقع مدينة السبت.
الحسن الوزان، وصف إفريقيا : أ. بوشرب، دكالة.

محمد الشياطي

سبيلمان جورج (1899 - 1981) Spillmann

Georges، ضابط من ضباط الجيوش الفرنسية إبان الحماية، قضى جل مساره العسكري والإداري في المغرب ضمن هيئة ضباط الشؤون الأهلية، منطلقاً من أبسط درجات سلمها الهيراركي إلى أن بلغ رتبة الجنرال، مشغلاً تارة في المراكز الثابتة وفي الأوعار الجبلية، وتارة أخرى في الإدارة المركزية في الرباط، وذلك زهاء ثلاثين سنة. ولد في مدينة ستراسبورج سنة 1899 يوم كانت تحت حكم ألمانيا. ولكنه كان فرنسي الروح، بحيث ما إن اندلعت الحرب العالمية الأولى حتى التحق بالتراب الفرنسي ودخل مدرسة سانسير العسكرية ليتخرج منها وينزل إلى ميادين القتال في الشهور الأخيرة من المعركة. ثم إنه انتقل إلى المغرب سنة 1920 ليندمج في صفوف ضباط الشؤون الأهلية في منطقة مراكش، وقت كانت جبال الأطلس كلها لا تزال ممتنعة عن الحكم الفرنسي. وكانت جيوش الاحتلال في أمس الحاجة إلى من يخبرها عن تلك المناطق وعن قبائلها وتواريخها وأعرافها لتتمسك بزمام أمورها وتحكم التسرب في أوعارها بأقل ما يمكن من الخسارة في المال والأرواح، وهو ما كان يسمى عندهم بالسياسة الأهلية. ولقد أبدى جورج سبيلمان مواهبه في استنكاه أخبار البلاد والعباد، حيث تعلم اللغتين العربية والأمازيغية على اختلاف اللهجات فيهما. وشارك في أعمال "الپاسفيكاسيون" في العديد من جهات الأطلس، مبتدئاً بناحية أزيلال حيث جرح في إحدى المعارك هنالك سنة 1921. وعين سنة 1922 حاكماً على بعض فرق أيت محمد (فتحا)، فشارك في المفاوضات مع شيخ الزاوية الحنصالية الذي كف عن المقاومة وانحاز إلى جانب السلطة الفرنسية سنة 1922. مما أثار الانتباه إلى مؤهلات هذا الضابط الناشئ، فألحق سنة 1924 بالقسم السياسي لدى الإقامة العامة. ثم إنه عين حاكماً على مركز تلوات سنة 1926، يوم صارت الإدارة المركزية الفرنسية تميل إلى تفكيك قيادة التهامي الأكلاري في الأطلس الكبير وما وراءه. ومن تلوات انتقل إلى حكم ورزازات، يوم صارت جيوش الاحتلال تخطط لاقتحام تلك المناطق الوعرة المستعصية. وقد قام جورج سبيلمان بأهم الأدوار الريادية، حيث تعرف برأ وجواً على مجرى وادي دادس وأعلى مجرى وادي درعة، وألف في ذلك أول مؤلفاته تحت عنوان المناطق غير المسلوكة لوادي درعة الصادر سنة 1929، معزراً إياه

بكتاب عن إقليم قبائل درعة العليا (1931). وعاد مرة ثانية ليعمل في الإدارة المركزية في الرباط سنة 1929. وهناك اصطدم على ما يحكي هو عن نفسه مع الضباط الذين كانوا ينصحون بفتح تافيلالت ووادي درعة عنوة، ذلك بأنك صار من المتحمسين بخطة السياسة الأهلية، الداعين إلى بذل كل وجوه السياسة والعمل السلمي قبل اللجوء إلى أعمال العنف لإخضاع القبائل المستعصية.

وما اكتشفه في الجهات التابعة لحكم الباشا التهامي الالغلاوي أنه كان يمارس على السكان شتى أنواع العسف والابتزاز، مستعينا ببعض رجال الأعمال الفرنسيين مثل إيبينا Epinat صاحب شركة الستيام للنقل (أو شركة النقل المغربي C.T.M.) ومررنويا Mourgnot الصديق الحميم للمقيم العام يومئذ لوسيان سان Lucien Saint الذي طلب نفسه من سبيلمان بأن يمد صديقه المذكور بكل ماله من معلومات عن معادن المنطقة، بغض الطرف عما كان يرتكب في التنقيب عنها واستغلالها من خرق للقوانين الجاري بها العمل في المجال المعدني. ثم إن جورج سبيلمان عاد للعمل في المنطقة، في أكذ سنة 1931، تمهيداً لمحاصرة قبائل آيت عطا وإرغامهم على الاستسلام في أو عار بوغافر. وقد ألف في ذلك كتاباً تحت عنوان "قبائل آيت عطا الصحراوية ونشر الباسفيكاسيون في وادي درعة الأعلى"، صدر سنة 1936. وكان سبيلمان قد التحق من جديد بالإدارة المركزية للشؤون الأهلية في الرباط منذ سنة 1933. وظل يتتبع أحوال المجتمع المغربي على أدنى قواعد بنيانه. وكتسب في ذلك من المعلومات ما جعله خبيراً مبرزاً لدى سلطات الحماية في كل ما يتصل بالسياسة الأهلية. وكان من نتائج تلك الخبرة أن ألف كتاباً لا يزال معتمداً إلى يومنا في مادته وسمه "بمعالم التاريخ الديني للمغرب" تتبع فيه تاريخ الزوايا والرباطات في المغرب منذ الفتح الإسلامي إلى عهد الحماية، مركزاً بالخصوص على بعض الزوايا الكبرى مثل الدلائية والمهاوشية والحنصالية والناصرية والوزانية والدراوية، ملحقاً بكل ذلك جداول عن نسب بعض الأقطاب والشرفاء، في دقة توحى بما كان عليه جورج سبيلمان خاصة والمخابرات الاستعمارية عامة من التتبع والتتبع. على أن الكتاب لم يصدر إلا سنة 1951، وتحت اسم مستعار هو جورج دراك Georges Drague. ذلك بأن سبيلمان كان لا يزال ضابطاً نشيطاً في الجهاز العسكري والإداري الفرنسي. فإنه عاد إلى القيادة العسكرية الصرفة مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، فأسندت إليه قيادة طابور من الجنود المغاربة سنة 1940 في المهيرجة بناحية غرسيف، وظل يعمل في الخفاء بعد الهدنة من أجل إعداد الطوابير المغربية الأخرى التي تمكنت فرنسا بفضلها من استئناف القتال بعد نزول الحلفاء في المغرب في نونبر 1942.

ولما تشكلت حكومة دي كول في الجزائر وأسندت فيها الشؤون الإسلامية إلى الجنرال كاترو Catroux، التحق

جورج سبيلمان بديوانه إذ كان قد عمل تحت قيادته في ورزازات وأكذ في مطلع الثلاثينيات. وكان من مخبره عن أحوال المجتمع المغربي الباطنية وعن عمق ما صار معرضاً له من التقلبات. ورفع له تقارير مدققة عن الهوة السحيقة التي غدت تميز بين أوضاع المجتمع الاستعماري وعموم المغاربة، داعياً إلى التعجيل بالإصلاح غداة أحداث يناير 1944، ومشيراً بما من شأنه في نظره أن يحفظ الحماية الفرنسية من الانهيار أمام مد الحركة الوطنية، وهو أن يشارك المغاربة في إدارة البلاد وفي استغلالها بشكل من الأشكال. ولذلك كان معجباً بأراء إيريك لابون Eirik Labonne المقيم العام لمدة سنة (مارس 1946 أبريل 1947) الذي كان يحث هو كذلك على هذا النهج. مع أنه كان ممن نصح بعدم السماح للسلطان سيدي محمد بن يوسف بزيارة طنجة. وقد نفى نفيها قطعياً كون مجزرة درب ابن مسيك في أبريل 1947 من تدبير الشرطة أو القيادة العسكرية الفرنسية، مدعياً أن سببها إنما جاء صدفة من نقمة الجماهير المغاربة على "عبيد" الفرق السودانية المنضوية تحت الراية الفرنسية بعد مشاجرة جرت في حارة العاهرات. وكان آخر معسكر رابط فيه جورج سبيلمان في المغرب هو ثكنة القنيطرة وهو يومئذ في رتبة كولونيل، وذلك سنة 1947، وهو يمتعض على ما جاء فيما بعد في مذكراته، من عرض الأقاليم عن معارك المقاومة الفرنسية وتحرير باريس في قاعات السينما المغربية، قائلاً بأن: "تمجيد أعمال التخريب والقتال ضد المحتلين (يعني الألمان) وإبراز الدليل على أن مجموعة من الرجال المسلحين بأخف سلاح والمدفوعين بقوة العزيمة يستطيعون الصمود في وجه جيش أجنبي فتاك، كل ذلك كان يبدو لي خالياً من التبصر في الوقت الذي صار فيه الشعور الوطني في المغرب يتحول إلى عداً صارخ للقوة الحامية". وقد غادر جورج سبيلمان المغرب بصفة نهائية في طليعة 1948 ليعمل في أركان حرب الجنرال دي لاتر دي تاسيني De Lattre de Tassigny في الهند الصينية. بعد ذلك عاد إلى باريس ليعمل في ديوان جورج بيدو Georges Bidault التي تربطه به روابط صداقة حميمة. وكان جورج سبيلمان مثل بيدو هذا رئيس الحكومة ووزير الخارجية الفرنسية ينقم على الملك محمد بن يوسف بوجوده من النقمة خاصة. وكان ممن دعا إلى الحد من سلطانه بإدخال الأساليب الديمقراطية في المغرب، ليكون في ذلك منفذاً لمشاركة الجالية الأوربية في سيادة المغرب. ومع ذلك فإنه لم يوافق على عزله عن عرشه في غشت 1953، متنبهاً بما ترتب عن عزله من انعواصف الوطنية التي عصفت بنظام الحماية جملة وتفصيلاً.

وإذا شتعلت نيران حرب التحرير في الجزائر، هب جورج سبيلمان إلى الجزائر على رأس بعض فرق الكوم المغاربة محوطة بفضة لتفتيل في جبال الأوراس. ولكن عجلة

وخصوصا تيط وأسفي. وقد تمكن السبيع في سنة 1211 / 1797 من الاستيلاء على "سفينة كبيرة خارجة من أسفي موسوقة بالزرع، فيها اثنا عشر ألف فنيقة".

ونظراً للحظوة التي حصل عليها لدى السلطان، اعتنى هذا الأخير بإصدار أوامره بإنشاء سفينتين جديدتين في سنة 1214 / 1800 في أوراش الرباط، إحداهما لفائدة اليريس المذكور، كلف الوزير أبو القاسم الزباني بالإشراف عليها، وتطلب انتظار استكمال بنائها وتوحيها مدة سنتين كاملتين. وقد واصل اليريس السبيع نشاطه الملاحي إلى ما بعد سنة 1219 / 1805، معتمداً لدى السلطة المركزية، حيث أصدرت إليه الأوامر في جمادى الأولى بالتوجه إلى لشبونة.

وفي أواخر عمره عين اليريس السبيع مشرفا على مرسى الرباط، إلى أن أقدم الوزير محمد السلاوي على عزله في إطار إشرافه على تغيير الطاقم الإداري لنظارة وجمارك الرباط سنة 1226 / 1811.

الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، ص. 195 . 218 . 275 . 318 . 324 . 334 . 367.

حسن أميلي

السبيع، محمد بن المختار، وُلد بالرباط أوائل القرن الرابع عشر (20 م). تعشق الموسيقى الأندلسية منذ شبابه، وأقبل على تعلمها، فأخذ عن شيوخها بالرباط، كما أخذ عن المعلم الفاسي الفقيه محمد بن إدريس المطيري، وبرع في عزف الرباب. وفي عام 1942 التحق بمعهد مولاي رشيد معلما للصناعة والعزف، وكان في ذات الوقت يعمل عازفا ضمن الجوق الذي رأسه على التوالي الفنان الرباطي الحاج الطيب بن محمد بلكاهاية، والفنان السلاوي محمد البارودي، ثم تقلد بدوره قيادته بعد وفاة البارودي عام 1950، وظل على رأسه إلى حين تأسيس جوق الإذاعة الوطنية للموسيقى الأندلسية عام 1952 برئاسة المرحوم مولاي أحمد الوكيل.

وقد استمر الفقيه السبيع معلما بمعهد مولاي رشيد حتى وفاته يوم 25 رجب 1404 / 27 أبريل 1984. عبد العزيز بن عبد الجليل

سَعِي فاطمة، وينطق بها محليا معجمة فاطمة، اسم ضريح وموسم وجماعة قروية بعالية وادي أورिका بالأطلس الكبير. وأقدم عنصر في الموضوع هو ضريح وموسم ينسب للولية الصالحة والحامية المعنية لمنطقة أورिका. يختلف السكان والباحثون في مدلول الاسم فهناك من يدعي أنه لولية متفهمة كانت تقوم بالتدريس كالرجال وتلبس أحيانا ملابسهم فأطلق عليها لقب رجولي سيدي

التاريخ صارت تجري بسرعة لم يعد بوسعه ولا بوسع رؤسائه في فرنسا أو في المستعمرات أن يوقفوها. وكانت النتيجة أن انكب في الستينيات على وضع كتابين، أولهما تأريخ للحماية عنوانه: "من الحماية إلى الاستقلال أو المغرب من 1912 إلى 1955"، ضمنه معلومات ووجهات نظر لا توجد في غيره من الكتب، والثاني مذكرات وسماها "مذكرات استعماري"، بنوع من الصراحة، يوحى بما كان عليه هذا الضابط على كل حال من النزاهة الفكرية وسلامة الطوية، شأنه شأن أبناء إقليم الأناضول على العموم، مما لم يقه من الخطأ والزلل في أحكامه، وأكثرها سخافة اعتقاده بأن نظام الحماية كان يمكن أن يدوم وأن النخبة السياسية المغربية كانت سنة 1955 لا تزال في حاجة إلى الحجر الاستعماري. وفيما عدا ذلك فإن أبحاثه الاستعلامية أزاحت الستار عن بعض جوانب تاريخ المغرب وعن مقوماته الجوهرية وتطرح من الأسئلة والقضايا مالا يملك البحث التاريخي المغربي أن يغض الطرف عنها.

G. Spillmann, *Les Ait-Atta du Sahara et la pacification du Haut-Dra*, Rabat, 1936 ; *Du protectorat à l'indépendance, Maroc, 1912 - 1962*, Paris, 1967 ; *Souvenirs d'un colonialiste*, Paris, 1968.

إبراهيم بوطالب

السبيع، بوبكر، من مجاهدي البحر الرباطيين. عاش في النصف الأول من القرن الثالث عشر (19 م). وكان من رؤساء البحر المجاهدين أيام السلطان عبد الرحمان ابن هشام. ورث مهنة أبيه الحاج محمد السبيع الذي كان قائداً لإحدى السفن في عهد سيدي محمد بن عبد الله. وكان خليفة لأبيه عندما عينه السلطان رئيسا لمرسى الرباط. وكان السلطان عبد الرحمان أذن لأبي بكر السبيع بالسفر إلى فرنسا على متن سفينته "مسعودة" واصطحب معه ظهير هذا السلطان كجواز لسفره وهو مؤرخ بـ 18 ربيع الأول 1252 / 4 يوليوز 1836.

السبيع، محمد اليريس، من اليراس المغاربة المعتمدين لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ومن طائفة أهل الرباط. أوفده السلطان رابسا لإحدى السفن الأربع سنة 1203 / 1789 ضمن البعثة الملاحية الموجهة بذخيرة الحرب إلى القسطنطينية تحت إشراف القائد محمد الزوين والحاج المكي برگاش، وعاد ضمن الوفد في السنة الموالية على متن سفينة أوربية.

وقد استمر اليريس السبيع في نشاطه الملاحي حتى بعد وفاة سيدي محمد ابن عبد الله، حيث كان في عداد اليراس العاملين في أسطول مولاي سليمان انطلاقا من مرسى الرباط لا سيما إبان الأزمة السياسية، وكان مكلفا مع بقية اليراس بالتصدي للسفن التجارية الأوربية المتعاملة مع المراسي الخارجة عن نفوذ السلطان الشرعي،

حولتها اللهجة المحلية إلى ستي وفاظمة اسم شعبي ديني، تحوير بريري لفاظمة بنت الرسول وهو واسع الانتشار في كل المغرب. وهناك من يدعي أنها مصرية الأصل لتشابه لقبها مع : "ستي" المصرية التي تطلق على الأنسة وربة البيت. ويذهب الحدس ببعض الدراسين إلى الادعاء بأن ستي هي ستي إله المياه عند الفراعنة، فتكون من بقايا آثار الحضارة الفرعونية التي لازالت تتجلى في بعض المظاهر الفلاحية والاجتماعية بالأودية الجبلية خاصة فيما يرتبط بالمياه حيث كان يرافق حفلات الموسم الرش المتبادل والمفاجئ بالماء بين الفتيان والفتيات.

ومن المؤكد أن هذه الولية وافدة إلى المنطقة أجنبية عنها ظهر اسمها في عهد الوطاسين أي قبل ستة قرون. حلت مع أبيها سدي عمرو بأغامت، ثم رحلت نحو قرى الوادي العالية إثر نزاع مع إحدى بناتها وحلت بدوار ثلاث ن ركا بأغبالو ثم رحلت عنه لمضايقه الناس لها إلى دوار تاخفرت حيث يوجد ضريح ابنتها ستي مريم، ومنه انتقلت دائما صعودا إلى أعلى الوادي بدوار تنكري. ويحكى أنها كانت تترك منزلها مفتوحا في وجه الوافدين وطالبي المبيت أينما استقرت، وأخيراً حلت بعالية الوادي حيث يتسع وتكثر القرى بجانبه، فاستقرت بدوار صغير صار يعرف فيما بعد بزواية ستي فاظمة. يبلغ سكانه 118 ن (1994) وهنا تزوجت لآخر مرة برجل من دوار آكاديرنايت بولمان ونظراً لما عانت من شظف العيش ونفور سكان المنطقة من الأعراب فقد فتحت بيتها لإطعام المعوزين ومبيت المسافرين والمحتاجين وإعانة اليتامى والمرضى، كما كانت تلتجئ إليها النسوة والرجال بسبب نضجها وحكمتها للتوسط وفض الخصومات العائلية والنزاعات. ولازالت زاويتها إلى اليوم تقوم باستقبال المسافرين العابرين إلى عمق الوادي أو لعبور الفجج نحو الجنوب، على أن ضيافتها لا تتجاوز ثلاثة أيام. ولم يكن لهذه الزاوية البسيطة تأثير قوي سواء على المستوى السياسي أو الديني، ذلك أن ستي فاظمة كانت امرأة عادية تقية. انحصرت منجزاتها في الأعمال الخيرية فقط ولم تكن عالمة أو زاهدة، بل كانت ربة بيت خلفت عدداً من البنات فقط، وكان الناس يتفألون بها لأنها تجلب الخصب والبركة أينما حلت وإذا قدّمت لزوارها طعاماً فإنه يكفيهم مهما قل، كما أن بركتها تحمي الأمن وتعاقب السراق وخائني الأمانة، فلا يخرج السارق من وادها سالماً حتى تحل به مصيبة. وذلك حسب الروايات الشفوية الشائعة في أوركا. وزاويتها أقرب ما تكون إلى منزل عادي تضم غرفاً للمبيت وللخزن وكتاباً صغيراً لتعليم القرآن، ويتولى الآن تعليم القرآن به فقهاء من أسباط ستي فاظمة. وعندما توفيت دفنت بمقبرة كانت مخصصة لذوي المكانة الاجتماعية والدينية على سطح عال بالضفة اليمنى المقابلة لزاويتها، يحيط بها قبران لابنتها ستي عزو وستي إيجة. وتوارث أسباطها من ابنة أخرى تدعى ستي ماما،

انقسموا إلى ثلاث عائلات تتناوب الإشراف على الزاوية لكل واحدة سنة، تقوم برعاية الزوار الراغبين في المبيت والإنفاق على منشأتها مما يقدمه الزوار من الصدقات والهدايا، كما تدير الأراضي المحيطة على الزاوية والمنتشرة على طول الوادي إلى مدينة أغمات، تقسم مداخيلها على الورثة فقط.

ويبدو أن شهرة الموسم السنوي لستي فاظمة وزاريتها يفوق أهمية ضريحها، ذلك أن سكان الأودية الجبلية اعتادوا إقامة مواسم فلاحية في قلب موسم الصيف بعد جني المحاصيل الزراعية، ويعتبر موسم ستي فاظمة هو الموسم السنوي لقبائل أوركا، ينسى فيه القرويون الذين يحجون إليه بأسرهم أحياناً هموم ومشاق الحياة اليومية للترويح عن أنفسهم بالولائم وأهازيج أحواش تعبيراً عن فرحة الحياة والشكر لله على خيرات هذا الوادي الجميل، وتقديراً من السكان لولية صالحة تزكي وتلهم أخلاق التعاون والتسامح والأمن والمحبة. ويبدو أن الموسم وجد بهذا المكان قبل ظهور ستي فاظمة، وكان يسمى موسم "تزونت" وتعني نصف السماميم - وسط الانقلابين الصيفي والخريفي - وذلك حسب تقويم فلاحي قديم مستمد من التقويم الشمسي الروماني فهو يعتمد في توقيتته على السنة الشمسية كجمل المواسم الجبلية ويعقد أيام : 19 - 20. 21 غشت ويشرف على شؤونه شرفاء الزاوية ورثة الولية، أما الضريح الذي أعيد بناؤه مجدداً إذ بني عليه سقف من القرميد الأخضر فإنه يشرف عليه أفراد ومقدمون من قبيلة أيت عمران ولا يفتح للزيارة إلا في أيام الموسم من طرف المقدم الذي هو من القبيلة كذلك.

لقد اكتسى موسم ستي فاظمة في العقود الأخيرة أهمية متزايدة إذ تحول من موسم فلاحي ديني محلي إلى عيد اجتماعي تجاري وترفيهي لأعداد متزايدة من الزوار بوادي أوركا والأودية المجاورة له والدير، كما يفد إليه الحضوريين بكثرة من مراكش ومن المصطافين بفنادق وإقامات ودور الكراء بوادي أوركا. ويعد أن كان موسماً تجارياً محلياً يتخصص في بيع ما ينتجه الجبليون من أنسجة الصوف الثقيلة التي تصنع منها الجلابيب والبرانص الجبلية الثقيلة : الخيدوس وأخنيف، وثمار الحوز، والبغال، إذ يقبل الجبليون على بيع البغال الهرمة التي تتحول رلى جر العربات بمراكش وشراء بغال فتية تولد خارج الجبل يجلبها التجار خاصة من سهل الحوز ودكالة، كما يكمل القرويون شراء حاجياتهم من الحبوب والقطنيات والزيوت التي يعانون نقصاً في إنتاجها. لقد تحول السوق اليوم إلى مهرجان تجاري شعبي لبيع وشراء كل شيء من الراديو والكاسيت والملابس الجديدة والمستعملة العصرية والقديمة وأواني البلاستيك والألمونيوم وكل مواد التغذية الجافة والطرية من خضر وفواكه ولحوم ومشروبات، لقد تحول الموسم إلى متنفس لسكان المنطقة لما يوفره من فرجة واستهلاك من جهة ومناسبة لترويج منتوجاتهم والتسوق.

ويخضع الموسم لترتيبات معينة ففي اليوم الأول تنصب الخيام ويشرف أعوان السلطة على توزيع المساحة بين أصحاب المقاهي والمطاعم ومختلف التجارات وباعة الخبوز وباعة البغال والمواشي والأدوات المنزلية من معدينة وفخارية وخشبية وزجاجية، ومقدمو الخدمات الشخصية : حلاقة سكافة خياطة لحام إصلاح الراديو والساعات، يشبه كل ذلك سوق أسبوعي متوسط ويدفع كل من أقام خيمة أو بساطاً أو زتي بسيارة أو دابة ضريبة للجماعة القروية، وأحصت طالبة قامت ببحثها هنا في صيف 1997 : 252 تاجراً وعاملاً بمختلف الأنشطة منهم 84 تاجر للمواد الغذائية يتوزعون ما بين تجار محليين في التجارات الصغيرة وتجار وافدين على المنطقة من مراكش وغيرها بالنسبة للتجارات ذات الرأس المال الكبير إذ أن عدداً منهم لهم شاحناتهم الخاصة وسياراتهم الكبيرة التي يحولونها إلى متجر متنقل لبيع مختلف المنتجات والأدوات، ويتوزع الكل بشكل عشوائي لا يراع فيه تخصص ولا تجانس البضائع وتقع نزاعات ومناورات على اختيار الأماكن المناسبة. تعتبر مراكش المزود الرئيسي للموسم بحوالي 70٪ من المعروضات وتساهم منطقة أوريكا بحوالي 30٪ تتمثل في الخضار والفواكه واللحوم والمنسوجات الصوفية والمواشي، فيكون الموسم مناسبة للشغل للعاطلين وناقصي التشغيل إذ يتحول كثير من القرويين إلى تجار ومزاولي أنشطة متعددة وعمال مقاهي ومطاعم وباعة متجولين ونقالين ... لكن بركة وهيبة الولاية الصالحة لا تسمح بالإبتدال الخلفي والأعمال الغير المشروعة. وفي مساء اليوم الأول تبدأ اهازيج أحواش وتجمعات حلابق المهرجين والمغنيين وأصحاب الوعظ الإرشاد وألعاب الحظ وطبخ العشاء لسهرة ليلية يحتفل بها شباب المنطقة تحت النجوم الساطعة لصيف الوادي. ويعرف اليوم الثاني أهم حدث هو ذبح القرايين المقدمة إلى الولاية وتبلغ العشرات فكل قبيلة أو مشيخة تقدم قرباتها وهي ذبائح من الماعز أو الغنم، ثم تطعى وتوزع للإستهلاك حسب أعراف قبلية خاصة غالباً ما لا يستفيد من لحومها سوى مقدموها من زبناء القبيلة أو الدوار، وتبدأ عمليات الطهي الجماعي بدار الزاوية حيث يعجن ويطعى الخبز بأعداد كبيرة لكن منظر القدور على النار يفيض لينتشر على جنبات الوادي. أما اليوم الثالث فيعتبر يوم الزيارة يفتح فيه الضريح للزيارة والتبرك ويوزع به الخبز، ويودع الناس بصندوقه صدقات من النقود والشمع.

لقد صار السوق التجاري الترفيهي يستمر لمدة أسبوع، لرغبة السكان في إطالة مدة الاحتفالات والاستجمام وكذلك لصعوبة نقل الخيام والتجهيزات وما تبقى من المنتجات والبضائع إذ تعمل الشاحنات طيلة الأسبوع لإخراج الناس ومقتنياتهم من عمق الوادي.

ومن أهم المشاكل الحالية للموسم أن الأرض المستوية

بسرير الواد ضاقت كثيراً بأنشطته إذ لا تتعدى مساحتها 4.000 م² فلم يبق بها متسع لمزيد من الخيام والشاحنات والسيارات الخصوصية التي تتوافد بأعداد كبيرة من مراكش ومن مصطافات الوادي وللعمال المهاجرين الذين يطوفون بأسرهم لزيارة أرجاء المغرب السياحية المشهورة، فبعده عن مراكش بـ 62 كلم من طريق سياحي مرصف يغري كل من صادفه بتاريخ الموسم بمراكش بزيارته لسهولة الوصول إليه للتمتع بصيف الجبل المشهور باعتدال طقسه وجمال مناظره، ويتسبب الاكتضاض في توسيع مساحة أنشطة الموسم لتشمل مجرى الواد الذي يكون قليل المياه في هذا الفصل إذ تنتشر المعروضات والبسط والخيام من الضفة اليسرى المتصلة بالطريق إلى الضفة اليمنى، فيقوم المعينون ببعض الإصلاحات للمساحة المطلوبة وذلك بتكديس المزيد من الحجارة والمال ثم يقيمون منشآتهم، وهذا ما يهدد الموسم بخطر الفيضان، إلا أن الناس كانوا يومنون بحماية الولاية لموسمها ويدعون أن الأمطار الرعدية التي تتسبب في الفيضان لا تأتي إلا بعد نهاية الموسم. والواقع أنه غالباً ما تأتي بسبب الثغرة التي يحدثها تكديس الناس بأعداد كبيرة وإيقاد النار وإثارة الغبار في توازن الطقس بعالية الواد. ولمواجهة ضيق المكان صار كل ملاكي المدرجات القريبة من ساحة الموسم يتكرونها لإقامة خيام ربما للراحة أو بعض الأنشطة، غالباً ما تكون مظلة بأشجار الجوز أو الصفصاف وهذا ما يجعل بعضهم يتركها دون زراعة لأنه يريح من كرائها لبضع ساعات أكثر مما يريح من زراعتها خضر أو حبوا طيلة أشهر.

يكون الزوار الحضريون حوالي الثلث أكثر من نصفهم من المصطافين بواد أويكا ويكون الثلثان الآخرون زوار واد أوريكا في الدرجة الأولى خاصة سكان عالية الواد، والباقي من سكان الأودية المجاورة ودير الحوز. ولازال يقصد الموسم وزيارة الضريح عدد من الفتيات مرتديات اجمل ملابسهن لإظهار زينتهن أملاً في الزواج خاصة من شباب خارج الوادي أملاً في إنقاذهن من مشاق الحياة القروية، كما تملئ زاويتها بنسوة لازن متشبتات بطقوس الزيارة التقليدية.

لقد تحولت منطقة ستي فاظمة بموسمها وجمال مناظرها وطقسها وثرات سكانها إلى إحدى أهم المحطات السياسية التي تغني النشاط السياحي المراكشي، تلقى إقبالا متزايداً ليس فقط من الأوريكيين أو المراكشيين والحضريين عامة بل حتى من السواح الأجانب إذ تفد إليه سياراتهم 4 × 4 أو حافلات لقضاء بضع ساعات للفرجة على مظاهر الموسم والوادي. كما تتحول الزيارة الدينية والموسم التجاري إلى مجال سياحة شعبية يتعايش فيها الجليليون والحضريون من مراكش وغيرها في تناغم عاطفي وتفاهم فكري ولو لبضع ساعات.

الجماعة القروية لسلي فاظمة : تقع بعالية وادي

أوريكا وروافده العالية : تنزار وتيفني وأغنس و أومنزال وأيت أوشك بالسفح الشمالي للأطلس الكبير المراكشي تنبع من منطقة صخور غرانيتية صلبة تتخللها فوالق عديدة وأحياناً صخور هشة من البرموترياس فتتسع الوديان مكونة أحواضاً عريضة نسبياً من أهمها مقطع ستي فاطمة حيث يتسع الوادي وتكثر به المدرجات الزراعية والقرى. بينما تفصل الأودية وتشرف عليها قمم عالية من صخور صلبة بلورية يقدر معدل الأمطار السنوية بـ 760 ملم وتتساقط الثلوج بكثرة خاصة بالقمم والأودية العالية مما يجعل واد أوريكا أغزر وديان الأطلس الكبير الغربي، معدل صيبه السنوي 180 مليون م³ إذ لا يجف مجراه أبداً، وإن كانت المياه تتناقص كثيراً خاصة في سنوات الجفاف ويتقلص معدل صيبه الصفي إلى 1.5 م³ / ث لكنه يصل في بعض أيام الفيضان الربيعي إلى 1.000 م³ / ث وأكثر. تتميز تضاريس الجماعة ومناخها بطغيان الطابع الجلي المعروف بالأطلس الكبير الغربي ولا زالت تحظى بغطاء غابوي جيد يتكون أساساً من البلوط الأخضر والثوبيا والعرعار الأحمر بسافلته ويقايا من غابات العرعار الفواح بعاليته.

تبلغ مساحة الجماعة 180 كلم² وهي تابعة لقيادة أوريكا دائرة تاحنوت بإقليم الحوز، تنقسم إلى أربع فحدات هي أماسين وتيمنكار وأيت أوشك وستي فاطمة - تمشي التي تتعمق بالأودية العالية، أما فحدة أوكايميد فقد انفصلت وتحولت إلى جماعة جديدة. ويتميز حوض تيمشي حيث تستقر قبيلة آيت بزغمي ببرودته الشديدة شتاءً إذ تحاصره الثلوج من كل الجهات. يبلغ سكانها 20.526 ن (1994)، يتوزعون على 59 دواراً أكبرها أنامر بآيت أوشك 1.089 ن ينتمي السكان لقبيلة أوريكا التي أشار المؤرخون إلى وجودها بهذا الوادي منذ حكم الموحدين وهم من البربر المصامدة، مزارعو الأشجار أو بلاد البرودة : زصيد عاشوا في نزاعات مزمنة مع قبيلة مسفي، القوة عدداً والمقيمة بالواد المجاور : الزات وقد تمكنت في القرون الأخيرة من الاستيلاء على كل منطقة دير واد أوريكا حيث توجد مدينة اغمات كما استولوا على بعض زوديتها العالية : أوشك وتيمشي لكنهما أو عيدا إلى قيادة أوريكا بعد الإستقلال.

الفلاحة : عندما يتسع الوادي تتعدد المدرجات على سفوحه فتزدهر الزراعة المسقية خاصة الأشجار المثمرة وأهمها الجوز والخضر والحبوب والأعلاف وهذا ما تحقق في عدد من مقاطع الوادي أهمها منطقتي ستي فاطمة وأغبالو وتقدر مساحة الأراضي الصالحة للزراعة بجماعة ستي فاطمة 1.270 منها 940 من أراضي البور ببعض السطوح والمدرجات العالية تزرع بالحبوب خاصة الشعير، و330 هـ مدرجات مسقية بسرير الوادي والمدرجات السفلى. وأهم أشجار المنطقة هي أشجار الجوز التي تتميز هنا بشمارها

وخشبها الجيد الذي يستعمل في صنع أدوات خشبية ثمينة يبلغ عددها 55.000 شجرة. تعيش الزراعة هنا تحولات إيجابية تتمثل في استعمال الأسمدة والمبيدات والبذور المنتقاة لإنتاج الخضر خاصة البطاطس والطماطم التي تعطي مردوداً جيداً :

40 ق / هـ بالنسبة للبطاطس و30 ق / هـ بالنسبة للطماطم، يوجه معظم إنتاجهما إلى السوق الحضري كما يهتم المزارعون بزراعة الإجااص والكرز والبرقوق والتفاح خاصة الذي وجد في الأودية الباردة بيئة مناسبة. ويلاحظ أن الظفة اليسرى أوسع كثيراً من اليمنى إذ تساوي ثلاثة أضعاف مساحة الظفة اليمنى ولهذا أنشئ بها الطريق المرصف كما تقوم بها جل القوى والمنشآت السكنية والسياحية والبساتين خاصة الحديثة التي يكونها الحضريون وتعتبر تربية المواشي نشاطاً أساسياً مكملًا للزراعة إذ تمدها بالأسمدة الطبيعية وتجذ الأغنام والماعز في السفوح المخضرة والمكسوة في معظمها بغطاء غابوي كثيف مجالا رعويًا جيداً كما تجذ الأبقار في سرير الواد وفي بقايا الزراعة المسقية تغذية لا بأس بها مما جعل السكان يساهمون في تكوين تعاونيات لإنتاج وتسويق الحليب ويقدر قطع المواشي حالياً بالجماعة. الأبقار 2.000 رأس الأغنام : 5.000 رأس الماعز : 9.000 رأس. وقد تراجعت أعدادها كثيراً لإنصراف الجبل الجديد من الشباب عنها إلى الأنشطة الحديثة المتربطة خاصة بالسياحة والتجارة والهجرة.

عرف وادي أوريكا في العقود الأخيرة ازدهار الأنشطة السياحية وتكاثر الإقامات والمقاهي والمطاعم والدكاكين والفنادق الشعبية والمصنفة، كما أنشأ القرويون عدد كبيراً من دور الكراء للمصطافين خاصة بجوانب الواد والطريق وانعكس ذلك على الاقتصاد المحلي بتكاثر المباني الجديدة ومختلف المنشآت السياحية، مما ضيق الطريق والواد وشوه المنظر في بعض المقاطع، وبتين البنية التحتية، فقد وصلت شبكة الكهرباء والهاتف إلى جل القرى وإلى كل دواوير حوض ستي فاطمة ويبلغ عدد الأسر المستفيدة من الكهرباء بالجماعة 31% كما انتشت أقسام المدارس بكل القرى إلى أن وصل عددها الخمسون وصار يعقد بها سوقان أسبوعيان : سوق اخميس أغبالو : أنشئ منذ 1964 قرب قرية أغبالو 597 ن تبلغ مساحته 1.863 م² يمتد فوق مدرج يرتفع عن مجرى الواد بعشرين متراً يرتبط بالطريق بسهولة. به عدد من الدكاكين ومنشآت متنوعة : مستوصف مدرسة مركز الجماعة والقيادة يساهم في حركته 120 تجراً لكن هذا العدد ينقص كثيراً في فصل الشتاء، لا يقيه منهم في مباني من التراب ونادراً من الإسمنت إلا أصحاب مقاهي والحجارة وبعض البقالة أما الباقي فيكتفي بخبز وبيض وأكواخ. وتعتبر مراكش أكبر مزود للسوق سواء باستوجات المصنعة أو الخضر والفواكه والدقيق،

السْتَيْف أو العَلَيْق أو التَوْت الشوكي بالعربية أو أنجِيل أو أسنان إرمان أو سَرْمُو أو تَابِغًا بالأمازيغية أو الرُونس Ronce بالفرنسية هي أسماء لنبات رويوس أوليفوليوس Rubus ulmifolius الذي ينتمي إلى فصيلة الورديات Rosaceae. وقد ذكره ابن البيطار والوزير الغساني وغيرهما تحت اسمي التوت الوحشي وشجرة موسى. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الاسم الأخير "شجرة موسى" هو الذي يطلق على نبات الستيف الذي مازال يعيش في دبرطور سيناء في حجر جبل موسى عليه السلام.



الستيف شجرة لبلابية قائمة ومضطجعة أو زاحفة ومزودة بأشواك مقوسة. براعمها الأرضية قائمة ثم مقوسة وامتدلية وفضية اللون، ومزودة بأشواك صلبة ومقوسة. أوراقها في وضع متبادل ومنقسمة إلى ثلاث أو خمس وريقات معنقة وذات الوجه العلوي أملس وبدون زغب، والوجه السفلي ويري وذو لون أبيض، شكل الوريقات بيضوي أو بيضوي منعكس. تظهر الأزهارات على شكل عناقيد إبطية أو طرفية على البراعم الأرضية. تشمل كل زهرة على خمس سبلات بيضاء ووبرية، وخمس بتلات وردية تتساقط بسهولة. الأسدية وأقلام السمة عددها كبير. الثمار توتية مركبة متجمعة، تكون خضراء بعد سقوط البتلات ثم تحمر قبل أن تسود عند نضجها. يعيش الستيف بربا في جنوب أوروبا وآسيا الغربية وشمال إفريقيا والجزر الخالدات، والأصوم وماديرا.

يصادف الستيف طبيعيا في جل البيومناخات المغربية ما عدا الجافة منها والصحراوية، وفي جل الطوابق النباتية باستثناء فوق الجبلي المتوسطي. يفضل الستيف الأماكن الرطبة وضاف الوديان حيث تكون الأترية سميكة وغنية بالدبال، فيشكل أدغالاً شديدة الكثافة. أما في الغابات الرطبة مثل غابات الأرز والشوح، فإنه يصادف بصفة متناثرة مع الأنواع النباتية الأخرى.

تؤكل ثمار الستيف طازجة أو تستعمل في صناعة المربيات. كما تستعمل أوراقه في التطبيب التقليدي لتضميد الجروح.

ونظراً لارتباط السوق بالطريق المرصف فإن جل المتسوقين صاروا يتنقلون عاى وسائل النقل الآلية خاصة الشاحنات وسيارة النقل الغير مرخصة. مما جعل أعداد البغال تتراجع لما تكلفه تغذيتها من شعير صار إنتاجه قليلا، وقد بلغ عددها بالجماعة حوالي 200 بغل.

يعقد بستي فاطمة سوق جديد يوم الأحد بالساحة التي يتعقد بها الموسم أي بسرير الواد ورغم انعدام المباني به لتعذر بنائها هنا فإن السوق يعرف نشاطا مهما لأنه تباع به المواشي دون السوق الأول وكذلك الحبوب التي يحتاجها السكان لنقص إنتاجها هنا. ومما يضعف أهمية السوقين تواجد دكاكين كثيرة لمختلف المنتوجات والبضائع على طول الواد والطريق الذي تحولت بعض مقاطعه إلى ما يشبه الشارع وحركية السكان الكبيرة التي تقودهم مراراً إلى مراكز حيث يجدون كل شئ أكثر وفرة.

عرفت الأنشطة السياحية بأوركا انطلاقة قوية منذ عقود تزداد منشآتها (ذكرت مصالح وزارة الداخلية أن عدد المصطافين بالوادي في هذا اليوم بلغ حوالي 30.000 لكن معظمهم يرجع مساءً إلى مراكز وعدد المتوافدين عليها سنة عن سنة، لا أن فيضان 17 غشت 1997 الذي خرب عدداً كبيراً من منشآت السياحة خاصة المجاورة للواد، ومقاطع مهمة من الطريق وحطم مآت السيارات وأودى بحياة المآت من الزوار خاصة من الشباب المخيمين في بظفاف الواد، ألقى ظلالة من الشك حول مستقبل السياحة بهذا الوادي إذ صارت أوركا منطقة خطيرة في ادهان الكثير من الناس فرضت الإقامة للبيع، ومنعت السلطة التخميم بجانب الواد وكذلك البناء وصارت تفرض شروطا معمارية وتقنية خاصة على بناء فتراجع الإقبال سواء من طرف الزوار أو المستثمرين لكن ذلك كان مؤقتا فقط إذ سرعان ما عادت الحياة والحركة والنشاط رلى وادي أوركا لجاذبيته السياحية التي لا تقاوم من طرف كل من زاره وتمتع بجمال بيئته، كما أن تدخل السلطة بتقلها بكل أجهزتها التقنية والتنظيمية ساعد على إعادة تنظيم المنشآت السياحية وحماية البيئة من التلوث وحماية الزوار من أخطار الفيضانات المحتملة مستقبلا. والعناية ببناء الطريق السياحي وتجميله بإزالة كثير من أنقاض المباني التي تحجب رؤية الواد والإكثار من محطات وقوف السيارات مما أعاد إنعاش الاستثمارات السياحية.

زيارات وبحوث ميدانية : بحوث طلبة الجغرافية بكلية الآداب مراكز، مقياس فاتحة، من الزيارة الدينية إلى السياحة الشعبية، نموذج موسم ستي فاطمة، 1997 . 1998 : عبد الرحمن وعز، دور الأسواق في تنمية الاقتصاد الجبلي، سوق خميس أغبالو لوادي أوركا، 1995 . 1996 : رقية آيت إبراهيم، الفاعلون في التنمية المحلية، نموذج جماعة ستي فاطمة، 1999 . 2000 : تحليل خرائط طبوغرافية وإحصائيات السكان، وزارة التخطيط.

P.N.U.D., Etude monographique de la province d'Al Haouz, 1987 ; P. Pascon, Le Haouz de Marrakech, Rabat, 1982.

أحمد هوزالي

لكن أكثر استعمالات الستيف هي تشكيل الأسبحة الحية التي يستحيل اختراقها من طرف الحيوانات الكبيرة والإنسان وذلك نظراً لكثرة أشواكها. ولهذا الغرض يتم إكثار النبات بواسطة العقل والبراعم الأرضية التي تتجذر بسهولة كبيرة وتنمو بسرعة فائقة.

إضافة إلى هذا النوع البري الطبيعي نجد أنواعاً أخرى من نفس الجنس أدخلت في بعض المناطق من الهضبة الوسطى لإنتاج كميات قليلة جداً من التوت الشوكي الذي يسمى فرامبواز Framboise بالفرنسية.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée maroaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997 ; Abdelmalek Benabid, *Flore et écosystème du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*. Paris, 2000.

عبد المالك بنعبيد

الستوتو، علال بن مرزوق قائد كان يرأس

جماعة من المجاهدين ما قبيلته أولاد ستوت انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي تزعمها الشريف محمد أمزيان ضد التدخل العسكري الإسباني بناحية الناظور، وشارك في عدة معارك إلى أن سقط أسيراً بيد الإسبان في المعركة التي جرت بسوق الخميس بقبيلة بني بوفورور يوم 30 سبتمبر 1909 حيث أجريت له محاكمة عسكرية بتهمة أنه كان من بين المجاهدين الذين كانوا بالمكان الذي قُتل فيه الجنرال دييث فيكارو Diez Vicario وظل بسجن مليلية إلى غاية سنة 1934.

أعمال ندوة الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة الشمال الشرقي (1909 . 1912)، تطاون، 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

ستيتو (ابن -) عمر بن عمر، مقاوم من مواليد

سنة 1910 بدوار تامجونت ملحقة أجدير دائرة أكنول بإقليم تازة، انخرط في صفوف جيش التحرير غداة تأسيسه بالمنظمة الشمالية بجبال الريف وعمل ضمن التشكيلة التي كان يرأسها محمد بن علال بمركز اسويل بيورد.

وقد ضل يجاهد ضمن فرقته بكل إخلاص وتفان شارك في عدة معارك وهجومات أبان فيها عن شجاعة نادرة نذكر منها هجوم بورد وآخر على مركز بوزينب، إلى أن استشهد يوم 15 أكتوبر 1955 ببوزينب.

المنووية السامية لقداما المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 504897.

أبو سجدة علي بن أبي القاسم السنجائي اشتهر

بكنيته أبو سجدة، من رجال القواسم، أحد فروع بيت المشنزائين المصامدة المعروف في دكالة (أسفي، 17 - 18 ؛ دكالة، 70 - 72) أخذ التصوف عن الشيخ أبي يحيى النيار

من بني أمغار (دوحة، 102). وكان ذلك في دكالة نفسها، ولاشك، إن لم نقل في تيط، مقر الأمغارين منذ القديم. يستفاد ذلك من رواية شفهية تقول بأن أبا سجدة كان في أوليته، مؤذناً في مسجد رباط تيط، قبل سقوطها في يد المحتلين البرتغاليين. وبعد احتلالها عام 919 / 1513، رحل عنها فيمن رحل، ونزل في بولعوان بدكالة، ثم انتقل إلى الشاوية، وبعدها إلى مراكش.

وذكرت مصادر أخرى أن أبا سجدة سلك طريق القوم على يد الشيخ عبد العزيز التباع، رفيق أبي يحيى النيار الأمغاري في صحبة الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (متمتع، 46). بينما قالت أخرى إنه من أصحاب الشيخ عبد الله الغزواني، تلميذ التباع وخليفته (ابتهاج، 376). لكن، مهما كان الشيخ الذي استند إليه أبو سجدة، فالمهم أنه جزولي الطريقة والسند، لأن أولئك الشيوخ الثلاثة جميعاً من كبار أتباع الطريقة الجزولية، بل من كبار رجال طائفتها، ومن الرعيل الأول من المنتمين إليها.

وقد بلغ أبو الحسن السنجائي في الطريقة الجزولية، بدوره، مقام الأولياء الكبار (دوحة، 101 - 102). وامتاز في جزوليته، عن باقي رفاقه فيها، بصفات خاصة، عبر عنها ابن عسكرو بقوله: "ولي الله تعالى أبو الحسن علي ابن أبي القاسم السنجائي المعروف بأبي سجدة، لأنه كان يقطع الليل كله بسجدة واحد" (دوحة، 101 - 102). وقيل، في توضيح هذه الخاصية، إنه "كان إذا صلى فوجد غاب، فلم يرفع رأسه ولم يزد عليها. ولعل ذلك، يقول محمد المهدي الفاسي، في صلاة الليل، وفي النافلة، لا في الفريضة. فيكون هو معنى قوله في الدوحة: يقطع الليل كله بسجدة واحدة، لا يزيد عليها، فيرجعان إلى وفاق" (متمتع، 46). "ويذكر في نفس الموضوع أن إخوانه أو أخاً له، قال له: إنك لتفسد الصلاة، فأريد أن أستفتي فيك، وأسألك عن أمرك. فقال له: من تستفتي؟ قال له الفقهاء. فقال أنا ما تمشي بحلتي إلى البرادعيين. ويحكى أنهم تركوه حتى سجد، فأتوا بالحبال وجعلوها تحت حصره، وجعلوا يرفعونه فلم يقدرها" (الإعلام، 9 : 183).

ويفيد هذا في القول بأن أبا سجدة كان من كبار العباد في الطائفة الجزولية، الأمر الذي مكّنه من بلوغ رتب عليا في طريق القوم الصوفية، بل رفعه بعض تلامذته إلى مقام القطبانية (دوحة، 102). كما ساعده ذلك على تحقيق شعبية واسعة في مراكش، فقصده المتشوفون إلى التصوف الجزولي. وهب إليه عامة الناس ممن يسعى إلى البركة. بل يذكر البعض أن أبا سجدة كان له آلاف الأتباع من الجن أيضاً (دوحة، 102).

وقد جعلت له هذه الشعبية دالة على أولي الأمر في المغرب في زمانه، ونعني هنا زمن حكم الأشراف السعديين الأوائل في المغرب في بداية القرن العاشر (16م). وفي هذا

الصدد قيل عنه إنه : "كان كبير الشأن عظيم القدر، وكان إذا دخل على ملوك وقته لا يزيد في تحيته شيئاً على لفظ السلام، ويغلق لهم في القول إذا أمر بمعروف أو نهى عن منكر" (الإعلام، 9 : 183).

هذا، وكانت وفاة أبي الحسن علي بن أبي القاسم السنجائي المدعو بوسجدة عام 946 / 1540، وقيل 951 / 44 - 1545، ودفن بسور الحجر، على مقربة من جامع الكتبيين في مراكش (دوحة، 102 : الإعلام، 9 : 183 - 184). وقد خلف ذرية كبيرة اشتهر بعضهم بالتصوف مثله، أشهرهم على الإطلاق : سيدي إسماعيل دفين وسط دكالة، ومولاي الطاهر القاسمي، دفين نفس المنطقة.

ع. ابن إبراهيم، الإعلام، الرباط، 1400 / 1980، الجزء التاسع ؛
م. ابن عسكر، دوحة الناشر، تح. محمد حجي، الرباط، 1977 ؛
أ. بوشرب، دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء أسفي وأزمور، الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. الرحمن الفاسي، ابتهاج القلوب، تح. حفيظة الداوي، د.د.ع. مرقونة بكلية الآداب بالرباط؛ م. العربي الفاسي، مرآة المحاسن، طبعة حجرية بفاس، 1324 / 1906 ؛ م. المهدي الفاسي، تمتع الأسماع، طبعة حجرية بفاس، 1313 / 1896 ؛ محمد الكانوني، أسفي وما إليه قديماً وحديثاً، مصر، 1353.

أحمد الوارث



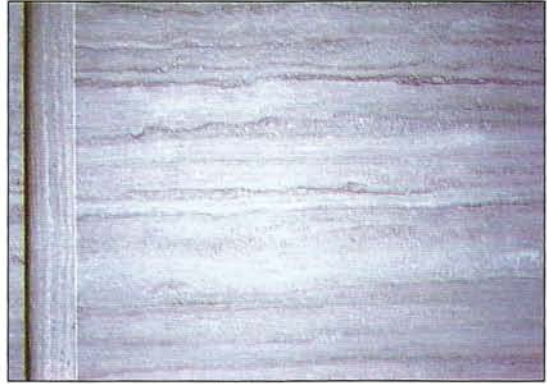
رخويات (في الماء)
انظر صفحة 4324



رخام (كرانيت)
انظر صفحة 4320



رخويات
(يعرضها صياد)
انظر صفحة 4324



رخام (طرافيرطان)
انظر صفحة 4321

رصاص
انظر صفحة 4360



الرخمة
انظر صفحة 4323





الروبيو
انظر صفحة 4464



الرغادة
انظر صفحة 4373



الروجي
انظر صفحة 4465



الرمّان
انظر صفحة 4442

ضايّة رومي
انظر صفحة 4496



الرنّد
انظر صفحة 4449





الزليج
العمل العنكبوتي
انظر صفحة 4700



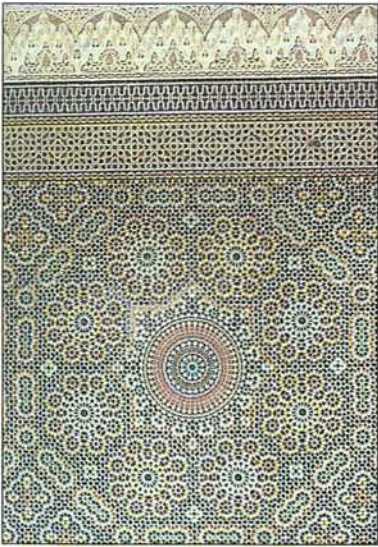
زعترا
انظر صفحة 4658



الزليج
العمل السطاشي
انظر صفحة 4700



زعترة
انظر صفحة 4659



الزليج
العمل بالقطيب
تحيط به 8 وردات
انظر صفحة 4700

زنجور
انظر صفحة 4720





الزنگ
انظر صفحة 4721



أشجار زيتون
انظر صفحة 4775



وادي زيز
انظر صفحة 4789



غصن زيتون
انظر صفحة 4776



السالمية
انظر صفحة 4821

غابة زيتون
بضاحية وزان
انظر صفحة 4777



- SIJILMASSI, M., *La Peinture marocaine*, Paris, 1972.
- SIRAJ, A., *L'Image de la Tingitane : l'historiographie arabe médiévale et l'antiquité nord-africaine*, Rome, 1995.
- SPILLMANN, G., *Du protectorat à l'indépendance, Maroc, 1912 - 1962*, Paris, 1967.
- SIRJACOBS, M., *Les Cultures protégées au Maroc : choix des régions climatiquement favorables*, H.T.E., 1986.
- STOUKY, A., *Baghdad Benas*, Rabat, 1980.
- TARRADELL, M., *La Necropolis punico-mauritana de San Lorenzo en Melilla*, Congr. Arch. de Marruecos, esp. Tetuan, 1954.
- TAILASSANE, M., *Le Massif du Zerhoun et ses bordures est et nord-est au nord du Saïs, Fès et Meknès : étude géomorphologique*, Th. 3e cycle, Rabat, 1986.
- TAUXIER, H., *Les Variations de sens des mots Berber, Roum, Afarek, Béranés, Botr, Mazigh et Frank*, R.A., n° 133, 1879.
- TENKOUL, A., *Littérature marocaine d'écriture française*, Casablanca, 1985.
- TERMIER, H. et G., *Mode de gisement des basaltes, permo-triasiques au Maroc*, B.S.S.G., vol. XIX, 1949.
- THOUVENOT, R., *Le Culte de Saturne en Maurétanie Tingitane*, R.E.A., 56, 1954.
- TORRELLA, M. G. DE, *Milicias cristianas en Berberia*, Bol. de la Soc. Arqueol. Lusitana, vol. 34, 1973.
- TORRES BALBAS, L., *Ribatas hispano - musulmanas, al-Andalus*, XIII.
- TOUTAIN, *Les Cultes paiens dans l'Empire Romain*, Paris, 1967, T. 3.
- VAJDA, G., *L'Aventure tragique d'un cadî maghrébin en Egypte fatimide*, Arabica, T. XV, Fasc. 1, Fév. 1968.
- VAN BERCHEM, *Titres califiens d'Occident*, J.A., 1907, T. 9.
- VAUDOUR, J., *Travertins et croûtes calcaires*, Bull. Assoc. Geog. Fran., 1981.
- VIDAL, J. C., *Structure actuelle et évolution depuis le miocène de la chaîne rifaine (Partis Sud de l'Arc de Gibraltar)*, Bull. Soc. geol. Fr., T. 19, n° 4, 1977.
- VILLARD, F., *Céramique grecque du Maroc*, B.A.M., 4, 1960.
- VOINOT, L., *Oujda et l'Amalat*, Oran, 1912.
- WEISROCK, A., *Géomorphologie et paléoenvironnement de l'Atlas atlantique*, Th. : Paris : 1986.
- YEOMAN, R. S., *A Catalog of modern wored coin, 1850 - 1960*, USA, 1972.
- ZAANOUN, E., *La Confédération des tribus Aït Warain : étude géographique de l'évolution d'une tribu berbère*. Th. 3e cycle : Geo. : Paris VII.
- ZERYOUMI, I., *Systèmes et pratiques de captage traditionnels des eaux au Maroc (Ronéot.)*, 1983.

- MOREL, J. P., *Les Céramiques à vernis noir du Maroc, Antiquités Africaines*, 2, 1968.
- MOREL, J. P., *Kerkoina ville punique du Cap Bon, Antiquités Africaines*, 1969.
- MOREL, J. P., *Les Niveaux préromains, Thamusida I, Collection de l'Ecole française de Rome, Supplément 2*, 1965.
- MORESTIN, P. M., *Le Dieu au chef cornu de Banasa, H.T*, II, fasc. 2. 3, 1961.
- MORSY, M., *Le Coût d'une ambassade anglaise au Maroc au 18e S. Cahiers de la Méditerranée*, n° 11, déc. 1975.
- MORSY, M., *Moulay Ismail, 1673 - 1727 ou l'instauration de l'état alawite*, in *Les Africains*, Paris, 1977, vol. 4.
- MOULIERAS, A., *Une tribu zénète anti-musulmane : les Zkara, B.S.G.A. Oran*, vol. 23, Fasc. 97, Oct.-Déc. 1903 ; vol. 24, Fasc. 100, Juil-Sept. 1904 ; vol. 25, Fasc. 102, Janv.-mars, 1905.
- MOULIERAS, A., *Une tribu zénète anti-musulmane : les Zkara*, Paris, 1905.
- MOUZOUNI, L., *Le Roman marocain de langue française*, Paris, 1987.
- MURRAY, G., *L'Esclavage dans le monde arabe, VII - XXe S*, Paris, 1987.
- NAAMOUNI, K., *Le Culte de Bouya Omar*, Casablanca, 1993.
- NACIRI, G., *Etude géomorphologique de la cuvette Romani et ses bordures nord et sud. Th. 3e cycle*, Rabat, 1987.
- NICOD, J., *Facteurs physico - chimiques de l'accumulation des formations travertineuses : essai de synthèse, Médit.*, 1 - 2, 1986.
- NOGALES, G., *Averroes : Epitome de anima*, Madrid, 1985.
- OUHAJOU, L., *Espace hydraulique et société : les systèmes d'irrigation dans la vallée du Draa Moyen (Maroc). Th. 3e cycle*, Géo, Montpellier III.
- PASCON, P., *Théorie générale de la distribution des eaux et de l'occupation des terres dans le Haouz de Marrakech, R.G.M.*, n° 18, 1970.
- PASCON, P., CHICHE, J., *La Question hydraulique. I. Petite et moyenne hydraulique au Maroc*, Rabat, 1984.
- PERENNES, J., *Le Maroc à porté du million d'hectares irrigué. Monde arabe, Maghreb, Machrek*, n° 173, 1992.
- PERES, M., *Précis d'océanographie hydrologique*, Paris, 1976.
- PONSICH, M., *Le Temple dit de Saturne à Volubilis, B.A.M.*, 10, 1976.
- POSACMON, C., *Monedas punicas e hispano - romanas halladas en Ceuta, Tamuda*, V, 1958.
- POSACMON, C., *Monedas romanas imperialas halladas en Ceuta, Tamuda*, V, 1957.
- POURTAUBORDE, *Documents politiques et sociaux : l'Office de l'Irrigation au Bani Amir et Bani Moussa. Encyclopédie mensuelle d'Outre-Mer*, Juin 1954.
- PUIG, J., *Averroes : Epitome in physicomum libros*, Madrid, 1983.
- QAROUACH, M., *La Croissance de l'agriculture marocaine*, Casablanca, 1988.
- QUEIROZ VELLOSO, I. M. DE, *Don Sebastian*, Madrid, 1943.
- REBUFFAT, R., *Histoire de l'identification des sites antiques du Maroc, Africa Romana*, 13, 2000.
- REFFAS, A., *L'Organisation urbaine de la péninsule Tingitane*, Doct. Etat : Paris I : 1993.
- REVAULT, J. [et al...], *Palais et demeures de Fès*, Paris, 1992, 3 vol.
- RICARD, R., *La Côte atlantique du Maroc au début du 16e S., d'après les instructions nautiques portugaises, Hesp.*, 1927.
- RIVIERE, P.L., *Traités, codes et lois du Maroc*, Paris, 1924.
- ROBAUX, A., *L'Eau et la vie dans le sud marocain, R.G.M*, n° 1 et 2.
- ROBET, J. T., *Dictionnaire des villes et localités du Maroc*, Rabat, 1936.
- ROCHES, L., *Trente deux ans à travers l'Islam, 1832 - 1864*, Paris, 1885.
- ROUGIER, C., *Alteration pédogénèse et paléo-pédogénèse sur massif granitique des Zaer (Maroc central), Th. 3e cycle : Bordeaux I* : 1985.
- ROUSSELLE, M., *Médecins, chirurgiens et apothicaires français au Maroc, 1577 - 1907*, Paris, 1996.
- SALVADOR, *Guia de los anfibios y reptiles españolas*, Madrid, 1974.
- SAINT-AULAIRE, C., *Confession d'un vieux diplomate*, Paris, 1953.
- SAN ROMAN, Fr. A. de, *Jornada y muerte del Rey Don Sebastian*, Valladolid, 1603.
- SASSON, A., *Recherches écophysiologiques sur la flore bacterienne de sol des régions arides du Maroc, Tanger*, 1937.
- SCHMITT, P., *Le Maroc d'après la géographie de Claude Ptolémée*, Th. 3e cycle : Tours : 1973.
- SESTON, W, EUZENNAT, M., *La Citoyenneté romaine au temps de Marc - Aurele et de commande d'après la Tabula Banasitana, C.R.A.I*, 1961.
- SESTON, W., EUZENNAT, M., *Le Dossier de la chancellerie romaine : la Tabula Banasitana : étude de diplomatie, C.R.A.I*, 1971.

- LEVI-PROVENÇAL, E., *Maghrawa, E.I.*, 1ère éd., 1936, vol. 3.
- LEWIS, W., *Journey into Barbary : Morocco writting and drawrings*, Santa Barbara, 1983.
- LLORIS, D., RUCABADO, J., *Guide d'identification des ressources marines du Maroc*, Rome, 1998.
- LOUBIGNAC, V., *Textes arabes des Zaer*, Paris, 1952.
- LOZET, J., MATHIEU, G., *Dictionnaire de science du sol : technique et documentation*, Paris, 1990.
- LUCAS, J., *La Transformation des minéraux argileux dans la sédimentation : étude sur les argiles du trias*, *Mem. Serv. de la carte géol. Als et Lorr.*, n° 23, 1962.
- MACKENZIE, D., *The Khalifate of West*, London, 1911.
- MADELUNG, W., *Al-Mahdi, E.I.*, Nlle éd., vol. 5.
- MAHJOUBI, A., *Les Origines du mouvement national tunisien, 1904 - 1934*, Tunis, 1982.
- MAJDOUB, M., *La Maurétanie et ses relations commerciales avec le monde romain*, *Africa Romana*, 11, 1996.
- MAJDOUB, M., *Nouvelles données sur la datation du Temple C à Volubilis*, *Africa Romana*, 10, 1994.
- MAJDOUB, M., *Octavius et la Maurétanie*, *Africa Romana*, 13, 2000.
- MAJDOUB, M., *Pompeus Magnus et les rois maures*, *Africa Romana*, 12, 1998.
- MANEVILLE, *Les Problèmes de l'eau dans la région de Berkine*, *B.S.G.M.*, n° 3 - 4, Juil.-oct., 1936.
- MARÇAIS, G., *Note sur le ribat en Berbérie, Mélanges d'Histoire et d'Archéologie de l'Occident musulman*, Alger, 1957, vol. 1.
- MARÇAIS, G., *Oujda, E.I.*, 1ère éd., 1936, vol. 3.
- MARGAT, J., *Note sur la morphologie du site de Sigilmassa*, *Hesp.*, 1959.
- MARIN, M., *El Ribat en al-Andalus y en Norte de Africa, la Rapita Islamica*, San Carles de la Rapita, 1993.
- MARION, J., *Note sur la contribution de la numismatique à la connaissance de la Maurétanie Tingitane*, *Antiquités Africaines*, I, 1967.
- MARION, J., *Les Trésors monétaires de Volubilis et de Banasa*, *Antiquités Africaines*, 12, 1978.
- MARION, J., *Les séries monétaires de Tingitane*, *B.A.M.*, 4, 1960.
- MARTY, P., *Zaouia de Sidi Ben Achir à Salé*, *R.E.I.*, I, 1933.
- MASCARENHAS, D. J. de., *Histoire de la ciudad de Ceuta*, Coimbra, 1918.
- MATHIEU, L., *La Géomorphologie et la géologie quaternaire comme bases fondamentales pour une juste définition et une cartographie rapide des sols et des milieux : application dans la province de Taza (Maroc), et dans la cuvette d'Andapa (Madagascar)*, Thèse Fac. Sc. Agro, Gembloux, Belgique, 1977.
- MATHIEU, R., *Les Sédiments du plateau continental du Maroc atlantique entre Dar Bouazza et Mohammadia*, *Bull. Inst., Pêches Marit.*, n° 16, 1986.
- MAURAN, Dr., *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1909.
- MAYNE, P., *A Year in Marrakech*, London, 1990.
- MEMMES, A., *Signification et interculturalité*, Rabat, 1992.
- MICHAUX-BELLAIRE, E., *Conférence sur les confréries religieuses du Maroc*, *A.M.*, vol. 27, 1917.
- MICHAUX-BELLAIRE, E., SALMON, G., *Quelques tribus arabes de montagnes de la région du Habt*, *A.M.*, 17, 1911.
- MILIAVSKAYA, S.T., *Connaissance sur l'Afrique en Russie au 18e S.*, in *Russie et Afrique*, Moscou, 1966.
- MINISTERE DES PECHES MARITIMES, *La Mer en chiffres*, Rabat, 1999.
- MINISTERE DE L'AGRICULTURE, DU DEVELOPPEMENT RURAL ET DES PECHES MARITIMES, *Colloque national de l'agriculture et du développement rural*, Rabat, 19 - 20 Juillet 2000, Rabat, 2000.
- MINISTERE DE L'AGRICULTURE, ET DE MISE EN VALEUR AGRICOLE, *Stratégie de développement des terres de parcours au Maroc : Schéma directeur d'aménagement des parcours*, Rabat, 1995.
- MIRANDA, F. de., *Diario*, Madrid, 1939.
- MONARION, F., *Exploracion ocnografica del Africa occidental desde el Cabo Ghir y Cabo Juby*, *Inst. Esp. Ocasnavy*, n° 20, 1947.
- MONSEMPES, *Contribution à la connaissance d'une tribu : les Zkara*, *C.H.E.A.M.*, Paris, 1955.
- MONTAGNE, R., *La Civilisation du désert*, Paris, 1947.
- MONTAGNE, R., *Coutumes et légendes de la côte berbère du Maroc*, *Hesp.*, IV, 1924.
- MONTET, E., *L'Histoire des religions au congrès des orientalistes d'Alger*, *Revue de l'Histoire des Religions*, vol. 52, 1905.
- MONTET, E., *Les Zkara du Maroc : un problème religieux*, *Revue de l'Histoire des Religions*, vol. 52, 1905.
- MORALES, B., *Jornada de Africa del Rey Don Sebastian de Portugal*, Sevilla, 1622, Madrid, 1889.
- MORCHID, A., *Potentialités de développement des cultures sous abris serres dans la zone cotière du périmètre du Gharb*, *Mem. 3e cycle, I.A.V. Hassan II*, Rabat, 1999.
- MOREL, J. P., *Céramiques d'Hippone*, *B.A.A.*, I, 1967.

- GONTARD, M., *Violence du texte*, Paris, Rabat, 1979.
- GOUBERT, P., *Ceuta byzantine ou Wizigothique ?* in *Misc. Lania Puig I Cadalach*, Barcelone, 1947 - 1951 ?
- GOUBERT, P., *L'Espagne byzantine*, rev. et. byz., IV, 1946.
- GRILLON, P., *La Correspondance du Consul Louis Chénier, 1767 - 1782*, Paris, 1970.
- GUERRERO AYUSO, V. H., *Una aportacion al estudio de las anforas Mana C.*, *Archaeo-Nautica*, 6, 1988.
- GUILLEN, P., *Les Emprunts marocains, 1902 - 1904*, Paris, 1972.
- GUITARD, C., *Recherches sur Saturne : des origines à la Réforme de 217 Av. J.C.*, in *Recherches sur les religions de l'Italie antique*, Genève, 1976.
- HALIM, A., *Le Capitalisme agraire au Maroc*, Th. Paris VII, 1986.
- HAMDI, A., LACIRIGNOLA, C., *An overview of protected agriculture in the mediterranean region*, Agadir, 1993.
- HART, D.M., *Notes on the Rifain community of Tangier*, *The Middle East Journal*, 1957.
- HESNARD, A. [et al...], *Aires de production des gréco-italiques et un Dr I*, *Collection de l'Ecole française de Rome*, 114, 1989.
- HESNARD, [et al...], *Les Négociants italiens en Maurétanie avant l'annexion*, *B.C.T.H.*, NS 19B, 1983.
- HORIEN, M., *Metaphysie de Averroes, 1197, nache dern Arabischien übersetzt und erlantert*, Halle, 1912.
- HUICI MIRANDA, A., *El Reinado del califa almohade al Rachid hijo de Al-Mamun*, *Hesp.*, 1er-2e trim, 1954.
- HUREAU, J.C., MONOD, Th., *Check list of the North Eastern Atlantic and of the Mediterranean*, Paris, 1973, 2 vol.
- IBN MARZUQ, *Le Musnad : extraits / ed. et trad. Levi-Provençal*, *Hesp.*, vol.5, 1er trim., 1925.
- INSTITUT AGRONOMIQUE ET VETERINAIRE HASSAN II, UTAH STATE UNIVERSITY, *Stratégie de développement des terres de parcours au Maroc, phases I, II, et III*, Rabat, 1993.
- JAAIDI, B., *Les Environnements sédimentaires actuels et pléistocènes du plateau continental atlantique marocain entre Larache et Agadir*, Th. 3e cycle, 1981.
- JAMOUS, R., *La Segmentation et le mariage arabe*. *Annales Marocaines de Sociologie*, 1963.
- JARIR, M., *Errachidia et l'organisation régionale de la vallée du Ziz*, Th. 3e cycle, Tours, 1983.
- JEHAMY, G., *Averroes : Paraphrase de la logique d'Aristote*, Beyrouth, 1982, 3 vol.
- JODIN, A., *L'Exploitation forestière du Maroc antique*, *Act. du 93e Congr. Nat. des Stés. Sav.*, Tours, 1968, Paris, 1980.
- KEHOE, D. P., *Pastoralism and agriculture*, *J.R.A.*, 3, 1990.
- KHATIBI, A., *Tryptique de Rabat*, Paris.
- KHATIBI, A., *Un été à Stockholm*, Paris, 1990.
- KHATIBI, A., EL MALEH, E.A., MARAINI, T., *La Peinture d'Ahmed Cherkaoui*, Casablanca, 1976.
- KHETTOUCH, M., *Zaïd ou Hmad, Lamalif*, n° 128, Sept. 1981.
- KHUSAIM, A. F., *Zarruq the Sufi*, Tripoli, 1976.
- KRANDEL BEN YOUNES, A., *La Nécropole rurale de Thigibba Bure, Djebba, Reppal*, 7 - 8, 1992 - 1993.
- LAFUENTE, M., *La Vie humaine dans un groupement berbère du Haut Atlas de Marrakech : les Aït Oucheg*, *R.G.M.*, n° 14, 1968.
- LAHJOMRI, A., *L'Image du Maroc dans la littérature française : de Loti à Montherlant*, Alger, 1973.
- LAKHDAR, M., *La Vie littéraire au Maroc sous la dynastie Alawide, 1075 - 1311 H / 1664 - 1894*, Rabat, 1971.
- LAMB, H. F., EICHER, U., SWITSUR, V.R., *An 18000 years record of vegetation : lakelevel and climatic change from Tiguelmamine*, *Middle Atlas Journ. biogeogr.*, 16, 1989.
- LANCEL, S., *Tipasitana - II : la nécropole préromaine occidentale de Tipasa, rapport préliminaire, campagne de 1966 - 1967*, *B.A.A.*, 3, 1968.
- LAOUST, E., *Le Mariage chez les berbères du Maroc*, *A.B.*, I, 1915.
- LASINIO, F., *Il commento medio di Averroes alla Poetica di Aristotele*, Pise, 1872.
- LASINIO, F., *Il Commento medio di Averroes alla Retorica di Aristotele*, Florence, 1877.
- LATHAM, J. D., *The Strategic position and defence of Ceuta in the later muslim period*. *Islamic Quaterly*, XV, 1971.
- LEBEL, R., *Les Voyageurs français du Maroc*, Paris, 1936.
- LEFEBURE, C., *Accès aux ressources collectives et structure sociale : l'estivage chez les Aït Atta (Maroc)*, in *Production Pastorale et société*, Cambridge, Paris, 1979.
- LEGLAY, M., *A la recherche d'Icosium*, *Antiquités Africaines*, 2, 1968.
- LEGLAY, M., *Les Dieux de l'Afrique romaine*, *Archeologie*, n° 40, Mai-Juin 1976.
- LEGLAY, M., *Saturne africain : histoire*, Paris, 1966.
- LEVY, R., DRUDERER, W., *Considération sur la nappe pré-rifaine d'après les travaux de la société chérifienne des pétroles*, in *C.R 19e Congr. géol. int.*, Alger, 1952.

- DAGUIN, F., *Contribution à l'étude géologique de la région pré-rifaine*, Rabat, 1927.
- DAKHLIA, J., *L'Oubli de la cité*, Paris, 1990.
- DAN, Père F., *Histoire de Barbarie et de ses corsaires...*, Paris, 1637.
- DAPPER, O., *Description de l'Afrique*, Amsterdam, 1686.
- DEJEUX, J., *Littérature maghrébine de langue française*, Québec, 1978.
- DESANGES, J., *Catalogue des tribus africaines dans l'antiquité classique à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962.
- DESCOLA, J., *Histoire de l'Espagne*, Paris, 1959.
- DHINA, A., *Les Etats de l'Occident musulman aux 13^e, 14^e et 15^e siècles*, Alger, 1984.
- DIEHL, C., *L'Afrique byzantine*, Paris, 1896.
- DIRECTION DE LA STATISTIQUE, *Résultats des R.G.P.H, 1960 - 1971, 1982, 1994*, Rabat, 1995.
- DOZY, R., *Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen Age*, 3e éd., Paris, 1881.
- DRACH, P., *Embranchement du cephalocorbie*, in Grasse, PP, *Traité de Zoologie*, Paris.
- DUBREUIL, B., *Les Pavillons des Etats musulmans*, H.T, vol. 1, fasc. 3, 1960.
- DUFOURCQ, Ch. E., *Les Relations de la péninsule ibérique et de l'Afrique du Nord au 14^e S. Anuario estudios medievales*, 1970 - 1971, vol. 7.
- DUFOURCQ, Ch. E., *Les Relations du Maroc et de la Castille pendant la première moitié du 13^e S. R.H.C.M.*, n° 5, 1968.
- DUFOURCQ, Ch. E., *Un projet castillan du 13^e S : la croisade de l'Afrique*, R.H.C.M., n° 1, 1966.
- DUNLOP, D. M., *Averroes on the modality of proposition. Islamic Studies*, (Karachi), I, 1962.
- EL-BADISI, *El Maqsad ash-sharif*, trad. G.S Colin, A.M., vol. 26, 1926.
- EL BOUZIDI, A., *Vallée moyenne de l'Oued Lebène (Pré-rif, Maroc) : étude de cartographie géomorphologique*, Th. 3e cycle, Poitiers, 1987.
- EL FASSI, M., *La Littérature marocaine*, in *Maroc. L'Encyclopédie coloniale et maritime*, Paris, 1948.
- EL MASOR, B., *Les Problèmes de l'eau dans la vallée moyenne du Ziz et la plaine du Tafilalet*. Th. Doct. Nancy II, 1988.
- EL MANSOUR, M., *Urban Society in Fez : The Rumat during the modern period, 17th - 19th centuries*, *Maghreb Review*, vol. 22, n° 1, 1997.
- ELSNER, J., *Musique arabe : congrès du Caire 1932*, Le Caire, 1992.
- EMBERGER, L., *Les Limites naturelles de la forêt de Mamora*, *Bull. Sté. Sc. Nat. Maroc*, 9, 1929.
- EMPEREUR, J. Y., HESNARD, A., *Les Amphores hellénistiques du bassin occidental de la Méditerranée*, in *Céramique Hellénistique et Romaine*, 2, 1987.
- ENNAJI, M., *Soldats, domestiques et concubines : l'esclavage au Maroc au 19^e S*, Casablanca, 1994.
- ENNAJI, M., BEN SRHIR, K., *La Grande Bretagne et l'esclavage au Maroc au 19^e S*, H.T, vol. XXIV; Fasc. 2, 1991.
- ESCALIER, R., *Citadins et espace urbain au Maroc*, Tours, 1981, 2 vol.
- EUZENNAT, M., *Le Limes de Tingitane : la frontière méridionale*, Paris, 1989.
- FAGNAN, *Un chant algérien du 18^e S. à l'occasion du bombardement d'Alger par les danois*, R.A., vol. 38.
- FASSI, D., *La Forêt dans l'histoire de la terre*, in *Le Grand livre de la forêt marocaine*, Belgique, 1999.
- FASSI, D., *Les Formations carbonatées secondaires : croûtes et travertins*, R.G.M., 1994.
- FAUGERES, J. C., *Les Rides sud-rifaines : évolutions sédimentaire et structure d'un bassin atlantico mésogéen de la marge africaine*, Th : Bordeau I, 1978.
- FEINBERG et LORENZ, G., *Nouvelles données stratigraphiques sur le miocène supérieur et le pliocène du Maroc nord-occidental*, *Notes Mem. Serv. Geol., Maroc*, T. 30, n° 225, 1970.
- FERHAT, H., *Ab²¹-'Abbas : contestation et sainteté, Al-Qantara*, vol. 13, Fasc. 1, 1992.
- FERHAT, H., *Littérature eschatologique et espace sacré au Maroc : le cas de Massa*, S.I, 80, 1994.
- FRIANG, E., *Les Zkara et leur évolution devant l'Islam*, Mém. fin de stage des contrôleurs civils, 1946.
- GAILLARD, H., *Une ville de l'Islam, Fès*, Paris, 1905.
- GALLOTI, J., *Le Jardin et la maison au Maroc*, Paris, 1925, 2 vol.
- GASPAR REMIRO, M., *El Negocio de Ceuta entre Jaime II de Aragon y Aburrebia Sulaiman, sultan de Fez contra Muhammed III de Granada*, in *Relaciones de la Corona de Aragon con los estados musulmanes de Occidente*, Madrid, 1925.
- GATJE, H., *Die Epitome der Pane Naturalia des Averroes*, Wiesbaden, 1961.
- GAUDEFROY - DEMONBYNES, M., *Masalik el -absar*, Paris, 1927.
- GAUTIER, E. F., *Mœurs et coutumes des musulmans*, Paris, 1931.
- GHANEM, H., *Contribution à la connaissance des sols du Maroc*, Th. Agr. 1981, 2 vol.
- GIMENEZ SOLER A., *Caballeros españoles en Africa y Africanos en España*, *Revue Hispanique*, 1905.

- BORSON, L., *Aperçu de l'élevage bovin dans l'antiquité, ethnozootechnie*, 32, 1983.
- BOUBE, J., *Les Amphores de Sala à l'époque préromaine, B.A.M.*, 17, 1987 - 1988.
- BOUBE, J., *La Circulation monétaire à Sala à l'époque préromaine*, Rome, 1992.
- BOUBE, J., *Introduction à l'étude de la céramique à vernis noir de Sala, B.A.M.*, 16, 1985, 1986.
- BOUBRIK, R., *Saints et société en Islam : une confrérie ouest saharienne, la Fadiliyya*, Paris, 1999.
- BOUCHET CHANTON, R., *Zoologie I, Invertébrés*, Paris, 1962.
- BOUDERBALA, N. [et al...], *La Question agraire au Maroc, B.E.S.M.*, n° 123 / 125.
- BOUDY, P., *Economie forestière nord africaine*, Paris, 1950.
- BOUGHALI, M., *Espaces d'écriture au Maroc*, Casablanca, 1987.
- BREBION, Ph., *Etude biostratigraphique et paléoécologique du quaternaire marocain, Ann. Paléont.*, 65, 1979.
- BRUNHES, J., *L'Irrigation : ses conditions géographiques, ses modes d'organisation dans la péninsule ibérique et dans l'Afrique du Nord*, Paris, 1902.
- BUKKALI, M.M., *Contribution à l'étude de la transhumance au Maroc*, Toulouse, 1972.
- BURKE, E., *Prelude to Protectorate in Morocco*, Chicago, 1976.
- BUTTERWORTH, C.E., *Averroes three short commentaries on Aristotele : Topics, Rhetoric, and Poetic*, Albany, 1977.
- CAILLE, J., *La Petite histoire du Maroc : 3e série, 1850 - 1912*, Rabat, 1954.
- CAMPS, G., *Les Berbères : mémoire et identité*, Paris, 1987.
- CAPMANY, *Antiguos tratados de paces y alianzas entre algunos Reyes de Aragon y diferentes principes infieles de Asia y Africa desde el siglo XIII hasta el XV*, Madrid, 1974.
- CARO BAROJA, J., *Un santón sahariano y su familia, Estudios saharianos*, 1955.
- CASANOVA, J., *Morphologie et biolithogénèse des barrages de travertins*, Paris, 1981.
- CASTRIES, H. de., *Les Sept patrons de Marrakech, Hesp.*, IV, 1924.
- CASTRO Y PEDRERA, F. de, *Melilla préhispanica*, Madrid, 1945.
- CAUTIER, D. J., *Monnaies et économie dans l'Espagne du nord et du centre, H.T.*, 1962.
- CELERIER, J., *L'Atlas et la circulation au Maroc, Hesp.*, vol. 7, 4e trim., 1927.
- CELERIER, J., *La Dépression du Serou (Moyen Atlas Central), R.G.M.*, VI, 1928 - 1929.
- CENIVAL, P. de, *L'Eglise chrétienne de Marrakech au 13e S., Hesp.*, vol. 8, 1927.
- CHARLES-ROUX, F., CAILLE, J., *Missions diplomatiques à Fès*, Paris, 1955.
- CHATER, K., *Dépendance et mutations précoloniales : la Régence de Tunis de 1815 à 1857*, Tunis, 1984.
- CHEBBI, J., *Ribât, E.I.*, Nlle éd., Leiden, vol. 8.
- CHEIKHA, J., *Les Ribats d'après les livres de Tabaqat, La Rapita islamica : historia institucional I altres Estudis Regionals. I Congrés de les rapites de l'Estat Espanyol, 7 - 10 sept. 1989, 1993.*
- CHELBI, F., *La Céramique à vernis de Carthage*, Tunis, 1992.
- CHOUBERT, G., *Essai de chronologie hercynienne, N.S.G.M.*, vol. 4, n° 83, 1951.
- CHRAIBI, D., *Le Passé simple*, Paris, 1954.
- CICARD, *L'Organisation des Zaers, R.M.M.*, 1910.
- CINTAS, P., *Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc*, Paris, 1954.
- COLIN, G. S., *Massa, E.I.*, Nlle éd., vol. 5.
- COLIN, G. S., *La Noria marocaine et les machines hydrauliques dans le monde arabe, Hesp.*, 1er trim., 1932.
- COLIN, G. S., RICARD, R., *Tanger et Ceuta dans un boniment de jongleur espagnol du 15e S., Bull. Hispanique*, 48, 1946.
- CONTAMINE, Ph., *La Guerre au Moyen Age*, Paris, 1980.
- CORNELL, V.J., *Ribat Tit - n - Fitr and the origine of Morroccan maraboutism islamic studies, Islamic studies*, XXVII, 1988.
- CORREA DE FRANCA, A., *Historia de la muy noble y fidelisima ciudad de Ceuta, Transfretana*, n° 3, 1983.
- CORRIERAS, J., *Une tribu zénète anti-musulmane : les Zkara, A.F. : R. C.*, 1906.
- COSSE - BRISSAC, Ph. de, *Les Rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie, 1830 - 1847*, Paris, 1931.
- COURTOIS, C., *Les Vandales et l'Afrique*, Paris, 1955.
- CRAWFORD, F. S., *Averroes Cordubensis Commentarum Magnum in Aristotelis de Anima libros*, Cambridge (Mass.), 1953.
- CRESSUER, *De un ribat a otro : una hipotesis sobre los ribat-s del Magrib al-aqsa (A paraître). Cultures protégées en climat méditerranéen, Bull. de la F.A.O.*, n° 90, 1988.
- CUNNINGHAME, R., *Maghreb el-Aksa : A journey in Morocco*, Evanston (Illinois), 1997.
- CUSSANE BALIN, *Un raid au sud de Sefrou, L'Illustration*, n° 3600, 24 fev. 1912.

Supplément
à
la bibliographie des ouvrages et des articles
cités dans l'encyclopédie

- ABES, M., *Les Izayan d'Oulmès*, A.B., 1915.
- ACKERMAN, G. M., *Les orientalistes de l'école britannique*, Paris, 1991.
- Actes du 14e Congrès international des orientalistes, Alger 1905*, Paris, 1905, vol. 1.
- ADOLPHE, J. P., BILLY, C., *Biosynthèse de calate par une association bactérienne aérobie*, C.R.A.S, (Paris), T. 278, 1974.
- AGERON, C.R., *Histoire de l'Algérie contemporaine, 1871 - 1954*, Paris, 1979.
- AIT BRAHIM, L., CHOTIN, P., *Mise en évidence d'un épisode compressif dans les calcaires plio-quadernaires du Bassin de Saïs*, C.R.A.S, T. 296, 1983.
- AKERRAZ, A., [et al...], *Patrimoine culturel et territoire de la région du Gharb*, Rabat, 1996.
- ALEMANY, J., *Milicias cristianas al servicio de los sultanes musulmanes del Almaghreb*, in *Homenaje a D. Francisco Codera*, Zaragoza, 1904.
- ARCELIN, P., CAYOT, A., *Réflexions sur l'abandon de l'agglomération hellénistique de Saint-Blaise (Saint-Mitre-les-Remparts)*, *Rev. Archéol. de Narbonnaise*, 17, 1984.
- AYME, V., *Lettre à Mr Mouliéras à propos d'ethnologie berbère*, B.S.G.A. Oran, 1904.
- BABIN, G., *Au Maroc par les camps et par les villes*, Paris, 1912.
- BADAWI, A., *Averroes : paraphrases*, in *Libros Rhetoricorum Anstolelis*, Le Caire, 1960.
- BASSET, H., LEVI-PROVENÇAL, E., *Chella : une nécropole méridionale*, Paris, 1923.
- BASSET, R., *Recherches sur la religion des Berbères*, *Revue de l'Histoire des Religions*, vol. 41, n° 3.
- BEL, A., *Le 14e Congrès international des orientalistes d'Alger 1905*, *Bull. trim. Soc. Géo. Archéo. Oran*, vol. 25, Fasc. 103, Avr.-Juin 1905.
- BELARBI, M., *Zerhoun : population et structures agraires : étude de géographie rurale*. Th. 3ème cycle : Géo, Bordeaux I, 1980.
- BELLAKHDAR, J., *La pharmacopée marocaine traditionnelle : médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Paris, 1997.
- BENABDELJALIL, A., *Le chant et la musique*, G.E.M : *Civilisation marocaine*, Casablanca, 1996.
- BENABID, A., *Flore et écosystèmes du Maroc*, Paris, 1999.
- BENABOUD, M., *Problems of American Protection in Morocco*, in *The Atlantic connection 200 years of Moroccan - American Relations, 1786 - 1986*, Rabat, 1990.
- BEN BOUAZZA, T., *La Naissance du syndicalisme ouvrier au Maroc*, Casablanca.
- BENCHENEB, M., *3e [Troisième] section langues musulmanes dans le congrès d'Avril 1905 à Alger*, R.A, 2e - 3e trim., 1905.
- BENCHERIFA, A., *Le Monde rural marocain : diversité spatiale et culturelle*, G.E.M. : *géographie humaine*, Rabat, 1989.
- BENDAOU, K., *Impact des accords du GATT sur les exportations agricoles du Maroc*, Rabat, 1997.
- BEN JELLOUN, T., *L'Enfant de sable*, Paris, 1981.
- BEN JELLOUN, T., *La Nuit sacrée*, Paris, 1987.
- BEN YOUNES, H., *La Nécropole punique d'El-Khayma, mai 1984*, *Reppal*, 2, 1993.
- BERGGREN, W. A., VAN COUVERING, J. A., *The Late Neogene : biostratigraphy, geochronology and paleoclimatology of the last 15 million years marine and continental sequences*, *Palaeogeography, palaeoclimatology*, vol. 16, n° 1 - 2, 1974.
- BERNARD, A., *Les Confins algéro-marocains*, Paris, 1911.
- BERQUE, J., *L'Intérieur du Maghreb*, Paris, 1978.
- BERRAHO, A., *Ressources halieutiques et potentialités aquacoles au Maroc*, Lisbonne, 1998.
- BERTHIER, P., *Les Anciennes sucreries du Maroc et leurs réseaux hydrauliques*, Paris, Rabat, 1965, 2 vol.
- BISI, A. M., *Le Commerce des amphores puniques : quelques remarques à propos des découvertes de Mellita (Sabratha)*, B.C.T.H., N.S 19 B, 1985.
- BLANCARD, L., *Documents inédits sur le commerce de Marseille au Moyen Age*, Marseille, 1884, 2 vol.
- BLUMBERG, H., *Epitome of Pana Naturalis*, transl. from the original arabic and the hebra and latin version with notes and introd., 1961.

تم طبع الجزء 14 من معلمة المغرب
بمطابع سلا ومطبعة النجاح الجديدة
في رمضان عام 1422 / نونبر 2001



مطابع سلا

قسمة 14، زنقة عثمان بن عفان
الحي الصناعي لتابريكت
ص.ب. 596 سلا

Directeur de publication : Mohamed **Hajji**

Comité de rédaction : Ahmed **Toufiq**
Mohamed **Hajji**

Comités scientifiques :

Pour les sciences humaines

Mohamed **BENCHERIFA**, Faculté des Lettres, Rabat.
Brahim **BOUTALEB**, Faculté des Lettres, Rabat.
Salem **YAFOUT**, Faculté des Lettres, Rabat.
Mustapha **NAIMI**, Institut Universitaire pour la Recherche
Scientifique, Rabat.

Pour la géographie et les sciences de la nature

Abdellah **LAOUINA**, Faculté des Lettres, Rabat.
Dris **EL-FASSI**, Institut Agronomique et Vétérinaire Hassan II, Rabat.
Mustapha **AYAD**, Faculté des Lettres, Rabat.
Abdelmalek **BENABID**, Ecole Nationale Forestière, Salé.
Mohamed **RAMDANI**, Institut Scientifique, Rabat.

Tous droits réservés, y compris le droit de traduction ou de reproduction
même partielles sous quelque forme que ce soit.



IMPRIMERIE DE SALÉ

Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane
Zone Industrielle de Tabriquet
B.P. 596 SALÉ

Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.



Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

L'Imprimerie de Salé

"SALA"

2001 - 1422

Copyright © IMPRIMERIE DE SALÉ "SALA" 2001

ISBN (Ensemble) 9981 - 03 - 000 - 7

ISBN (Tome XIV) 9981 - 03 - 020 - 1

**Encyclopédie
du
Maroc**

عصور التاريخ الإسلام

وقائع سياسية واقت

في المغرب

التقسيم الزمني

فتح المغرب على يد عقبة بن نافع وولاية زهير بن قيس البلوي على المغرب.

عام 62 / 681

مقتل عقبة بن نافع في إحدى معاركه ضد كسيلة وصول قبائل أوربة إلى مدينة وليلي بعد انهزام زعيمهم كسيلة أمام المسلمين.

عام 63 / 683-82

عام 69 / 688

ولاية موسى بن نصير على أفريقية والمغرب.

عام 72 / 691

عام 77 / 697-96

فتح الأندلس من طرف طارق بن زياد

عام 92 / 711

عام 98 / 717-16

انتفاضة البربر بزعامة ميسرة المطغري في ولاية عبد الله بن الحبحاب.

عام 122 / 740

عام 145 / 762

نزول إدريس بن عبد الكامل بوليلي ومبايعة من طرف قبائل أوربة

عام 172 / 788

خروج إدريس على رأس القبائل المبايعة له حتى انتهى إلى بلاد سوس الأقصى وفتح تلمسان وبنى بها مسجداً.

عام 173 / 790-89

وفود عرب إفريقية والأندلس على إدريس II

عام 189 / 805-4

بناء جامع القرويين وجامع الأندلس على يد فاطمة الفهرية وأختها مريم.

عام 245 / 859

وثقافية واجتماعية

المواقع الرئيسية

في بقية العالم الإسلامي

المغرب

مدينة وليلي بجبل زرهون

القدس الشريف

انتهاء بناء جامع الصخرة بالقدس.

دمشق الشام

يهور الدنانير الذهبية الإسلامية وجعل اللغة
عربية لغة الإدارة.

الأندلس

القسطنطينية

حصار القسطنطينية.

افريقيا الشرقية

يهور المسلمين في شواطئ افريقيا الشرقية.

بغداد

أسس مدينة بغداد من قبل أبي جعفر المنصور
عباسي.

وليلى

السوس الأقصى وتلمسان

افريقية والأندلس

فاس

Encyclopédie
du
Maroc

14